الفتوحات المكية

لمحيي الحق والدين
أبي عبد الله محمد المعروف بابن عربي

الجزء السابع

بإشراف
مكتب البحوث والدراسات

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

نور آباد۔ فتح گڑھ سیالکوٹ

الفتوحات المكية

للشيخ

محيي الدين بن عربي

٥٦٠ - ٦٣٨هـ

قدم له

الدكتور محمود مطرجي

إشراف

مكتب البحوث والدراسات

الجزء السابع

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

Marfat.com

جميع حقوق إعادة الطبع محفوظة للناشر

١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

Email: darelfkr@cyberia.net.lb
E-mail: darlfikr@cyberia.net.lb
Home Page: www.darelfikr.com.lb

دار الفكر

حارة حريك - شارع عبد النور - برقيا: فكسي - ص.ب: ١١/٧٠٦١
تلفون: ٥٥٩٩٠٠ - ٥٥٩٩٠١ - ٥٥٩٩٠٢ - ٥٥٩٩٠٣
فاكس: ٠٠٩٦١١٥٥٩٩٠٤

بيروت لبنان

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الحادي وأربعمائة

في معرفة منازلة الميت والحي ليس له إلى رؤيتي من سبيل

قد استوى الميت والحي ... في كونهم ما عندهم شيّ
مني فلا نور ولا ظلمة ... فيهم ولا ظل ولا فيّ
رؤيتهم إليّ معدومة ... فنشرهم في كونها طيّ
وفهمهم إن كان معناهم ... عنه إذا حققته عيّ

قال الله عز وجل: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ وقال عز وجل لموسى عليه السلام: ﴿لن تراني﴾ وكل مرئيّ لا يرى الرائي، إذا رآه منه إلاّ قدر منزلته ورتبته فما رآه وما رأى إلاّ نفسه. ولولا ذلك ما تفاضلت الرؤية في الرائين، إذ لو كان هو المرئي ما اختلفوا، لكن لما كان هو مجلى رؤيتهم أنفسهم لذلك وصفوه بأنه يتجلى وأنه يرى، ولكن شغل الرائي برؤيته نفسه في مجلى الحق حجبه عن رؤية الحق، فلذلك لو لم تبد للرائي صورته أو صورة كون من الأكوان ربما كان يراه فما حجبنا عنه إلا أنفسنا، فلو زلنا عنا ما رأيناه لأنه ما كان يبقى، ثم بزوا لنا من يراه وإن نحن لم نزل فما نرى إلا أنفسنا فيه، وصورنا وقدرنا ومنزلتنا فعلى كل حال ما رأيناه، وقد نتوسع فنقول: قد رأيناه ونصدق، كما أنه لو قلنا رأينا الإنسان صدقنا في أن نقول رأينا من مضى من الناس ومن بقي ومن في زماننا من كونهم، إنساناً لا من حيث شخصية كل إنسان، ولما كان العالم أجمعه وآحاده على صورة حق ورأينا الحق فقد رأينا وصدقنا وإن نظرنا إلى عين التمييز في عين عين لم نصدق، وأما قوله ﷺ في حديث الدجّال ودعواه أنه إلّه فعهد إلينا رسول الله ﷺ أن أحدنا لا يرى ربّه حتى يموت لأن الغطاء لا ينكشف عن البصر إلا بالموت، والبصر من العبد هوية الحق، فعينك غطاء على بصر الحق، فبصر الحق أدرك الحق ورآه لا أنت ﴿فإن الله لا تدركه الأبصار وهو يدرك

Marfat.com

الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ ولا ألطف من هوية تكون عين بصر العبد وبصر العبد لا يدرك الله، وليس في القوّة أن يفصل بين البصرين، والخبير علم الذوق فهو العليم خبرة أنه بصر العبد في بصر العبد، وكذا هو الأمر في نفسه، وإنْ كان حياً فقد استوى الميت والحيّ في كون الحق تعالى بصرهما وما عندهما شيء، فإن الله لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء، إذ ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

فكــل سمــع وبصــر هــويــة الحــق وقــد
فــانظــر إذا أبصــرت مــن تبصــره وتــر العــدد
وكــن بــه معتــرفــاً فــي كــل غــيّ ورشــد

الباب الثاني وأربعمائة

في معرفة منازلة من غالبني غلبته ومن غالبته غلبني، فالجنوح إلى السلم أولى

مـن غـالـب الحق مـا ينفـك ذا تعب ولا يـزال مـع الأنفـاس فـي نصـب
فاجنح إلى السلم لا تجنح إلى الحرب وإن تحـارب فخيـل الله فـي الطلـب
إنـي نصحتـك فـاسمـع مـا أفـوه بـه إن الهـلاكيـن مقـرونـان بـالحـرب
فـاحـذر فـديتـك أفـلاكـاً تـدور بمـا لا تـرتضيـه وخـف مصـارع النـوب
لـو جـاءك المـلأ العلـوي مبتليـا بـالحـرب سلـم لـه وجـد فـي الهـرب
وانـزع إليـه وقـل يـا منتهـى أملـي ألسـت تعلـم أن العـز فـي الحجـب

قال الله عز وجل: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾ إعلم أنه قد تقرر عند أصحاب الأفكار أن لله صفات وأسماء لها مراتب وللعبد التخلق والتحلي بها على حد مخصوص ونعت منصوص عليه وحال معين، إذا تعدى ذلك العبد كان للحق منازعاً واستحق الإقصاء والطرد عن القرب السعادي كما ورد في قوله تعالى: ﴿الكبرياء ردائي والعظمة إزاري من نازعني واحداً منهما قصمته﴾، وللعبد صفات وأسماء تليق به، وقد داخله الحق في الإنصاف بها مما تحيله العقول، ولكن وردت به الشرائع ووجب الإيمان بها، فلا يقال كيف مع إطلاقها عليه قربة وإيماناً من لم يقل بها وأنكرها فقد كفر ومرق من الإسلام، ومن تأوّلها كان على قدم الغرور، فلا نعلم نسبتها إلى الله إلا بإعلام الله، وكذلك كل اسم تحلينا به من أسمائه أيضاً مجهول النسبة إليه عندنا إلا أن يعلمنا الله فنعلم ذلك

Marfat.com

بإعلامه، فالكل على السواء مالنا وماله، فلماعين ما عين له وتحلينا به سمى ذلك مغالبة منا للحق، ولما عين ما عين لنا واتصف به سمى ذلك بغالبة من الحق، وموضع الجنوح إلى السلم من هذا الأمر هو أن ترد الكل إليه فما أعطانا من ذلك ولو أعطانا الكل قبلناه على جهة الإنعام.

واعلم أن سبب المنازعة والمغالبة أمران: الاستخلاف الذي هو الإمامة والخلق على الصورة، فلا بد للخليفة أن يظهر بكل صورة يظهر بها من استخلفه، فلا بد من إحاطة الخليفة بجميع الأسماء والصفات الإلهية التي يطلبها العالم الذي ولاه عليه الحق سبحانه، ولما اقتضى الأمر ذلك أنزل أمراً منه إليه سماه شرعاً بين فيه مصارف هذه الأسماء والصفات الإلهية التي لا بدّ للخليفة من الظهور بها وعهد إليه بها، فكل نائب في العالم فله الظهور بجميع الأسماء، ومن النوّاب من أخذ المرتبة بنفسه من غير عهد إلهي إليه بها وقام بالعدل في الرعايا واستند إلى الحق في ذلك، كملوك زماننا اليوم مع الخليفة فمنهم السمع والطاعة فيما يوافق أغراضهم وما لا يوافق فهم فيه كما هم في أصل توليتهم ابتداء، ومنهم من لا يعمل بمكارم الأخلاق ولا يمشي بالعدل في رعيته، فذلك هو المنازع لحدود مكارم الأخلاق والمغالب لجناب الحق في مغالبته رسل الله كفرعون صاحب موسى عليه السلام وأمثاله، والحق له الاقتدار التام، لكن من نعوته الإمهال والحلم والتراخي بالمؤاخذة لا الإهمال، فإذا أخذ لم يفلت وزمان عمر الحياة الدنيا زمان الصلح واستدراك الفائت والجبر بمن قام بمصالح الأمور المرضية عند الله تعالى المسماة خيراً الموافقة لما نزلت بها الشرائع، غير أن هذا الإمام لم يتصف بها من حيث ما شرعت ولا من حيث ما أوصى الحق بها، ولكن اتصف بها لكونها مكارم أخلاق عرفية عرف الحق قدرها وأثنى على من اتصف بها، كما قال ﷺ في تاريخ ميلاده عن كسرى وهو من جملة النوّاب الملوك قال: ولدت في زمان الملك العادل فسماه ملكاً ووصفه بالعدل وإن كان فيه على غير شرع منزل فهو صفة مرعية عند الله وسماهم ملوكاً، وإن كان الحق ما استخلفهم بالخطاب الإلهي على الكشف لكنهم نوّابه من وراء الحجاب، فإذا ظهروا بصفات ما ينبغي للملك أن يظهر بها ولم يوافق بها المصارف الإلهية التي شرعها الحق بالسنة الرسل نعت ذلك بالمنازع والمغالب، فهما ظهر كانت الغلبة له، ومهما ظهر عليه كانت الغلبة للحق، فكان الحرب سجالاً له وعليه، وصورة السلم موافقة الحق في المصارف من غير اتباع، وهذا كله فيمن قام في الملك

Marfat.com

بنفسه. وأما ولاة الحق من الرسل فليس إلا العدل المحض ولا نتصوّر منازعة من أولئك صلوات الله عليهم.

وأما الأئمة الذين استنبابهم الله واستخلفهم بتقديم الرسل إياهم على القيام بما شرع في عباده من الأحكام فهم على قسمين: قسم يعدلون بصورة حق ولا يتعدون ما شرع لهم، والقسم الآخر قائلون بما شرع لهم غير أنهم لم يرجعوا ما دعوا إليه في المصارف التي دعاهم الحق إليها وجاروا عن الحق في ذلك وعلموا أنهم جائرون قاسطون، فهم من حيث الصورة الظاهرة مغالبون ومنازعون فيمهلهم الله لعلهم يرجعون، ففي زمان ذلك الإمهال تظهر الغلبة لهم على الحق المشروع الذي يرضى من استخلفهم، وفي وقت تكون الغلبة للحق عليهم بإقامة منازع في مقابلته يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم، وإذا ظهر هذا فقد أوجب الحق على عباده القتال معه والقيام في حقه ونصرته والأخذ على يد الجائر، ولا يزال الأمر على ما قلناه حتى يأتي أمر الله وتنفذ الكلمة الحق ويتوحد الأمر وتعم الرحمة ويرجع الأمر كله إليه كما كان أوّل مرة، ويرتفع بعض النسب ويبقى بعضها بحسب المحل والدار والنشأة التي تصير فيها وإليها، فإن للزمان حكماً، وللمكان حكماً، وللحال حكماً ﴿والله يقضي الحق وهو خير الفاصلين﴾ فتزول المغالبة والمنازعة، ويبقى الصلح والسلم في دار السلام إلى أبد لا ينقضي أمده بأزل لا يعينه أبده، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

إن الخليفة من كانت إمامته	من صورة الحق والأسماء تعضده
ليس الخليفة من قامت أدلته	من الهوى وهوى الأهواء يقصده
له التقدم بالمعنى وليس له	توقيع حق ولا شرع يؤيده
فيدعى الحق والأسياف تعضده	وهو الكذوب ونجم الحق يرصده

Marfat.com

الباب الثالث وأربعمائة

في معرفة منازلة لا حجة لي على عبيدي ما قلت لأحد منهم لم عملت إلا قال لي: أنت عملت

وقال الحق ولكن السابقة أسبق بلا شك فلا تبديل.

إذا كنت حقاً فالمقال مقالتي ... وإن لم أكن فالقول قول المنازع
لي الحجة البيضاء في كل موطن ... به فهي تبدو في قريب وشاسع
ولما دعاني للحديث مسامراً ... تجافت جنوبي رغبة عن مضاجعي
فقال لنا أهلاً بأكرم سامر ... يعيد عن الأكفاء للكل جامع
فقلت له لولاك ما كنت جامعاً ... لحق وخلق ثم فاضت مدامعي
فقال أتبكي قلت دمع مسرّة ... لما ملئت مما تقول مسامعي

قال الله عز وجل: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ اعلم أن الكريم هو الذي يترك ماله ويؤدّي ما أوجبه على نفسه من الحقوق كرماً منه قبل أن يسألها، ثم أنه يمنع وقتاً ويطالب وقتاً لتظهر بذلك منزلة الشافع عنده في مثل هذا وكرمه بالسائل فيما سأله فيه بإجابته، وعبيد الله عبدان: عبد ليس للشيطان عليه سلطان وهو عبد الاختصاص وهو الذي لا ينطق إلا بالله ولا يسمع إلا بالله فالحجة لله لا له ﴿قل فللّه الحجة البالغة﴾ فإنها حجة الله. ومن عبيد الاختصاص ومن ينطق عن الله ويسمع من الله فهذا أيضاً من أهل الحجة البالغة لأنه ﴿لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ فهو تعالى السائل والمجيب وأما عبد العموم فهو الذي قال عنهم لرسول الله ﷺ: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني﴾ فما خص عبيداً من عبيد وأضافهم إليه، وقوله: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا﴾ فأضافهم إليه مع كونهم مسرفين على الإطلاق في الإسراف ونهاهم أن يقنطوا من رحمة الله، وهذا وأمثاله أطمع إبليس في رحمة الله من عين المنة، ولو قنط من رحمة الله لزاد إلى عصيانه عصياناً، وأخبر الله عنه في إسرافه أنه يعدنا الفقر ويأمرنا بالفحشاء ليجعل فضله

Marfat.com

تعالى في مقابلة ما وعد به الشيطان من الفقر الذي هو به مأمور في قوله تعالى: ﴿وعدهم﴾ فهو مصدق لله فيما أخبر به عنه ممتثل أمر الله بشبهة في أمره في قوله: ﴿وعدهم﴾ وجعل مغفرته في مقابلة الفحشاء والأمر بالفحشاء من الفحشاء، فدخل تحت وعد الحق بالمغفرة فزاده طمعاً وإن كانت دار النار مسكنه لأنه من أهلها، وإن حارت عليه أو زار من اتبعه ممن هو من أهل النار فما حمل إلا ما هو منقطع بالغ إلى أجل، وفضل الله لا انقطاع له لأنه خارج عن الجزاء الوفاق، ورحمة الله لا تخص محلاً من محل ولا داراً من دار بل وسعت كل شيء، فدار الرحمة هي دار الوجود، وهؤلاء العبيد المذكورون ذكرهم الله بالإضافة إليه، والإضافة إليه تشريف، فجمع في الإضافة بين العبيد الذين أسرفوا على أنفسهم الذين نهاهم سبحانه أن يقنطوا من رحمة الله وبشرهم أنه يغفر الذنوب جميعاً ولم يعين وقتاً، فقد تكون المغفرة سابقة لبعض العبيد لاحقة لبعض العبيد، وبين العبيد الذين ليس للشيطان عليهم سلطان:

فمـــا ثـــم إلا عبـــده وهـــو ربـــه ومـــا ثـــم إلا راحـــم ورحيـــم

أراد بالرحيم هنا المرحوم اسم مفعول مثل قتيل وجريح وطريد ﴿ولا تبديل لكلمات الله﴾ وهي أعيان العالم وإنما التبديل لله لا لهم ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأتِ بخير منها أو مثلها﴾ وفي قراءة ﴿أو ننساها﴾ ﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ ﴿ومن يبدل نعمة الله﴾ وهي ما بشرنا به من عموم مغفرته ﴿من بعد ما جاءته﴾ فمن هنا وإن كانت شرطاً ففيها رائحة الاستفهام، وقال في الجواب: ﴿فإن الله شديد العقاب﴾ ولم يقل فإن الله يعاقب من بدل نعمة الله فهو كما قال: ﴿شديد العقاب﴾ في حال العقوبة فما ثم من يقدر ﴿يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته﴾ فيبدل نعمة الله بما هو خير منها بحسب حاجة الوقت فإن الحكم له أو مثلها والنسخ تبديل لا بدا، ثم إنه القائل: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيراً» فمن لم يظنّ بالله خيراً فقد عصى أمره وجهل ربه وأشقى من إبليس فلا يكون، وقد أخبر الله تعالى عنه أنه يتبرأ من الكافر ووصفه بالخوف لله رب العالمين، وقد ذكر تعالى أنه ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ وأتم هذه الآية بقوله: ﴿إن الله عزيز﴾ أي يمتنع أن يؤثر فيه أمر يحول بينه وبين عموم مغفرته على عباده ﴿غفور﴾ ببنية مبالغة في الغفران بعمومها فهي رجاء مطلق للعصاة على طبقاتهم، وقوله فيمن ﴿يبدل نعمة الله من بعدما جاءته أنه شديد العقاب﴾ أي يسرع تعالى إلى من هذه صفته بالعقاب وهو أن يعقبه فيما بدله أن التبديل لله عز وجل ليس

Marfat.com

له فيعرّفه أنه ﴿بيده ملكوت كل شيء﴾ فإن الله ما قرن بهذا العقاب ألماً ومتى لم يقرن الألم بعذاب أو عقاب فله محمل في عين الأمر المؤلم فإنه لا يخاف إلا من الألم، ولا يرغب إلا في الالتذاذ خاصة، هذا يقتضيه الطبع الذي وجد عليه من يقبل الألم واللذة، وقد أعطى الله لعبيده في القرآن من الاحتجاج ما لا يحصى كثرة كل ذلك تعليم من الله، فلو كان الشقاء يستأصل الشقيّ ما بسط الله لعباده من الرحمة ما بسط ولا ذكر من الحجج ما ذكره وهو قوله: ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾ ولا يعظم الفضل الإلهي إلا في المسرفين والمجرمين، وأما في المحسنين ﴿فما على المحسنين من سبيل﴾ فإن الفضل الإلهي جاءهم ابتداءً وبه كانوا محسنين وما بقي الفضل الإلهي إلا في غير المحسنين، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

الباب الرابع وأربعمائة

في معرفة منازلة من شق على رعيته سعى في هلاك ملكه ومن رفق بهم بقي ملكاً كل سيد قتل عبداً من عبيده، فإنما قتل سيادة من سياداته إلا أنا فانظره

حكم الإضافة يبقيه ويبقينا ... وتلك حكمته سبحانه فينا
لولا العبيد لما كانت سيادة من ... ساد العباد ولا كانوا موالينا
قد قال في خلدي ما كان معتقدي ... عند النداء كما كنا يكونونا
ما يعدم الحق موجوداً لزلته ... وكيف يعدم من فيه يوالينا
بكونه كان خلاقاً وليس له ... في نفسه أثر ولا يبارينا

قال الله تعالى: ﴿الحمد لله ربّ العالمين﴾ لم يقل رب نفسه لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه، فهذه وصية إلّهية لعباده لما خلقهم على صورته وأعطى من أعطى منهم الإمامة الكبرى والدنيا وما بينهما وذلك قوله ﷺ: «كلكم راع ومسؤول عن رعيته». فأعلى الرعاء الإمامة الكبرى وأدناها إمامة الإنسان على جوارحه، وما بينهما ممن له الإمامة على أهله وولده وتلامذته ومماليكه فما من إنسان إلا وهو مخلوق على الصورة، ولهذا عمّت الإمامة جميع الأناسي، والحكم في الكل واحد من حيث ماهو إمام، والملك يتسع ويضيق كما قررنا، فالإمام مراقب أحوال مماليكه مع الأنفاس، وهذا هو الإمام الذي عرف قدر ما ولاه

Marfat.com

الله عليه وقدّمه، كل ذلك ليعلم أن الله رقيب عليه وهو الذي استخلفه، ثم نبهه على أمر لو عقل عن الله وذلك أن السيد إذا نقصه عين أو حال ممن ساد عليه فإنه قد نقص من سيادته بقدر ذلك وعزل بقدر ذلك، كمن أعتق شقصاً له في عبد فقد عتق من العبد ما عتق ولم يسر العتق في العبد كله إلا أن يعتق كله، كذلك الإمام إن غفل بلهوه وشأنه وشارك رعيته فيما هم عليه من فنون اللذات ونيل الشهوات ولم ينظر من أحوال ما هو مأمور بالنظر في أحواله من رعاياه فقد عزل نفسه بفعله ورمت به المرتبة، وبقي عليه السؤال من الله والوبال والخيبة وفقد الرياسة والسيادة، وحرمه الله خيرها وندم حيث لم ينفعه الندم، فإنه لو لم يسئل عن ذلك وترك وشأنه لكان بعض شيء إلا الحق فإنه لا ينقص عنه من ملكه شيء، فإن عبده إذا مات من الحياة الدنيا انتقل إليه في البرزخ فبقي حكم السيادة لله عليه، بخلاف الإنسان إذا مات عبده ماتت سيادته التي كان بها سيداً عليه، فهذا الفرق بيننا وبين الحق في الربوبية، قال ﷺ: «إن الله يحب الرفق في الأمر كله»، فالعالم من علم الرفق والرفيق والمرفوق، فما من إنسان إلا وهو رفيق مرفوق به، فهو مملوك من وجه مالك من وجه ﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليتخذ بعضكم بعضاً سخرياً﴾ والله ﴿رفيع الدرجات﴾ فنحن له كما هو لنا، وكما نحن لنا فنحن لنا وله وهو لنا لا له.

وليس في هذا الباب أشكل من إضافة العلم الإلهي إلى المعلومات، ولا القدرة إلى المقدورات، ولا الإرادة إلى المرادات حدوث التعلق، أعني تعلق كل صفة بمتعلقها من حيث العالم والقادر والمريد، فإن المعلومات والمقدورات والمرادات لا نهاية لها فهو يحيط علماً بأنها لا تتناهى. ولما كان الأمر على ما أشرنا إليه وعثر على ذلك من عثر عليه من المتكلمين قال بالاسترسال وعبر آخر بحدوث التعلق، وقال الله في هذا المقام حتى نعلم وأنكر بعض العلماء من القدماء تعلق العلم الإلهي بالتفصيل لعدم التناهي في ذلك وكونه غير داخل في الوجود، فيعلم التفصيل من حيث ماهو تفصيل في أمر ما لا في كذا على التعيين، واضطربت العقول فيه لاضطراب أفكارها، ورفع الإشكال في هذه المسألة عندنا أهل الكشف والوجود والإلقاء الإلهي أن العلم نسبة بين العالم والمعلومات، وما ثمّ إلا ذات الحق وهي عين وجوده وليس لوجوده مفتتح ولا منتهى فيكون له طرف والمعلومات متعلق وجوده، فتعلق ما لا يتناهى وجوداً بما لا يتناهى معلوماً ومقدوراً ومراداً فتفطن فإنه أمر دقيق، فإن الحق عين وجوده لا يتصف بالدخول في الوجود فيتناهى فإنه كل ما دخل في الوجود فهو متناه، والباريء هو عين الوجود ما هو داخل في الوجود لأنّ وجوده

Marfat.com

عين ماهيته، وما سوى الحق فمنه ما دخل في الوجود فتناهى بدخوله في الوجود، ومنه ما لم يدخل في الوجود فلا يتصف بالتناهي فتحقق ما نبهتك عليه فإنك ما تجده في غير هذا الموضع، وعلى هذا تأخذ المقدورات والمرادات، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الخامس وأربعمائة

في معرفة منازلة من جعل قلبه بيتي وأخلاه من غيري ما يدري أحد ما أعطيه فلا تشبهوه بالبيت المعمور فإنه بيت ملائكتي لا بيتي ولهذا لم أسكن فيه خليلي إبراهيم عليه السلام

القلب بيتك لا بيتي فاعمره ... فلست أذكر شيئاً أنت تذكره
ذكري لنفسي حجاب إنّ ذكرك لي ... هو السرور الذي بالحسن تغمره
إذا ذكرتك كان الذكر منك لنا ... فلست تذكر أمراً نحن نذكره
إن الخليل بظهر البيت مسكنه ... من أجل قلب له ما زلت تعمره
فلو يحل به لكنت تابعه ... وليس يسكنه فلست تعمره
فالحمد لله حمداً لا يفوه به ... إلا الذي هو في قلبي يصوّره

اعلم أيدنا الله وإياك بروح القدس أن رحمة الله وسعت كل شيء، ومن رحمته أن خلق الله بها قلب عبده وجعله أوسع من رحمته، فإن قلب المؤمن وسع الحق كما ورد أن الله يقول: «ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن» فرحمته مع اتساعها يستحيل أن تتعلق به أو تسعه، فإنها وإن كانت منه فلا تعود عليه، وما أحال تعالى عليه أن يسعه قلب عبده وذلك أنه الذي يفقه عن الله ويعقل عنه وقد أمره بالعلم به وما أمره إلا بما يمكن أن يقوم به، فيكون الحق معلوماً معقولاً للعبد في قلبه ولا يتصف بأنه تعالى مرحوم، فهذا يدلك على أن الرحمة لا تناله من خلقه كما يناله التقوى أعني تقوى القلوب كما قال: ﴿ولكن يناله التقوى منكم﴾ وقال: ﴿فإنها﴾ يعني شعائر الله وهي ضرب من العلم به ﴿من تقوى القلوب﴾ وقال تعالى: ﴿أم لهم قلوب يعقلون بها﴾ وما جعلها عقلاً إلا ليعقل عنه العبد بها ما يخاطبه به، ومما خاطبه به أن رحمته وسعت كل شيء وأن قلبه وسعه جلّ جلاله، إلا أن ثم سرّاً أشير إليه ولا أبسطه وهو أن الله أخبر أنه أحب أن يعرف ومقتضى الحب معروف، فخلق الخلق وتعرّف إليهم فعرفوه، فما عرفوه بنظرهم وإنما عرفوه بتعريفه إياهم، فهذي إشارة ﴿لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾.

Marfat.com

والمحبة علم ذوق وما فينا إلاّ محب ومن أحب عرف مقتضى الحب، فمن هنا تعرف عموم الرحمة. والحديث الآخر غضب الله الكائن من إغضاب العبد، ثم قال عنه التراجمة عليهم السلام في باب الشفاعة إذا سألوهم الخلق فيها يوم القيامة فيقولون: إن الله قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله فزال الغضب بالانتقام، وأخبر ﷺ: «أن الصدقة تطفىء غضب الربّ» وهو الموفق عبده لما تصدق به فهو المطفىء غضبه بما وفق إليه عبده وهذا كثير لكن هذا القدر عند عباد الله منه، فإنا لا نزيد عليه لأنا ما عرفناه إلا بتعريفه، وهذا من جملة تعريفه لا من نظر المخلوق، فلما اتخذ الله قلب عبده بيتاً لأنه جعله محل العلم به العرفانيّ لا النظريّ حماه وغار عليه أن يكون محلاً لغيره، والعبد جامع فلا بدّ أن يظهر الحق تعالى لهذا العبد في صور شتى أي في صورة كل شيء لأنه محل للعلم بكل شيء وليس محل العلم بالأشياء إلا القلب، والحق يغار على قلب عبده أن يكون فيه غير ربّه فأطلعه أنه صورة كل شيء وعين كل شيء فوسع كل شيء قلب العبد لأن كل شيء حق فما وسعه إلا الحق، فمن علم الحق من حقيته فقد علم كل شيء، وليس من علم شيئاً علم الحق، وعلى الحقيقة فما علم العبد ذلك الشيء الذي يزعم أنه علمه لأنه لو علمه علم أنه الحق فلما لم يعلم أنه الحق قلنا فيه أنه لم يعلمه، وإنما قال: قلب المؤمن لا غير المؤمن لكون المعرفة بالله لا تكون إلا بتعريفه لا بحكم النظر الفكريّ ولا يقبل تعريفه به تعالى إلا المؤمن، فإن غير المؤمن لا يقبل ذلك جملة واحدة فإنه الناظر على أحد ثلاثة أمور: إما أن يحيل ذلك الذي ورد به التعريف على الحق فينقسم هنا المحيلون على أقسام: فمنهم من يطعن في الرسل ويجعلهم تحت سلطان الخيال وهذه الطائفة من الأخسرين الذين أضلهم الله وأعماهم عن طريق الهدى بل في طريق الهدى لو علموا فهؤلاء قد جمعوا بين الجهل وبين المروق من الدين فلا حظ لهم في السعادة.

وقسم آخر منهم قالوا إن الرسل هم أعلم الناس بالله فتنزلوا في الخطاب على قدر إفهام الناس لا على ما هو الأمر فإنه محال، فهؤلاء كذبوا الله ورسوله فيما نسب الله إلى نفسه وإلى رسله بحسن عبارة، كما يقول الإنسان إذا أراد أن يتأدب مع شخص آخر إذا حدثه بحديث يرى السامع في نظره أنه ليس كما قال المخبر فلا يقول له كذبت وإنما يقول له يصدق سيدي، ولكن ما هو الأمر على هذا وإنما الأمر الذي ذكره سيدي على صورة كذا وكذا فهو يكذبه ويجهله بحسن عبارة، هكذا فعل هؤلاء المتأوّلين.

Marfat.com

وقسم آخر لا يقول بأنه نزل في العبارة إلى إفهام الناس وإنما يقول: ليس المراد بهذا الخطاب إلا كذا وكذا ما المراد منه ما تفهمه العامة، وهذا موجود في اللسان الذي جاء به هذا الرسول فهؤلاء أشبه حالاً ممن تقدم، إلا أنهم متحكمون في ذلك على الله بقولهم، هذا هو المفهوم من اللسان، وكذلك الذي يعتقده عامة ذلك اللسان هو أيضاً المفهوم من ذلك فما يمنع أن يكون المجموع، فأخطؤوا في الحكم على الله بما لم يحكم به على نفسه، فهؤلاء ما عبدوا إلا الإلّه الذي ربطت عليه عقولهم وقيدته وحصرته. وقسم آخر قال: نؤمن بهذا اللفظ كما جاء من غير أن نعقل له معنى حتى نكون في هذا الإيمان به في حكم من لم يسمع به ونبقى على ما أعطانا دليل العقل من إحالة مفهوم هذا الظاهر من هذا القول، فهذا القسم متحكم أيضاً بحسن عبارة وأنه رد على الله بحسن عبارة فإنهم جعلوا نفوسهم حكم نفوس لم تسمع ذلك الخطاب وقسم آخر قالوا: نؤمن بهذا اللفظ على حد علم الله فيه وعلم رسوله ﷺ فهؤلاء قد قالوا إن الله خاطبنا عبثاً لأنه خاطبنا بما لا نفهم والله يقول: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ وقد جاء بهذا فقد أبان كما قال الله لكن أبى هؤلاء أن يكون ذلك بياناً وهؤلاء كلهم مسلمون.

وأما الأمر الثالث فهم الذين كشف الله عن أعين بصائرهم غطاء الجهل فأشهدهم آيات أنفسهم وآيات الآفاق فتبين لهم أنه الحق لا غيره فآمنوا به بل علموه بكل وجه وفي كل صورة وأنه بكل شيء محيط، فلا يرى العارف شيئاً إلا فيه فهو ظرف إحاطة لكل شيء، وكيف لا يكون وقد نبه على ذلك باسمه الدهر فدخل فيه كل ما سوى الله، فمن رأى شيئاً فما رآه إلا فيه ولذلك قال الصديق: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله لأنه ما رآه حتى دخل فيه فبالضرورة يرى الحق قبل الشيء بعينه لأنه يرى صدور ذلك الشيء منه، فالحق بيت الموجودات كلها لأنه الوجود، وقلب العبد بيت الحق لأنه وسعه، ولكن قلب المؤمن لا غير:

فمن كان بيت الحق فالحق بيته ... فعين وجود الحق عين الكوائن

وما حاز المؤمن هذه السعة إلا بكونه على صورة العالم وعلى صورة الحق، وكل جزء من العالم ماهو على صورة الحق، فمن هنا وصفه الحق بالسعة، قال أبو يزيد البسطاميّ في سعة قلب العارف: لو أن العرش يعني ملك الله وما حواه من جزئيات العالم وأعيانه مائة ألف ألف مرّة لا يريد الحصر وإنما يريد ما لا يتناهى ولا يبلغه المدى فعبر عنه

Marfat.com

بما دخل في الوجود، ويدخل أبداً في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحسّ به وذلك لأن قلباً وسع القديم كيف يحس بالمحدث موجوداً وهذا من أبي يزيد توسع على قدر مجلسه لإفهام الحاضرين. وأما التحقيق في ذلك أن يقول إن العارف لما وسع الحق قلبه وسع قلبه كل شيء إذ لا يكون شيء إلا عن الحق فلا تتكوّن صورة شيء إلا في قلبه يعني في قلب ذلك العبد الذي وسع الحق:

فهـو الهيـولـى لكـل صـورة ... مـن صـورة صـورة وسـوره
وأنـت مـا بيـن ذا وهـذا ... أقـامـك الحـق فيـه سـوره

وينظر إلى قول أبي يزيد ما قال الجنيد أن المحدث إذا قرن بالقديم لم يبق له أثر، إلا أن قول الجنيد هنا أتمّ من قول أبي يزيد، فإن المحدث إذا قرنته بالقديم كان الأثر للقديم لا للمحدث، فتبين لك بهذه المقارنة ما هو الأمر عليه وهو ما قلناه فإنه لا يمكن أن يجهل الأثر، وإنما كان قبل هذه المقارنة ينسب إلى المحدث، فلما قرنه بالقديم رأى الأثر من القديم ورأى المحدث عين الأثر فقال ما قال، ولا نشك بعد أن تقرّر هذا أن الخليل إبراهيم عليه السلام بهذه المثابة هو والرسول صلوات الله عليهم قد وسع قلبه الحق فجعله تعالى مسنداً ظهره إلى البيت المعمور وما دخله لأنه لو دخله لوسع البيت المعمور الحق لأنه قد وسع من وسعه وهي إشارة لا حقيقة، فإن جسم إبراهيم عليه السلام محصور يجيرون بلا شك، فما نريد إلا الصورة التي هو عليها في البرزخ الذي انتقل إليه بالموت. وأما قوله: وأخلاه من غيري هو قوله عليه السلام فيمن يقرأ القرآن من شغله ذكري يعني القرآن يقرأه العبد عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ وهو القرآن وقال: ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ يعني أهل القرآن لأنه قال: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ فهو الجامع لكل شيء، فمن اعتقد غير أوجب عليه أن يخلي قلبه للحق والناس يتفاضلون في الدرجات، فإن الله قد فضل العالم بعضه على بعض، وأفضل المفاضلة فضل العلم بالله، ألا تراه قد أعطاه تعالى أعني للإنسان بمنزلة الاسم الآخر الذي لله وأعطى نفسه تعالى الاسم الأول في رتبة العلم به وجعل الملك محاطاً به بين الأول والآخر، فمن كان له علم بالمراتب علم ما للملك من الله وما له من الإنسان، ولهذا كان الملك وهو الروح الأمين يأتي بالوحي من الاسم الأول الذي لله إلى العبد الكامل الرسول النازل في منزل الاسم الإلهي الآخر وهو قوله تعالى: ﴿شهد الله﴾ فبدأ بنفسه في الشهادة بتوحيده، ثم ذكر

Marfat.com

الملائكة ثم ذكر بعد الملائكة أولي العلم وهم الأناسي فلله الأمر من قبل ومن بعد والملك ما بينهما وهكذا كان أمر الوجود فالأولية للحق ثم أوجد الملك ثم أوجد الإنسان وأعطاه الخلافة ولم يعطها الملك لأن الوسط له وكل وسط فهو محاط به فافهم، فصورة فضل الملك على الإنسان بما أتاه به من عند الله وليس ذلك بدليل قاطع على الفضيلية في العقل وفي اللسان، كما أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس لأن الناس في رتبة الانفعال عن حركة الأفلاك وقبول التكوين الذي في العناصر، فما ثم إلا وجوه خاصة وما ثم وجه محيط، فمن وجه يفضل ومن وجه يكون مفضولاً، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السادس وأربعمائة

في معرفة منازلة ما ظهر مني شيء لشيء ولا ينبغي أن يظهر

لو ظهرنا للشيء كان سوانا ... وسوانا ما ثم أين الظهور
أنت عين الوجود ما ثم غير ... ولهذا أنا الإله الغيور
لا تقل يا عبيد أنك أني ... أنا باق وأنت فان تبور
كل وقت فأنت خلق جديد ... ولهذا لك الفناء والنشور

يقول الحق: ما ثم شيء أظهر إليه لأني عين كل شيء، فما أظهر إلا لمن ليست له شيئية الوجود، فلا تراني إلا الممكنات في شيئية ثبوتها، فما ظهرت إليها لأنها لم تزل معدومة وأنا لم أزل موجوداً فوجودي عين ظهوري، ولا ينبغي أن يكون الأمر إلا هكذا. ولما كانت الأحكام فيما ظهر لأسمائي وفي نفس الأمر لأعيان الممكنات والوجود عيني لا غيري، وفصلت الأحكام الإمكانية الصور في العين الواحدة كما يقول أهل النظر في تفصيل الأنواع في الجنس وتفصيل الأشخاص في النوع كذلك تفصيل الصور الإمكانية في العين، وترى الأسماء أنا مسماها أعني الأسماء الحسنى فيجعل الأثر لها، وفي الحقيقة ما الأثر إلا لأعيان الممكنات ولهذا ينطلق على صور أسماء الممكنات، ومن أسماء الممكنات أسماء الله فلها نسبتان: نسبة إلى الله تعالى ونسبة إلى صور الممكنات، فالحق ليس بظاهر لأعيان صور الممكنات من حيث ما هي صور لها لا من حيث أنها ظهرت في عين الوجود الحق، والشيء إذا كان في الشيء بمثل هذه الكينونة من القرب لا يمكن أن يراه، فلا يمكن أن

Marfat.com

يظهر له كما نراه في الهواء ما منعنا من رؤيته إلا القرب المفرط، فلا يمكن أن نراه ولا يمكن أن يظهر لنا عادة، فلو تباعد عنا لرأيناه، ومن المحال بعد الصور عن العين التي توجد فيها لأنها لو فارقتها انعدمت كما هو الأمر في نفسه، فإن الصور في هذه العين تنعدم وهي ﴿في لبس من خلق جديد﴾ فالممكنات من حيث أن لها الأسماء الإلهية وهابة هذه الصور الظاهرة بعضها لبعض في عين الوجود، فما أظهرت هذه الأعيان الممكنات صورة إلا بالأسماء الإلّهية من قائل وقادر وخالق ورازق ومحيـي ومميت ومعز ومذلّ. وأما الغنى والعزة فهي للذات وهو الغني العزيز فغناها لها بكونها تعطى هذه الصور ولا تقبل العطاء لما تعطيه حقيقة ذاتها. وأما العزة لها فإن هذه الصور لا تعطيها ولا تؤثر فيها علماً بما تستفيده في حال وجودها بعضها من بعض، فإن الأعيان هي المعطية لهذه الصور تلك العلوم التي استفادتها بالأسماء الإلّهية، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿حتى نعلم﴾ وهو العالم بلا شك، فالحق عالم والأعيان عالمة ومستفيدة، والعلم إنما هو عين الصور واستفادتها من الأسماء الإلّهية التي أعطتها أعيان الممكنات العلوم.

ومن هنا تعلم حكم الكثرة والوحدة والمؤثر والمؤثر فيه والأثر ونسبة العالم من الله ونسبة تنوع الصور الظاهرة وما ظهر ومن ظهر وما بطن ومن بطن، وحقيقة الأول والآخر، والظاهر والباطن، وأنها نعوت لمن له الأسماء الحسنى، فتحقق ما ذكرناه في هذا الباب فإنه نافع جداً يحوي على أمر عظيم لا يقدر قدره إلا الله، فمن عرف هذا الباب عرف نفسه هل هو الصورة أو هو عين واهب الصورة؟ أو هو عين العين الثابتة الممكنة التي لها العدم من ذاتها؟ ومن عرف نفسه عرف ربّه ضرورة، فما يعرف الحق إلا الحق، فلا تقدم ولا تأخر لأن الممكن في حال عدمه ليس بمتأخر عن الأزل المنسوب إلى وجود الحق لأن الأزل كماهو واجب لوجود الحق هو واجب لعدم الممكن وثبوته وتعيينه عند الحق، ولولا ما هو متعين عند الحق مميز عن ممكن آخر لما خصصه بالخطاب في قول ﴿كن﴾ ومن عرف هذا الباب عرف من يقول: ﴿كن﴾ ولمن يقال: ﴿كن﴾ ومن يتكون عن قول ﴿كن﴾ ومن يقبل حكم الكاف والنون، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب السابع وأربعمائة

في معرفة منازلة في أسرع من الطرفة تختلس مني إن نظرت إلى غيري لا لضعفي ولكن لضعفك

التفات المصلي عين اختلاسه ... يلعب الدهر كيف شاء بناسه
وهو الدهر والمشيئة منه ... وأناس الزمان عين أناسه
كل شيء له لباس مسمى ... وقلوب الرجال عين لباسه
وأنا صورة له ثم يخفى ... بوجودي كالظبي عند كناسه
لحدود قامت بصورة كوني ... يتعالى عنها بأصل أساسه

دخلت على شيخنا أبي محمد عبد الله الشكاز با غرناطة من بلاد الأندلس وكان من أهل باغه وهو من أكبر من لقيته في طريق الله فقال لي: يا أخي الرجال أربعة وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ ﴿ورجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه﴾ ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً﴾ يريد على أرجلهم لا يركبون ﴿وعلى الأعراف رجال﴾ فأراد بالرجال الأربعة حصر المراتب لأنه ما ثم إلا رسول ونبي وولي ومؤمن، وما عدا هؤلاء الأربعة فلا اعتبار لهم من حيث أعيانهم لأن الشيء لا يعتبر إلا من حيث منزلته لا من حيث عينه الإنسانية، فالإنسانية واحدة العين في كل إنسان، وإنما يتفاضل الناس بالمنازل لا بالعين حتى في الصورة من جميل وأجمل وغير جميل، ولهذا ما جاء رضي الله عنه في ذكر الرجال بأكثر من أربعة، فما أراد بالأربعة إلا ما ذكرناه». وما أراد بالرجال في هذه الآيات الذكران خاصة وإنما أراد هذا الصنف الإنساني ذكراً كان أو أنثى، ولما قلت له في قوله: ﴿يأتوك رجالاً﴾ المراد به من أتى ماشياً على رجله قال رضي الله عنه: الرجل لا يكون محمولاً والراكب محمول فعلمت ما أراد فإنه قد علم أن رسول الله ﷺ ما أسرى به إلا محمولاً على البراق فسلمت إليه ما قال، وما أعلمته رضي الله عنه أن البقاء على الأصل هو المطلوب لله من الخلق ولهذا ذكره تعالى بقوله: ﴿وقد خلقتك

Marfat.com

من قبل ولم تك شيئاً﴾ يعني موجوداً يقول له: ينبغي لك أن تكون وأنت في وجودك من الحال معي كما كنت وأنت في حال عدمك من قبولك لأوامري وعدم اعتراضك بأمره بالوقوف عند حدوده ومراسمه، فيتكلم حيث رسم له أن يتكلم، ويتكلم بما أمره به أن يتكلم، فيكون سبحانه، هو المتكلم بذلك على لسان عبده، وكذلك في جميع حركاته وسكناته وأحواله الظاهرة والباطنة لا يقول في وجوده أنه موجود بل يرى نفسه على صورته في حال عدمه، هذا مراد الحق منه بالخطاب فهو محمول بالأصالة غير مستقل فإن المحدث لا يستقل بالوجود من غير المرجح فلا بد أن يكون محمولاً، ولهذا ما أسري برسولٍ قط إلا على براق، إذا كان إسراء جسمياً محسوساً، وإذا كان بالإسراء الخيالي الذي يعبر عنه بالرؤيا فقد يرى نفسه محمولاً على مركب وقد لا يرى نفسه محمولاً على مركب لكن يعلم أنه محمول في الصورة التي يرى نفسه فيها، إذ قد علمنا أن جسمه في فراشه وفي بيته نائم فاعلم ذلك.

وأما ما ذهب إليه الشيخ من الاستقلال وعدم الركوب فذلك هو الذي يحذر منه فإنه الاختلاس الذي ذكرنا، فإن العبد هنا اختلسته نفسه بالاستقلال وهو في نفسه غير مستقل فأخذه ذلك الاختلاس من يد الحق فتخيّل أنه غير محمول فلم يعرف نفسه ومن لم يعرف نفسه جهل ربه، فكان الغير هنا الذي نظر إليه عين نفسه وذلك لضعفه في العلم بالأصل الذي هو عليه، ولا شك أن مرتبة الرسل عليهم السلام قد جمعت جميع مراتب الرجال من نبوّة وولاية وإيمان وهم المحمولون، فمن ورثهم وكان محمولاً يعلم ذلك من نفسه، وإنما قلنا يعلم ذلك من نفسه لأن الأمر في نفسه أنه محمول ولا بد، ولكن من لا علم له بذلك يتخيل أنه غير محمول فلهذا قيدنا. وفي قوله: ﴿يأتوك رجالاً﴾ فالذي دعاهم قال لهم قولوا: ﴿وإياك نستعين﴾ وقال لهم: ﴿استعينوا بالله واصبروا﴾ وكل معنى محمول بلا شك فإنه غير مستقل بالأمر إذ لو استقل به لما طلب العون والمعين.

وقوله رضي الله عنه: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ فهم في تجارتهم في ذكر الله لأن التجارة على الحد المرسوم الإلهي من ذكر الله كما قالت عائشة عن رسول الله ﷺ أنه كان يذكر الله على كل أحيانه مع كونه يمازح العجوز والصغير، وكل ذلك عند العالم ذكر الله لأنه ما من شيء إلا وهو يذكر بالله، فمن رأى شيئاً لا يذكر الله عند رؤيته فما رآه فإن الله ما وضعه في الوجود إلا مذكراً فلم تلههم التجارة ولا البيع عن ذكر الله. وكذلك: ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ في أخذ الميثاق الذي أخذ الله عليهم فوفوا به

Marfat.com

وقيل فيهم صدقوا لأنهم غالبوا فيه وفي الوفاء به الدعاوى المركوزة في النفوس التي أخرجت بعض من أخذ عليه الميثاق أو أكثره عن الوفاء بما عاهد عليه الله، فليس الرجل إلا من صدق مع الله في الوفاء بما أخذ عليه كما صدق النبيّ فيما أخذ الله عليه في ميثاق النبيين والمرسلين.

وقوله: ﴿وعلى الأعراف رجال﴾ وهم أعظم الرجال في المنزلة فإن لهم الاستشراف على المنازل، فما أشار بالأعراف هنا هذا الشيخ إلى من تساوت حسناته وسيئاته وإنما أخذه من حيث منزلة الاستشراف، فإن الأعراف هنا هو السور الذي بين الجنة والنار باطنه فيه الرحمة وهو الذي يلي الجنة، وظاهره من قبله العذاب وهو الذي يلي النار فجعل النار من قبله أي يقابله والمقابل ضد فلم يجعل السور محلاً للعذاب وجعله محلاً للرحمة بقوله: ﴿باطنه فيه الرحمة﴾ فانظر ما أعجب تنبيه الله عباده بحقائق الأمور على ما هي عليه ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ فأهل الأعراف في محل رحمة الله وذلك هو الذي أطعمهم في الجنة وإن كانوا بعد ما دخلوها، ثم ذكر أن لهم المعرفة بمقام الخلق فقال: ﴿يعرفون كلاً بسيماهم﴾ أي بما جعلنا فيهم من العلامة. وقوله: ﴿ونادوا أصحاب الجنة لم يدخلوها﴾ فإنهم في مقام الكشف للأشياء، فلو دخلوا الجنة استتر عنهم بدخولهم فيها وسترتهم لأنها جنة عن كشف ما هم له كاشفون. وقولهم: ﴿سلام عليكم﴾ تحية إقبال عليهم لمعرفتهم بهم وتحية لانصرافهم عنهم إلى جناتهم يقول الله: ﴿استعينوا بالله واصبروا﴾ ويقول: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك» ومعلوم أن الاستعانة شرك في العمل فإن كان العمل له فأين العبد؟ وإن كان للعبد فقد أشرك نفسه فاختلسه هذا القدر من توحيد الأفعال، فمن علم أن العبد محل لظهور العمل فلا بدّ منه ولا بدّ من القبول إن قيل إنه تعالى أوجد العبد والعمل، فلو لم يكن العبد قابلاً لإيجاد القادر إياه لما وجد دليلنا المحال، فلا بدّ من قبول الممكن، فلا بدّ من الاشتراك في الإيجاد إن كان في إيجاد العبد فلا بد منه، وإن كان في إيجاد العمل التكليفي فلا بد من العبد، فعلى كل حال لا بد منك ومنه إلا أنك منعوت بالضعف فقال تعالى: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف﴾ لكون الممكن لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الترجيح على كل حال ﴿ثم جعل من بعد ضعف قوّة﴾ للتكليف إلا أنه لا يستقل فأمر بطلب المعونة، فلولا أن للمكلف نسبة وأثراً، في العمل ما صح التكليف ولا صح طلب المعونة من ذي القوّة المتين، فإن شئت سميت أنت ذلك القدر من الاشتراك كسباً، وإن شئت سميته خلقاً بعد أن عرفت المعنى.

Marfat.com

وأما أهل الله أرباب الكشف فكما قلنا أن ذلك كله أحكام أعيان الممكنات في العين الوجودية الظاهرة في الصور عن آثار الأسماء الإلّهية الحسنى من حيث أن الممكن متصف بها فهي للحق أسماء وهي للممكن نعوت وصفات في حال عدم الممكن، لأن وجود عينه من حيث الحقيقة قد بيّنا أنه لا يتصوّر، فما استفاد الممكن إلا ظهور أحكامه بوجود الصور التي تتبعها أسماء الممكنات، فكما أن أسماء الله الحسنى للممكن على طريق النعتية كذلك الأسماء الكونية التي تنطلق على الصور الكائنة في عين الوجود هي أسماء للعين الوجودية قال تعالى: ﴿قل سموهم﴾ في معرض الدلالة فإذا سموهم قالوا: هذا حجر، هذا شجر، هذا كوكب، والكل اسم عبد، ثم أبان الحق تعالى ذلك كله ليعقل عنه فقال تعالى: ﴿إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾ فقلتم عن العين من أجل الصورة أنها حجر أو شجر أو كوكب أو أي اسم كان من المعبودين الذين ما لهم اسم الله، فما قال أحد من خلق الله أنا الله إلا الله المرقوم في القراطيس إذا نطق يقول: أنا الله فتعلم عند ذلك ما معنى قوله: أنا الله وأنه حق أعني هذا القول في ذلك اللسان المصطلح عليه، ويقوله أيضاً العبد الكامل الذي الحق لسانه وسمعه وبصره وقواه وجوارحه كأني يزيد وأمثاله، وما عدا هذين فلا يقول أنا الله وإنما يقول الاسم الخاص الذي له في ذلك اللسان له فاعلم ذلك، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثامن وأربعمائة

في معرفة منازلة يوم السبت حلّ عنك مئزر الجد الذي شددته فقد فرغ العالم مني وفرغت منه

فرغنا من الأجناس فالخلق خلقنا ... وقد بقيت أشخاصها تتكوّن
مدى الجود والأنفاس فالأمر دائم ... إلى غير غايات له تتعين
هو الغاية القصوى فليست نهاية ... سواه فهذا حقه المتيقن
أنا البدء لا عود تراه لأنه ... هو الواسع المختار بي فتبينوا
أنا أوّل بالقصد فالكون كوننا ... وآخر موجود أنا يتيقن
كلوا طيبات الرزق من كل جانب ... فمن أجلنا بانوا ولله كونوا

قال الله تعالى: ﴿إذ يعدون في السبت﴾ فنقول من باب الإشارة لا من باب التفسير:

Marfat.com

يتجاوزون بالراحة حدها، وبها سمي السبت سبتاً فإن الله خلق العالم في ستة أيام بدأ به يوم الأحد وفرغ منه يوم الجمعة ﴿وما مسه من لغوب﴾ ولم يعي بخلقه الخلق، فلما كان يوم السابع من الأسبوع وفرغ من العالم كان يشبه المستريح الذي مسه اللغوب فاستلقى ووضع إحدى رجليه على الأخرى وقال: أنا الملك، كذا ورد في الأخبار النبوية، فسمي يوم السبت يريد يوم الراحة وهو يوم الأبد، ففيه تتكوّن أشخاص كل نوع دنيا وآخرة فما هي إلا سبعة أيام لكل يوم وال ولاه الله فانتهى الأمر إلى يوم السبت فولى الله أمره والياً له الإمساك والثبوت، فله إمساك الصور في الهبا، فنهار هذا اليوم الذي هو يوم الأبد لأهل الجنان وليله لأهل النار فلا مساء لنهاره ولا صبح لليله، وما رأينا أحداً اعتبر هذا اليوم إلا السبتيّ محمد بن هرون الرشيد أمير المؤمنين، وذلك أني كنت يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة بمكة قد دخلت الطواف فرأيت رجلاً حسن الهيئة له هيبة ووقار وهو يطوف بالبيت أمامي فصرفت نظري إليه عسى أعرفه فما عرفته في المجاورين ولم أرَ عليه علامة قادم من سفر لما كان عليه من الغضاضة والنضارة، فرأيته يمرّ بين الرجلين المتلاصقين في الطواف ويعبّر بينهما ولا يفصل بينهما ولا يشعران به، فجعلت أتتبع بأقدامي مواضع وطآت أقدامه ما يرفع قدماً إلا وضعت قدمي في موضع قدمه وذهني إليه وبصري معه لئلا يفوتني، فكنت أمر بالرجلين المتلاصقين اللذين يمرّ هو بينهما فأجوزهما في أثره كما يجوزهما ولا أفصل بينهما، فتعجبت من ذلك، فلما أكمل أسبوعه وأراد الخروج مسكته وسلمت عليه فردّ عليّ السلام وتبسّم لي وأنا لا أصرف نظري عنه مخافة أن يفوتني فإني ما شككت فيه أنه روح تجسد وعلمت أن البصر يقيده فقلت له: إني أعلم أنك روح متجسدة فقال لي: صدقت، فقلت له: فمن أنت يرحمك الله؟ فقال: أنا السبتيّ بن هرون الرشيد، فقلت له: أريد أن أسألك عن حال كنت عليه في أيام حياتك في الدنيا، قال: قل، قلت: بلغني أنك ما سميت السبتي إلا لكونك كنت تحترف كل سبت بقدر ما تأكله في بقية الأسبوع، فقال: الذي بلغك صحيح كذلك كان الأمر، فقلت له: فلم خصصت يوم السبت دون غيره من الأيام أيام الأسبوع؟ فقال: نعم ما سألت ثم قال لي: بلغني أن الله ابتدأ خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه يوم الجمعة فلما كان يوم السبت استلقى ووضع إحدى رجليه على الأخرى وقال: أنا الملك، هذا بلغني في الأخبار وأنا في الحياة الدنيا، فقلت: والله لأعملن على هذا فتفرّغت لعبادة الله من يوم الأحد، إلى آخر الستة الأيام لا أشتغل بشيء إلا بعبادته تعالى وأقول: إنه تعالى كما اعتنى بنا في هذه الأيام الستة فأني أتفرّغ إلى عبادته فيها ولا أمزجها بشغل نفسي

Marfat.com

فإذا كان يوم السبت أتفرّغ لنفسي وأتحصل لها ما يقوتها في باقي الأسبوع كما روينا من إلقاء إحدى رجليه على الأخرى. وقوله: أنا الملك الحديث، وفتح الله في في ذلك فقلت له: من كان قطب الزمان في وقتك؟ فقال: أنا ولا فخر، قلت له: كذلك وقع لي التعريف، قال: صدقك من عرّفك؟ ثم قال لي عن أمرك يريد المفارقة قلت له: ذلك إليك فسلم عليّ سلام محب وانصرف. وكان بعض أصحابي والجماعة في انتظاري لكونهم كانوا يشتغلون علي بإحياء علوم الدين للغزالي رحمه الله، فلما فرغت من ركعتي الطواف وجئت إليهم قال لي بعضهم وهو نبيل بن حزر بن خزرون السبتي: رأيناك تكلم رجلاً غريباً حسن الوجه وسيماً لا نعرفه في المجاورين من كان ومتى جاء؟ فسكت ولم أخبرهم بشيء من شأنه إلا بعض إخواني فإني أخبرتهم بقصته فتعجبوا لذلك.

واعلم أيدنا الله وإياك أن الفراغ الإلّهي إنما كان من الأجناس في الستة الأيام، وأما أشخاص الأنواع فلا فبقي الفراغ بالأزمان لا عن الأشخاص وهو قوله تعالى: ﴿سنفرغ لكم﴾ من الشؤون الذي قال فيها: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ في هذه الدنيا فيفرغ لنا منا وتنتقل الشؤون إلى البرزخ والدار الآخرة، فلا يزال الأمر من فراغ إلى فراغ إلى أن يصل أوان عموم الرحمة التي وسعت كل شيء، فلا يقع بعد ذلك فراغ يحده حال ولا يميزه بل وجود مستمرّ ووجود ثابت مستقرّ إلى غير نهاية في الدارين: دار الجنة ودار النار، هكذا هو الأمر في نفسه، ففراغه من العالم هذا القدر الذي ذكرته آنفاً، وفراغ العالم منه من حيث الدلالة عليه لا غير، وأما الوهب من العلم به فلا يزال دائماً لكن من غير طلب في الآخرة مقالي لكن التجلي دائم والقبول دائم، فالعلم متجدد الظهور لي على الدوام، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب التاسع وأربعمائة

في معرفة منازلة أسمائي حجاب عليك فإن رفعتها وصلت إليّ

حجابك أسماء لنا ونعوت وأعياننا أكواننا فنقول
لنا الدولة الغراء ليست لغيرنا ولا غير إلا ربنا فنصول
على من فحقق ما تقول وإنما يقول بهذا ظالم وجهول
فكل مقال فيه غيره مقيد فكل مقالاتي إليه تؤول
فلا ترفع الأستار بيني وبينه فذاك وجود ما إليه سبيل

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أن الإنسان وإن كان في نفس الأمر عبداً ويجد في نفسه ما هو عليه من العجز والضعف والافتقار إلى أدنى الأشياء والتألم من قرصة البرغوث ويعرف هذا كله من نفسه ذوقاً ومع هذا فإنه يظهر بالرياسة والتقدم، وكلما تمكن من التأثير في غيره فإنه يؤثر ويجد في نفسه طلب ذلك كله وحبه، وذلك لأنه خلقه الله على صورته وله تعالى العزة والكبرياء والعظمة، فسرت هذه الأحكام في العبد فإنها أحكام تتبع الصورة التي خلق عليها الإنسان وتستلزمها، فرجال الله هم الذين لم يصرفهم خلقهم على الصورة عن الفقر والذلة والعبودية، وإذا وجدوا هذا الأمر الذي اقتضاه خلقهم على الصورة ولا بدّ ظهروا به في المواطن التي عين الحق لهم أن يظهروا بذلك فيها، كما فعل الحق الذي له هذه الصفة ذاتية نفسية فلا يظهر بها إلا في مواطن مخصوصة ويظهر بالنزول والتحبب إلى عباده حتى كأنه فقير إليهم في ذلك ويقيم نفسه مقامهم، وإذا كان الحق بهذه الصفة أن ينزل إليكم في صوركم فأنتم أحق بهذا النعت أن لا تبرحوا فيه ولا تنظروا إلى ما تجدونه فيكم من قوّة الصورة فذلك له لا لكم، كما أن لكم ما نزل إليكم فيه لا له، ولولا أن أسماءه الحسنى قامت بكم واتصفتم بها ما تمكن لكم ذلك، فردّوا أسماءه على صورته لا عليكم وخذوا منه ما نزل لكم فيه فإن ذلك نعتكم وأسماؤكم، فإنكم إذا فعلتم ذلك وصلتم إليه أي كنتم من أهل القربة، فإن المقرّب لا يبقى له القرب والجلوس مع الحق والتحدّث معه

Marfat.com

تعالى إسماً إلهياً من الأسماء المؤثرة في العالم ولا من أسماء التنزيه، وإنما يدخل عليه بالذلة لشهود عزه وبالفقر لشهود غناه وبالتهيؤ لنفوذ قدرته فينخلع من كل الأسماء التي تعطيه أحكام الصورة التي خلق عليها، هذا مذهب سادات أهل الطريق حتى قالوا في ذلك أن صادقين لا يصطحبان إنما يصطحب صادق وصديق، ولهذا ما بعث رسول الله ﷺ بعثاً قط ولو كان اثنين إلا قدم أحدهما وجعل الآخر تبعاً. وإن لم يكن كذلك فسد الأمر والنظام وهو متبع في ذلك حكم الأصل، فإنه لو كان مع الله إله آخر لفسد الأمر والنظام كما قال: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾.

فمن أراد صحبة الحق فليصحبه بحقيقته وجبلته من ذله وافتقاره، ومن أراد صحبة الخلق فليصحبه بما شرع له ربه لا بنفسه ولا بصورة ربّه، بل كما قلنا بما شرع له فيعطي كل ذي حق حقه فيكون عبداً في صورة حق أو حقاً في صورة عبد كيفما كان حرج عليه.

ولما كان هذا كله مذهب أهل الله كشف الله لنا من زيادة العلم التي امتنّ الله بها علينا مع مشاركتنا إياهم فيما ذهبوا إليه أن الله أطلعنا على أن جميع ما يتسمى به العبد ويحق له النعت به وإطلاق الاسم عليه لا فرق بينه وبين ما ينعت به من الأسماء الإلّهية، فالكل أسماء إلّهية فهو في كل ما يظهر به مما ذكروه مما تقتضيه العبودية عندهم والصورة ليس له وإنما ذلك لله وما له من نفسه سوى عينه وعينه ماا ستفادت صفة الوجود إلا منه تعالى فما سماه باسم إلا وهو له تعالى، فإذا خرج العبد من جميع أسمائه كلها التي تقتضيها جبلته والصورة التي خلق عليها حتى لا يبقى منه سوى عينه بلا صفة ولا اسم سوى عينه حينئذ يكون عند الله من المقرّبين، ووافقنا على هذا القول شيخنا أبو يزيد البسطامي حيث قال: وأنا الآن لا صفة لي يعني لما أقامه الله في هذا المقام، فصفات العبد كلها معارة من عند الله فهي لله حقيقة ونعتنا بها فقبلناها أدباً على علم أنها له لا لنا إذ من حقيقتنا عدم الاعتراض، إنما هو التسليم الذاتي المحض لا التسليم الذي هو صفة له فإن ذلك له، فإذا كان العبد ما عنده من ذاته سوى عينه بالضرورة يكون الحق جميع صفاته ويقول له: أنت عبدي حقاً، فما سمع سامع في نفس الأمر إلا بالحق ولا أبصر إلا به ولا علم إلا به ولا حيي ولا قدر ولا تحرّك ولا سكن ولا أراد ولا قهر ولا أعطى ولا منع ولا ظهر عليه وعنه أمر ما هو عينه إلا وهو الحق لا العبد، فما للعبد سوى عينه سواء علم ذلك أو جهله، وما فاز العلماء إلا بعلمهم بهذا القدر في حق كل ما سوى الله لا أنهم صاروا كذا بعد أن لم يكونوا، فلمثل هذا فليعمل العاملون أو في مثل هذا فليتنافس المتنافسون، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب العاشر وأربعمائة

في معرفة منازلة
﴿وإن إلى ربك المنتهى﴾ فاعتزوا بي تسعدوا

وليس وراء الله مرمى لرام ... هذا هو الحق الذي لا يرام
هذا مقام الحق لا تعتدوا ... يحرم في هذا المقام المقام
إذا وصلتم إخوتي فارجعوا ... هذا وجود ما لديه انصرام
رجوعكم منه إليكم فما ... ثم سوى عين الورى والإمام
كونوا أعزاء به تسعدوا ... فليس عز غير عز الإمام
لما رأوا أعراضهم لم تقم ... ولم يروا أحوالهم في دوام
قالوا أنام الحق عن كوننا ... لذاك سموا في اللسان الأنام

قال الله تعالى: ﴿يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا﴾ وقال تعالى: ﴿وإن إلى ربك المنتهى﴾ وقال ﷺ: «ليس وراء الله مرمى» وقال ﴿والله من ورائهم محيط﴾ وما ثم إلا الله ونحن وهو من ورائنا محيط، فليس وراء الله مرمى إلا العدم المحض الذي ما فيه حق ولا خلق فهو تعالى المحيط بنا، فالوراء منا له من كل وجهة فلا نراه أبداً من هذه الآية لأن وجوهنا إنما هي مقبلة مصروفة إلى نقطة المحيط لأنا منها خرجنا، فلم يتمكن لنا أن نستقبل بوجوهنا إلا هي فهي قبلتنا وهي إمامنا، ومن كان هذا نعته والأمر كرى فبالضرورة يكون الوراء منا للمحيط بنا، فإذا نظرنا إلى قوله: ﴿وإن إلى ربك المنتهى﴾ فإنما يريد بظهورنا لا بوجوهنا فإن مشينا إلى المحيط القهقري فهو من ورائنا محيط لأنه الوجود، فلو لم يكن من ورائنا لكان انتهاؤنا إلى العدم، ولو وقعنا في العدم ما ظهر لنا عين، فمن المحال وقوعنا في العدم لأن الله وهو الوجود المحض من ورائنا محيط بنا إليه ننتهي فيحول وجوده وإحاطته بيننا وبين العدم، فليس بين قوله: ﴿وإن إلى ربك المنتهى﴾ وبين قوله: ﴿والله من ورائهم محيط﴾ تقابل لا يمكن معه الجمع بينهما بل الجمع بينهما معلوم، فالعالم بين النقطة والمحيط فالنقطة الأوّل والمحيط الآخر، فالحفظ الإلهي يصحبنا حينما كنا فيصرفنا منه

Marfat.com

إليه، والأمر دائرة ما لها طرف يشهد فيوقف عنده، فلهذا قيل للمحمدي الذي له مثل هذا الكشف لا مقام لكم لكون الأمر دورياً فارجعوا فلا يزال العالم سابحاً في فلك الوجود دائماً إلى غير نهاية إذ لا نهاية هناك، ولا يزال وجه العالم أبداً إلى الاسم الأوّل الذي أوجده ناظراً، ولا يزال ظهر العالم إلى الاسم الآخر المحيط الذي ينتهي إليه بورائه ناظراً، فإن العالم يرى من خلفه كما يرى من أمامه، ولكن يختلف إدراكه باختلاف الحال عليه، ولولا الاختلاف ما تميز عين ولا كان فرقان:

إن الوجود رحى عليّ تدور	وأنا لها قطب فلست أبور
لو زلت ما دارت ولا كانت رحى	فالفقر نعت الكون فهو فقير
يا جاهلاً بالأمر وهو مشاهد	اعلم بأنك بالأمور خبير
الجمع يحجب فرقه عن عينه	وهو الدليل عليه فهو بصير

قيل لطائفة: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فقيل لهم: حق لأن الله من ورائهم محيط وهو النور، فلو لم يضرب بالسور بينه وبينهم لوجدوا النور الذي التمسوه حين قيل لهم التمسوا نوراً فإن الحياة الدنيا محل اكتساب الأنوار بالتكاليف وأنها دار عمل مشروع فهي دار ارتقاء واكتساب، فلما أقبلوا على الآخرة صارت الدنيا وراءهم فقيل لهم: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً أي لا يكون لأحد نور إلا من حياته الدنيا، فحال سور المنع بينهم وبين الحياة الدنيا، فالسور دائرة بين النقطة والمحيط فأهل الجنان بين السور والمحيط، فالنور من ورائهم وباطن السور إليهم الذي فيه الرحمة، ووجه السور الذي هو ظاهره ينظر إلى نقطة المحيط، وأهل النار بين النقطة وظاهر السور، وظاهره من قبله العذاب إلى الأجل المسمى فهو حائل بين الدارين لا بين الصفتين، فإن السور في نفسه رحمة وعينه عين الفصل بين الدارين لأن العذاب من قبله ما هو فيه والرحمة فيه، فلو كان فيه العذاب لتسرمد العذاب على أهل النار كما تتسرمد الرحمة على أهل الجنة، فالسور لا يرتفع وكونه رحمة لا يرتفع ولا بدّ أن يظهر ما في الباطن على الظاهر فلا بدّ من شمول الرحمة لمن هو قبل ظاهر السور ولهذا قيل لهم: التمسوا نوراً فلو قيل لهم: التمسوا رحمة لوجدوها من حينهم بوجود السور، فإذا أراد أهل الجنة أن يتنعموا برؤية أهل النار يصعدون على ذلك السور فينغمسون في الرحمة فيطلعون على أهل النار فيجدون من لذة النجاة منها ما لا يجدونه من نعيم الجنة لأن الأمن الوارد على الخائف أعظم لذة عنده من الأمن المستصحب

Marfat.com

له، وينظرن أهل النار إليهم بعد شمول الرحمة فيجدون من اللذة بما هم في النار ويحمدون الله تعالى حيث لم يكونوا في الجنة وذلك لما يقتضيه مزاجهم فى تلك الحالة، فلو دخلوا الجنة بذلك المزاج لأدركهم الألم ولتضرروا، فإذا عقلت فليس النعيم إلا الملايم وليس العذاب إلا غير الملايم كان ما كان، فكن حيث كنت إذا لم يصبك إلا ما يلايمك فأنت في نعيم، وإذا لم يصبك إلا ما يلايم مزاجك فأنت في عذاب حببت المواطن إلى أهلها وأهل النار الذين هم أهلها هي موطنهم ومنها خلقوا وإليها رجعوا، وأهل الجنة الذين هم أهلها منها خلقوا وإليها رجعوا، فلذة الموطن ذاتية لأهل الموطن غير أنهم محجوبون بأمر عارض عرض لهم من أعمالهم من إفراط وتفريط فتغير عليهم الحال فحجبهم عن لذة الموطن ما قام بهم من الأمراض التي أدخلوها على أنفسهم حتى أنهم لو لم يعملواما يوجب لهم وجود الآلام والأسقام وحشروا من قبورهم على مزاج وطنهم وخيروا بين الجنة والنار لاختاروا النار كما يختار السمك الماء، ويفر من الهواء الذي به حياة أهل البرّ فيموت أهل البرّ بما يحيا به أهل الماء، ويموت أهل الماء بما يحيا به أهل البرّ، فاعلم ذلك وأنت فلا يصح لك البقاء مع الحق على الدوام فإنه لا بدّ أن يقال: ردوهم إلى قصورهم ولم يقل ردّوهم إلى بيوتهم ولا إلى أزواجهم، فماجاء بلفظ القصور إلا للمعنى المعقول منه، فإذا ردّوهم إلى قصورهم وأشرفوا على ملكهم فمن المحال أن يظهروا فيه عبيداً وإنما يظهرون فيه ملوكاً فيعظمهم أهلهم وتقوم العزة عليهم في نفوسهم فتقول لهم الحقيقة: ليكن عزكم الذي اقتضاه لكم الموطن بالله لا بنفوسكم فيعتزون في ملكهم بعز الله فتكون العزة لله بالأصالة ولرسوله وللمؤمنين خلعة آلهية لا بالأصالة، فيسعدون بهذا العلم عند الله ويجدونه في التجلي المستأنف، مع أن العلماء بالله لا يزالون في تجل دائم لما علموا أن الحق عين كل صورة، ومع هذا فلهم التجلي العام في الكثيب فإن ذلك يعطي ذوقاً آخر خلاف هذا الذوق الذي يجدونه دائماً، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. إنتهى السفر الثامن والعشرون بانتهاء الباب العاشر وأربعمائة.

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأحد عشر وأربعمائة

في معرفة منازلة فيسبق عليه الكتاب فيدخل النار من حضرة كاد لا يدخل النار

فخافوا الكتاب ولا تخافوني، فإني وإياكم على السواء في مثل هذا. قال تعالى: ﴿ما يبدل القول لديّ وما أنا بظلام للعبيد﴾ لحكم الكتاب على الجميع وعليهم ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب﴾ فما أصعب الأمر عند العاقل الخبير:

إن خوف الكتاب شرّ ذنوبي ... إذ له الحكم في الوجود وفينا
وقرأناه في الكتاب صريحاً ... ورأيناه فيه حقاً يقينا
لا يخاف الإله إلا لكون ... حادث منه حل بالعالمينا

قال رسول الله ﷺ في الصحيح عنه: «**إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس حتى ما يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار**» وكذلك قال في أهل الجنة ثم قال: «**وإنما الأعمال بالخواتيم**» وهي على حكم السوابق، فلا يقضي الله قضاء إلا بما سبق الكتاب به أن يقضى فعلمه في الأشياء عين قوله في تكوينه فما يبدل القول لديه، فلا حكم لخالق ولا مخلوق إلا بما سبق به الكتاب الإلهيّ ولذا قال: ﴿وما أنا بظلام للعبيد﴾ فما نجري عليهم إلا ما سبق به العلم، ولا أحكم فيهم إلا بما سبق به، فهذا موقف السواء الذي يوقف فيه العبد:

إذا كان علم الحق في الحق يحكم ... ففي خلقه أحرى فمن يتحكم
وليس بمختار إذا كان هكذا ... فكل إلى سبق الكتاب مسلم
فما الخوف إلا من كتاب تقدمت ... له سور فينا وآي وأنجم
فلو كان مختاراً أمناه إنه ... رؤوف رحيم بالعباد وأرحم
وأخبر في البشرى برحمته التي ... يكون لها السبق الكريم المقدم

Marfat.com

علـى غضـب أبـداه فعـل عبيـده يـزول بحمـد الله عنـه وعنهـم
وليـس كتـابـي غيـر ذاتـي فـافهمـوا فمـا مثلـه إيـاي فـافشـوا واكتمـوا

﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ فانظر أيها الوليّ الحميم إلى ما يحوك في صدرك لا تنظر إلى العوارض فإنك بحسب ما يحوك، فإن حاك الإيمان فأنت مؤمن، وإن حاك صرف ما وجب به الإيمان إلى ما لا يقتضيه ظاهر الحكم فأنت بحسب ذلك وبه يختم لك، ولا تنظر إلى ما يبدو للناس منك، ولا تعوّل إلا على ما يحوك في صدرك، فإنه لا يحوك في صدرك إلا ما سبق في الكتاب أن يختم به لك، إلا أن الناس في غفلة عما نبهتهم عليه ولا رادّ لأمره ولا معقب لحكمه، وذلك الذي يحوك في صدرك هو عين تجلي الأمر الذي لك وقسمك من الوجود الحق، قال بعضهم في باب الورع: ما رأيت شيئاً أسهل عليّ من الورع كل ما حاك له شيء في نفسي تركته، يؤيده قول النبيّ ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» وقال: «استفت قلبك وإن أفتاك المفتون».

واعلم أن الله تعالى ما كتب إلا ما علم ولا علم إلا ما شهد من صور المعلومات على ما هي عليه في أنفسها ما يتغير منها وما لا يتغير فيشهدها كلها في حال عدمها على تنوّعات تغييراتها إلى ما لا يتناهى، فلا يوجدها إلا كما هي عليه في نفسها، فمن هنا تعلم علم الله بالأشياء معدومها وموجودها وواجبها وممكنها ومحالها، فما ثمّ على ما قررّناه كتاب يسبق الاّ بإضافة الكتاب إلى ما يظهر به ذلك الشيء في الوجود على ما شهده الحق في حال عدمه، فهو سبق الكتاب على الحقيقة، والكتاب سبق وجود ذلك الشيء، ويعلم ذوق ذلك من علم الكوائن قبل تكوينها، فهي له مشهودة في حال عدمها ولا وجود لها، فمن كان له ذلك علم معنى سبق الكتاب فلا يخف سبق الكتاب عليه وإنما يخاف نفسه، فإنه ما سبق الكتاب عليه ولا العلم إلا بحسب ما كان هو عليه من الصورة التي ظهر في وجوده عليها، فلم نفسك لا تعترض على الكتاب، ومن هنا إن عقلت وصف الحق نفسه بأن له الحجة البالغة لو نوزع فإنه من المحال أن يتعلق العلم إلا بما هو المعلوم عليه في نفسه، فلو احتج أحد على الله بأن يقول له: علمك سبق فيّ بأن أكون على كذا فلم تؤاخذني يقول له الحق: هل علمتك إلا بما أنت عليه؟ فلو كنت على غير ذلك لعلمتك على ما تكون عليه ولذلك قال: حتى نعلم، فارجع إلى نفسك وانصف في كلامك، فإذا رجع العبد على نفسه ونظر في الأمر كما ذكرناه علم أنه محجوج وأن الحجة لله تعالى عليه، أما سمعته تعالى يقول: ﴿وما ظلمهم الله وما ظلمناهم﴾ وقال: ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ كما قال:

Marfat.com

﴿ولكن كانوا هم الظالمين﴾ يعني أنفسهم فإنهم ما ظهروا لنا حتى علمناهم وهم معدومون إلاَّ بما ظهروا به في الوجود من الأحوال والعلم تابع للمعلوم ما هو المعلوم تابع للعلم فافهمه، وهذه مسألة عظيمة دقيقة ما في علمي أن أحداً نبه عليها إلا إن كان وما وصل إلينا، وما من أحد إذا تحققها يمكن له إنكارها، وفرّق يا أخي بين كون الشيء موجوداً فيتقدم العلم وجوده وبين كونه على هذه الصور في حال عدمه الأزلي له فهو مساوق للعلم الإلّهي به ومتقدم عليه بالرتبة لأنه لذاته أعطاه العلم به، فاعلم ما ذكرناه فإنه ينفعك ويقويك في باب التسليم والتفويض للقضاء والقدر الذي قضاه حالك، ولو لم يكن في هذا الكتاب إلا هذه المسألة لكانت كافية لكل صاحب نظر سديد وعقل سليم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثاني عشر وأربعمائة

في معرفة منازلة من كان لي لم يذل ولم يخزى أبداً

إذا كانت أعمالي إلى خالقي تعزى ... فيوم التنادي لا تذل ولا تخزى
وآتي سليماً وهو كوني محققاً ... فنعطي على قدر الإله إذا نجزى
ونحظى بعلم واحد فيه كثرة ... وذلك علم يورث العالم العزا
ففي جنة الفردوس سوق معين ... به نشر الرحمن من صوره بزا
فمن شاء يجلى الحق في أيّ صورة ... يشاء ولا كون يؤزهم أزا
فطوبى لعبد قام لله وحده ... ولم يعرف اللات المسماة والعزى

قال الله عز وجل: ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون﴾ فابتدأ بلام العلة وختم بياء الإضافة، وقال فيما أوحى به إلى موسى عليه السلام: يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي، وقال لنا على لسان رسوله ﷺ: «الصوم لي» وقال: «الصوم لا مثل له فإنه له» وليس كمثله شيء، وأذل الأذلاء من كان له عز وجل لأن ذل الذليل على قدر من ذلّ تحت عزه ولا عز أعظم من عز الحق، فلا ذل أذل ممن هو لله، ومن ذلّ لله فإنه لا يذلّ لغير الله أصلاً إلا أن يذل لعين الصفة حيث يراها في مخلوق أو غير مخلوق، فيتخيل من لا علم له بما شهده هذا الذليل أنه ذل تحت سلطان هذا العزيز، وإنما ذل تحت سلطان العزة وهي لله، فما ذل إلا للحق المنعوت بهذا النعت، وينبغي له أن يذلّ، فلها يذل كل

Marfat.com

ذليل في العالم، فمنهم العالم بذلك في حال ذله ومنهم من لا يعلم، وأما الخزي فلا يخزى إذا كان لله، فإن الخزي لا يكون من الله لمن هو له وإنما يكون لمن هو لغير الله في شهوده، ولذلك قالت خديجة وورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ: كلا والله لا يخزيك الله أبداً لما ذكر له ابتداء نزول الناموس عليه، فالخزي الذي يقوم بالعبد إنما هو ما جناه على نفسه بجهله وتعديه رسوم سيده وحدوده، فالذل صفة شريفة إذا كانت الذلة لله، والخزي صفة ذميمة بكل وجه إذا قامت بالنفس، فجميع مذام الأخلاق وسفسافها صفات مخزية عند الله وفي العرف وجميع مكارم الأخلاق صفات شريفة في حق وخلق، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فإنه نقص منها المسمى سفسافاً فعين لها مصارف فعادت مكارم أخلاق، فهي إذا اتصف بها العبد في المواطن المعينة لها لم يلحقه خزي ولا كان ذا صفة مخزية، فما ثم إلا خلق كريم مهما زال حكم الغرض النفسيّ المخالف للأمر الإلّهي والحد الزماني النبويّ. وأما الكائنون لله فهم على مراتب: منهم من هو لله بالله ومنهم من هو لله بنفسه، ومنهم من هو لله لا بالله ولا بنفسه لكن بغيره من حيث ما هو مجبور لذلك الغير، فمن هو لله بالله فلا يذل ولا يخزى فإن الله لا يوصف بالذلة كما قال الله لأبي يزيد في بعض منازلاته: تقرّب إليّ بما ليس لي الذلة والافتقار. ومن هو لله بنفسه فيذل ذل شرف لكنه لا يخزى. ومن كان لله لا بالله ولا بنفسه فهو بحيث يقبل الجبر فإن أجبر في الله فمنزلته منزلة من هو لله بالله في حق شخص وبنفسه في حق شخص، وإن أجبر في أمر نفسي وهو بنفسه في تلك الحالة لا لله فهو في الخزي الدائم والذل اللازم، وانحصرت أقسام هذه المنازلة، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثالث عشر وأربعمائة

في معرفة منازلة من سألني فما خرج من قضائي ومن لم يسألني فما خرج من قضائي

كــل شــيء بقضــاء وقــدر ... والــذي ليــس بشــيء بقضــا
فــالــذي يفهــم مــا أســرده ... حــاز علــم الســرّ فيــه ومضــى
واحــداً فــي عصــره منفــردا ... قــد أنــار القلــب منــه فــأضــا
فــإذا عــاينــت مــن نــوره ... إنمــا عــاينــت بــرقــاً ومضــا
مــا رأينــا لمقــام نــالــه ... فــي وجــود الكــون منــه عــوضــا

Marfat.com

والحق ما علم إلا ما هو المعلوم عليه في حال عدمه الذي إذا ظهر في الوجود كان بتلك الحال، فما طرأ على المعلوم شيء لم يتصف به في حال عدمه فما للعلم فيه أثر، وما قلنا بالقدر أنه توقيت إلا لأنه من المقدار ﴿وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ ﴿وكل شيء خلقناه بقدر﴾ فاعلم ذلك، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الرابع عشر وأربعمائة

في معرفة منازلة ما ترى إلا بحجاب

من رأى الحق جهاراً علنا ... إنما أبصره خلف حجاب
وهو لا يعرفه وهو به ... إن هذا لهو الأمر العجاب
كل راء لا يرى غير الذي ... هو فيه من نعيم وعذاب
صورة الرائي تجلت عنده ... وهي عين الرائي بل عين الحجاب

ورد في الصحيح تجلي الحق في الصورة وتحوّله فيها وهو مرادنا بالحجاب ثبت عقلاً وشرعاً وكشفاً، والكشف يعطي ما يعطي الشرع سواء، وأن الحق لا يقبل التغيير، فأما بالعقل فالأدلة في ذلك معروفة ليس هذا الكتاب موضعها فإنه مبني على الشرع وعلى ما يعطيه الكشف والشهود، فإن العقول تقصر عن إدراك الأمر على ما يشهد به الشرع في حقه. وأما الشرع فقوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ فلو تغير في ذاته لم يصدق هذا الحكم وهو صدق فاستحال أن يتغير في ذاته والحق يقول: إن الله قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده، وقال: «كنت سمعه وبصره» فالصور التي تقع عليها الأبصار والصور التي تدركها العقول والصور التي تمثلها القوّة المتخيلة كلها حجب يرى الحق من ورائها وينسب ما يكون من هذه الصور من الأعمال إلى الله تعالى كما قال: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ فلم يزل الحق غيباً فيما ظهر من الصور في الوجود، وأعيان الممكنات في شيئية ثبوتها على تنوّعات أحوالها مشهودة للجن غيباً أيضاً، وأعيان هذه الصور الظاهرة في الوجود الذي هو عين الحق أحكام أعيان الممكنات من حيث ما هي عليه في ثبوتها من الأحوال والتنوّع والتغيير والتبديل تظهر في هذه الصور المشهودة في عين الوجود الحق، وما تغير الحق عما هو عليه في نفسه، كما أن الهباء ماتغير عن كونه هباء مع قبوله لجميع الصور فهي معان في جوهره، والمعاني المنسوبة إلى تلك الصور والأعراض والصفات من باب قيام المعنى بالمعنى فلا

Marfat.com

تزال الحجب مسدلة وهي أعيان هذه الصور فلا يرى إلا من وراء حجاب كما لا يكلم إلا من وراء حجاب، فإذا رآه الرائي كفاحاً فما يراه إلا حتى يكون الحق بصره فيكون هو الرائي نفسه ببصره في صورة عبده فأعطته الصورة المكافحة إذ كانت الحاملة للبصر ولجميع القوى فتشهده في الصورة عيناً من الاسم الظاهر إذ هو بصرك وكفاحاً وتشهده من الاسم الباطن علماً إذ هو بصر آلتك التي أدركت بها ما أدركت، وإنما قلنا كفاحاً لما ورد في الخبر النبوي الذي خرجه الترمذيّ وغيره في سياق هذه اللفظة عينها.

ثم إن صاحب الرؤيا إذا رأى ربه تعالى كفاحاً في منامه في أي صورة يراه فيقول: رأيت ربي في صورة كذا وكذا ويصدق ويصدق مع قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ فنفى عنه المماثلة في قبوله التجلي في الصور كلها التي لا نهاية لها لنفسه، فإن كل من سواه تعالى ممن له التجلي في الصور لا يتجلى في شيء منها لنفسه، وإنما يتجلى فيها بمشيئة خالقه وتكوينه، فيقول للصورة التي يتجلى فيها من هذه صفته: كن فتكون الصورة فيظهر بها من له هذا القبول من المخلوقين كالأرواح والمتروحنين من الأناسي كقضيب البان وشبهه، يقول الله تعالى: ﴿في أيّ صورة ما شاء ركبك﴾ فسواه وعدله على مزاج يقبل كل صورة إذا شاء الحق، وجعل التركيب لله لا له، وفي نسبة الصور لله يقال في أي صورة شاء ظهر من غير جعل جاعل فلا يلتبس عليك الأمر في ذلك.

ولما لم يكن له تعالى ظهور إلى خلقه إلا في صورة وصور مختلفة في كل تجل لا تتكرر صورة فإنه سبحانه لا يتجلى في صورة مرتين ولا في صورة واحدة لشخصين، ولما كان الأمر كذلك لم ينضبط للعقل ولا للعين ما هو الأمر عليه، ولا يمكن للعقل تقييده بصورة ما من تلك الصور فإنه ينتقض له ذلك التقييد في التجلي الآخر بالصورة الأخرى وهو الله في ذلك كله لا يشك ولا يرتاب إلا إذا تجلى له في غير معتقده فإنه يتعوذ منه كما ورد في صحيح الأخبار، فيعلم أنّ ثم في نفس الأمر عيناً تقبل الظهور في هذه الصور المختلفة لا يعرف لها ماهية أصلاً ولا كيفية، وإذا حكم ولا بد بكيفية فيقول الكيفية ظهورها فيما شاء من الصور فتكون الصور مشاءة وكل مشاء معدوم بلا شك، فما ظهر لك إلا حادث في عين قديم، فما رأيت إلا حادثاً مثلك لأنك ما رأيت إلا صورة يقيدها نظرك ببصر هو الحق في عين هو الحق أعني في العين التي ظهرت في تلك الصورة، فهو مدرك عيناً في الآخرة والنوم وعلماً وشرعاً وغير مدرك علماً، ولا نشك إيماناً وكشفاً لا عقلاً إن بهويته

Marfat.com

أدرك المدرك جميع ما يدرك سواء أدرك جميع ما يدرك أو بعضه على أي حالة يكون استعداد المدرك اسم مفعول، فالبصر من المدرك اسم فاعل هوية الحق لا بدّ من ذلك، وهكذا جميع ما ينسب إلى هذه الآلات من القوى ما هي سوى هوية الحق إذ يستحق خلاف ذلك، فالآلات ومحلها أحكام أعيان الممكنات في عين الوجود الحق وهو لها كالروح للصورة التي لا يمسك بها ذلك النظام إلا هو، ولا تدرك تلك الصورة شيئاً إلا به حساً وخيالاً، والكل بحمد الله خيال في نفس الأمر لأنه لا ثبات لها دائماً على حال واحدة والناس نيام، وكل ما يراه النائم قد عرف ما يرى وفي أي حضرة يرى، فإذا ماتوا انتبهوا من هذا النوم في النوم، فما برحوا نائمين، فما برحوا في رؤيا، فما برحوا في أنفسهم من هذا التنوّع، وما برح ما يدركونه في أعينهم من التنوّع، فلم يزل الأمر كذلك، ولا يزال الأمر في الحياة الدنيا وفي الآخرة، هكذا كما أوردناه وذكرناه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الخامس عشر وأربعمائة

في معرفة منازلة من دعاني فقد أدّى حق عبوديته ومن أنصف نفسه فقد أنصفني

إذا ما دعوت الله من غير أمره ... فلست له عبداً وما أنصف العبد
وأصبحت عبداً للحظوظ وما لنا ... وفاء ولا عهد وقد ثبت العهد
ولولا قيام العبد في عهد ربه ... لما صح أوفوا بالعقود ولا وعد
وليس سوى التكليف قرباً مخصصاً ... يعينه أمر ويثبته عقد
وقامت حقوق الحق من كل جانب ... علينا ولولا القرب ما عرف البعد
فمن أنصف الأكوان أنصف ربه ... وكان له في ذات خالقه الخلد
وصحّ له مجد تليد وطارف ... وكان له بين الملائكة الحمد
ألا إنما العبد الذي لم يزل به ... يموت ويحيا والوقوف له حدّ
وما كلف الرحمن نفساً سوى الذي ... تقوم به فاجهد فقد ينفع الجهد
فمن قام بالرحمن كان له الجدّ ... ومن قام للرحمن كان له الجد
وخصص بالآيات في عين نفسه ... وآفاقه فاحمد بما حمد الحمد

قال الله تعالى: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ وقال: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي

Marfat.com

سيدخلون جهنم داخرين﴾ فوصفهم بأنهم لا يخرجون عن العبودية وأن الذلة حقيقتهم وهو قوله: ﴿داخرين﴾ فمن لم يرد أن يكون عبداً لي كما هو في نفس الأمر فإنه سيكون عبداً لطبيعته التي هي جهنم ويذل تحت سلطانها كما هو ليس هو في نفس الأمر فترك العلم واتصف بالجهل، فلو علم لكان عبداً لي وما دعا غيري كما هو في نفس الأمر عبد لي أحب أم كره وجهل أو علم، وإذا كان عبداً لي بدعائه إياي ولم يتكبر في نفسه أن يكون عبداً لي عند نفسه أعطيته التصريف في الطبيعة فكان سيداً لها وعليها، ومصرّفاً لها ومتصرّفاً فيها وكانت أمته، فانظر ما فاته من العز والسلطان من استكبر عن عبادتي ولم يدعني في السراء وكشف الضر تعبدته الأسباب فكان من الجاهلين.

ومما يؤيد أن الحق عين قوى العبد فالتصريف له لأن العبد لا تصرفه إلا قواه ولا يصرفه إلا الحق فقواه عين الحق دليلنا ما قالته الرسل سلام الله عليهم في ذلك، فأخبر محمد ﷺ عن الله أنه قال: «كنت سمعه وبصره ويده» يعني العبد إذا تقرّب إليه بالنوافل حتى يحبه وذكر قواه التي تصرفه، ونزل في القرآن تصديق هذا القول وهو قوله: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ والعمل ليس لجسم الإنسان بما هو جسم وإنما العمل فيه لقواه، وقد أخبر أن العمل الذي يظهر من الإنسان المضاف إليه أنه لله خلق فالحق قواه. وأما موسى فأخذ العالم في ماهية الحق لما دعا فرعون إلى الله ربّ العالمين فقال له فرعون: ﴿وما رب العالمين﴾ يسأله عن الماهية فقال له موسى عليه السلام: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾ يقول: إن استقر في قلوبكم ما يعطيه الدليل والنظر الصحيح من الدال، فأخذ موسى عليه السلام العالم في التعريف بماهية الحق والرسل عندنا أعلم الخلق بالله، فقال فرعون وقد علم أن الحق مع موسى فيما أجابه به إلا أنه وأهم الحاضرين واستخفهم لأن السؤال منه إنما وقع بما طابقه الحق وهو قوله: ﴿وما رب العالمين﴾ فما سأله إلا بذكر العالمين فطابق الجواب السؤال، فقال فرعون لقومه: ﴿ألا تستمعون﴾ أسأله عن الماهية فيجيبني بالأمور الإضافية فغالطهم وهو ما سأل إلا عن الربّ المضاف فقال له موسى: ﴿ربكم ورب آبائكم الأوّلين﴾ فخصص الإضافة لدعوى فرعون في قومه أنه ربهم الأعلى فقال فرعون: ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ أي قد ستر عنه عقله لأن العاقل لا يسأل عن ماهية شيء فيجيب بمثل هذا الجواب، فقال له موسى لقرينة حال اقتضاها المجلس ما قال إبراهيم عليه السلام لنمروذ: ﴿رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون﴾ ولو لم يقل هنا وما بينهما لجاز لأنه ليس بينهما شيء، وذلك لأن عين

Marfat.com

حال الشروق في ذلك الحيز هو عين استوائها هو عين غروبها، فكل حركة واحدة منها في حيز واحد شروق واستواء وغروب، فماثم ما ينبغي أن يقال ما بينهما لكنه قال: ﴿وما بينهما﴾ لغموضه على الحاضرين فإنهم لا يعرفون ما فصلناه في إجمال وما بينهما فجاء بالمشرق والمغرب المعروف في العرف ثم قال لهم: ﴿إن كنتم تعقلون﴾ فأحالهم على النظر العقلي، فما عرف الحق إلا بنا ولا وجد الخلق إلا به:

فمنـــه إلينـــا ومنـــا إليـــه فيثنـــي علينـــا ونثنـــي عليـــه

وكذا ذكر إبراهيم عليه السلام الذي ذكر الله عنه أنه آتاه الحجة على قومه: ﴿وجّهت وجهيَ للذي فطر السموات والأرض﴾ فما ذكره إلا بالعالم، فالعالم ظاهره خلق وباطنه حق، ومن حكم باطنه يتصرّف، وما يؤثر في باطنه التصرف إلا تصرف في ظاهر من باطن، فما تصرف في باطنه الذي هو الحق إلا الحق لا غير، فتصريفه حكم عليه بالتصريف، فالصورة الظاهرة مماثلة للصورة الباطنة حتى أنّ بعض المتكلمين ذهب في كتابة القرآن وفي تلاوته المحدثة أن لكل حرف يكتبه الكاتب من القرآن أو يتلوه التالي من القرآن في ذلك الحرف المنطوق به الحادث أو المكتوب حرف مثله هو قديم، واضطره إلى ذلك كون الحادث لا يستقل في وجوده فلا بد من استصحاب القديم له، وهذا مذهب رئيس من رؤساء المعتزلة، ثم إن هذا القديم إن لم يكن على صورة ما خرج عنه وظهر وهو الحادث وإلا فليس هو له ولذلك كان العالم على صورة الحق، وكان الإنسان الكامل على صورة العالم وصورة الحق وهو قوله: «إن الله خلق آدم على صورته» فليس في الإمكان أبدع ولا أكمل من هذا العالم إذ لو كان لكان في الإمكان ما هو أكمل من الله، فإنّ آدم وهو من العالم قد خلقه الله على صورته وأكمل من صورة الحق فلا يكون، وذلك أن ظهور العالم عن الحق ظهور ذاتي، فالحق مرآة للعالم ظهر فيها صور العالم فرأت الممكنات نفسها في مرآة الحق الوجود فتوقفتْ في الوجود عليه وتوقف في العلم به على العلم بها:

فلـــم يكـــن إلا بهـــا ولـــم تكـــن إلا بـــه
فمـــا لهـــا مـــن مشبـــه مـــا لـــه مـــن مشبـــه
يـــا غـــافـــلاً مـــن قـــولنـــا فكـــن بهـــا تكـــن بـــه

فإذا كان الأمر كما ذكرناه فمن أنصف نفسه وأعطاها حقها فإنما أنصف الحق وأعطاه حقه لأنه أفرد نفسه بما يستحقه وأفرد ربه بما يستحقه، ومن تميز عن شيء فما هو عينه ولا

Marfat.com

مثله فيما تتميز به عنه لكنه مثله في كونه تميز فافهم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. واجعل بالك في كل منظوم في أول كل باب من أبواب هذا الكتاب فإنه يتضمن من علوم ذلك الباب على قدر ما أردت أن أنبه فيه عليها تجد في النظم ما ليس في الكلام في ذلك الباب، فتزيد علماً بما هو عليه ما ذكرته في النظم وعلى الله قصد السبيل.

الباب السادس عشر وأربعمائة

في معرفة منازلة عين القلب

عين القلوب من الوجود الناظر ... وعليه سادات الطريق تناظر
فانظره في تقليبها متقلبا ... ومقلباً فهو الوجود الحاضر
ماثم إلا ما يعاين وقته ... والماضي والآتي حديث سائر
الظرف في الأكوان ليس بكائن ... ماثم ثم وثم حكم قاصر
هذا هو الحق الذي ظهرت به ... أعياننا وأنا العليم الخابر
لو قلت ما هو لم تسعه عقولكم ... أين العقول وليس ثم مغاير

قال الله تعالى: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ الذي ذكرها به ﴿إلا بذكر الله﴾ الذي ذكرها به إذا كانت مؤمنة ﴿تطمئن القلوب﴾ في تقلبها فتسكن إلى التقليب مع الأنفاس وتعلم أن الثبات على حال واحدة لا يصح، فإن صورة الحق لا تعطي الضيق، ولا اتساع لها ولا مجال إلا في التقليب، ولا تقليب للحق إلا في أعيان الممكنات، وأعيان الممكنات لا نهاية لها، فالتقليب الإلٓهي فيها لا يتناهى فهو كل يوم في شأن حيث كان، فما زال الأمر مذ كان، ولا يزال من حال إلى حال، فالعين آلة وبالبصر يقع الإدراك للمبصر وهو الحق فبه تبصر، ومن أبصر أمراً فقد علمه، وإذا علمه فقد سكن إليه فأبصر التقليب دائماً فعلمه دائماً فاطمأن به وسكن إليه، فهو في كل نفس ينظر إلى آثار ربه في قلبه فيما يقيمه وفيما خرج عنه ما يعطيه فيه وينبهه به عليه، فلا يزال صاحب هذا المقام في كل نفس في علم جديد فهو في خلق جديد وغيره في لبس من هذا الخلق الجديد، أمر الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ أن يقول: ﴿ربّ زدني علماً﴾ أي ارفع عني اللبس الذي يحول بيني وبين العلم بالخلق الجديد فيفوتني خير كثير حصل في الوجود لا أعلمه، والحجاب ليس إلا التشابه والتماثل، ولولا ذلك لما التبس على أحد الخلق الجديد الذي لله في العالم في كل

Marfat.com

نفس بكل شأن، وما تنبه لهذا من الطوائف إلا القائلون بتجديد العالم في كل زمان فردوهم طائفة يقال لهم الحسبانية ولم يبلغوا فيه مبلغ الأمر على ما هو عليه لكنهم قاربوا كما قارب القائلون بأن العرض لا يبقى زمانين والعرض كل ما لا قيام له بنفسه، فهؤلاء أيضاً قاربوا الأمر وما بلغوا فيه ما هو الأمر عليه إلا القاضي أبو بكر بن الطيب فإنه قارب في بعض الأمر في موضعين: الموضع الواحد قوله في الأكوان إنها نسب لا عين لها، وقوله فيما نسب إلى الحق من صفة إن ذلك الحكم لمعنى ما هو عين المعنى الآخر الذي أعطى حكماً آخر فقارب أيضاً ولم يبلغ فيه ما هو الأمر عليه، وإنما تميز عمن يقول: أن سمع الحق وبصره عين علمه، والبلاقلاني لا يقول بهذا، ورأيت بفاس أبا عبد الله الكناني إمام أهل الكلام في زمانه بالمغرب وقد سألني يوماً في الصفات الإلهية فقلت له: ما هو الأمر عليه عندنا، ثم قلت له: فما قولك أنت فيها هل أنت مع المتكلمين أو تخالفهم في شيء مما ذهبوا إليه فيها؟ فقال لي: أنا أقول لك ما عندي، إما إثبات الزائد على الذات المسمى صفة فلا بد منه عندي وعند الجماعة، وأما كون ذلك الزائد عيناً واحدة لها أحكام مختلفة كثيرة أو لكل حكم معنى زائد أوجبه ما عندنا دليل على أحديته ولا على تكثره، هذا هو الإنصاف عندي في هذه المسألة، وكل من تكلف في غير هذا دليلاً فهو مدخول والزائد لا بدّ منه، غير أنا نقول: ما هو هو ولا هو غيره لما قد علمت يا سيدنا من مذهب أهل هذا الشأن في الغيرين فقلت له: يا عبد الله أقول لك ما قال رسول الله ﷺ لأبي بكر في تعبيره الرؤيا: «أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً» فقال لي: لا أتهمك والله فيما تعلمه ولا أقدر أرجع عن الحكم بالزائد إلا إن فتح الله لي بما فتح الله به عليك مع اختلاف أهل النظر فيما ذهبت إليه، هذا قوله فتعجبت من إنصافه ومن تصميمه مع شهادته على نفسه أنه مايتهمني وهو يخالفني فأشبه من أضله الله على علم ولكن لا يقدح ذلك عندي في إيمانه وإنما يقدح في عقله.

ثم نرجع ونقول: إن عين القلب ليس إلا ما هو الحق عليه في أحوال العالم ظاهراً وباطناً أولاً وآخراً وإن تعددت الأسماء فالمسمى واحد والمفهوم ليس بواحد، فيحار الداعي إذا دعا ما يدري ما يدعو هل يدعو المسمى أو يدعو المفهوم، فإن الأسماء الإلّهية ما تعددت جزافاً، فلا بد من نسب تعقل لتعددها، فالمفهوم من العالم ما هو عين المفهوم من الحي والحي هو العالم، فالحي عين العالم، والمفهوم من الحي ما هو المفهوم من العالم ولا القادر ولا العزيز ولا العالي ولا المتعالي ولا الكبير ولا المتكبر، ولم نقل هذا عنه ولا سميته بهذا بل هو سمى لي نفسه بهذا فهل هو اسم له أو لما هو المفهوم منه؟ وهل المفهوم

Marfat.com

منه أمر وجودي أو نسبة؟ ثم مشاركتنا إياه في هذه الأسماء الواردة الإلهية كلها من أعجب ما في الأمر، ثم رفع المماثلة بيني وبينه فتعلم قطعاً أن هذه الأسماء من حيث المفهوم لا ترفع المماثلة:

فقـد حـرنـا وقـد حـارا ... فمـن حـار فمـا جـارا
فقـد أبعـدنـي عينـا ... وقـد قـربنـي جـارا
وقـد عيـن لـي دارا ... وقـد عيننـي دارا
لـه يسكنهـا خلـدا ... فـدرنـا حيـث مـا دارا
فمـن أصغـى ومـن قـال ... ومـن كسـرى ومـن دارا
مليـك مـا لـه ملـك ... محـال حـار مـن حـارا
ونـادى مـن أتـى يبغـي ... فكـانـت داره النـارا

فما عينني داراً إلا له فبه أسمع وبه أبصر وقد وسعه قلبي وما عين لي داراً إلا هو فيه أقيم وبه أنزل، وهو يسترني بهويته عن خلقه، فهو الظاهر وأنا مخبوء في كنفه، فإذا سمع بالآلة أو بالنسب فبي يسمع وبي يبصر على ذلك كما أسمع به وأبصر به، فهو فيّ بالنوافل فإنه الأصل وأنا الزائد فإن ظاهر الصورة عيني وأنا فيه بالفرائض فبي يسمع وبي يبصر:

فمن كان سمع الحق فالحق سامع ... ومن كان عين الحق فالحق ناظر
فيختلف التقليب والعين واحد ... على مثل هذا كل عبد يثابر

الباب السابع عشر وأربعمائة

في معرفة منازلة من أجره على الله

إن الـرسـالـة أجـرهـا متحقـق ... لكـن علـى اللـه الـذي يستخـدمـه
هـذا هـو العـدل الـذي قـامـت بـه ... أعيـان كـون لـم يـزل يستلـزمـه
العفـو والصلـح الجميـل يـزيـل مـا ... قـد كـان مـن حـق علـى مـن يحكمـه
العفـو إن خصصتـه نـزر وعـف ... واللـه كنـز عنـد مـن يستفهمـه

قال الله تعالى: ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾ وقال عز وجل: ﴿ومن يخرج من

Marfat.com

بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾ وأخبر الله في كتابه عن كل رسول من رسله عليهم السلام أنه قال لأمته: ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ فيما بلغه عن الله إليهم ﴿إن أجري إلا على الله﴾ فإنه تعالى هو الذي استخدمه في التبليغ فاعلم أن الله تعالى له المنة على عباده بأن هداهم للإيمان برسله فوجب عليهم شكر الله وحلاوة الرسول، فيضمنها الله عنهم بأن جعل أجر رسوله ﷺ عليه وضم في ذلك الأجر ما يجب على المؤمنين من الحلاوة له لما هداهم الله به فأنزله ﷺ منزلة من تضاعف الأجر أجر التبليغ وأجر ما قام فيه الحق خليفة عن المؤمنين إذ هو الوكيل تعالى عن أمره إيانا بقوله: ﴿فاتخذه وكيلاً﴾ من غير أن ينقص مما هو للمؤمنين شيئاً من نعيمهم. فاعلم أن أجر التبليغ على قدر ما ناله في البلاغ من المشقة من المخالفين له من أمته التي بعث إليها ولما قاساه ولا يعلم قدر ذلك من كل رسول إلا الله ولا يتعين، وأما الذي يعطيه مما كان ينبغي أن يقابله به المؤمنون فهو على نوعين: النوع الواحد على قدر معرفتهم بمنزلته ممن أرسله إليهم وهو الله فإن الله تعالى فضل بعضهم على بعض. والنوع الثاني على قدر ما جاء به في رسالته مما هو بشرى لصاحب تلك الصفة التي من قامت به كان سعيداً عند الله، فما كان ينبغي أن يقابله به ذلك الرجل هو الذي يعطيه الحق، فإن ساوى حال المؤمن قدر الرسالة كان وإن قصر حاله عما تقتضيه تلك الرسالة من التعظيم، فإن الله بكرمه لا ينظر إلى جهل الجاهل بعظيم قدرها فيوفيه الحق تعالى على قدر علمه فيها، ولا نشك أن الله قد جعل المفاضلة في كل شيء والعالي والأعلى، وإن كان الإيمان بالله وبرسوله وبما جاء به عالياً فإنه يتفاضل بتفاضل شعبه وأبوابه، فإن الإيمان بضع وسبعون شعبة وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول لا إله إلا الله وما بينهما، فمن جمع شعب الإيمان كلها فجزاء الرسول من الله عن هذا الشخص الجامع على قدر منازلها عند الله العالم بالعالي منها وبالأعلى، فانظر ما للرسول عليه السلام من الأجور فأجر التبليغ أجر استحقاق، فإن رسول الله ﷺ يقول: «إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله».

وأما من سأل من الصحابة عن أمر ما من الأمور مما لم ينزل فيه قرآن فنزل فيه قرآن من أجل سؤاله فإن للرسول على ذلك السائل أجر استحقاق ينوب الله عنه فيه زائداً على الأجر الذي له من الله. وأما من ردّ رسالته من أمته التي بعث إليها فإن له عند الله أيضاً أجر المصيبة وللمصاب فيما يحب أجر، فأجره على الله أيضاً على عدد من رد ذلك من أمته بلغوا ما بلغوا، وله من أجر المصاب أجر مصائب العصاة فإنه نوع من أنواع الرزايا في حقه فإنه ما

Marfat.com

جاء بأمر يطلب العمل به إلا والذي يترك العمل به قد عصى فللرسول أجر المصيبة والرزية، وهذا كله على الله الوفاء به لكل رسول.

النوع الثاني: ممن أجره على الله وهو المهاجر يموت قبل وصوله إلى المنزل الذي هاجر إليه فإن أجره على الله على قدر الباعث الذي بعثه على الهجرة والناس في ذلك متفاضلون، ثم إن الله ينوب عن رسوله فيما يعطيه من الأجر فإنه خرج مهاجراً إلى الله ورسوله، ثم إن له أجر الفوت بالموت الذي أدركه وذلك من الله فإنه الذي رزأه وحال بينه وبين الوصول إلى مهاجره فالدية عليه، فإن كان هذا الذي يموت عالماً عاقلاً فأعظم من لقاء الله ورؤيته فما يكون وقد حصل له ذلك بالموت فهو أفضل في حقه من أنه يعيش حتى يصل فإنه لا يدري ما دام في الحياة الدنيا ما يتقلب عليه من الأحوال فإنه في محل خطر سريع التبديل، وصح عن رسول الله ﷺ في هذا الباب ما خرّجه البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لامرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوّجها فهجرته إلى ما هاجر إليه**» ثم يضاف إلى هذه الأجور قدر كرم المعطي وغناه، وهذا يدخل تحت قوله ﷺ: «**إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**» يعني من المجزيين وتحت قوله: ﴿وزيادة﴾ من قوله: ﴿الذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ وهذه الزيادة ما عينها الحق لأحد وأكد هذا الأجر على غيره ممن له أجر على الله بالوقوع وهو الوجوب، فإن الأجر يقتضيه الكرم من غير وجوب وقد يقتضيه الوجوب، والذي يقتضيه الوجوب أعلى، كما أن الفرائض أعلى وأحب إلى الله من النوافل، صح في الخبر أن الله تعالى يقول: ﴿ما نقرب إلى أحد بأحبّ إليّ مما افترضته عليه﴾ فجعله أحب إليه، ثم قال: ﴿ولا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره﴾. فهذا نتيجة النوافل فما ظنك بنتيجة الفرائض وهي أن يكون العبد سمع الحق وبصره، وقد بينا صورة ذلك فيماتقدم فيريد الحق بإرادة العبد، وهذا المقام ذكرته العرب في حق محمد ﷺ وفي النوافل يريد العبد بإرادة الحق ويظهر معنى ما ذهبنا إليه في اتصاف الحق بنعوت المخلوق، وفي الوجه الآخر اتصاف العبد بصفات الحق وهذا في الشرع موجود.

النوع الثالث: ممن أجره على الله وهو من عفا عمن أساء إليه وأصلح يعني حال من أساء إليه بالإحسان فأصلح منه ما كان أوجب الإساءة إليه منه فما أراد هنا بأصلح إلا هذا،

Marfat.com

ولا يحصل في هذا المقام إلا من له همة عالية، فإن الله قد أباح له أن يجازي المسيء بإساءته على وزنها فأنف على نفسه أن يكون محلاً للاتصاف بما سماه الحق سيئة:

نفس الكريم كريمة في كل ما تجري به الأهواء والأقدار
والله يحكم في النفوس بقدرها وهو الذي من حكمه يختار
فيجيء ذو اللب المجوّز عقله غير الذي حكمت به فيحار

يقول الله تعالى في هذا المقام: ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ يعني قوله وأصلح السيئة ﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم ﴿وما يلقاها﴾ يعني هذه الصفة ﴿إلا الذين صبروا﴾ حبسوا أنفسهم عن أن يجازوا المسيء بإساءته أساءة ولو علم الناس قدر ما نبهنا عليه في هذه المسألة ما جازى أحد من إساء إليه بإساءة، فما كنت ترى في العالم إلا عفوّاً مصلحاً لكن الحجب على أعين البصائر كثيفة وليست سوى الأغراض واستعجال التشفي والمؤاخذة، ولو نظر هذا الناظر لما أساء هو على الله في ردّ ما كلفه به وركوبه الخطر في ذلك وإمهال الحق له وتجاوزه عنه في هذه الدار حتى يكون هو الذي يكشف نفسه حتى تقام عليه الحدود ويرمي نفسه في المهالك كما قال الصاحب: لقد ستر الله عليه لو ستر على نفسه في المعترف بالزنا وأن الملائكة الكتاب لا يكتبون على العبد من أفعاله السيئة إلا ما تكلم بها وهو قوله: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ وهو الكاتب وإن كانوا يعلمون ما تفعلون ما قال يكتبون، ثم أنه من كرم الله أن الكشف أعطى وقد ورد به خبر أن العبد إذا عمل السيئة قال الملك لصاحبه الذي أمره الحق أن يستأذنه في كتاب السيئة: أأكتب؟ فيقول له: لا تكتب وانظره إلى ست ساعات من وقت عمله السيئة فإن تاب أو استغفر فلا تكتبها، وإن مرّت عليه ست ساعات ولم يستغفر فاكتبها سيئة واحدة ولا تكتبها إلا إذا تلفظ بها بأن يقول: فعلت كذا، أو تكون السيئة في القول فتكتب بعد مضي هذا القدر من الزمان، وأيّ مؤمن تمضي عليه ست ساعات لا يستغفر الله فيها فلهذا النوع أجر على الله من وجهين: أجر العفو وأجر العفو من الله كثير فإنه من الأضداد، وأجر الإصلاح وهو الإحسان إليه المزيل لما قام به من الموجب للإساءة إليه ﴿والله يحب المحسنين﴾ ولو لم يكن في إحسانه المعبر عنه بالإصلاح إلا حصول حب الله إياه الذي لا يعدله شيء لكان عظيماً، فيكون أجر من هذا صفته على الله أجر محب لمحبوب وكفى بما تعطيه منزلة الحب، فما يقدر أحد أن يقدر أجر ما يعطيه المحب لمحبوبه، فهذا قد أومأنا إلى من له أجر على الله بأوجز عبارة طلباً للاختصار، فإن المقام عظيم والمنازلة كبيرة، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الثامن عشر وأربعمائة

في معرفة منازلة من لم يفهم لا يوصل إليه شيء

مـــن يفهـــم الأمـــر فـــذاك الـــذي خـــاطبـــه الـــرحمـــن مـــن كـــل عيـــن
وهـــو الـــذي دار عليـــه الـــورى وهـــو الـــذي فـــي حكمـــه كـــل أيـــن
إن إيـــاســـاً خـــص مـــن بـــاقـــل لمـــا حـــوتـــه حكمـــة القبضتيـــن
قـــد أوضـــح اللـــه لنـــا حكمـــه فـــي كـــل مـــا فـــي الكـــون مـــن فـــرقتيـــن
والضـــدّ لا يعـــرفـــه ضـــده والحـــق معلـــوم لنـــا دون ميـــن
قـــد ثبـــت المثـــل لـــه وانتفـــى عنـــي ذاك المثـــل مـــن بعـــد بيـــن

قال الله تعالى: ﴿وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه﴾ اعلم أن الكلام على قسمين: كلام في موادّ تسمى حروفاً وهو على قسمين: إما مرقومة أعني الحروف وتسمى كتاباً، أو متلفظاً بها وتسمى قولاً وكلاماً. والنوع الثاني كلام ليس في مواد، فذاك الكلام الذي لا يكون في مواد يعلم ولا يقال فيه يفهم فيتعلق به العلم من السامع الذي لا يسمع بآلة بل يسمع بحق مجرد عن الآلة، كما إذا كان الكلام في غير مادة فلا يسمع إلا بما يناسبه، والذي في المادّة يتعلق به الفهم وهو تعلق خاص في العلم، فإذا علم السامع اللفظة من اللافظ بها أو يرى الكتابة فإن علم مراد المتكلم في تلك الكلمة مع تضمنها في الاصطلاح معاني كثيرة خلاف مراد المتكلم بها فذلك الفهم وإن لم يعلم مراد المتكلم من تلك الكلمة على التفصيل واحتمل عنده فيها وجوه كثيرة مما تدل عليه تلك الكلمة ولا يعلم على التعيين مراد المتكلم من تلك الوجوه ولا هل أرادها كلها أو أراد وجهاً واحداً أو ما كان، فمع هذا العلم بمدلول تلك الكلمة لا يقال فيه أنه أعطى الفهم فيها وإنما أعطى العلم بمدلولاتها كلها لعلمه بالاصطلاح، لأن المتكلم بها عند السامع الغالب عليه أمران: الواحد القصور عن معرفة مدلولات تلك الكلمة في اللسان، والأمر الآخر أنه وإن عرف جميع مدلولاتها فإنه لا يتكلم بها إلا لمعنى تقتضيه قرينة الحال، فالذي يفهم مراده بها فذلك الذي أوتي الفهم فيها ومن لم يعلم ذلك فما فهم، فكان المتكلم ما أوصل إليه شيئاً في كلامه ذلك.

Marfat.com

وأما كلام الله إذا نزل بلسان قوم فاختلف أهل ذلك اللسان في الفهم عن الله ما أراده بتلك الكلمة أو الكلمات مع اختلاف مدلولاتها فكل واحد منهم وإن اختلفوا فقد فهم عن الله ما أراده فإنه عالم بجميع الوجوه تعالى، وما من وجه إلا وهو مقصود لله تعالى بالنسبة إلى هذا الشخص المعين ما لم يخرج من اللسان فإن خرج من اللسان فلا فهم ولا علم، وكذلك أصحاب الأخذ بالإشارات فإنّ إدراكهم لذلك في باب الإشارات في كلام الله تعالى خاصة فهم فيه لأنه مقصود لله تعالى في حق هذا المشار إليه بذلك الكلام وكلام المخلوق ما له هذه المنزلة، فمن أوتي الفهم عن الله من كل وجه فقد أوتي الحكمة وفصل الخطاب وهو تفصيل الوجوه والمرادات في تلك الكلمة، ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً فكثرة لما فيها من الوجوه، فمن كان قلبه في كنّ أو كان عليه قفل أو كان أعمى البصيرة أو كان صادياً أو كان على قلبه ران فإن الله قد حال بينه وبين الفهم عن الله تعالى وإن تأوّله، ولهذا يتخذ آيات الله هزؤاً ودينه لهواً ولعباً لعدم فهمه عن الله ما خاطب به عباده فلهذا قال: من لم يفهم لم يوصل إليه شيء، فأما الران فهو صدأ وطخا، وليس إلا ما تجلى في مرآة القلب من صور ما لم يدعو الله إلى رؤيتها وجلاؤها من ذلك بالذكر والتلاوة.

وأما الكن فهو كالمقصورات في الخيام فهو في بيت الطبيعة مشغول بأمه ما عنده خبر بأبيه الذي هو روح الله فلا يزال في ظلمة الكن وهي حجاب الطبيعة فهو في حجابين كنّ وظلمة فهو يسمع ولا يفهم كما قال الله فيهم: ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾ أي لا يفهمون، وأما أن يكون في أذنيه وقراً وصمم فإن كان وقر فهو ثقل الأسباب الدنياوية التي تصرفه عن الآخرة، وإن كان طخاً فهو قساوته قلبه أن يؤثر فيه قبول ما يخطر له حديث النفس من النظر والإصغاء إلى هذا الداعي الذي هو الشارع وهو قوله تعالى: ﴿والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ حتى لا يسمعوا دعاء فلا يرجعون ولا يعقلون لأنه بلسانهم خاطبهم ﴿صم بكم عمي فهم لا يرجعون﴾ ﴿صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾ فأصمهم الله وأعمى أبصارهم وختم على ألسنتهم فما تلفظوا بما دعاهم إليه أن يتلفظوا به.

وأما القفل فهو لأهل الاعتذار يوم القيامة يقولون: نحن ما قفلنا على قلوبنا وإنما وجدناها مقفلاً عليها، وهذا من الجدال الذي قال الله عنهم فيه: ﴿ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون﴾ ولم نعرف من أقفلها فرمنا الخروج فخفنا من فك الختم والطبع فبقينا ننتظر الذي أقفل عليها عسى يكون هو الذي يتولى فتحها فلم يكن بأيدينا في ذلك شيء

Marfat.com

وكان منهم عمر بن الخطاب أعني من أهل الأقفال يقول الله تعالى: ﴿أم على قلوب أقفالها﴾ فلما تولى الله فتحه أسلم فشد الله به الإسلام وعضده رضي الله عنه وأرضاه، فهذا قد ذكرنا سبب عدم الفهم عن الله تعالى موجزاً على قدر الوقت، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب التاسع عشر وأربعمائة

في معرفة منازلة الصكوك وهي المناشير والتوقيعات الإلّهية

إن التواقيع برهان يدل على ... ثبوت ملك الذي في الحكم يعطيها
بها قد استخلف الرحمن والدنا ... فهي الدليل على إثبات معطيها
والحكم يكشفها في كل نازلة ... وعندنا حالة فيها تغطيها
إن النفوس لتدري ما نطقت به ... وليس يمنعها إلا تعاطيها

اعلم أن الله تعالى لما شاء أن يجعل في أرضه خلفاء على من يعمرها من الإنس والجان وجميع الحيوانات وقدمهم ورشحهم للإمامة دون غيرهم من جنسهم جعل بينه وبينهم سفيراً وهو الروح الأمين، وسخر لهم ما في السموات من ملك وكوكب سابح في فلك وما في الأرض وما بينهما من الخلق جميعاً منه، وأباح لهم جميع ما في الأرض أن يتصرّفوا فيه وأيد هؤلاء الخلفاء بالآيات البينات ليعلم المرسلون إليهم أن هؤلاء خلفاء الله عليهم، ومكنهم من الحكم في رعيتهم بالأسماء الإلهية على وجه يسمى التعلق، وشرع لهم في نفوسهم شرائع، وحدّ لهم حدوداً، ورسم لهم مراسم يقفون عندها يختصون بها، لا يجوز لأحد من رعاياهم أن يتخذوها لأنفسهم شرائع ولا يقتدون بهم فيها، ثم نصب لهم شرائع يعملون بها هم ورعيتهم، وكتب لهم كتباً بذلك نزلت بها السفراء عليهم ليسمعوها رعيتهم فيعلموا حدود ما أنزل الله الذي استخلف عليهم فيقفوا عندها ويعملوا بها سرّاً وجهراً، فمنها ما كتبه بيده تعالى وهو التوراة، ومنها ما نزل به الروح الأمين عليهم من الكتاب المكنون الذي نزل من الله من عرشه المنقول من الدفتر الأعظم وهو الإمام المبين فهو معه على عرشه، ونقل منه في اللوح المحفوظ قدر ما يقع به التصريف في الدنيا إلى يوم القيامة يتضمن ما في العالم من حركة وسكون واجتماع وافتراق ورزق وأجل وعمل، ثم أنزل ذلك كله في كتاب مكنون إلى السماء الدنيا وجعله بأيدي سفرة كرام بررة مطهرين

Marfat.com

أرواح قدس صحفاً مكرّمة مرفوعة مطهرة فيها توقيعات، إلهية بما وعد الله المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاءت به رسله من اليوم الآخر والبعث الآخر، وما يكون في ذلك اليوم من حكم الله في خلقه، وتولى الله ذلك كله بنفسه على صورة الحق الذي بعث به رسله ليصدقهم عند عبيده فعلاً بحكمه ذلك فيهم كما صدقهم في حال احتجابه بما أيدهم به من الآيات، فآمن من آمن وكفر من كفر، فتوقف الأمر على ظهوره لعباده فيتولى الفصل بينهم بحكمه بنفسه ﴿وهو العزيز العليم﴾ فإذا فصل وحكم وعدل وأفضل جعلهم في الفصل فريقين: ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ وهو سجن الرحمن ﴿إنا جعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾ يريد سجناً يحصرهم فيه، وينزل الفريق السعيد في دار كرامته وقيم ذلك الدار رضوان فإنها دار الرضوان ومتولي الدار الأخرى التي هي السجن مالك ومعناه الشديد يقال: ملكت العجين إذا شددت عجنه، قال قيس ابن الخطيم يصف طعنه:

ملكت بها كفي فأنهرت فتقها ... يرى قائم من دونها ما وراءها

يقول: شددت بها كفي فنزلت التوقيعات بما للمؤمنين من الخير عند الله العاملين الحافظين حدود الله من ﴿المسلمين والمسلمات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات والتائبين والتائبات والعابدين والعابدات والحامدين والحامدات والسائحين والسائحات والراكعين والراكعات والساجدين والساجدات والآمرين بالمعروف والآمرات والناهين عن المنكر والناهيات والمعرضين عن اللغو والمعرضات﴾ ﴿والذين هم على صلاتهم دائمون﴾ وما هم عنها بساهين، إلى مثل هذا مما أوقع الله في توقيعاته من الصفات المرضية التي يحمدها. ثم بشرهم تعالى بأنهم الوارثون الذين يرثون الفردوس وهو أوسط الجنات فقال: ﴿هم فيها خالدون﴾ يبشرهم بالبقاء والدوام في النعيم، وأخبرهم في التوقيع أنه عنهم راض تعالى وتقدس جلاله، ثم أنه ناب عنهم في الخطاب بأنهم عنه راضون فقال تعالى: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ وهنا نكتة لمن فهم ما تدل عليه ألفاظ القرآن من الرضى فقطع عليهم بذلك لعلمه بأنه واقع منهم، ثم أنه أنزل في الكتب والصحف وعلى ألسنة الخلفاء صلوات الله عليهم وسلامه من الوعيد والتهديد وأخذ من كفر بالله ونافق أو آمن ببعض وكفر ببعض مما أنزله الله وجحد وأشرك وكذب وظلم واعتدى وأساء وخالف وعصى وأعرض وفسق وتولى وأدبر، وأخبر في التوقيع أنه من كان بهذه المثابة وقامت به

Marfat.com

هذه الصفات في الحياة الدنيا أو بعضها ثم تاب إلى الله منها في الدنيا ومات على توبة من ذلك كله فإنه يلقى ربه وهو راض عنه. فإن فسح له وأنسأ الله في أجله بعد توبته فعمل عملاً صالحاً بدل الله سيئاته حسنات أي ما كان يتصرّف به من السوء عاد يتصرّف فيه حسناً، فبدل الله فعله بما وفقه إليه من طاعته ورحمه وغفر له جميع ما كان وقع منه قبل ذلك ولم يؤاخذه بشيء منه.

وما زالت التوقيعات الإلّهية تنزل من الله على خلفائه بما يعدهم الله به من آمن بالله ورسله من الخير وما توعد به لمن كفر به من الشرمدة إقامة ذلك الخليفة المنزل عليه وهو الرسول إلى حين موته، فمن زمان خلافته إلى انتهاء مدة عمره لا تزال التوقيعات الإلهية تنزل عليه، فإذا مات واستخلف من شاء بوحي من الله له في ذلك أو ترك الأمر شورى بين أصحابه فيولون من يجمعون عليه إلى أن يبعث الله من عنده رسولاً فيقيم فيهم خليفة آخر إلا إذا كان خاتم الخلفاء فإن الله يقيم نواباً عنه فيكونون خلفاء الخليفة من عند الله لا أنهم في منزلة الرسل خلفاء من عند الله وهم الأقطاب وأمراء المؤمنين إلى يوم القيامة، فمن هؤلاء النواب من يكشف الله عنه الغطاء فيكون من أهل العين والشهود فيدعون إلى الله على بصيرة كما دعا الرسول عليه السلام، ولولا أن الزمان قد اقتضى أن لا يكون مشرع بعد رسول الله ﷺ لكان هؤلاء مشرعين، وإن لم يأتوا إلا بشرع رسول الله ﷺ فإنهم كانوا يكونون فيه كما كان رسول الله ﷺ في شرع من قبله إذا حكم به في أمته فهو فيه بمنزلة الأول الذي كان قبله لا أنه خليفة عنه في ذلك وإن قرره، فلما منع الله ذلك في هذه الأمة علمنا أنهم خلفاء رسول الله ﷺ وإن دعوا إلى الله على بصيرة كما دعا رسول الله ﷺ كما ورد في القرآن العزيز عنه في قوله: ﴿ادعوا لي الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ وسمّانا ورثة وأخبر ﷺ أنه ما ورثنا إلا العلم.

ثم إن دعاءه ﷺ في أن يمتعه الله بسمعه ليسمع كلام الله وبصره ليرى آيات الله في الآفاق وفي نفسه ثم قال: واجعل ذلك الوارث منا يعني السمع والبصر فإن الله هو خير الوارثين، وقد قال تعالى في الخبر الصحيح عنه: «كنت سمعه وبصره» فهوية الحق إذا كانت سمع العبد وبصره كان الحق الوارث منه الذي هو عين سمعه وبصره، فدعا بهذه الصفة أن تكون له حتى يقبض عليها فكأنه يقول: اللهم متعنا بك فأنت سمعنا وبصرنا وأنت ترثنا إذا متنا فإنك أخبرت أنك خير الوارثين وأنك ترث الأرض ومن عليها، أي أنت الخير

Marfat.com

الذي يرثه الوارثون من خلفائهم وهم متبعوا الرسل صلوات الله عليهم، فهو تعالى الخير الذي يناله الوارثون كما أنه خير الوارثين من حيث أنه وارث، وهكذا الإشارة في كل خير منسوب مضاف مثل خير الصابرين والشاكرين، ومثل هذا مما ورد عن الله في أي شرع ورد.

ومن التوقيعات الإلّهية أيضاً المبشرات وهي جزء من أجزاء النبوّة، فإما أن تكون من الله إليه أو من الله على يدي بعض عباده إليه وهي الرؤيا يراها الرجل المسلم أو ترى له، فإن جاءته من الله في رؤياه على يدي رسوله ﷺ فإن كان حكماً تعبد نفسه به ولا بد بشرط أن يرى الرسول ﷺ على الصورة الجسدية التي كان عليها في الدنيا كما نقل إليه من الوجه الذي صح عنده، حتى أنه إن رأى رسول الله ﷺ يراه مكسور الثنية العليا فإن لم يره بهذا الأثر فما هو ذاك، وإن تحقق أنه رسول الله ﷺ ورآه شيخاً أو شاباً مغايراً للصورة التي كان عليها في الدنيا ومات عليها ورآه في حسن أزيد مما وصف له أو قبح صورة أو يرى الرائي إساءة أدب من نفسه معه فذلك كله الحق الذي جاءه به رسول الله ﷺ ما هو رسول الله فيكون ما رآه هذا الرائي عين الشرع إما في البقعة التي يراه فيها وإما أن يرجع ما يراه إلى حال الرائي أو إلى المجموع غير ذلك لا يكون، فإن جاء بحكم في هذه الصورة فلا يأخذ به إن اقتضى ذلك نسخ حكم ثابت بالخبر المنقول الصحيح المعمول به بخلاف حكمه لو رآه على صورته فيلزمه الأخذ به ولا يلزم غيره ذلك فإن الله يقول: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾، هذا هو الفرقان عند أهل الله بين الأمرين، فإنهم قد يرونه ﷺ في كشفهم فيصحح لهم من الأخبار ما ضعف عندهم بالنقل، وقد ينفون من الأخبار ما ثبت عندنا بالنقل، كما ذكر مسلم في صدر كتابه عن شخص أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام فعرض عليه ألف حديث كان في حفظه فأثبت له ﷺ من الألف ستة أحاديث وأنكر ﷺ ما بقي، فمن رآه ﷺ في المنام فقد رآه في اليقظة ما لم تتغير عليه الصورة فإن الشيطان لا يتمثل على صورته أصلاً فهو معصوم الصورة حياً وميتاً، فمن رآه فقد رآه في أي صورة رآه، فالمبشرات من التوقيعات الإلّهية وثم توقيعات أخر إلهية من الأسماء الإلهية تعرف إذا وردت على قلوب العارفين بالله في كشفهم وهو أن يكون التوقيع الذي يجيء إلى هذا الولي من اسم خاص إلهي من الأسماء الحسنى مما دون الاسم الله فإنه ما يخرج منه في توقيع أصلاً من حيث دلالته، وإنما يخرج منه إذا ذكر مقيداً بحال يستدعي اسماً خاصاً بذلك الحال كنى عن ذلك الاسم بالاسم الله لتضمنه خاصة، وأكثر ما تخرج التوقيعات لأولياء الله من الله والرحمن

Marfat.com

والرب والملك لا غير، وهذا هو الغالب المستمر، فإن خرج باسم غير ما ذكرنا فهو شاذ يحكم به على حد ما تعطيه حقيقة ذلك الاسم وهو دليل على مضمون ذلك التوقيع لهذا الولي فيتصرف فيه به بحسب ما يقتضيه ويحتاج هذا الولي إلى علم عظيم بالمواطن وصور الأحوال ومراتب العالم وعلم المحور والإثبات والشؤون الإلهية، كل ذلك لا بد أن يعرفه العلماء بالله وإن لم يعرفوا ذلك وأمثاله فلا يتعدى قدره وليدخل في عمار الناس ويلزم الجماعة فإن يد الله معهم، ومن شذ من الجماعة على غير بصيرة فقد شذ إلى النار، بل صاحب البصيرة من المحال أن يشذ عن الجماعة فإنه لا يشذ عن يد الله ولكن يعلم وهو في الجماعة ومعها ما لا يعلمه واحد واحد من الجماعة إلا من كان مثله، فهو مع من هو مثله جماعة ما هو ممن صلى وحده، فالسعيد من وقف عند حدود الله ولم يتجاوزها، وإنا والله ما تجاوزنا منها حداً ولكن أعطانا الله من الفهم عنه تعالى فيها ما لم يعطه كثيراً من خلقه، فدعونا إلى الله على بصيرة من أمره إذ كنا على بينة من ربنا، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الموفى عشرين وأربعمائة

في معرفة منازلة التخلص من المقامات

ما في الوجود سواه فانظروه كما ... نظرته تجد وافي هو الذي ما هو
ومن يدل عليه فهو ذو جدل ... في قلبه منه أمثال وأشباه
لولاه ما نظرت عين بناظرها ... لولاه ما نطقت بالذكر أفواه
فاحكم عليه به وأنت في عدم ... واثبت عليه فما في الكون إلا هو
والله لولا وجود الحق ما قبلت ... أقواله في وجود الكون لولاه

قال الله تعالى: ﴿يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا﴾ والجامع للمقامات ما له مقام يقتضيه من عرف نفسه عرف ربه، وقوله: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق﴾ يعني الدالة عليها في الآفاق ﴿وفي أنفسهم﴾ وهي مقيدة فلا بد أن يقيد مدلولها، وإن دلت على إطلاقه فكونه مطلقاً تقييد لأن التقييد تمييز، فمعرفة العارفين به تعالى ليس من رؤية الآيات الخارجة والداخلة فإنها تدل على مقيد في إطلاق أو إطلاق في مقيد، والعارفون يرونه عين كل شيء المخلوق، قال لمن أساء في حقه فقطع رحمه: ﴿لا تثريب عليكم﴾ فالحق أولى بهذه

Marfat.com

الصفة لمن أساء في حقه بقطع رحمه، فإنا لا نشك أن قاطع الرحم ما قطعها إلا بجهله وما انقطعت الرحم، فالرحم موصولة في نفس الأمر فهي موصولة عند العالم، فمن جانبه موصولة ومن جانب الجاهل بها مقطوعة، ولما رجع الأمر كله لله مما وقعت فيه الدعاوى الكاذبة لم يدل على رجوعها إلى الله تعالى على أمر لم يكن عليه الله بل هويته هي هي في حال الدعاوى في المشاركة وفي حال رجوع الأمر إليه والمقام ليس إلا للتمييز وماثم إلا واحد فمن يتميز فلا مقام، بل هوية أحدية فيها صور مختلفة فزيد إحدى العين لو لم يكن في الوجود إلاَّ هو، ولم يتميز عنه شيء لأنك ما فرضت موجوداً إلاَّ هو خاصة، ولا مقام له يتميز به عن غيره إذ لا غير هناك فإنم يده متميزة عن رجله ورأسه متميز عن صدره وأذنه عن عينه، وكل جارحة منه متميزة عن غيرها من الجوارح، وكل قوّة منه في باطنه لها حكم ليس للأخرى، ومحل ليس للآخر، فتميزت الصور في عين واحدة لا تميز فيها ولا مقام لها، فنحن له كالأعضاء للواحد منا والقوىٰ فما ثم عمن نتميز ولا يتميز عنا ولكن تميزنا بعضنا عن بعض كما قرّرنا، ولا تنسب الأحكام والمقامات لأعضائنا وإنما ينسب ذلك كله إلينا فيقال: بطش فلان بفلان، ومشى فلان إلى فلان، وسمع فلان كلام فلان، ورأى فلان فلاناً، ما ينسب شيء من هذا كله إلى آلة ولا إلى قوة ولا إلى عضو ﴿فإليه يرجع الأمر كله﴾ فله الحكم ﴿وإليه ترجعون﴾.

فاعلم أنه لا يخلص من المقامات إلا وارث محمد ﷺ الذي أتاه الله جوامع الكلم وعلم الأسماء كلها وعلم الأوّلين والآخرين، فكل الصيد في جوف الفرا فما ثم عمن نتميز فإن العالم كله في وارث محمد ﷺ كما هو في محمد ﷺ فقد خلص من حكم المقامات عليه فهو يحكم بها بحسب ما تعطيه الأحوال فإنه العليم الحكيم، فالأسماء الإلٓهية كلها هي تظهر المقامات وبها يحكم الحاكم ولا حاكم إلا الله وما يبدل القول لديه فالقول له الحكم فبالقول يحكم الحق، فتنبه لمن هو المحكوم عليه والمحكوم به والمحكوم فيه والحاكم تعرف من هو المخلص من المقامات والذي لا مقام له. وأما المقام المحمود وهو المقام المثنى عليه الذي أثنى عليه الله الذي يقيم الحق فيه سبحانه محمداً ﷺ فهو مقام شفاعة رسول الله ﷺ في الشافعين أن يشفعوا يوم القيامة من ملك ورسول ونبيّ ووليّ ومؤمن، وأن يخرج الحق من النار أو يدخل الجنة من لم يعمل خيراً قط حتى لا يبقى في النار إلا أهلها الذين هم أهلها فيبقيهم الله فيها على صفة ومزاج، لو أخرجهم الله بذلك المزاج إلى الجنة لتعذبوا وأضرّ بهم دخولها كما تضرّ رياح الورد بالجعل فيجيبه الله لما سأل فيه، وإذا زاد

Marfat.com

سبب ظهور وأمر على واحد فهو شفاعة سواء كان شفعاً أو وتراً لا بدّ أن يكون زائداً على واحد، وأما الأحوال فلا سبيل إلى التخلص منها وهي فينا موهوبة وهي للحق ذاتية:

فالحكم للحال والأحوال حاكمة ... وليس في الكون إلا الله والبشر
ونحن في عبرة لو كنت تعقلها ... فكل شيء سوى الرحمن يعتبر
نحن النجوم التي في الغرب موقعها ... وليس يظهر إلا الشمس والقمر
الطمس فينا وذاك الطمس ينفعنا ... وليس يدريه إلا من له نظر
فلا تخف فسوى الرحمن ليس له ... عين وليس له التحكيم والأثر
إليه يرجع أمر الخلق كلهم ... حتى القضاء وحتى الحكم والقدر
وهو الوجود الذي ما عنده ضرر ... والشرّ ليس له في خلقه أثر
فالشرّ ليس إليه جلّ خالقنا ... عنه بذا جاء عن إرساله الخبر

من عرف الضلالة والهدى لم يطل عليه المدى، وعلم أن الله لا يترك خلقه سدى كما لم يتركه ابتداء، وإن لم ينزله منازل السعداء، فإن الله برحمته التي وسعت كل شيء لا يسرمد عليه الردا، وكيف يسرمده وهو عين الردا؟ فهو في مقام الفدا، وإشارة سهام العدا، فله الرحمة آخراً خالداً مخلداً فيها أبداً، والله تعالى يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الأحد والعشرون وأربعمائة

في معرفة منازلة من طلب الوصول إليّ بالدليل والبرهان لم يصل إليّ أبداً فإنه لا يشبهني شيء

توحيد ربك لا عن كشف برهان ... فكر فوحدته لا تقبل الثاني
وكل من يقبل الثاني فمتصف ... في حكمه بزيادات ونقصان
وذاك واحد أعداد فيقبله ... وواحد العين لا يدري ببرهان
من يقبل المثل قد حارت خواطرنا ... فيه وهل ريء ستر عين إعلان
إن الدليل على التركيب نشأته ... فكيف يعطي وحيد العين في الشان
يا بانياً عقده على الدليل لقد ... جهلت أين أساس القصد يا باني
من كان ذا صفة فأين وحدته ... المنزل القاصي ليس المنزل الداني

Marfat.com

من الذي هو قاص في دلالتنا وقد أتيت على هذا بسلطان
الشرع توحيده توحيد مرتبة والحق يعضده من جانب ثاني

قال الله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ يعني من كل عين من أعين الوجوه وأعين القلوب، فإن القلوب ما ترى إلا بالبصر، وأعين الوجوه لا ترى إلا بالبصر، فالبصر حيث كان به يقع الإدراك، فيسمى البصر في العقل عين البصيرة، ويسمى في الظاهر بصر العين، والعين في الظاهر محل للبصر، والبصيرة في الباطن محل للعين الذي هو بصر في عين الوجه، فاختلف الاسم عليه وما اختلف هو في نفسه، فكما لا تدركه العيون بأبصارها كذلك لا تدركه البصائر بأعينها، وورد في الخبر عن رسول الله ﷺ: «**إن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار وأن الملأ الأعلى يطلبونه كماتطلبونه أنتم**» فاشتركنا في الطلب مع الملأ الأعلى واختلفنا في الكيفية، فمنا من يطلبه بفكره والملأ الأعلى له العقل وماله الفكر، ومنا من يطلبه به وليس في الملأ الأعلى من يطلبه به لأن الكامل منا هو على الصورة الإلهية التي خلقه الله عليها وليس الملك عليها، فلهذا صح ممن هذه صفته أن يطلب الله به ومن طلبه به وصل إليه فإنه لم يصل إليه غيره، وأن الكامل مناله نافلة تزيد على فرائضه إذا تقرب العبد بها إلى ربه أحبه، فإذا أحبه كان سمعه وبصره، فإذا كان الحق بصر مثل هذا العبد رآه وأدركه ببصره لأن بصره الحق فما أدركه إلا به لا بنفسه، وما ثمّ ملك يتقرب إلى الله بنافلة بل هم في الفرائض، ففرائضهم قد استغرقت أنفاسهم فلا نفل عندهم، فليس لهم مقام ينتج لهم أن يكون الحق بصرهم حتى يدركوه به، فهم عبيد اضطرار، ونحن عبيد اضطرار من فرائضنا، وعبيد اختيار من نوافلنا، كما هو رب ذاتي من وجودنا ورب مشيئة من حكمه فينا، فالربوبية الذاتية ضرورية لا يمكن رفعها، وربوبية المشيئة عينها الإمكان في الممكنات فيرجح بها ما شاء، فمن لا مشيئة له لا ترجيح له، كمن لا نافلة لا يكون الحق بصره وإن أمكن خلاف هذا عقلاً، ولكن كلامنا في الواقع الذي أعطاه الكشف ما كلامنا في الجواز العقليّ لأنه يستحيل عندنا أن ينسب الجواز إلى الله حتى يقال: يجوز أن يغفر الله لك، ويجوز أن لا يغفر الله لك، ويجوز أن يخلق ويجوز أن لا يخلق، هذا على الله محال لأنه عين الافتقار إلى المرجح لوقوع أحد الجائزين وما ثم إلا الله، وأصحاب هذا المذهب قد افتقروا إلى ما التزموه من هذا الحكم إلى إثبات الإرادة حتى يكون الحق يرجح بها ولا خفاء بما في هذا المذهب من الغلط، فإنه يرجع الحق محكوماً عليه بما هو زائد على ذاته وهو عين ذات أخرى، وإن لم يقل فيها صاحب هذا المذهب أن تلك الذات الزائدة عين

Marfat.com

الحق ولا غير عينه، فالذي نقول به أن هذه العين المخلوقة من كوّنها ممكنة تقبل الوجود وتقبل العدم، فجائز أن تخلق فتوجد، وجائز أن لا تخلق فلا توجد، فإذا وجدت فبالمرجح وهو الله، وإذا لم توجد فبالمرجح وهو الله يستقيم الكلام ويكون الأدب مع الله أتم بل هو الواجب أن يكون الأمر كما قلنا، وأما احتجاجهم بقوله: لو شاء الله ولو أراد الله، فهو عليهم هذا الاحتجاج لا لهم لزومية أن لو حرف امتناع لامتناع وبلا حرف امتناع لوجود:

فانظروا وجوبه واعتبروا ... وهو نفي إن ذا سرّ عجيب
مثل من يدعو وما ثم لمن ... فهو يدعو نفسه ثم يجيب
وبهذا ورد النص إلى ... كل ذي عقل سليم ونجيب
ولقد كان على مثل الذي ... جاءه يطوف دهراً ويجوب
مثل ذا زرت فتى من هاشم ... أصله ما بين لم وتجيب
واستجيبوا للذي أسمعكم ... أنه المحروم من لا يستجيب

فاعلم أن الإمكان للممكن هو حكم الذي أظهر الاختيار في المرجح، والذي عند المرجح أمر واحد وهو أحد الأمرين لا غير، فما ثم بالنظر إلى الحق إلا أحدية محضة خالصة لا يشوبها اختيار، ألا تراه يقول تعالى: لو شاء كذا لكان كذا فما شاء فما كان ذلك، فنفى عن نفسه تعلق هذه المشيئة، فنفى الكون عن ذلك المذكور، غير أن لله تعالى نسبتين في الحكم الواقع في العالم في العالم بالامتناع أو بالوقوع، فالنسبة الواحدة ما ظهر من العالم من الأحكام الواقعة والممتنعة بمشيئتهم أعني بمشيئة العالم التي أوجدها الله في العالم، والنسبة الأخرى ما يظهر من الأحكام في العالم لا من العالم، وذلك من الله بالوجه الخاص الذي لله في كل كائن الذي لا يعلمه إلا أهل الله خاصة، والمشيئة التي يشاء بها العالم من العالم مشاءة لله تعالى من الوجه الخاص ثم هي لله كالآلة للصانع ظاهرة التعلق منفية الحكم، فالعلماء بالله ينسبون الواقع بالآلة إلى الله، والذين لا علم لهم ينسبونها إلى الآلة، وطائفة متوسطة ينسبون إلى الآلة ما ينسب الحق إليها على حد علمه في ذلك، وينسبون الكل إلى الله أدباً مع الله وحقيقة، فهم الأدباء مع الله المحققين، وهم الذين جمعوا بين الشرع والعقل، والوجه الصحيح في العلم الإلهي التي لا يتمكن للعقل أن يصل إليه من حيث نظره لا بل ولا من جهة شهوده ولا من تجليه، وإنما يعلم بإعلامه على الوجه الذي يكون إعلامه لمن اختصه من صور عباده الظاهرة في وجوده، فإن العلم بالله من حيث النظر

Marfat.com

والشهود على السواء ما يضبط الناظر ولا المشاهد إلا الحيرة المحضة، فإذا وقع الإعلام الإلهي لمن وقع حيث وقع من دنيا وآخره حصل المقصود:

دلالات الـوجـود علـى وجـودي ... تعـارضهـا دلالات الشهـود
فـإن العيـن مـا شهـدت سـواه ... بعيـن شهـودهـا عنـد الـوجـود
وأيـن الغيـر لـم يثبـت فيبـدو ... مـع التكثيـر مـن عيـن المـزيـد
عجبـت لمـن يعـز وقـد تعـالـى ... ويظهـر فـي المـراد وفـي المـريـد
لقـد نـزلـت معـاليـه وجلـت ... بـأحكـام الـدلائـل بـالسعـود
أمـن بعـد النـزول يكـون مـرقـى ... وعيـن نـزولـه عيـن الصعـود
إضـافـات الأمـور لهـا احتكـام ... فكـون الـرب فـي كـون العبيـد
فلـولا الأصـل مـا ظهـرت فـروع ... تـدل علـى الأصـول مـن الشهيـد
لقـد أظهـرت سـراً لأمـر فيـه ... لكـل مشـاقـف نـدب جليـد
صبـور لا يقـاومـه صبـور ... عـزيـز فـي تصـرفـه شـديـد

فإن الدليل يعطي وجودي إذ ليس الدليل سوى عيني ولا عيني سوى إمكاني ومدلولي وجود الحق الذي إليه استنادي ونفي ما هو حق لي عمن إليه استنادي، والشهود ينفي وجودي لا ينفي حكمي فيمن ظهر فيه ما ينسب إليه أنه عيني وهو حكمي والوجود لله، فاستفدت من الحق ظهور حكمي بالصور الظاهرة لا حكم ظهور عيني، فيقال وما ثم قائل غيري أن هذه الصور الظاهرة في الوجود الحق التي هي عين حكمي انها عيني هذا يعطيه الشهود، فالشهود يعارض الأدلة النظرية والخلق لله يعلمه وعلمه ليس سوى ما أعطاه ما أنا عليه في عيني، وليس في البراهين أصح من برهان إن وهو عند القائلين بالبراهين البرهان الوجودي، وليس يدل شيء منه على معرفة هوية الحق وغايته علمه بنسبة الوجود إليه وأن عينه عين وجودي ونفى ما يستحقه الحادث عنه غير هذا لا يعرف منه بالبرهان وساعده الشرع وهو ما أوحى به إلى الرسول المترجم عنه الذي أخبر عنه أنه لا ينطق عن الهوى، وأنزله في الكون منزلته فما نطقه به مما يساعد النظر الفكري: ﴿ليس كمثله شيء﴾ وهو من الكلام الظاهر الذي يمكن أن يكون له وجه غير الوجه الذي يضبطه العقل منه، ويكون له الوجه الذي يضبطه العقل منه، وما ورد السمع بأقوى من هذه الدلالة مع هذا الاحتمال الذي فيها:

Marfat.com

أصح البراهين برهان ان ... وليس يريك من الحق عينا
ففي الحق يعطيك نفياً وسلبا ... وفيما عدا الحق يعطيك كونا
وينفي نعوتاً أتاك القرآن ... بها مثل قول المشرع اينا
ويأتي به علماً ظاهر ... يريد بذلك حفظاً وصونا
وعلم الإله بما قاله ... أصبح دليل وأفواه بينا
تحيل العقول ببرهانها ... وجود الذي ساقه الشرع عونا
ويقبله كل عقل سلـ ... ـيم ويكسوه حمداً فيكسوه زينا

ولما كان الدليل النظري مثلنا في المعنى مربعاً في الظاهر والتثليث فرد والتربيع شفع لذلك لم يعلم من الحق إلا فردية المرتبة ولم تعلم إلا بالخلق، فارتبط الحق بالخلق والخلق بالحق ارتباط التربيع بالتثليث والتثليث بالتربيع في المقدمتين اللتين أعطت العلم بتوحيد الله في ألوهيته، فانظر إلى حكم الحقائق كيف اقتضت في الأدلة أن تكون على هذه الصورة، فضم الوجود حقاً وخلقاً وواجباً لنفسه وواجباً بغيره:

إن الدليل مثلث الأركان ... كالبيت وهو مربع محسوس
وكذلك الحق الذي دلت عليـ ... ـه الكائنات يبينه التقديس
حظ الدليل من الإله وجوده ... ما حظه الترجيل والتعريس
إن قلت إن الحق عنك منزه ... فدليل شرع أنه ملموس
ومنزه أيضاً بشرعك فاعتبر ... في الحالتين فعقلك المبخوس
إن جاء كرب الفكر من تنزيهه ... يتلوه من رحماته التنفيس
لله عين في المراتب كلها ... تثليث أو تربيع أو تسديس
فإذا أراد الله حفظ وجوده ... في قلبكم يأتي به التخميس
الحق يحفظ نفسه وعباده ... كالخمس والعشرين يا مرؤوس
فإذا أتيت بخمسة مضروبة ... في خمسة قد زال عنك البوس
ولحقت بالملأ المقدس كونه ... وتعين التأصيل والتأسيس
ودعيت في الملاين إن حققت من ... يدعوك يا من غره إبليس
أنت المقدم في الوجود كآدم ... في كونه سبقاً فأنت رئيس

Marfat.com

أراد بالبيت في هذا النظم المشبه به الكعبة فإنها ذات ثلاثة أركان مثلثة الشكل ولهذا جعل الحجر، فلما اقتطع من البيت مقدار سبعة أذرع حجروا عليها بالحجر حتى يصح الطواف بالبيت، فإنه صح عن رسول الله ﷺ أن الكعبة لما بنيت قصرت بهم النفقة فتركوا من البيت سبعة أذرع في الحجر، ولهذا ردها عبد الله بن الزبير على قواعد إبراهيم عليه السلام، فأمر عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف أن يردها على ما كانت عليه أولاً ثم ندم وقال: يا ليتني تركت ابن الزبير وماتحمل، ثم ترك الأمر وأدار الحجر كما كان احتراماً للبيت لئلا يتعرض إليه بالهدم في كل وقت من الخلفاء على ما يعطيهم في ذلك فأبقاه سداً لهذه الذريعة فاعلم ذلك.

أما تثليثه ليكون على اثنتي عشرة قاعدة كل ثلث من العلم بالله فالثلث الواحد من العلم بالله هو ما يعلم من الله بالدليل، والثلث الآخر ما يعلم منه سبحانه بالشهود عند التجلي، والثلث الثالث هو ما يعلم منه بإعلامه سبحانه وهو أصح الأقسام في العلم بالله وتفصيل قواعده يطول، وقد أحلناك في العلم بها عليه سبحانه لتدرك ذلك ذوقاً إن شاء الله تعالى، وعن هذه القواعد ظهرت بروج الفلك وهي الحمل، والثور، والتومان، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدالي، والحوت، ثلاثة منها نارية وهي: الحمل، والأسد، والقوس. وثلاثة ترابية وهي: الثور، والسنبلة، والجدي، وثلاثة هوائية وهي: الجوزا وتسمى التومان، ثم الميزان والدالي، وثلاثة مائية هي: السرطان، والعقرب، والحوت، فهي أربع مراتب مضروبة في ثلاثة المجموع اثنا عشر وهو انتهاء أسماء العدد من جهة بسائطه، ثم يقع التركيب إلى ما لا يتناهى، فمن واحد إلى تسعة والعقد ثلاثة عشرات ومئون وآلاف فالمجموع اثنا عشر، وأما التسديس من ذلك فالتثليث نصفه فهما طرفان التسديس وهو الأكثر، والتثليث وهو الأقل، والمتوسط بين التثليث والتسديس التربيع كل ربع تسعة وهي منتهى بسائط مفردات العدد في الآحاد، فللتسعة نظر إلى الاثني عشر ونظر إلى الستة والكل ست وثلاثون قاعدة أمهات، وتنتهي إلى ثلثمائة وستين قاعدة منها ظهر درج الفلك التي الكواكب تقطعه بسيرها، وقد ربط الله ما يحدثه في عالم الأركان بقطع هذه الكواكب في هذه القواعد على كثرة الكواكب، وأما ما يحدثه في عالم الجنان دون النار والدنيا فبما تعطيه القواعد بحركتها إلا بما يعطيه قطع الكواكب في هذه القواعد، ولذلك اختلف الحكم فيما يتكوّن في الجنة وما يتكوّن في الدنيا والنار، فما في الجنة مانع يمنع ما تعطيه حركة القواعد وفي الدنيا

Marfat.com

والنار موانع تمنع ما في قوّة القواعد من التكوين، وهذه الموانع عين قطع الكواكب في تلك القواعد:

ما أن أقول ولا سمعت بمثله — من ناظر في الله بالبرهان
أن الإله يراه وهو منزه — بدليله في صورة الإنسان
إلا الذي قال الدليل بفصله — وبعلمه من عالم الأركان
ذاك الرسول وكل وارث حكمه — من كل معصوم من الشيطان
الفكر يعجز عن تحقق علمه — بالله حين يجول في الأكوان
ما للجهالة في الذي جاءت به — أقواله في الله من سلطان
فهو الوجود وما سواه باطل — في كل ما يبدو من الأعيان

فقد بان لك إن كنت من أهل الأذواق بالعلم بالله أنه لا يعلم إلا بإعلامه سبحانه وتعالى، وكل من قال أنه عز وجل يعلم بالدليل أو بالشهود فإنه يضرب في حديد بارد من جميع العلماء الناظرين في العلم بالأشياء بالدليل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثاني والعشرون وأربعمائة

في معرفة منازلة من ردّ إليّ فعلي فقد أعطاني حقي وأنصفني مما لي عليه

إني رأيت وجود الست أدريه — وهو الوجود الذي أعياننا فيه
الفعل بيني وبين الحق مشترك — فيما يظنّ وفيه بعض ما فيه
إني سمعت كلاماً غير منقطع — فينا وفي عالم الأكوان من فيه
بسمعه لا بسمعي أنني عدم — وقد توجه حق ما نوفيه
له وكيل على من لا وجود له — يبليه وقتاً وفي وقت يعافيه
ولا يزال به ما دام متصفاً — بالكون في عينه حتى يوافيه
على نقيض مقام ليس يعرفه — وليس في نفسه أمر ينافيه
أنا وإياه موجودان في قرن — ولا يزال عدويّ أو نصافيه
فالأمر مفترق والأمر مجتمع — والجود لا يبدو إلا من مكافيه
إني رمزت أموراً ليس يعرفها — إلا الذي قيل فيه أنه فيه

Marfat.com

وليس يعلم ما أبديه من عجب إلا الوجود الذي حار الورى فيه
فالحمد لله لا أبغي به بدلاً وليس يدريه إلا من يكافيه

قال الله تعالى: ﴿وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم﴾ وقال: ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ وقال لنبيه ﷺ في رميه التراب في أعين المشركين: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ وقال: ﴿بل لله الأمر جميعاً﴾ فعهد تعالى إليّ أن الفعل الذي يشهد به الحس أنه للعبد هو لله تعالى لا للعبد، فإن أضفته لنفسي فإنما أضيفه إلى نفسي بإضافة الله لا بإضافتي، فأنا أحكي وأترجم عن الله به وهو قوله: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ فردّ الفعل الذي أضافه إليّ إلى نفسه وهو حقه الذي له قبلي بهذه الإضافة ولكن لا بدّ من ميزان إلهي نردّه به إليه فإن الله تعالى لما رفع السماء وضع الميزان في سباحة الكواكب في أفلاكها التي هي طرق في السموات لتجري بالمقادير الكائنة في العالم على قدر معلوم لا تتعداه فهي تعطي وتمنع بذلك الميزان الذي وضع الحق لها لأنها تشاهد الميزان الذي بيد الحق حين يخفض به ويرفع، فإذا نظرت إلى من رفعه الحق بميزانه أعطته ما يستحقه مقام الرفع، وإذا رأت الحق يضع بميزانه من شاء أعطته ما يستحقه مقام الوضع وذلك هو التسخير الذي ورد في القرآن في النجوم أنها مسخرات بأمره، فتعلم أن المكلفين هم المقصودون بالخطاب والتكليف فإنهم محل العقاب والثواب بخلاف سائر المخلوقين، وذلك للحجاب الذي ضرب الله بينهم وبين مشاهدة الأمور منهم ومن سائر المخلوقات أنها لله لا لهم فلما ادعوها أضافها الحق إليهم بحسب دعواهم وكلفهم ابتلاء منه لدعواهم، فمن كشف الله عن بصيرته ورأى الأفعال كلها لله لم ير إلا حسناً منه ومن سائر المخلوقات وأن الله هو الصادق فقال: ﴿إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً﴾ فطلبنا على الإحسان ما هو فورد في الخبر الصحيح: «أن الإحسان هو أن تعبد الله كأنا نراه» فنشرع في العمل على الحجاب فإذا رأينا المعمول له رأينا العمل صادراً منه فينا ما نحن العاملين، فلما رأينا هذا خفنا من مزلة القدم فيما سماه من أفعاله حسناً وسيئاً، وعلمنا أنه ما أضاف العمل إلينا إلا لدعوانا في الأفعال أنها لنا، فإذا حصلنا في هذا المقام من الشهود فما كان من حسن أضفناه إليه تعالى خلقاً فينا، وأضفناه إلينا من كوننا محلاً لظهوره، وإن كان سيئاً ذلك العمل أضفناه إلينا بإضافة الله فنكون حاكين قول الله فيرينا الله حسن ما في ذلك المسمى سوءاً ﴿فبدل الله سيآتنا حسنات﴾ ما هو إلا تبديل الحكم لا تبديل العين.

Marfat.com

ثم إنه جميع ما طرأ منا في هذا كله من نظر ورد واحد فهو بهذه المثابة فإن ذلك كله فعل ظهر فينا ونحن أهل شهود، فليس لنا إلا الاستعداد الذي نحن عليه لقبول ما يخلق فيه من الأفعال المنسوبة في الشهود كما هي في سائر المخلوقات عند المخلوقات الذين يقولون مطرنا بفضل الله ورحمته بالوزن الذي جعله في سباحة كوكب من الكواكب وما قدره الله له من المنازل التي ينزل فيها، والمحجوب عن هذا المقام يقول: مطرنا بنوء كذا وكذا فيذكر الكوكب المجبور في ذلك ويضيف ما يظهر من المطر الصائب إليه كما يضيف أفعاله خلقاً إلى نفسه فسمى عند ذلك بأنه كافر بالله مؤمن بمن رأى الفعل منه، ويسمى الأوّل مؤمناً بالله كافراً بمن رأى الحس الفعل صادراً منه من حيث ما هو محل، ومن المكلفين من ليس له هذا الشهود ولا تركه الإيمان يقف مع الحجاب الذي على عينه فيقول مثل ما يقول صاحب الشهود: مطرنا بفضل الله ورحمته تقليداً لا علماً حتى يتميز المؤمن من العالم، فإن المؤمن يقول ذلك لورود الخبر الصادق به، ويقوله صاحب النظر لما يعطيه دليل عقله مثل المؤمن سواء إلا أن له درجة زائدة، وهذان الصنفان لا يبلغان مبلغ صاحب الشهود في الدرجة فإنه يزيد عليهما بالعين، وكذلك يشاهد أفعال الحق في نفسه كما يعلمها صاحب النظر كما يؤمن بها المقلد للخبر وكل له مقام معلوم، ﴿ولكن لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ فإن الحق لو رجع في التعريف عن إضافة هذه الأفعال إليه تعالى وكفر من أضافها إليه تعالى لرجع المؤمن لرجوع الحق عقداً وقولاً، ورجع العالم صاحب الشهود قولاً لا عقداً فإنه لا يتمكن لصاحب الدليل إذا استحكم الرجوع عنه ولا لصاحب الشهود.

وإذا كان هذا هكذا فلا بدّ من التمييز بين المؤمن العالم والمؤمن، فقد بينا لك صورة الميزان والوزن وأن الوزن نعت إلهي لا ينبغي لعبد من عباد الله أن يغفل عنه في كل فعل ظاهر في الكون من موجود ما من الموجودات فلا يزال مراقباً له في غيره فيحكم عليه بالميزان الموضوع عنده وليس إلا الشرع، وأما مراقبته في نفسه فبخلاف ما يرقبه في غيره فإنه لا يشهده من غيره إلا بعد ظهوره ووقوعه في الوجود من هذا الشخص، وأما في نفسه فيرقب خاطره فإنه أوّل ما يوجده الله في خاطره وقلبه وقد عفا عنه تعالى فيما يجده من ذلك إلا بمكة، فإذا راقبه ورأى أن الله قد جعل فيه قصد إظهار أمر ما فإن كان من الأفعال المقرّبة إلى سعادته الأخروية المحبوبة إلى الله المثنى عليه هيأ محله لقبول ما يفعل الله به من ذلك فيظهر الفعل وله الأجر من حيث ما هيأ نفسه واستعد والكل من عند الله، وإن كان مما ذمه

Marfat.com

الله شرعاً فلا يهييء نفسه لظهور ذلك الفعل جهد الطاقة، فإذا كان ذلك الفعل من المقدر عند الله وقوعه في هذا المحل سلب الله عن هذا العبد عقله ولم يعطه الاختيار وأعماه حتى يظهر ذلك الفعل في محله، فإذا ظهر بحكم هذا الجبر الباطن ردّ الله إليه عقله فاعتبر واستغفر ربه وخر راكعاً وأناب، وهذا معنى قوله عليه السلام: «**إن الله إذا أراد إنفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم حتى إذا أمضى قدره فيهم ردها عليهم ليعتبروا**» وأما الغافل الجاهل فحكمه ما هو المقرر في العموم وأما قولنا لا بمكة فإن الشرع قد ورد أن الله يؤاخذ بالإرادة للظلم فيها، وهذا كان سبب سكنى عبد الله بن العباس بالطائف احتياطاً لنفسه، فإن الإنسان ما في قوته أن يمنع عن قلبه الخواطر، فمن لم يخطر الحق له خاطر سوء فذلك هو المعصوم ومن له بذلك، ولقد رأيت من هذه صفته وهو سليمان الدنبلي رحمه الله كان على قدم أبي يزيد البسطامي أخبرني عن نفسه على جهة إظهار نعمة الله عليه شكراً وامتثالاً لأمر الله حيث قال: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ فقال لي: إن له خمسين سنة ما أخطر الله له في قلبه خاطر سوء، فهذا من أكبر العنايات الإلهية بالعبد قال تعالى: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ فنكر الظلم فخاف مثل ابن عباس وغيره، والإلحاد الميل عن الحق هنا.

وأما الميزان الموضوع الذي يظهر لكل عين يوم القيامة يظهر على صورة ما كان في الدنيا بين العامة من الاعتدال وترجيح إحدى الكفتين فيعامل الحق صاحب ذلك الميزان بحسب ما يحكم به من الخفة والثقل فجعل السعادة في الثقل، والإنس والجن ما سميا بالثقلين إلا لما في نشأتهما من حكم الطبيعة فهي التي تعطي الثقل، ولما كان الحشر يوم القيامة والنشور في الأجسام الطبيعية ظهر الميزان بصورة نشأتهم من العقل، فإذا ثقلت موازينهم وهم الذين أسعدهم الله فأرادوا حسناً وفعلوا في ظاهر أبدانهم حسناً فثقلت موازينهم فإن الحسنة بعشر أمثالها إلى مائة ألف مما دون ذلك وما فوقه. وأما القبيح السيء فواحدة بواحدة فيخف ميزانه أعني ميزان الشقي بالنسبة إلى ثقل السعيد.

واعلم أن الحق تعالى ما اعتبر في الوزن إلا كفة الخير لا كفة الشر فهي الثقيلة في حق السعيد الخفيفة في حق الشقي مع كون السيئة غير مضاعفة ومع هذا فقد خفت كفة خيره فانظر ما أشقاه، فالكفة الثقيلة للسعيد هي بعينها الخفيفة للشقي لقلة ما فيها من الخير أو لعدمه بالجملة مثل الذي يخرجه سبحانه من النار وما عمل خيراً قط، فميزان مثل هذا ما في

Marfat.com

كفة اليمين منه شيء أصلاً، وليس عنده إلا ما في قلبه من العلم الضروري بتوحيد الله، وليس له في ذلك تعمل مثل سائر الضروريات، فلو اعتبر الحق بالثقل والخفة الكفتين كفة الخير والشر لكان يزيد بياناً في ذلك، فإن إحدى الكفتين إذا ثقلت خفت الأخرى بلا شك خيراً كان أو شراً، وأما إذا وقع الوزن به فيكون هو في إحدى الكفتين وعمله في الأخرى فذلك وزن آخر، فمن ثقل ميزانه نزل عمله إلى أسفل فإن الأعمال في الدنيا من مشاق النفوس والمشاق محلها النار فتنزل كفة عمله تطلب النار وترتفع الكفة التي هو فيها لخفتها فيدخل الجنة لأن لها العلو، والشقي تثقل كفة الميزان التي هو فيها وتخف كفة عمله فيهوي في النار وهو قوله: ﴿فأمه هاوية﴾ فكفة ميزان العمل هي المعتبرة في هذا النوع من الوزن الموصوفة بالثقل في السعيد لرفعة صاحبها والموصوفة بالخفة في حق الشقي لثقل صاحبها وهو قوله تعالى: ﴿يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾ وليس إلا ما يعطيهم من الثقل الذي يهوون به في نار جهنم فهما وزنان: وزن الأعمال بعضها ببعض يعتبر في ذلك كفة الحسنات، ووزن الأعمال بعاملها يعتبر فيها كفة العمل، فمن أراد أن يفوز بلذة الوجود فليعطِ الحق من نفسه لمستحقه، والله عز وجل يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثالث والعشرون وأربعمائة

في معرفة منازلة من غار على لم يذكرني

قلبي على كل حال في تقلبه ... من واحد العين لا كثر ولا عدد
إذا تنزلت الأسماء منه على ... منازل القلب لم يشعر بها أحد
مجهولة العين ما ينفك صاحبها ... في حيرة ما لها نقص ولا أمد
إن قلت أني وحيد قال لي جسدي ... أليس مركبك التركيب والجسد
فلا تقولن ما بالدار من أحد ... فالدار معمورة والساكن الصمد
وليس تخرب دار كان ساكنها ... من لا يقوم به غل ولا حسد

قال الله تعالى: ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾ عن الوفاء بالعهد، فإنا عهدنا إليهم أن يذكروني فأنفوا أن يذكروني إلا على طهارة كما قال ﷺ: «إني كرهت أن أذكر الله إلا على طهر»، أو قال: «على طهارة» ورأوا هؤلاء نفوسهم غير

Marfat.com

ظاهرة لما فيها من الدعاوى في الخير الذي قام بهم من عند الله فينسبونه لأنفسهم وما أعطوا الله حقه من رد ذلك إليه كما فعل القليل من عباده إلى غير الدعاوى من الأمور التي لا تتصف النفوس بوجودها بالطهارة، فهؤلاء غاروا أن يذكروا الله وهم الذين يذكرون الله سراً في نفوسهم، وأما الذين يذكرونه علانية فإنهم شاهدوا قلوب العامة في غاية من الغفلة عن الله فقالوا: إذا ذكرنا الله فيهم ذكروه فإنهم إذا سمعوا ذكر الله لم يتمكن لهم إلا أن يذكروه فيذكرونه بقلوب غافلة عما يجب لله من التعظيم، فإذا كان مشهدهم هذا غاروا على الله فلم يذكروا وكان منهم الشبلي في أول حاله وغيره فما وفى هؤلاء بعهد الله ولا كانوا على معرفة من الله، وهذا حال أكثر أهل الطريق ولا سيما أهل الورع منهم، فخرجوا بهذا عن العهد الذي عهد إليهم الله من ذكره في قوله: ﴿اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ وما قيد حالاً من حال وهو قوله عليه السلام: «الحمد لله على كل حال» فإن القلب وإن غفل عن الذكر الذي هو حضوره مع المذكور فإن الإنسان من كونه سميعاً قد سمع ذكر الله من لسان هذا الذاكر فخطر بالقلب ووعى ما جاء به هذا الذاكر ولم يجيء إلا بذكر اللسان الذي وقع بالسمع فجرد له هذا القلب ما يناسبه من الذاكرين منه وهو اللسان فذكر الله بلسانه موافقة لذكر ذلك الذاكر المذكر له، والقلب مشغول في شأنه الذي كان فيه مع أنه لم يشتغل عن تحريك اللسان بالذكر فلم يشغله شأن عن شأن، فما ذكر أحد الله عن غفلة قط وما بقي إلا حضور باستفراغ له أو حضور بغير استفراغ بل بمشاركة، ولكن زمان أمره اللسان بالذكر ما هو زمان اشتغاله بغيره، فما ذكره غافل قط أي عن غفلة في حال أمر القلب اللسان بالذكر إلا في حال ذكر اللسان، ثم إن اللسان قد وفى حقه في العلانية من الذكر فإنه من الأشياء المسبحة لله، فمنْ غار على الله لم يعرفه وإنما يغار له لا عليه. وأما أهل هذه المنازلة فإنهم غاروا على الله أن يذكره غيره وهم أهل الدعاوى في الذكر وهم يشهدون أن الله هو الذاكر نفسه بلسان عبده فذكروه وهم يعلمون أنهم ما ذكروه مثل قوله: «إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده وهو من جملة الذكر، فرأوا أن الحق لسانهم في الذكر فلم يذكروه بهذا الشهود فصحت المنازلة بقوله: من غار عليّ لم يذكرني لأنه عرف من الذاكر ومن المذكور فصار بمعزل عن الذكر في نفس الذكر ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ ثم أن الأسماء الإلهية ما كثرها الله إلا لاختلاف الآثار الظاهرة في الكون، فإذا ذكره العارفون بالأسماء جعلوا الذكر لاسم ما من الأسماء، وجعلوا المذكور اسماً ما من الأسماء فكانت الأسماء يذكر بعضها بعضاً فذلك الذكر ألسنة الأسماء ونحن وسائط فما ذكرناه إلا به ومن ذكرته به

Marfat.com

فلم تذكره، ألا ترى ذكر من أنعم الله عليه إذا ذكره بنعمته فذلك لسان نعمته وأنت من نعمته فما ذكره إلا إحسانه لا أنت، فمن غار على الله لم يذكره مع أنه أكثر عباد الله ذكراً بالصورة ولا ذكر له بالحقيقة فهو عبد حق لأنه الذاكر الصامت، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الرابع والعشرون وأربعمائة

في معرفة منازلة أحبك للبقاء معي وتحب الرجوع إلى أهلك فقف حتى أتشفى منك وحينئذ تمر عني قال الله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه فهو المحب المحبوب﴾

من أحب الفنا أحب لقائي ... من أحب البقا أحب الرجوعا

ليس يبقى مع الشهود وجود ... فترى الكون في الشهود صريعا

كل حب يكون فيه اشتياق ... أودع الحق فيه معنى بديعا

فإذا الله قال إني محب ... فتراني أصغي إليه سميعا

ويقول الفؤاد في السرّ مني ... إن يكن ما يقول كان مطيعا

إن لله في الوجود علوما ... ليس تعطى لمن يكون مذيعا

اعلم أيدنا الله وإياك أن للحق حكمين: الحكم الواحد ما له من حيث هويته وليس إلا رفع المناسبة بينه وبين عباده. والحكم الآخر هو الذي به صحت الربوبية الموجبة للمناسبة بينه وبين خلقه وبها أثر في العالم الوجود وبها تأثر مما يحدث في العالم من الأحوال، فيتصف الحق عند ذلك بالرضا والسخط وغير ذلك، وللعالم حكمان: حكم به صحت المناسبة بينه وبين الحق وبها كان العالم خلقاً لله ومنسوباً إليه أنه وجد عنه فارتبط به ارتباط منفعل عن فاعل، ولهذا الحكم لم يزل العالم مرجحاً في حال عدمه بالعدم وفي حال وجوده بالوجود، فما اتصف بالعدم إلا من حيث مرجحه، ولا بالوجود إلا من حيث مرجحه، والحكم الآخر هو من حيث هويته وحقيقته لا نعت له من ذاته كما قلنا في الحق في حكم رفع المناسبة ليصح قوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ في جناب الحق من حيث هويته، ومن جناب العالم من حيث هويته، والمناسبات أحدثت النعوت من حيث النسب لا من حيث أنها أعيان وجودية:

فما ثم إلا الحق والحق فاعل ... وما ثم إلا الخلق والخلق منفعل

Marfat.com

فلما وقعت المناسبة بين الله وبين العالم صح أن يقول: يحبهم ويحبونه، فالحق محب محبوب، فمن حيث هو محب ينفعل لتأثير الكون، ومن حيث هو محبوب يبتلي، والعالم أيضاً محب لله محبوب لله، فمن حيث هو محب لله يبتلي لأجل الدعوى فيفتضح صاحب الدعوى الكاذبة ويظهر صاحب الدعوة الصادقة، ومن حيث أنه محبوب يتحكم على محبة فيدعوه فيستجيب له ويرضيه فيرضى ويسخطه فيعفو ويصفح مع نفوذ قدرته وقوّة سلطانه إلا أن سلطان الحب قويّ كما قال الخليفة أمير المؤمنين هرون الرشيد:

ملك الثلاث الآنسات عناني ... وحللنا من قلبي بكل مكان
ما لي تطاوعني البرية كلها ... وأطيعهن وهن في عصياني
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى ... وبه قوين أعز من سلطاني

ومع وجود المناسبة بين الإنسان وبين العالم وأهله من العالم فلم يحب الرجوع إلى أهله من أحبه منهم مع كونهم محبوبين لله إلا لكون الله قد عين لأهله حقاً على هذا الشخص فيحب الرجوع إلى أهله ليؤدي إليهم حقوقهم التي أوجبها الله لهم عليه لا لغرض نفسي ولا لمناسبة كونية. ولما علم الله أن مثل هؤلاء ما رجعوا إلا امتثالاً لأوامره تعالى ووقوفاً عند حدوده لئلا يتجاوزوها ويتعدوها قال لمن هذه صفته، قف حتى أتشفى، وهو قوله ﷺ: «لي وقت لا يسعني فيه غير ربي» فهو لله في ذلك الموطن ليس لنفسه ولا لشيء من خلقه، وسامحه الحق في رجوعه إلى أهله من هذا المقام لكونه ما يرجعه إلا حق الله الذي افترضه عليه لمن رجع إليه من أهله بأنه يخاف فوت الوقت فيشهد له هذا الطلب للرجوع بأنه صادق الدعوى في محبته ربه تعالى لهذا قال: وحينئذ تمرّ عني وهو لا يمر عنه إلا من حيث هذا المقام فإنه بعينه حيث كان، قال تعالى في مثل هذا المقام الذي يقتضي الصبر عن الله من حيث هذا المشهد الخاص. ﴿واصبر لحكم ربك﴾ برجوعك لأداء هذه الحقوق ﴿فإنك بأعيننا﴾ لعلمه بأنه محب والمحب يتألم للفراق والاشتغال بشهود الغير ولما سمعت في هذه المنازلة قوله حتى أتشفى منك ثقل عليّ لقلة معرفتي بالحق في حال هذه المنازلة، فلما علم أنه قد شق مثل هذا عليّ آنسني بغيري في هذا الحكم فوقفني على قوله ﷺ عن الله أنه أشد شوقاً إلى لقاء أحبابه منهم إليه فإنه تعالى أعلم بهم منهم به، وعلى قدر العلم يكون الشوق مع علمي أن مثل هذه الأمور إنما هي ألسنة المقامات والأحوال وأحكامها وأحكام الأسماء وهذا معنى قوله: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا﴾ ولا يحشر إليه إلا من

Marfat.com

ليس عنده من حيث هذا الاسم الخاص وهو عنده من حيث حكم اسم آخر غير هذا الاسم، فمن عرف الحق بمثل هذه المعرفة لم يكبر عليه ما يسمعه عن الله من كل ما هو نعت المخلوق، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الخامس والعشرون وأربعمائة

في معرفة منازلة من طلب العلم صرفت بصره عني

طالب العلم ليس يدرك ذاتي ... بدليل لكون ذاك محالا
فتراه يراني في كل عين ... وتراني أبديه حالاً فحالا
فيرى نفسه وليس سوائي ... والهدى لا يكون قط ضلالا
قد رفعنا أبصارنا لشموس ... أحرقت أوجهاً فكانت ظلالا
فإذا ما يقول ربك فاعلم ... أنني واحد عليك احالا

قال الله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ التقدير فإذا ما يقول ربك انني واحد فاعلم أنه عليك أحال إعلم أن العلم الدليليّ البرهاني يقضي يرفع المناسبة بين العالم وبين هوية الحق وأن ولا رؤية من راء إلا بمناسبة بينه وبين المرئي فالحق لا يراه غير نفسه من حيث هويته، فصاحب هذا العلم في حال شهوده ورؤيته ربه يحكم أنه ما رآه وحكمه صحيح ورؤيته صحيحة فلهذا قال: صرفت بصره عني، فإذا صرف بصره عنه كان الحق بهويته بصراً لهذا العبد فإذا رآه بهذه الحال يكون ممن رأى الحق بالحق والرائي عبد والمرئي حق والمرئيّ به حق، وهذه أكمل رؤية تكون حيث كانت. وقد ورد في الصحيح أن العبد يحصل له هذا المقام في الحياة الدنيا وفي هذه النشأة التي تفارقها النفس المطمئنة الناطقة بالموت فقال تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ فكثر وجمع فإنها أبصار الكون ولم يقل: لا يدركه البصر وإن كان جمع قلة ولكن على كل حال هو أكثر من بصر، قال الشاعر في جمع القلة:

بأفعل وبأفعال وأفعلة ... وفعلة يجمع الأدنى من العدد

فافعل مثل أكلب، وأفعال مثل أبصار، وأفعلة مثل أكسية، وفعله مثل فتية، ولما كانت هويته أحدية الوصف لم يكن فيها كثرة وهي بصره في كل مبصر، فهو وإن تعددت

Marfat.com

ذوات المبصرين فالبصر واحد من الجميع إذ كان البصر هوية الحق فيصح أن البصر عند ذلك يدركه لأنه ليس غيره فهو الرائي والمرئى به والمرئيّ، فإن الحقيقة المنفية في هذه الآية في قوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ أن الأبصار هنا معان يدرك بها المبصرات ما هي تدرك المبصرات بخلاف ما هنا فإنه إذا كان عين الحق عين بصرك فيصح أن يقال في مثل هذا يدركه البصر فينسب الإدراك إليه مع صحة كونه بصراً للعبد، فتفطن لهذه المسألة فإنها نافعة جداً وتعلم من ذلك أن لله عباداً عجل لهم رؤيته في الدنيا قبل الآخرة، ولله عباداً أخر لهم ذلك، ولله عباداً لا يرونه إلا بأبصارهم في الآخرة وينزلون عن رتبة هؤلاء في الرؤية، ولله عباداً يرونه في الدنيا بأبصار إيمانهم وفي الآخرة البرزخية بأعين خيالهم يقظة ونوماً وموتاً، ومن هنا قال من قال من أهل الله أن العلم حجاب يريدون علم النظر الفكريّ أي العلم الذي استفاده العاقل من نظره في الله فهذا معنى قوله: صرفت بصره عني فما رآني من رآني إلا بي، ومن رآني ببصره فما رأى إلا نفسه فإنني بصورته تجليت له، فرجال الله علموا الله بإعلام الله تعالى فكان هو علمهم كما كان بصرهم، فمثل هؤلاء لو تصوّر منهم نظر فكريّ لكان الحق عين فكرهم كما كان عين علمهم وعين بصرهم وسمعهم، لكن لا يتصوّر من يكون مشهده هذا وذوقه أن يكون له فكر البتة في شيء إنما هو مع ما يوحى إليه على اختلاف ضروب الوحي وأنه من ضروب الوحي الفهم عن الله ابتداء من غير تفكر، فإن أعطى الفهم عن تفكر فما هو ذلك الرجل، فإنّ الفهم عن الفكر يصيب وقتاً ويخطىء وقتاً، والفهم لا عن فكر وحي صحيح صريح من الله لعبده وذوق الأنبياء عليهم السلام في هذا الوحي يزيد على ذوق الأولياء، فإن قابل الأخص في الأعمّ محصل للأعم وليس قابل الأعم الذي لا يتعين فيه الأخص يحصل له فيه ذوق الأخص، وإن كان مندرجاً فيه فلا حكم له في الذوق، وإن كان له حكم في الكل إلاّ أنه لا يقدر على الفصل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب السادس والعشرون وأربعمائة

في معرفة منازلة السرّ الذي قال منه رسول الله ﷺ حين استفهم عن رؤية ربه فقيل له: رأيت ربك في ليلة الإسرا فقال: نور أني أراه

النـــور كيــف يــراه الظــل وهــو بــه ... قــد قـام فـي الكـون عينـاً فـي تجليـه
فــإن تحلــى بنعــت النــور كــان لــه ... حكــم التجلـي ولكـن فـي تحليـه
الــروح ظــل وعيــن الجسـم يبـديـه ... مــن نــور ذات يــراه فــي تــدليـه
وليـس يـدري الـذي قلنـاه غيـر فتـى ... ذي خلــوة فيــراه فـــي تخليــه
وقــد يــراه الــذي ولــى بصــورتــه ... عنــه فبــان لــه لــدى تــوليــه

قال الله عز وجل: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ فمن النور من يدرك به ولا يدرك في نفسه فهو حجاب عينك عن نفسه وأنت والعالم حجاب عليك، وقوله ﷺ: «**إنّ لله سبعين ألف حجاب أو سبعين حجاباً الشك مني من نور وظلمة**» الحديث، فحجاب النور من هذه الحجب واحد، والظلم الحجابية ما بقي من هذا العدد فهو عين الحجاب عليك وهو المحتجب فيه فبنفسه احتجب فالنور لا يرى أبداً، والظلمة وإن حجبت فإنها مرئية للمناسبة التي بينها وبين الرائي، فإنه ما ثم ظلمة وجودية إلا ظلمة الأكوان، وكان ﷺ يسأل الله في دعائه أن يجعله نوراً لما علم أن الله هو النور، وعلم أن النور الأدنى يندرج في النور الأعلى، وعلم أنّ الحق هو جميع ما يكون به العبد عبداً من جميع الوجوه، وأنه من حيث هويته لا نعت له ولا صفة فعلم أن نسبة النعتية إليه، والصفة ما هو غير الحق لا من حيث صفة الحق بل من هويته ولا يذكر العبد بهويته وإنما يذكر بما يقوم به من الصفات وليست إلا هوية الحق فقوله: «واجعلني نوراً» عين قوله: «واجعلني أنت» وأنت لا يكون بالجعل فقال له: أقمني في علم شهود أني أنت حتى أتميز عن غيري من هو يأت العالم فأعلمهم وأعلم من أنا وهم لا يعلمون، وإذا كان الأمر على هذا فما اندرج نور في نور وإنما هو نور واحد في عين صورة خلق، فانظر ما أعجب هذا الاسم فالخلق ظلمة ولا يقف للنور فإنه ينفرها، والظلمة لا ترى النور وما ثم نور إلا النور الحق، فلهذا قال ﷺ: «نور أني أراه»

Marfat.com

فإنه ما رآه مني إلا هويته وظلمتي لا تدركه، وهذا سر خفيّ عن إدراك الأدلة النظرية وعن إدراك الشهود في الصور وهو من أسنى العلوم الإلهية الواضحة فلم يدركها من العبد إلا هو، فهو العلم والعالم والمعلوم في هذه المسألة.

ولما فصل الإضافة إلى السموات وهو ما غاب من القوى وعلا وإلى الأرض وهو ما ظهر من القوى الحسية ودنا قال الله تعالى: إنه عين نفورها عن ذاتها فلم يشهد إلا هو فهو عين السموات والأرض، ولم نقل كما قال فيه المفسر معناه منوّر أو هاد فذلك له اسم خاص وهو الهادي الذي هداهم لإباية حمل الأمانة وإلى الإتيان بالطاعة لأمره، فهو من باب إجابة الأسماء للأسماء إذا دعا بعضها بعضاً فذلك علم آخر إلهي، وأما هنا فما قال إلا أنه ﴿نور السموات والأرض﴾ والنور النفور، ويؤيد ذلك التشبيه بالمصباح على الوصف الخاص فإن مثل هذا النور المصباحيّ ينفر ظلمة الليل بل هو عين نفور ظلمة الليل مع بقاء الليل ليلاً، فإنه ليس من شرط وجود الليل وجود الظلمة وإنما عين الليل غروب الشمس إلى حين طلوعها سواء أعقب المحل نور آخر سوى نور الشمس أو ظلمة، فوقع الغلط في ماهية الليل ما هي ولهذا قال: ﴿والليل إذا سجى﴾ فلو كان عين الليل عين الظلمة ما نعته بأنه أظلم فقد يكون الليل ولا ظلمة، كما أنه قد يكون النهار ولا ضوء، فإن النهار ليس إلا زمان طلوع الشمس إلى غروبها وإن طلعت مكسوفة فلا يزول الحكم عن كون النهار موجوداً، فإن قيل: ما سمى النهار نهاراً إلا لاتساع الضوء فيه. قلنا: وإن كان فلا يقدح فيما ذهبنا إليه من ماهية النهار فإنّ ذلك الكسوف أمر عارض لا يقدح في طلوع الشمس ولو أظلمت في نفسها فكيف وعلة الكسوف لها معلوم، والله يقول الحق وهو يدي السبيل.

الباب السابع والعشرون وأربعمائة

في معرفة منازلة قاب قوسين

ما قاب قوسين إلا قطرة دائرة ... تعطي التميز بين الكون والله
فمن يعاين غيناً لا تغايرها ... عين فذاك دنوّ العالم الساهي
وهو الذي فيه أو أدنى وفيه له ... أسرار علم ولا تدري النهى ما هي
الشك يظهر في سلطان أو فلها ... حكم المقرب ذي السلطان والجاه
فهذه آية في النجم قد نزلت ... دلت على كون أمثال وأشباه

Marfat.com

وكل من جئته يدريه مختبراً عقداً وفعلاً لدى التعيق والباه
وذاك حين تجلى صورة دائرة يقول باللفظ أنت الآمر الناهي

قال الله تعالى: ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ إشارة إلى التقريب الصوري ورد في الخبر النبوي أن رسول الله ﷺ يقول: «لو دليتم بحبل لهبط على الله» وقال تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وقال ﷺ: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة في الثلث الباقي من الليل» الحديث، فحير العقول الضعيفة ونبه العقول المعتكفة على باب حضرته فعلمت ما أراد ولو استزدته لزاد كما قال: ﴿ثم دنا﴾ في إسرائه إلى السموات ليريه من آياته ﴿فتدلى﴾ فقوى ذلك منبهاً ومشيراً على أنه عين الحبل الوارد المذكور في الخبر، فدل أن نسبة الصعود والهبوط على السواء في حقه، فجمع بين خبر صاحب الحوت وصاحب الإسراء أنه لم يكن واحد منهما بأقرب إلى الحق من الآخر، فهي إشارة إلى عدم التحيز وأن الذات مجهولة غير مقيدة بقيد معين، فكان من آياته التي أراه ليلة إسرائه كونه تدلى في حال عروجه، وهذا عين ما أشار إليه أبو سعيد الخراز في قوله عن نفسه: ما عرفت الله إلا بجمعه بين الضدين ثم تلا: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾ فكان بهويته في الجميع في حال واحدة بل هو عين الضدين، فلولا أنت ما كان دنو ولا تدل:

فلا دنو ولا تدل ولا عروج ولا هبوط
فهذه إن نظرت فيها محققاً كلها خطوط

فأنت من حيث هويتك لا نعت لك ولا صفة، قيل لأبي يزيد: كيف أصبحت؟ فقال: لا صباح لي ولا مساء إنما الصباح والمساء لمن تقيد بالصفة وأنا لا صفة لي فإني بكيت زماناً وضحكت زماناً وأنا اليوم لا أضحك ولا أبكي، والصعود والهبوط نعت، فلا صعود للعبد ولا هبوط من حيث عينه وهويته، فالصاعد عين الهابط فما دنا إلا عين من تدلى، فإليه تدلى ومنه دنا فكان ﴿قاب قوسين﴾ وما أظهر القوسين من الدائرة إلا الخط المتوهم، وكفى بأنك قلت فيه المتوهم والمتوهم ما لا وجود له في عينه، وقد قسم الدائرة إلى قوسين فالهوية عين الدائرة وليست سوى عين القوسين، فالقوس الواحد عين القوس الآخر من حيث الهوية وأنت الخط القاسم المتوهم، فالعالم في جنب الحق متوهم الوجود لا موجود، فالموجود والوجود ليس إلا عين الحق وهو قوله: ﴿أو أدنى﴾ فالأدنى رفع هذا المتوهم، وإذا رفع من الوهم لم يبق سوى دائرة فلم تتعين القوسان، فمن كان من ربه في

Marfat.com

القرب بهذه المثابة أعني بمثابة الخط القاسم للدائرة ثم رفع نفسه منها ما يدري أحد ما يحصل له من العلم بالله وهو قوله تعالى: ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ وما عين لنا في الذكر الحكيم ما أوحى ولا ذكر رسول الله ﷺ ما أوحى في ذلك القرب به إليه، فكان التلقي في هذا الموطن تلقياً ذاتياً لا يعلمه إلا من ذاقه، وليست في المنازلة منازلة تقتضي التقاء النقطة بالمحيط إلا هذه المنازلة، فإنه إذا التقى المحيط بالنقطة ذهب ما بينهما فذلك ذهاب العالم في وجود الحق، ولم تتميز نقطة من محيط بل ذهب عين النقطة من كونها نقطة وعين المحيط من كونه محيطاً فلم يبق إلا عين وجودية مذهبة حكمها وحكم ما ينسب من العالم إليها ذهاباً كلياً عاماً عيناً وحكماً، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثامن والعشرون وأربعمائة

في معرفة منازلة الاستفهام عن الأنيتين

إذا ما كنت عيني في وجودي ... وكل أين قواي أنا وأنتا
فإما أن يكون الشان عيني ... وإما أن يكون الشان أنتا
وإما أن أكون أنا بوجه ... ومن وجه سواه تكون أنتا
فأنت الحرف لا يقرا فيدري ... وأنت محير الحيران أنتا
أرى عجزاً وذاك العجز عيني ... وجهلاً بالأمور فأين أنتا
فما أقوى على تحصيل علم ... ولا تقوى على التوصيل أنتا
فحرنا في وجود الحق عجزاً ... وحرت وعزة الرحمن أنتا
فزال أنا وهو والأنت فانظر ... إلى قولي إذا ما قلت أنتا
فمن أعني بأنت ولست عيني ... ولا غيري فحرت بلفظ أنتا
لأني لا أرى مدلول لفظي ... ولا أنا عالم من قال أنتا
أرى أمراً تضمنه وجودي ... وأنت تغار منه وليس أنتا
فإن زلنا تقول فعلت عبدي ... فتثبتنا بأمر ليس أنتا
فقل لي من أنا حتى أراه ... فأعرف هل أنا أو أنت أنتا
فلولا الله ما كنا عبيداً ... ولولا العبد لم تك أنت أنتا
فأثبتني لنثبتكم إلهاً ... ولا تنفي الأنا فيزول أنتا

Marfat.com

قال الله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ فهذا إثبات الأنيتين وإثبات حكمهما، ثم نفى الحكم عن إحداهما بعد إثباته وهو الصادق القول. فاعلم أن أنية الشيء حقيقته في إصطلاح القوم فهي في جانب الحق ﴿أني أنار بك﴾ وفي جانب الخلق الكامل ﴿إني رسول الله﴾ فهاتان أنيتان ضبطتهما العبارة وهما طرفان، فلكل واحدة من الأنيتين حكم ليس للأخرى:

وذاك الـذي قـالـوا وذاك الـذي عنـوا ... ومـــا ثـــم إلا اللـــه ليـــس ســـواه
وكلـف والتكليـف يطلـب حـادثـا ... ويطلـب مـن يـدري ومـا ثـم إلا هـو

فالأنية الإلهية قائلة، والأنية القابلة سامعة، وما لها قول إلا بالتكوين، فلا يقال لأنية الخلق في حال وجودها، وما القول إلا لمن هو في حال العدم فلا تكليف إلا في المعدوم لعدم نسبة الإيجاد للحادث، فلا يقال للمنفعل انفعل فقد انفعل بقبوله الوجود، ولا إيجاد يكون عنه فلا قول له، وما ثم عبث فإذا كلف قال لما كلف به ﴿كن﴾، في حال عدمه ﴿فيكون﴾ في محل هذا الحادث فينسب إليه وليس إليه، فلهذا كانت الأنيتان طرفين فتميزتا إلا أن لأنية الحادث منزلة الفداء والإيثار لجناب الحق بكونها وقاية، وبهذه الصفة من الوقاية تندرج أنية العبد في الحق اندراجاً في ظهور وهو قوله تعالى: ﴿إنني أنا الله﴾ فلولا نون العبد التي أثر فيها حرف الياء الذي هو ضمير الحق فخفض النون فظهر أثر القديم في المحدث، ولولا ه لخفضت النون من أن وهي أنية الحق كما أثرت في قوله: ﴿إني أنا ربك﴾ فإنه لا بد لها من أثر فلما لم تجد أنية العبد التي هي نون الوقاية أثرت في أنية الحق فخفضتها ومقامها الرحمة التي هي الفتح، فما أزاله عن مقامه إلا مو ولا أثر فيه سواء، فأقرب ما يكون العبد من الحق إذا كان وقاية بين أنية الحق وبين ضميره فيكون محصوراً قد أحاط به الحق من كل جانب وكان به رحيماً لبقاء صفة الرحمة فبابها مفتوح وبها حفظ على المحدث وجود فبقي عين نون الوقاية الحادثة في مقام العبودية الذي هو الخفض المتولد عن ياء ضمير الحق فظهر في العبد أثر الحق وهو عين مقام العبد الذلة والافتقار، فما للعبد مقام في الوصلة بالحق تعالى أعظم من هذا حيث له وجود العين بظهور مقامه فيه وهو في حال اندراج في الحق محاط به من كل جانب فعرف نفسه بربه حين أثر فيه الخفض فعرف ربه حين أبقاه على ما هو عليه من الرحمة فإنه الرحمن الرحيم، فما زال عنه الفتح بوجود عين العبد فلا يشهده أبداً إلا رحماناً ولا يعلمه أبداً إلا مؤثراً فيه، فلا يزال في عبوديته قائماً

Marfat.com

وهذا غاية القرب، ولما حار أبو يزيد في القرب من الله قبل أن يشهد هذا المقام قال لربه: يا رب بماذا أتقرب إليك؟ فقال: بما ليس لي، فقال: يا رب وما ليس لك وكل شيء لك؟ فقال: الذلة والافتقار، فعلم عند ذلك ما لأنية الحق وما لأنية العبد، فدخل في هذا المقام فكان له القرب الأتم فجمع بين الشهود والوجود إذ كان كل شيء هالك، فإن الشهود عند القوم فناء حكم لا فناء عين، وفي هذا المقام شهود بلا فناء عين، وهو محل الجمع بيننا وبين الطائفة وبلا فناء حكم فإنه أبقى للحق ما يستحقه من الفتح الرحموتيّ إذ لولاه أعني لو لا هذا القرب المعين لعاد الأثر على أنية الحق، ولهذا أظهر في ﴿إني أنا ربك﴾ ليعلم أن الأثر إذا صدر من الحق لا بدّ له من ظهور حكم وما وجد إلا الحق فعاد عليه فجاء العبد فدخل بين الأنية الإلهية والمؤثر فعمل فيه:

فــأنيــة الخلــق مضبــوطــة ... وأنيــة الحــق مــا تنضبــط
فيــأخــذ مــن ذا ويعطيــه ذا ... وكــل بــأحــوالــه مغتبــط
فــربــط الــوجــود بعيــن الشهــو ... د مقــام جليــل لمــن يــرتبــط
وليــس ينــال مقــام الــدنــوّ ... عبيــد إذا ســرّه قــد شحــط

وما فرحت بشيء قط مما وهبنيه الحق من المنح التي تقبلها الأكوان فرحي بهذا المقام إذ حلاني به ربي وهو أعلى المقامات وأسناها، وهو مقام كل ما سوى الله ولا يشعر به، وليست العناية من الله ببعض عباده إلا أن يشهده هذا المقام من نفسه، فما يزيد على العالم كله إلا بالعلم به حالاً وذوقاً، ولا يجني أحد ثمرة الإيثار مثل ما يجنيها صاحب هذا المقام، فإن ثمرة الإيثار على قدر من تؤثره على نفسك، والذي تؤثره على نفسك هنا إنما هو الحق فينسب إليك الفرح بما تجنيه من ثمرة هذا الإيثار على صورة نسبة الفرح إلى الحق، فانظر ما أعظمها من لذة وابتهاج، وهذا أخصر ما يمكن من الإبانة عن هذا المقام، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب التاسع والعشرون وأربعمائة

في معرفة منازلة من تصاغر لجلالي نزلت إليه ومن تعاظم عليّ تعاظمت عليه

يعامل الحق بما يعامل ... فاحذر فما أنت له مقابل
وكن له عيناً ولا نكن به ... فإنه ليس له مماثل
من حارب الله يرى صرعته ... بعينه فالبطل المنازل
هو الذي يرمي السلاح والذي ... له من الله به المنازل
قد قال طيفور بأن بطشه ... أشد والقول بذاك نازل
فكونه فينا وجود ثابت ... وكوننا فيه وجود حاصل

قال الله تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ لأنه قال: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ وما خص مؤمناً من غير مؤمن، فإذا كان العبد على مقامه الذي هو عينه مسلوب الأوصاف ولم يظهر منه تلبس بصفة محمودة ولا مذمومة فهو على أصله وأصله الصغار، ويريد الحق ظهور الصفات فيه، فلا بد أن ينزل إليه من هويته التي تقتضي له الغنى عن العالم فإن الله غنيّ عن العالمين، والنبيّ ﷺ يقول يوم بدر لربّه تعالى: «**إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد اليوم**» فلو قال مثل هذه المقالة غير رسول الله ﷺ لقال المنكر ما شاء مما يليق به من حيث إنكاره لجهله، ومثل هذه النفحات تهب على قلوب العارفين من أهل الله فإن نطقوا بها كفرهم المؤمن وجهلهم صاحب الدليل:

فالحمد لله الذي قد وهب ... والحمد لله الذي قد عصم
فلم يقل ما شأنه قوله ... وهو الذي قال به من عصم
فيحجب الله به من حرم ... ويشهد الله به من رحم

ورد في الخبر: «**أنه من تواضع لله رفعه الله**» وهو عين نزول الحق إليه ﴿ومن تكبر على الله وضعه الله﴾ وما وضعه إلا بشهود عظمته فإنه تعالى العليّ العظيم. ولما قال ﷺ: «**إنما هي أعمالكم تردّ عليكم**» علمنا أنا ما نرى من الحق إلا ما نحن عليه، فمن شاء فليعمل

Marfat.com

ومن شاء لا يعمل، وهذه كلمة نبوية حق كلها فإن العمل ما يعود إلا على عامله وقد أضاف الأعمال إلينا، فمن علم منا من هو العامل منا علم من يعود إليه العمل في الرد، وهذا القدر من الإشارة في هذا الحديث كاف. ولما كان الله هو الكبير المتكبر علمنا نسبة الكبر إليه وتحير من تحير في نسبة التكبر إليه، فلو علم نزول الحق لعباده إذ ليس في قوة الممكن نيل ما يستحقه الحق من الغنى عن العالم وفي قوة الحق مع غناه من باب الفضل والكرم للنزول لعباده لعلمنا تلك النسبة، فإن جهل أحد من العباد قدر هذا النزول الإلهي وتعاظم العبد في نفسه لنزول الحق له ولم يعلم أن نزول الحق لعباده ماهو لعين عباده وإنما ذلك لظهور أحكام أسمائه الحسنى في أعيان الممكنات فما علم أنه لنفسه نزل لا لخلقه كما قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ فما خلقهما إلا من أجله، والخلق نزول من مقام ما يستحقه من الغنا عن العالمين، فالمتخيل من العباد خلاف هذا وأنه تعالى ما نزل إلا لما هو المخلوق عليه من علو القدر والمنزلة فهذا أجهل الجاهلين، فأعطى الحق هذا النزول أو ما توهمه الجاهل أن يتسمى الحق بالمتكبر عن هذا النزول ولكن بعد هذا النزول لا قبله وجوداً وتقدير الأبد من ذلك فالكبير ليس كذلك، وسيرد تحقيق هذا الفصل في آخر الكتاب في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة إن شاء الله تعالى، فهذه المنازلة تعطيك أن الحق مرآة العالم فلا يرون فيها غير ما هي صورهم عليه وهم في صورهم على درجات، فهذا حصر لباب هذه المنازلة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثلاثون وأربعمائة

في معرفة منازلة إن حيرتك أوصلتك إليّ

كـــل مـــن حـــار وصـــل والـــذي اهتـــدى انفصـــل
وهـــو نعـــت ثـــابـــت للـــذي عـــز وجـــل
وهـــو نعـــت حـــاصـــل لعبيـــد قـــد عقـــل
فـــإذا قـــال فتـــى انـــه اهتـــدى غفـــل
وتـــراه زاهيـــاً فـــي حلـــى وحلـــل
كـــاشفـــاً عـــورتـــه مثـــل مـــا جـــاء المثـــل

Marfat.com

المثل قوله عليه الصلاة والسلام: «رب كاسية عارية» قال الله تعالى في الحيرة: ﴿ما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون﴾ ومن باب الحيرة ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ ﴿وما رميت إذ رميت﴾ وكذلك ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ والقتل ما شوهد إلا من المخلوق، فنفى ما وقع به العلم الضروري في الحس، قال رسول الله ﷺ في هذه المنازلة: «لا أحصي ثناء عليك» وهذا مقام عزة الحيرة «أنت كما أثنيت على نفسك» وهذا حال الوصول. وقال الصديق في هذه المنازلة العجز عن درك الإدراك إدراك، فتحير فوصل فالوصول إلى الحيرة في الحق هو عين الوصول إلى الله، والحيرة أعظم ما تكون لأهل التجلي لاختلاف الصور عليهم في العين الواحدة، والحدود تختلف باختلاف الصور، والعين لا يأخذها حد. ولا تشهد كما أنها لا تعلم، فمن وقف مع الحدود التابعة للصور حار، ومن علم أن ثم عيناً هي التي تتقلب في الصور في أعين الناظرين لا في نفسها علم أن ثم ذاتاً مجهولة لا تعلم ولا تشهد، فتحصل من هذا أن العلماء بالله أربعة أصناف: صنف ما له علم بالله إلا من طريق النظر الفكري وهم القائلون بالسلوب. وصنف ما له علم بالله إلا من طريق التجلي وهم القائلون بالثبوت والحدود. وصنف ثالث يحدث لهم علم بالله بين الشهود والنظر فلا يبقون مع الصور في التجلي ولا يصلون إلى معرفة الذات الظاهرة بهذه الصور في أعين الناظرين الصنف الرابع ليس واحداً من هؤلاء الثلاثة ولا يخرج عن جميعهم وهو الذي يعلم أن الله قابل لكل معتقد كان ما كان ذلك المعتقد، وهذا الصنف ينقسم إلى صنفين: صنف يقول عين الحق هو المتجلي في صور الممكنات، وصنف آخر يقول أحكام الممكنات وهي الصور الظاهرة في عين الوجود الحق، وكل قال ما هو الأمر عليه، ومن هنا نشأت الحيرة في المتحيرين وهي عين الهدى في كل حائر، فمن وقف مع الحيرة حار ومن وقف مع كون الحيرة هدى وصل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الأحد والثلاثون وأربعمائة

في معرفة منازلة من حجبته حجبته

حجاب العبد منه وليس يدري ... بأن وجوده عين الحجاب
فيا قوم اسمعوا قولي تفوزوا ... بما قد قال في أم الكتاب
فلفظة نستعين قد أظهرتنا ... وأفعالي وعيني في تباب
فنحن التائهون بكل قفر ... ونحن الواقفون بكل باب

قال الله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ فإذا خاطبهم ما يخاطبهم إلا بما تواطؤوا عليه، وإذا ظهر لهم في فعل من الأفعال فلا يظهر لهم إلا بما ألفوه في عاداتهم، ومن عاداتهم مع الكبير عندهم إذا مشى أن يحجبوه، ومعناه أن يكونوا له حجبة بين يديه كما قال: ﴿نورهم يسعى بين أيديهم﴾ وسبب ذلك أن الكبير لو تقدم الجماعة لم يعرف ولم تتوفر الدواعي إلى تعظيمه، فإذا تقدم الحجاب بين يديه طرقوا له وتأهّبت العامة لرؤيته وحصل في قلوبها من تعظيمه على قدر ما يعرفونه من عظمة الحجبة في نفوسهم فيعظم شأنه، فإذا أراد الله تعظيم عبد عند عباده عدل به عن منزلته وكساه خلعته وأعطاه أسماءه وجعله خليفة في خلقه وملكه أزمة الأمور وحمل الغاشية بين يديه كما يحمل الملك الغاشية بين يدي ولي عهده، وإن كان في المنزلة أعظم منه ولا بد لمن هذه حالته أن يعطي المرتبة حقها فلا بد أن ينحجب عن رتبة عبوديته، وعلى قدر ما ينحجب عنها ينحجب عن ربه ولا يمكن إلا هذا فإن الحضرة في الوقت له والوقت وقته والحكم للوقت في كل حاكم، ألا ترى الحق يقول عن نفسه أنه ﴿كل يوم في شأن﴾ فهو بحسب الوقت لأنه لا يعطي إلا بحسب القابل فالقبول وقته حتى يجري الأمور على الحكمة، ولما كان الوقت لصاحبه حكم عليه بما يظهر به. وقال ﷺ: «**لا يؤمن الرجل في سلطانه ولا يقعد على تكرمته إلا بإذنه**» ولو كان الخليفة بنفسه إذا دخل دار أحد من رعيته فالأدب الإلهي المعتاد يحكم عليه بأن يحكم عليه رب البيت فحيثما أقعده قعد ما دام في سلطانه، وإن كان الخليفة أكبر منه وأعظم ولكن حكم المنزل حكم عليه فرده مرؤوساً، ألا ترى أن وجود العبد وأعني

Marfat.com

به العالم ما ظهر إلا بوجود الحق وإيجاده لأن الحكم له ثم تأخر المتقدم وتقدم المتأخر فلم يظهر للعلم بالله عين حتى أظهره العلم بالعالم فكان ذلك جزاء الإيجاد وعاد ذلك الجزاء على العالم بذلك الناظر فيه إذ لم يكن الحق محلاً للجزاء، فعاد عمل العبد عليه كما عاد عمل الحق على الحق بما وقع به الثناء عليه من المحدثات، وقد اتفق العارفين من أهل زماننا فقال لي أبو البدر: دخلت على الواحد منهما بميافارقين فذكرت له شأن العارف الذي ببغداد فقال لي: إنه من جملة من يمضي أمري فيه، قال: فجئت إلى العارف الآخر ببغداد فقلت له: إني أدخلت بميافارقين على الوكاف فذكرت له شأنك فقال لي: إني رأيته في جملة من يمضي أمري فيه من خولي، فقال: كذا يزعم والله لقد رأيته يحمل الغاشية بين يدي، قال أبو البدر: فحرت بينهما وكلاهما صادقان عندي فأزل عني هذه الغمة فقلت له رحمه الله: كل واحد منهما صدق وأن كل واحد منهما رأى صاحبه في سلطانه وفي محله والحكم لصاحب المحل فذلك كان حكم المحل لا حكم مراتبهما، وأما مقامهما فلا يعرف من هذا وإنما يعرف من أمر آخر، فسر بذلك وعرف أنه الحق، فينبغي للمنصف أن يعرف المواطن وأحكامها أين موطن الغضب الإلهي من موطن الرضا يفعل العبد فعلاً فيسخط ربه به عليه فهو جنى على نفسه، والحق بحكم ذلك الواقع بين عفو ومؤاخذة ويفعل ذلك العبد فعلاً يرضي به ربه فهو الذي أرضاه كما أسخطه، فالحق مع عباده بحسب أحوالهم غير هذا ما يكون، انظر في أحوال الخلق في الكثيب إذا نزلوا على الحق هنالك يتفرج العارفون فيما ذكرناه، فإذا عادوا إلى جنانهم وأهليهم وتجلى الحق لهم يتغير الحال منهم لكون المنازل لهم ومنزل الكثيب له إذا كان الحق سمعك وبصرك فقد نزل بك، فإن تأدّبت معه في النظر والاستماع بقي عندك، وإن أسأت الأدب رحل عنك، وصورة الأدب معه موجودة فيما شرع لك أن تعامله به، فإذا دخلت عليه في بيته وهو المسجد كان له الحكم فيك بسبب إضافة الدار إليه والحكم له، فأوجب عليك أن تحييه بركعتين وأن لا تعمل فيه ما لم يأذن لك في عمله فاعلم ذلك، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الثاني والثلاثون وأربعمائة

في معرفة منازلة ما ارتديت بشيء إلا بك فاعرف قدرك وذا عجب شيء لا يعرف نفسه

إن الـــرداء الـــذي لـــم يـــدر لابســـه هـــو الـــرداء الـــذي الـــرحمـــن لابســـه
بـــه تـــزيـــن عنـــد العـــالميـــن مـــن الأ رواح والمـــلأ القلبـــيّ حـــارســـه
فـــإن بـــدت منـــه أخـــلاق تحيـــد بـــه عـــن الهـــدى فـــرســـول الله سائســـه

قال الله تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ وقال: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾ وقال تعالى في الخبر عنه: «وسعني قلب عبدي المؤمن» فالأمر حق ظاهره صورة خلق فهو من وراء ما بدا، كما أن المرتدي من وراء ردائه فالعبد هو كبرياء الحق وعظمته فإنه قال: «الكبرياء ردائي» ولهذا كان المخلوق محل عظمة الله لأن العظمة صفة في المعظم لا في المعظم، ولو كانت في المعظم لما تعوّذ منه من لا يعرفه. قال الله لأبي يزيد لما خلع عليه أسماءه: أخرج إلى عبادي بصورتي فمن رآك رآني فلما خطا خطوة غشي عليه فقال: ردّوا عليّ حبيبي فإنه لا صبر له عني، فمن عرف نفسه عرف الله ومن عرف الله لم يعرف نفسه، والعلم بالله تعالى جهلك بك، والعلم بك علمك بالله فإنك منه، كما قال جميعاً منه ماهو منك وليس إلا معرفة المنزلة والقدر ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾ فأنت ﴿ليلة القدر﴾ لأنك من طبيعة وحق فشهد لك بعظم القدر قبل نزول القرآن عليك وأنت ﴿خير من ألف شهر﴾ أي خير من الكل لأنه منتهى العدد البسيط الذي يقع فيه التركيب إلى ما لا يتناهى، كذلك ما يخلق الله لا يتناهى دائماً فإنه خالق على الدوام، وجاء بالشهر لشهرة ذلك في كل شهر من الألف ليلة القدر لا بد من ذلك، فإن خير الشهور ما كان فيه ﴿ليلة القدر﴾ فهي ﴿خير من ألف شهر﴾ فيه ليلة القدر فهي جامعة لكل أمر فهي العامة في جميع الموجودات، فالعبد في هذه المنازلة حافظ محفوظ حافظ من حيث أنه يحفظ المرتدي به غيرة وصوناً، ومحفوظ من حيث أن المرتدي يحتاط عليه لئلا يضيع فإنه معرّض للضياع فإنه مخلوق، فلا بد له من حافظ هذا جزاء دوري فافهم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الثالث والثلاثون وأربعمائة

في معرفة منازلة انظر أي تجل يعدمك فلا تسألنيه فنعطيك فلا أجد من يأخذه

لا تطلبـــــــن تجليـــــــاً يفنيـــك عنـــك فـــإننـــي
أعطـــي ولســـت بـــآخـــذ لفنـــاء عينـــك فـــأثنـــي
عـــن مثـــل هـــذا وأطلبـــن أمـــراً عليـــه ينبنـــي
عيـــن البقـــاء ولا تكـــن بمـــا تسمـــى تكننـــي

قال الله تعالى: ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ اعلم أن البقاء والفناء لا يعقلان في هذا الطريق إلا مضافين، الفناء عن كذا والبقاء مع كذا، ولا يصح الفناء عن الله أصلاً فإنه ما ثم إلا هو فإن الاضطرار يردّك إليه، ولهذا تسمى تعالى لنا بالصمد لأن الكون يلجأ إليه في جميع أموره ﴿وإليه يرجع الأمر كله﴾ فلم يبق أن يكون فناؤك إلا عنك، ولا تفنى عنك حتى تفنى عن جميع الأكوان والأعيان أعني فناء أهل الله، فإن أتحفك الحق بتحفة منه تعالى فتحفه من جملة أكوانه فهي محدثه فتطلبك التحفة لتقبلها فتجدك فانياً عنها فعادت إلى معطيها فكان ذلك سوء أدب منك في الأصل حيث سألت ما قادك إلى مثل هذا فإن الله يعطي دائماً، فينبغي للعبد أن يكون قابلاً دائماً، فلا تسأل إن كنت من أهل الله إلا عن أمر إلهي أعني على التعيين وإلا فاسأل الله من فضله من غير تعيين. واعلم أن تجليات الحق على نوعين: تجل يفنيك عنك وعن أحكامك، وتجل يبقيك معك ومع أحكامك، ومن أحكامك ملازمة الأدب في الأخذ والعطاء، فمثل هذا التجلي فاسأل ما دمت في دار التكليف، فإذا انتقلت إلى غير هذا الموطن فكن بحسب ذلك الموطن، ولولا التكليف ما وقعت من الله وصية لأحد من عباد الله، فما أوصى العليم بالأمور إلا وقد علم أن للوصية أثراً في الأمور، وسيرد الكلام في تحقيق الوصايا في آخر باب من أبواب هذا الكتاب إن شاء الله، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الرابع والثلاثون وأربعمائة

في معرفة منازلة لا يحجبنك لو شئت فإني لا أشاء بعد فأثبت

إن المشيئة عرش الذات ليس لها — في غيرها نسبة تبدو ولا أثر
وهي الوجود فلا عين تغايرها — تفنى وتعدم لا تبقي ولا تذر
عزت فليس يرى سلطانها ملك — وليس يدركها في الصورة البشر
بكون آدم مخصوصاً بصورته — لأن فيه جميع الكون مختصر
له المقاليد في الأكوان أجمعها — له التنزل والآيات والسور
فمن تنزله إن قال ندركه — في صورة هي شمس الحق أو قمر
مع التنزه عن تشبيه خالقنا — وقد حوته بما قد قاله الصور

قال الله عز وجل: ﴿ما يبدل القول لديّ﴾ وإن عارضته المشيئة، وما في النسب أعجب منها الاستصحاب لولها، ولولها أثر ما لها أثر فهو حرف عجيب اعلم أنه ما اختص آدم بالخلافة إلا بالمشيئة ولو شاء جعلها فيمن جعلها من خلقه، قلنا: لا يصح أن تكون إلا في مسمى الإنسان الكامل، ولو جمعها في غير الإنسان من المخلوقات لكان ذلك الجامع عين الإنسان الكامل، فهو الخليفة بالصورة التي خلق عليها. فإن قلت: فالعالم كله إنسان كبير فكان يكفي. قلنا: لا سبيل فإنه لو كان هو عين الخليفة لم يكن ثم على من، فلا بد من واحد جامع صور العالم، وصورة الحق يكون لهذه الجمعية خليفة في العالم من أجل الاسم الظاهر يعبر عن ذلك الإمام بالإنسان الكبير القدر الجامع الصورتين، فبعض العالم أكبر من بعض الإنسان لا بالمجموع فإنه في الإنسان الكامل ما ليس في الواحد الواحد من العالم، فما هو بالمشيئة إلا في النوع الإنساني لكون هذا النوع فيه خلفاء ثم عم تأثيره في الجميع فيطلب من الحق أن يمده فيمده، وهذا أثر في الصورة الحقية، ويطلب أيضاً الأمر في العالم فيمضي، ثم أنه مؤثر فيه من العالم ومن الحق، فاختلط الأمر والتبس على أهل الله فطلب بعض العارفين الخروج من هذا الالتباس فأطلعه الله على صورة الأمر فرأى ما لا يمكن التلفظ به إلا لرسول قد عصم، فكن أنت ذلك الطالب حتى ترى ما رأيت فتقول كما قلنا:

Marfat.com

ملكتني ملك كسرى إذ تملك كن ... كوني فكنت بكن ملكاً ولم أكن
لكنني كنت كن والكون مملكة ... وكل كون لكم فالكون لم يكن

وهو قوله: ﴿وما أمرنا إلا واحدة﴾ ثم شبه الإمضاء بلمح البصر أو هو أقرب. وكذلك هو أقرب، فانظر حكمة الله تعالى في هذا التشبيه وما حوته تلك اللمحة من الكثرة في الوحدة فعندها تعرف ما هو الأمر فأثبت ولا تفشه تكن من الأمناء الأخفياء الأبرياء، واعلم أن قوله تعالى: ﴿لو شاء الله﴾ ﴿ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم﴾ يقتضي نفي العلم بكذا ونفي المشيئة عن الحق، كما يقتضي قوله: ﴿قد علم الله الذين يتسللون منكم لواذا﴾ وقوله: ﴿يريد الله بكم﴾ فأثبت العلم والمشيئة معاً لله، وعلم الله لا يخلو من أحد أمرين، وكذلك إرادته إما أن تكون صفة له قائمة به زائدة على ذاته وإن كان مثبتو الصفات يقولون لا هي هو ولا هي غيره، ولكن لا بد أن يقولوا بأنها زائدة كما يعتقده الأشعري، أو تكون عين ذاته إلا أن لها نسبة خاصة لأمر ما تسمى بتلك النسبة علماً، وهكذا سائر ما تسمى به مما يطلبه تعالى فما أثبت ولا نفى إلا تعلق العلم والإرادة، ولكن ما ورد الكلام إلا بنفي العلم بأمر ما والإرادة فتعلم قطعاً أن نفي العلم علم، وأن العلم تابع للمعلوم يصير معه حيث صار، ويتعلق به على ما هو عليه في نفسه وذاته لا ينتفي عنها الوجود، ولا كل ما ثبت له القدم من صفة وغيرها، فما بقي أن ينتفي إلا التعلق الخاص وهو أمر يحدث أو نسبة كيف شئت فقل، ولا يتوجه النفي والإثبات إلا على حادث أي على ممكن، سواء كان ذلك الحكم موصوفاً بالوجود أو بالعدم، فناب العلم هنا مناب التعلق حين نفيته بأداة لو في قوله: ﴿لو علم﴾ ﴿ولو شاء﴾ فما علم وما شاء، هذا هو الأمر الحادث المعين فقد علم أنه لو علم، ولا يقال أنه قد شاء أن يقول لو شاء فإن المشيئة متعلقها العدم، ولا يصح أن يحدث القول في ذات الله فإنه ليس بمحل للحوادث فلا يقال قد شاء أن يقول والتحقيق أنه ما أراد من المراد إلا ما هو المراد عليه من الاستعداد في حال العدم أن يكون به في حال الوجود أو يتصف به عند انتفائه عن الوجود أو انتفاء حكم الوجود عنه كيف شئت فقل.

ولما بان الفرقان بين المشيئة والعلم علمنا أنهما نسبتان لذات العالم والمريد، أو صفتان في مذهب من يقول بالصفات من المتكلمين، ولولا علمنا بالأصل الذي هوّن علينا سماع مثل هذا لكانت الحيرة في الله أشد، والأصل ما هو إلا أن الله تعالى. ﴿ما أرسل رسولاً إلا بلسان قومه﴾ لأنه يريد إفهامهم، فمن المحال أن يخرج في خطابه إياهم عما تواطؤوا

Marfat.com

عليه في لسانهم فوجد العاقل في ذلك راحة، وأما أهل الشهود فلا راحة عندهم في ذلك لما رأوه من اختلاف الصور على المشهود فما هم مثل أهل اللسان، وجاءت الطبقة العليا فقالت علمنا أن الشهود تابع للاعتقاد كما أن الخطاب تابع لما تواطأ عليه أهل ذلك اللسان فهان عليهم الأمر فرأوه في كل معتقد كما فهموه في كل لسان فما حاروا واهتدوا، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الخامس والثلاثون وأربعمائة

في معرفة منازلة أخذت العهد على نفسي فوقتاً وفيت ووقتاً على يد عبدي لم أف وينسب عدم الوفاء إلى عبدي فلا تعترض فإني هناك

وعدنا وأوعدنا فأما وعيدنا فأتركه إن شئت والوعد ناجز
فإني كريم والكريم نعوته كما قد ذكرنا والقضاء يناجز
فإن هم إنفاذ الوعيد لصدقه تلقاه قرم للسماح مبارز
فيردعه عن همه بنفوذه لأن له الرحمى فمنها يبارز
وليس يرى إلا نفاذاً لا مقصر جهول بما قلنا عن الحق عاجز

قال الله تعالى: ﴿إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً﴾ هذا في الوعد، وقال في الوعيد: ﴿يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ فاعلم أن هذه المنازلة هي قوله: إن رحمتي تغلب غضبي وهي قوله: ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾ فإذا وعد العبد وعداً وشاء الله أن يخلف ذلك العبد وعده وما عاهد عليه شاء من العبد أن يشاء نقض العهد، ولولا ذلك ما تمكن للمخلوق أن يشاء، فشاء العبد عند ذلك نقض العهد وإخلاف الوعد بمشيئة الله في خلق مشيئة العبد فهو قوله: ووقتاً لم أف، فلا تعترض على العبد فإنه مجبور في اختياره بمشيئتي، ولكن ينبغي لصاحب هذه المنازلة إذا رأى من وقع منه مثل هذا أن ينظر إلى خطاب الشرع فيه، فإن رأى أن ذلك المحل الظاهر منه مثل هذا من نقض العهد وإخلاف الوعد قد أطلق الحق عليه لسان الذم فيذمه بذم الحق فيكون حاكياً ولا يذمه بنفسه هذا هو الأدب وليس ذلك إلا في الخير، كما يقيم الحدود على المتعدي بأمر الحق لا بنفسه، ولهذا ليس للعبد أن يؤقت حداً ولا يشرعه. وأما في الوعيد إذا لم يكن حداً مشروعاً وكان لك

Marfat.com

الخيار فيه وعلمت أن تركه خير من فعله عند الله فلك أن لا تفي به وأن تتصف بالخلف فيه مثل قوله: من حلف على يمين فرأى خيراً منها فليكفر عن يمينه وليأتي الذي هو خير، قال تعالى: ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا﴾ قال الشاعر:

وإنــي إذا أوعــدتــه أو وعــدتــه　　لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

وإنما عوقب بالكفارة لأنه أمر بمكارم الأخلاق واليمين على ترك فعل الخير من مذام الأخلاق فعوقب بالكفارة، وهو عندنا على غير الوجه الذي هو عند العامة من الفقهاء فإن الله قد جعل لنا عيناً ننظره به، وهو أن المسيء في حقنا الذي خيرنا الله بين جزائه بما أساء وبين العفو عنه أنه لما أساء إلينا أعطانا من خير الآخرة ما نحن محتاجون إليه حتى لو كشف الله الغطاء بيننا وبين ما لنا من الخير في الآخرة في تلك المساءة حتى نراه عياناً لقلنا أنه ما أحسن أحد في حقنا ما أحسن هذا الذي قلنا عنه أنه أساء في حقنا، فلا يكون جزاؤه عندنا الحرمان فنعفو عنه فلا نجازيه ونحسن إليه مما عندنا من الفضل على قدر ما تسمح به نفوسنا فإنه ليس في وسعنا، ولا يملك مخلوق في الدنيا ما يجازى به من الخير من أساء إليه ولا يجد ذلك الخير ممن أحسن إليه في الدنيا، ومن كان هذا عقده ونظره كيف يجازى المسيء بالسيئة إذا كان مخيراً فيها؟ فلما آلى وحلف من أسيء إليه فما وفى المسيء حقه وإن لم يقصد المسيء إيصال ذلك الخير إليه ولكن الإيمان قصده فينبغي له أن يدعو له إن كان مشركاً بالإسلام، وإن كان مؤمناً بالتوبة والصلاح ولو لم يكن ثم إخبار من الله بالخير الأخرويّ لمن أسيء إليه إذا صبر ولم يجاز لكان المقرر في العرف بين الناس كافياً فيما في التجاوز والعفو والصفح عن المسيء فإن ذلك من مكارم الأخلاق، ولولا إساءة هذا المسيء إلى ما اتصفت أنا ولا ظهرت مني هذه المكارم من الأخلاق كما أني لو عاقبته انتفت عني هذه الصفات في حقه وكنت إلى الذم أقرب مني إلى أن أحمد على العقاب، فكيف والشرع قد جاء في ذلك بأن أجر من يعفو ويتجاوز ولا يجازى أنه على الله، فقد علمت أن قوله: وقتاً وفيت وقتاً لم أف أن ذلك راجع للوعد والوعيد بوجه، وراجع لما في خلق الله من الوفاء وعدم الوفاء من كونهم ما فعلوا الذي فعلوه إلا بمشيئة الله فهو با لأصالة إليه ولهذا قال: فلا تعترض إلا أن يكون الحق هو المعترض بأمره إياك أن تعترض فاعترض فإنه لا فرق عند ذلك بين أن تعترض أو تقيم الحد إذا كنت من أولي الأمر فيمن عين لك أن تقيمه حتى لو تركته لكنت عاصياً مخالفاً أمر الله، فالمؤمن العالم المستبرىء لنفسه لا يفوته

Marfat.com

أمثال هذه المشاهد والمواقف فإنه لا يزال باحثاً عن مكارم الأخلاق حتى يتصف بها ويقوم فيها قيام الأدباء الأمناء ويراعون الشريعة في ذلك، فربّ مكرمة عرفاً لا تكون مكرمة شرعاً، فلا تجعل استاذك إلا الحق المشروع، فإذا أمرك فامتثل أمره وإذا نهاك فانته عما نهاك، وإذا خيرك فاعمل الأحب إليه والأرجح، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السادس والثلاثون وأربعمائة

في معرفة منازلة لو كنت عند الناس كما أنت عندي ما عبدوني

لـو أن جنسك والأكوان أجمعها	يدرون منك الذي أدريه ما عبدوا
سواك إذ كنت مشهوداً لهم وأنا	غيب ولولا وجود الغيب ما جحدوا
إني حجبتك عن قوم بصورتك الدنيـ	ـا ولو علموا القصوى لماعبدوا
أو أنهم علموا الأسماء ما وقفوا	مع المثال ولو يصرفهم الجسد
ولا تغير أحوال تقوم بهم	ولا تراكب أضداد ولا عدد
وكل ذلك مخصوص بصورتنا	وليس ينكره في ذاتنا أحد
لكنهم غلطوا فينا وقام بهم	لمثلهم حين لم أعصمهمو حسد

قال الله عز وجل: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ وقال: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ وقال لبعض خلفائه ﴿ولا تتبع الهوى﴾ ومن هنا تعرف مراتب الناس من الخلفاء وأن الخلفاء يفضل بعضهم بعضاً. وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله خلق آدم على صورته وما خلقه حتى استوى على العرش وما استوى على العرش إلا الرحمن**» ولما عمت رحمة الله أبا يزيد البسطامي ولم ير للكون فيها أثراً يزيل عنها حكم العموم قال للحق: لو علم الناس منك ما أعلم ما عبدوك، وقال له الحق تعالى: يا أبا يزيد لو علم الناس منك ما أعلم لرجموك. فاعلم أن الذي يريد أن يستنيب في عباده من يقوم فيهم مقامه لا بد أن يكسوه صفته ونعته فيكون الخليفة هو الظاهر والذي استخلفه الباطن، فيكون كسور الأعراف باطنه فيه الرحمة لأنه الحق الذي غلبت رحمته غضبه وظاهره من قبله العذاب، فما العذاب في ظاهره وإنما العذاب قبله فيراه قبلاً ممن استخلف عليهم، وقد حد الحق حدوداً له يعاملهم بها ليكون إذا قام بها عند المؤمن بها وبه محموداً لا يتطرق إليه ذم كما لا يتطرق لمن استخلفه ﴿فمن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ فلا يذمه إلا من لا يعرفه ولا يعرف

Marfat.com

الله، فالراحم منا من له رحمتان: رحمة طبيعية وهي ذاتية له اقتضاها مزاجه، ورحمة موضوعة فيه من الله بخلقه على الصورة، وهذه الرحمة تتضمن مائة رحمة التي لله فإن لله مائة رحمة بعدد أسمائه، فإن له تعالى تسعة وتسعين اسماً ظاهرة وأخفى المائة للوترية فإنه يحب الوتر لأنه وتر، فلكل اسم رحمة، وإن كان من أسمائه المنتقم ففي انتقامه رحمة سأذكرها في باب الأسماء الإلهية من هذا الكتاب إن شاء الله، فللرحيم من العباد مائة رحمة ورحمة من أجل الوترية فإنه يحب الوتر لأنه يحب الله، ودرجات الجنة مائة درجة لكل درجة رحمة، وللنار مائة درك في كل درك رحمة مبطونة تظهر لمن هو في ذلك الدرك بعد حين فإن الغضب مغلوب بالرحمة مسبوق، فما يظهر في محل إلا والرحمة قد سبقته إلى ذلك المحل فيغالبها فتغلبه لأن الدفع أهون من الرفع، فلا حكم للغضب في المغضوب عليه إلا زمان المغالبة خاصة فإن هذا المحل هو ميدانهما فينال هذا المحل من المشقة فيما يطرأ بين الرحمة والغضب بقدر ما تدوم المحاربة بينهما إلى وقت غلبة الرحمة، وبالرحمة الطبيعية تقع الشفاعة من الشافعين لا بالرحمة الموضوعة، فإن الرحمة الإلهية الموضوعة يصحبها في العبد العزة والسلطان فهي لا عن شفقة، والرحمة الطبيعية عنها تكون الشفقة، ولو لم تصحب الرحمة الإلهية العزة وتنزه عن الشفقة ما عذب الله أحداً من خلقه أصلاً، فهذه الرحمة التي يجدها العبد على خلق الله هي حكم الرحمة الطبيعية لا الرحمة الموضوعة فإن الرحمة الموضوعة لا تقوم إلا بالخلفاء، ألا ترى الإنسان إذا رأى الخليفة يعاقب ويظلم ويجور على الناس كيف يجد الشفقة على المظلومين المعاقبين ويقول ما عنده رحمة ولو قمت أنا مقامه لرحمتهم ولرفعت هذا الظلم عنهم، فإذا ولي هذا القائل ذلك المنصب حجبه الله عن الرحمة الطبيعية التي تورث الشفقة وجعل فيه الرحمة التي تصحبها العزة والسلطان فيرحم بالمشيئة لا بالشفقة ولا للحاجة لأنه العزيز الغنيّ في نفسه فيظلم ويعاقب ربما أكثر من الآخر الذي كان يذمه على ذلك قبل حصوله في مقام الخلافة، فإذا قيل له في ذلك يقول: والله ما أدري إذا لم يكن عالماً فإني لا أجد في نفسي إلا ما ترون، والآن قام لي عذر الذي تقدمني فيما كان يفعله وكنت أجد عليه في ذلك وأخبرني صادق أن مثل هذا وقع من الإمام الناصر لدين الله رحمه الله أحمد بن الحسن مع أبيه المستضيء بحضور الوزير وأنه عتب مع الوزير في حق أبيه فلما أفضت إليه الخلافة ظهر منه ما ظهر من أبيه مما أخذه عليه فنبهه الوزير على قوله فقال: الحال الذي كنت أجده في ذلك الوقت ذهب عني وما أجد الساعة إلا ما ترى أثره والآن قام عندي عذر أبي رحمه الله.

Marfat.com

فمضمون هذه المنازلة أن الله أنشأ المحمدي على ما أنشأ عليه محمداً ﷺ فأنشأه بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، وأرسله رحمة للعالمين، حتى أن دعاءه على رعل وذكوان من الرحمة بهم لئلا يزيدوا طغياناً فيزدادوا من الله بعداً ومن رحمته قال: لأزيدنّ على السبعين، أو قال: لو علمت أن الله يغفر لهم لزدت على السبعين إذ قيل له: إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم، فلو عرف الناس من محمد ﷺ ما علم الله منه بما جبله الله عليه ما عبد الله أحد بما كلفه بل كان الناس يتبعون أهواءهم بعلم لأنّ الله ما أخذ من اتبع هواه إلا لكونه اتبع هواه بغير علم، فحرمان الجهل أوقع بهم، قال تعالى: ﴿بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم﴾ ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير علم﴾ وقوله تعالى لداود عليه السلام: ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ ولم يقل عن الله، وسبيل الله ما شرعه لدار القرار التي هي محل سعادتك، وأما تمام الآية فهو من أعجب الإشارة الإلهية لأهل الفهم عن الله وهو قوله: ﴿إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السابع والثلاثون وأربعمائة

في معرفة منازلة من عرف حظه من شريعتي عرف حظه مني فإنك عندي كما أنا عندك مرتبة واحدة

فمن كان لي كنت له ... كمثل ما هو لا أزيد
فالشرع غيب ظاهر ... له مقامات العبيد
يستخدم الكون كما ... يخدمه بلا مزيد
فمن يفي بعهده ... فهو وفي بالعهود
له النزول نحونا ... كما لنا عين الصعود
إليه في أعمالنا ... وهو الحفيظ والشهيد
فخصنا بلذة الكـ ... ـشف ولذات الشهود

قال الله تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ رأيت سائلاً يسأل شخصاً بوجه الله أو بحرمة الله عندك أعطني شيئاً ومعي عبد صالح يقال له مدوّر من أهل أسبجة ففتح الرجل صرة فيها قطع فضة

Marfat.com

صغار وكبار فأخذ يطلب على أصغر ما فيها من القطع فقال لي العبد الصالح: أتدري على ما يطلب؟ قلت له: قل، قال: على قيمته عند الله وقدره، فكلما أخرج قطعة كبيرة يقول بلسان الحال: ما نساوي مثل هذه عند الله فأخرج أصغر ما وجد فأعطاه إياها، إلا أن الله وصف نفسه بالغيرة وعلم من أكثر عباده أنهم يهبون جزيل المال وأنفسه في هوى نفوسهم وأغراضهم فإذا أعطى أكثرهم لله أعطى كسرة باردة وفلساً وثوباً خلقاً وأمثال هذا هذا هو الكثير والأغلب، فإذا كان يوم القيامة وأحضر الله ما أعطى العبد من أجله بينه وبين عبده حيث لا يراه أحد فأحضر ما أعطى لغير الله فيقول له: يا عبدي أليست هذه نعمتي التي أنعمت بها عليك؟ أين ما أعطيت لمن سألك بوجهي، فيعين ذلك الشيء التافة الحقير ويقول له: فأين ما أعطيت لهوى نفسك فيعين جزيل المال من ماله فيقول: أما استحييت مني أن تقابلني بمثل هذا وأنت تعلم أنك ستقف بين يدي وسأقررك على ما كان منك؟ فما أعظمها من خجلة، ثم يقول له: قد غفرت لك بدعوة ذلك السائل لفرحه بما أعطيته لكني قدر بيتها لك وقد محقت ما أعطيته لهوى نفسك فإن صدقتك أخذتها وربيتها لك فيحضرها إمام الأشهاد وقد رجع الفلس أعظم من جبل أحد، وما أعطى لغير الله قد عاد هباء منثوراً، قال الله تعالى: ﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات﴾.

فالعارفون بالله صغيرهم كبير وكبيرهم لا أعظم منه فإنهم لا يعطون لله إلا أنفس ما عندهم وأحقر ما عندهم فكلهم لله وكل ما عندهم لله العبد وما يملكه لسيده فيعطون بيد الله ويشاهدون يد الله هي الآخذة وهم مبرؤون في العطاء، والأخذ مع غاية الاستقامة والمشي على سنن الهدي والأدب المشروع، فيكونون عند الحق بمنزلة ما هو الحق في قلوبهم، يعظمون شعائر الله وحرمات الله فيعظمهم الله يوم يقوم الأشهاد بمرأى منهم ويقيم الآخرين على مراتبهم فذلك يوم التغابن فيقول فاعل الشر: يا ليتني فعلت خيراً، ويقول فاعل الخير: ليتني زدت، والعارف لا يقول شيئاً فإنه ما تغير عليه حال كما كان في الدنيا كذلك هو في الآخرة أعني من شهوده ربه وتبريه من الملك والتصرّف فيه، فلم يقم له عمل مضاف إليه يتحسر على ترك الزيادة منه وبذل الوسع فيه، وما كان منهم من زلل مقدر وقع منهم بحكم التقدير، فإن الله يتوب عليهم فيه بتبديله على قدر الزلة سواء لا يزيد ولا ينقص، فإن العارف في كل نفس تائب إلى الله في جميع أفعاله الصادرة منه توبة شرعية وتوبة حقيقية، فالتوبة المشروعة هي التوبة من المخالفات، والتوبة الحقيقية هي التبري من الحول والقوّة بحول الله وقوته، فلم يزل العارف واقفاً بين التوبتين في الحياة الدنيا في دار التكليف، فإن

Marfat.com

كان له اطلاع إلهي على أنه قد قيل له افعل ما شئت فقد غفرت لك فإن ذلك لا يخرجه عن تبريه ولم تبق له بعد هذا التعريف توبة مشروعة لأنه بين مباح وندب وفرض لا حظ له في مكروه ولا محظور، لأن الشرع قد أزال عنه هذا الحكم في الدار الدنيا، ورد ذلك في الخبر الصحيح عن الله في العموم وفي أهل بدر في الخصوص لكنه في أهل بدر على الترجي وفي وقوعه في العموم واقع بلا شك، فمن أطلعه الله عليه من نفسه بأنه من تلك الطائفة فذلك بشرى من الله في الحياة الدنيا قال الله تعالى: ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله﴾ هذا حال المؤمن المتقي فكيف بحال العارف النقي الذي ما لبس ثوب زور وما زال نوراً في نور، فمن حافظ على آداب الشريعة وأعطى الطبيعة ما أوجب الله عليه من حقها وما تعدى بها منزلتها كان من العارفين الأدباء وأصحاب السرّ الأمناء، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثامن والثلاثون وأربعمائة

في معرفة منازلة من قرأ كلامي رأى غمامتي فيها سرج ملائكتي تنزل عليه وفيه فإذا سكت رفعت عنه ونزلت أنا

كلامي ليس غيري وهو غيري ... وأن المثل للأمثال ضدّ
فقل للعارفين إذا قرأتم ... كلام الله فالوجدان فقد
دليلي في شهادته حروف ... وفي الغيب المعاني وهي حدّ
وأسبلت الستور فما رآه ... فعين القرب في التحقيق بعد
فمن قرأ القرآن فلا يفكر ... ولا ينظر فإن السمّ شهد

قال الله تعالىٰ في آية طالوت: ﴿وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم﴾ وأنزلها الله في قلوب المؤمنين من أمة محمد ﷺ، وبهذا وأمثاله كانت هذه الأمة المحمدية ﴿خير أمة أخرجت للناس﴾ قال الله عزّ وجلّ: ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين﴾ فما كان شهادة في غير هذه الأمة نزل غيباً في هذه الأمة فوجده أهل الأذواق في قلوبهم فكانت صفة من صفاتهم، وكانت فيمن تقدم هذه الأمة من الأمم أجنبية عنها، فعلامة هذه الأمة في قلوبهم استفت قلبك وإن أفتاك المفتون ومع كونها منزلة في

Marfat.com

قلوبهم ثم أشهدها الله تعالىٰ بعض أصحاب محمد ﷺ في تلاوته القرآن وكانت له فرس فجعلت تخبط فرفع رأسه فرأى غمامة فيها سرج كلما قرأ نزلت ودنت منه وإذا سكت ارتفعت، فلما ذكر ذلك لرسول الله ﷺ قال له رسول الله ﷺ: تلك السكينة نزلت للقرآن، فرأى هذا الصاحب ممثلاً خارجاً عنه ببصره ما كان فيه، فكان الحق له مرآة رأى صورة ما في قلبه فيها، فإن القرآن ذكر الله ﴿وبذكر الله تطمئن القلوب﴾ كذا ذكر الله لنا في كتابه العزيز، والطمأنينة سكينة أنزلها القرآن في قلوب المؤمنين، فكانت آيات بني إسرائيل ظاهرة وآياتنا في قلوبنا، وهذا الفرق بين الورثة المحمديين وسائر الأنبياء، فورثة الأنبياء يعرفون في العموم بما يظهر عليهم من خرق العوائد، ووارث محمد ﷺ مجهول في العموم معلوم في الخصوص لأنّ خرق عادته إنما هو حال وعلم في قلبه، فهو في كل نفس يزداد علماً بربه علم حال وذوق لا يزال كذلك.

وقد نبّه الجنيد على ذلك باختلاف أجوبته عن المسألة الواحدة من التوحيد في المجلس الواحد لاختلاف دقائق الزمان، ذكر ذلك القشيريّ في صدر رسالته المنسوبة إليه، وكلما ازداد المحمديّ علماً بربه ازداد قرباً فهم المقرّبون، وأحوالهم الظاهرة تجري بحكم العوائد فيعرفون ولا يعرفون، ويأتون بما أعطاهم الله من العلم به في طريق النصح لهذه الأمة، فلا تعرف العامة قدر ذلك لأنها اعتادت من علماء الرسوم مثل هذا إذا تكلموا في العلم بالله عزّ وجلّ من طريق الدليل ولم تفرق بين علم الدليل وبين علم الذوق، وأما علماء الرسوم فيكفرونهم غالباً مع كونهم يسلمونه لرسول الله ﷺ بعينه إذا نقل عنه في قرآن أو خبر إلهي وغير إلهي، فانظر ما أشدّ هذا العمى، ولولا أنّ رسول الله ﷺ بعثه رسولاً ما ظهرت عليه آية ظاهرة في العموم كما ظهرت على من تقدم، فما ظهر عنه ﷺ من الآيات المنقولة في العموم إنما كان ذلك من كونه رسولاً رفقاً من الله تعالىٰ بهذه الأمة وإقامة حجة على من كذبه وكذب ما جاء به، ألا ترى إلى رسول الله ﷺ كيف أسري به إلى المقام الذي قد عرف وجاء به القرآن والخبر الصحيح، فلما خرج إلى الناس بكرة تلك الليلة وذكر للأصحاب ما ذكر ممّا جرى له في إسرائه بينه وبين ربه تعالىٰ أنكر عليه بعض أصحابه لكونهم ما رأوا لذلك أثراً في الظاهر بل زادهم حكماً في التكليف، وموسىٰ عليه السلام لما جاء من عند ربه كساه الله نوراً على وجهه يعرف به صدق ما ادّعاه فما رآه أحد إلاَّ عمي من شدّة نوره، فكان يتبرقع حتى لا يتأذى الناظر إلى وجهه عند رؤيته. وكان شيخنا أبو يعزى بالمغرب موسويّ الورث فأعطاه الله هذه الكرامة فكان ما يرى أحد وجهه إلاَّ عمي فيمسح الرائي إليه

Marfat.com

وجهه بثوب ممّا هو عليه فيرد الله عليه بصره، وممّن رآه فعمي شيخنا أبو مدين رحمة الله تعالىٰ عليهما حين رحل إليه فمسح عينيه بالثوب الذي على أبي يعزى فردّ الله عليه بصره وخرق عوائده بالمغرب مشهورة وكان في زماني وما رأيته لما كنت عليه من الشغل، وكان غيره من الأولياء المحمديين ممّن هو أكبر منه في العلم والحال والقرب الإلهي لا يعرفهم أبو يعزى ولا غيره، فمن جعل الله آيته في قلبه وكان على بينة من ربه في قربه فقد ملأ يديه من الخير كله واختصه واصطنعه لنفسه وكساه الصفة الحجابية غيرة منه عليه، فلم تشهد حاله الأبصار في الدنيا وهم الأخفياء والأبرياء، فمن تحققهم بالحق وليسوا برسل مشرعين حجبهم الحق لاحتجابه إلى يوم القيامة، فيظهرهم الله في الموطن الذي يتجلى الله فيه لأبصار عباده ويظهر بنفسه وعينه للخاص والعام، فهناك يعرف قدر المحمديّ في القرب الإلهيّ بمقامه في تلاوته كلام ربّه عزّ وجلّ وهو سكونه لما يتلوه من كشفه وإطلاعه على معانيه، فهو في حال تلاوته يستذكر ما عنده فيطلع على نفسه ويسمعه الله نثر كلامه ونظمه بتأييد الروح القدسي لما جاء في النظم المسمّى شعراً من نفخ الشيطان إلاَّ مثل هذا النظم، وقد صحّ في الخبر أن حسان بن ثابت لما أراد أن يهجو قريشاً ينافح بذلك عن رسول الله ﷺ قال له رسول الله ﷺ: «**قل يا حسان فإن روح القدس يؤيّدك ما دمت تنافح عن عرض رسول الله**» فلم يجعل للشيطان عليه سبيلاً، وإذا كان هذا لمن ينافح فما ظنك بحال من ينطق عن الله بالله، فيكون القائل منه عند قوله ربّه عزّ وجلّ كما ورد في الصحيح أن الله قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده في الصلاة، والحاضرون ما سمعوا إلاَّ صوت المصلي وكلامه بهذا المتكلم به ما ينسبه الحق تعالىٰ جلاله إلاَّ إلى نفسه لا إلى المصلي، فاعلم أيها الوليّ الحميم ذلك تسعد إن شاء الله:

كلامي ليس غيري وهو غيري ... كما قلنا رميت وما رميتا
فيا نفسي إذا طلبت نفوس ... بمشهدك التحاماً قول هيتا
ولا تبخل فإن البخل شؤم ... وتعلو بالعطاء إذا علوتا
وكن حقاً ولا تظهر بزور ... وكن عين القرآن إذا تلوتا
لأن الله لم يسمع لعبد ... يناديه بما يتلوه صوتا
فإن يتلو بحق قال عبدي ... وكان خياله المشهود ميتا
لأن الحق ليس يراه حيّ ... لذا كتبوا على الأحياء موتا

Marfat.com

فكل من تلا وسكن لما تلا بصدق بصورة ظاهر وحكمة باطن فذلك تال وصاحب سكينة، فإن هو تلا وسكن ظاهراً ولم يسكن باطناً والسكون الباطن فهم المعنى الساري في الوجود من تلك الآية المتلوة لا يقتصر بها على ما تدل عليه في الظاهر خاصة، فمن تلا هكذا فليس بصاحب سكينة أصلاً ولا هو وارث محمديّ وإن كان من أمة محمد ﷺ، فإن تلا وسكن باطناً ولم يسكن ظاهراً وتعدّى الظاهر المشروع فذلك ليس بوارث ولا محمديّ ولا بمؤمن وهو أبعد الناس من الله، فإن الروح القدسيّ أوّل من يرميه ويرمى به والنبيّ محمد ﷺ يقول لربّه فيه يوم القيامة سحقاً سحقاً والله عند ذلك لا يسعده ولا يساعده، وأعظم حسرة تقوم به إذا عاين يوم القيامة من سكن إليه إذ لا تلاه ظاهراً وباطناً فيرى ما سكن إليه باطناً قد سعد به هذا الآخر وشقي هو به، وما شقى إلاّ بعدم سكون الظاهر فيفوته خير كثير حين فاته الإيمان به فإنه أتى البيت من ظهره لم يأته من بابه، جعلنا الله وإياكم ممّن تلا فسكن. وفي التلوين في تلاوته بحسب الآيات ثبت وتمكن، إنه الملي بذلك والقادر عليه، الله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب التاسع والثلاثون وأربعمائة

في معرفة منازلة قاب قوسين
الثاني الحاصل بالوراثة النبوية للخواص منا

قاب قوسين لنا من قبلنا	قاب قوسين لمن أسرى به
غير أني وارث مستخدم	ولذا نلناه منه فانتبه
فحلال وحرام بين	ما هنا بينهما من مشتبه
إنما الشبهة من قال أنا	عين من أسرى به ما أنا به
وهو يدري أنه وارثه	ليس يدري ذاك غير المنتبه

قال الله تعالىٰ: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ وقال ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء» وذكر أن الأنبياء ورثوا العلم ما ورثوا ديناراً ولا درهماً، فالوارث مستخدم بالمعنى من ورث منه ما جمعه غير أنّ الموروث في مثل هذا الورث ما نقصه شيء من علمه بوراثة الوارث منه ففارق ميراث الدينار والدرهم بهذه الحقيقة، والله يرث الأرض ومن عليها ممّا تعلق به علمه من العلم الإبتلائيّ، فهذا هو قدر

Marfat.com

ميراث الحق من عباده وهو قوله تعالىٰ: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم﴾ فاستخدمهم بما ابتلاهم حتى يعلم ﴿المجاهدين﴾ من عباده ﴿والصابرين﴾ ويبلو أخبارهم، وما عدى هذا النوع في حق الحق فهو علم لا علم وراثة، فكأن الورثة من طريق المعنى استخدموا من ورثوا منه العلم الذي حصله من الله بحكم الكسب ابتداء وبحكم التكليف، كل ذلك ورثوا منه الورثة من علماء الأمم، وممّا ورثوا منه قرب قاب قوسين وهو قولنا الثاني أعني الذي ينبغي للأولياء من هذا التقريب المحمدي ممّن قرب منه هذا القرب، فالأوّل من ذلك له ﷺ، والثاني للوارث وهو عينه، وإنما جعلناه ثانياً لكونه ما حصل له حتى تقدم به هذا الرسول المعين ﷺ فناله منه فهو في غاية البيان لا يقبل الشبه هذا العلم الموروث مثل ما يقبلها العلم النظري، ولهذا نبّه أبو المعالي لما ذكر النظر قال بحصول العلم عقيب النظر ضرورة، فلو كان ذلك العلم الحاصل عقيب النظر نتيجة النظر ضرورة لما قبل الدخل بعد ذلك ولا الشبهة مثل ما لا يقبل ذلك العلم الضروري، فتأوّلوا على إمام الحرمين ما لم يقصده بكلامه، وإنما أراد رضي الله عنه ما أردناه أنّ النظر جعله الله سبباً من الأسباب يفعل الأشياء عنده لا به، فإذا وفى النظر في الدليل حقّه خلق الله له العلم الضروري في نفسه ليس غير هذا، فاعتماده على العلم الضروري الذي لا يقبل الشبه، فإن لم يخلق له العام الضروري فهو العالم الذي يقبل الدخل فيما علمه فيعلم عند ذلك أنه ما علمه علماً ضرورياً، ولهذا ما يقبل الدخل إلاّ دليله لا ما يقول أنه علمه عقيب النظر فرجوعه أو توقفه عمّا كان أنتج له ذلك الدليل أخرجه أن يكون ذلك عنده علماً ضرورياً، فليفرق الوارث في علمه بربه بين ما يأخذه ورثاً وبين ما يأخذه ابتداء من غير ورث، فأي عامل من العاملين عمل بأمر مشروع له من نص لا من تأويل وحصل له عن ذلك العمل علم بالله فهو من العلم الموروث.

ثم أنه لا يخلو ذلك النص المعمول به هل كان شرعاً لمن قبل محمد ﷺ أو لم يكن إلاّ من الشرع المختص به لا من الشرع المقرّر الذي قرّره لأمّته ممّا كان الله قد تعبد به نبياً قبله، فوارث مثل هذا وارث من كان ذلك العمل شرعه من الأنبياء بلغوا ما بلغوا، ووارث أيضاً محمداً ﷺ فيه فهو وارث من وارث، فإن كان ممّا أختصّ به رسل الله ﷺ فالوارث وارث محمد ﷺ فيه خاصة لا ينتسب إلى غيره من الأنبياء عليهم السلام، ويتميز بذلك عن سائر ورثة علماء الأنبياء عليهم السلام قبله، ويحشر بذلك العلم في صفوف الأنبياء عليهم السلام وخلف محمد ﷺ، فإن نشأة الآخرة تشبه في بعض الأحكام النشأة البرزخية فترى

Marfat.com

نفسها وهي واحدة في صور كثيرة وأماكن مختلفة في الآن الواحد، فيرى نفسه إن كان ورث عن وارث خلف محمد ﷺ وخلف كل نبيّ كان ذلك العمل شرعاً له، ولو كانوا مائة ألف لرأى نفسه في أماكن على عددهم وفي صور، ويعلم أنه هو وليس غيره في كل صورة، وهو مع كونه واحداً عين كل صورة وهكذا يكون يوم القيامة، فإن النبي ﷺ يطلبه الناس في مواطن القيامة فيجدونه من حيث طلبهم في كل موطن يقتضيه ذلك الطلب في الوقت الذي يجده الطالب الآخر في الموطن الآخر بعينه، فمن لم يجده في طلبه في موطن ما فإنما ذلك لكونه طلبه في غير الموطن الذي يقتضيه طلبه، فإن طلبه في موطن اقتضى حاله الجهل لوجده، فذلك الجهل إذا وقع إن وقع فسببه ما ذكرناه وهو غير واقع والله أعلم.

ثم نرجع ونقول: وإن كان ذلك العمل الذي أقيم فيه العبد لا عن نص مشروع بل كان قلّد فيه مجتهداً من علماء الأمّة صاحب نظر وتأويل فيما حكم به لا عن نص من ذلك المجتهد اتبعه فإنه يكون يوم القيامة وارث ذلك المجتهد ومتبعاً إياه ومتبعاً أيضاً، والنبيّ ﷺ وإن كان ذلك في نفس الأمر شرعاً له كما تقدم، وإن كان العامل لا عن نص ولا عن تقليد بل كان عن نظر واجتهاد وتفقه فهذا لا يكون وارثاً في مثل هذه المسألة إلاّ إن أصاب الحكم فيها، فإن أصاب الحكم كان وارثاً وإن أخطأ الحكم لم يكن وارثاً ويحشر في صف من هذه صفته ولهم صف مخصوص، ثم هم في المواطن بحسب ما يكون عليه ذلك الحكم من مصادفة من تقدمه أنه شرع له، فتكون له صور متبعة خلف ذلك الموروث منه كان من كان والكل خلف محمد ﷺ، وتختلف مراتبه خلف رسول الله ﷺ وخلف الرسل عليهم السلام لاختلاف ما ظهر له في الذي عمل به، فإن انفرد به جملة عن كل رسول ونبيّ ومجتهد فإنه يكون أمة وحده كقس بن ساعدة قال فيه رسول الله ﷺ أنه يبعث يوم القيامة أمة وحده مع كونه خلف محمد ﷺ لا بدّ من ذلك من حيث أنه ﷺ أعطاه المادّة التي نظر فيها حتى انقدح له ما لم يخطر له إلاّ في تلك المسألة النازلة وأخطأ فيها حكم رسول الله ﷺ لا بدّ من ذلك بخلاف حكم المصيب، فتحقق هذه المنازلة فإنها غريبة في المنازلات قليل من أهل الله من تكون له فإنها تنبىء عن تحقيق عظيم وذق غريب ورفع إشكال، وليس يكون في القيامة أدل ولا أعرف بمواطن القيامة ولا بصور ما فيها أعظم من صاحب هذه المنازلة ولا تحصل إلاّ بالوهب الإلهيّ لمن حصلت له، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الأربعون وأربعمائة

في معرفة منازلة اشتد ركن من قوى قلبه بمشاهدتي

إن القـويّ الـذي مـا زال يشهـدنـي ... عند الشؤون وما في الحق من حرج
فمـن يعـانـدنـي فيمـا أفـوه بـه ... مـن الحقـائـق فليـرقـى علـى درجـي
ولـو يـراه لفـداه بنـاظـره ... وبـالنفـوس وبـالأرواح والمهـج
لكـن لـه حجـب علـى العيـون فهـم ... في الضيق في الملأ العلويّ في فرج
إنـي مـريـض عليـل القلـب مبتئـس ... فـي الـدل والمقلـة النجـلاء والـدعج
إنـي لفـي ظلمـات مـن تـراكمهـا ... غرقت من بحرها اللجيّ في اللجج
الناس في سيف هذا البحر في نعم ... أيـن السـواحـل يـا هـذا مـن الثبـج

قال الله عزّ وجلّ جلاله حكاية عن نبيه لوط عليه السلام إذ قال لقومه: ﴿لو أن لي بكم قوّة أو آوي إلى ركن شديد﴾ فقال رسول الله ﷺ في الصحيح عنه: «**يرحم الله أخي لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد**» يعني من القبيلة، فاعلم أن أقوى الأقوياء من كان الحق قواه ومع هذه القوّة بهذه الصفة، فما يكون إلاّ ما سبق به الكتاب، ولا كتب إلاّ ما علم، وما علم إلاّ ما هو عليه المعلوم ﴿فلا تبديل لكلمات الله﴾ ﴿وما يبدل القول لديه وما هو بظلام للعبيد﴾ فقوله: ﴿لو أن لي بكم قوّة﴾ أي همّة فعالة، ومن كان الحق قواه فلا همة تفعل فعل من هذه صفته لكن الأمر على ما قرّرناه من سبق الكتاب فلا يقع إلاّ ما هو الأمر عليه فأداة أو أنما أعطته عطاها الإمكان لا غير، فلو أراد بالقوّة إظهار الأثر الذي جاء به فيهم وأراد بالركن الشديد إذ لم يتمكن الأثر فيهم أن يحمي نفسه عنهم حتى لا يؤثروا فيه فلهذا ﷺ ذكر الأمرين: القوّة والإيواء، ولا شك أن الرسل عليهم السلام هم أعلم الناس بالله فلا يأوون إلاّ إلى الله وهو قوله ﷺ: «**يرحم الله أخي لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد**» يعني بذلك إيواءه إلى الله فأوى إلى من يفعل ما يريد، ولا اختيار في إرادته ولا رجوع عن علمه، فآوى إلى من لا تبديل لديه:

Marfat.com

فمـا الجبـر إلاّ ظـاهـر متحقـق فمـا ثـم تحييـر ومـا ثـم منقلـب
فـلا تهـربـن فـالأمـر مـا قـد سمعتـه فـإن لـم تـوافقـه فمـا ينفـع الهـرب
فعلـم إلهـيّ عيـن حـالـي فمـا أنـا عليـه فـأمليـه عليـه إذا كتـب
فـأنـت سبقـت القـول والعلـم والـذي يـؤدي إلـى الفـوز العظيـم أو العطـب

فلا ركن أشد من ركنك وما نفعك، وإنما قلنا إنك أشدّ الأركان من كون القضاء ما جرى عليك إلاّ بما كسبت يداك وهو ما أعطته قدرتك، فأضاف الفعل إليك وليس إلاّ ما قررناه من أنه ما علم منك إلاّ ما أنت عليه، فإذا وها ركنك بالنظر إلى غرضك فلم نفسك فإن الحق المحكوم به تابع أبداً لحال المحكوم به عليه، فالمحكوم عليه هو الذي جنى على نفسه لا الحاكم بالمحكوم به، وإنما تعددت الأركان من أجل الحجب التي أرسلها الحق بينك وبين الأصل، وكون الأمر جعله مثل البيت على أربعة أركان: ركن العلم، وركن القول وهو قوله عزّ جلّ: ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق﴾ وركن المشيئة، وركن الأصل وهو أنت، وهو الركن الأول من البيت والثلاثة الأركان توابع، فمن الناس من استند في حاله إلى علم الله فيه، ومنهم من استند إلى مشيئته، ومنهم من استند إلى ما كتب الله عليه، وصاحب الذوق من يرى جميع ما ذكرناه ووقف مع نفسه وقال: أنا الركن الذي مرجع الكل إليه، فهو الأول الذي انبنى من هذا البيت ولكن صاحبه عزيز فإن الصحيح عزيز، فالكل معلول عندهم وعندي أن العالم هو عين العلة والمعلول ما أقول أن الحق علة له كما يقوله بعض النظار فإن ذلك غاية الجهل بالأمر، فإن القائل بذلك ما عرف الوجود ولا من هو الموجود، فأنت يا هذا معلول بعلتك والله خالقك، فافهم واعلم أنه من أوجدك له لا لك ففي حق نفسه عمل لا في حقك فما أنت المقصود لعينك، قال عزّ وجلّ: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون﴾ فذكر ما ظهر وهو مسمّى الإنس، وما استتر وهو مسمّى الجن، فإذا نظرت إلى هذا الخبر وسعدت أنت بهذه الوجوه فإنما سعدت بحكم التبعية، فاعلم ما يقول له إذا قرر عليك النعم فإنما يقررها عليك لسان الإمكان، فإن شئت فاسمع واسكت وإن شئت فتكلم كلاماً يسمع منك، وليس إلاّ أن تقول له ما قاله، فبكلامه تحتج إن أردت أن تكون ذا حجة، وإن تأدبت وسكت فإنه يعلم منك على ما سكت وانطويت عليه، فما كل حق ينبغي أن يقال ولا يذاع، ولا سيما في موطن الإشهاد والخصم قويّ والحاكم الله ولا يحكم إلاّ بالحق الذي سأل منه رسول الله ﷺ أن يحكم به في قوله: ﴿قل رب احكم بالحق

Marfat.com

وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون﴾ ولولا ما هو الرحمن ما اجترأ العبد أن يقول: ﴿رب احكم بالحق﴾ فإنه تعالىٰ ما يحكم إلاّ بالحق فإنه ما يتعدّى علمه فيه الذي أخذه منه أزلاً وظهر حكمه أبداً، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الأحد والأربعون وأربعمائة

في معرفة منازلة عيون أفئدة العارفين ناظرة إلى ما عندي لا إليّ

لو كان عندك ما عندي لما نظرت — عيون أفئدة للعارفين سواك
فإن نظرت بعين الجمع تحظ بنا — وإن نظرت بأخرى كان ذاك هواك
ما في الوجود وجود غير خالقه — وما هنا عين شيء لا يكون هناك
بل كله عينه جمعاً وتفرقة — إن لم يكن هكذا كوني فليس بذاك

قال الله عزّ وجلّ في العارفين: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ممّا عرفوا من الحق﴾ ولم يقل علموا: ﴿يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾ ولم يقولوا علمنا ﴿وما لنا لا نؤمن بالله﴾ ولم يقل نعلم ﴿وما جاءنا من الحق ونطمع﴾ وما قالوا نتحقق ﴿أن يدخلنا ربنا مع القول الصالحين﴾ وهي الدرجة الرابعة ﴿فأثابهم الله بما قالوا﴾ ولم يقل بما علموا ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين﴾ والجنات عند الله، فلهذا قال ناظرة إلى ما عندي فإنه قال في حق طائفة آخرين: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ على أن تكون إلى حرف أداة غاية لا تكون اسم جمع النعمة فإن ذلك في اللفظ يحتمل ولهذا ما هي هذه الآية نص في الرؤية يوم القيامة، وإذا كان الأمر هكذا فاعلم أن الله قد فرّق بين العارفين والعلماء بما وصفهم به وميّز بعضهم عن بعض، فالعلم صفته والمعرفة ليست صفته، فالعالم إلهي والعارف رباني من حيث الاصطلاح، وإن كان العلم والمعرفة والفقه كله بمعنى واحد لكن يعقل بينهما تميز في الدلالة كما تميزوا في اللفظ، فيقال في الحق أنه عالم ولا يقال فيه عارف ولا فقيه، وتقال هذه الثلاثة الألقاب في الإنسان، وأكمل الثناء تعالىٰ بالعلم على من اختصّه من عباده أكثر ممّا أثنى به على العارفين، فعلمنا أن اختصاصه بمن شاركه في الصفة أعظم عنده لأنه يرى نفسه فيه فالعالم مرآة الحق ولا يكون العارف ولا الفقيه مرآة له تعالىٰ، وكل عالم عندنا لم تظهر عليه ثمرة علمه ولا حكم عليه علمه فليس بعالم وإنما هو ناقل والعلم يستصحب

Marfat.com

الرحمة بلا شك، فإذا رأيت من يدعي العلم ولا يقول بشمول الرحمة فما هو صاحب علم، فإن الرحمة تتقدم بين يدى العلم تطلب العبد ثم يتبعها العلم، هذا هو علم الطريق الذي درج عليه أهل الله وخاصته وهو قوله: ﴿آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً﴾ و هذا هو علم الذوق لا علم النظر.

واعلم أن العارفين هم الموحدون والعلماء وإن كانوا موحدين، فمن حيث هم عارفون إلاَّ أن لهم علم النسب فهم يعلمون علم أحدية الكثرة وأحدية التمييز وليس هذا لغيرهم، وبتوحيد العلماء وحّد الله نفسه إذ عرف خلقه بذلك، ولما أراد الله سبحانه أن يصف نفسه لنا بما وصف به العارفين من حيث هم عارفون جاء بالعلم المراد به المعرفة حتى لا يكون لإطلاق المعرفة عليه تعالىٰ حكم في الظاهر فقال: ﴿لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ فالعلم هنا بمعنى المعرفة لا غير، فالعارف لا يرى إلاَّ حقاً وخلقاً، والعالم يرى حقاً وخلقاً في خلق فيرى ثلاثة لأن الله وتر يحب الوتر، فهو مع الله على ما يحبه الله مع الكثرة كما ورد: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلاَّ واحد» فإن الله وتر يحب الوتر، فما تسمى إلاَّ بالواحد الكثير لا بالواحد الأحد، وإنما قلنا في العارف أنه رباني فإن الله لما ذكر من وصفه بأنه عرف قال عنه أنه يقول في دعائه ربنا لم يقل غير ذلك من الأسماء، وقال رسول الله ﷺ فيه مثل ذلك: «من عرف نفسه عرف ربه» وما قال علم ولا قال إلهه، فلزمنا الأدب مع الله تعالىٰ ومع رسوله ﷺ فأنزلنا كل أحد منزلته من الأسماء والصفات، ومن أراد تحقيق الفرق بين المعرفة والعلم فعليه بمطالعة ما ذكرناه في مواقع النجوم لنا فإني حنيت في ذلك الغليل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثاني والأربعونِ وأربعمائة

في معرفة منازلة من رآني وعرف أنه رآني فما رآني

مــن رآنــي وقــال يــومــاً رآنــي ... مــا يــرانــي غيــر الــذي مــا يــرانــي
إن لله نظـــرة فـــي وجـــودي ... وبهـــا ربنـــا العلـــيّ هـــدانـــي
يــذهــب العلــم إن نظــرت إليــه ... بجنـــان بفكـــره أو عيـــان
فــدليلــي ينفــي الثبــوت ويمضــي ... فــي سلــوب يعطيكهــا فــي بيــان
وعيـــون تعلقـــت بمثـــال ... فــي كشــوف يكــون أو فــي جنــان

Marfat.com

هــــو لا مـــدرك بعيـــن وعقـــل والـــذي تـدرك الجفـون كيـانـي

قال الله تعالىٰ أن موسىٰ: ﴿قال رب أرني أنظر إليك قال﴾ له ربه ﴿لن تراني﴾ لأنه قال: ﴿أنظر﴾ بالهمزة فلو قال بالنون أو بالياء والتاء ربما لم يكن الجواب: ﴿لن تراني﴾ والله أعلم والسؤال مجمل في قوله: ﴿أنظر﴾ والجواب مجمل في قوله: ﴿لن تراني﴾ اعلم أن رؤية المرئي تعطي العلم به ويعلم الرائي أنه راء أمراً ما قد أحاط علماً بما رآه، ورأينا الذي يرى الحق لا تنضبط له رؤيته إياه، وما لا ينضبط لا يقال فيه أن الذي رآه عرف أنه رآه، إذ لو رآه لعلمه وقد علم بتنوّع الصور عليه في ترداد رؤيته مع أحدية العين في نفس الأمر فما رآه حقيقة، فلا يعلم الحق إلاّ من يعلم أنه ما رآه ﴿قال رب أرني أنظر إليك﴾ بعيني فإن الرؤية بأداة إلى رؤية العين قال له: ﴿لن تراني﴾ بعينك لأن المقصود من الرؤية حصول العلم بالمرئي، ولا تزال ترى في كل رؤية خلاف ما تراه في الرؤية التي تقدمت فلا يحصل لك علم برؤية أصلاً في المرئي فقال له: ﴿لن تراني﴾ فإني لا أقبل من حيث أنا التنوّع وأنت ما ترى إلاّ متنوّعاً وأنت ما تنوّعت فما رأيتي ولا رأيت نفسك وقد رأيت فلا بدّ أن تقول: رأيت الحق وأنت ما رأيتني فلم تصدق أو تقول: رأيت نفسي وما رأيت نفسك فلم تصدق وما ثم إلاّ أنت والحق ولا واحد من هذين رأيت وأنت تعلم أنك رأيت فما هذا الذي رأيت فلن تراني بعينك، فهل إذا كان الحق بصرك هل يمكن أن تصدق في أنك رأيته إذا رأيت؟ أو الحال واحدة في بصره إذا كان في مادة عينك أو بصرك؟ وهذا مشهد من مشاهد الحيرة في الله تعالىٰ، ولا تتعجب من طلب موسىٰ عليه السلام رؤية ربه فإنه ثم مقام يقتضي طلب الرؤية والإنسان بحكم الوقت فإن الوقت حكمه مطلق حقاً وخلقاً وهذا القدر كاف في هذه المنازلة، فإن مجالها لا يتسع لأكثر من هذه العبارة، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثالث الأربعون وأربعمائة

في معرفة منازلة واجب الكشوف العرفاني

إنّ المعـــارف تعطـي واحـــداً أبـداً فـواجـب الكشـف عـرفـان بـآحـاد
فــإن تعـدّى إلــى ثــان فــإن لــه مَن نفسه ولـه الإسعـاد فـي النـادي
تسـاعـد العلـم وقتـاً إذ يسـاعـدهـا العلـم وقتـاً فـإسعـاد بـإسعـاد

Marfat.com

لا تعلمـــونهـــم الله يعلمهـــم علـم كمعـرفـة والحكـم للبـادي

اعلم أيّدنا الله وإياك أن الذي أوجب الكشوف العرفاني الطمع الطبيعي في الربوبيه ليشهد ما هو عليه الرب من الصفات المؤثرة في الأكوان فيظهر بها في ربوبيته عن كشف وتحقيق فلا نتعدى بالصفة أثرها فإن الأسماء الإلهية تتقارب، وربما يتخيل من لا كشف له عليها ولا ذوق له فيها أنها متداخلة أو مترادفة وإنما هي في أنفسها مشتبهة، ولا يصل إلى تحقيق ذلك أحد إلاّ بالكشف إلاّ أن هنا دقيقة وهي أن نسبة ذلك الاسم الإلهي إلى الرب تعالىٰ ما يكون على مثل نسبته إلى المخلوق، فإن الأمور إذا نسبت إلى شيء تختلف نسبتها باختلاف من تنسب إليه، وإن كان معنى ذلك الاسم المنسوب على حقيقة واحدة، فإذا اطلع أهل الكشف من نفوسهم على تهيء المحال التي تتأثر لها يشوّقها ذلك إلى تحصيل الوجوه التي تبقى عليها الأدب مع الله إذا أثرت بها لأنها قد علمت بالخبر الإلهي أنها مخلوقة على الصورة الإلهية وأن الخلافة ما صحّت لها إلاّ بالصورة وأن كل إنسان ما هو على الصورة، فإنه ثم إنسان حيوان وإنسان خليفة، ولم يعلم هذا الإنسان الطالب أي إنسان هو هل هو الحيوان أو الإمام؟ فأوجب له هذا الإطلاع أن يطلب من الحق تجلياً خاصاً في ربوبيته ويرى انفعال الأكوان عنه كما قال الصديق: ما رأيت شيئاً إلاّ رأيت الله قبله، فيرى صدور الأكوان عنه في الأكوان ويرى صورة التعلّق، وهل يكون الحق في ذلك التحلّي على صورة ما يتكوّن عنه أو على صورة النسبة التي يكوّن بها التي يقول للشيء كن فيكون ذلك الشيء، ويرى من أين يقبل المأمور بالتكوين التكوّن هل يقبله من أمر وجودي أم لا؟ فإذا ظهر هل يظهر بصورة الاسم الذي قال به الحق له كن أو يكون هو عين الصورة التي قال بها كن، فكانت في حق الحق أسماء، وفي جوهر المكوّن فيه خلقاً وصورة، وإذا كانت بهذه المثابة فهل تبقى تلك الصورة الاسمية على ما شهدها في الحق أو تظهر بذلك الاسم في صورة أخرى لتكوين عين أخرى لاختلاف الأمثال لما بينهم من التميز الذي به يقال: هذا ليس هذا أو هذا مثل هذا، كل هذا يطلبه العارف حتى يقف عليه من نفسه، وهذا هو الشخص الذي يدعو إلى الله على بصيرة ويكون من نفسه على بصيرة ويرى تأثير الخلق في الخلق هل هو أمر صحيح أو هو تأثير حق في خلق أو خلق في حق أو حق في حق أو هو المجموع أو لا أثر في نفس الأمر؟ وإن ظهر أنه أثر كما تقدم في الرؤية هل المرئي الحق أو نفس الرائي؟ وليس هذا مع ثبوت مرئي لا يعرف ما هو، كذلك ربما يكون ثبوت أثر في الكشف وفي الوقوع، فإن جعلنا محله حقاً أو خلقاً لم يصدق هذا الجعل وما ثم إلاّ حق

Marfat.com

وخلق فأين محل الأثر؟ وهذا من أشكل ما تروم النفس تحصيله، فإذا اطلع العارف على الوجه الصحيح انتقل من درجة المعرفة إلى درجة العلم فكان عالماً إلهياً بعدما كان عارفاً ربانياً، ولا يقال إلهيّ إلاَّ فيمن هذه صفته فإن له الأمر العام الجامع، فإذا نظرت إليه قلت: إنه حق، ثم تنظر إليه فنقول: إنه خلق، ثم تنظر إليه فتقول: لا حق ولا خلق، ثم تنظر إليه فتقول: حق خلق، فتحار فيه حيرتك في الله، فحينئذ تعرف أنه قد حصل الصورة وأنه فارق الإنسان الحيوان، ومتى لم يعرف الإنسان هذا من نفسه ذوقاً وحالاً وكشفاً وشهوداً فليس بالإنسان المخلوق على الصورة الذي له الإمامة في الكون صاحب العهد، فإن الله لا ينال عهده الظالمون، وليس عهده سوى صورته فاعلم ذلك، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الرابع والأربعون وأربعمائة

في معرفة منازلة من كتب له كتاب العهد الخالص لا يشقى

ليس يمحو الله خيراً قد كتب	هكذا دل دليلي فوجب
وكذا حكم تجليه فما	يتجلى ثم من بعد احتجب
كل ما أعطاك علماً لا ترى	بعد هذا العلم جهلاً ينقلب
ولهذا عملوا واجتهدوا	فلهذا الرب فاسجد واقترب
يحكم الجود به من نفسه	ما له من ذاته حكم غصب
فيكون الكل في رحمته	بامتنان ووجوب قد كتب
يطمع الشيطان في رحمته	وكذا حكم عبيد يكتسب

قال الله تعالىٰ: ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ ألا إنه العهد الذي خلص لنفسه في وفاء العبد به ما استخلصه العبد من الشيطان ولا من الباعث عليه من خوف ولا رغبة ولا جنة ولا نار، فإنه قد يكون الباعث للمكلف مثل هذه الأمور في الوفاء بعهد الله، فيكون العبد من المخلصين ويكون الدين بهذا الحكم مستخلصاً من حد من يعطي المشاركة فيه فيميل العبد به عن الشريك ولهذا قال فيه حنفاء لله أي مائلين به إلى جانب الحق الذي شرعه وأخذه على المكلفين من جانب الباطل، إذ قد سماهم الحق مؤمنين في كتابه فقال في طائفة أنهم آمنوا بالباطل وكفروا بالله فكساهم حلة الإيمان، فما الإيمان خصوص بالسعداء ولا الكفر

Marfat.com

خصوص بالأشقياء فوقع الاشتراك وتميزه قرائن الأحوال، فلم يبق يعرف الإيمان من الكفر ولا الإيمان من الإيمان ولا الكفر من الكفر إلّا بلابسه، فالعهد الخالص هو الذي لما أخذ الله من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ثم ولد كل بني آدم على الفطرة وهو قوله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة» وهو الميثاق الخالص لنفسه الذي ما ملكه أحد غصباً فاستخلص منه بل لم يزل خالصاً لنفسه في نفس الأمر طاهراً مطهراً، ولكن هنا نكتة لا يمكن إظهارها كما كان الحق منزّهاً لنفسه ما هو منزّه لتنزيه عباده ولهذا قال من قال من العارفين سبحاني، فإذا ولد المولود ونشأ محفوظاً قبل التكليف كسهل بن عبد الله وأبي يزيد البسطامي ومن اعتنى الله به من أمثالهما ممّن كان من الناس قبلهما وبعدهما وفي زمانهما ممّن لم يصل إلينا خبره كما وصل إلينا خبر هذين السيدين ولم يرزأه في عهده هذا بشيء ممّا ذكرناه آنفاً فبقي عهده على أصله خالصاً وهو الدين الخالص لا المخلص فقام بالعبد من غير استخلاص فما هو من العباد الذين أمروا أن يعبدوا الله مخلصين إذ لا فعل لهم في الاستخلاص بل لم يعرفوا إلّا هذا الدين الخالص من غير شوب خالطه حتى يستخلصوه منه فيكونون مخلصين، هذا لم يذوقوا له طعماً مثل ما ذاقه الغير، ومن كان هذا حاله من الدين فهو صاحب العهد الخالص فلا يشقى، فإنه لا يشقى إلّا أهل المكابدة والمجاهدة في استخلاص الدين ممّن أمرهم الله أن يستخلصه منه وليس على الحقيقة إلّا هوى أنفسهم، وهؤلاء في المرتبة الثانية من السعادة، والطبقة الأولى هم الذين يغبطهم الأنبياء والشهداء أصحاب المنابر يوم القيامة المجهولون في الدنيا فهم لا يشفعون ولا يستشفعون ولا يرون للشفاعة قدراً في جنب ما هم فيه من الحال الطاهر القدوس لا المقدس.

ومن هذا المقام قال أبو يزيد: لو شفعني الله في جميع الخلائق يوم القيامة لم يكن ذلك عندي بعظيم لأنه ما شفعني إلّا في لقمة طين يعني خلق آدم من طين ونحن منه كما قال من نفس واحدة خلقت تلك النفس من طين، فانظر ما أعجب إشارة أبي يزيد وإياك أن يخطر لك في هذا الرجل احتقار منه للمقام المحمود الذي لمحمد ﷺ يوم القيامة وأنه يفتح فيه أمر الشفاعة وهو مقام جليل، واعلم أنه ما سمّي مقاماً محموداً لمجرد الشفاعة بل لما فيه من عواقب الثناء الإلهي الذي يثني رسول الله ﷺ بها على ربّه عزّ وجلّ ممّا لا يعلم بذلك الثناء الخاص اليوم، فما حمد إلّا من أجل الله لا من أجل الشفاعة، ثم جاءت الشفاعة تبعاً في هذا المقام، فيقال له عند فراغه من الثناء: سل تعطه واشفع تشفع، فيشفع في الشافعين

Marfat.com

أن يشفعوا فيبيح الله الشفاعة للشافعين عند ذلك فيشفعون، فلا يبقى ملك ولا رسول ولا مؤمن إلاَّ ويشفع ممّن هو من أهل الشفاعة وأهل العهد الخالص على منابرهم ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ على نفوسهم ولا على أحد لأنهم لم يكن لهم تبع في الدنيا، وكل من كان له تبع في الدنيا فإنه وإن أمن على نفسه فإنه لا يأمن على من بقي وعلى تابعه لكونه لا يعلم هل قصر وفرّط فيما أمره به أم لا، فيحزنه الفزع الأكبر عليه، تقول بعض النساء من العارفين لجماعة من رجال الله: أرأيتم لو لم يخلق جنة ولا ناراً أليس هو بأهل أن يعبد؟ تشير هذه المرأة إلى الدين الخالص وهو هذا المقام وهي رابعة العدوية ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ ويقول فيه أبو يزيد الأكبر لا صفة لي فلو استخلص عهده لكان مخلصاً، وإذا كان مخلصاً كان ذا صفة فلم يصدق في قوله وهو عندنا صادق، وهذه الطائفة هم الذين عمّهم قوله تعالىٰ: ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ وهذا العهد الخالص فأمسكه الله عليهم ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ أي من وفى بعهده فإن النحب العهد ﴿ومنهم من ينتظر﴾ لأن العبد ما دام في الحياة الدنيا لا يأمن التبديل فإن الله يفعل ما يريد، وما يدري العبد على الحقيقة ممّا كان عليه من الحال في حال عدمه إذ كان مشهوداً لله لا لنفسه إلاَّ ما مضى، وما يقع فهو في علم الله، فلا يأمن مكر الله لعلمه بالله ﴿وما بدّلوا تبديلاً﴾ فللّهِ رجال بهذه المثابة جعلنا الله منهم، فما أعظم بشارتها من آية ولا بلغ إلينا تعيين أحد من أهل هذه الصفة إلاَّ طلحة بن عبيد الله من العشرة صحّ فيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هذا ممّن قضى نحبه» وهو في الحياة الدنيا فأمن من التبديل وهذا عظيم ويدخل في هذا المقام وإن لم يبلغ فيه مبلغ من له العهد الخالص بالأصالة من عهد الله على القيام بدينه عند توبته فوفى بما عاهد عليه الله.

قال لي السيد سليمان الدنبليّ أن له خمسين سنة ما خطر له خاطر سوء، فمثل هذا يلحق بهؤلاء إذا مات عليه ﴿ومن أوفى بما عاهد عليه الله﴾ وكل من جدّد عهداً مع الله فهو من المخلصين ما هو ممّن له الدين الخالص، فصاحب الدين الخالص مهما تجدّد له من الله حكم بشرع لم يكن يعرفه قبل ذلك، وقد كلفه الحق به في كتابه أو على لسان رسوله، فإن هذا العبد يتلقاه بالدين الخالص والعهد الأوّل ولا يضرّه جهله بالمسألة المعينة الخاصة، هذا لا يقدح في صاحب هذا المقام كأبي بكر الصديق الذي ما رأى شيئاً إلاَّ رأى الله قبله بالدين الخالص والعهد الإلهيّ الذي كان عليه وفي شهوده، ولهذا لما واجهه رسول الله ﷺ بالإيمان برسالته بادر وما تلكأ ولا طلب دليلاً على ذلك منه بل صدقه بذلك العهد الخالص فإنه رأى رسالته هناك كما رأى رسول الله ﷺ نبوّته قبل وجود آدم كما روي عنه: «كنت نبياً

Marfat.com

وآدم بين الماء والطين» أي لم يكن موجوداً وإنما عرف بذلك لقوله: ﴿وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾ وكان هذا الميثاق قبل وجود جسد آدم، فلما وجد آدم وقبض الحق على ظهره واستخرج منه كأمثال الذر يعني بنيه أشهدهم على أنفسهم كما جاء في القرآن فشهدوا فهذا هو الميثاق الثاني، والميثاق الأول هو ما أخذه على الأنبياء فلما ولدوا ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ ومنهم من خذله الله فأشرك، جعلنا الله ممّن قضى نحبه ولم يبدّل آمين بعزّته، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الخامس والأربعون وأربعمائة

في معرفة منازلة هل عرفت أوليائي الذين أدّبتهم بآدابي

أنبيـــاء الله مـــا أدّبهـــم ... غيـره فـاعتصمـوا بـالأدب
فهـم السـادة لا يخـذلهـم ... هكـذا عينهـم فـي الكتـب
فـالـذي يمشـي علـى آثـارهـم ... هـو معـدود بـذا فـي النجـب
فـإذا كـان كـذا ثـم كـذا ... لـم يـزل لـذاك خلـف الحجـب
أسعـد النـاس بهـم تـابعهـم ... فتـراه مثلهـم فـي النصـب
لـزمـوا المحـراب حتـى ورمـت ... منهـم أقـدامهـم فـي قـرب

قال الله تعالىٰ: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ ومن أحبّ الله ذلّ، ومن أحبه الله دلّ، فالمحب ذليل والمحبوب ذو دلال ودلال. وقال ﷺ: «إن الله أدّبني فأحسن أدبي» واعلم أنه لتعريف الله بمنازل الخلق عنده من وليّ وغيره طريقين: الطريق الواحدة الكشف فيرى منازل الخلق عند الله فيعامل كل طائفة بمنزلها من الله. والطريق الأخرى ملازمة الأدب الإلهي، والأدب الإلهي هو ما شرعه لعباده في رسله وعلى ألسنتهم، فالشرائع آداب الله التي نصبها لعباده، فمن وفى بحق شرعه فقد تأدّب بأدب الحق وعرف أولياء الحق، فإذا رأيت من جمع الخير بيديه وملأهما به فتعلم أنه قد أخذ بأدب الله فإن رسول الله ﷺ يقول لربه وهو الصادق العالم بربه: «والخير كله بيديك» فالخير إذا أردت أن تعرفه فاعلم أنه جماع مكارم الأخلاق وهي معروفة عرفاً وشرعاً، وكل ما تراه من إقامة الحدود على من لو لم يأمرك الحق بذلك لكنت تعفو عنه فذلك لا يقدح في مكارم

Marfat.com

الأخلاق مع هذا الشخص فإنك ما فعلت به ما فعلت لنفسك وإنما الله فعل بعبده ما شاء على يدك، وكلا كما عبد لسيد واحد، وإنما كلامنا فيما يرجع إليك لا لأمر سيدك، قلته من مكارم الأخلاق في العبيد امتثال أوامر سيدهم في عباده والوقوف عند حدوده ومراسمه فيهم ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾ فكونهم حادّوا الله ورسوله هو الذي عاد عليهم، فهم جنوا على أنفسهم ما جنى عليهم صاحب مكارم الأخلاق، فمن تعرّض لأمر فقد أحب أن يتعرض إليه فيه فما فعلت معه في عدم ودّك فيه إلاّ ما أحب، ولا تكون مكارم الأخلاق إلاّ أن تفعل مع الشخص ما يحبه منك فإنه قد بغضك أوّلاً لإيمانك بالله واليوم الآخر واتخذك عدوّاً، فمن مكارم خلقك معه أن تتلطف به في إيمانه، فإن لم ينفع فلتقابله بالقهر، فإن لم يفعل ولج فقدرت على قتله فاقتله بمكارم خلق منك حتى لا يبقى في الحياة الدنيا فيزيد كفراً وطغياناً فيزيده الله عذاباً كما فعل من شهد الله له بأنه رحيم وهو خضر اقتلع رأس الغلام وقال: إنه طبع كافراً فلو عاش أرهق أبويه طغياناً وكفراً، وانتظم الغلام في سلك الكفار فقتله الخضر رحمة به وبأبويه، أما الصبي حيث أخرجه من الدنيا على الفطرة فسعد الغلام والله أعلم وسعد أبواه، وهذا من أعظم مكارم الأخلاق.

كان بعض الصالحين يسأل الله الغزاة فلا يسهل الله له أسبابها ويحول بينه وبين الجهاد في سبيل الله وكان من الأولياء الأكابر عند الله ممّن له حديث مع الله فبقي حائراً في تأخره وتعذّر الأسباب عليه مع ما قد حصل في نفسه من حب الجهاد لما فيه من مرضاة الله ولما للشهداء عند الله، فلما علم الله أنه قد ضاق صدره لذلك أعلمه الله بالطريقة التي كان يأخذ العلم عن الله بها فقال له: لا يضيق صدرك من أجل تعذر أسباب الجهاد عليك فإني قضيت عليك لو غزوت لأسرت ولو أسرت لتنصرت ومت نصرانياً، وإن لم تغز بقيت سالماً في بيتك ومت عبداً صالحاً على الإسلام، فشكر الله على ذلك وعلم أن الله تعالىٰ فقد اختار له ما هو الأسعد في حقه، فسكن خاطره وعلم أن الله قد اختار له ما له فيه الخيرة عنده أيضاً من آداب الله الذي ينبغي للعبد أن يتأدب بها مع الله، فإذا رأيت من سلم واستسلم وقامت به آداب الحق وقام بها في نفسه وفي عباده وتأدّب مع الصفة لا مع الأشخاص ويتخيل صاحب الصفة أنه تأدّب معه وما عنده خير بحال هذا الأديب فإنه ينظر العالم بعين الحق وعين الحق تنظر إليهم بما أعطاها علم الله بهم، وعلم الله بهم ما هم عليه من الأحوال، فإن الذوات التي تقوم بها الأحوال لا يحكم عليهم من حيث ذواتهم سعادة ولا شقاء، وإنما ذلك بما

Marfat.com

يقوم بالذوات من الصفات، فالصفات لا تتصف بالشقاء لذاتها ولا بالسعادة، والذوات الحاملة للصفات لا تتصف أيضاً لنفسها وعينها بسعادة ولا شقاء، فإذا قامت الصفات بالذوات وظهرت أحكامها فيها اتصفت الذوات بحسب ما حصل من الامتزاج الذي لم يكن ولا لواحد منهما على الانفراد فقيل عند ذلك في الشخص سعيد أو شقيّ.

فانظر ما أعجب حديث السعادة والشقاء حيث لم يظهر واحد منهما إلاّ بحسب الإمتزاج، كما لم يظهر سواد المداد إلاّ بامتزاج العفص والزاج، كما لم يظهر بياض الشقة إلاّ بين الشقة والقصارة، فالخوف كله من التركيب، والآفات كلها إنما تطرأ على الشخص من كونه مركباً والخروج عن التركيب يعقل وليس بواقع في العالم أصلاً المركب ولهذا قال أبو يزيد: أنه لا صفة له فإنه أقيم في معقولية بساطته فلم ير تركيباً فقال: لا صفة لي فصدق، ولكنه غير واقع في الوجود الحسّيّ العيني، فما ثم إلاّ مركب يقبل السعادة أو بالشقاء بحسب ما تقتضيه مزجته فقد فرغ ربك وما كان فراغه عن مانع شغل وإنما أراد بذلك التنزيه أي أن الأمور لا تقع إلاّ على ما هي عليه في نفسها، ومن عصمه الله من الزلل الذي يقتضيه هذا المشهد فقد اعتنى الله به الإعتناء الأعظم، ومن هنا زلّت الأقدام كما جاء في الشريعة نظيره لما ذكر النبي ﷺ من سبق الكتاب على العبد بالسعادة أو بالشقاء فقالت الصحابة: يا رسول الله ففيم العمل؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: **«اعملوا فكل ميسر لما يسرّ له»** وقد بيّن الحق بإرساله عليهم أسباب الخير وطرقه وأسباب الشقاء والشر وطرقه، وجعل السلوك في طرق الخير بشرى فانظرها في نفسك، فإن وجدت الأمر عندك إذا كنت في الخير مثلاً واجداً باطنك وظاهرك فيه على السواء غير مرتاب فتلك البشرى فافرح بها في السعادة فإن الله ما يبدلك، وإن رأيت الخير في ظاهرك وتجد في باطنك نكتة من شك أو اضطراب فيما أنت فيه من عبادة ويقع لك خاطر يقدح في أصلها بما يخالف ظاهر الفعل فاعلم أن الله لم يعطك إيماناً ولا نوّر قلبك بنوره، فابك على نفسك أو إضحك فما لك في الآخرة من خلاق، هذا ميزانك في نفسك وأنت أعرف بنفسك وما يخطر لك فيها، ولهذا قال رسول الله ﷺ في الصحيح: **«إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس فإنه يبدو لله منه هذا الخاطر الذي يقدح في الإيمان من الشك القائم به أن الأمر الذي هو فيه من الشرع ما هو على ما يعطيه الظاهر هذا هو البلاء المبين، وأن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس يعني من المخالفات والذي يبدو لله من باطنه خلاف هذا من نور الإيمان والصدق مع**

Marfat.com

الله في أن هذا الحال التي هو عليها مخالف لأمر الله فيبكي باطناً ويخالف ظاهراً فيبدو لله منه ما لا يبدو للناس» فقد أبان ﷺ في هذا الخبر ما الناس عليه في أنفسهم.

ثم لتعلم أن في ترجمة هذه المنازلة من الحق إشارة لطيفة المعنى في استفهامه عزّ وجلّ عمّا هو به عالم مثل قوله لملائكته: كيف تركتم عبادي؟ والملائكة تعلم أنه تعالىٰ أعلم بعباده منهم، ألا يعلم من خلق وجميع ما هم فيه خلقه تعالىٰ: ﴿وهو اللطيف﴾ بسؤاله ﴿الخبير﴾ بما سأل عنه لأنه واقع، فكل علم عنده عن وقوع فهو به خبير وتعلّقه به قبل وقوعه هو به عليم، فمن أدب الملائكة لعلمهم بما قصد الحق منهم أجابوه تعالىٰ فقالوا: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون لأن عروج الملائكة عنهم ونزولهم عليهم كان عند صلاة العصر وصلاة الصبح كذا ورد الخبر، فأقول مجيباً للحق: عرفتهم لما عرفت آدابك فنسبتهم إليك فقلت: هؤلاء أولياء الله وعلامتهم إذا رأوا ذكر الله لتحققهم بالله وليس إلاّ العبودة المحضة الخالصة التي لا تشوبها ربوبية بوجه من الوجوه فهذه آدابك، وكل نعت يرى فيهم فيه رائحة ربوبية فهو أدب الخلافة لا أدب الولاية، فالوليّ ينصر ولا ينتصر، والخليفة ينتصر وينصر، والزمان لا يخلو من منازع، والوليّ لا يسامح فإن سامح فليس بوليّ ولا يؤثر على جناب الحق شيئاً فهو كله لله، والخليفة هو لله في وقت وللعالم في وقت، فوقتاً يرجح جناب الحق غيرة، ووقتاً يرجح جناب العالم فيتسغفر لهم مع ما وقع منهم ممّا يغار له الوليّ، وهؤلاء هم المفردون الذين تولّى الله آدابهم بنفسه يقول الخليفة: لأزيدن على السبعين في وقت ويدعو على رعل وذكوان وعصية في وقت، وأين الحال من الحال فالخليفة تختلف عليه الأحوال والوليّ لا تختلف عليه الحال، فالوليّ لا يتهم أصلاً، والخليفة قديتهم لاختلاف الحال عليه، فما يدّعي دعوى إلاّ وعجزه يكذبه مع صدقه حال آخر يبدو منه، فآداب الأولياء آداب الأرواح الملكية، ألا ترى إلى جبريل عليه السلام يأخذ حال البحر فيلقمه في فم فرعون حتى لا يتلفظ بالتوحيد ويسابقه مسابقة غيرة على جناب الحق مع علمه بأنه قد علم أنه لا إله إلاّ الله، وغلبه فرعون فإنه قال كلمة التوحيد بلسانه كما أخبر الله تعالىٰ عنه في الكتاب العزيز، والخليفة يقول لعمّه قلها في أذني أشهد لك بها عند الله وهو يأبى، وأين هذا الحال من حال قول الخليفة الآخر: ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾ ولعلهم لو طال عليهم الأمد لرجعوا أو في أصلابهم من يؤمن بالله فتقرّبه أعين المؤمنين، فآداب الأولياء غضب في المغضوب عليهم لا رجوع فيه، ورضا في المرضي عنهم لا رجوع فيه، فإن ذلك أدب الحق والحق الواقع الواجب وقوعه، وآداب

Marfat.com

الخلفاء الرضا في المرضيّ عنهم، والعفو وقتاً والغضب وقتاً في المغضوب عليهم، ولهذا خصّ الأولياء دون غيرهم في قوله: هل عرفت أوليائي والكل أولياء ولكن أولياء الأسماء الإلهية وهؤلاء أولياء الإضافة فهم أولياء آنية لا أولياء أسماء، وسأعرّفك بالفرق بين أسماء الكنايات والأسماء الظاهرة إن شاء الله في باب الأسماء من آخر هذا الكتاب، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السادس والأربعون وأربعمائة

في معرفة منازلة في تعمير نواشىء الليل فوائد الخيرات

نـواشـيء الليـل فيهـا الخيـر أجمعـه ... فيهـا النـزول مـن الـرحمـن بـالكـرم
يـدنـو إلينـا بنـا حتـى يسـاعـدنـا ... بمـا يـدليـه مـن طـرائـف الحكـم
فـالكـل يعبـده والكـل يشكـره ... إلاّ الـذي خـصّ بـالخسـران والنقـم
إن الـولـيّ تـراه وقـت غفلتـه ... يبكـي ويـدعـوه فـي داج مـن الظلـم
يـا رب يـا رب لا يبغـي بـه بـدلاً ... خلقـاً عظيمـاً كمـا قـد جـاء فـي القلـم

قال الله تعالىٰ: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ وقال: ﴿إن ناشئة الليل هي أشدّ وطأ وأقوم قيلا﴾ ولما سئلت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ قالت: كان خلقه القرآن، وإنما قالت ذلك لأنه أفرد الخلق، ولا بدّ أن يكون ذلك الخلق المفرد جامعاً لمكارم الأخلاق كلها، ووصف الله ذلك الخلق بالعظمة كما وصف القرآن في قوله: ﴿والقرآن العظيم﴾ فكان القرآن خلقه، فمن أراد أن يرى رسول الله ﷺ ممّن لم يدركه من أمته فلينظر إلى القرآن فإذا نظر فيه فلا فرق بين النظر إليه وبين النظر إلى رسول الله ﷺ، فكأن القرآن انتشأ صورة جسدية يقال لها محمد بن عبد الله بن عبد المطلب والقرآن كلام الله وهو صفته، فكان محمد صفة الحق تعالىٰ بجملته: ﴿فمن يطع الرسل فقد أطاع الله﴾ لأنه لا ينطق عن الهوى فهو لسان حق، فكان ﷺ ينشىء في ليل هيكله وظلمة طبيعته بما وفقه الله إليه من العمل الصالح الذي شرعه له صوراً عملية ليلية لكون الليل محل التجلي الإلهي الزماني من اسمه الدهر تعالىٰ يستعين بالحق لتجليه في إنشائها على الشهود وهو قوله تعالىٰ: ﴿إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ ولم تكن هذه الصور إلاّ الصلاة بالليل دون سائر الأعمال، وإنما قلنا بالاستعانة لقوله تعالىٰ: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي» وقوله: ﴿واستعينوا بالله﴾ ولا

Marfat.com

يطلب العون إلاّ من له نوع تعمل في العمل وهو قوله: ﴿وإياك نستعين﴾ فكن أنت يا وارثه هو المراد بهذا الخطاب في هذا العمل، فيكون محمد ﷺ ما فقد منَ الدار الدنيا لأنه صورة القرآن العظيم، فمن كان خلقه القرآن من ورثته وأنشأ صورة الأعمال في ليل طبيعته فقد بعث محمداً ﷺ من قبره، فحياة رسول الله ﷺ بعد موته حياة سنته: ﴿ومن أحياه فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾ فإنه المجموع الأتم والبرنامج الأكمل، ولهذا قال في: ﴿ناشئة الليل﴾ أنها ﴿أقوم قيلاً﴾ ولا أقوم قيلا من القرآن، كذلك ﴿أشد وطأ﴾ أي أعظم تمهيداً لأنه قال: ﴿ما فرّطنا في الكتاب من شيء﴾ وليس إلاّ القرآن الجامع وأشد ثباتاً فإنه لا ينسخ كما نسخت سائر الكتب قبله به وإن ثبت ما ثبت منها ممّا ورد في القرآن، ولهذا جاء بلفظ المفاضلة في الثبوت فهو أشد ثبوتاً منها لاتصاله بالقيامة وفيه ما في الكتب وما ليس في الكتب، كما كان في محمد ﷺ ما كان في كل نبيّ وكان فيه ما لم يكن في نبي لأن القرآن كان خلقه فأعطى هو وأمته ما لم يعط نبيّ قبله، فإذا أنشأ من أنشأ صورة هذه الأعمال الليلية ونفخ الحق لشهوده من كونه معيناً له أرواحها فيها قامت حية ناطقة عن أصل كريم الطرفين بين عبد متحقق بعبوديته موف حق سيده لم يلتفت إلى نفسه ولا إلى صورة ما خلقه الله عليها التي توجب له الكبرياء بل كان عبداً محضاً مع هذه المنزلة ولهذا قدم: ﴿إياك نعبد﴾ فإنه ما قبل الصورة إلاّ في ثان حال فقال بذاته: ﴿إياك نعبد﴾ وقال بالصورة: ﴿وإياك نستعين﴾ ثم رجع فقال: ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ فجمع بين الأمرين وبين رب عظيم وفاه حقّه على قدر ما شرعه له لا يطالب بغير ذلك، فإنه تعالىٰ هو الذي أدّبه أي جمع له وفيه جميع فوائد الخيرات، فلما نشأت هذه الصورة العملية الليلية بين هذين الطرفين الكريمين كانت وسطاً جامعة للطرفين، فكانت عبداً سيداً حقاً خلقاً، وبهذه الصفة أنشأ الله العالم ابتداء، فإن له في أسمائه ونعوته الطرفين، فإنه وصف نفسه بما يتعالىٰ به عن الخلق، ووصف نفسه بما هو عليه الخلق، ولم يزل بهذين النعتين موصوفاً لنفسه وهما طرفا نقيض فجمع بين الضدين، ولولا ما هو الأمر على هذا ما خلق الضدين في العالم والمثلان ضدان فهما ضدا المماثلة حتى تعلم أن العالم على صورته في قبول الضدين بل هو العالم الذي هو عين الضدين صورة من أنشأه فظهر العالم بالأصالة بين الطرفين، ومشى الأمر في خلق ما خلق الله بأيدي العالم، فللعالم إنشاء الصور، وللحق أرواحها وحياتها، كما قال في حق عيسىٰ عليه السلام: ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير﴾ في الصورة الخلقية ﴿فيكون طائراً بإذن الله﴾ فجعل الصورة للخلق

Marfat.com

وكونه طائراً للحق وفي إنشائك قال: ﴿فإذا سوّيته﴾ هو مثل ﴿تخلق من الطين كهيئة الطير﴾ ثم قال: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ وهو قوله: ﴿فيكون طائراً بإذني﴾ فمن كان مع الحق في مقام الشهود والجمع عند إنشاء العبد صور الأعمال قامت حية ناطقة، وإن أنشأها على غير هذا النعت من الجمع والشهود كانت صوراً بلا أرواح، كصور المصوّرين الذين يقول الله لهم يوم القيامة: أحيوا ما خلقتم فلا يستطيعون لأن الإحياء ليس لهم وإنما هو لله، وأعني بالإحياء الإحياء الذي تقع به الفائدة من الحيّ، فإن الطبيعة تعطي حياة في الصورة ولكن حياة لا فائدة معها وهي الحياة التي توجد في المعفنات، فليس في قوّة الطبيعة أكثر من وجود الإحساس لا غير، وأما القوىٰ الروحانية التي عنها تكون الصنائع العملية بالتفكّر فمن الروح الإلهيّ، فمن علم مراتب الأرواح يعلم ما أومأنا إليه في هذه العجالة، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السابع والأربعون وأربعمائة

في معرفة منازلة من دخل حضرة التطهير نطق عني

إذا طهــر العبــد مــن كــونــه ... يكــون الإلــه هــو النــاطــق

كمثــل المصلــي إذا قــام مــن ... ركــوع الصــلاة هــو الصــادق

ينــوب عــن الحــق فــي نطقــه ... فليــس يقــوم بــه عــائــق

فكــل كــلام لــه صــادق ... وكــل شــراب لــه رائــق

قال الله تعالىٰ: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ يعني بها، ولا تشهد إلاّ بالأجنبية إذ لا بدّ من شهود عليه، وإن لم يكن على ما قلناه وكان عين الشاهد عين المشهود عليه فهو إقرار لإشهاده، وما ذكر الله تعالىٰ أنه إقرار فدل على أن الجوارح ارتبطت بالنفس الناطقة ارتباط الملك بمالكه كما هو الأصل عليه والأصل هو الحق ولم يزل في أزله مدبراً، فلا بدّ أن يكون تدبيره في مدبر معين له أزلاً وليس إلاّ أعيان الممكنات فهي مشهودة له في حال عدمها فإنها ثابتة فيدبر فيها ما يكون من تقدم بعضها على بعض وتأخرها في تكوين أعيانها وصور ما توجد فيها، وهنالك هو سرّ القدر الذي أخفى الله تعالىٰ علمه عن خلقه حتى يظهر الحكم به في الصور الموجودة في رأي العين، فكذلك لما

Marfat.com

أراد الله إنشاء الأرواح المدبرة فهي لا تكون إلاّ مدبرة، فإن لم يكن لها أعيان وصور يظهر تدبيرها فيها بطلت حقيقتها إذ هي لذاتها مدبرة، هكذا هو الأمر عند أهل الكشف، وهنا سرّ عجيب غريب أومىء إليه إن شاء الله في هذا التفصيل فنقول: إن الله أنشأ هذه الصور الجسدية من نور ونار وتراب وماء مهين على اختلاف أصول هذه النشأة المتعددة، فعندما كملت التسوية في الصورة التي هي محل تدبير الأرواح المدبرة أنشأ الله منها أي من قبولها ما ينفخ فيها من أوجدها وهو الفيض الدائم أرواحاً مدبرة لها قائمة بها على صورة قبولها، فتفاضلت الأرواح لتفاضل النشآت، فلم يكونوا على مرتبة واحدة إلاّ في كونهم مدبرين، فالأرواح المدبرة إنما ظهرت بصور مزاج القوابل، فلا تتعدى الأرواح في التدبير ما تقتضيه الهياكل المدبرة، فانظر إلى أعيان الممكنات قبل ظهورها في عينها لا يمكن أن يظهر الحق فيها إلاّ بصورة ما تقبله فما هي على صورة الحق في الحقيقة وإنما المدبر على صورة المدبر إذ لا يظهر فيه منه إلاّ على قدر قبوله لا غير، فليس الحق إلاّ ما هو عليه الخلق لا يرى من الحق ولا يعلم غير هذا وهو في نفسه على ما علم وله في نفسه ما لا يصحّ أن يعلم أصلاً، وذلك الأمر الذي لا يعلم أصلاً هو الذي له بنفسه المشار إليه بقوله: ﴿والله غنيّ عن العالمين﴾ وهذا الذي نبهناك عليه من العلم بالله تعالىٰ ما أظهرناه باختبارنا، ولكن حكم الجبر به علينا فتحفظ به ولا تغفل عنه فإنه يعلمك الأدب مع الله تعالىٰ، ومن هذا المقام نزل قوله تعالىٰ: ﴿وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ أي ما أعطيتك إلاّ على قدر قبولك، فالفيض الإلهيّ واسع لأنه واسع العطاء فما عنده تقصير ومالك منه إلاّ ما تقبله ذاتك، فذاتك حجرت عليك هذا الواسع وأدخلتك في الضيق، فذلك القدر الذي حصل تدبيره فيك هو ربك الذي تعبده ولا تعرف إلاّ هو، وهذه هي العلامة التي يتحوّل لك فيها يوم القيامة على الكشف وهي في الدنيا في العموم على الغيب يعلمها كل إنسان من نفسه ولا يعلم أنها المعلومة له، ولهذا تقول العامة: إن الله ما عوّدني إلاّ كذا وكذا، فإذا فهمت هذا علمت أن الحق معك على ما أنت عليه ما أنت معه، وقد نبهك على هذا في القرآن بقوله تعالىٰ: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ ما أنتم معه ولا يصحّ أن يكون أحد مع الله، فالله مع كل أحد بما هو عليه ذلك الواحد من الحال، فانظر إلى أفراد العالم فما تراه فيه فذلك عين الحق لا غيره:

فليس وراء هذا الكشف كشف ... ولا من بعد هذا الوصف وصف
فسبحان الذي يبدو ويخفى ... وشاهده بذا شرع وعرف

Marfat.com

فلا يصحّ التجريد عن التدبير لأنه لو صحّ بطلت الربوبية وهي لا تبطل فالتجريد محال فلا مستند للتجريد لأنك لا تعقل إلهك إلاّ مدبراً فيك فلا تعرفه إلاّ من نفسك، فلا بدّ أن تكون على تدبير، فلا بدّ من جسم وروح دنيا وآخرة كل دار بما يليق بها من النشآت، وتتنوع أرواحها لتنوعها صورة الخلق والحق كما تقدم ذكره في هذا الكتاب في هذا المعنى في الترجمة عن الحق.

كن كيف شئت فإنني كما تكون أكون

هكذا هو الأمر في عينه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثامن والأربعون وأربعمائة

في معرفة منازلة من كشفت له شيئاً

مما عندي بهت فكيف يطلب أن يراني هيهات

إذا كان ما عنده حاكم على فكيف بنا إذ نراه
يغالطنا بوجود السوى وعين السوى هو عين الإله
فليس يراه سوى عينه وهل ثم عين تراه سواه
فإمكاننا لم يزل قائماً وجوداً وفقداً بنا في حماه
فلسنا سواه ولا نحن هو فعين ضلالتنا من هداه

قال الله عزّ وجلّ: ﴿فبهت الذي كفر﴾ ولهذا كفر وما كان إلاّ الشروق والغروب وهو الوجدان والفقد، هذه شمس حق شرقت من المشرق ولولا شروقها ما كان مشرقاً ذلك الجناب ﴿فأت بها من المغرب﴾ وهذا في الحقيقة لو أتى بها أي لو شرقت من المغرب لكان مشرقاً فما شرقت إلاّ من المشرق فبهت الكافر وهو موضع البهت لأنه علم أنه حيث كان الشروق لها اتبعه اسم المشرق فليس للمغرب سبيل في نفس الأمر، فما بهت الكافر إلاّ من عجزه كيف يوصل إلى إفهام الحاضرين مع قصورهم موضع العلم فيما جاء به إبراهيم الخليل عليه السلام، فأظلم عليه الأمر وتخبط في نفسه فظهرت حجة إبراهيم الخليل عليه السلام عليه أمام الحاضرين، إنما نسب الكفر إليه بالمسألة الأولى فإنه علم ما أراده الخليل بقوله: ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾ فستره فسمّى كافراً فقال: ﴿أنا أحيي وأميت﴾ ويقال

Marfat.com

فيمن أبقى حياة الشخص عليه إذا استحق قتله أن يقال أحياه ولم يكن مراد الخليل إلاّ ما فهمه نمروذ فعدل إبراهيم إلى ما هو أخفى في نفس الأمر وأبعد وهو أوضح عند الحاضرين فجاء بالمسألة الثانية فبهت الذي كفر في أمر إبراهيم كيف عدل إلى ما هو أخفى في نفس الأمر وأبعد لإقامة الحجة وقامت له الحجة عليه عند قومه فكان بهته في هذا الأمر المعجز الذي أعمى بصائر الحاضرين عن معرفة عدوله من الأوضح إلى الأخفى فحصل من تعجبه وبهته في نفوس الحاضرين عجزه وهو كان المراد، ولم يقدر نمروذ على إزالة ما حصل في قلوب العارفين الحاضرين من ذلك فعلم صدقه ولكن الله ما هداه أي ما وفقه للإيمان لقوله ﷺ: فإنه عالم بأنه على الحق ولا يصحّ بهت إلاّ في تجلي ما عند الحق وما عند الحق إلاّ ما أنت عليه، فإنه ما يظهر إليك إلاّ بك فتقرّبه فيك وتنكر ما أنت به مقر فيه وذلك لجهلك بك وبربك لأنك لو عرفت نفسك عرفت ربك فما ثم إلاّ خلق وهو ما تراه وتشهده، ولو فتشت على دقائق تغيراتك في كل نفس لعلمت أن الحق عين حالك وأنه من حيث هو وراء ذلك كله كما هو عين ذلك كله، فالحق خلق وما الخلق حق وإن اختلفت عليه الأسماء أليس ممّا عند الله دكّ جبل موسىٰ فصعق وهو أعظم من البهت وما أصعقه إلاّ ما عنده وهو ممّن طلب أن يرى ربه فلما علم موسىٰ عليه السلام عند ذلك ما لم يكن يعلم من صورة الحق مع العالم قال: ﴿تبت إليك﴾ أي لا أطلب رؤيتك على الوجه الذي كنت طلبتها به أولاً فإني قد عرفت ما لم أكن أعلمه منك ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ بقولك: ﴿لن تراني﴾ فإنك ما قلت ذلك إلاّ لي وهو خبر، فلذلك ألحقه بالإيمان لا بالعلم، ولولا ما أراد الإيمان بقوله: ﴿لن تراني﴾ ما صحّت الأولية، فإن المؤمنين كانوا قبله ولكن بهذه الكلمة لم يكن، فكل من آمن بعد البهت أو الصعق فقد آمن على بصيرة فهو صاحب علم في إيمان، وهذا عزيز الوجود في عباد الله، وقليل في أهل الله من يبقى معه الإيمان مع العلم، فإنه لما انتقل إلى الأوضح وهو العلم فقد انتقل عن إيمانه، والكامل هو المؤمن في حال علمه بما هو به مؤمن لا بما كان به مؤمناً، فقال فيه مؤمن عالم بعين واحدة، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب التاسع والأربعون وأربعمائة

في معرفة منازلة قول من قال عن الله ليس عبدي من تعبد عبدي

العبـــد مـــن لا عبـــد لـــه ... سبحـــانـــه مـــا أكملـــه
مشتبهـــاً ومحكمـــاً ... مجملـــه مفصلـــه
بكـــل عيـــن أشهـــده ... بكـــل علـــم فضلـــه
قـــد جمـــع الله لـــه ... كـــل وجـــود أملـــه
ســـواه إذ عـــدلـــه ... وبعـــد هـــذا فصلـــه
فـــإنمـــا أنـــابـــه ... فـــي كـــل أحـــوالـــي ولـــه
حـــزنـــا الكمـــال كلـــه ... أنـــا وهـــو والكـــل لـــه

قال عزّ وجلّ لمحمد: ﴿قل إن الأمر كله لله﴾ فقلنا: الأمر كله لله ألا له الخلق والأمر فهو الخلق والأمر. اعلم أنه لا يملك المملوك إلاّ سيده، ولهذا يسمّي الترمذي الحكيم الحق سبحانه ملك الملك غير سيده ما يملك عبد فإن العبد في كل حال يقصد سيده، فلا يزال يصرف سيده بأحواله في جميع أموره، ولا معنى للملك إلاّ التصريف بالقهر والشدة، ومهما لم يقم السيد بما يطلبه به العبد فقد زالت سيادته من ذلك الوجه، وأحوال العبد على قسمين: ذاتية وعرضية، وهو بكل حال منها يتصرف في سيده والكل عبيد الله، فمن كان دنيء الهمة قليل العلم كثيف الحجاب غليظ القفا ترك الحق وتعبد عبيد الحق فنازع الحق في ربوبيته فخرج من عبوديته، فهو وإن كان عبدا في نفس الأمر فليس هو بعبد مصطنع ولا مختص، فإذا لم يتعبد أحداً من عباد الله كان عبداً خالصاً لله فتصرف في سيده بجميع أحاله فلا يزال الحق في شأن هذا العبد خلاقاً على الدوام بحسب انتقالاته في الأحوال، قال ﷺ: «خادم القوم سيدهم» لأنه القائم بأمورهم لأنهم عاجزون عن القيام بما تقتضيه أحوالهم، فمن عرف صورة التصريف عرف مرتبة السيد من مرتبة العبد، فيتصف العبد بامتثال أمر سيده والسيد بالقيام بضرورات عبده، فلا يتفرغ العبد مع ما قررناه من حاله مع حال سيده أن يقتني عبداً يتصرف فيه لأنه يشهد عياناً أن ذلك العبد الآخر يتصرف في سيده تصرفه

Marfat.com

فيعلم أنه مثله عبد الله، وإذا كان عبداً لله لم يصحّ أن يتعبده هذا العبد فما ملك عبد إلاّ بحجاب، لقيت سليمان الدنبليّ فأخبرني في مباسطة كانت بيني وبينه في العلم الإلهيّ فقلت له: أريد أن أسمع منك بعض ما كان بينك وبين الحق من المباسطة، فقال: نعم باسطني يوماً في سري في الملك فقال لي: إن ملكي عظيم، فقلت له: ملكي أعظم من ملكك، فقال لي: كيف تقول؟ فقلت له: مثلك في ملكي وليس مثلك في ملكك فمن أعظم ملكاً؟ فقال: صدقت أشار إلى التصريف بالحال والأمر وهو ما قررناه، فإذا علمت هذا علمت قدرك ومرتبتك ومعنى ربوبيتك وعلى من تكون رباً في عين عبد، وهو بالعلم قريب، وبالحال أقرب وألذ في الشهود، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الخمسون وأربعمائة

في معرفة منازلة من ثبت لظهوري كان بي لأنه سبحانه كان به لأبي وهو الحقيقة والأول مجاز

إذا ثبت العبد في موطن … فإن الإله هو الثابت
إذا قلت يا رب هب لي كذا … وأعطاكه فهو القانت
إذا لم يكن غيره عيننا … فبالله قل لي من المائت
ترجم عنه لسان بدا … فهو به الناطق الساكت
ولم يبق للعبد من عينه … لوحدته نفس خافت
وليس له في الورى حاسد … إذا كان هذا ولا شامت
إذا جئت ليلاً إلى منزلي … وبت به فمن البائت
هو الحق ينطق في كونه … بما شاءه وأنا الصامت
فلولا اللجين وأمثاله … لما فضل العسجد الصامت
تعجبت منه ومن عزّه … إذا نكث العالم الناكت
وليس يغار على عرضه … فعبد الإله هنا الباهت

قال الله عزّ وجلّ: ﴿كل شيء هالك إلاّ وجهه﴾ اعلم أن عباد الله الذين أهلهم الله له واختصهم من العباد على قسمين: عباد يكونون له به، عباد يكونون له بأنفسهم، وما عدا

Marfat.com

هؤلاء فهم لأنفسهم بأنفسهم ليس لله منهم شيء، فلا كلام لنا مع هؤلاء فإنهم جاهلون ونعوذ بالله أن نكون من الجاهلين. فأما العباد الذين هم له تعالىٰ بأنفسهم فهم الذين تحققوا بقوله تعالىٰ: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلاَّ ليعبدون﴾ فهم العبيد الصمّ الشداد الأشداء الرحماء بينهم، وعلامتهم الاتصاف بجميع الأحوال من فناء وبقاء ومحو وإثبات وغيبة وحضور وجمع وفرق إلى ما يقبله الكون من الأحوال، وكذلك من نعوتهم التي تنسب إلى المقامات المذكورة من توكل وزهد وورع ومعرفة ومحبة وصبر وشكر ورضا وتسليم إلى سائر المقامات المذكورة في الطريق، فإن نفوسهم تقبل التغيير والتحويل من حال إلى حال ومن مقام إلى مقام، ولكن ذلك كله لله لما سمعوا دعاءه إياهم من هذه الأمور كلها فدخلوا عليه بها ذوقاً وحالاً لا علماً ولا اعتقاداً، فإن سائر المؤمنين والعلماء علماء الرسوم يعلمون هذه الأمور كلها ولكن لا قدم لهم فيها، فهؤلاء إذا تجلى لهم الحق لم يثبتوا لظهوره لأن المحدث إذا ظهر له القديم يمحو أثره إذ لا طاقة للمحدث على رؤية القديم، ولهذا جاء الخبر الصحيح الإلهيّ بأن الحق قد يكون بصر العبد وسمعه حتى يثبت لظهور الحق في التجلي أو في الكلام، ألا ترى إلى موسىٰ عليه السلام لما كان الحق سمعه ثبت لكلام الله فكلمه فلما وقع التجلي ولم يكن الحق عند ذلك بصر موسىٰ كما كان سمعه صعق ولم يثبت فلو كان بصره لثبت، وأما العبيد الآخرون فهم له به فيثبتون في كل موطن مهول من حادث وقديم للقوّة الإلهية السارية في ذواتهم، فلا يبقى حال ولا مقام إلاَّ ويظهرون به وفيه بطريق التحكّم به والتصرف فيه، فهم يملكون الأحوال والمقامات ولا يملكهم شيء إلاَّ ما قررناه من ذلك الأمر الذي يملك الحق إذا كان الحق ملك الملك، فبذلك القدر يكونون في ذواتهم، فبه تعالىٰ يسمعون ويبصرون ويأكلون ويشربون وينامون ويقومون، وله يسمعون ويبصرون ويأكلون ويشربون وينامون ويقومون وهو قول رسول الله ﷺ في بعض خطبه في الثناء على الله فإنما نحن به وله، فإذا اجتمع عبدان الواحد له بنفسه والآخر له به أنكر من هو له بنفسه على من هو له به ولم ينكر من هو له به على من هو له بنفسه لأنه عبد محض خالص الآخر حق محض خالص، والصورة الظاهرة منهما صورة خلق، والباطنة ممّن هو لله بنفسه صورة خلق، والصورة الباطنة من الآخر صورة حق، فهذا يتصرف بحق في حق لحق، والآخر يتصرّف بخلق في خلق لحق، ومنهم من يتصرّف في حق لحق بخلق أعني من الذين هم بأنفسهم فخرق العوائد لمن كان لله بنفسه والمنزلة لمن كان لله بالله، فهؤلاء أصحاب كرامات وهؤلاء أهل منازل، وأصحاب الكرامات معلومون عند الله معلومون عند الخلق،

Marfat.com

وأهل المنازل معلومون عند الله وعند أبناء الجنس مجهولون عند الخلق، إلاّ أن أهل خرق العوائد يبطن في حالهم المكر الإلهيّ والاستدراج، وأهل المنازل مخلصون من المكر لأنهم على بصيرة وبينة من ربهم، فهم أهل وصول إلى عين الحقيقة، جعلنا الله وإياكم من عبيد الاختصاص آمين بعزّته، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الحادي والخمسون وأربعمائة

في معرفة منازلة في المخارج معرفة المعارج

لولا وجود الكون في المعارج ما لاح عين الحرف بالمخارج
أخرجه ضرب مثال للذي قد ارتقى في رتب المعارج
فالنفس الدارج في طريقه يبين عن منازل المدارج

قال الله تعالىٰ: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ وقال تعالىٰ: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ وقال تعالىٰ: ﴿رفيع الدرجات ذو العرش﴾. اعلم أن الممكنات هي كلمات الله التي لا تنفد وبها يظهر سلطانها الذي لا يبعد وهي مركبات لأنها أتت للإفادة، فصدرت عن تركيب يعبر عنه في اللسان العربيّ بلفظة ﴿كن﴾ فلا يتكوّن عنه إلاّ مركب من روح وصورة ثم تلتحم الصور بعضها ببعض لما بينهما من المناسبات فتحدث المعاني فينا بحدوث تأليفها الوضعيّ، وما وقع فيها الوضع في الصور المخصوصة إلاّ لذاتها لا بحكم الإنفاق ولا بحكم الاختيار لأنها بأعيانها أعطت العلم الذي لا يتحوّل والقول الذي لا يتبدّل، والمشيئة الماضية فهي في الشهادة بحسب ما هي عليه في الغيب، فهي في الغيب بصورة كل ما تتقلب إليه في الظاهر ممّا لا نهاية له في الغيب من التقليب وهو في الظاهر يبدو مع الآيات إذ لا يصحّ دخول ما لا يتناهى في الوجود لأن ما لا يتناهى لا ينقضي فلا يقف عند حدّ، والمادة التي ظهرت فيها كلمات الله التي هي العالم هي نفس الرحمن ولهذا عبّر عنه بالكلمات، وقيل في عيسىٰ عليه السلام أنه: ﴿كلّمه الله﴾.

ثم اعلم أن الله تعالىٰ لما أظهر من كلماته ما أظهر قدر لهم من المراتب ما قدر، فمنهم الأرواح النورية والنارية والترابية وهم على مراتب مختلفة، وكلهم أوقفهم مع

Marfat.com

نفوسهم وأشهدهم إياها واحتجب لهم فيها، ثم طلب منهم أن يطلبوه ونصب لهم معارج يعرجون عليها في طلبها إياه فدخل لهم بهذه المعارج في حكم الحدّ وجعل لهم قلوباً يعقلون بها ولبعضهم فكراً يتفكرون به، ثم جعل من معارجهم نفي المثلية عنه من جميع الوجوه، ثم تشبه لهم بهم فأثبت عين ما نفى ثم نصب لهم الدلالة على صدق خبره إذا أخبرهم فتفاضلت أفهامهم لتفاضل حقائقهم في نشآتهم، فكل طائفة سلكت فيه مسالك ما خرجت فيها عمّا هي عليه، فلم يجدوا في انتهاء طلبهم إياه غير نفوسهم، فمنهم من قال بأنه هو، ومنهم من قال بالعجز عن ذلك وقال: لم يكن المطلوب منا إلاّ أن نعلم أنه لا يعلم فهذا معنى العجز، ومنهم من قال: يعلم من وجه ويعجز عن العلم به من وجه، ومنهم من قال كل طائفة مصيبة فيما ذهبت إليه وأنه الحق سواء سعد أو شقي فإن السعادة والشقاء من جملة النسب المضافة إلى الخلق، كما نعلم أن الحق والصدق نسبتان محمودتان، ومع هذا فلها مواطن تذمُّ فيه شرعاً وعقلاً، فما ثم شيء لنفسه وما ثم شيء إلاّ لنفسه، وبالجملة فالخلق كله مرتبط بالله ارتباط ممكن بواجب سواء عدم أو وجد وسعد أو شقي، والحق من حيث أسماؤه مرتبط بالخلق، فإن الأسماء الإلهيّة تطلب العالم طلباً ذاتياً، فما في الوجود خروج عن التقييد من الطرفين، فكما نحن به وله فهو بنا ولنا وإلاّ فليس لنا برب ولا خالق وهو ربنا وخالقنا، فبنا لكونه به ولنا لكونه له، إلاّ أن له الإمداد فينا الوجوديّ ولنا فيه الإمداد العلمي، فتكليفه إيانا تكليف له فبنا تكلف للتكليف فما كلفنا سوانا ولكن به لا بنا فتداخلت المراتب فهو الرفيع الدرجات مع النزول الذاتيّ والخلق في النزول مع العروج والصعود الذاتيّ فما خرج موجود عن تأثير وجودي وعدمي ولا مؤثر في الحقيقة إلاّ النسب وهي أمور عدمية عليها روائح وجودية، فالعدم لا يؤثر من غير أن تشمّ منه روائح الوجود، والوجود لا أثر له له إلاّ بنسبة عدمية، فإذا ارتبط النقيضان وهما الوجود والعدم فارتباط الموجدين أقرب فما ثم إلاّ ارتباط والتفاف كما نبّه تعالىٰ: ﴿والتفت الساق بالساق﴾ أي التفّ أمرنا بأمره وانعقد فلا ننحل عن عقده أبداً ولما تمّم وهو الصادق بقوله: ﴿إلى ربك﴾ أثبت وجود رتبته بك ﴿يومئذ﴾ يعني يوم يكشف عن الساق ﴿المساق﴾ رجوع الكل إليه من سعد، أو من شقي، أو من تعب، أو من استراح.

قال ﷺ في الدجال: «إن جنته نار وناره جنة» فأثبت الأمرين ولم يزلهما، فالجنة جنة ثابتة والنار نار ثابتة، والصور الظاهرة لرأي العين قد تكون مطابقة لما هو الأمر عليه في نفسه وقد لا تكون، وعلى كل حال فهما أمران لا بدّ منهما خيالاً كان أو غير خيال، وإذا

Marfat.com

ارتبط الأمران كما قلنا هذا الارتباط فلا بدّ من جامع بينهما وهو الرابط وليس إلاّ ما تقتضيه ذات كل واحد منهما لا يحتاج إلى أمر وجوديّ زائد فارتبطا لأنفسهما لأنه ما ثم إلاّ خلق وحق، فلا بدّ أن يكون الرابط أحدهما أو كلاهما، ومن المحال أن ينفرد واحد منهما بهذا الحكم دون الآخر لأنه لا بدّ أن يكونا عليه من قبول هذا الارتباط فبهما يظهر لا بواحد منهما، ومع هذا الارتباط فما هما مثلان بل كل واحد منهما ليس مثله شيء، فلا بدّ أن يتميزا بأمر آخر ليس في واحد منهما أمر الآخر به يشار إلى كل واحد منهما، فالافتقار موجب للميل وقبول الحركة والغنا ليس حكمه ذلك في الغنى فإنا نعلم أن بين المغناطيس والحديد مناسبة وارتباطاً لا بدّ منه كارتباط الخلق والخالق، ولكن إذا مسكنا المغناطيس جذب الحديد إليه فعلمنا أن في المغناطيس الجذب وفي الحديد القبول ولهذا انفعل بالحركة إليه، وإذا مسكنا الحديد لم ينجذب إليه المغناطيس فهما وإن ارتبطا فقد افترقا وتميزا، فالناس بل العالم فقراء إلى الله والله غنيّ عن العالمين:

هكـــذا صـــورة الـــوجـــود ... فـــلا تلتفـــت إلـــى ســـواه
فبـــه كـــان شفعنـــا ... وهـــو الـــواحـــد الإلـــه

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثاني والخمسون وأربعمائة

في معرفة منازلة كلامي كله موعظة لعبيدي لو اتعظوا

مهمـا وعظـت فعـظ بعيـن كـلامـي ... فهـو المـوفـى حـق كـل مقـام
جمـع العلـوم قـديمهـا وحـديثهـا ... معنـــاه إلاّ أنـــه بفـــدام
وفـدامـه ألفـاظنـا وحـروفنـا ... الجـامعـات لعيـن كـل كـلام
فنقـول قـال الله بـالحـرف الـذي ... قـال الأنـام بـه بغيـر مـلام
فتـردّه أحـلامنـا بـدليلهـا ... والكشـف يـأبـى مـا تـرى أحـلامـي
والحكـم لـلأمـريـن عنـد مـن ارتقـى ... بمعـــارج الأرواح والأجســام
فـانظـر إليـه منـزّهـاً ومشبهـاً ... والحكـم لـلأقـدام فـي الأقـدام
علـم الـوجـود ضيـاؤه وظـلامـه ... نـور يمـازجـه كيـان ظـلام

Marfat.com

مـــا أن رأيـــت ولا سمعـــت بمثلـــه شمـس تشـاهـد فـي حجـاب غمـام
إنـي حكمـت على الزمـان بمثـل مـا حكمـــت عليـــه مشـــارق الأيـــام
فـالـدهـر محكـوم عليـه وحـاكـم مـع كـونـه يسمـو علـيّ إلاّ الحكـام
حكمـــت عليــه شـــرائـــع ودلائـــل مـــع كـــونهـــا مـــن جملـــة الخـــدام
واعلـــم بـــأنـــك إن نظـــرت بعينـــه يبـــدو لـــك الأحكـــام فـــي الأحكـــام

قال الله تعالىٰ لنبيّه ﷺ: ﴿قل إنما أعظكم بواحدة﴾ فقال بعض السامعين: ﴿سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين﴾ فاعتنى الله بأهل الإيمان فقال: ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ فالتفت إلى القابل وما التفت إلى المعرض فلم يرتبط الوجود إلاّ بالمؤمن، وهو سبحانه المؤمن المهيمن على المؤمنين، فجزاء الله عندنا على هذا الاعتناء العمل بما شرع والمبادرة لما به نهى وأمر اعتناء باعتناء وهو أحق بنا، فإن اعتناءنا بالقبول يعود علينا نفعه لافتقارنا إلى ذلك النفع، واعتناؤه بنا امتنان منه لأنه غني حميد بغناه، فوعظنا بالحوادث الواقعة على خلاف الأغراض ممّا تنفر عنه طباعنا وذكرنا بأنا معرضون لحلولها بنا إلاّ أن يعصم الله في بعضها لا في كلها فإن منتهى الدوائر وأعظمها الموت ولا بدّ منه بأيّ وجه كان، ولست أعني بالموت إلاّ الانتقال عن هذه الدار فإن الشهيد منتقل وإن لم يتصف بالموت، هكذا أمرنا المؤدّب أن نقول، فإن لنا نصيباً من الأدب الإلهيّ الذي أدّب به الله رسوله ﷺ، فليس أدّب الله خاصاً بأحد دون أحد، فمن قبله سعد وكان ممّن أدّبه الله وانتمى إلى الله في الأدب وهو أحسن الأدب، وقد نهانا أن نقول لمن يقتل في سبيل الله أنه ميت ولا نحسب أنه ميت بل هو حي عند ربه وفي إيماني يرزق، وذكرنا تعالىٰ بموعظته ذكرى حال إذا صاب من قبلنا بوقوع تلك الدوائر عليهم:

ألـــذ الفعـــل فعـــل القهـــر فـــانظـــر بعقلـــك إذا رأتـــك سنـــى الـــوجـــود
فكـــن لـــي إن تكـــن لـــي أنـــت كلـــي وإن لـــم فـــاعتبـــر فـــالجـــود جـــودي
لقـــد تبنـــا ومـــا خفنـــا عقـــابـــاً وقـــد أعنـــى المجيـــد عـــن المجيـــد
فقـــل للمنكـــريـــن صحيـــح قـــولـــي لقـــد غبتـــم عـــن إحســـان المجيـــد

وذكر بأمور أخبر عنها في المستقبل عند الانتقال إلى الدار الآخرة تقع بالعباد ممّا يسرّ وقوعها وممّا لا يسرّ وممّا يوافق الغرض ويلايم الطبع وممّا لا يلايم الطبع ولا يوافق الغرض، وممّا يدل على الكمال والنقص، فذكر بالرغبة في ذلك والرهبة من ذلك، وذكر

Marfat.com

بنفسه لما علم تعالىٰ أن إفراط القرب حجاب عظيم عن القرب. وقد قال أنه أقرب إلينا من حبل الوريد، وحبل الوريد نعلم قربه ولا تراه أبصارنا، كذلك قرب الحق منا نؤمن بقربه ولا تدركه أبصارنا، فلذلك ذكر بنفسه لا لبعده لأنه حفيظ والحفظ يطلب القرب بلا شك فنحن بعينه وهو معنا حيثما كنّا لا بل أينما كنا، ونستغفر الله من عثرات اللسان وإن كان من عند الله فالأدب أولى ولا سيما فيما ينسب إلى الجناب الإلهيّ، لا ينبغي للأديب أن يتكل على المعنى بل الأدب في مراعاة الألفاظ فإنه تعالىٰ لم يعدل إلى لفظ دون غيره سدى فلا نعدل عنه فإن العدول عنه إلى مثله في المعنى تحريف بغير فائدة ويقنع العدوّ من الكبراء بهذا القدر، فهي مزلة قدم ومكر خفيّ ورعونة نفس إظهار مرتبة دنية يتخيل مظهرها أنها زلفى وأنها رتبة أسنى وأعلى، فلما ذكر بنفسه ذكر أنه إليه يرجع الأمر كله لنعلم أن المرجع إليه فلا نقوم في شيء نحتاج فيه إلى الاعتذار عنه أو نستحي منه عند المرجع إليه، والعبد الصحيح العبودية مع الموافقة لا يكون له إدلال فكيف مع المخالفة؟ ولما ذكر بنفسه أحال عباده على أنفسهم وقال لهم: إن عرفتم نفوسكم عرفتموني، فمن الأدب أن نرجع بالنظر إلى نفسي فإن نظرت فيه وتركت نفسي فما تأدّبت، وإذا لم أكن أديباً لم نكن من أهل البساط فحرمت المشاهدة فحرمت العلم الذي يعطيه الشهود، فإني إن نظرت فيه حتى أعرفه فربما أعرفه المعرفة التي تليق بهذا النظر وليست المطلوبة، فإن الذي طلب سبحانه أن نعرفه معرفة الارتباط به وتلك المعرفة التي عدل إليها من عدل لا تعطي الارتباط، فلم تحصل الفائدة التي قصد الله بها عبده، فالأديب يرجع بالنظر إلى نفسه عن أمر ربه، فإذا عرف نفسه فكراً أو شهوداً عرف ارتباطه بربه فعرف ربه تنزيهاً وتشبيهاً معرفة عقلية شرعية إلهية تامّة كاملة غير ناقصة كما شاء الحق، فإنه تعالىٰ أبان لنا في هذه الإحالة عن أحسن الطرق والعلم به، فتبين لنا أنه الحق وأنه على كل شيء شهيد، وقال في حق من عدل عن هذا النظر بالنظر فيه ابتداء: ﴿ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم﴾ فلو رجعوا إلى ما دعاهم إليه من النظر في نفوسهم لم يكونوا في مرية من لقاء ربهم فإنهم يجدونه في عين نفوسهم، ثم تمّم وقال: ﴿ألا إنه بكل شيء محيط﴾ وأراد هنا شيئية الوجود لا شيئية الثبوت، فإن الأمر هناك لا يتصف بالإحاطة، فمن وقف مع ما ذكرناه كان ممّن اتعظ، فإن شاء أخذ بنصيبه من الورث فوعظ، وإن شاء بقي في النظر على حاله بنفسه دائماً، فإن النفس بحر لا ساحل له لا يتناهى النظر فيها دنيا وآخرة وهي الدليل الأقرب، فكلما ازداد نظراً ازداد علماً بها، وكلما ازداد علماً بها ازداد علماً بربه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الثالث والخمسون وأربعمائة

في معرفة منازلة كرمي ما وهبتك من الأموال وكرم كرمي ما وهبتك من عفوك عن الجاني عليك

حكـم الكـريـم بـأنـه لا يمنـع ذاك المسمّـى عنـدنـا كـرم الكـرم
فهـو الـذي يهـب النعيـم لـذاتـه ولـديـه بـالبـرهـان مفتـاح النعـم
انظـر لحمـد الحمـد إن حققتـه مـا عنـده منـع ولا فـي ذاك ذمّ

قال الله تعالىٰ معلماً ومنبهاً: ﴿يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم﴾ فنبّهه حتى يقول كرمك فهذا من باب كرم الكرم، فما أمرك بالعفو عمّن جنى عليك إلاّ ليعفو عنك إذا جنيت عليه في ظنك وما جنيت إلاّ على نفسك وظنك أرداك حيث ظننت أنك جنيت عليه كما قال الله تعالىٰ: ﴿ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً ممّا تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾ ﴿فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾.

اعلم أن أعظم الجنايات من يهتك وهو أن ينسب إليك ما لم يكن منك وإن ظهر منك فيكون من كرم خلقك أن تصدقه فيما نسب إليك إيثاراً لجنابه على نفسك هو على خلق كريم في ذلك، وقد علم منك أنك تأدّبت معه فما يكون جزاؤك عنده، فمثل هذا لا يبلغ كنه ما يستحقه من الإفضال عليه والإنعام لأنّ الإعراض عند ذوي الهيئات والمروءات أعظم في الحرمة من الدماء والأموال، وما فعل مثل هذا في حقك إلاّ ليرى صبرك وتحملك مثل هذا الأذى والجفاء فإنه يعلم أنك تعلم براءة ساحتك ممّا نسب إليك من المذام التي كانت منه لا منك إيجاداً وحكماً وأنت بريء منها إيجاداً وحكماً، فلم تفش له سرّاً ولم تنازعه، ففزت زائداً على ما تستحقه بدرجات الصابرين والراضين والمؤثرين، واستعذبت كل ذلك في جنبه، ونبهنا تبارك وتعالىٰ على عظيم المنزلة لمن هذه صفته بقوله: ﴿فمن عفا وأصلح﴾ وأعظم العفو سلى الجناية العظيمة من العظيم الشأن، ثم رميه بها من لم تصدر منه تنزيهاً له وإيثاراً لنفسه قال: ﴿فأجره على الله﴾ فيا ليت شعري لم كان أجره على الله ولم يقل فأجره على صبره وإيثاره كذا وكذا؟ فتنبه إلى هذا الأمر العجاب ولا تكن من الغافلين، وألزم

Marfat.com

الحضور والأدب مع الله قلبك إن أردت أن تكون من أهل الله وخاصته الذين جعلوا نفوسهم وقاية لله جعلنا الله ممّن اتقاه بنفسه لا به فيحشر في زمرة الأدباء. وفي هذه الإشارة في كرم الكرم غنية وكفاية، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الرابع والخمسون وأربعمائة

في معرفة منازلة لا يقوى معنا في حضرتنا غريب وإنما المعروف لأولي القربى

أولـوا القـربـى هـم الحكـام فينـا ... وفـي أمـوالنـا ولنـا القيـاد
فـإن جـاء الغـريـب يقيـم يـومـاً ... ويـرحـل مسـرعـاً وهـو المـراد
قـريـب قـرابـة وقـريـب قـربـى ... جمعنـاهـا فيحسـدنـا العبـاد
فمـا أحـد يـدوم بـه شقـاء ... ولا كـون يـزول ولا فسـاد

قال الله تعالىٰ آمراً لنبيه ﷺ: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى﴾ وورد في الخبر في إثبات النسب بيننا وبين الله: «إن الله يقول يوم القيامة: اليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي أين المتقون؟» وهم الذين جعلوا نفوسهم وقاية يحمون بها جانب الله تعالىٰ: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ أي أشدّكم وقاية لأنه جاء في باب أفعل، فالمدار على صحة النسب الإلهيّ، فإذا صحّ النسب لم تبق غربة في حق من صحّ نسبه، ولا يصحّ النسب حتى يقع التناسب في الصفة، فإذا كان العبد أحديّ الذات في شأنه معروفاً عند الله مجهولاً في العالم لا يعرف نسبه ولا ينال منصبه يسأل الله به ويلجأ إليه عند الاضطرار من غير تعيين ولا تمييز وهو الذي يدّعى به إذا جاءت الشدائد فيقول صاحبها: اللهمّ بحرمة الصالحين عندك افعل لي كذا وكذا فهو المجهول المعين، ولم يتولد عنه أمر يوجب تمييزه عند الأجانب من الأجانب ولم يدل عليه لأنه لا يدل عليه حتى يكون مطلوباً والذي لا يؤبه له لا يطلب، ثم أنه يكون على حالة لا يزنه فيها أحد من خلق الله إلاّ من له هذا المقام، فإذا كان بمثل هذه الصفات صحّ النسب. ورد في الخبر: أن اليهود قالت لمحمد ﷺ: يا محمد انسب لنا ربك، فنزلت: ﴿قل هو الله أحد﴾:

نســب الله قـــل هـــو الله ... فـانظـروا فيـه تعـرفـوا مـا هـو
أحـديّ لـذاتــه صمـد ... ليـس يـدري مـا هـو إلاّ هـو

Marfat.com

لـــم تلـــده العقـــول إذ نظـــرت　　وهـــو النـــاظـــر الـــذي مـــا هـــو
واحـــد مـــا يكـــون عنـــه زكـــي　　لا ولا واحـــد فقـــل مـــا هـــو
هـــو عيـــن الـــوجـــود فهـــو حسبـــي　　وكثيـــــر فليـــــس إلاَّ هـــــو
فـــانظـــروا الحـــق فـــي تنـــاقـــض مـــا　　قلتـــــه لا إلـــــه إلاَّ هـــــو

فحضرته لا تحمل الغربا لأنه وصل للرحم فهو أرحم الرحماء، فقرابته مجهولة، والجاهلون بها منهم أنزلهم جهلهم منزلة الغرباء الذين لا نسب بينهم وبينه وهو سبحانه ما يعامل عبده إلاَّ بما جاءه به لا يزيده عليه. وهو قوله: ﴿وذلكم ظنكم﴾ فهو لهم في اعتقادهم جار جنب فهم قطعوا رحمهم فقطعهم الله فما أشرف العلم بالأنساب، ولهذا كانت العرب تثابر على علم الأنساب حتى قال الله ما قلناه من إثبات النسب بالطريقين: طريق أرفع نسبي وطريق الرحم شجنة من الرحمن وهو قوله: الولد سرّ أبيه، فكم بين رجل يأتي يوم القيامة عارفاً بنسبه مدلاً بقرابته متوسلاً إلى الرحمن برحمه، وبين من يأتي جاهلاً بهذا كله يعتقد الأجنبية وبعد المناسبة، وإن علم بالخبر فيكون عنده بمنزلة كون أبيه آدم منه وهو ابن آدم فيجعل هذا مثل ذلك، فإن هذا النسب لا يعطي سعادة عنده وهو غالط بل يعطي ويعطى، ولقد رأيت ذلك ذوقاً بمكة في عمرة اعتمرتها عن أبينا آدم عليه السلام فظهر لي ذلك في مبشرة رآها بعض الناس لنا وللجماعة التي أمرتهم في تلك الليلة بالاعتمار معي عن أبينا آدم رأى فيها من التقريب الإلهيّ وفتح أبواب السماء وعروج تلك الجماعة وتلقاهم الملأ الأعلى بالتأهيل والسهل والترحيب إلى أن بهت وذهل ممّا رأى، فإن رحم آدم منا رحم مقطوعة عند أكثر الناس من أهل الله فكيف حال العامة في ذلك؟ ولقد وصلتها بحمد الله ووصلت بسببي وجرى فيها على سنني، وكان عن توفيق إلهيّ لم أر لأحد في ذلك قدماً أمشي على أثره فيها، فحمدت الله على الإنعام وما اهتديت إلى ذلك إلاَّ بالنسب الإلهيّ فإنه أبعد مناسبة وقد نفع وذكر وما تفطن الناس لقول الله تعالىٰ في غير موضع: ﴿يا بني آدم﴾ ﴿يا بني آدم﴾ يذكر ولا أحد ينتبه لهذه الأبوّة والبنوّة ﴿ولا يتذكر إلاَّ أولوا الألباب﴾ جعلنا الله وإياكم ممّن برّ أباه، وما أشبه هذا الذكرى من الله في بني آدم بقوله: ﴿يا أخت هارون﴾ وأين زمان هارون منها؟ فاعلم ذلك، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الخامس والخمسون وأربعمائة

في معرفة منازلة من أقبلت عليه بظاهري لا يسعد أبداً
ومن أقبلت عليه بباطني لا يشقى أبداً وبالعكس

الحكم للقدر المعلوم والنسب ... أمر تحققته ما الحكم للسبب
هذا بلال وخباب وأين هما ... من العمومة فالأحكام للنسب
فالله يجعلنا من ذا على حذر ... في غير جهد ولا كدّ ولا نصب
لولا الشريعة عند العارفين بها ... ما كنت من يتقي مصارع النوب
يا رحمة سبقت يا رحمة شملت ... وما هما بمحل الخسر والعطب

قال الله تعالىٰ: ﴿هو الأوّل الآخر والظاهر والباطن﴾ تنبيهاً أنه الوجود كله فإن هذا تقسيمه فليس إلاّ هو، والنعيم نعيمان: نفسيّ وهو الباطن وحسيّ وهو الظاهر في النفس الحساسة، والعذاب عذابان: نفسيّ وهو الباطن وحسيّ وهو الظاهر، والحال حالان: حال سابق وهو الأوّل وحال لا حق وهو الآخر، وما ثم إلاّ رحمة سابقة وغضب لا حق ثم رحمة شاملة سارية في الكل فهي لاحقة سابقة فيغضب ويرضى فيعذب رحمة لغضبه ليزول الغضب، فانظر ما أحكم تعذيبه كيف أدرج الرحمة فيه لإزالة الغضب حتى يزول حكمه فتشمل الرحمة بنفسها من حقّت عليه كلمة العذاب، فبرحمته عذب من عذب لأنه لولا العذاب لتسرمد يكون الغضب وهو أشد على المغضوب من العذاب الواقع به لمن عقل ما أقول، وإذا كان الأمر كما قرّرناه وهو كما ذكرناه فقد في الإقبال الظاهر سعادة ليسعد به المقبول عليه، وقد يكون في الإقبال الظاهر شقاوة ليشقى به المقبول عليه، وقد يكون في الإقبال الباطن مثل ما ذكرناه في الإقبال الظاهر، والمقبول عليه غيب وشهادة وروح وصورة وحيوان وناطق، فلا بدّ من النفس والحسّ أن ينفعلا لهذه الإقبالات وأحكام النسب بها يظهر حكم الحاكم في المحكوم عليه، وقد ذكر الله أنّ الهوية العائدة عليه هي عين هذا الذي ذكرناه فلم يقع تصرّف منه إلاّ فيه، نبّه على ذلك بقاتل نفسه وأن الجنة محرّمة عليه فلا حجاب عليه فإنه ظاهر له لا يتمكن أن يستتر عنه هو، وجعل ذلك مبادرة له لأنه ذكر أمرين

Marfat.com

من أوّل وآخر فقد يبادر الآخر فيكون له حكم الأولية ويكون للأول بالنسبة إلى هذا المبادر حكم الآخرية، ولهذا جاءت العبارة التي ذكرها الترجمان عن الله: بادرني عبدي بنفسه حرّمت عليه الجنة فلا يستره شيء بعد هذا الكشف لأنه يعلم من سبق ومن لحق كما يعلم من خلق ﴿وهو اللطيف﴾ فلا يظهر ﴿الخبير﴾ لتحصيله العلم ذوقاً الذي كسبه المعلوم فإن المعلوم متقدم بالرتبة على العلم وإن تساوقا في الذهن من كون المعلوم معلوماً لا من كونه وجوداً أو عدماً فإنه المعطي العالم العلم فلا بدّ في الكون من سعادة وشقاء ولو ببرد الهواء وحرّه فما زاد فما يلايم المزاج كان سعادة وما لا يلايمه كان شقاء، ثم تمشى بهذا الحكم على الغرض والكمال والشريعة وتحكم في ذلك كله حكمك بالملايمة وعدمها، فافهم فإني أريد الاختصار والتنبيه، الله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السادس والخمسون وأربعمائة

في معرفة منازلة من تحرّك عند سماع كلامي فقد سمع يريد الوجد الذي يعطي الوجود

لولا سماع كلام الله ما برزت أعياننا ووضعت منه على قدم
إلى الوجود ولولا السمع ما رجعت على مدارجها لحالة العدم
فنحن في برزخ والحق يشهدنا بين الحدوث وبين الحكم بالقدم
ليس التكوّن ممّن لا كلام له إن التكوّن عن قصد وعن كلم

قال الله تعالىٰ: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ يعني حكم ممّا توجه عليه أمر ﴿كن﴾ كان ما كان، فيعدم به ويوجد فليس متعلقه إلاّ الأثر، ولهذا سمّاه في اللسان العربيّ كلاماً مشتقاً من الكلم وهو الجرح وهو أثر في المجروح، فلما وجد الأثر سمّي ما وجد عنه كلاماً كان ما كان فافهم، والحركة انتقال من حال إلى حال أي من حال يكون عليه السامع إلى حال يعطيه سماعه عند كلام المتكلم وهو فيه بحسب فهمه فهو مجبور على الحركة، ولهذا لا تسلم الصوفية حركة الوجد الذي يبقى معه الإحساس بمن في المجلس حتى تسلم له حركته بالله، فمهما أحسّ تعين عليه أن يجلس إلاّ أن يعرّف الحاضرين بأنه متواجد لا صاحب وجد فيسلم له ذلك، ولكن لا تحمد هذه الحالة عندهم

Marfat.com

على كل حال لأنهم يكرهون الحركة في الأصل بنفس المتحرّك ويحمدونها بالمحرّك، فأصل السماع الذي يقول به أهل الطريق شريف وهو يسري في كل شيء فلا يختص به حال إيقاع وغناء على طريق خاص طبيعيّ، فإن الوزن الطبيعيّ إنما يؤثر فيما تركب من الطبيعة على مزاج خاص لا يشترط في حركة الطبع الفهم بخلاف حركة النفوس العقلية وإن كان للطبيعة فيها أثر في أصل وجودها ولكن ليست لها في النفوس العاقلة تلك القوّة إلاَّ بالفهم فلا يحرّكه إلاَّ الفهم، ألا ترى الكائنات ما ظهرت ولا تكوّنت إلاَّ بالفهم لا بعدم الفهم لأنها فهمت معنى ﴿كن﴾ فتكوّنت ولهذا قال: ﴿فيكون﴾ يعني ذلك الشيء لأنه فهم عند السماع ما أراد بقوله: ﴿كن﴾ فبادر لفهمه دون غير التكوين من الحالات، فما سميت هذه الحركة بالوجد إلاَّ لحصول الوجود عندها أعني وجود الحكم سواء كان بعين أو بلا عين فإنه عين في نفسه هذا الكائن.

ثم إن الحق أعطى هذه الصفة لعباده وجعل نفسه سامعاً وأقام نفسه محلاً لتكوين ما يطلبه منه العبد في سؤاله سمّاه إجابة وجعل ذلك بلفظ الأمر كما جعل ﴿كن﴾ ليريه أن الحقائق لا نفسها تكون أحكامها ما هي بجعل جاعل لمن عقل وعلم الأمور على ما هي عليه، فإن العلم بهذا النوع من العلوم المختزنة عن أكثر الناس بل يحرم كشفها لهم من العارف بها لما يؤدّي إلى إنكار الحق مع علمهم بأن المعاني توجب أحكامها لمن قامت به عقلاً يريدون أن ذلك لذاتها، ولهذا تمكن المتكلم بالردّ على من يقول بالإرادة الحادثة لا في محل.

وأما كلام الله من الشجرة لموسىٰ فهو عند بعضهم دليل على أن الكلام ينسب لمن خلقه كما تقول الطائفة الأخرى أن السمع تعلّق بالمناسب وهو الخطاب من الشجرة وليس إلاَّ كلام الله كما قال: ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ ومعلوم بماذا تعلق السمع منه، وهؤلاء القائلون بأن المتكلم من قامت به صفة الكلام وأهل الكشف الذين يرون أن الوجود لله بكل صورة جعلوا الشجرة هي صورة المتكلم كما كان الحق لسان العبد وسمعه وبصره بهويته لا بصفته كما يظهر في صورة تنكر وتتحوّل إلى صورة تعرف وهو هو لا غيره إذ لا غير، فما تكلم من الشجرة إلاَّ الحق فالحق صورة شجرة، وما سمع من موسىٰ إلاَّ الحق فالحق صورة موسىٰ من حيث هو سامع، كما هو الشجرة من حيث هو متكلم، والشجرة شجرة وموسىٰ موسىٰ لا حلول لأن الشيء لا يحل في ذاته فإن الحلول يعطي ذاتين وهنا إنما هو حكمان:

فالحس يشهد ما الأفكار تنكره ... والعقل يعلم ما الإحساس يرمي به

Marfat.com

فانظر إليه ترى في صوره عجباً ... وانظر إلى حكمه في حسن ترتيبه
تراه عين الذي يراه من كثب ... وليس يدريه من يدريه إلَّا به

فانظر إلى هذه النكت الإلهيّة في هذه المنازلات ما أخصرها وما أعطاها للأمور على ما هي عليه في إيجاز، والله يقول الحق هو يهدي السبيل.

الباب السابع والخمسون وأربعمائة

في معرفة منازلة التكليف المطلق

حكم التكاليف بين الله والناس ... من عهدو الدنا المنعوت بالناسي
فالأمر مني له كالأمر منه لنا ... فإن دعانا أتيناه على الراس

قال الله تعالىٰ: ﴿وإذا سألك عبادي عني﴾ يقول للرسول أن يقول: ﴿فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي﴾ يعني إذا دعوتهم إلى القيام بما شرعته لهم وكل ذلك شرع، فقد أدخل نفسه فيما كلف به عباده وجعل الأمر بأيديهم في ذلك فهو إعلام على الحقيقة بما هو الأمر عليه ما هو بالجعل فإنه يتعالىٰ عن الجعل فيما ينسبه لهويته إلَّا إذا ظهر بصورة خلق فيقضي ما يعطيه البصران أحكام ما وقعت عليه العين مجعولة، وتعطي الحقيقة أن الأمر ما هو كما تدركه العين، فلا تزال المنازعة بين القلب والعين في المعارف الإلهية في الخصوص كما تعرفه العامة في العموم في المحبة، ولنا في ذلك في التشبيب على ما وقع في العموم:

يسوق روحي بلا شك إلى التلف ... هذا الذي بفؤادي من هوى شرف
أقول للقلب قد أورثتني سقماً ... فقال عينك قادتني إلى التلف
لو لم تر العين ما أمسيت حلف ... فإن أمت فيه ما للحب من خلف
لذاك قسمت ما عندي على بدني ... من الضنا والجوى والدمع والأسف

فالتكليف المطلق يطلق ويراد به أمران: الأمر الواحد أن يعمّ الإنسان أجمعه مثل قوله: يصبح على كل سلامى منكم صدقة وهو قوله: ﴿إياك نعبد﴾ بنون الجمع لعموم التكليف وإطلاقه في ذات المكلف، ومن هذا الباب أعني إطلاق التكليف ما اجتمعت فيه

Marfat.com

جميع الشرائع ولم تنفرد به شريعة دون أخرى وهو قوله: ﴿أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ فعمّ وأطلق، والأمر الآخر من الإطلاق إدخاله نفسه معنا تعريفاً أنه مأمور وآمروناه ومنهي ﴿ربنا لا تؤاخذنا﴾ ﴿ربنا ولا تحمل علينا﴾ ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ والأمر ﴿واغفر لنا وارحمنا﴾ فانصرنا هذا منا عن أمر مشروع، والجواب منه في الصحيح: قد فعلت قد فعلت، والأمر منه ﴿أقيموا الصلاة﴾ ﴿آتوا الزكاة﴾ ﴿أقرضوا الله﴾ الجواب منا على قسمين بخلاف ما كان منه، فجواب موافق لجوابه وهو قولنا: ﴿سمعنا وأطعنا﴾ وجواب غير موافق من جميع الجهات لإجابته وهو قوله: ﴿سمعنا وعصينا﴾ وهذا كلام من أبعده الله عن سعادته وقرب إليه بهذه الإجابة شقاوته، فقد أبنت لك عن إطلاق التكليف، وهذا من إنصاف الحق عباده ليطلب منهم النصف، ثم أنه في موطن آخر جعل لقوم آخرين ممّن كتب عليهم شقاء مستنداً إليهاً لم يقم فيه مقام الإنصاف فأعمى عليهم فعموا فنسب إليهم ما هو إليه وأشقاهم به ثم قال: ﴿فللَّه الحجة البالغة﴾ لأن النزاع وقع بينه وبينه لأنه في نفس الأمر ما ثم إلاَّ حكمان ما ثم ذاتان فافهم، وعندنا ما كانت الحجة البالغة لله على عباده إلاَّ من كون العلم تابعاً للمعلوم ما هو حاكم على المعلوم، فإن قال المعلوم شيئاً كان لله الحجة البالغة عليه بأن يقول له: ما علمت هذا منك إلاَّ بكونك عليه في حال عدمك وما أبرزتك في الوجود إلاَّ على قدر ما أعطيتني من ذاتك بقبولك فيعرف العبد أنه الحق فتندحض حجة الخلق في موقف العرفان الإلهيّ الخاص. وأما في العموم فالأمر فيه قريب والحكم يختلف بحسب فهم الرجال فيه، فما كل أحد تقام عليه حجة تقام على الآخر، فلكل صنف حجة عند الله بها يظهر على عباده ﴿وهو القاهر﴾ بالحجة ﴿فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾ حيث يظهر على كل صنف بما تقوم به الحجة لله عليه، فلولا إطلاق التكليف ما كان خصماً ولا عمل لنا معه مجلس حكم ولا ناظرنا فافهم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الثامن والخمسون وأربعمائة

في معرفة منازلة إدراك السبحات الوجهية

سبحات الوجه تدركنا | وهي بالإدراك تعدمنا
غيرة منها عليه فهل | أحد منكم يفهمنا
كيف كان الأمر فيه فلم | تلق موجوداً يعرفنا

قال الله تعالىٰ: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ وقال ﷺ في الحجب الإلهية المرسلة بينه وبين خلقه: **«أنه تعالىٰ لو رفعها لأحرقت سبحات الوجه ما أدركه بصره من خلقه»** وقيل له ﷺ: **«أرأيت ربك؟ فقال: نوراني أراه»** فهذه الحجب إن كانت مخلوقة فكيف تبقى للسبحات فإنها غير محجوبة عنها، لكن اعلم أنه سرّ أخفاه الله عن عباده سمّي ذلك الإخفاء حجباً نورية وظلامية، فالنور منها ما حجب به من المعارف الفكرية به، والظلمة منها ما حجب به من الأمور الطبيعية المعتاد، فلو رفع هذه الحجب عن بصائر عباده لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه، وهذا الإحراق إنما هو إندراج نور أدنى هم فيه بل هم هو في نور أعلى، كإندراج أنوار الكواكب في نور الشمس، كما يقال في الكوكب إذا كان تحت الشعاع مع وجود النور في ذات الكوكب أنه محترق فلا يراد به العدم بل تبدّل الحال على العين الواحدة في نظر الناظر، فانتقل الاسم عليه وعنه بانتقال الحكم كان الحطب حطباً فلما احترق سمّي فحماً والجوهر واحد، ومعلوم أن الكواكب على ضوئها في نفسها ولكن لا نراها لضعف الإدراك، فلو رفعها في حق العلماء لرأوا نفوسهم عينه وكان الأمر واحداً لكنه رفعها عنهم فرأوا ذواتهم ذاتاً واحدة فقالوا ما حكى عنهم من أنا الله وسبحاني، لكن العامة لم ترفع عنهم فلم يشهدوا الأمر على ما هو عليه فتنازعوا أمرهم بينهم وأسر العارفون النجوى أدباً مع الله فإنهم الأدباء، قال ﷺ: **«لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم»** فما قال الشارع للعارفين شيئاً أشدّ تكليفاً من هذا الحكم لأنه أمرهم بالمراقبة لكل شخص شخص، فهم يراقبون العالم من أجل هذا الحديث لأنهم أهل حكمة، فمن رأوا فيه الأهلية أعطوه لئلا يتصفوا بالظلم في حقه، وإن

Marfat.com

لم يروا فيه أهلية لم يعطوه لئلا يتصفوا بالظلم في حقها، فلا يزالون مراقبين للعالم دائماً أبداً وهذا حظّهم من قوله: ﴿وكان الله على كل شيء رقيباً﴾ فمن راقب بعين الله لم يشغله شأن عن شأن، فهو يتصرف في كل شيء بذاته لأنه إلهي المشهد والقبول من المتصرف فيه، فالمتصرف مستريح من هذا الوجه، ومن راقب بعين نفسه من خلف حجاب ذاته فهو في غاية من الجهد التعب فلا يزال في نصب ما دامت هذه صفته:

فبالنور تدرك أنواره ... وبالنور يدرك ما يدرك
فمن يكن بنعت حق له ... يملك بالذات ولا يملك

وهذا القدر من الإشارة في هذه المنازلة كاف لمن عقل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب التاسع والخمسون وأربعمائة

في معرفة منازلة وأنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار

ثلاثة كلهم مصطفى ... ذو الظلم والسابق والمقتصد
ورثهم كتابه فاعتلوا ... بالعلم في ذاك عن المعتقد
واختارهم لنفسه فاعتلت ... همتهم عن كل أمر شهد

قال الله تعالىٰ: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾ أي كل ذلك بأمر الله، فالظالم لنفسه لعلمه بقدرها عند الله فهو يظلم لها لا يظلمها فيعطي كل ذي حق حقّه إلاّ الحق فإنه لا يعطيه كل حقّه بل يعطيه من حقّه تعالىٰ ما يسمّى به أديباً وما لا يسمّى به أديباً يظلمه فيه من أجل نفسه حتى يلحق برتبة الأنبياء، فمثل هذا الظلم من الفضل الإلهيّ على عبده، فمن كان مشهده هذا سمّي ظالماً لنفسه مع أنه مصطفى وما أوقفه على ذلك إلاّ علمه بالكتاب فهو يحكم به كما قال الذي عنده علم من الكتاب لسليمان عليه السلام: ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ فلولا الكتاب ما علم آصف بن برخيا ذلك، وأما المقتصد فهو الذي اقتصد في كل موطن على ما يقتضيه حكم الموطن فهو بحكم الموطن لا بحكم نفسه، وهم أهل الله الأخفياء الأبرياء، فمشهد الظالم ما يجب للحق فلا ينسبه إليه، ومشهد

Marfat.com

المقتصد المواطن وما تستحق، فالظالم يدخل في حكم المقتصد ولهذا كان المقتصد وسطاً لأنه على حقيقة ليست للطرفين، وفيه من حكم الطرفين ما يحتاج إليه أو يندرج فيه، وأما السابق بالخيرات فهو الذي يتهيأ لحكم المواطن قبل قدومها عليه، وتجتمع هذه الأحوال في الشخص الواحد فيكون ظالماً مقتصداً سابقاً بالخيرات، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الستون وأربعمائة

في معرفة منازلة الإسلام والإيمان والإحسان الأول والثاني

علمت أني هممت ... ولكن ما فهمت
مراد الله فيه ... بقولي قد سلمت
فإسلام تبدى ... ولكن ما كتمت
به من كل سوء ... لأني قد جهلت
وإيمان خفي ... لكوني ما شهدت
وإحسان أراه ... به أيضاً نعمت
تعالى عن شهودي ... بتشبيه فقلت
بأن الحق فيه ... وحقاً ما قصدت
وعلمي شاهد لي ... بأني قد شهدت

قال الله تعالىٰ: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ وقال: ﴿هل جزاء الإحسان إلاَّ الإحسان﴾ وورد في الخبر الصحيح: «**الفرق بين الإيمان والإسلام والإحسان، فالإسلام عمل، والإيمان تصديق، والإحسان رؤية أو كالرؤية**» فالإسلام انقياد، والإيمان اعتقاد، والإحسان إشهاد، فمن جمع هذه النعوت وظهرت عليه أحكامها عمّ تجلى الحق له في كل صورة فلا ينكره حيث تجلى، ولا يظهره في الموطن الذي يحب أن يخفى فيه فيساعد الحق لعلمه بإرادته لعلمه بالمواطن وما يستحقه. فما أشرف هذه المنزلة لمن تدلّى عليها من شرف، فهو المؤمن للمؤمن، والمحسن للمحسن، وهو المسلم للإسلام، فإن الحق إذا فعل ما يريده منه العبد فقد انقاد له فيقول العبد: ﴿رب اغفر لي﴾

Marfat.com

فيغفر له لأنه صادق في قوله هل من المستغفر فاغفر له فلقد فات الناس خير كثير لجهلهم وما توغلوا فيه من تنزيه الحق حتى أكذبوه ولهذا قال: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلاَّ الحق﴾ وليس الحق إلاَّ ما قاله عن نفسه، فلولا ما علم أن العالم بعلمه ما قال لهم:

﴿ولا تقولوا على الله إلاَّ الحق﴾ فحاجة الحق في نفسه إلى ظهوره أعظم من حاجة المظهر له إلى إظهاره، فإن الحق قد حجر علينا إظهار الحق في مواطن كالغيبة والنميمة وكتم الأسرار، وكلها حق ممنوع الظهور في الكون القوليّ لا في عينه من حيث هو صفة لمن قام به فهو الظاهر الخفي، فالإحسان من الحق رؤية ومن العبد كأنه والإيمان من الحق والخلق على حقيقته، وكذلك الإسلام عند العارفين به، غير أنه لا يقال في الحق أنه مسلم، فما كل ما يدري يقال، ولا كل ما يشهد يذاع، صدور الأحرار قبور الأسرار، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الأحد والستون وأربعمائة

في معرفة منازلة من أسدلت عليه حجاب كنفي فهو من ضنائني لا يعرف ولا يعرف

إن الضنـائـن عنـد الله فـي ستـر ... مخـدرون فـلا تـدرى ولا تـدري
يغار منهم عليهم مثل ما حجبت ... بيـن الليـالـي صـونـاً ليلـة القـدر
فـلا يـراهـا سـوى مـن لا يقيـده ... نعـت يجـرّده مـن عـالـم الأمـر
تبـدو لنـاظـره مـن خلـف زافـره ... مـن أول الليـل حتـى مطلـع الفجـر

قال الله تعالىٰ: ﴿حور مقصورات في الخيام﴾ وهم العارفون إشارة لا تفسيراً، المجهولون في العالم، فلا يظهر منهم ولا عليهم ما يعرفون به، وهم لا يشهدون في الكون إلاَّ الله، لا يعرفون ما العالم لأنهم لا يشهدونه عالماً.

فـالحـق سـار ولكـن ليـس يـدريـه ... إلاَّ الـذي قـال فيـه أنـه فيـه

لكل مليك حرم وحرم، وهؤلاء العارفون العلماء به حرمه وحرمه الذي هم فيه

Marfat.com

العوائد العامة فما سترهم إلاَّ بما هو مشهود للعام والخاص، فالعالم يشهد الحق اعتقاداً وعيناً ويشهد العالم حسّاً، وهؤلاء يشهدون الحق عيناً ويشهدون العالم إيماناً لكون الحق أخبرهم أن ثم عالماً فيؤمنون به ولا يرونه، كما أن العالم يؤمنون بالله ولا يرونه، فهم شهداء حق بحق وهم في مقعد صدق فيما تحققوا به، فإن قيل لهم: فقولكم بالشاهد المشهود فرق، فيقولون عند ذلك: أليس تشهد ذاتك بذاتك فأنت غيرك، وكلامهم في هذا كله مع الحق شهوداً ومع الإيمان بأن ثم عالماً أدباً وإيماناً فهم المؤمنون حقاً والعلماء صدقاً، وهذا بعض ما وقفنا عليه من منازلات الحق فإنها أكثر من أن يحصرها عد أو يضبطها حد، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وها نحن بحمد الله ومعونته وإلهامه نشرع في الأقطاب والهجيرات التي كانوا عليها ابتغى بذلك الأعلام بأنه من عمل على ذلك وجد ما وجدوا وشهد ما شهدوا، إذ بنيت كتابي هذا بل بناه الله لا أنا على إفادة الخلق، فكله فتح من الله تعالىٰ، وسلكت فيه طريق الاختصار أيضاً عن سؤال من العبد ربه في ذلك لأنه لا يقتضي حالنا إلاَّ إبلاغ ما أمر الحق بإبلاغه، ويفعل الله ما يشاء، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. انتهى السفر التاسع والعشرون بانتهاء الباب الأحد والستين وأربعمائة من هذا الكتاب.

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل السادس
في هجيرات الأقطاب ومقاماتهم المحمدية

الباب الثاني والستون وأربعمائة
في الأقطاب المحمديين ومنازلهم

اليثـربـيّ الـذي لا نعـت يضبطـه ... ولا مقـــام ولا حـــال يعينــــه
مرخى العنان على الإطلاق نشأته ... قـامــت فــلا أحــد منــا يبينــه
مــن قــال أن لــه نعتــاً فليــس لــه ... علـم بـه عنـدمـا يبـدو مكـوّنـه
فعلمنـــا أن علمنـــاه يشيـــر بـــه ... وجهلنـا هـو فـي علمـي يـزينـه

قال الله تعالىٰ عن الملائكة والملأ الأعلى: ﴿وما منا إلاّ له مقام معلوم﴾ وقال: ﴿يا أهل يثرب لا مقام لكم﴾ فأشبه ﴿ليس كمثله شيء﴾ أي تشبه هذه الآية الآية الأخرى، وأصل باب الأقطاب قوله ﷺ: «كلكم راع» حتى الإنسان على جوارحه وجميع قواه من بادية وهي الظاهرة وحاضرة وهي الباطنة. فاعلم أن الأمور كثيرة مختلفة في العالم، فكل شيء يدور عليه أمر ما من الأمور فذلك الشيء قطب ذلك الأمر، وما من شيء إلاّ وهو مركب من روح وصورة، فلا بدّ أن يكون لكل قطب روح وصورة، فروحه تدور عليه أرواح ذلك الأمر الذي هذا قطبه، وصورة ذلك القطب تدور عليه صورة ذلك الأمر الذي هذا قطبه يسمّى الوجه الواحد من القطب جنوبياً هو الروح والآخر شمالياً وهو الصورة، فمن جملة أصناف العالم الأناسي وهم المقصودون من وجود العالم بالقصد الثاني لا بالقصد الأوّل، وأما القصد الأوّل فالقصد بوجود العالم عبادة الله أعني عباده العرفان الحادث لكمال الوجود غير أنه في كل صنف من أصناف العالم تام غير كامل، وما كمل إلاّ بهذه النشأة

Marfat.com

الإنسانية الكاملة، وما عدا الكاملة فهو الإنسان الحيوان المسمّى بالحدّ حيواناً ناطقاً والأقطاب من الكمل.

ثم أن الله جعل العالم الجسمي والجسماني في منزلين: منزل يسمّى الدنيا ومنزل يسمّى الآخرة، وجعل سكانهما الإنس والجان والمعتبر فيهما الإنس ولمعتبر من الإنس الكمل لا غير، وهم الذين ذكرهم الله لا يزيدون عليه في نفوسهم هذا ذكرهم في نفوسهم وفي خلواتهم باللسان. وأما في العموم فلا إله إلاّ الله ثم بعدها أنواع الذكر من سبحان الله المقيد والمطلق والحمد لله وكذلك والله أكبر كذلك ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله كذلك، فعمر بهذا الصنف المقصود من العالم أوّلاً الدار الدنيا من الدارين وجعل سكناهم فيها بآجال مسماة ينتهون إليها ثم ينتقلون عند فراغ مدتهم إلى الدار الآخرة، ونقلتهم على ضربين: منهم من ينتقل بموت وهو مفارقة الحياة الدنيا فيحي بحياة الآخرة، ومنهم من ينتقل بالحياة الدنيا من غير موت وهو الشهيد في سبيل الله خاصة وما يقال فيه بأنه أفضل من الميت إلاّ أنه أفضل من بعض الموتى، ثم إن الله جعل هذا الصنف الإنساني في الدنيا أمماً كثيرين، ثم بعث في كل أمة رسولاً ليعلمها ما هو الأمر عليه الذي خلقوا له، ويعلمهم بما للحق عليهم أن يفعلوه وما لهم إذا فعلوا ذلك من الخير عند الله في الدار الآخرة، وماذا عليهم إذا لم يفعلوا من العقوبة عند الله في الدار الدنيا إذا علم ولاة أمرهم ذلك وفي الآخرة، ثم جعل الفضل فيهم فمنهم الفاضل والأفضل من الأمم ومن الرسل.

وختم الأمم بأمة محمد ﷺ وجعلهم خير أمة أخرجت للناس، وختم بمحمد ﷺ جميع الرسل عليهم السلام وختم بشرعه جميع الشرائع فلا رسول بعده يشرع ولا شريعة بعد شريعته تنزل من عند الله إلاّ ما قرّره شرعه من اجتهاد علماء أمته في استنباط الأحكام من كتابه وسنّة نبيه وعني بالسنّة الحديث لا من قياس، وأعني بالقياس هنا قياس فرع على فرع لا قياس فرع على أصل، فإن قياس الفرع على الأصل هو المستنبط الذي ثبت بالاجتهاد وجعله الفقهاء أصلاً رابعاً كما جعلوا الإجماع أصلاً ثالثاً وهو إجماع الصدر الأوّل وقالوا إنهم ما أجمعوا على أمر إلاّ ولا بدّ أن يعرفوا فيه نصاً يرجون فيه إليه إلاّ أنه ما وصل إلينا مع قطعنا به فإنه من المحال أن يجتمعوا على حكم لا يكون لهم فيه نص لأن نظرهم وفطرهم مختلفة فلا بدّ من الاختلاف وقد أجمعوا على أمر فذلك الحكم مقطوع به عندنا أنهم فيه على نص من الرسول ﷺ، ولا حكم بإجماع بعد إجماع الصدر الأوّل، فلما كان الأمر على

Marfat.com

ما قرّرناه في هذ الباب فاشتغلنا بذكر الأقطاب المحمديين لكون محمد ﷺ سيد الناس يوم القيامة وهو وأمته الآخرون الأولون فاعتبرنا من الرسل محمداً ﷺ ومن الأمم أمته ﷺ.

واعلم أن الأقطاب المحمديين على نوعين: أقطاب بعد بعثته. وأقطاب قبل بعثته. فالأقطاب الذين كانوا قبل بعثته هم الرسل وهم ثلثمائة وثلاثة عشر رسولاً. وأما الأقطاب من أمته الذين كانوا بعد بعثته إلى يوم القيامة فهم إثنا عشر قطباً والختمان خارجان عن هؤلاء الأقطاب فهم من المفردين، وسيأتي في آخر الكتاب ذكر الختم، ويأتي بعد هذا الباب ذكر الإثني عشر قطباً مستوفى إن شاء الله تعالىٰ، فأما منازل الأقطاب المحمديين الذين هم الرسل صلوات الله عليهم أجمعين. فلا سبيل لنا إلى الكلام على منازلهم، فإن كلامنا عن ذوق ولا ذوق لنا في مقامات الرسل عليهم السلام وإنما أذواقنا في الوراثة خاصة، فلا يتكلم في الرسل إلاّ رسول، ولا في الأنبياء إلاّ نبي أو رسول، ولا في الوارثين إلاّ رسول أو نبي أو ولي أو من هو منهم، هذا هو الأدب الإلهيّ، فلا تعرف مراتب الرسل إلاّ من الختم العام الذي يختم الله به الولاية العامة في آخر الزمان وهو عيسىٰ بن مريم روح الله، فإن سُئِل عن ذلك فهو يترجم عنهم وعن تفاضلهم فإنه رسول منهم، أما نحن فلا سبيل إلى ذلك، فكلامنا في أقطاب الأمم الذين هم ورثة أنبيائهم وأرسالهم وفي أقطاب هذه الأمة المحمدية المتأخرة المنعوتة بالخيرية على جميع الأمم السالفة مؤمنيهم وكافريهم، فكافرهم شرّ من كافري الأمم، ومؤمنهم خير من مؤمني الأمم فلهم التقدم كما ورد في الخبر في قريش أنهم المقدمون على جميع القبائل في الخير والشرّ.

وجعل الإمامة فيهم سواء عدلوا أم جاروا، فإن عدلوا فلرعيتهم ولهم، وإن جاروا فلرعيتهم وعليهم، يعني ما فرطو فيه من حقوق الله وحقوق من استرعاهم الله عليهم، فأقطاب هذه الأمة المختارة مقدمون على الأقطاب المتقدمين في الأمم السالفة أعني الأقطاب الوارثين المتبعين آثار رسلهم.

ثم نرجع ونقول: إن أقطاب هذه الأمة المحمدية على أقسام مختلفة، وما أعني بالأقطاب الذين لا يكون في كل عصر منهم إلاّ واحد إنما نذكر ذلك في الإثني عشر قطباً في الباب الذي يلي هذا الباب، وإنما أذكر في الأقطاب المحمديين كل من دار عليه أمر جماعة من الناس في إقليم أو جهة كالأبدال في الأقاليم السبعة لكل إقليم بدل هو قطب ذلك الإقليم، وكالأوتاد الأربعة لهم أربع جهات يحفظها الله بهم من شرق وغرب وجنوب

Marfat.com

وشمال لكل جهة وتد، وكأقطاب القرى فلا بدّ في كل قرية من وليّ لله تعالىٰ به يحفظ الله تلك القرية سواء كانت تلك القرية كافرة أو مؤمنة فذلك الوليّ قطبها.

وكذلك أصحاب المقامات فلا بدّ للزهاد من قطب يكون المدار عليه في الزهد في أهل زمانه، وكذلك في التوكل والمحبة وسائر المقامات والأحوال لا بدّ في كل صنف صنف من أربابها من قطب يدور عليه ذلك المقام، ولقد أطلعني الله تعالىٰ على قطب المتوكلين فرأيت التوكل يدور عليه كأنه الرحى حين تدور على قطبها وهو عبد الله بن الأستاذ المورورى من مدينة مورور ببلاد الأندلس كان قطب التوكل في زمانه عاينته وصحبته بفضل الله وكشفه لي، ولما اجتمعت به عرفته بذلك فتبسم وشكر الله تعالىٰ. وكذلك اجتمعت بقطب الزمان سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بمدينة فاس أطلعني الله عليه في واقعة وعرفني به فاجتمعنا يوماً ببستان بن حيون بمدينة فاس وهو في الجماعة لا يؤبه له فحضر في الجماعة وكان غريباً من أهل بجاية أشل اليد، وكان في المجلس معنا شيوخ من أهل الله معتبرون في طريق الله منهم أبو العباس الحصار وأمثاله، وكانت تلك الجماعة بأسرها إذا حضروا يتأدّبون معنا فلا يكون المجلس إلاّ لنا ولا يتكلم أحد في علم الطريق فيهم غيري، وإن تكلموا فيما بينهم رجعوا فيها إليّ فوضع ذكر الأقطاب وهو في الجماعة فقلت لهم: يا إخواني إني أذكر لكم في قطب زمانكم عجباً، فالتفت إلى ذلك الرجل الذي أراني الله في منامي أنه قطب الوقت وكان يختلف إلينا كثيراً ويحبنا فقال لي: قل ما أطلعك الله عليه ولا تسم الشخص الذي عين لك في الواقعة وتبسم وقال: الحمد لله، فأخذت أذكر للجماعة ما أطلعني الله عليه من أمر ذلك الرجل فتعجب السامعون وما سميته ولا عينته وبقينا في أطيب مجلس مع أكرم إخوان إلى العصر ولا ذكرت للرجل أنه هو، فلما انفضت الجماعة جاء ذلك القطب وقال: جزاك الله خيراً ما أحسن ما فعلت حيث لم تسم الشخص الذي أطلعك الله عليه والسلام عليك ورحمة الله، فكان سلام وداع ولا علم لي بدلك، فما رأيته بعد ذلك في المدينة إلى الآن.

فالأقطاب المحمديون هم الذين ورثوا محمداً ﷺ فيما اختصّ به من الشرائع والأحوال ممّا لم يكن في شرع تقدمه ولا في رسول تقدمه، فإن كان في شرع تقدم شرعه وهو من شرعه أو في رسول قبله وهو فيه ﷺ فذلك الرجل وارث ذلك الرسول المخصوص ولكن من محمد ﷺ، فلا ينسب إلاّ إلى ذلك الرسول، وإن كان في هذه الأمة فيقال فيه

Marfat.com

موسوي إن كان من موسىٰ أو عيسوي أو إبراهيمي أو ما كان من رسول أو نبي، ولا ينسب إلى محمد ﷺ إلاَّ من كان بمثابة ما قلناه ممّا اختصّ به محمد ﷺ، وليس أعمّ في الاختصاص من عدم التقييد بمقام يتميز به، فما يتميز المحمدي إلاَّ بأنه لا مقام له بتعين فمقامه أن لا مقام، ومعنى ذلك ما نبينه وهو أن الإنسان قد تغلب عليه حالته فلا يعرف إلاَّ بها فينسب إليها ويتعين بها، والمحمدي نسبة المقامات إليه نسبة الأسماء لي الله فلا يتعين في مقام ينسب إليه بل هو في كل نفس وفي كل زمان وفي كل حال بصورة ما يقتضيه ذلك النفس أو الزمان أو الحال فلا يستمر تقيده، فإن الأحكام الإلهية تختلف في كل زمان فيختلف باختلافها فإنه عزّ وجلّ: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ فكذلك المحمدي وهو قوله تعالىٰ: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾ ولم يقل عقل فيقيده والقلب ما سميّ إلاَّ بتقلبه في الأحوال والأمور دائماً مع الأنفاس.

فمن عباد الله من يعلم ما يتقلب فيه في كل نفس، ومنهم من يغفل عن ذلك، فالقطب المحمدي أو المفرد هو الذي يتقلب مع الأنفاس علماً كما يتقلب معها حالاً كل واحد من خلق الله، فما زاد هذا الرجل إلاَّ بالعلم بما يتقلب فيه وعليه لا بالتقليب فإن التقلب أمر يسري في العالم كله وفيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك على التفصيل والتعيين، وإن علموه على الإجمال فمنازلهم على قدر علمهم فيما يتقلبون فيه وعليه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. وشرح هذا الباب وبسطه يطول فرأينا الاقتصار على ما ذكرناه وأومأنا إليه وتوخيناه، في ذكرنا هجيرهم يتبين مقامهم والله يتولى التوفيق.

Marfat.com

الباب الثالث والستون وأربعمائة

في معرفة الإثني عشر قطباً الذين يدور عليهم عالم زمانهم

منتهـى الأسمـاء فـي العـدد لإثنتـي عشـر مـع العقـد
وهـو المنعـوت بـالعـدد وهـو المنعـوت بـالأحـد
فبهـم حفـظ الـوجـود ومـا فـي وجـود الحق مـن عـدد
ظهـرت أحكـام نشـأتهـم فـي التـي قـامـت بـلا عمـد
تـمّ فـي الأركـان حكمهمـو فـي أب منهـا وفـي ولـد

قال الله تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿قل هو الله أحد﴾ وعرفه فقال: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾ يقول: يميلون عن أسمائه لا بل يقول: يميلون في أسمائه إلى غير الوجه الذي قصد بها ﴿سيجزون ما كانوا يعملون﴾ من ذلك فكل يجزى بما مال إليه فيما أوحينا يقول: ﴿اتبع ما أوحي إليك من ربك﴾ ولا تمل بميلهم فإني خلقتك متبعاً لا متبعاً اسم مفعول لا اسم فاعل، ولذلك قال له عند ذكر الأنبياء: ﴿فبهداهم اقتده﴾ لا بهم وهداهم ليس سوى شرع الله فقال: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً﴾ وذكر من ذكر فكان الشارع لنا الله الذي شرع لهم فلو أخذ عنهم لكان تابعاً فافهم.

فأقطاب هذه الأمة إثنا عشر قطباً عليهم مدار هذه الأمة، كما أن مدار العالم الجسميّ والجسمانيّ في الدنيا والآخرة على إثني عشر برجاً قد وكلهم الله بظهور ما يكون في الدارين من الكون والفساد المعتاد وغير المعتاد، أما المفردون فكثيرون والختمان منهم أي من المفردين فما هما قطبان، وليس في الأقطاب من هو على قلب محمد ﷺ. وأما المفردون فمنهم من هو على قلب محمد ﷺ والختم منهم أعني خاتم الأولياء الخاص. فأما الأقطاب الإثنا عشر فهم على قلوب الأنبياء عليهم السلام فالواحد منهم على قلب وإن شئت قلت على قدم وهو أولى فإني هكذا رأيته في الكشف بإشبيلية وهو أعظم في الأدب مع الرسل والأدب مقامنا، وهو الذي أرتضيه لنفسي ولعباد الله، فنقول: إن الأوّل أعني واحداً منهم

Marfat.com

على قدم نوح عليه السلام. والثاني: على قدم إبراهيم الخليل عليه السلام. والثالث: على قدم موسىٰ عليه السلام. الرابع: على قدم عيسىٰ عليه السلام. والخامس: على قدم داود عليه السلام. والسادس: على قدم سليمان عليه السلام. والسابع: على قدم أيوب عليه السلام. والثامن: على قدم إلياس عليه السلام. والتاسع: على قدم لوط عليه السلام. والعاشر: على قدم هود عليه السلام. والحادي عشر: على قدم صالح عليه السلام. والثاني عشر: على قدم شعيب عليه السلام. ورأيت جميع الرسل والأنبياء كلهم مشاهدة عين، وكلمت منهم هوداً أخا عاد دون الجماعة، ورأيت المؤمنين كلهم مشاهدة عين أيضاً من كان منهم ومن يكون إلى يوم القيامة أظهرهم الحق لي في صعيد واحد في زمانين مختلفين، وصاحبت من الرسل وانتفعت به سوى محمد ﷺ جماعة منهم إبراهيم الخليل قرأت عليه القرآن، وعيسىٰ تبت على يديه، وموسىٰ أعطاني علم الكشف والإيضاح وعلم تقليب الليل النهار، فلما حصل عندي زال الليل وبقي النهار في اليوم كله فلم تغرب لي شمس ولا طلعت، فكان لي هذا الكشف إعلاماً من الله أنه لا حظ لي في الشقاء في الآخرة، وهود عليه السلام سألته عن مسألة فعرفني بها فوقعت في الوجود كما عرفني بها هذا إلى زماني هؤلاء، وعاشرت من الرسل محمداً ﷺ وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ وهوداً وداود وما بقي فرؤية لا صحبة.

واعلم أن كل قطب من هؤلاء الأقطاب له لبث في العالم أعني دعوتهم فيمن بعث إليهم آجال مخصوصة مسماة تنتهي إليها، ثم تنسخ بدعوة أخرى كما تنسخ الشرائع بالشرائع وأعني بدعوتهم ما لهم من الحكم والتأثير في العالم، فلنذكر مدد أعمارهم في حياتهم الدنيا. فمنهم من كان عمره في ولايته ثلاثة وثلاثين سنة وأربعة أشهر. ومنهم من كانت مدته ثلاثين سنة وثلاثة أشهر وعشرين يوماً. ومنهم من دامت مدته ثمانياً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام. ومنهم من دامت مدته خمساً وعشرين سنة. ومنهم من دامت مدته اثنتين وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وعشرين يوماً. ومنهم من دامت مدته تسع عشرة سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام. ومنهم من دامت مدته ستة عشر سنة وثمانية أشهر. ومنهم من دامت مدته ثلاث عشرة سنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً. ومنهم من دامت مدته إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام. ومنهم من دامت مدته سنتين وتسعة أشهر وعشرة أيام. ومنهم من دامت مدته ثمان سنين وأربعة أشهر. ومنهم من دامت مدته خمس سنين وستة أشهر وعشرين يوماً وهجيرهم واحد وهو الله، الله بسكون الهاء وتحقيق الهمزة ما لهم هجير

Marfat.com

سواه، وما عدا هؤلاء الأقطاب من أقطاب القرى والجهات والأقاليم وشيوخ الجماعات فأنواع كثيرة وهي التي أذكر منها في هذا الفصل ما تيسّر، وما أذكر ذلك إلاّ لأجل نتيجة ذلك الذكر لمن دام عليه على الحال المعروفة في الذكر في ﴿الذاكرين الله كثيراً والذاكرات﴾ ولو لم نقصد ذلك لم يكن في ذكري وتعييني له في هذا الكتاب منفعة، فلنذكر أوّلاً من أحوال هؤلاء الأقطاب ما تيسّر مع أحدية هجيرهم، وإنما توحد لتوحد مقام القطبية فذلك هو هجير القطبية لا هجير الشخص، ولكل واحد منهم هجير في أوقات خلاف هذا، وقال عليه السلام: «لا تقوم الساعة حتى لا يبقى في الأرض من يقول: الله الله» يريد لا يبقى قطب يكون عليه مدار العالم ولا مفرد يحفظ الله بهمته العالم وإن لم يكن قطباً فلا تقم الساعة إلاّ على أشرار الناس.

فأما أحد الأقطاب فهو على قدم نوح عليه السلام فله من سور القرآن سورة يس فإنه لكل قطب سورة من القرآن من هؤلاء الإثني عشر، وقد يكون لمن سواهم من الأقطاب الذين ذكرناهم السورة من القرآن والآية الواحدة من القرآن، وقد يكون للواحد منهم ما يزيد على السورة، وقد يكون منهم من له القرآن كله كأبي يزيد البسطاميّ ما مات حتى استظهر القرآن. فلنذكر ما يختص به هؤلاء الإثنا عشر من سور القرآن، فهذا القطب الواحد له سورة ﴿يس﴾ وهو أكمل الأقطاب حكماً جمع الله له بين الصورتين الظاهرة والباطنة، فكان خليفة في الظاهر بالسيف وفي الباطن بالهمة ولا أسميه ولا أعينه فإني نهيت عن ذلك وعرفت لأي أمر منعت من تعيينه باسمه، وليس في جماعة هؤلاء الأقطاب من أوتي جوامع ما تقتضيه القطبية غير هذا، كما أوتي آدم عليه السلام جميع الأسماء، كما أوتي محمد ﷺ جوامع الكلم، ولو كان ثم قطب على قدم محمد ﷺ لكان هذا القطب إلاّ أنه ما ثم أحد على قدم محمد ﷺ إلاّ بعض الأفراد الأكابر ولا يعرِف لهم عدد وهم أخفيا في الخلق أبرياء علماً بالله لا يرزؤون ولا يعرفون فيرزؤون مقامهم الحفظ فيما يعلمون، لا يدخل عليهم في علمهم شبهة تحيرهم فيما علموه بل هم على بينة من ربهم هذا حال الأفراد.

فلنرجع إلى ذكر هذا القطب فنقول: إن منازله عند الله على عدد آيات هذه السورة، وكذلك كل قطب منازله على عدد آيات سورته وسورهم معلومة أذكرها جملة ثم أذكرها إن شاء الله تعالىٰ، فالواحد له كما قلنا سورة ﴿يس﴾. والثاني: سورة الإخلاص. والثالث: سورة ﴿إذا جاء نصر الله﴾ والرابع: سورة الكافرون. والخامس: سورة ﴿إذا زلزلت﴾.

Marfat.com

والسادس: سورة البقرة. والسابع: سورة المجادلة. والثامن: سورة آل عمران. والتاسع: سورة الكهف وهو الذي يقتله الدجال ويدرك عيسىٰ عليه السلام. والعاشر: سورة الأنعام. والحادي عشر: سورة طه. وهذا القطب هو نائب الحق تعالىٰ كما كان علي بن أبي طالب نائب محمد ﷺ في تلاوة سورة براءة على أهل مكة، قد كان بعث بها أبا بكر ثم رجع عن ذلك فقال: لا يبلغ عني القرآن إلاّ رجل من أهل بيتي فدعا بعلي فأمره فلحق أبا بكر فلما وصل إلى مكة حج أبو بكر بالناس وبلغ عليّ إلى الناس سورة براءة وتلاها عليهم نيابة عن رسول الله ﷺ، وهذا ممّا يدلك على صحة خلافة أبي بكر الصديق ومنزلة عليّ رضي الله عنهما. والثاني عشر: سورة تبارك الملك. فهذه سور الأقطاب من القرآن، إلاّ أن صاحب سورة المجادلة التي هي: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله﴾ إنما هو سورته الواقعة وله تولع بهذه السورة. وكذلك الذي له سورة الإخلاص لا غير ومنازلهم كما قد ذكرنا، غير أن المنازل بحسب الآيات ومن ذكر وما ذكر فيها، فإن التفاضل في الآيات مشهور على الوجه الذي جاء، وفضلها يرجع إلى التالي من حيث ما هي عليه الآية في التلاوة متكلم بها لا من حيث أنها كلام الله، فإن ذلك لا تفاضل فيه، وإنما التفاضل يكون فيما تكلم به لا في كلامه فاعلم ذلك.

فأما حال هذا القطب فله التأثير في العالم ظاهراً وباطناً يشيد الله به هذا الدين أظهره بالسيف وعصمه من الجور فحكم بالعدل الذي هو حكم الحق في النوازل، وربما يقع فيه من خالف حكمه من أهل المذاهب مثل الشافعية والمالكية والحنفية والحنابلة ومن انتمى إلى قول إمام لا يوافقها في الحكم هذا القطب وهو خليفة في الظاهر، فإذا حكم بخلاف ما يقتضيه أدلة هؤلاء الأئمة قال أتباعهم بتخطئته في حكمه ذلك وأثموا عند الله بلا شك وهم لا يشعرون، فإنه ليس لهم أن يخطئوا مجتهداً لأن المصيب عندهم واحد لا بعينه، ومن هذه حاله فلا يقدم على تخطئة عالم من علماء المسلمين، كما تكلم من تكلم في أمارة أسامة وأبيه زيد بن حارثة حتى قال في ذلك رسول الله ﷺ ما قال، فإذا طعن فيمن قدمه رسول الله ﷺ وأمره ورجحوا نظرهم على نظر رسول الله ﷺ فما ظنك بأحوالهم مع القطب أين الشهرة من الشهرة؟ هيهات فزنا وخسر المبطلون، فوالله لا يكون داعياً إلى الله إلاّ من دعا على بصيرة لا من دعا على ظنّ وحكم به، لا جرم أن من هذه حاله حجر على أمّة محمد ﷺ ما وسع الله به عليهم، فضيق الله عليهم أمرهم في الآخرة وشدّد الله عليهم يوم القيامة المطالبة والمحاسبة لكونهم شدّدوا على عباد الله أن لا ينتقلوا من مذهب إلى مذهب

Marfat.com

في نازلة طلباً لرفع الحرج، واعتقدوا أن ذلك تلاعب بالدين وما عرفوا أنهم بهذا القول قد مرقوا من الدين، بل شرع الله أوسع وحكمه أجمع وأنفع ﴿وقفوهم إنهم مسؤولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون﴾ هذا حال هؤلاء يوم القيامة فلا يؤذن لهم فيعتذرون.

ولهذا القطب مقام الكمال فلا يقيده نعت هو حكيم الوقت لا يظهر إلَّا بحكم الوقت، وبما يقتضيه حال الزمان الإرادة بحكمه ما هو بحكم الإرادة فله السيادة وفيه عشر خصال: أوّلها الحلم مع القدرة لأن له الفعل بالهمة فلا يغضب لنفسه أبداً، وإذا انتهكت محارم الله فلا يقوم شيء لغضبه فهو يغضب لله. والثانية: الأناة في الأمور التي يحمد الله الأناة فيها مع المسارعة إلى الخيرات فهو يسارع إلى الأناة ويعرف مواطنها. والثالثة: الاقتصاد في الأشياء فلا يزيد على ما يطلبه الوقت شيئاً فإن الميزان بيده يزن به الزمان والحال فيأخذ من حاله لزمانه ومن زمانه لحاله فيخفض ويرفع. والرابعة: التدبير وهو معرفة الحكمة فيعلم المواطن فيلقاها بالأمور التي تطلبها المواطن كما فعل أبو دجانة حين أعطاه النبيّ ﷺ السيف بحقه في بعض غزواته فمشى به الخيلا بين الصفين فقال رسول الله ﷺ وهو ينظر إلى زهوه: «هذه مشية يغضبها الله ورسوله إلَّا في هذا الموطن» ولهذا كان مشى رسول الله ﷺ فيه سرعة كأنما ينحط في صبب، فصاحب التدبير ينظر في الأمور قبل أن يبرزها في عالم الشهادة فله التصرّف في عالم الغيب فلا يأخذ من المعاني إلَّا ما تقتضيه الحكمة فهو الحكيم الخبير، فما ينبغي أن يبديه مجملاً أبداه مجملاً، وما ينبغي أن يبديه مفصلاً أبداه مفصلاً، وما ينبغي أن يبديه محكماً أبداه محكماً، وما ينبغي أن يبديه متشابهاً أبداه متشابهاً.

والخصلة الخامسة: التفصيل وهو العلم بما يقع به الامتياز بين الأشياء ممّا يقع به الاشتراك، فينفصل كل أمر عن مماثله ومقابله وخلافه، ويأتي إلى الأسماء الإلهية القريبة التشابه كالعليم والخبير والمحصي والمحيط والحكيم وكلها من أسماء العلم وهي بمعنى العليم، غير أن بين كل واحد وبين الآخر دقيقة وحقيقة يمتاز بها عن الباقي، هكذا في كل اسم يكون بينه وبين غيره مشاركة. والسادسة: العدل وهو أمر يستعمل في الحكومات والقسمة والقضايا وإيصال الحقوق إلى أهلها وهو في الحقوق شبيه بما ذكر الله عن نفسه أنه أعطى كل شيء خلقه، وقوله في موسىٰ: ﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾ وقوله في ناقة صالح: ﴿لها شرب ولكم شرب يوم معلوم﴾ ويتعلق به علم الجزاء في الدارين. والعدل بين الجناية والحد والتعزير. والسابعة: الأدب وهو العلم بجوامع الخيرات كلها في كل عالم

Marfat.com

وهو العلم الذي يحضره في البساط ويمنحه المجالسة والشهود والمكالمة والمسامرة والحديث والخلوة والمعاملة بما في نفس الحق في المواطن من الجلوة، فهذا وأمثاله هو الأدب. والثامنة: الرحمة ومتعلقها منه كل مستضعف وكل جبار فيستنزله بحرمته ولطفه من جبروته وكبريائه وعظمته بأيسر مؤنة في لين وعطف وجنان. والتاسعة: الحيا فيستحي من الكاذب عن الكاذب ويظهر له بصورة من صدقه في قوله: لا يظهر له بصورة من تعامى عنه حتى يعتقد فيه الكاذب أنه قد مشى عليه حديثه وأنه جاهل بمقامه وبما جاء به فيذل في شغله ثم لا يكون في حقه عند ربه إلاَّ واسطة خير يدعو له بالتجاوز فيما بينه وبين الله عند الوقوف والسؤال يوم القيامة، وقد ورد في الخبر: «**إن الله يوم القيامة يدعو بشيخ فيقول له ما فعلت؟ فيقول من المقربات ما شاء الله والله يعلم أنه كاذب في قوله فيأمر به إلى الجنة فتقول الملائكة: يا رب إنه كذب فيما ادّعاه، فيقول الحق: قد علمت ذلك ولكني استحييت منه أن أكذب شيبته**» وما أوصل إلينا رسول الله ﷺ هذا الخبر عن الله إلاَّ لنكون بهذه الصفة فنحن أحق بها لحاجتنا أن يعاملنا الحق بها. والعاشرة: الإصلاح وأعظمه إصلاح ذات البين وهو قوله تعالىٰ: ﴿وأصلحوا ذات بينكم﴾ وقد ورد في الخبر: «**أن الله يصلح بين عباده يوم القيامة فيوقف الظالم والمظلوم بين يديه للحكومة والإنصاف ثم يقول لهما: ارفعا رؤوسكما فينظران إلى خير كثير فيقولان: لمن هذا الخير؟ فيقول الله لهما: لمن أعطاني الثمن، فيقول المظلوم: يا رب ومن يقدر على ثمن هذا؟ فيقول الله له: أنت بعفوك عن أخيك هذا، فيقول المظلوم: يا رب قد عفوت عنه، فيقول الله له: خذ بيد أخيك فادخلا الجنة، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم﴾ فإن الله يصلح بين عباده يوم القيامة**».

وأما القطب الثاني من الإثني عشرة فهو على قدم الخليل إبراهيم عليه السلام وهو الذي له سورة الإخلاص الذي حبّه إياها أدخله الجنة ولقارئها ثلث القرآن وله من المنازل بعدد آيها وهو صاحب الحجة والدليل النظريّ يكون له خوض في المعقولات فيصيب ولا يخطيء، وذلك أنّ الناس قد اختلفوا في العلم الموهوب الذي من شأنه أن يدركه العاقل بفكره ويوصله إليه دليل النظر، فقال بعضهم مثل هذا العلم إذا وهبه الله من وهبه وهبه بدليله فيعلم الدليل والمدلول لا بدّ من ذلك. ورأيت أبا عبد الله الكتاني بمدينة فاس إماماً من أئمة المسلمين في أصول الدين والفقه يقول بهذا القول فقلت له: هذا ذوقك هكذا أعطاكه الحق فذوقك صحيح وحكمك غير صحيح بل قد يعطيه العلم الذي لا يحصل إلاَّ بالدليل النظري ولا يعطيه دليله وقد يعطيه إياه ويعطيه دليله كإبراهيم الخليل، قال تعالىٰ:

Marfat.com

﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾ وهو أكمل من الذي يعطي العلم الذي يوصل إليه بالدليل ولا يعطي الدليل ولا يشترط أحد تخصيص دليل من دليل إنما يعطي دليلاً في الجملة، فإن الأدلة على الشيء الواحد قد تكثر، ومنها ما يكون في غاية الوضوح، ومنها ما يغمض كمسألة إبراهيم الخليل في إحياء الموتى وإماتة الأحياء، وعدوله إلى إتيان الشمس من المشرق أن يأتي بها الخصم من المغرب وكلاهما دليل على المقصود، وهذا القطب من الدعاة إلى الله بالأمر الإلهيّ، ومسكنه في الهواء في فضاء الجوّ في بيت جالس على كرسي له نظر إلى الخلق لا يزال تالياً عنده جماعة من أهل الله وخاصته كلامه في الأحدية الإلهية وفي أحدية الواحد وفي أحدية الوحدانية بالأدلة النظرية وما حصلها عن نظر، ولكن هكذا وهبها الحق تعالىٰ له وحاله الحضور دائماً إلاّ أنه لم يحر مثل ما حار غيره، بل أبان الله له ما وقف عنده ولم يشغل خاطره بما يوجب عنده الحيرة قد تفرغ مع الله لقضاء حوائج الناس يعرف الأسماء الإلهية معرفة تامة يقول بنفي المثلية في جانب الحق أخبرني الحق بالطريقة التي جرت العادة أن يخبر بها عباده في أسرارهم أن هذا العبد أعطاه الرحمة لعباده والصلة لرحمه فسأله في أمر فلم يجبه الله إليه هو أنه سأله أن يرث مقامه عقبه فقال له: ليس ذلك إليك لا يكون مقام الخلافة بالورث ذلك في العلوم والأموال.

وأما الخلافة فكل خليفة في قوم بحسب زمانهم فإن الناس في زمانهم أشبه منهم بآبائهم، فإن الحق لا يحكم عليه خلق إلاّ في العلم، والخلق لا يعرف أن له هذه المرتبة إلاّ من أعلمه الله بذلك، ولقد رأيت من فتح الله عليه بصحبتي واستفاد أحوالاً وعلوماً وخرق عوائد أعطاه الله ذلك من حسن معاملته مع الله وأخبرني أنه ما استفاد شيئاً ممّا هو عليه إلاّ مني وأنا لا علم لي بذلك إنما أدعو إلى الله والله يعلم من يجيب ﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم، قالوا: لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب﴾ وصدقوا، وكذا هو الأمر، فلا علم لأحد إلاّ من يعلمه الله، وما عدا هذه الطريقة الإلهية في التعليم فإنما هو غلبة ظنّ أو مصادفة علم أو جزم على وهم وأما علم فلا، فإن جميع الطرق الموصلة إلى العلم فيها شبه لا تثق النفس الطاهرة التي أوقفها الله على هذه الشبه أن تقطع بحصول علم منها إلاّ بالطريقة الإلهية وهي قوله تعالىٰ: ﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ وقوله: ﴿خلق الإنسان علمه البيان﴾ فهو يبين عمّا في نفسه ولهذا القطب أسرار عجيبة.

وأما القطب الثالث وهو على قدم موسىٰ عليه السلام فسورته: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ ومنازله بعدد آيها ولها ربع القرآن، وهذا القطب كان من الأوتاد ثم نقل إلى القطبية

Marfat.com

كما كان القطب الثاني من الأئمة ثم نقل إلى القطبية وهو صاحب جهد ومكابدة لا ينفك عن الاشتغال بالخلق عند الله، أعطاه الله في منزل النداء إثني عشر ألف علم ذوقاً في ليلة واحدة، ومنزل النداء من أعظم المنازل وقد عيناه في منزل المنازل من هذا الكتاب ولنا فيه جزء مفرد أعني في طبقات المنازل وكمياتها. فمن علوم هذا القطب علم الإفتقار إلى الله بالله وهو علم شريف ما رأيت له ذائقاً لما ذقته، ومعنى هذا وسرّه أن الله أطلعه على أن حاجة الأسماء إلى التأثير في أعيان الممكنات أعظم من حاجة الممكنات إلى ظهور الأثر فيها وذلك أن الأسماء لها في ظهور آثارها السلطان والعزّة، والممكنات قد يحصل فيها أثر تتضرر به وقد تنتفع به وهي على خطر، فبقاؤها على حالة العدم أحب إليها لو خيّرت فإنها في مشاهدة ثبوتية حالية ملتذة بالتذاذ ثبوتي منعزلة كل حالة عن الحالة الأخرى لا تجمع الأحوال عين واحدة في حال الثبوت فإنها تظهر في شيئية الوجود في عين واحدة فزيد مثلاً الصحيح في وقت هو بعينه العليل في وقت آخر، والمعافى في وقت هو المبتلى في وقته ذلك بعينه، وفي الثبوت ليس كذلك فإن الألم في الثبوت ما هو في عين المتألم وإنما هو في عينه فهو ملتذ بثبوته كما هو ملتذ بوجوده في المتألم والمحل متألم به، وسبب ذلك أن الثبوت بسيط مفرد غير قائم شيء بشيء وفي الوجود ليس إلاّ التركيب فحامل ومحمول، فالمحمول أبداً منزلته في الوجود مثل منزلته في الثبوت في نعيم دائم، والحامل ليس كذلك فإنه إن كان المحمول يوجب لذة إلتذّ الحامل وإن أوجب ألماً تألم الحامل ولم يكن له ذلك في حال الثبوت بل العين الحاملة في ثبوتها تظهر فيما تكون عليه في وجودها إلى ما لا يتناهى، فكل حال تكون عليها هو إلى جانبها ناظر إليها لا محمول فيها، فالعين ملتذة بذاتها والحال ملتذ بذاته، فحال الأحوال لا يتغير ذوقه بالوجود، وحال الحامل يتغير بالوجود وهو علم عزيز، وما تعلم الأعيان ذلك في الثبوت إلاّ بنظر الحال إليها ولكن لا تعلم أنه إذا حملته تتألم به لأنها في حضرة لا تعرف فيها طعم الآلام بل تتخذه صاحباً، فلو علمت العين أنها تتألم بذلك الحال إذا اتصف به لتألمت في حال ثبوتها بنظره إياها لعلمها أنها تتلبس به وتحمله في حال وجودها فتألفها به في الثبوت تنعم لها، وهذا الفن من أكبر أسرار علم الله في الأشياء شاهدته ذوقاً إلهياً لأن من عباد الله من يطلعه الله كشفاً على الأعيان الثبوتية فيراها على صورة ما ذكرناها من المجاورة والنظر ما يرى فيها حالاً ولا محلاً:

بل كل ذات على انفراد — من غير شوب ولا اتحاد
ولا حلول ولا انتقال — ولا اتفاق ولا عناد

Marfat.com

فإذا فهمت الفرق بين الوجود والثبوت وما للأعيان في الوجود وما لها في الثبوت من الأحكام علمت أن بعض الأعيان لا تريد ظهور الأثر فيها بالحال ما لها في ذلك ذوق فهي بالحال لو عرض عليها ذوق الالم في حال الثبوت لضجت، فإن أمرها في حال الوجود إذا حملت الألم قد تحمل الصبر وقد لا تحمله، وفرضناها في حال الثبوت حاملة فاقدة للصبر فما لها بلسان الحال ذلك الإفتقار إلى طلب الوجود إن طلبته بالقول الثبوتي من الله، فإذا وجدت تقول كما قد نقل عن بعضهم ليتني لم أخلق، ليت عمر لم تلده أمه، ليتها كانت عاقراً، وأمثال هذا، فتكون الأعيان أقل افتقاراً من الأسماء، والأسماء أشد افتقاراً لما لها في ذلك من النعيم ولا سيما وهي تشاهد من الحق الابتهاج الذاتي بالكمال من حيث استصحاب الممكنات في ثبوتها لذاته وأنه منزّه عن أثرها والتأثر بسببها، فهو من حيث ذاته في كمال عن التأثّر في حال ثبوت الأعيان وحال وجودها لأنه ما زاد في نفسه علماً بما لم تكن عليه فيها فإنها أعطته العلم بشأنها أزلاً وبتلك الصورة توجد، فالمجاورة في الثبوت حلول في الوجود ففي الثبوت إلى جانبها وفي الوجود حال فيها، فهذا علم واحد من تلك العلوم فاعلم ذلك.

وأما القطب الرابع الذي على قدم عيسىٰ عليه السلام فسورته من القرآن: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ ولها ربع القرآن، ومنازله بعدد آيها، وهذا القطب من الضنائن المصانين له التجلي الدائم كلامه في الجمع والوجود وعلم المزيد، إذا رأى شبهة في أحد تحول بينه وبين العلم أزالها حتى يتبين لصاحبها صورة الحق في ذلك الأمر، له ستمائة مفتاح مقام في كل مقام من العلوم ما شاء الله، له علم الإمتزاج والتركيب الاعتداليّ لا يعرف الانحراف ولا النقص ولا الزيادة، مسكنه بقبة أرين منقطع عن الخلق إلاَّ من شاء الله عاش طيباً مع الله إلى أن توفاه الله، وكان من الأوتاد أيضاً فانتقل إلى القطبية يقول: إن الوجود وجود الحق، وأن الجمع جمع الحق صفات القدم والحدوث وهو علم غريب في الجمع ما رأيت من يقول به من أهل الله غير هذا القطب، فإني شاهدت هؤلاء الأقطاب أشهدنيهم الحق وإن كانوا قد درجوا من الدنيا وهو العلم الذي وردت به الشرائع في جانب الحق فنقول ذلك هو الجمع، وعنده أن المحدث صاحب دعوى في تلك الصفات المسماة محدثة، ولأجل دعواه قلنا إنه جمع، وإلاَّ فالأمر واحد كلها صفات قدم في القديم ومحدثة في المحدث لظهورها فيه ولم تكن ظاهرة فحدثت عند المتصف بها كما قال: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ وليس إلاَّ كلام الله القديم فجمعنا عليه ماله مع نسبته إلينا فسمّى من فعل ذلك صاحب جمع

Marfat.com

ووجود فمحكوم حكم الممكنات وجود الحق لا غيره فمن فهم الجمع هكذا علم الأمور كيف هيه:

مـــن درى الجمـــع هكـــذا علـــم الأمـــر كيـــف هـــو
فهـــو الحـــق لا ســـوا فـــــلا تسمعنـــــــه

وأما القطب الخامس الذي على قدم داود عليه السلام فسورته من القرآن: ﴿إذا زلزلت﴾ ولها نصف القرآن ومنازله بعدد آيها وحاله التفرقة وله مقام المحبة فهو معلول للحب فداؤه دواؤه وماله علم يتقدم فيه على غيره إلاَّ علم ثبوت المحبة الإلهية والكونية، ولهذا كان في مقام التفرقة وكان من الأئمة فنقل إلى القطبية، يقول هذا القطب: إن الحب ما ثبت وكل حب يزول فليس بحب أو يتغير فليس بحب لأن سلطان الحب أعظم من أن يزيله شيء، حتى أن الغفلة التي هي أعظم سلطان تحكم على الإنسان لا يتمكن لها أن تزيل الحب من المحب يتمكن عنده أن يغفل الإنسان عن نفسه بمحبوبه ولا يتمكن للمحب أن يغفل بأحد عن محبوبه فذلك هو المحب وذلك هو الحب:

فـــداء المحبـــة مـــا لا يـــزول وأن الشفـــاء لـــه مستحيـــل
فـــلا تـــركنـــن إلـــى غيـــر ذا ولا تصغيـــن إلـــى مـــا يقـــول

فبحب الله أحببنا الله وحب الحق لا يتغير، فحب الكون لا يتغير، فقيل له: فحب الكون الكون هل يتغير؟ قال: لا لأن الكون محبوب لذاته، والمحبة الذاتية لا يمكن زوالها، قيل له: فقد رأينا من تستحيل مودته، فقال: تلك إرادة ما هي محبة إذ لو كانت محبة ثبتت ألا تراها تسمّى وداً لثبوتها وثبوت حكمها؟ وذلك أنه ما في المحب لغير محبوبه فضلة من ذاته يتمكن للمزيل أن يدخل عليه منها هذا سبب ثبوتها، فإنه يشاهد عين محبوبه في كل شيء يشهده فلا يفقده، فلو صحّ للمحب أن يشهد غير محبوبه في عين ما لدخل عليه من ذلك ما يزيل حبه وهذا ليس بواقع في الحب، فالتبس على من هذه حالته حكم الإرادة بحكم الحب وما كل مريد محب وكل محب مريد، وما كل مراد محبوب وكل محبوب مراد، فمقام هذا القطب ما ذكرناه وشأنه عجيب وتفصيل حاله يطول ومذهبنا الاختصار.

وأما القطب السادس الذي على قدم سليمان عليه السلام فسورته الواقعة ولها الحياة الدائمة، ومنازله بعدد آيها، اختصّ بعلم الحياة والحيوان لا يأخذ حالاً من أحواله إلاَّ عن

Marfat.com

ربه، فأحواله أحوال ربه هديه هدي الأنبياء كما أمر الله نبيه ﷺ لما ذكر له الأنبياء عليهم السلام قال: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ وما قال فبهم اقتده، فعلمنا أن محمداً مسا ولجميع من ذكره من الأنبياء ومن لم يذكره فإنه لكل نبي هدى كما ذكر: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾ فهو سبحانه نصب الشرائع وأوضح المناهج وجمع ذلك كله في محمد ﷺ، فمن رآه فقد رأى جميع المقربين، ومن اهتدى بهديه فقد اهتدى بهدي جميع النبيين:

وما على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

وأعني بقولي إن أحوال هذا القطب أحوال ربه ما قال الحق عن نفسه من أنه كل يوم في شأن فهذا عبارة عن اختلاف الأحوال، فهو من القوم الذين يشاهدون الحق في شؤونه فينظرون إلى ماله من الشؤون فيهم فيتلبسون بها منه فهم من أحوالهم على بصيرة، فمن هذه حاله ما هو مثل من حاله التخلق بالأسماء الإلهية بل لهذا ذوق ولهذا ذوق، فمثل هذا الرجل يكون مجهول الحال لأن مواطن الحق خفية لا يدركها إلاّ من كان مقامه التلبس بالشؤون، والدليل على ذلك أنا قد جمعنا على أنه لا موجد إلاّ الله وأنه حكيم يضع الأمور مواضعها ولا يتعدى بها موطنها، فكل شيء ظهر في العالم فهو حكمة في موضعه، وقد جمعنا أن جميع الخلق وأن أهل الله أكثرهم يقولون: لو كان كذا عن فعل من الأفعال ظهر في الوجود على يد إنسان لكان أحسن من هذا الفعل الذي فعلت وأولى، يقولون للذي يظهر ذلك الفعل الإلهي فيه وعلى يديه فهل هذا إلاّ لجهلهم بحكمة الله فيما وقع لهم فيه مثل هذا القول؟ فهذا ما وقع من أهل الله إلاّ بغفلتهم عن الله لا بجهلهم، فإذا ذكروا تذكروا ويقع من غير أهل الله بجهله لا بغفلته، فإنه لا يزول عمّا ذهب إليه في ذلك الفعل من اللوم حتى تبدو له حكمة الله فيه متى بدت حينئذ يعترف بجهله ويعرف قصور علمه وعقله، وما رأيت أحداً من أهل هذا الذوق ولا سمعت بأنه ريء وهو قريب في غاية الظهور، ولكن الأغراض تمنع والأهواء من التعمّل في تحصيله، وذلك أن حجة من لا يروم تحصيله من أهل الدين يقول: إن الشرع قد أمرنا أن ننكر أشياء وأن نقول: الأولى ترك هذا من فعله مع علمي بأن الفعل لله، قلنا: صدقت ولكن ما خرج مثل هذا الاعتراض من شخص فهم رتبتي وذلك أني قلت إنه جهل حكمة الله فيما اعترض فيه، فمن اعترض باعتراض الشرع فهو ناقل اعتراض الله فيما اعترض ما هو المعترض، وذلك الاعتراض إذا وجد من الله يعلم صاحب هذا الذوق حكمته ومنزلته، وصاحب هذا الحال يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقيم الحدود وهو

Marfat.com

يشاهد حكمة ذلك كله ويراها في الشؤون الإلهية المشهودة له ولا يشهدها إلاَّ عند تكوينها خاصة، هذا هو مقام صاحب هذا الحال، فإن من أهل الله أيضاً من يشاهد هذه الشؤون قبل أن يكون الحق فيها، وهو الذي يشاهد أعيان الممكنات في حال عدمها كما يشهدها الحق، ولهذا يعين الحق منها ما يعين بالتكوين دون غيرها من الممكنات، فإن الحق لا يوجدها إلاَّ بما هي عليه في حال عدمها من غير زيادة ولا نقصان، ومن أهل الله من يشهد الأمر قبل ظهوره في الحسّ وهو التكوين الآخر يشهده في الإمام المبين وهو اللوح المحفوظ الحاوي على المحو والإثبات فكل شيء فيه، فلذلك الشيء تكوين أول في التسطير، وهذا الكشف دون كشف الذي يريه الله أعيان الممكنات على ما تكون عليه في حال الوجود فيحكم بها حكم الله فيها، ولإدراك هذه الشؤون قبل ظهورها في الحسّ مدارك كثيرة أعلاها ما ذكرناه أي أقصاها وبعده مشاهدة الحق في تكوينها، فإن ذلك أعلى من مشاهدة المشاهد إياها في الإمام المبين وفي غيره، ودون هذا الشهود كل شهود يكون للعبد قبل تكوين الشأن، هذا حال من قال: ما رأيت شيئاً إلاَّ رأيت الله معه، وهو أعلى حالاً من الذي يقول: ما رأيت شيئاً إلاَّ رأيت الله قبله، فإن الأولى كلمة تحقيق وإن كانت الأخرى مثلها في التحقيق لكن بينهما فرقان، فالواحد قوله مثل من يقول: رأيت زيداً يصنع كذا، ويقول الآخر: رأيت الصانع يصنع كذا، فهذا الفرق بين الشخصين فيما يشهد أنه، فإن الأسماء الأعلام ما وضعت إلاَّ للتخاطب بها في حال غيبة المسمّى بها وفي الحضور ما هي مطلوبة وإن جيء بها فأما لأدب يقتضيه الحال، وأما تأكيد في الأخبار فقد أبنت لك من حال هذا القطب ما سمعت وله أحوال كثيرة أعرفها أفعله في كل قطب ما أذكر جميع أحواله لأن ذلك يتسع الخرق فيه حيث أنه لا يفي به الوقت.

وأما القطب السابع الذي على قدم أيوب عليه السلام وسورته البقرة وهي البيضاء الحاوية على سيدة آي القرآن، ومنازله بعدد حروفها لا آيها، حال هذا القطب العظمة بحيث أنه يرى أن العالم لا يسعه لأن ذوقه كونه وسع الحق قلبه، وقد ورد في الخبر أن الحق يقول: ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي، وما كل قلب يسع الحق، وقال: ﴿ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ فبين مكان القلوب، فإذا كان مشهود العبد كون الحق في قلبه فكما لا يسع العالم الحق لا يسع العالم أيضاً هذا العبد، فهذا سبب شهود ضيق العالم عنه، وما رأيت من تحقق بهذا المقام وشهوده إلاَّ رجلاً بالموصل من أهل حديثه الموصل كان بهذه المثابة وأطلعه الحق على أمر ولم يطلعه على سره فيه، وكان

Marfat.com

يطلب على من يوضح له حاله فذكرني له الإمام نجم الدين محمد بن أبي بكر بن شاي الموصلي المدرس بمدرسة سيف الدين بن علم الدين بحلب في هذا الزمان الذي نحن فيه وهو سنة ثمان وعشرين وستمائة فطلب الاجتماع بنا، فلما وصل ذكرنا زلته فأوضحتها له فسرى عنه واستبشر وخرج لي بحاله لما رآني فهمته فوجدته قد أخذ من مقام العظمة بحظ وافر لكنه دون ذوق هذا القطب فيه لأنه أخبرني أن النخامة كانت تدور في فيه لا يقدر أن يلقيها من فيه لأنه لا يجد لها محلاً تقع فيه خالياً من الحق، وقد علم ما جاء في الأدب في إلقائها في الشرع فكان يتحير، ورأيت آخر مثله بإشبيلية من بلاد الأندلس، وروينا عن الحلاج أنه ذاق من هذا المقام حتى ظهر عليه منه حال المقام فكان له بيت يسمّى بيت العظمة إذا دخل فيه ملأه كله بذاته في عين الناظر حتى نسب إلى علم السيميا في ذلك لجهلهم بما هم عليه أهل الله من الأحوال، والمتمكن في هذا المقام لا يظهر عليها بالحال ما يدل على أنه صاحب هذا الذوق ولكن نعوته تجري بحكم هذا المقام لا حاله، فإن الحال يعطي خرق العوائد كما قال صاحب محاسن المجالس فيها لما ذكر الأحوال أنها للمريدين قال: والأحوال للكرامات يريد خرق العوائد، وليست الكرامات في عرف هذا اللسان الأخرق العوائد مع الاستقامة في الحال أو تنتج الاستقامة في الفور لا بدّ من ذلك عندهم، وسبب هذا التحديد أن خرق العادة قد لا يكون كرامة من الله للعبد، فأكملهم في مقام العظمة من يجهل حاله ولا يعرف فيعرف ما يعامل به ويجار الناظر فيه إلاّ أنه على بينة من ربه وبصيرة من أمره، فمن أراد أن يعرف أحوال هذا الإمام فليتدبر آيات سورة البقرة آية بعد آية حتى يختمها، فهذا القطب مجموع آيها وبالله التوفيق.

وأما القطب الثامن الذي على قدم إلياس عليه السلام سورته آل عمران وهي البيضاء أيضاً، ومنازله بعدد آيها، ولست أعني بقولي القطب الأول والثاني أن هذا الترتيب بالزمان إنما أريد به ترتيب العدد إلى أن يكمل إثنا عشر قطباً فقد يكون الثاني عشر أو غيره هو الأول بالزمان، إنما أعلمت بذلك لئلا يتوهم من قد أوقفه الله وأطلعه على العلم بأزمان هؤلاء الأقطاب فيرى هذا الترتيب الذي سقناه فيهم أنه ترتيب أزمانهم فلذلك بينت أنه ترتيب العدد لا غير، وحال هذا القطب العلم بالمتشابه من كلام الله الذي لا يعلم تأويله إلاّ الله، فيعلمه هذا القطب بإعلام الله خاصة ولا يعلم أبداً إلاّ بإعلام الله فيكون عنده محكماً في تشابهه فيعرف من أيّ وجه كان التشابه فيه فيحصل له علم المناسبة التي جمعت بين الله وبين من وقع معه التشابه في الآية كآيات التشبيه كلها، أو ترفع التشبيه من طريق دلالة اللفظ

Marfat.com

المشترك الذي لا يكون إلاَّ لمناسبة خفية، فإن المناسبة في التشبيه جلية وفي الاشتراك خفية لنور للعلم جلي، فتسمّى العلم نوراً والنور نوراً كقوله: ﴿وجعلنا له نوراً وجعلناه﴾ يعني الوحي وهو العلم ﴿نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا﴾ وفي الاشتراك كالعين، فالمناسبة في العينية في كل مسمّى بالعين خفية فهي عند هذا القطب جلية بإعلام الله.

وأما أصحاب التأويل بالنظر في ذلك فما هم على علم وإن صادفوا العلم، ومن هذا العلم تعلم أن النساء شقائق الرجال، ألا ترى حوّاء خلقت من آدم؟ فلها حكمان: حكم الذكورة بالأصل وحكم الأنوثة بالعارض فهي من المتشابه، فإن الإنسانية مجمع الذكر والأنثى، وأين حقيقة الفاعل من المنفعل لمن هو فيه فاعل ولا يفعل إلاَّ في مشاكله، وذلك أنه أول ما أحدث الانفعال في نفسه فظهر فيه صورة ما ينفعل عنه، وبتلك القوّة انفعل عنه ما انفعل وظهر كالبديع والمخترع والحق قد قدمنا تحقيق العلم بالعالم أن العلم يتبع المعلوم والعلم صفة العالم والمعطي العلم ما هو المعلوم عليه، ثم يعطي العالم إيجاد المعلوم كما يعطي المخترع إيجاد الأمر المخترع وإظهاره في الوجود، فمن هنا يعرف لما حبّب الله النساء لمحمد ﷺ، فمن أحب النساء حب النبيّ ﷺ لهنّ فقد أحب الله، والجامع الانفعال لما كان من إعطاء المعلوم العلم ليقال فيه أنه عالم فهو أول منفعل لمعلوم، وظهر في عيسىٰ انفعاله عن مريم في مقابلة حوّاء من آدم: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾ فيفهم قول الله عزّ وجلّ: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر﴾ مثل حوّاء ﴿وأنثى﴾ مثل عيسىٰ، وبالمجموع مثل بني آدم باقي الذرية، فهي الجامعة لخلق الناس، ولقد كنت من أكره خلق الله تعالىٰ في النساء وفي الجماع في أول دخولي إلى هذا الطريق وبقيت على ذلك نحواً من ثمان عشرة سنة إلى أن شهدت هذا المقام وكان قد تقدم عندي خوف المقت لذلك لما وقفت على الخبر النبوي أن الله حبّب النساء لنبيه ﷺ فما أحبهن طبعاً ولكنه أحبهن بتحبيب الله إليه، فلما صدقت مع الله في التوجه إليه تعالىٰ في ذلك من خوفي مقت الله حيث أكره ما حببه الله لنبيه أزال عني ذلك بحمد الله وحببهن إليّ، فأنا أعظم الخلق شفقة عليهن وأرعى لحقن، لأني في ذلك على بصيرة وهو عن تحبّب لا عن حب طبيعي، وما يعلم قدر النساء إلاَّ من علم وفهم عن الله ما قاله في حق زوجتي رسول الله ﷺ عندما تعاونا عليه وخرجا عليه كما ذكر الله في سورة التحريم وجعل في مقابلة هاتين المرأتين في التعاون عليه، من يعاون رسول الله ﷺ عليهما وينصره وهو الله وجبريل وصالحوا المؤمنين ثم الملائكة بعد ذلك، وليس ذلك إلاَّ لاختلاف السبب الذي لأجله يقع التعاون، فثم أمر لا يمكن إزالته إلاَّ

Marfat.com

بالله لا بمخلوق، ولذلك أمرنا أن نستعين بالله في أشياء وبالصبر في أشياء وبالصلاة في أشياء فاعلم ذلك، وكان ثم أمر وإن كان بيد الله، فإنّ الله قد أعطى جبريل اقتداراً على دفع ذلك الأمر، فأعان محمداً ﷺ في دفعه أن تعاونا عليه وأن رجعا عنه وأعطيا الحق من نفوسهما سكت عنهما كما سكتنا، فكان لهما الأمر من قبل ومن بعد، وهو نعت إلهيّ فإنه لحركتهما تحرك من تحرك ولسكونهما سكن الذي أراد التحرك، وكذلك صالحوا المؤمنين كان عندهما أمر نسبته في الإزالة بصالحي المؤمنين أقرب من نسبته إلى غيرهم، فيكون صالح المؤمنين معيناً لمحمد ﷺ ثم الملائكة بعد ذلك إذا لم يبق إلاّ ما يناسب عموم الملائكة التي خلقت مسخرة يدفع بها ما لا يندفع في الترتيب الإلهيّ إلاّ بالملائكة مع انفراد الحق بالأمر كله في ذلك والقيام به ولكن الجواز العقلي فأخبر الحق بالواقع لو وقع كيف كان يقع فما يقع إلاّ كما قاله، وما قال إلاّ ما علم أنه يقع بهذه الصورة، وما علم إلاّ ما أعطاه المعلوم من نفسه أنه عليه بما شهده أزلاً في عينه الثابتة في حال عدمه، فانظر يا وليّ كيف تبدي الأمور حقائقها الذي فهم وقلب، جعلنا الله وإياكم من أهل الفهم عن الله ممّن له قلب يعقل به عن الله وألقى السمع لخطاب الله وهو شهيد لما يحدثه الله في كونه من الشأن.

وأما القطب التاسع الذي على قدم لوط عليه السلام فسورته سورة الكهف ولها العصمة والإعتصام، ومنازله بعدد آيها حاله العصمة من كل ما يؤدي إلى سوء الأدب الذي يبعد صاحبه عن البساط فهو محفوظ عليه وقته أبداً، وعلمه علم الاعتصام، وقد عيّنه الله وحصره في أمرين الاعتصام به فقال عزّ من قائل: ﴿فاعتصموا بالله﴾ والاعتصام الآخر بحبله وهو قوله تعالىٰ: ﴿واعتمصوا بحبل الله جميعاً﴾ فمن الناس من اعتصم بالله، ومنهم من اعتصم بحبل الله، وقال: إن الاعتصام بحبل الله هو عين الاعتصام بالله، وهذا القطب جمع بين هذين الاعتصامين، والفرق بين الاعتصامين أن حبل الله هو الطريق الذي يعرج بك إليه مثل قوله: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ وليس حبله سوى ما شرعه وتفاضل فهم الناس فيه فمنهم ومنهم ولذلك فضل الله بعضهم على بعض، فمن لم يخط طريقه فهو المعصوم والتمسك به هو الاعتصام، وعليه حال المؤمنين الذين بلغوا الكمال في الإيمان، ومثل هؤلاء يعتصمون بالله في اعتصامهم بحبل الله وهو قوله: ﴿وإياك نستعين﴾ وقوله: ﴿واستعينوا بالله﴾ وأما الاعتصام بالله فهو قوله ﷺ قوله في الاستعاذة: «وأعوذ بك منك» فإنه لا يقاومه شيء من خلقه فلا يستعاذ به إلاّ منه، فإن الإنسان لما حصل في سمعه أنه مخلوق على صورة الحق ولم يفرق بين الإنسان الكامل وبين الإنسان الحيوان

Marfat.com

وتخيّل أن الإنسان لكونه إنساناً هو على الصورة وما هو كما هو كما وقع له ولكنه بما هو إنسان هو قابل للصورة إذا أعطيها لم يمتنع من قبولها فإذا أعطيها عند ذلك يكون على الصورة ويعد في جملة الخلفاء فلا يتصرف من هو على الصورة إلاَّ تصرف الحق بها، وتصرف الحق عين ما هو العالم عليه وفيه، وأنت تعلم بكل وجه ما العالم فيه من مكلف وغير مكلف، وممّا ينكر ويعرف ولا يعرف ما ينكر وما يعرف من العالم المكلف إلاَّ الخليفة وهو صاحب الصورة، فالحق له حكم الإنكار لا للعبد، فالمعتصم بالله إذا كان صاحب الصورة لا يعتصم إلاَّ منه بأن يظهر به في موطن ينكره عليه، وإن كانت صفته فليس له أن يتلبس بها في كل موطن ولا يظهر به في كل مشهد بل له الستر فيها والتحلي بها بحسب ما يحكم به الوقت، وهذا هو المعبر عنه بالأدب، ولو كان مشهده أنه لا يرى إلاَّ الله بالله وأنّ العالم عين وجود الحق، وأعظم من هذا الصارف عن الإنكار فلا يكون ولكن لا بدّ من الإنكار إن صحّ له هذا المقام فهو ينكر بحق على حق لحق ولا يبالي وحجته قائمة.

وأما القطب العاشر الذي على قلب هود عليه السلام فسورته سورة الأنعام ولها الكمال والتمام في الطوالات، ومنازله بعدد آيها، ولهذا القطب علوم جمة منها علم الاستحقاق الذي يستحقه كل مخلوق في خلقه، وعلم ما يستحقه ذلك الخلق من المراتب، فأما استحقاق الخلق فقوله: ﴿أعطى كل شيء خلقه﴾ وأما المراتب فالتنبيه عليها من قوله تعالىٰ: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ ﴿ويا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾ وهو أن تزيده على مرتبته أو تنقصه منها، وما يتميز العالم العاقل من غيره إلاَّ بإعطاء كل ذي حق حقه وإعطاء كل شيء خلقه، ومتى لم يعلم ذلك فهو جاهل بالحق، ومتى علم ولم يعمل بعلمه فهو غير عاقل، فلا بدّ لصاحب هذا المقام أن يكون تام العقل كامل العلم، وهذا هو الحفظ الإلهيّ والعناية العظمى والسلوك على هذه الطريقة المثلى التي هي الطريقة الزلفى هو السلوك الأقوم.

ولما أتمّ الله خلق العالم روحاً وصورة وأنزل كل خلق في رتبته جعل بين العالم التحاماً روحانياً وجسمانياً لظهور أشخاص كل نوع من العالم، إذ كان دخول أشخاص كل نوع في الوجود مستحيلاً، وإنما فعل ذلك ليظهر فضل الفاعل على المنفعل بالذوق فيعلمون فضل الحق على عباده ويعرفون كيف يتحققون معه في عبودتهم ونسب إليهم الخلق فقال: ﴿وإذ تخلق من الطين﴾ وقال: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ فذكر أن ثم خالقين الله أحسنهم خلقاً فإنه تعالى يخلق ما يخلق عن شهود، والخالق من العباد لا يخلق

Marfat.com

إلاَّ عن تصوّر يتصوّر من أعيان موجودة يريد أن يخلق مثلها أو يبدع مثلها، وخلق الحق ليس كذلك فإنه يبدع أو يخلق المخلوق على ما هو ذلك المخلوق عليه في نفسه وعينه فما يكسوه إلاَّ حلة الوجود بتعلق يسمّى الإيجاد، فمن أوقفه الله كشفاً على أعيان ما شاء من الممكنات فليس في قوّته إيجادها أي ليس بيده خلعة الوجود التي تلبسها تلك العين الثابتة الممكنة أعني بالمباشرة ولكن له الهمة وهي إرادة وجودها لا إرادة إيجادها منه لأنه يعلم أن ذلك محال في حقه، فإذا علق همته بوجودها يتعلق الحق القول بالتكوين فتعلم قول ربها من قول الخلق، سواء كان القول على لسان الخلق أو كان من الحق بارتفاع الوسائط، فيتكوّن ذلك الشيء ولا بدّ، فيقال في الشاهد فعل فلان بهمته كذا وكذا، وإن تكلم يقال: قال فلان كذا وكذا فانفعل عن قوله كذا، فمن عرف ذلك عرف ما للعبد في ذلك التكوين وما للحق فيه فلذلك قال: ﴿إنه أحسن الخالقين﴾ فإذا ظهر عين ذلك المكوّن أيّ شيء كان تشوّفت إليه مرتبته لأن مزاجه يطلبها وأعني المرتبة الأولى، فيكتسب الاستعداد لأمور علية أو دنية بحسب ما يعطيه ذلك الاستعداد المكتسب فيظهر في العالم بصورة ذلك، فإذا نظر فيه الأجنبيّ وأعني بالأجنبيّ الذي لا علم له بالحقائق ونظر إلى استعداده فأعطاه نظره أنه نازل عن رتبته أو رتبته فوق ذلك أعني الرتبة التي ظهر فيها والأمر في نفسه ليس كما ظهر لصاحب هذا النظر، فإن الاستعداد المؤثر إنما هو في الخلق وهو استعداد ذاتي، وأما الاستعداد العرضي فلا حكم له، بل الاستعداد العرضي رتبة أظهرها الاستعداد الذاتيّ وغاب هذا القدر من العلم عن أكثر الخلق، مثال ذلك: أن يروا شخصاً ساكناً قد تصوّر العلوم وأحكمها أعطى من المراتب أخسّها ممّن لا ينبغي لمن جمع هذه الفضائل والعلوم أن يكون غايته تلك الرتبة فيقال إنه قد حطّ هذا الرجل عن رتبته وما أنصف في حقّه وما عندهم خبر بأن رتبته إنما هي عين تلك الفضائل التي جمعها وتلك العلوم التي أحكمها، ومن جملتها هذه المرتبة الخسيسة التي ولاّه السلطان عليها إن كان من الولاة وإن لم يكن من الولاة ولا نال شيئاً مع هذا الفضل من المناصب قيل فيه إنه محروم وما هو محروم، وإنما الموطن اقتضى ذلك وهو أن الدنيا اقتضت أن يعامل فيها الجليل بالجلال في وقت، وفي وقت يعامل الجليل بالصغار، وفي وقت يعامل الصغير بالصغار، وفي وقت يعامل الصغير بالجلال، بخلاف موطن الآخرة فإن العظيم بها يعامل بالعظيمة والحقير بها يعامل بالحقارة، ولو نظر الناظر لرأى في الدنيا من يقول في الله ما لا يليق به تعالىٰ، ومن يقول فيه ما يليق به من التنزيه. والثناء وأعظم من الحق فلا يكون هذا العبد، فمن علم المواطن علم

Marfat.com

الامور كيف تجري في العالم وإلى الله يرجع الأمر كله ما صحّ منه وما اعتلّ، فلا تنظر إلى المناصب، وانظر إلى الناصب الذي يعمل بحكم المواطن لا بما يقتضيه النظر العقلي، فإن الناظر إذا كان عاقلاً علم بعقله أن موطن الدنيا كذا يعطي ويترك عنه الجواز العقليّ الذي يمكن في كل فرد فرد من أفراد العالم، فإن هذا الجواز في عين الشهود ليس بعلم ولا صحيح، وليكن العاقل مع الواقع في الحال، فإن ذلك صورة الأمر على ما هو عليه في نفسه لا تعلق لعاقل بالمستقبل إلاّ إن أطلعه الله كشفاً على أعيان الممكنات قبل وقوعها في الوجود، فلا فرق بينه وبين من شهدها في وقوعها، لأن هذا المكاشف يزول عنه حكم الجواز العقليّ فيما كوشف به وأطلعه الله عليه فهذا بعض علم هذا القطب.

وأما القطب الحادي عشر الذي على قدم صالح عليه السلام فسورته من القرآن سورة ﴿طه﴾ ولها الشرف التام، ومنازله بعدد آيها. اعلم أن هذا القطب دون سائر الأقطاب أشرف بهذه السورة من سائر الأقطاب لأن هذه السورة أشرف سورة في القرآن في العالم السعيد، فإنها السورة التي يقرؤها الحق تعالىٰ في الجنة على عباده بلا واسطة، وهذا القطب له علوم جمّة له البطش والقوّة كما قال أبو يزيد البسطاميّ وقد سمع قارئاً يقرأ: ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ فقال: بطشي أشد، وكان حاله حال من ينطق بالله، فقول الله عن نفسه إن بطشه شديد على لسان عبده أشد من بطشه بغير لسان عبده، ثم بطشه على لسان عبده الطبيعي أشد من بطشه على لسان عبده الإلهيّ بما لا يتقارب، وأكثر علم هذا الإمام في التنزيه والإحاطة وليس التنزيه والإحاطة التي يعلم هو المفهوم المتعارف بل هو تنزيه التنزيه المتعارف وجعله في ذلك علم الإحاطة، وذلك أن تنزيهه عدم المشاركة في الوجود فهو الوجود ليس غيره والمعبر عنه عنده بالعالم إنما هو الاسم الظاهر وهو وجهه فما بطن منه عن ظاهره فهو الاسم الباطن وهو هويته فيظهر له ويغيب عنه، وأما الآلام واللذات فتقابل الأسماء وتوافقها وبها تكثرت الصور فإنها التي تشكلت فأدرك بعضها بعضاً فكان محيطاً بها منزّهاً عنها فله الستر عنها والتجلي فيها فتختلف عليه الصور فينكر حاله مع علمه أنه هو، وهو ما تسمعه من قول الإنسان عن نفسه إني في هذا الزمان أنكر نفسي فإنها تغيرت عليّ وما كنت أعرف نفسي هكذا وهو هو ليس غيره، فمن حيث تشكل الأسماء له الإمكان، ومن حيث العين القابلة لاختلاف الصور الأسمائية عليها له الوجوب، فهو الواجب الممكن والمكان والمتمكن المنعوت بالحدوث والقدم كما نعت كلامه العزيز بالحدوث مع اتصافه بالقدم فقال: ﴿ما يأتيهم﴾ الضمير يعود على صور الأسماء إلاّ الرب ﴿من ذكر من ربهم

Marfat.com

محدث﴾ فنعته بالحدوث فهو حادث عند صورة الرحمن ﴿وما يأتيهم﴾ الضمير مثل الأوّل إلاّ الرحمن ﴿من ذكر من الرحمن محدث﴾ فنعته بالحدوث فهو حادث عند صورة الرب، فإن تقدّم إتيان ذكر الرب كان ذكر الرحمن جوابه، وإن تقدّم ذكر الرحمن كان ذكر الرب جوابه، فالمتقدم أبداً من الذكرين قرآن والثاني فرقان ﴿فليس كمثله شيء﴾ للمتقدم منهما وهو القرآن ﴿وهو السميع البصير﴾ للآخر منهما هو الفرقان ﴿فهو الأوّل والآخر﴾ كما هو ﴿الظاهر والباطن﴾ ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ وليس إلاّ قبول صور الأسماء وكل للإحاطة فانحصر الأمر فيه، فما قال ﴿كن﴾ إلاّ له، ولا كنى بيكون إلاّ عنه، ألا تراه تسمّى بالدهر وأنه يقلب الليل والنهار، وليس الدهر غير الليل والنهار، وليس التقليب سوى اختلاف الصور، فالأيام والساعات والشهور والأعوام هي عين الدهر، وفي الدهر وقع التفصيل بما ذكرناه، فمن وجه هو ساعة ومن وجه هو يوم وليل ونهار وجمعة وشهر وسنة وفصول ودور:

فكل خير هو له ... وكل شرّ ليس له
فهو الوجود كله ... يجهله من جهله
يعلمه من علمه ... وأنت له ما أنت له
فإنما أنابه ... وفقده ما هو له
فأنت هو ما أنت هو ... في كل أحوالي وله
ولو صنعت صنعه ... ولو عملت عمله

فهذا من بعض أنفاس علم هذا القطب، وهكذا مجراه في علومه كلها على كثرتها وتفاصيلها.

وأما القطب الثاني عشر الذي على قدم شعيب عليه السلام فسورته من القرآن سورة: ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ وهي التي تجادل عن قارئها، ومنازله بعدد آيها، انظر في جدالها في قوله: ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر كرتين﴾ ينبه على النظر في المقدمتين ﴿هل ترى من فطور﴾ يعني خللاً يكون منه الدخل فيما يقيمه من الدليل ﴿ينقلب إليك البصر﴾ وهو النظر ﴿خاسئاً﴾ بعيداً عن النفوذ فيه بدخل أو شبهه ﴿وهو حسير﴾ أي قد عي أي أدركه العيا وكل آية في هذه السورة فإنها تجري على هذا النسق إلى أن ختم بقوله: ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين﴾ ألا ترى الوجود كله من

Marfat.com

غير تعليم؟ هل تراه في حال اضطراره يلجأ إلى غير الله ما يلجأ إلاّ إلى الله بالذات؟ فلو كان غيراً ما عرفه حتى يلجأ وهو قول العامة فيمن رزىء مالك لما ترجع في رزيتك إلاّ إلى الصبر، والصبر ليس إلاّ صفة الصابر، فتسمى أيضاً بالصبور، يقول: أنا هو ما ثم غيري، وهذا عين ما ادعاه في علمه القطب الذي على قدم صالح صلّى الله على نبينا محمد وعليه وسلّم:

فيا شعيب ما ثم عيب ... لكنه شاهد وغيب
فانظر إلى حكمة وفصل الـ ... ـخطاب فيها ما فيه ريب

ولهذا القطب علم البراهين وموازين العلوم ومعرفة الحدود كله روح مجرّد لطيفة حاكم على الطبيعة مؤيد للشريعة، بين أقرانه ضخم الدسيعة، يطعم ولا يطعم وينعم ولا يتنعم، الغالب عليه التفكّر ليتذكر والدخول في الأمور الواضحة التنكر، فهو المجهول الذي لا يعرف، والنكرة التي لا تتعرّف، أكثر تصرّفه فيما يتصرّف فيه من الأسماء الإلهية الاسم المدبر والمفصل والمنشىء والخالق والمصوّر والبارىء والمبدىء والمعيد والحكم والعدل، ولا يرى الحق في شيء من تجليه دون أن يرى الميزان بيده يخفض ويرفع، فما ثم إلاّ خفض ورفع لأنه ما ثم إلاّ معنى وحرف وروح وصورة وسماء وأرض ومؤثر ومؤثر فيه، فما ثم إلاّ شفع وكل واحد من الشفع وتر فما ثم إلاّ وتر ﴿والفجر وليال عشر والشفع والوتر﴾ فالشفع يطلب الشفع والوتر يطلب الوتر وهو طلب الثأر:

فشفعه في وتره ظاهر ... ووتره في شفعه مندرج
وجادت السحب بأمطارها ... فكان ما كان بأمر مرج
فحدثت أرضك أخبارها ... وأنبتت من كل زوج بهج
تفنى إذا شاهدت أعيانها ... بعين غير الحق فيها المهج
يباين الضد بها ضده ... وشكله بشكله مزدوج
ونزهة الأبصار فيما بدا ... في العالم العلوي بين الفرج
فكل ما للعين من ظاهر ... عنه إذا حققته ما خرج

جمع لهذا القطب بين القوتين: القوّة العلمية والقوّة العملية، فهو صنع لا يفوته صنعة بالفطرة، وله في كل علم ذوق إلهيّ من العلوم المنطقية والرياضية والطبيعية والإلهية، وكل أصناف هذه العلوم عنده علوم إلهية، ما أخذها إلاّ عن الله وما رآها سوى

Marfat.com

الحق ولا رأى لها دلالة على الحق، فكل علم أو مسألة من ذلك العلم له آية ودلالة على الله لا يعرف لها دلالة على غيرها لاستغراقه في الله لأنه مجذوب مراد لم يكن له تعمل فيما هو فيه، بل وجد فيه أنه هو ثم فتح عينيه فرأى كل شيء رؤية إحاطة بما رأى، فالزيادة التي يستفيدها إنما هي في تفصيل ما رأى دائماً أبداً لأنه كل مرئي في الوجود فإنه يتنوّع دائماً فلا تزال الإفادة دائماً، وكل استفادة زيادة علم لم يكن عنده في معلوم لم يزل عالماً به مشهوداً له.

فهذا قد ذكرنا من أحوال الإثني عشر قطباً ما يسّر الله ذكره على لساني ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾ فواحد من هؤلاء الأقطاب له الواحد من العدد وهو صاحب التوحيد الخالص، وآخر له الثاني من العدد، وهكذا كل واحد إلى العاشر والحادي عشر له المائة، والثاني عشر له الألف، والمفرد له تركيب الأعداد من أحد عشر إلى ما لا نهاية له، وذلك للأفراد وهم الذين يعرفون أحدية الكثرة وأحدية الواحد، جعلنا الله وإياكم ممّن فهم عن الله ما سطره في العالم من العلم به سبحانه الدال عليه عزّ وجلّ، إنه الولي المحسان الجواد الكريم المنان، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الرابع والستون وأربعمائة

في حال قطب هجيره لا إله إلاّ الله

من كان هجيره نفي وإثبات ذاك الإمام الذي تبديه آيات
وتر وليس له شفع يعدده وما تقيده فينا علامات
وما له في وجود النعت من صفة وما له في شهود الذات لذات
تأثر الكل فيه من تأثره فنعتهم فيه أحياء وأموات
هم المصانون لا تحصى مناقبهم ولا يقوم بهم للموت آفات

قال الله عزّ وجلّ: ﴿فاعلم أنه لا إله إلاّ الله﴾ اعلم أن الهجير هو الذي يلازمه العبد من الذكر كان الذكر ما كان، ولكل ذكر نتيجة لا تكون لذكر آخر، وإذا عرض الإنسان على نفسه الأذكار الإلهية فلا يقبل منها إلاّ ما يعطيه استعداده، فأوّل فتح له في الذكر قبوله له، ثم لا يزال يواظب عليه مع الأنفاس، فلا يخرج منه نفس في يقظة ولا نوم إلاّ به لاستهتاره فيه، ومتى لم يكن حال الذاكر على هذا فليس هو بصاحب هجير، فمن كان ذكره لا إله إلاّ الله فمعقول ذكره الألوهة وهي مرتبة لا تكون إلاّ لواحد هو مسمّى الله، وهذه المرتبة هي التي تنفيها وهي التي تثبتها ولا تنتفي عمّن تنتفي عنه بنفي النافي، ولا ثبيت لمن تثبت بثبت الثابت المثبت، فثبوتها لها ونفيها لها غير ذلك ما هو فلا تنتج للذاكر إلاّ شهودها، وليس شهودها سوى العلم بها، وليس معلوم هذا العلم الأنسب، والنسبة أمر عدمي، والحكم للنسبة والمنسوب والمنسوب إليه، وبالمجموع يكون الأثر، والحكم مهما أفردت واحداً من هذه الثلاثة دون الباقي لم يكن أثر ولا صحّ حكم، فلهذا كان الإيجاد بالفردية لا بالأحدية، خلافاً لمن يقول أنه ما صدر إلاّ واحد فإنه عن واحد فهو قول صحيح لا أنه واقع.

ثم جاء الكشف النبويّ والأخبار الإلهيّ بقوله عن ذات تسمّى إلهاً ﴿إذا أراد شيئاً﴾ فهذان أمران ﴿قال له كن﴾ فهذا أمر ثالث والثلاثة أوّل الأفراد فظهر التكوين عن الفرد لا

Marfat.com

عن الأحد، وهذه كلها راجعة إلى عين واحدة، فإذا ظهر المكوّن بالتكوين عن كن لم يكن غير تجلي إلهيّ في صورة ممكن لصورة ممكن ناظر بعين إلهيّ كما أنه ما سمع ﴿فيكون﴾ إلاَّ بسمع إلهي، ولهذا أسرع بالظهور لأنه المريد والمراد والقائل والمقول له والقول، فحاله في التكوين أن ينطق بالله ﴿فينفخ فيه فيكون طائراً بإذن الله ثم ادعهن بأمره يأتينك سعياً﴾ لأنه السامع الذي دعاهن، ولهذا الذكر من المعارف معرفة النفي والإيجاب والتنكير والتعريف، وله من الحروف الألف المزادة والألف الطبيعية والهمزة المكسورة وألف الوصل واللام والهاء، ومن الكلمات أربعة متقابلة في عين واحدة يقابل النفي منها الإثبات والإثبات النفي والمنفي الثابت والثابت المنفي، فأما معرفة النفي فهو إطلاع على ما ليس هو فيما قيل فيه أنه هو وإن كان الذي قيل أنه هو صحيح كشفاً لكنه محال عقلاً، ولهذا التزم بعض أهل الله ذكر الله الله، ورأيت على هذا الذكر شيخنا أبا العباس العربي من أهل العليا من عرب الأندلس، والتزم آخرون الهاء من الله لدلالتها على الهوية وجعله ذكر خاصة الخاصة وهو أبو حامد الغزاليّ وغيره.

وأما الأكابر فيلتزمون لا إله إلاَّ الله على غير ما يعطيه النظر العقلي أي الوجود هو الله والعدم منفي الذات والعين بالنفي الذاتي والثابت ثابت الذات والعين بالإثبات الذاتي وتوجه النفي على النكرة وهو إله، وتوجه الإثبات على المعرفة وهو الله، وإنما توجه النفي على النكرة وهو إله لأن تحتها كل شيء وما من شيء إلاَّ وله نصيب في الألوهة يدعيه فلهذا توجه عليه النفي لأن الإله من لا يتعين له نصيب فله الأنصباء كلها، ولما عرف أن الإله حاز الأنصباء كله عرفوا أنه مسمّى الله وكل شيء له نصيب فهو اسم من أسماء مسمّى الله فالكل أسماؤه، فكل اسم دليل على الهوية بل هو عينها ولهذا قال: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياماً تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ وهذا حكم كل اسم تدعونه ﴿له الأسماء الحسنى﴾ فله أسماء العالم كله، فالعالم كله في المرتبة الحسنى، فالأمر تنكير في عين تعريف ونكرة في عين معرفة وتعريف في عين تنكير ومعرفة في عين نكرة فما ثم إلاَّ منكور ومعروف.

وأما حروف هذا الهجير فالألف المزادة وهي كل ألف لها موجب يوجب الزيادة فيها، والزيادة ظهور مثل على صورتها فتكون ألفان والألف أبداً ساكنة فالظاهر أحد الألفين أبداً: إما عبد، وإما رب، وإما حق، وإما خلق. والموجب له في موطن رتبة التقدم وفي

Marfat.com

موطن رتبة التأخر وهما موجبان الواحد ما يدل على الاتحاد وهو التضعيف، والآخر ما يدل على الباعث للتكوين أو الإعدام وهو التحقيق المعبر عنه بالمهمزة، وقد يكون هذا أن الموجبان في مقام النزول مثل: ﴿فاسأل العادين﴾ ﴿ولا إله إلاّ الله﴾ ﴿وأي وربي إنه لحق﴾ وقد يكون في مقام رفيع الدرجات ﴿وسبح اسم ربك الأعلى﴾ مثل: ﴿يحادّون الله﴾ وأولياء أولئك وأتوا الكتاب. وقد يكون الموجب في مقام البرزخ وهو الوسط مثل: ﴿من حادّ الله﴾ ﴿وآتيناه الحكم صبياً﴾ ﴿ولأنتم أشدّ رهبة في صدورهم﴾ فإن كان الموجب اسم فاعل رباً كان الموجب أو خلقاً، وإن كان الموجب خلقاً كان الموجب بفتح الجيم حقاً فأثر ظاهر من خلق في حق ﴿أجيب دعوة الداع﴾ وأثر ظاهر من حق في خلق ﴿كن فيكون﴾ وذلك إما عن باعث وإما عن اتحاد، والإيجاد إبداله الاسم الآخر ليس له في الأوّل قدم، والباعث يكون له الأوّل والآخر، فالباعث حق وخلق والإيجاد حق وخلق، إلاّ أنه لا يكون حقاً مفرداً إلاّ بخلق كالمعرفة بالله من حيث كونه إلهاً لا يكون إلاّ بخلق لا بدّ من ذلك فهي حق في خلق والخلق متأخر حيث عقل أبداً.

وأما الألف الطبيعية في مثل قال وسار فهو الأمر الواحد الذي يجمع الطبيعة فيظهر العالم ويفرّقها فيفنى العالم وهو الأصل المفرق المجمع، وكل ألف مزادة فإنما تظهر على حكم التشبيه بها، والموجب لهذا الأمر المفرق المجمع إنما هو الفتح وهو الأصل، وقد يكون الفتح بما يسرّ وهو الرحمة، وبما يسوء وهو الفتح العذاب وهو على نوعين: فتح عذاب فيه رحمة، وفتح عذاب لا يشوبه رحمة إلاّ عندنا فإنه ما ثم عذاب لا يشوبه رحمة قط فإن الرحمة وسعت كل شيء. وأما الميل الطبيعي وهو مثل الألف التي يسمّى واو علة وياء علة فهو ميلها إلى جانب الحق مثل قولوا ومثل فيه. وأما الهمزة المكسورة في هذا الذكر فهو باعث الحق إلى النزول إلى السماءالدنيا وإلى كل ما يكون لجانب الخلق هذا في باعث الحق. وأما إذا كان باعث الخلق فهو أن نظره في نفسه يبعثه على التعمّل في تحصيل علمه بربه، فلذلك كانت الهمزة مكسورة في النفي وفي كلمة الإثبات والمنفي مكسور أبداً. وأما ألف الوصل فهو وصل علم بتمييز مع وجود تشبيه إن لم يكن هناك وجود تشبيه فهي ألف قطع لا ألف وصل. وأما اللام فهي جبروتية لأنها من الوسط من ﴿رفيع الدرجات﴾ والهاء ملكوتية فإنها من الصدر من أوّل مجرى النفس وهي أصلية في هاتين الكلمتين في المنفي والمثبت، وما ثمّ إلاّ هويتان: هوية خلق وهي المنفية في دعوها ما ليس لها، وهوية حق وهي الثابتة فإنها لم تزل فإن العبد من حيث عينه هالك. وإذا كان الحق هويته فليس هو ففي

Marfat.com

كل وجه ما هو هو فتنتفي هوية الحق إذا لبست الخلق ولا تنفي هوية الخلق إذا لبست الحق، فعلى كل حال ما ثم إلاَّ حق ثابت غير منفي.

وأما الكلمات الأربع أداة نفي على منفي وأداة إثبات على ثابت، وبقي لمن يضاف العمل هل للأداة أو للذي دخلت عليه؟ فإن كان الحكم لمن دخلت عليه فإنه الذي يطلبها فإنه ما انتفى بها وإنما جاءت الأداة معرفة للسامع بأن الذي دخلت عليه منفي أو ثابت، وما عملت الأداة فيمن دخلت عليه إلاَّ تعيين مرتبة العلو أو السفل أو ما بينهما، فبالأداة تظهر المراتب وبمن دخلت عليه تتعين الأداة الخاصة من غيرها من الأدوات، كما ارتبط وجود الخلق بالحق، وارتبط وجود العلم القديم بالمحدث، فهذا بعض ما ينتجه لا إله إلاَّ الله من العلم الإلهي، وله ستة وثلاثون وجهاً يعطي كل وجه ما لا يعطيه الوجه الآخر، قد ذكرنا هذه الوجوه في باب النفس بفتح الفاء.

واعلم أنه ما قسمنا الحروف تقسيم من يعقل على طريق التجوّز بل ذلك على الحقيقة، فإنّ الحروف عندنا وعند أهل الكشف والإيمان حروف اللفظ، وحروف الرقم وحروف التخيّل أمم من جملة الأمم لصورها أرواح مدبرة فهي حية ناطقة تسبح الله بحمده طائعة ربها، فمنها ما يلحق بعالم الجبروت، ومنها ما يلحق بعالم الملكوت، ومنها ما يلحق بعالم الملك، فما الحروف عندنا كما هي عند أهل الحجاب الذين أعماهم الله وجعل على بصرهم غشاوة وهم ينظرون كما قال تعالىٰ: ﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾ فإذا قال العبد: لا إله إلاَّ الله كان خلاقاً لهذه الكلمات فتسبح خالقها ويحق لها ذلك والحق منزّه بالأصالة لا بتنزيه المنزّه، وقد نسب تعالىٰ الخلق لعبده ووصف نفسه بالأحسن فيه في قوله: ﴿أحسن الخالقين﴾ فيعود تسبيح هذه الكلمة وكل كلمة على قائلها، فإذا كان العبد من أهل الكشف لما ذكرناه هو الذي نقل عنه من الرجال أنه قال سبحاني ولا علم لمن كفره بذلك:

فكن مع القوم حيث كانوا ... ولا تكن دونهم فتشقى
فإنما القوم أهل كشف ... أراهم الله الحق حقاً
فهم عباد الإله صدقاً ... رقوا من العلم كل مرقى

وقد تقدم في الحروف في هذا الكتاب كلام مختصر شاف في الباب الثاني من هذا الكتاب في صغارها وكبارها، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الخامس والستون وأربعمائة

في معرفة حال قطب كان منزله الله أكبر

الله أكبـــر لا أبغـــي مفـــاضلـــة	فـــإن أفعـــل تعطيهـــا وتطلبهـــا
وقـــد تصـــحّ إذا جـــاءت عقـــائـدنـــا	وأنـــه بـــوجـــود العيـــن يـــذهبهـــا
إلاّ إذا كـــان بـــالآيـــات يطلبنـــا	فـــإن أفعـــل تـــأتـــي وهـــي تحجبهـــا

وردت السنة بلفظ هذا الذكر ولا سيما في الصلاة والأذان لها والإقامة وعقيب الصلاة المفروضة عند النوم وفي مواضع كثيرة، وجاء بلفظة افعل، وهذه لفظة افعل يأتي في الأغلب بطريق المفاضلة، وفي أماكن لا تقتضي المفاضلة بحسب ما يقتضيه دليل الوقت، فيعقل منها عند ذلك ما يعقل، فإذا كانت هجيراً لأحد فإن كان المثابر عليها يذكر بها ربّه بالمفاضلة كان الكشف له من عند الله بحسب ما نوى فلا يرى إلاَّ مفاضلة وهو كشف معين سأذكره في هذا الباب، وإن كان الذاكر به ربه يستحيل عنده المفاضلة كان الكشف له من عند الله بحسب ما نوى فلا يرى مفاضلة وهو كشف معين سأذكره في هذا الباب إن شاء الله، وإن كان الذاكر به ربه من حيث هو ذكر مشروع لا تخطر له فيه المفاضلة ولا ترك المفاضلة نتج له ما هو الأمر عليه من غير تقييد فيكون ما حصل لمن نوى المفاضلة، ومن لم ينوها تحت علم هذا الذاكر الثالث وهذه الهجيرات هي قوله تعالىٰ: ﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكرات﴾ فالهجير هو الكثرة من الذكر دائماً فإذا تقرّر هذا فلنقل.

فصل فيمن ذكر هذه اللفظة بطريق المفاضلة. اعلم أن المفاضلة في هذا الذكر وأمثاله على قسمين: قسم يرجع الفاضل فيه والمفضول إلى الحق. وقسم يرجع الفاضل فيه إلى الحق والمفصول إلى الخلق. فلنبدأ بما يرجع إلى الحق وهو على قسمين: قسم يرجع إلى هذا الاسم من حيث لفظه، وقسم يرجع إلى غير لفظه من الأسماء، فالذي يرجع إلى لفظه كالكبير في قوله تعالىٰ: ﴿إنه الكبير المتعال﴾ وكالمتكبر في قوله تعالىٰ: ﴿الجبار المتكبر﴾ فيكون الكبير أفضل من المتكبر لأن الكبير لنفسه هو كبير والمتكبر تعمّل في

Marfat.com

حصول الكبرياء، وما هو بالذات أفضل ممّا هو بالتعمّل، فإن التعمّل اكتساب، وإنما كان التكبر من صفات الحق لما كان من نزوله في الصفات إلى ما يعتقده أصحاب النظر وأكثر الخلق أنه صفة المخلوق، فلما علم ذلك منهم وهو سبحانه قد وصف لهم نفسه بتلك الصفات حتى طمعوا فيه وضلّ بها قوم عن طريق الهدى كما اهتدى بها قوم في طرق الحيرة قام لهم تعالىٰ في صفة التكبّر عن ذلك النزول ليعلمهم أنه وإن اشترك معهم في الإسمية فإن نسبتها إليه تعالىٰ ليست كنسبتها إلى المخلوق فيكون مثل هذا تكبّراً ولا يحتاج الكبير إلى هذا كله فتبين لك المفاضلة بين الكبير والمتكبر.

وأما المفاضلة التي لهذه الكلمة أعني قولك: الله أكبر فهي كلمة مفاضلة على كل اسم من الأسماء الإلهية بما يعطيه فهم الخلق فيه أعني في كل اسم اسم، لأن فهم العالم لا بدّ أن يكون يقصر عمّا هو الأمر عليه ولا يتمكن أن يقبل توصيل ذلك لو تمكن أن يوصله الحق إليك، فنحن لا قوة لنا على التحصيل ولا قوة في نفس الأمر على التوصيل فلا بدّ من قصور الفهم، فتدل لفظة الله أكبر من كل ما أعطاه فهم من نسبة الكبرياء إلى الله بأي اسم كان من الأسماء الإلهية بهذا اللفظ وغيره، فإن الله يقال فيه أنه أعظم وأكرم وأجلّ وأعلى وأرحم وأسرع وأحسن وأحكم وأمثال ذلك ممّا لا يحصى كثرة، ألا ترى إلى المشركين لما قالوا: أعل هبل أعل هبل وهبل اسم صنم كان يعبد في الجاهلية وهو الحجر الذي يطأه الناس في العتبة السفلى في باب بني شيبة هو مكبوب على وجهه فقال النبيّ ﷺ لأصحابه لما سمع المشركين يقولون ذلك قولوا: الله أعلى وأجل يعني بالمفاضلة عندهم في اعتقادهم فساقه في معرض الحجة عليهم، لأن النبي ﷺ ما دعاهم إلاّ إلى الإيمان بالله الذي هو عندهم وفي اعتقادهم أعلى وأجل من هبل ومن سائر الآلهة بما قالوه عن نفوسهم فقالوا: ﴿ما نعبدهم إلاّ ليقرّبونا إلى الله زلفى﴾ فاتخذوهم حجبة، فالله أعلى وأجل من هبل عندهم، فكان ذلك تنبيهاً من رسول الله ﷺ للمشركين فإنه في نفس الأمر ليس هبل بإله حتى يكون الله أعلى وأجل في الألوهة من هبل، ولو قالها رسول الله ﷺ على طريق المفاضلة في نفس الأمر لكان تقريراً منه ﷺ لألوهة هبل، إلاّ أن الله أعلى منه وأجل في الألوهة وهذا محال على النبيّ ﷺ وعلى كل عالم أن يعتقده لأنه الجهل المحض على كل وجه، فهذه أيضاً مفاضلة مقرّرة شرعية في قولك: الله أكبر، فصاحب هذا الهجير بطريق المفاضلة يطالعه الحق بسريان هويته في جميع الخلق مثل قوله في الصحيح: «إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده» وقوله: «كنت سمعه وبصره ويده ورجله» إلى غير ذلك، وقوله: «فبي يسمع

Marfat.com

وبي يبصر» ولكن نسبة القول إليه دون نسبة القول إليه بلسان عبده أعلى من نسبة القول إليه بلسان الخلق فهو أكبر في ذاته من كبريائه في خلقه فاعلم ذلك، فنقول عند ذلك: الله أكبر مفاضلة إذ لم يخرج عنه كأنه يقول: ذكرك نفسك أعظم وأكبر من ذكري إياك وإن ذكرتك بك فلا بدّ للنسبة من أثر لأن غاية شرف ذكري إياك أن أذكرك بك فتكون أنت الذاكر نفسك بلساني ونسبة الذكر إليك أكبر من نسبته إليّ ولو كنت بك.

فصل: في الذكر لا على طريق المفاضلة. وينقسم أيضاً الذاكرون به هنا على هذا الوجه إلى قسمين: طائفة تمنع المفاضلة في الذكر لأنه عين كل ذاكر من حيث ما هو ذاكر فلا ترى ذاكراً إلاّ الله، وهو من حيث هويته وعينه لا يقبل المفاضلة لأن الواحد لا يفضل نفسه فينتج له هذا الذكر على هذا الحد كشف هذا ذوقاً فيتبين له أنه الحق عينه، وطائفة أخرى وهم القسم الآخر لا يرون التفاضل إلاّ مع وجود المناسبة، ولا مناسبة بين الله وبين خلقه، فذكر الله نفسه ذكر، وذكر العبد ربه ذكر كل على حقيقة، لا يقال هذا الذكر أفضل ولا أكبر من هذا بل هو الذكر الكبير من غير مفاضلة لله تعالىٰ وهو في حق العبد المذكور كبير عند العبد لا أكبر، فإن العبد عبد لذاته والرب رب لذاته، فلا يحجبنك ما تراه من تداخل الأوصاف فإن ذلك وإن كان حقيقة فكل حقيقة على ما هي عليه ما لها أثر في الأخرى يخرجها عمّا تقضيه ذاتها، فالحقائق لا تتبدل ولو تبدلت لارتفع العلم من الله ومن الخلق، فإذا ذكر من هذا صفته أنتج له ذلك كشفاً وذوقاً أن الأمر كما نواه وقال به.

فصل: في الذكر به من حيث ما هو ذكر مشروع. اعلم: أن الذاكر به على ما ذكرنا من كونه ذكراً مشروعاً ينقسم إلى قسمين: طائفة تذكره على أنه مشروع للخلق ويقولون بأن الله تعالىٰ لما أوجد العالم ما خلقهم إلاّ ليعبدوه ويسبحوه فما من شيء إلاّ وهو يسبح بحمده ولكن لا نفقة تسبيحه، وقال: ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون﴾ فخلق العالم لعبادته، فهؤلاء إذ ذكروا الله ذكروه من حيث أن الله شرع لهم كيف يذكرونه ولا يعلمون ما تحت ذلك الذكر المشروع عند الله وإن علموه في اللسان فينتج لهم هذا الذكر لماذا شرعه الحق في العالم بهذا القول الخاص دون غيره أي ذكر كان، والقسم الآخر يعتقد أن العالم ما اكتسب من الحق إلاّ الوجود وليس الوجود غير الحق فما أكسبهم سوى هويته فهو الوجود بصور الممكنات وما يذكره إلاّ موجود وما ثم إلاّ هو، فما شرع الذكر إلاّ لنفسه لا لغيره فإن الغير ما هو ثم وهو عالم بما شرع فيفتح لصورة الممكن ما ذكرناه كشفاً هذا الذكر وهو

Marfat.com

قولهم: لا يذكر الله إلاَّ الله، ولا يرى الله إلاَّ الله، فالمفيد والمستفيد عين واحدة، فهو ذاكر من حيث أنه قابل، وهو مذكور من حيث أنه عين مقصودة بالذكر والعالم على أصله في العدم والحكم له فيما ظهر من وجود الحق، فما ثم إلاَّ الحق مجملاً ومفصلاً لأن المحدث إذا قرنته بالقديم لم يبق له أثر، وإن بقي له عين فإن العين بلا أثر ما هي معتبرة، ولهذا قلنا فيمن دلّ على معرفة الواجب لنفسه لا يتمكن له أن يثبت له أثراً حتى يعلم أن هذه الآثار الكائنة في العالم تحتاج إلى مستند لإمكانها، فعند ذلك يقوم لهم البرهان على استنادها لواجب الوجود لنفسه وذلك كمال العلم فإن الكمال للمرتبة أي بالمرتبة، والتمام بما ترجع إليه في نفسها أعني التام، فينتج لهذا القسم هذا الذكر ما قرّرناه من أنه يستحيل أن يذكره إلاَّ هو، أو يسمع ذكره إلاَّ هو، أو يكون المذكور إلاَّ هو، ومن ذكرت به فهو المذكور لا أنت ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ حتى ذكر بربه فكان مذكوراً بربه لا به، وسيرد في باب الأسماء الإلهية ما يشفي في هذا النوع إن شاء الله تعالىٰ من هذا الكتاب، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السادس والستون وأربعمائة

في معرفة حال قطب كان هجيره ومنزله سبحان الله

إن الـوجـود علـى التسبيـح فطـرتـه ... فهـو المنـزّه عـن مثـل وتشبيـه
وثـم فـي ثـان حـال جـاء يعلمنـا ... بـأنـه رب تشبيـه وتنـزيـه
لـه النقيضـان فهـو الكـون أجمعـه ... يـدري بـذلـك ذو فكـر وتنبيـه

قال الله عزّ وجلّ: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون﴾ وقد ورد الأمر بالتسبيح في القرآن في مواضع كثيرة، ولكل موضع حكم ليس للآخر، وتنقسم الطوائف في تسبيح الحق بحسب كل آية وردت في القرآن في التسبيح لولا التطويل أوردناها وتكلمنا على الذاكر بها.

اعلم: أن هذا الذكر ينتج للذاكر به ما قاله أبو العباس بن العريف الصنهاجي في محاسن المجالس لما ذكر حال العابد والمريد والعارف قال: والحق وراء ذلك كله لا بدّ من ذلك، وإن كان مع ذلك كله أو عين ذلك كله فهو مع ذلك كله بقوله: ﴿وهو معكم أينما

Marfat.com

كنتم﴾ وهو عين ذلك كله بقوله تعالىٰ: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ أو لم يكف بربك وهو من وراء جميع ما ذكره محيط بقوله: ﴿والله من ورائهم محيط﴾ وبقوله: ﴿إلاَّ إنه بكل شيء محيط﴾ فمن أراد أن يسبح الحق في هجيره فليسبحه بمعنى قوله: ﴿وإن من شيء إلاَّ يسبح بحمده﴾ أي بالثناء الذي أثنى به على نفسه فإنه ما أضافه إلاَّ الله، هكذا هو تسبيح كل ما سوانا فأنا لا نفقة تسبيحهم إلاَّ إذا أعلمنا الله به وهذا ضد ما تعطيه حقيقة التسبيح، بل هذا تسبيح عن التسبيح مثل قولهم: التوبة من التوبة، فإن التسبيح تنزيه ولا ينزه إلاَّ عن كل نعت محدث يتصف به المخلوق، وما نزل إلينا من الله نعت في كتاب ولا سنّة إلاَّ وهو شرب المخلوق وجعل ذلك تعالىٰ حمد نفسه وذكر عن كل شيء أنه يسبح بحمده أي بالثناء الذي أنزله من عنده والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً، فمن سبحه عن هذه المحامد فما سبحه بحمده بل أكذبه، وإنما سبحه بعقله ودليله في زعمه، والجمع بين الأمرين أن تسبحه بحمده وهو التنزيه عن التنزيه وذلك عين الاشتراك في النسبة كعدم العدم الذي هو وجود وإن أرادوا به المبالغة في التنزيه فذلك ليس بحمده الله بل حمد الله نفسه بما ذكرناه، فإذا سبحه بحمده وهو الإقرار بما ورد من عنده ممّا أثنى به على نفسه أو ممّا أنزله عليك في قلبك وجاء به إليك في وجودك ممّا لم ينقل إليك واجعل ذلك التسبيح كالصورة، واجعل قوله: والحق وراء ذلك كله كالروح التي لا تشاهد عينها لتلك الصورة، ويكفيك من العلم بها مشاهدتك أثرها فإنك تعلم أن وراء تلك الصورة أمراً آخر هو روحها، كذلك تعلم أن الحق وراء كل ثناء لك فيه شرب، ومن المحال أن يكون عندك ثناء على الله معين في الدنيا والآخرة لا يكون لك فيه شرب فإنه لا يصحّ لك أن تثني عليه بما لا تعقله، ومهما عقلت شيئاً أو علمته كان صفتك ولا بدّ، فلا يصحّ في الكون على ما تعطيه الحقائق التسبيح الذي يتوهمه علماء الرسوم، إنما يصحّ التسبيح عن التسبيح ما دام رب وعبد ولا يزال عبد ورب فلا يزال الأمر هكذا فسبّح بعد ذلك أو لا تسبّح، فأنت مسبح شئت أو أبيت وعلمت أم جهلت، ولولا ما هو الأمر على هذا في نفسه ما صحّ أن يظهر في العالم عين شرك ولا مشرك، وقد ظهر في الوجود المشرك والشرك فلا بدّ له من مستند إلهيّ عنه ظهر هذا الحكم، وليس إلاَّ ما ذكرنا من أن العبد له شرب في كل ما يسبّح به ربه من المحامد وأعلى المحامد بلا خلاف عقلاً وشرعاً ﴿ليس كمثله شيء﴾ ثم تمّم الآية لنعرف المقصود ويصحّ أول الآية فقال: ﴿وهو السميع البصير﴾ فلو لم يتمّم لكان أول الآية يؤذن بأنا لسنا بعبيد وليس هو لنا بإله فلا بدّ من رابط وليس إلاَّ الاشتراك، إلاَّ أنه عين

Marfat.com

الأصل في ذلك ونحن فيه كنسبة الفرع إلى الأصل والولد إلى الوالد وإن كان على صورته فليس هو عينه فارتبط به فلا ينسب إلاَّ إليه لأن له عليه ولادة، وغيره من الناس من أبناء جنسه ما له عليه ولادة، فلا يقال أنه إبنه ونسبتنا من وجه مثل هذه النسبة لأن الوجود له وهو الذي استفاده منه المحدث، إلاَّ أن النسبة التي ورد بها السمع نسبة العبد إلى السيد، والمخلوق إلى الخالق، والرب إلى المربوب، والمقدور إلى القادر، والمصنوع إلى الصانع، فإن نسبة البنوة أبعد النسب لتقلبه في الأطوار بما ليس للأب فيه تعمّل، وإنما له إلقاء الماء في الرحم عن قصد بنوة وعن لا قصد فبعدت النسبة لذلك كانت النطفة مخلقة وغير مخلقة، ولو كان الأمر فيها للأب لكانت تامة أبداً، ألا ترى إلى النسبة القريبة في خلق عيسىٰ الطير بيده ثم نفخ فأتم خلقه فقربت نسبة الخلق إليه، وكذلك صنائع المخلوقين كلهم، فالبنوة من الأبوّة أبعد نسبة من جميع الأمور وهي أصحّ النسب، وما كفر من قال: ﴿إن المسيح ابن الله﴾ إلاَّ لاقتصاره، وكذلك كفر من قال: ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ لاقتصارهم لأنهم ذكروا نسبة تعمّ كل ما سوى الله إن كانت صحيحة، فإن لم تكن في نفس الأمر صحيحة فهم والعالم فيها على السواء.

ولما كان الأمر النسبي في تولد العالم عن الله وأن وجوده فرع عن الوجود الآلي نبّه تعريضاً في تصريح لمن فهم الإشارة وقسم العبارة وذلك بقوله: ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولداً﴾ فجوز ذلك وإنما نفى تعلق الإرادة باتخاذ الولد والإرادة لا تتعلق إلاَّ بمعدوم والأمر وجود فلا تعلق للإرادة، فإن المقصود حكم البنوة لا عين الشخص المسمّى إبناً، ثم تمّم فقال: ﴿لاصطفى ممّا يخلق ما يشاء﴾ فتدبّر هذه الآية إلى تمامها. وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين﴾ أي ما كنا فاعلين أن نتخذ من غيرنا لأنه ابن مريم المدعو بالابن، ومن جعل أن شرطاً لا نفياً يكون معنى ﴿إن كنا فاعلين﴾ أن نتخذ لهواً نتخذه من عندنا لا من عندكم فإنه ما عندكم ينفد وما عند الله باق، وما من شيء إلاَّ عندنا خزائنه، فما عندنا هو عند الله ونحن من عند الله، وسيأتي هذا الهجير فإنه حال بعض الأقطاب فاعترف الحق بما أنكر ولذلك يكون الإنكار اعترافاً بأن دعوى المدعي باطلة فيلزمه اليمين ما لم تقم بينة.

وبعد أن حصل من البيان ما حصل فلا بدّ أن نبين ما بقي في المسألة بالإجمال وهو أن التسبيح إذا سبح به المسبح أعني بلفظه الخاص به الدال عليه فلا بدّ أن يقيده باسم ما من

Marfat.com

الأسماء الإلهية الظاهرة أو المضمرة والمضافة والمطلقة وهو أن يقول: سبحان الله أو سبحان الرب أو العالم فهذا معنى الاسم الظاهر. وأما الاسم المضمر فمثل قوله: سبحانه وسبحانك. وأما المضاف فقوله: ﴿سبحان ربك رب العزة﴾ وأما المطلق ﴿سبحان الله وتعالىٰ عمّا يشركون﴾ فأي اسم نسبحه من أسماء الله تعالىٰ وبأي حال نربطه فإن النتيجة التي تحصل لهذا الذاكر مناسبة لذلك الاسم ومرتبطة بتلك الحال، ولا يظهر له صورة في الذاكر إلاَّ بهذه المناسبة الخاصة، فلا يتعين في هذا الذاكر لنا أمر نقتصر عليه إلاَّ ما ذكرناه ممّا يعم حكمه فإن النتائج تختلف، فإن المحامد لا تقف عند حدّ والمسبح لا يسبحه إلاَّ بحمده، وتتبعنا الكتاب والسنة في طلب الأسماء فوجدناها تدور على الله والرب المضاف والاسم الناقص والاسم المضمر كالهاء، والملك والعلي، فالله قوله: ﴿سبحان الله حين تمسون﴾ والرب قوله: ﴿سبحان ربك﴾ والاسم الناقص: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ والمضمر قوله: ﴿سبحانه وتعالىٰ﴾ والملك مثل الذي ورد في السنة: «سبحان الملك القدوس» والعلي كما ورد في السنة: «سبحان العلي الأعلى» وقد ورد من غير تقييد في السنة مثل قوله: سبوح وهذا ذكر المذكور ونتيجته أعظم النتائج لأنه كناية عن عين المسبح بالتسبيح، فاسمه هنا عينه، وهذا أكمل تسبيح العارفين لأنه غاب عن الاسم فيه بالمسمى:

فاسلك مع القوم أية سلكوا ... إلاَّ إذا ما تراهم هلكوا
وهلكهم إن ترى شريعتهم ... بمعزل عنهم إذا سلكوا
فاتركهم لا تقل بقولهم ... تأسياً بالإله إذ تركوا

فإن جماعة من العقلاء جعلوا الشريعة بمعزل فيما زعموا، والشريعة أبداً لا تكون بمعزل فإنها تعمّ قول كل قائل، واعتقاد كل معتقد، ومدلول كل دليل، لأنها عن الله المتكلم فيه قد نزلت، وإنما قلنا في هذه الطائفة المعينة أنها جعلت الشريعة بمعزل مع كونها قالت ببعض ما جاءت به الشريعة، فما أخذت من الشريعة إلاَّ ما وافق نظرها، وما عدا ذلك رمت به أو جعلته حطاباً للعامة التي لا تفقه هذا، إذا عرفت واعتقدت أن ذلك من عند الله لا من نفس الرسول وهو قوله تعالىٰ الذي قال عنهم على طريق الذمّ لهم: ﴿ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً﴾ وقال تعالىٰ: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾ فهذا معنى قولي أنهم جعلوا الشرع بمعزل، وإن كان قد جاء الشرع بما هم عليه فما أخذوا منه ما أخذوا من كون الشرع

Marfat.com

جاء به وإنما قالوا به للموافقة احتجاجاً وطائفتنا لا ترمي من الشريعة شيئاً بل تترك نظرها وحكم عقلها بعد ثبوت الشرع لحكم ما يأتي به الشرع إليها ويقضي به فهم سادات العالم:

إنمـــا القـــوم ســـادة ومـــع المجـــد يملكـــون
أيـــة يسلكـــون كـــن للـــذي شـــاء أن يكـــون
إنمـــا القـــول منـــه كـــن معهـــم حيـــث يسلكـــون
كـــل شـــيء يـــريـــده الـــ حـــق مـــع فعلهـــم يهـــون
والـــذي لا يـــريـــده وهـــو سهـــل فـــلا يهـــون

واعلم أن الله تعالىٰ لما جعل بين الأشياء مناسبات ليربط العالم بعضه ببعض ولولا ذلك لم يلتئم ولم يظهر له وجود أصلاً، وأصل ذلك المناسبة التي بيننا وبينه تعالىٰ لولاها ما وجدنا ولا قبلنا التخلّق بالأسماء الإلهية فما من حضرة له تعالىٰ إلاَّ ولنا فيها قدم، ولنا إليها طريق أمم، وسأورد ذلك إن شاء الله في باب الأسماء الإلهية من هذا الكتاب، وأعظم الحضرات الإلهية في هذا الباب أنه لا يشبهه شيء وما ثم إلاَّ نحن ومن لم يشبهك فلم تشبه، فكما انتفت المثلية عنه انتفت المثلية عن العالم وهو كل ما سواه بالمجموع، فإن العالم إنسان واحد كبير لا يماثل أي لا مثل له، ولهذا هو كل مبدع على غير مثال فلا يخلو أهل الله إما أن يجعلوا الحق عين العالم فلا يماثله شيء لأنه ليس ثمّ إلاَّ الله والعالم صور تجليه ليس غيره فهو له، وإن كان العالم وجوداً آخر فما ثمّ إلاَّ الله، ومسمّى العالم فلا مثل لله إلاَّ أن يكون إله ولا إله إلاَّ الله فلا مثل لله ولا مثل للعالم إلاَّ أن يكون عالم ولا عالم إلاَّ هذا العالم وهو الممكنات فلا مثل للعالم، فصحّت المناسبة من وجهين: من نفي المثلية ومن قبوله للأسماء والحضرات الإلهية، وكل ما في العالم من المماثلة بعضه ببعض فإنه لا يقدح في نفي المماثلة، فإن تفاصيل العالم وأجزاءه المتماثلة والمختلفة المتضادّة كالأسماء لله المختلفة والمتماثلة والمتضادّة كالعليم والعالم والعلام هذه متماثلة. وهو أيضاً الضار النافع فهذه المتضادّة ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ فهذه المختلفة ومع هذا ﴿فليس كمثله شيء﴾ فهذه الآية له ولنا من أجل الكاف والاشتراك يؤذن بالتناسب، وإذا كان لا بدّ من التناسب فنظرنا أي شيء من المناسبات بين الحج والتسبيح حتى شبهه به تعالىٰ فقلنا: إن التسبيح هو الذكر العامّ في قوله: ﴿وإن من شيء إلاَّ يسبح بحمده﴾ وقال ﷺ: «**إنما شرعت المناسك لإقامة ذكر الله**» لاختلاف العالم لأن ذكر الله كله تسبيح بحمده أي بما أثنى على نفسه، كما

Marfat.com

جعل التهليل مماثلاً لعتق الرقاب النفيسة، والعتق إنما هو أمر يخرج العبد من العبودية، ولا يخرج من العبودية إلاَّ أن يكون الحق سمعه وبصره وجميع قواه فيكون حقاً كله فناسب قوله: لا إله إلاَّ الله، وقد يكون عتق الرقاب من الألوهية بالعبودة، فإن الشخص يتقيد بالربوبية فيطلب منه ما ليس بيده منه شيء وإنما ذلك بيد الله فيحار فيعتقه الله من هذه النسبة إليه بما أظهر فيه عند المعتقد فيه ذلك من الجبر والإفتقار وسلب هذه الأوصاف فعاد حرّاً في عبوديته فلم يكن له قدم في الربوبية فاستراح، فهذا عتق أيضاً شريف حيث تخلص لنفسه من تعلّق الغير به، كما خلص بالتهليل الألوهة لله من رق الدعوى بالآلهة المتخذة وهو قولهم: ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً﴾ كما هو الأمر في نفسه: ﴿إن هذا لشيء عجاب﴾ فجعل ﷺ بوحيه المنزل وكشفه الممثل التهليل مناسباً لعتق الرقاب، كما جعل التحميد مناسباً للحمل في سبيل الله وهو باب النعم، والحمد لله شكراً لما يكون منه كما يكون من الأسباب للمسببات شكر بما تراه من آثارها فيها كما قال: ﴿أن أشكر لي ولوالديك وقل رب ارحمها كما ربياني صغيراً﴾ وسيرد في هجير الحمد لله ما يشفي الغليل إن شاء الله تعالىٰ.

وكذلك من كبر ناسب بين التكبير وبين عظم ما لصاحبه من غير تعيين، وما قرنه بشيء معين مثل ما فعل في التسبيح والتحميد والتهليل فقيد هناك واطلق هنا ليشمل الذكر التقييد والإطلاق، وقد ورد في هذا خبر حسن عن رسول الله ﷺ: **«أنه من سبّح الله مائة بالغداة ومائة بالعشيّ وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿وسبّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾ وقوله: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون﴾ وقرن ذلك بالمائة لأنه ليس لنا دار نسكنها إلاَّ الجنة أو النار والجنة مائة درجة فمن أكملها مائة فقد حاز من كل درجة حظاً وافراً بحسب ذكره بما يناسب ذلك الذكر من تلك الدرجات»** وكذلك دركات النار مائة درك تقابل درج الجنان له من جانب النار بهذا الذكر التنزيه من كل درك وله من الجنان الإنعام من كل درج فاعلم ذلك.

ثم نرجع إلى سرد الحديث وهو ما حدثنا به زاهر بن رستم الأصفهانيّ عن الكروحي عن الثلاثة: محمود الأزدي والترياقي والعورجي كلهم عن الجراجي عن المحبوبي عن أبي عيسىٰ الترمذيّ قال: حدثنا محمد بن رزين الواسطي قال: حدثنا أبو سفيان الحموي عن الضحاك بن حمزة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سبح الله مائة بالغداة ومائة بالعشيّ كان كمن حجّ مائة حجة يعني مقبولة، ومن حمد الله مائة**

Marfat.com

بالغداة ومائة بالعشيّ كان كمن حمل على مائة فرس في سبيل الله أو قال غزا مائة غزوة، ومن هلّل الله مائة بالغداة ومائة بالعشيّ كان كمن أعتق مائة رقبة من ولد إسمعيل، ومن كبّر الله مائة بالغداة ومائة بالعشيّ لم يأت في ذلك اليوم أحد بأكثر ممّا أتى إلاّ من قال مثل ما قال أو زاد على ما قال» قال أبو عيسىٰ: هذا حديث حسن غريب.

ولما كان التسبيح بحمده قربة به فقال في الصحيح عن رسول الله ﷺ في سبحان الله والحمد لله «أنهما يملآن أو يملأ ما بين السماء والأرض» وأراد قوله: سبحان الله وبحمده، فإن الحمد لله تملأ الميزان فإنها آخر ما يجعل في الميزان فبها يمتلىء كما قال، وآخر دعواهم أنِ الحمد لله رب العالمين. فالحمد لله له التأخير في الأمور لأن له الساقة، ولا إله إلاّ الله له التقدمة، وسبحان الله له الميسرة، والله أكبر له الميمنة والقلب له لا حول ولا قوّة إلاّ بالله، فأثبت العبد والرب، فاستصحاب الاسم الله لكل تسبيح وتحميد وتكبير وتهليل هو معطي القوّة لذلك التسبيح أو التهليل أو التحميد والتكبير لأنه لفظ يمكن أن يطلق إذا أطلق، ويقيد بغير الله في الإضافة بأن يسبح شخصاً ليس الله ويكبره ويحمده ويهلل ما ليس بإله كقوم فرعون فلا قوّة لهذا الذكر على أمثاله إلاّ بالله، فإنه ما يتجلى لك بشيء ليس هو الله فيقول لك: أنا الله، فتقول له: أنت بالله إلاّ انعدم من ساعته إذا لم يكن الله، وما رأيت من شهد هذا المشهد من رجال الله إلاّ رجل واحد من أهل قرطبة كان مؤذناً بالحرم المكيّ يقال له موسىٰ بن محمد القباب كان من ساداتهم وهو تلميذ أبي الحسن بن خرازم بفاس فلا قوّة على الثبوت إلاّ بالله حتى لو قالها بكلام الحق على لسان ذلك المتجلي، ويقول له صاحب الكشف: أنت بالله ما انعدم وثبت، فهذا بعض ما ينتجه هذا الذكر والحمد لله، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب السابع والستون وأربعمائة

في حال قطب كان منزلة الحمد لله

الحمد لله في قيد وإطلاق ... مثل الفروع التي قامت على ساق
يمدها بالذي تبديه من ثمر ... لشاهد الحسّ في أنفاس أعراق
ونحن فرع لمن أبدى حقائقنا ... ذات بذات وأخلاق بأخلاق

قال الله تعالىٰ آمراً: ﴿قل الحمد لله﴾ اعلم أن الحمد والمحامد هي عواقب الثناء، ولهذا يكون آخراً في الأمر كما ورد: «أن آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين» وقوله ﷺ في الحمد لله: «أنها تملأ الميزان» أي هي آخر ما يجعل في الميزان، وذلك لأن التحميد يأتي عقيب الأمور، ففي السرّاء يقال: الحمد لله المنعم المفضل، وفي الضرّاء يقال: الحمد لله على كل حال، والحمد هو الثناء على الله وهو على قسمين: ثناء عليه بما هو له كالثناء بالتسبيح والتكبير والتهليل، وثناء عليه بما يكون منه وهو الشكر على ما أسبغ من الآلاء والنعم وله العواقب، فإن مرجع الحمد ليس إلاّ إلى الله فإنه المثني على العبد والمثنى عليه وهو قوله ﷺ: «أنت كما أثنيت على نفسك» وهو الذي أثنى به العبد عليه فردّ الثناء له من كونه مثنياً اسم فاعل، ومن كونه مثنياً عليه اسم مفعول، فعاقبة الحمد في الأمرين له تعالىٰ. وتقسيم آخر وهو أن الحمد يرد من الله مطلقاً ومقيداً في اللفظ وإن كان مقيداً بالحال فإنه لا يصحّ في الوجود إطلاق فيه لأنه لا بدّ من باعث على الحمد وذلك الباعث هو الذي قيده وإن لم يتقيد لفظاً كأمره في قوله تعالىٰ: ﴿قل الحمد لله﴾ فلم يقيد. وأما المقيد فلا بدّ أن يكون مقيداً بصفة فعل كقوله: ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض﴾ وكقوله: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾ ﴿والحمد لله فاطر السموات﴾ وقد يكون مقيداً بصفة تنزيه كقوله: ﴿الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً﴾.

واعلم أن الحمد لما كان يعطي المزيد للحامد علمنا أن الحمد بكل وجه شكر، وكذلك ما أعطى المزيد من الأذكار فهو شكر فهو حمد كله لأنه ثناء على الله. فأما زيادته

Marfat.com

التي تحصل لمن أثنى عليه بما هو عليه فهي أن يعطيه الحق من العلم الذاتيّ به سبحانه ما يثني به عليه وهو قوله: ﴿وقل رب زدني علماً﴾ أما إذا أثنى عليه بما يكون منه فإنه يزيده من ذلك ليثابر عليه بالثناء على الله به، فعلى كل حال يعطي الزيادة وإن كان بين التحميدين فرقان، ولكن من حيث ما هو تحميد من الخلق فهو عطاء إعطاه الله إياه، وكل عطاء يقبل المعطى الزيادة منه فإنا لا نحمده إلاَّ بما أعلمنا أن نحمد به فحمده مبناه على التوقيف، وقد خالفنا في ذلك جماعة من علماء الرسوم لا من العلماء الإلهيين، فإن التلفّظ بالحمد على جهة القربة لا يصحّ إلاَّ من جهة الشرع، ولو استصبح هذا المخالف بنور الإنصاف لعلم أن الصدق حسن وهو يقول به أنه حسن لذاته، ومع هذا فإنه يقبح في مواطن ويأثم القائل به، فلهذا لا يتمكن أن يقال على جهة القربة وإن عقل أنه خير إلاَّ حتى يقول الحق: اذكروني، فإما أن يطلق بكل ذكر ينسب إليه الحسن في العرف وهو من مكارم الأخلاق، وإما أن يقيده فيعين ذكراً خاصاً، فالثناء على الله بما هو فاعل ثناء عرفيّ يثني به المخلوق على الخالق ما لم ينه عنه إذا كان ذلك الثناء ممّا يعظم في العالم فقد يكون من حيث ما هو فاعل وليس بعظيم في العالم، فإذا ذكر بما هذا مثله نكر، ومثاله أن تقول: الحمد لله ﴿خالق كل شيء﴾ فيدخل فيه كل مخلوق معظم ومحقر، ومثال المعظم في العرف أن تقول: ﴿الحمد لله الذي خلق السموات﴾ ومثل ذلك، ولا ينبغي أن يعين في الثناء خلق المحقر عرفاً والمستقذر طبعاً وإن دخل في عموم كل شيء، ولكن إذا عين لا يقتضيه الأدب بل ينسب معينه إلى سوء الأدب أو فساد العقيدة مع صحة ذلك ولا أمثل به فإني أستحي أن يقرأ مع الزمان في كتابي فلذلك لم نمثل به كما مثلت بالعام وبالعظيم والكل منه ونعمته، ولولا حقارة ذلك بالعرف لم نقل به فإني ما أرى شيئاً ليس عندي بعظيم لأني أنظر بعين اعتناء الله به حيث أبرزه في الوجود فأعطاه الخير فليس عندنا أمر محتقر وهذا شهود القوم، فالكل نعمته ظاهرة وباطنة، فظاهرة ما شوهد منها وباطنة ما علم ولم يشهد، وظاهرة التعظيم عرفاً وباطنة التعظيم عند أهل الله وأهل النظر المستقيم ممّا ليس بعظيم في الظاهر لأن هذا الأمر شبيه بالآيات المعتادة والآيات غير المعتادة، فالآيات المعتادة ما هي آيات إلاَّ لقوم يعقلون، ولا فرق بينها وبين الآيات غير المعتادة مثل حركات الأفلاك واختلاف الليل والنهار وما يظهر في فصول السنة من الأرزاق والأمور المعادة والمسخرات فلا يتنبه بها إلاَّ كل ذي عقل سليم أنها آيات. وأما غير المعتادة فهي آيات للجميع فتنبعث النفوس للثناء على الله بها دون المعتادة فصاحب هجير الحمد المطلق الذي لا يقيده الذاكر بشيء من الصفات وإن اختلفت

Marfat.com

عليه الأحوال فما هي بواعث لذلك الذكر وإنما هو الباعث الأوّل الذي به أطلق الذكر فهو تقييد في إطلاق، فينتج له جميع ما يعطيه كل تحميد مقيد بنعت ما من النعوت أو اسم أو صفة ما لم يقف صاحب هذا الذكر مع حال من الأحوال لما يحصل له فيه من الحلاوة فيقيده ذلك الاستحلاء وإن أطلقه في اللفظ فلا ينتج له بعد ذلك إلاّ ما يناسب الحال الذي أعطاه الاستحلاء فإنه ذو صفة فهو بحيث هي وزال عنه بها الحكم الأوّل، قيل لأبي يزيد: كيف أصبحت؟ فقال: لا صباح لي ولا مساء إنما الصباح والمساء لمن تقيد بالصفة وأنا لا صفة لي، فلا يقف صاحب هذا الذكر مع أمر يرد عليه من الحق يقيده فهو مع كل وارد بحسب الوارد من غير تعلّق بمعية، فمعيته مع الوارد معية الحق مع عباده حيث ما كانوا لعلمه أنهم لا يكونون إلاّ بحسب أسمائه الحاكمة عليهم والمتصرفة فيهم فهو معْ أسمائه لا معهم، ولكن ما وقع الإخبار إلاّ أن الله معهم أينما كانوا، كذلك الواردات لا تتعين للعبد إلاّ بحسب استعداده الذي أعطاه ذكره وذكره من فعله في معيته مع الواردات مع نفسه كما ذكرنا في معية الحق على السواء، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثامن والستون وأربعمائة

في حال قطب كان منزله الحمد لله على كل حال

الحمـــدلله علـــى كـــل حـــال	فهـو الـذي يعـمّ حـال الـوجـود
ومـا علـى حمـد الـذي قـالـه	إذا تلفظـت بـه مـن مـزيـد
وجـاء ذا عنـه بـه قـائـلاً	قـد جاء مـا قـد كنـت منه تحيد
فـإنـه نـاداك مـن حضـرة	مـن قبـل هـذا فـي مقـام الشهـود
بـأنـه ليـس بغيـر لـه	فـلا يغـرنـك حبـل الـوريـد
فـأنـت رب وأنـا عبـده	ويثبـت الـرب بكـون العبيـد
فـلا تقـل فـي كـونـه أنـه	يقـول يـوم العـرض هـل مـن مـزيـد

اعلم أيّدك الله وإيانا بروح منه أن رسول الله ﷺ كان يقول في السرّاء: «**الحمد لله المنعم المفضل**» وكان يقول في الضرّاء: «**الحمد لله على كل حال**» ثبت هذا في الصحاح فعلمنا أنه ذكر أدب إلهيّ لأنه ما قيده باسم كما قيد حمد السرّاء بالمنعم المفضل، ومن

Marfat.com

أسمائه الضار كما من أسمائه النافع، ولم يتعرض في هذا الحمد إلى ذكر الاسم الضار ولم يكن ذلك عن هوى بل عن وحي إلهيّ يوحى، فإنه الصادق القائل: «إن الله أدّبني فأحسن أدبي» فعلمنا أن هذا الذكر من جملة الآداب على هذه الصفة، وقد أوحى الله أن نتبع ملة إبراهيم، ومن آداب إبراهيم عليه السلام مع ربه قوله: ﴿وإذا مرضت فهو يشفيني﴾ فنسب الشفاء إلى ربه ولم ينسب إليه المرض لأنه شرّ في العرف بين الناس وإن كان في طيّه خير في حق المؤمن فأخبر الله نبيه بحديث إبراهيم، وقوله هذا تعليماً له ﷺ ليتأدّب بأدبه فقال رسول الله: «والشرّ ليس إليك» ومن كونه خلقاً يحسّ بالألم الحسّي والنفسي كما يحسّ باللذات المحسوسة والمعنوية ويعلم الفرقان بينهما، وأن السرور يصحب الإلتذاذ، وأن الحزن يصحب الألم طبعاً، فلذلك عدل في الضراء إلى حمد الله على كل حال، والأحوال في العالم ما هي بأمر زائد على الشأن الذي ألحق فيه بل هو عين الشأن كل حال يطرأ في الوجود ممّا يوافق الغرض ويلائم الطبع وممّا لا يوافق الغرض ولا يلائم الطبع وإن كان الأمر في ذلك من القابل، لأنا رأينا ما يتضرر به زيد يلتذ به عمرو، فعلمنا أن العلة في القابل وأن الأمر الآتي منه تعالىٰ واحد العين لا انقسام فيه فينقسم فينا أمره ويتعدد، ولما عمّ هذا الذكر جميع الأحوال، فإن تحقق الذاكر الله به ما وضع له فهي دعوى فإن الله لا بدّ أن يبتلي الشخص الذي يذكر الله بهذا الذكر على هذا الحد، فإن الدعوى تفتح باب الإبتلاء في القديم والحديث إن فهمت وإن كان الذاكر به ما خطر له أصل وضعه بخاطر بل ذكر الله به لكونه مشروعاً من غير وقوف مع السبب في وجوده وتشريعه فقد يبتليه الله وقد لا يبتليه، وإن قيده هذا الذاكر أعني ذلك الذكر بأنه ثناء على الله لجهة الخير لا يقصد به أصل وضعه ولا يقوله بدعوى أنه الحامد ربه على كل حال وإنما يقول ذلك مخبراً أن الله محمود على كل حال، فإنه ما من حال كما قررناه إلاّ وله وجه في الخلق إلى الإلتذاذ به والتألم به، فما من حال إلاّ ويحمد الله عليه حمد سرّاء وحمد ضرّاء، ألا تراه في السرّاء كيف يقول: الحمد لله المنعم المفضل، فمن إنعامه وفضله أن جعل صاحب الضرّاء يحمد الله ولهذا يعافيه ويحول بينه وبين تلك الضرّاء لأن حمده شكر على هذا الإفضال وهو أن ألهمه واستعمله في حمد الله ولم يستعمله في الضجر والسخط، فعافى باطنه بما ألهمه إليه من التحميد فزاده الله عافية بإزالة الضرّاء عنه، وهذا معنى دقيق مندرج في الحمد لله على كل حال وأنه مساو لحمد السرّاء وهو الحمد لله المنعم المفضل وبزيادة، وهذا من جوامع الكلم التي أوتيها رسول الله ﷺ، وتختلف أحوال الذاكرين الله بهذا التحميد فكل حامد به ينتج له بحسب قصده

Marfat.com

وعلمه وباعثه وقد فصلناه تفصيلاً كما أنزله الحق عزّ وجلّ في قلوب الذاكرين الله به تنزيلاً فهو حمد سرّاء وحمد ضرّاء، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب التاسع والستون وأربعمائة

في حال قطب كان منزله وأفوّض أمري إلى الله

إن الــوجــود منطــق ومنطــق ... ومصــدق ومصــدق فتفكــروا
فــالشــيء يكــذب نفســه فمكــذب ... ومكــذب والعيــن لا تتكثــر
فــلأي شــيء يــرجــع الأمــر الــذي ... قــد قلتــه فــي أمــرنــا فتبصــروا
حتــى تــروه بــالعيــان ففــوّضــوا ... أمــر الــوجــود إليــه لا تتحيّــروا

قال الله عزّ وجلّ لنبيه ﷺ أن يقول لقومه حين ردّوا دعوته: ﴿فستذكرون ما أقول لكم وأفوّض أمري إلى الله﴾ وهو من فاض ولا يفيض حتى يمتلىء، فالفيض زيادة على ما يحمله المحل وذلك أن المحل لا يحمل إلاّ ما في وسعه أن يحمله وهو القدر والوجه الذي يحمله المخلوق وما فاض من ذلك وهو الوجه الذي ليس في وسع المخلوق أن يحمله يحمله الله، فما من أمر إلاّ وفيه للخلق نصيب ولله نصيب، فنصيب الله أظهره التفويض فينزل الأمر جملة واحدة وعيناً واحدة إلى الخلق فيقبل كل خلق منه بقدر وسعه، وما زاد على ذلك وفاض انقسم الخلق فيه على قسمين: فمنهم من جعل الفائض من ذلك إلى الله تعالىٰ فقال: ﴿وأفوّض أمري إلى الله﴾ وينسب ذلك الأمر إلى نفسه لأنه لما جاءه ما تخيل أنه يفضل عنه وتخيل أنه يقبله كله فلما لم يسعه بذاته ردّه إلى ربه. ومنهم من لم يعرف ذلك فرجع الفائض إلى الله من غير علم من هذا الذي حصل منه ما حصل فهو إلى الله على كل وجه وما بقي الفضل إلاّ فيمن يعلم ذلك فيفوّض أمره إلى الله فيكون له بذلك عند الله يد. ومنهم من لا يعلم ذلك فليس له عند الله بذلك منزلة ولا حق بتوجه، قال تعالىٰ: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب﴾.

واعلم أن العبد القابل أمر الله لا يقبله إلاّ باسم خاص إلهيّ وأن ذلك الاسم لا يتعدّى حقيقته، فهذا العبد ما قبل الأمر إلاّ بالله من حيث ذلك الاسم، فما عجز العبد ولا ضاق عن حمله فإنه محل لظهور أثر كل اسم إلهيّ، فعن الاسم الإلهيّ فاض لا عن العبد فلما فوّضه

Marfat.com

بقوله: ﴿وأفوّض أمري إلى الله﴾ ما عين اسماً بعينه وإنما فوّضه إلى الاسم الجامع فيتلقاه منه ما يناسب ذلك الأمر من الأسماء في خلق آخر فإنه ما لا يحمله زيد وضاق عنه لكون الاسم الإلهيّ الذي قبله به ما أعطت حقيقته إلاّ ما قبل منه، وقد يحمله عمر ولأنه أوسع من زيد بل لا إنه أوسع من زيد، ولكن عمر وفي حكم اسم أيضاً إلهيّ قد يكون أوسع إحاطة من الاسم الإلهيّ الذي كان عند زيد، فإن الأسماء الإلهيّة تتفاضل في العموم والإحاطات فيحيط العالم ويحيط العليم فيكون إحاطة العليم أكثر من إحاطة العالم وإحاطة الخبير أكثر من إحاطة غيره، وكذلك الاسم المريد مع العالم والاسم القادر مع المريد ومع العالم تقل إحاطته عنهما، والعبد لا بدّ أن يكون تحت حكم اسم إلهيّ فهو بحسب ذلك الاسم وما تعطيه حقيقته من القبول فيرد ما فضل عنه إليه تعالىٰ وذلك التفويض لمن عقل عن الله قوله، فإن اللسان الذي خاطبنا به الحق اقتضى ذلك، فنحن معه بقوله لأنه ليس في وسع المخلوق أن يحكم على الخالق إلاّ من يكون شهوده ما هي الممكنات عليه في حال عدمها فيرى أنها أعطت العلم للعالم بنفسها فقد يشمّ من ذلك رائحة من الحكم لكن افتقارها من حيث إمكانها يغلب عليها، ولهذا ترى النافين للإمكان بالدلالة العقلية يغفلون في أكثر الحالات عمّا أعطاهم الدليل من نفي الإمكان في نفس الأمر فيقولون بالإمكان حتى يراجعوا وينبهوا فيتذكروا ذلك، فلا بدّ من أمر يكون له سلطنة في هذا العبد حتى يتصف بالغفلة والذهول عمّا اقتضاه دليله وليس إلاّ الأمر الطبيعي والمزاج، ألا تراه إذا انتقل بالموت الأكبر أو بالموت الأصغر إلى البرزخ كيف يرى في الموت الأصغر أموراً كان يحيلها عقلاً في حال اليقظة وهي له في البرزخ محسوسة كما هي له في حال اليقظة ما يتعلق به حسّه فلا ينكره، فبما كان يدل عليه عقله من إحالة وجود أمر ما يراه موجوداً في البرزخ، ولا شك أنه أمر وجودي تعلق الحسّ به في البرزخ فاختلف الموطن على الحسّ فاختلف الحكم، فلو كان ذلك محالاً لنفسه في قبول الوجود لما اتصف بالوجود في البرزخ، ولما كان مدركاً بالحسّ في البرزخ، بل قد يتحقق بذلك أهل الله حتى يدركوا ذلك في حال يقظتهم ولكن في البرزخ فهم في حال يقظتهم كحال النائم والميت في حال نومه وموته، فإن تفطنت فقد رميت بك على طريق العلم بقصور النظر العقلي، وأنه ما أحاط بمراتب الموجودات ولا علم الوجود كيف هو، إذ لو كان كما حكم به العقل ما ظهر له وجود في مرتبة من المراتب وقد ظهر فليس لعاقل ثقة بما دلّه عليه عقله في كل شيء، فإذا كان صحيح الدلالة سرى ذلك في كل صورة، فيعلم في كل صورة يراها في البرزخ وتحصل في نفسه أنه الله فهو الله فما يختلف

Marfat.com

كونه وإن اختلفت صور تجليه، وكذلك عند العارفين به هنا ما يختل عليهم شيء من ذلك ولا في البرزخ ولا في القيامة الكبرى فيشهدون ربهم في كل صورة من أدنى وأعلى، وكما هم اليوم كذلك يكونون غداً.

وأما أبو يزيد فخرج عن مقام التفويض فعلمنا أنه كان تحت حكم الاسم الواسع فما فاض عنه شيء وذلك أنه تحقق بقوله: «ووسعني قلب عبدي» فلما وسع قلبه الحق والأمور منه تخرج التي يقع فيها التفويض ممّن وقع فهو كالبحر وسائر القلوب كالجداول، وقال في هذا المقام: لو أن العرش يريد به ما سوى الله وما حواه مائة ألف ألف مرّة يريد الكثرة بل يريد ما لا يتناهى في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحسّ به يعني لاتساعه حيث وسع الحق، ومن هنا قلنا إن قلب العارف أوسع من رحمة الله لأن رحمة الله لا تنال الله ولا تسعه وقلب العبد قد وسعه، إلاّ أن في الأمر نكتة أومىء إليها ولا أنص عليها وذلك أن الله قد وصف نفسه بالغضب والبطش الشديد بالمغضوب عليه والبطش رحمة لما فيه من التنفيس وإزالة الغضب، وهذا القدر من الإيماء كاف فيما تريد بيانه من ذلك، فإن الرسل تقول: ولن يغضب بعده مثله، فالانتقام رحمة وشفاء، ولولا كونه رحمة ما وقع في الوجود وقد وقع، ولكن ينبغي لك أن تعلم بمن هو وقوع الانتقام رحمة، فبان لك من هنا رتبة أبي يزيد من غيره من العارفين لأنه وأمثاله لا يتكلمون إلاّ عن أحوالهم وذوقهم فيها ومن أسمائه تعالىٰ الواسع كما ورد، فباتساعه قبل الغضب، فلو ضاق عنه ما ظهر للغضب حكم في الوجود لأنه لم يكن له حقيقة إلهية يستند إليها في وجوده وقد وجد فلا بدّ أن ينسب الغضب إلى الله كما يليق بجلاله وقد وسع القلب الحق ومن صفاته الغضب فقد وسع الغضب، فلا ينكر على العارف مع كونه ما يرى إلاّ الله أن يغضب ويرضى ويتصف بأنه يؤذي وإن لم يتأذ فما أذى من لا يتأذى، غير أنه لا يقال ذلك في الجناب الإلهيّ إلاّ أنه تسمّى بالصبور وأعلمنا بالصبر ما هو وعلى ماذا يكون، ولا نقول هو في حق الحق حلم فإنّ الحليم كما ورد كذلك ورد الصبور، ولكل وارد معنى ما هو عين الآخر، فتتغير الأحوال على العارفين تغير الصور على الحق، ولولا ذلك ما تغيرت الأحكام في العالم لأنها من الله تظهر في العالم وهو موجدها وخالقها فلا بدّ من قيام الصفة به، وحينئذ يصحّ وجودها منه كان الموجد اسم فاعل ما كان، وكان الموجد اسم مفعول ما كان، فإن لم تعلم التفويض كما ذكرته لك إلاّ وقعت في إشكال لا تنحل منه أعني في العلم بالتفويض ما هو فهذا نسبته إلى المخلوق، وأما التفويض الإلهيّ وهو أن يكون هو المفوّض أمره إلى عباده فيه فإنه كلفهم وأمرهم ونهاهم

Marfat.com

فهذا تفويض أمره إلى عباده فإنه فاض عمّا يجب للحق لأن التكليف لا يصحّ في حق الحق، فلما فاض عنه لم يكن إفاضته إلاّ على الخلق وأراد منهم أن يقوموا به حين ردّه إليهم كما يقوم الحق به إذا فوّض العبد أمره إلى الله، فمنهم من تخلّق بأخلاق الله فقبل أمره ونهيه وهو المعصوم والمحفوظ، ومنهم من ردّه، ومنهم من قبله في وقت وفي حال، وردّه في وقت وفي حال، وكذلك فوّض إليهم أمره في القول فيه فاختلفت مقالاتهم في الله، ثم أبان لهم على ألسنة رسله ما هو عليه في نفسه لتقوم له الحجة على من خالف قوله فقال في الله ما يقابل ما قاله عن نفسه، فلما اختلفت المقالات تجلّى لأهل كل مقالة بحسب أو بصورة مقالته، وسبب ذلك تفويضه أمره إليهم وإعطاؤه إياهم عقولاً وأفكاراً يتفكرون بها، وأعطى لكل موف حقّه في الاجتهاد بنظره نصيباً من الأجر أخطأ في اجتهاده أو أصاب، فإنه ما أخطأ إلاّ المقالة الواردة في الله بلسان الشرع خاصة فحاد عنها بتأويل فيها أدّاه إليه نظره. وورد شرع أيضاً يؤيده في ذلك فما ترك المقالة من حيث عينها، وإنما استند فيما ذهب إليه لأمر مشروع ودليل عقل وكونه أصاب أو أخطأ ذلك أمر آخر زائد على كونه اجتهد فإنه ما يطلب باجتهاده إلاّ الدليل الذي يغلب على ظنه أنه يوصله إلى الحق والإصابة لا غير:

فتكليفه عين تفويضه ... فنحن وإياه فيه سوا
فتسبيحنا عين تسبيحه ... وتسبيحه بلسان السوى
وكل امرىء إنما حظّه ... من الذكر لله ما قد نوى

فتفويضه في قوله: ﴿وأنفقوا ممّا جعلكم مستخلفين فيه﴾ وتفويضنا إذا أمرنا أن نتخذه وكيلاً فيما استخلفنا فيه ﴿فرددناه إلى أمه كي تقرّ عينها﴾ ولما كان العالم تحت حكم الأسماء الإلهية وهي أسماؤه فما تلقى تفويضه إلاّ هو لا نحن فإنه بأسمائه تلقيناه، فهو الباطن من حيث تفويضه، وهو الظاهر من حيث قبوله، فكان الأمر بيننا كما تنزل الأمر بين السماء وهو العلي وبين الأرض وهي الذلول:

فهكذا الأمر فلا تخفه ... فإنه أوضحه كونه
وشاهد الحق به ناطق ... فإنه في كونه عينه

وهو ما ذكرناه من أنه ما تلقى تفويض الحق إلاّ اسمه فهو المكلف والمكلف لأنه قال: ﴿وإليه يرجع الأمر كله﴾ فهو عين الموجودات إذ هو الوجود. ﴿والله يقول الحق وهو

Marfat.com

يهدي السبيل﴾ والكلام في هذا الباب يطول ويتداخل وينعطف بعضه على بعض فيظهر ويخفى، فإنه ﴿الله الذي لا إله إلاَّ هو له الأسماء الحسنى﴾ سبحانه وتعالىٰ عمّا يقول الظالمون ﴿علواً كبيراً﴾.

الباب السبعون وأربعمائة

في حال قطب كان منزله: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلاَّ ليعبدون﴾

كما أعطاك خلقك من حباكا ... فأعط ما خلقت له كذا كا
وإن لم تعطه فالخلق يعطى ... وليس يكون مشكوراً هناكا
وحق الحق أولى يا وليي ... بأن يقضي به وحي أتاكا
فإن تبلغ مناه كما تمنى ... يبلغك الإله به مناكا

قال الله تعالى: ﴿وقضىٰ ربك ألا تعبدوا إلاَّ إياه﴾ وقضاؤه لا يرد. علمنا أن نتيجة هذا الذكر شهود هذه الآية بلا شك، فإن الحق هو الوجود والأشياء صور الوجود، فارتبط الأمر ارتباط المادة بالصورة والعبادة ذلة بلا شك في اللسان المنزل به هذا القرآن، والأمر إذاً ارتبط بين أمرين لا يمكن لكل واحد منهما أن يكون عنه ذلك الأمر إلا بارتباطه بالأمر الآخر، علمنا أن كل واحد من الأمرين المرتبطين للحب الذي قام بكل واحد منهما في ظهور الأمر الثالث وأنه طالب للأمر الثاني فصح الطلب من كل واحد، والحاصل لا يبتغي فلا بد أن يتصفا بالفقد لما يبغيان وجوده والطلب لا يكون إلا بنوع من الإذلال ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ فطلب الدعاء من عباده وطلب العباد الإجابة منه فالكل طالب ومطلوب. وقد قام الدليل أن الحوادث لا تقوم به فلا يستقل بكل طلب في ذاته لأن الطلب من الحادث حادث، ويستحيل أن يقوم به مثل هذا الطلب، فلا بد من طلب وجود ما يقوم به هذا الطلب الحادث وهو قوله: ﴿إذا أردناه﴾ والطلب إرادة سواء طلبك لنفسه أو طلبك لك، على كل حال الحاصل لا يبتغي من الوجه الذي يطلب فإنه من ذلك الوجه ليس بحاصل فلا يصح الوجود أصلاً، إلا من أصلين: الأصل الواحد الاقتدار وهو الذي يلي جانب الحق، والأصل الثاني القبول وهو الذي يلي جانب الممكن، فلا استقلال لواحد من الأصلين بالوجود ولا بالإيجاد، فالأمر المستفيد الوجود ما استفاده إلا من نفسه بقبوله

Marfat.com

وممن نفذ فيه اقتداره وهو الحق، غير أنه لا يقول في نفسه أنه موجد نفسه بل يقول: إن الله أوجده والأمر على ما ذكرناه، فما أنصف الممكن نفسه وآثر بهذا الوصف ربه فلما علم الله أنه آثر ربه على نفسه بنسبة الإيجاد إليه أعطاه الظهور بصورته جزاء فلا أكمل من العالم لأنه لا أكمل من الحق، وما كمل الوجود إلا بظهور الحادث.

ولما كان الأمر بهذه المثابة في التوقف وعدم الاستقلال من الطرفين نبه الحق على ذلك بقوله: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي»، وهو أيضاً أعني التقسيم موجود في استخلاف العبد وفي وكالة الحق فيما هو فيه العبد مستخلف فاستقل الوجود وكمل بالحادث. ولما كان الحق غيوراً أن يذكر معه سواه تجلى للعالم في صور المحدثات وعلموه فيها إعلاماً منه للعالم أنه غنيّ عن العالمين بما رأيتموه في ذاته من ظهوره بالتجلي في صور المحدثات فسواء ظهوركم وعدمكم يقول للممكن فعند ذلك ذل الممكن بالفعل في نفسه فوقع منه ما خلقه الله له وزال عنه عز الاستعداد بالقبول في الإيجاد إذا رأى أعيان الصور التي تكوّن عن قبولها واقتدار الحق قد ظهر الحق بها فلم تكن الحاجة إلى الممكنات في قبولها والأمر قد حصل وصح قوله: ﴿والله غنيّ عن العالمين﴾.

ولقد برقت لي بارقة إلهية عند تقييدي هذه المسألة رأيت فيها ما شاء الله من العلوم كما ضرب النبيّ ﷺ بالمعول الحجر الذي تعرض لهم في الخندق فبرقت في الضربة منه بارقة رأى بها ما فتح الله على أمته حتى رأى قصور بصرى كأنياب الفيلة، رأى ذلك في ثلاث ضربات في كل ضربة بارقة تبدى له جهة مخصوصة، هذا رأيته عند تقييدي هذا الباب وراثة نبوية بحمد الله ورأيت فيها وبها وإن ظهر بصور الممكنات واتصف بالغنا، فإن ذلك لا يخرجه عن عدم الاستقلال في وجود الحادث به إذ لا بد من قبوله وفيه وقع الكلام هذا مما أعطتنيه تلك البارقة، وأنه تعالى لما خلقهم لعبادته كساهم صفته وهي التي بها طلبهم فعبدوه بها إذ لا يصح أن يعبدوه بأنفسهم على جهة الاستقلال، ولهذا شرع لهم أن يقولوا بعد قولهم: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ لعدم الاستقلال في العبادة، فألقت عندهم الطلب في المعونة على عبادته كما كان القبول منهم معونة للاقتدار الإلهي في الخلق، ولولا هذا الارتباط ما صحت عبادة ولا إيجاد، فالإيجاد عبادة وهو لله، والعبادة إيجاد وهي المطلوبة من الخلق، فهم العابدون وهو المعبود، وهو الموجد وهم الموجودون، فلام العلة ذاتية من الجانبين واسمها في الشرع حكمة وسبب فإنه حكيم، ففي كل شيء له حكمة ظاهرة

Marfat.com

يعلمها أهل الكشف والوجود في كل شيء، ويعلمها أهل الرسوم في التكليفات التي لا تعلم إلا من جهة الشرع، فحكمتها لا تعلم إلا من جهة الشرع كقوله: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ وأما القول بالعلة في التكليف من جهة الحق فمظنونة غير معلومة، ولكن فتح لهم باب الاستنباط بما ذكره لهم في الوحي المنزل من التعليل فمنه جليّ ومنه خفيّ، كذلك له في الأشياء حكمة باطنة لا يعلمها إلا هو ومن أعلمه الله بها، ولذلك قال الجن وهو ما استتر فلا يعلم إلا منه والإنس وهو ما ظهر فيعلم بذاته حيث ظهر وإلا ليعبدون إثبات السبب الموجب للخلق، فهذه لام الحكمة والسبب شرعاً ولام العلة عقلاً والعبادة ذاتية للمخلوق لا يحتاج فيها إلى تكليف، فلا بدّ أن يكون الخالق عين كل صورة يعبدها المخلوق مع افتقار الصورة إلى المادّة، وأنه إذا لم يكن الأمر هكذا فلا تكن العبادة من المخلوق ذاتية، فإنه إذا اقتصرنا على مسمى الله في العرف عبد المخلوق غير الله فإنا نرى الأكثر من العالم ما يفتقرون إلا إلى الأسباب وكيف وقد قال: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ ﴿ويا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾ ولم يذكر قط افتقار مخلوق لغير الله ولا قضى أن يعبد غير الله، فلا بد أن يكون هو عين كل شيء أي عين كل ما يفتقر إليه وعين ما يعبد، كما أنه عين العابد من كل عابد بقوله أيضاً: كنت سمعه حين خاطبه بالتكليف والتعريف فما سمع كلامه إلا بسمعه، وكذلك جميع قواه التي لا يكون عابداً لله إلا بها، فلم يظهر في العابد والمعبود إلا هويته، فحكمته وسببه وعلته لم تكن إلا هو، ومعلوله ومسببه لم يكن إلا هو فإياه عبد وعبد، قال ﷺ في خطبته لما أثنى على ربه: «فإنما نحن به وله» فخاطب وسمع وهذا أمر لا يندفع فإنه عين الأمر، غير أن الفضل بين الناس هو بما شاهده بعضهم وحرمه بعضهم، فيعلم العالم من غيره ما لا يعلمه الغير من نفسه مما هو عليه في نفسه فظهر التفاضل، ومع هذا الظهور لا يخرج المخلوق على أن يكون الحق هويته بدليل تفاضل الأسماء الإلهية وهي الصفات وليست غيره، فلا يعلم الخلق إلا به، ولا يعلم الحق إلا بها.

وأما وصفه بالغنا عن العالم إنما هو لمن توهم أن الله تعالى ليس عين العالم وفرق بين الدليل والمدلول ولم يتحقق بالنظر إذا كان الدليل على الشيء نفسه فلا يضاد نفسه فالأمر واحد وإن اختلفت العبارات عليه فهو العالم والعلم والمعلوم فهو الدليل والدال والمدلول، فبالعلم يعلم العلم، فالعلم معلوم للعلم فهو المعلوم والعليم والعلم ذاتي للعالم وهو قول المتكلم ما هو غيره فقط. وأما قوله: وما هو هو بعد هذا فهو لما يرى من أنه معقول زائد على ما هو فبقي أن يكون هو، وما قدر على أن يثبت هو من غير علم يصفه به

Marfat.com

فقال: ما هو غيره فحار فنطق بما أعطاه فهمه فقال: إن صفة الحق ما هي هو ولا هي غيره، ولكن إذا قلنا نحن مثل هذا القول ما نقوله على حد ما يقوله المتكلم فإنه يعقل الزائد ولا بد ونحن لا نقول بالزائد فما يزيد المتكلم على من يقول إن الله فقير إلا بحسن العبارة، ونعوذ بالله أن نكون من الجاهلين، فهذا بعض نتائج هذا الهجير، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الأحد والسبعون وأربعمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:

﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾

إذا أحببت ربك باتباع ... أحبك مثل ذلك ثم زاد
على الحب المضاعف سترصون ... أتتك به السيادة حين سادا
وإن أحببته بخلاف هذا ... أفدت ولم تكن ممن أفادا

وقال ﷺ عن الله: «إن الله تعالى يقول: ما تقرب المتقربون بأحب إلي من أداء ما افترضته عليهم، ولا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً»، وقد ورد أتم من هذا، فهذا الهجير إذا التزمه العبد أو من التزمه وتحقق به فتح عليه في معرفة نفسه وربه وعلم أن عبادة الفرائض عبادة حقيقية جبرية، وعبادة النوافل عبادة اختيارية فيها رائحة ربوبية لأنها تواضع والتواضع تعمل لا يقوم إلا ممن له سهم في الرفعة والعبد ليس له نصيب في السيادة، ولهذا ورد: «العبد من لا عبد له» فلهذا نقص عن درجة الفرض النفل لأن العبد نقصه من العلم بالأمر على قدر ما اعتقده من النفل، بل من أول قدم في النفل اتصف بالنقص في العلم بما هو الأمر عليه، وهذا علم شريف يورث سعادة لمن قام به لا تشبهها سعادة، وذلك أن العبد هو عبد لذاته ولكن لا تعقل له عبودية ما لم يعقل له استناد إلى سيد، والرب رب لذاته، ولكن لا يعقل له ربوبية ما لم يعقل له مربوب وهو مستنده، فكل واحد سند للآخر، فالمعلوم أعطى العلم للعالم فصيره عالماً والعلم صير المعلوم معلوماً، ومن حيث ارتفاع هذا الذي قلناه فلا عالم ولا معلوم ولا رب ولا مربوب، وليس الأمر إلا عالم ومعلوم ورب ومربوب، وهو الذي عليه الوجود، فليتكلم بما أعطاه

Marfat.com

الوجود والشهود، وليترك وهميات الجائز العقلي، فإن القول بذلك له موطن خاص في ذلك الموطن سلطانه فنقول: قد أخبر الله تعالى إن لله عباداً يحبهم ويحبونه فجعل محبتهم وسطاً بين محبتين منه لهم فأحبهم فوفقهم بهذه المحبة لاتباع رسوله فيما جاءهم به من الواجبات عليهم والترغيب في أن يوجبوا على أنفسهم صورة ما أوجبه عليهم يسمى نافلة، ثم أعلمهم أنهم إذا اتبعوه فيما جاء به أحبهم، فهذا الحب الإلهي الثاني ما هو عين الأول فالأول حب عناية والثاني حب جزاء وكرامة بوافد محبوب بالحب الأول فصار حب العبد ربه محفوظاً بين حبين إلهيين، كلما أراد أوهم أن يخرج عن هذا الوصف بالسلوّ وجد نفسه محصوراً بين حبين إلهيين فلم يجد منفذاً فبقي محفوظ العين بين حب عناية ما فيها من فطور وبين حب كرامة ما فيها استدراج، والحصر بين أمرين يوجب اضطراراً، فذلك حب الفرض وهو العبد المضطر في عبوديته المجبور بما فرض الله عليه لينبهه أنه في قبضة الحق محصور لا انفكاك له ولا نفوذ ما رسمناه في الهامش ولما رأى أن الحق كلفه علم أنه لو لم يعلم الحق في العبد

حب العناية

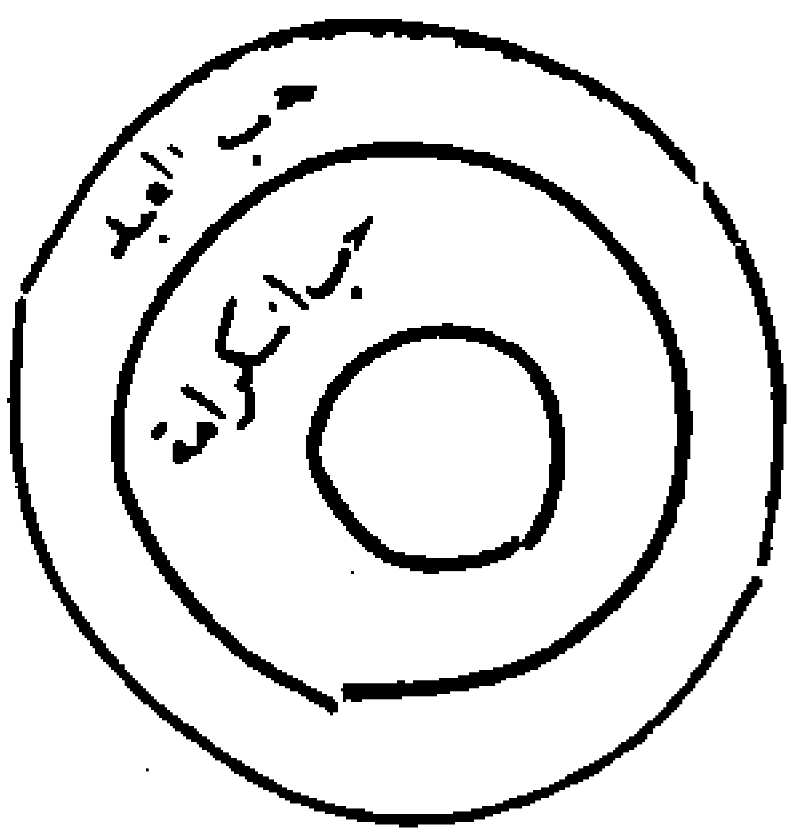

اقتداراً على اتيان ما كلفه به من الأعمال ما كلفه به، فكان التكليف له معرفاً بأن له مدخلاً في الاقتدار على وجود الفعل الذي كلفه الله إيجاده، وقرر ذلك عنده بما شرع له من طلب المعونة من الله على ذلك فزاده هذا قوة في علمه بأن له اقتداراً، ثم نظر فيما أوجب عليه فرأى ذلك قليلاً مما هو عليه من الاتساع، فعلم عند ذلك أن الاتساع الذي أبقى له إنما أبقاه لما له من الاقتدار، فأراد أن يبتليه ليرى ما يخرج منه في ذلك الاقتدار الذي أعطاه وليس له فيما يخرج فيه ذلك الاقتدار إلا تلك السعة التي أبقى له كما قال: إن لك في النهار سبحاً طويلاً، فعمر ذلك الفراغ هذا العبد بالنوافل ولا يكون نافلة حتى يكمل الفرض، فحصل بذلك من الله حبان آخران: حب الفرائض أي الحب الذي حصل له من إتيانه بالفرائض، والحب الذي حصل له أيضاً من الله من إتيان النوافل وإن كان دون الحب الأول كما هو في الأصل حب الكرامة دون حب العناية فإنه حب جزاء فلا يخلص خلوص الحب الأول، كما ورد في الخبر: «أن الرجل إذا قال لأخيه أحبك فأحبه الآخر فإنه لا يلحقه في درجته في الحب أبداً لأن حب الأول ابتداء وحب الثاني جزاء فلن يكافئه أبداً»،

Marfat.com

فإن الحب الأول هو الذي أنتج الحب الثاني فهو منفعل عنه والمنفعل لا يقوى قوة الفاعل أبداً، فلما عمر ذلك الفراغ الواسع بالنوافل وجعل الله فيها فرائض لتتأيد بها النوافل في اللحوق بالفرائص ولهذا تسد مسدها وتكمل بها الفرائض بما فيها من الفرائض كما ورد في الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ: «**إن الله يقول في موازنة الأعمال إذا لم يتم العبد فرضه أن يكمل له فريضته في تطوعه إن كان له تطوع**» وهو النفل، فلذلك كان في النفل فروض لأن كل نفل فهو على صورة فرضه من صلاة وصدقة وصيام وحج واعتمار، فله الخيار في الإتيان بالنفل ما لم يتلبس به، فإذا تلبس به قيل له: لا تبطلوا أعمالكم فبالأولية في ذلك كان مختاراً وفي التلبس مضطراً عندنا وبخلافه عند علماء الرسوم ﴿ومن أوفى بما عاهد عليه الله﴾ والشروع عهد عهده مع الله بلا شك فيما لم يجب عليه ولهذا قال: هل عليّ غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع، فدخل الاحتمال في هذا الإجمال.

ولما لم يكن في أداء الفرض رائحة ربوبية توجب له إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل كما هو في النفل كان في الفرض عبد اضطرار بلا شك مجبوراً فأدركه الإنكسار في نفسه لما كان عليه من العزة في كونه أعطى العلم لله به فجبر الله انكساره بقوله: ﴿ما يبدل القول لدي﴾ فأزال عن نفسه بهذا الخطاب إن شاء وإن شاء وما أبقى له إلا عين ما شاء لا التخيير في ذلك، فلما سمع العبد مثل هذا انجبر كسره وعلم أن الله لا يقول مجازاً وأن الأمر لما كان في نفسه على هذا ما صح أن يقول مثل هذا القول، فزال الانكسار الذي كان عنده وهو قوله تعالى في الخبر المترجم عنه: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي» أي أنا كسرت قلوبهم بما أوجبته عليهم وأدخلتهم فيه من الاضطرار وأنزلتهم من معقل عزتهم بذلك فلما انكسروا كان عندهم في هذا الكسر جابراً بما أوجبه على نفسه، وما أخبر به أنه ما يبدل القول لديه وأن الكلمة منه حقت وأزال الاختيار بإزالة الإمكان من العالم، فلم يبقَ إلا واجب بنفسه أو واجب بغيره وهما وصفان لموصوف واحد ولموصوفين وليس في الكون إلا الرب والمربوب، ثم أعطاه بما خيره فيه في هذا الاتساع من المسمى نفلاً حكم الاختبار الإلهي في قوله: «إن شاء وإن شاء فكساه حلته، بل العبد أولى بصفة الاختيار من صفة الاضطرار لأن له التردد بالحقيقة لإمكانه وليس عند الحق ذلك، فإذا ظهر مثل هذا من الحق فتعلم أن الحق ظهر في صورة ممكن، ولهذا تأدبنا في قولنا: إن الله لا ينبغي أن يقال أنه يجوز أن يفعل كذا ويجوز أن لا يفعله، ونقول: يجوز أن يكون هذا الممكن ويجوز أن لا يكون، كما أنه إذا ظهر الاضطرار من العبد إنما يظهر ذلك منه بصورة حق لا بنفسه لأنه لا يكون

Marfat.com

عبداً إلا بقيامه بمراسم سيده وهو مسلوب الفعل بالأصالة، فلا بد أن تظهر بصورة حق إذا ظهر بعبوديته التي هي العمل بما كلف فعله، ولذلك لم يقل الحق أنه هوية الشيء وإنما قال إنه هوية العبد، فعلمنا أن حكم العبد ما هو حكم الشيء، فحكم النفل أحق بالعبد لولا ما فيه من روائح الربوبية، وحكم الفرض أحق بالرب لولا ما فيه من روائح العبودية، فليجعل حكم كل واحد في الموطن الذي جعله الله فيكون الله هو الجاعل لا نحن، فنخلص ونسلم من الاعتراض علينا عند السؤال من الله إيانا.

ثم إن الله تعالى جعل في محبة الجزاء وهي محبة الكرامة غفر الذنوب وهو سترها وختم الآية بأنه لا يحب الكافرين والكافر الساتر وهو تعالى ساتر الذنوب، فعلمنا أنه لا يحب من عباده من يستر نعمه كانت النعم ما كانت فإنه قال: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ وما تحدث به لم يستر، وقال: التحدث بالنعم شكر، وإذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن ترى عليه ونعمه التي أسبغها على عباده ظاهرة وباطنة، ومن ستر نعمة الله فقد كفر بها، ومن كفر بها أذاقه الله لباس الجوع والخوف بصنيعه ذلك، ولهذا قيد الله ستره بالذنوب وهي البقايا التي أبقاها الله لعباده ليتعلموا الأدب مع الله فينسبون الطاعة والخير لله ويجعلونه بيد الله، وينسبون الذنب والمعصية لنفوسهم، فلهذا قلنا: أبقاها الله فهذا نصيبهم مما هو لله فإنه كل من عند الله، لكن هؤلاء المحجوبون لا يكادون يفقهون حديثاً بل يقولون كل ذلك لله في غير الموطن الذي جعله الله لهذا القول وذلك لجهلهم بالمواطن، وهذا القدر كافٍ فإن المجال فيه واسع لاتساع ميدانه لكون العالم ما أوجده الله إلا عن الحب والحب يستصحب جميع المقامات والأحوال فهو سار في الأمور كلها، فلذلك يتفصل الأمر فيه إلى غير نهاية، وأصل الحب النسب وهي الروابط، ومع الروابط لا يثبت توحيد أصلاً، ولهذا قال بعضهم: من وحد فقد أشرك، كما يقول من قال بالجمع فقد فرق بلا شك، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الثاني والسبعون وأربعمائة

في حال قطب كان منزله

﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب﴾

من يستمع قول من تعنو الوجوه له ... يفز بحسن الذي يأتيه في كلمه
وهو الحكيم فمن في الكون حكمته ... وأنت في كونه فأنت من حكمه
فمنك تسمع إن حققت ما سمعت ... أذناك من قوله في رتبتي قدمه
العرش يفرد ما الكرسيّ يقسمه ... من الخطاب لما في القول من قدمه
إن الحدوث له وجه لمحدثه ... وآخر ناظر منه إلى عدمه

قال الله جل جلاله: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾، وقال تعالى: ﴿ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث﴾ اعلم أن هذا تنبيه من الحق على أن كل كلام في العالم كلامه، لأنه ما أتى من الله إلينا إلا كل ذكر محدث، لأن الإتيان يحدث بلا شك في الآتي، وما أتى إلا من قام به الحادث، وليس إلا الصورة التي يتجلى فيها في أعين الناظرين ويتخلى عنها في أعين الناظرين، فما ثم إلاَّ سامع ومتكلم وقائل ومقول له ومقول به ومقول وكله حسن إلاَّ أنه بين حسن وأحسن، فكل كلام حسن، وما وافق الغرض من القول فهو أحسن، فالقول كله حسن، وأما قوله: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول﴾ فنفى المحبة أن يكون متعلقها الجهر بالسوء من القول، والسوء من القول أن يقول في القول أنه سوء ولا قائل به إلا الله والجهر بالسوء قد يكون قولاً وقد يكون في الأفعال التي لا تكون قولاً، فيريد بالجهر فيها ظهور الفحشاء من العبد كما قال ﷺ: «من بلي منكم بهذه القاذورات فليستتر» يعني لا يجهر بها، والسوء على نوعين: سوء شرعيّ وسوء ما يسوْك، وإن حمده الشرع ولم يذمه، فقد يكون هذا السوء من كونه يسوءك لا أن السوء في حكم الله كما قال تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ فالسيئة الأولى شرعية لأنه تعدى، والسيئة الأخرى ما يسوء المجازي

Marfat.com

عليها، وليس الجزاء بسيئة مشروعة لأن الله لا يشرع السوء. ولما وقع الاصطلاح في اللسان على السيء والحسن نزل الشرع من عند الله بحسب التواطىء، فهم سموه سوءاً وقالوا: أن ثم سوءاً، فقال الله ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول﴾ الذي سميتموه سوءاً لكونه لا يوافق أغراضكم كما قد سمعت: إن حسنات الأبرار سيئات المقرّبين، وليس ثم الأحسن بالنسبة سيء بالنسبة على الحقيقة، فكل شيء من الله حسن ساء ذلك الشيء أم سرّ، فالأمر إضافي، فقوله: ﴿أولئك الذين هداهم الله﴾ إلى معرفة الحسن والأحسن ﴿وأولئك هم أولوا الألباب﴾ يعني بالألباب المستخرجين لب الأمر المستور بالقشر صيانة له، فإن العين لا تقع إلا على الحجاب والمحجوب لأولي الألباب تنبيه على الصورة الحجابية التي يتجلى فيها الحق ثم يتحوّل عنها إلى حجاب، فماثم في الحقيقة إلا انتقال من حجاب إلى حجاب لأنه ما يتكرر تجل إلهي قط، فلا بد من اختلاف الصور والحق وراء ذلك كله فما لنا منه إلا الإسم الظاهر رؤية وحجاباً، وأما الاسم الباطن فلا يزال باطناً وهو اللب المعقول الذي يدركه أولوا الألباب يعني يعلمون أن ثم لباً وهو هذا الذي ظهر حجاب عليه وليس إلا الاسم الظاهر وهو المسمى في الحالين، فمن قال بالرؤية صدق، ومن قال بنفي الرؤية صدق، فإن رسول الله ﷺ أثبت لنا الرؤية بقوله ﷺ: «ترون ربكم» الحديث ونفى الرؤية، فإنه ﷺ سئل هل رأيت ربك؟ يعني ليلة الإسراء فقال يتعجب من السائل: «نور اني أراه» أي إنه نور، فلا أدرك النور لضعف الحدوث، والنور لله وصف ذاتي، والحدوث لنا كذلك نسبة ذاتية، فنحن لا نزال على ما نحن عليه وهو لا يزال على ما هو عليه، والراسخون في العلم الذين هداهم الله أي تولى تعليمهم بنفسه وأولئك هم أولوا الألباب، فكان من العلم الذي علمهم أن ثم لباً مستوراً بقشر فصدق النافي والمثبت، فمن قال: إن الله ظاهر فما قال على الله إلا ما قال الله عن نفسه، ولا فائدة لكون الأمر ظاهراً إلا مشاهدته، فهو مشهود مرئي من هذا الوجه، ومن قال إن الله باطن فما قال على الله إلا ما قال الله عن نفسه، ولا فائدة لكون الأمر باطناً إلا انه لا تدركه الأبصار فهو لا يشهد ولا يرى من هذا الوجه، فلما اتبع هذا الذكر أحسن القول أدرك أن ثم لباً مستوراً حين قال الآخر إنه ليس ثمّ إلا هذا الذي وقع عليه البصر، فهو كمن لا يرى أن خلف هذه الصورة الظاهرة الإنسانية أمراً آخر يدبرها ويصرفها، ومن أبصر عنده صورة زيد فقد أبصره بلا شك، والذي اعترف باللب علم أن خلف هذه الصورة أمراً آخر هذا الأثر الظاهر من هذه الصورة لذلك الباطن المستور في هذا الحجاب دليله الموت مع بقاء الصورة وإزالة الحكم، فمن قال: إن زيداً

Marfat.com

عين ذلك المدبر لا عين الصورة وأن الصورة عنده لا فرق بينها وبين ما أجمعنا عليه من صورة مثله من خشب أو جص قال أنه ما رآه، ومن قال إن زيداً هو المجموع فهو الظاهر والباطن قال: رآه ما رآه كما قال في المعنى: ﴿وما رميت إذ رميت﴾ فأحسن القول إثبات الأمرين على الوجهين:

فما ثم مشهود وما ثم شاهد ... سوى واحد والفرق يعقل بالجمع
فمن قال شاهدناه يصدق قوله ... ومن قال لم نشهد فللضعف والصدع
إذا اتصفت عين بصدع ولم تزل ... بها صفة الصدع المزيلة للنفع
على السمع عوّلنا فكنا أولي النهى ... ولا علم فيما لا يكون عن السمع
إذا كان معصوماً وقال فقوله ... هو الحق لا يأتيه مين على القطع
فعقل وشرع صاحبان تألفا ... فبورك من عقل وبورك من شرع

واعلم أن الاتباع إنما هو فيما حده لك في قوله ورسمه، فتمشي حيث مشى بك، وتقف حيث وقف بك، وتنظر فيما قال لك انظر، وتسلم فيما قال لك سلم، وتعقل فيما قال لك اعقل، وتؤمن فيما قال لك آمن، فإن الآيات الإلهية الواردة في الذكر الحكيم وردت متنوّعة وتنوّع لتنوّعها وصف المخاطب بها فمنها: ﴿آيات لقوم يتفكرون﴾ ﴿وآيات لقوم يعقلون﴾ ﴿وآيات لقوم يسمعون﴾ ﴿وآيات للمؤمنين﴾ ﴿وآيات للعالمين﴾ ﴿وآيات للمتقين﴾ ﴿وآيات لأولى النهي﴾ ﴿وآيات لأولي الألباب﴾ ﴿وآيات لأولي الأبصار﴾ ففصل كما فصل ولا تتعدّ إلى غير ما ذكر، بل نزل كل آية وغيرها بموضعها. وانظر فيمن خاطب بها وكن أنت المخاطب بها فإنك مجموع ما ذكر، فإنك المنعوت بالبصر والنهي واللب والعقل والتفكر والعلم والإيمان والسمع والقلب، فأظهر بنظرك بالصفة التي نعتك بها في تلك الآية الخاصة تكن ممن جمع له القرآن فاجتمع عليه فاستظهره فكان من أهله بل هو عين القرآن، إذا كان على هذا الوصف وهو من أهل الله وخاصته فالقول كله حسن وأحسن وما ثم سوء إلا في المقول عنه ذلك هو السوء أو في المتكلم به ليس في القول:

ليس في القول والكلام قبيح ... إنما القبح في الذي قيل عنه

أو قيل أو تكلم به أو تكلم عنه، فافهم ذلك وخذ الوجود كله على أنه كتاب مسطور وإن قلت مرقوم فهو أبلغ فإنه ذو وجهين ناطق بالحق وعن الحق تكن من الذين هداهم الله

Marfat.com

أي وفقهم بما أعطاهم من البيان وأولئك هم أولوا الألباب الغواصون على خفايا الأمور وحقائقها المستخرجون كنوزها والحالون عقودها ورموزها، والعالمون بما تقع به الإشارات في الموضع الذي تسمح فيه العبارات، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثالث والسبعون وأربعمائة

في حال قطب كان منزله: ﴿وإلهكم إله واحد﴾

بتوحيد الإله يقول قوم ... وتوحيد الكثير هو الوجود
ومن أسمائه الحسنى علمنا ... بأن الله يفعل ما يريد
فكان بنا الإله وفيه كنا ... هو المولى ونحن له عبيد

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أن الله أمرنا بتوحيده في ألوهته فلا إله إلا هو، كما نهانا عن التفكر في ذاته، فعصاه أهل النظر في ذلك ممن يزعم أنه من أهل الله كالقدماء وغيرهم من المتكلمين وبعض الصوفية كأبي حامد وغيره في مضنونه وغير مضنونه، واحتجوا بأمور هي عليهم لا لهم، وبعد استيفاء النظر أقرّوا بالعجز، فلو كان ثم علم وإيمان حق وصدق لكان ذلك في أوّل قدم فتعدوا حدود الله التي هي أعظم الحدود وجعلوا ذلك التعدي قربه إليه ولم يعلموا أن ذلك عين البعد منه وعند كشف الغطاء يظهر من أعطى ومن أعطى:

سوف ترى، إذا انجلى الغبار ... أفرس تحتك أم حمار

فالصورة صورة فرس والخبرة خبرة حمار، هذا الذكر يعطي الذاكر به رجاء عظيماً وفتحاً مبيناً، وذلك أن الله تعالى خاطب في هذه الآية المسلمين والذين عبدوا غير الله قربة إلى الله فما عبدوا إلا الله فلما قالوا: ﴿ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى﴾ فأكدوا وذكروا العلة، فقال الله لنا: ﴿إن إلهكم﴾ الإله الذي يطلب المشرك القربة إليه بعبادة هذا الذي أشرك به ﴿واحد﴾ كأنكم ما اختلفتم في أحديته فقال ﴿وإلهكم﴾، فجمعنا وإياهم ﴿إله واحد﴾ فما أشركوا إلا بسببه فيما أعطاهم نظرهم، ومن قصد من أجل أمر مّا فذلك الأمر عى الحقيقة هو المقصود لا من ظهر أنه قصد، كما يقال: من صحبك لأمر أو أحبك لأمر ولى بانقضائه، ولهذا ذكر الله أنهم يتبرؤون منهم يوم القيامة، وما أخذوا إلا من كونهم فعلوا ذلك من نفوسهم لا أنهم جهلوا قدر الله في ذلك، ألا ترى الحق لما علم هذا منهم كيف

Marfat.com

قال: ﴿وإلهكم إله واحد﴾ ونبههم فقال: ﴿قل سموهم﴾ فيذكرونهم بأسمائهم المخالفة أسماء الله، ثم وصفهم بأنهم في شركهم ﴿قد ضلوا ضلالاً بعيداً ومبيناً﴾ لأنهم أوقعوا أنفسهم في الحيرة لكونهم عبدوا ما نحتوا بأيديهم وعلموا أنه ﴿لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنهم من الله شيئاً﴾ فهي شهادة من الله بقصور نظرهم وعقولهم.

ثم أخبرنا الله أنه قضى أن لا نعبد إلا إياه بما نسبوه من الألوهة لهم أي جعلوهم كالنواب لله والوزراء كأن الله استخلفهم، ومن عادة الخليفة أن يكون في رتبة من استخلفه عند المستخلف عليه، فلهذا نسبوا الألوهة لهم ابتداء من غير نظر فيمن جعل ذلك وقول من قال: ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً﴾ إنما كان من أجل اعتقادهم فيما عبدوه أنهم آلهة دون الله المشهود له عندهم بالعظمة على الجميع، فأشبه هذا القول ما ثبت في الشرع الصحيح من اختلاف الصور في التجلي، ومعلوم عند من يشاهد ذلك أن الصورة ما هي هذه الصورة، وكل صورة لا بد أن يقول المشاهد لها أنها الله، لكن لما كان هذا من عند الله وذلك الآخر من عندهم أنكر عليهم التحكم في ذلك كما ثبت في قوله تعالى: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ هذا حقيقة، فوجه الله موجود في كل جهة يتولى أحد إليها، ومع هذا لو تولى الإنسان في صلاته إلى غير الكعبة مع علمه بجهة الكعبة لم تقبل صلاته لأنه ما شرع له إلا استقبال هذا البيت الخاص بهذه العبادة الخاصة، فإذا تولى في غير هذه العبادة التي لا تصح إلا بتعيين هذه الجهة الخاصة فإن الله يقبل ذلك التولي كما أنه لو اعتقد أن كل جهة يتولى إليها ما فيها وجه الله لكان كافراً أو جاهلاً، ومع هذا فلا يجوز له أن يتعدى بالأعمال حيث شرعها الله ولهذا اختلفت الشرائع، فما كان محرّماً في شرع مّا حلله الله في شرع آخر، ونسخ ذلك الحكم الأوّل في ذلك المحكوم عليه بحكم آخر في عين ذلك المحكوم عليه قال الله تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾ فما نسخ من شرع واتبعه من اتبعه بعد نسخه فذلك المسمى هوى النفس الذي قال الله فيه لخليفته داود: ﴿إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق﴾ يعني الحق الذي أنزلته إليك ﴿ولا تتبع الهوى﴾ وهو ما خالف شرعك ﴿فيضلك عن سبيل الله﴾ وهو ما شرعه الله لك على الخصوص، فإذا علمت هذا وتقرر لديك علمت أن الله إله واحد في كل شرع عيناً وكثير صورة وكوناً، فإن الأدلة العقلية تكثره باختلافها فيه وكلها حق ومدلولها صدق، والتجلي في الصورة يكثره أيضاً لاختلافها العين واحدة، فإذا كان الأمر هكذا فما تصنع أو كيف يصح لي أن أخطىء قائلاً ولهذا لا يصح خطأ من أحد فيه وإنما الخطأ في إثبات الغير وهو القول بالشريك فهو القول

Marfat.com

بالعدم لأن الشريك ليس تم ولذلك لا يغفره الله لأن الغفر الستر ولا يستر إلا من له وجود والشريك عدم فلا يستر فهي كلمة تحقيق ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ لأنه لا يجده فلو وجده لصح وكان للمغفرة عين تتعلق بها، وما في الوجود من يقبل الأضداد إلا العالم من حيث ما هو واحد وفي هذا الواحد ظهرت الأضداد وما هي إلا أحكام أعيان الممكنات في عين الوجود التي بظهورها علمت الأسماء الإلهية المتضادّة وأمثالها، فإذا علمت هذا فقل بعد ذلك ما شئت، أما كثرة الأسماء أظهرت كثرة الأحكام، وأما كثرة الأحكام أظهرت كثرة الأسماء فإنه أمر لا ينكره عقل ولا شرع، فالوجود يشهد له، وما بقي إلا ما ذكرناه إلى من ينسب الحكم هل للأسماء الإلٓهية أم للممكنات الكونية وهما مرتبطان محكوم بهما في عين واحدة:

فيا خيبة الجهال ماذا يفوتهم ... وماذا يفوت القائلين بجهلهم

فقد قلت هذا ثم هذا، فإنني ... من أجل الذي قد قلت فيهم من أهلهم

فمن وحد ما أنصف ومن أشرك فما أصاب هو تعالى واحد لا بتوحيد موحد ولا بتوحيده لنفسه لأنه واحد لنفسه، فما أحديته مجعولة ولا أحدية كثرته مجهولة، وما ثم إلا عدم ووجود، فالوجود له والعدم ليس له لكن له الإعدام، ولا يقال: والعدم لغيره فتثبت عين ما تنفي فتجوز في اللفظ، وما بين الوجود والعدم ما لا يتصف بالوجود ولا بالعدم وهو العالم معطي الأحكام لعين الوجود والصور لعين الشهود والمدلولات لأدلة العقود، فشاهد ومشهود، وعاقد ومعقود، وموجد وموجود، وما ثم أمر مفقود فقد تميزت الحدود بل ميزت كل محدود، وما ثم إلا محدود لمن عرف العدم والوجود، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الرابع والسبعون وأربعمائة

في حال قطب كان منزله: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باقٍ﴾

أنا عند الذي ما زال عندي ... فزال نفادنا فلنا البقاء
تقاسمنا الوجود على سواء ... فكان له السنا ولنا السناء
به فانظر إذا ما قلت أنا ... فنحن به له فلنا الثناء
رأيناه بغير اسمي وحيداً ... نزيهاً لا ينهنهه اللقاء
فلما أن تسمى غاب عنا ... وأسبل دون أعيننا الغطاء

قال الله عز وجل: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ فله السنا، وقال: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ فله ولنا السناء بصعودنا إليه. وقال: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾:

فنحن وما عندنا عنده ... وليس الذي عنده عندنا

﴿وما عند الله باقٍ﴾ قلنا ولما عندنا البقاء فهو وإن نفد ما عندنا من عندنا فإنه لا ينفد من عنده ﴿وما عند الله خير وأبقى﴾ وما عند الله إلا العالم ﴿والله خير وأبقى﴾ ممن هو عنده، كذا قال الله سبحانه في كتابه: ﴿خير وابقى﴾ لأن بقاء العالم إذا وصف بالوجود بإبقائه، وإذا أبقيناه على حاله مع ظهور أحكامه في عين الوجود فله البقاء وهو بكل حال لم يزل في درجة الإمكان فهي له باقية فهو خير وأبقى لأن له الحكم في عين الوجود والحكم لا يزال باقياً فهو خير وأبقى ممن هو منه خير وأبقى في هذا الحكم لما أعطى من العلم بنفسه للعالم به ﴿والله خير وأبقى﴾ لأنه لولا بقاء عينه ما كان لحكم هذا الممكن فيما يظهر فهو خير وأبقى ممن هوعنده خير وأبقى، فخير وأبقى ممن هو خير وأبقى:

فعندية الحق ما عندها ... سوانا وما عندنا من سواه
فخيرية الحق مشهودة ... وخيرية الكون ما لا نراه
فلما حمانا أرانا حما ... نا فلما رأيناه كنا حماه
فمنه إلينا ومنا إليه ... فعين ضلالتنا من هداه

Marfat.com

فللعبـــد فـــي ذا وذاك الـــذي رأينـــاه مـــن حكمـــه مـــا نـــواه

فأعيان العالم محفوظون في خزائنه عنده وخزائنه علمه ومختزنه نحن، فنحن أثبتنا له حكم الاختزان لأنه ما علمنا إلا منا فكان طريقاً وسطاً بين شيئية ثبوتنا وشيئية وجودنا، فإذا أراد أن ينقلنا إلى شيئية وجودنا أمرنا عليه فاكتسبنا الوجود منه فظهرنا بصورته في شيئية وجودنا وصورته ما نحن عليه في شيئية ثبوتنا فإن علمه عين ذاته، وإنما سمي علماً لتعلقه بالمعلوم والتعلق محبة، فلو كان العدم وسطاً بين شيئية الثبوت وشيئية الوجود لكان إذا أراد إيجادنا مر بنا على العدم فاكتسبنا منه نفى شيئية الثبوب فلم نوجد لا في الثبوت ولا في الوجود، فلذلك لم يكن لنا طريق إلا على وجود الحق لنستفيد منه الوجود، فتفهم هذا الترتيب فإنه نافع مفيد فإنه يعطيك العلم بحكم المواطن وأنها تحكم بنفسها في كل من ظهر فيها، فمن مر على موطن انصبغ به، والدليل الواضح في ذلك رؤيتك الله تعالى في النوم وهو موطن الخيال، فلا ترى الحق فيه إلا في صورة جسدية كانت تلك الصورة ما كانت، فهذا حكم الموطن قد حكم عليك في الحق أنك لا تراه إلا هكذا، كما أنك إذا دخلت موطن النظر العقلي وخرجت عن خزانة الخيال وموطنه لم تدرك الحق تعالى إلا منزهاً عن الصورة التي أدركته فيها في موطن الخيال، وإذا كان الحكم للموطن عرفت، إذا رأيت الحق ما رأيت وأثبت ذلك للموطن أعني ذلك الحكم حتى يبقى الحق لك مجهولاً أبداً فلا يحصل لك منه علم في نفسك إلا بتوحيد المرتبة له، وأما ان تعلم ذاته فمحال ذلك لأنك ما تخلو عن موطن تكون فيه يحكم عليك ذلك الموطن بأن لا ترى الحق إلا به فإنك تفارق ما أعطاك من العلم به في موطن آخر فتحكم على الحق في كل موطن بحكم ما هو عين الحكم الذي حكمت به عليه في الموطن الذي قبله، فتعرف عند ذلك أنك ما تعرفه من حيث يعرف نفسه، وهذا غايتنا من العلم به تعالى، فما عندنا منه في موطن ينفد في موطن آخر، فما عندنا ينفد وما عند الله باقٍ من علمه بنفسه لا يتغير ولا يتبدل ولا يتنوع لنفسه في نفسه بتنوع المواطن، فإن المواطن تنوعها لذاتها، ولو لم تتنوع لكانت موطناً واحداً، كما أن الأسماء لو لم تختلف معانيها لكانت اسماً واحداً كما هي واحد من حيث مسماها في مثل قوله ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ هذا من حيث المسمى فإنه قال: ﴿أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ فوحد لما أراد المسمى ولم يراع اختلاف الحقائق التي تدل عليه ألفاظ هذه الأسماء الحسنى، فإن لم تعلم قوله: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باقٍ﴾ على ما أعلمتك به فما علمت إلا صورة صحيحة لا روح لها، فإذا علمت الأمر كما أعلمتك به نفخت في تلك

Marfat.com

الصورة الظاهرة روحاً تحيى به فكنت خالقاً داخلاً في جملة من وصف الله نفسه بالفضل عليه في ذلك فقال تعالى: ﴿تبارك الله أحسن الخالقين﴾ فأثبتك وكل من أنشأ صورة بغير روح فذلك هو المصوّر الذي يعذب بما صوره يوم القيامة بأن يقال له هنالك أحي ما خلقت وليس بمحيى، ويقال له: انفخ فيها روحاً وليس بنافخ، وهذا من حكم الموطن لأن ذلك الموطن أعني موطن الحشر يعطي ظهور عجز العالم عما كان ينسب إليه في موطن الدنيا من الاقتدار عليه، كان عيسى عليه السلام ينفخ في الطائر الذي خلقه روحاً فيكون طائراً بالصورة والمعنى، وقيل: ليس إلا صورة طائر لا طائراً ولذلك قال عز وجل: ﴿كهيئة الطير﴾ ما قال طيراً حتى حصل فيه الروح، وقد ثبت عندنا عن ذي النون المصري أنه أحيى ابن العجوز بإذن الله الذي التقمه التمساح، وأن أبا يزيد أحيى النملة بإذن الله، كما أن موطن الخيال يعطي في أعين الناظرين حياة الجمادات وحركتها وهي في نفسها ليست بتلك الحياة التي تدركها الأبصار كحبال سحرة موسى عليه السلام وعصيهم يخيل إلى موسى من سحرهم أنها تسعى الذي سحروا به أعين الناس، فتلك حبال نشأت بين الخيال وبين أعين الناظرين كصورة السماء في المرآة فما هي السماء ولا غير السماء، فإنك تعلم قطعاً أن الجرم الذي رأيت في المرآة أقل من جرم السماء وأكبر من جرم المرآة، وتعلم قطعاً أنك ما رأيت إلا السماء عينها، فلهذا جعلنا الحكم للمواطن، فلا يجيء من العالم أمر يسمى خرق عادة إلا بإذن الله فبغير إذن الله ما يصح ولهذا ما يكون من كل أحد ظهور ذلك وإن كنا نعلم أنه ما يحدث صورة في العالم إلا والحياة تصحبها وهي روحها وبذلك الروح تكون تلك الصورة مسبحة، فالروح تسبح الله تعالى، والصورة مسبحة بالروح ربها تعالى:

فقـــد علمـــت الـــذي أقـــول ... ولســـت تـــدري الـــذي يقـــول
ولســـت أدري الـــذي نقـــول ... فـــإنـــه النـــاطـــق القـــول

وهذا القدر كاف، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الخامس والسبعون وأربعمائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ومن يعظم شعائر الله﴾

شعائر اللّه أعلام لنا نصبت ... لنعلم الفرق بين الحق والخلق
وهي الحدود التي قامت برازخها ... وقاية للذي يقول بالفرق
فمن يعظمها كانت وقايته ... وهو الذي يتقي الأشياء بالحق
اللّه دون الخلق له من منزلة ... يوم الوفود تسمى مقعد الصدق
يحوزها بالذي حاز السباق لها ... لما جرى معهم في حلبة السبق
يفنى ويبقى الذي يدعو متصفاً ... أسماؤه عندنا بالمنفي والمبقي

قال الله تعالى في تعظيمها الإبل فيها: ﴿إنها من تقوى القلوب لكم فيها﴾ يعني الشعائر ﴿منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق﴾ وهو بيت الإيمان عند أهل الإشارات، وليس إلا قلب المؤمن الذي وسع عظمة الله وجلاله شعائر الله أعلامه وأعلامه الدلائل عليه الموصلة إليه، ويا عجباً كيف يصل إليه وهو عنده كما قال أبو يزيد وقد سمع قارئاً يقرأ: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا﴾ فصاح وبكى حتى طار الدم من عينيه وضرب المنبر وقال: كيف يحشر إليه من هو جليسه؟ فصدق الله في الكمال فإن المتقي ما يتقي الرحمن، وصدق أبو يزيد فإنه ما كان مشهوده في الحال إلا الرحمن والولي لا يتعدى ذوقه ولا ينطق بغير حاله ويرد كل شيء يسمع إلى الحال الذي يغلب عليه، وكان حال أبي يزيد في ذلك الوقت هو الذي نطق به فالمرء مخبوء تحت لسانه، فإن اللسان ترجمان أحوال الناطق. ثم اعلم أن البدن جعلها الله من شعائره ولهذا تشعر ليعلم أنها من شعائر الله، وما وهب لله لا رجعة فيه، ألا تراها إذا ماتت قبل الوصول إلى البيت كيف ينحرها صاحبها ويخلي بينها وبين الناس ولا يأكل منها شيئاً، فهذا من منة الله حيث جعلك مثلاً وميزك عنه وجعل لك ملكاً وطلب منك أن تقرضه والنعمة بالأصالة نعمته وهذه كلها من شعائر الله، فإن كل شعيرة منها دليل على الله من حيث أمر ما خاص أراده الله وأبانه لأهل الفهم من عباده فيتفاضلون في ذلك على قدر فهمهم، فإذا رأيت ما يقال فيه أنه من شعائر الله وتجهل أنت

Marfat.com

صورته في الشعائر ولا تعلم ما تدل عليه هذه الشعيرة فاعلم أن تلك الشعيرة ماخاطبك الحق بها ولا وضعها لك وإنما وضعها لمن يفهمها عنه ولك أنت شعيرة أيضاً غيرها وهي كل ما تعرف أنها دلالة لك عليه كما قال أبو العتاهية:

وفـي كـل شـيء لـه آيـة تـدل علـى أنـه واحـد

فقف عندها ﴿وقل رب زدني علماً﴾ فيقوى فهمك فيما أنزله ويعلمك ما لم تكن تعلم، فإذا أمكنك الحق من نفسك علمت أنك من أقوى الشعائر عليه وأوضحها، ولهذا جاءت الشريعة بقولها: «من عرف نفسه عرف ربه»، فإذا وصلت إلى ما أوصلتك إليه شعائر نفسك وشاهدت المشعور رأيته على صورتك، فمن هناك تعلم أنك الأصل في علمه بك، وأنه ما تجلى لك، إلا في صورة علمه بك، ولا كان عالماً بك إلا منك، وأنت بذاتك أعطيته لعلم بك، فأنت الشعيرة له عليك، فإن رأيته على غير صورتك فما رأيته من كونك شعيرة له، فلا تنكره إذا رأيت ما لا تعرف حين ينكره غيرك، فإن تلك الحضرة لا مجلى لأحد فيها إلا لله، فإذا كان هذا ارجع في نظرك منه إليك فترى نفسك في تلك الصورة التي رأيته عليها وما أنت انصبغت بها منه وإنما هي أيضاً صورتك في ثبوتك، وما كان وصل وقت دخولك فيها وظهورك بها فإن الصور تتقلب عليك إلى ما لا نهاية له وتتقلب فيها أنت وتظهر بها إلى ما لا نهاية فيه ولكن حالاً بعد حال انتقالاً لا يزول، وقد علمك تعالى في هذه الصور على عدم تناهيها فتجلى لك في صورة لم يبلغ وقت ظهورك بها لأنك مقيد وهو غير مقيد بل قيده إطلاقه، وإنما يفعل هذا مع عباده ليظهر لهم في حال النكرة ولهذا ينكرونه إلا العارفون بهذا المقام فإنهم لا ينكرونه في أي صورة ظهر فإنهم قد حفظوا الأصل وهو أنه ما يتجلى لمخلوق إلا في صورة المخلوق، أما التي هو عليها في الحال فيعرفه وما يكون عليها بعد ذلك فينكره حتى يرى تلك الصورة قد دخل فيها فحينئذ يعرفه، فإن الله علمه وعلم ما يؤول إليه، والمخلوق لا يعلم من أحواله إلا ما هو عليه في الوقت ولذلك يقول: ﴿رب زدني علماً﴾ ومن عباد الله من يعلم ذلك إذا رأى الحق في صورة لا يعرفها علم بحكم الموطن وما عنده من القبول أنه ما تجلى له إلا في صورة هي له، وما وصل وقتها فعلمها قبل أن يدخل فيها، فهذا من الزيادة في العلم التي زادها الله، فشكر الله الذي عرفه في موطن الإنكار ولذلك عظم الله هذا الفضل فقال: ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾ فكان الحق في هذا الموطن من شعائر نفسك فعرفت نفسك به كما عرفته بنفسك فتأمل:

Marfat.com

فـاجتمعنـا فـي الشعـائـر — وافتـرقنـا فـي السـرائـر
فلنــا منــه التجلــي — هــائـم فيــه يبــادر
فلمثــل ذا عبيــد — مثـل أوراق الـدفـاتـر
فـإذا علمـت هـذا لـم تكـن — ولــه منـا الضمـائـر
فهــو الصـادر عنكـم — عنــه بصــادر
بعضهـا يستـر بعضـاً — بــأوائــل وأواخــر
فليبــادر مــن يبـادر — وليفـاخـر مـن يفـاخـر

فما عظم الله شعائره سدى لأنه ما عظم إلا من يقبل التعظيم، وأما العظيم فلا يعظم فإن الموجود لا يوجد والله عظيم والعالم كله لإمكانه حقير إلا أنه يقبل التعظيم، ولم يكن له طريق في التعظيم، إلا أن يكون من شعائر الله عليه، فلما كان في نفس الأمر شعيرة عليه عرفنا الحق بذلك فنظرنا فرأينا حقية قوله فاستدللنا بنا عليه وبه إذا ظهر في النكرة علينا:

فمنــه إلــيَّ دليــل علــيّ — ومنــي إليــه دليــل عليــه
فنحــن لــديــه كمــا قــالــه — بــأعمــالــه ثــم نحــن لــديــه
وأعمــالــه عيــن أعيــاننــا — فبــدئــي منــه وعــودي إليــه

ولو لم يكن الأمر هكذا ما صدق اتخاذك إياه وكيلاً، والمال ماله فالمال مالك، والإشارة أن الصورة صورتك فصدق لن تراني ﴿إذ قال له موسى رب أرني أنظر إليك فقال لن تراني﴾ وأداة لن تنفي الأفعال المستقبلة، والإشارة أن من جهلك في الحال جهلك في المآل لأنك إذا ظهرت له في المآل ما تظهر له بصورة الحال التي جهلك فيها عند طلبه رؤيتك، وإنما تظهر له بصورة حال ذلك المآل، فلا يزال منكراً ما يرى حتى يعرف الموطن وحكمه فيعلم ما يرى وما هو الحكم عليه فإن الله لم يزل ظاهراً لذي عينين وأعين، وأما ذو العين الواحدة فهو دجال أعور لم يزل في ربقة التقييد مغلولاً، فمن فتح الله عينيه التي امتن الله بهما عليه في قوله عز وجل: ﴿ألم نجعل له عينين﴾ ليشهدني في الحالين: في الحال الراهنة والحال المستقبلة، فمن لم يرني في الحال وهو ناظر إليّ فإنه أبعد أن يراني في حال المآل وهو يراني ولكن لا يعرف أني مطلوبه وسبب ذلك أنه يطلبني بالعلامة، وهل هذا إلا عين الجهل بي:

وهــل ثــم غيــري أو يكــون وليسنــي — فيــا خيبــة الأبصــار عنــد البصــائــر

Marfat.com

فــإيــاك والأفكــار إن كنــت طــالبــاً فــإن محــل الابتــلاء ســرائــري

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

الباب السادس والسبعون وأربعمائة

في معرفة حال قطب كان منزله: لا حول ولا قوة إلا بالله

الحـــــول والقـــــوّة للَّـــــه عنـــد الـــذي يـــؤمـــن بـــالله
وإنمـــا التحقيـــق عبـــد رأى الحـــول والقـــوّة للّـــه
ومـــن يـــر الأمـــريـــن فـــي نفســـه فهـــو علـــى نـــور مـــن اللَّـــه

قال الله تعالى معرفاً أن موسى عليه السلام قال لقومه: ﴿استعينوا بالله﴾ وشرع لنا في القسمة بيننا وبينه أن نقول: ﴿وإياك نستعين﴾ فقال: هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، اعلم أن لا حول ولا قوّة إلا بالله من خصائص من خلقه الله على صورته وهو الإنسان الكامل، فإن الملك ليس من حقيقته أن يكون هذا مقامه بل هو المتبري لأنه ليس بعبد جامع وإنما هو عضو من أعضاء العبد الجامع، فالعبد الجامع هو الذي لم يبقِ صفة في سيده إلا وهي فيه ومن صورته في الاقتدار على إيجادنا قبولنا لذلك، فماثم قوّة مطلقة من واحد دون مساعد، فلما علم منا أنا نعلم ذلك شرع لنا أن نستعين به إذ القابل يحتاج إلى مقتدر، كما أنّ المقتدر طلب القبول من القابل، فصحت القسمة بيننا وبينه تعالى فإنه الصادق وقد قال: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي» فالاقتدار منه والقبول منا، وبهما ظهر العالم في الوجود الدليل أنّ المحال لا يقبل الوجود فلا ينفذ فيه الاقتدار لأنّ من حقيقة الاقتدار أنه لا يتعلق إلا بالممكن ولا معنى للممكن إلا القبول فلا يصح أن يقول: لا حول ولا قوّة إلا بالله إلا العبد الجامع، فكل من تبرأ فهو جزء من الجامع، وكل من أثبت الأمرين فهو جامع عالم بنفسه وبربه أديب وفي الأمر حقه:

فـــلا حـــول منـــه ولا قـــوّة إذا لـــم أكـــن وأنـــا الـــواقـــع
ولا حـــول منـــي ولا قـــوّة إذا لـــم يكـــن وأنـــا الجـــامـــع

ألا تراها كنزاً أخافه الله في الملك حتى أوجد آدم على صورته وجعله خليفة في أرضه واعترض من اعترض كما أخبر الله تعالى في ذلك وما سمع قبل خلق آدم لا حول ولا قوّة إلا

Marfat.com

بالله، وكل قائل يقولها من غير العبد الجامع فإنما يقولها بحكم التبعية له، ولما خلق العرش وأمرت الملائكة أن تحمله لم تطقه فلما عجزت قام الحامل الواحد منهم الذي على صورة الإنسان فقال بلسانه لما أعطاه الله لا حول ولا قوّة إلا بالله فقال من بقي من الحملة بقوله فحملت العرش وأطاقته فلما أوجد الله الإنسان الكامل جعل له قلباً كالعرش جعله بيتاً له فما في العالم من يطيق حمل قلب المؤمن لأنهم عجزوا عن حمل العرش وهو في زاوية من زوايا قلب المؤمن لا يحس به ولا يعلم أن ثم عرشاً لخفته عليه، وجعل أسماءه الحسنى تحف بهذا القلب كما تحف الملائكة بالعرش، وجعل حملته العلم الإلهيّ، والحياة والإرادة والقول أربعة فالحياة نظير الحامل الذي على صورة الإنسان من حملة العرش لسريان الحياة في الأشياء فما ثم إلا حيّ، والحياة الشرط المصحح لبقية الصفات من علم وإرادة وقول ورد في الخبر أن جبريل لما علم آدم الطواف بالبيت وقال له: إنا طفنا بالبيت قبل أن تخلق بكذا وكذا ألف سنة فقال له آدم: فما كنتم تقولون عند الطواف به؟ فقال جبريل: كنا نقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فقال آدم: وأزيدكم أنا: لا حول ولا قوّة إلا بالله، فاختص بهذا الكنز آدم عليه السلام، فما ثم من يحول بينك وبين ما أنت قابل له مما إذا قبلته أضرّ بك وأنزلك عن رتبتك أعني رتبة كمالك إلى حيوانيتك إلا الله ولا قوّة لك على ما كلفك من الأعمال إلا بالله، كما لا يحول بين الحق مع اقتداره وبين ما لا يصح فيه وجود إلا بك إلا أنت إذا لم تكن فلا بد من كونك فيما لا يوجد إلا بك ولا قوّة أي لا ينفذ اقتدار في أمر لا يظهر إلا بك، فمن القسمة ظهور حقيقة لا حول ولا قوّة إلا بالله فيك وفيه بحسب الأحوال التي تطلبها، فلا أجمع من الإنسان الجامع، ولا أشرف فيه من جزئياته إلا الجزء الملكي منه، كما أن ذكر الله في الصلاة أشرف أجزاء الصلاة لا أن الذكر أشرف من الصلاة، كما أنه لا يكون الملك أشرف من الإنسان لأنه جزء من الإنسان والذكر جزء من الصلاة، قال الله تعالى: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ يعني بصورتها فإن التكبيرة الأولى تحريمها والسلام منها تحليلها عن الفحشاء والمنكر لما فيها من التحريم ﴿ولذكر الله أكبر﴾ يعني فيها لأن الذكر جزء منها وهو أكبر أجزائها، وفيه وقعت القسمة بين الله وبين المصلي في الصلاة، فإذا علمت هذا علمت مقام الملك فلم يخرج عنك وأصبت الأمر على ما هو عليه وأنصفت وعرفت من أين أتى على من أتى عليه في باب المفاضلة الله تعالى مجموع أسمائه مع التفاضل فيها في عموم التعلق فاجعل بالك ﴿وقل رب زدني علماً﴾ وتأدّب بآداب الحق الذي هو عليها، فإن العبد إذا قال: لا حول ولا

Marfat.com

قوّة إلا بالله يصدقه ربه فيقول الرب: لا حول ولا قوّة إلا بي، ولم يتعرّض أن يقول: لا حول ولا قوّة إلا بك يا عبدي فإن هذه الكلمة لا تظهر من قائلها إلا بقائلها، ولكن لما علم تعالى أن الإنسان الحيوان شارك الإنسان الكامل بالصورة الإنسانية علم أنه إذا قال الحق: لا حول ولا قوّة إلا بك طردها الإنسان الحيوان في غير موطنها فأباء الأدب، والإنسان الكامل لا يفعل مثل هذا فراعى الحق الحرمة ليتعلم الكامل فهي مسألة تعلم وتعتقد ولا يفوه بها ناطق ولا تجري على لسان عبد مختص إلا في بيان العلم ليعلم الأمر على ما هو عليه، فإن الله أخذ العهد على العلماء أن يعلموا من لا يعلم ما علمهم الله ومما علمهم الأدب، فلا يضعون الحكمة إلا في أهلها هذا من شأنهم رضي الله عنهم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السابع والسبعون وأربعمائة

في حال قطب كان منزله

﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ ﴿ولمثل هذا فليعمل العاملون﴾

الشخص مستدرج والصدر مشروح ... والكنز مستخرج والباب مفتوح
أين الأوائل لا كانوا ولا سلفوا ... العقل يقبل ما تأتي به الروح
لكنهم حجبوا بالفكر فاعتمدوا ... عليه والعلم موهوب وممنوح
ما فيه مكتسب إن كنت ذا نصف ... فليس للعقل تعديل وتجريح
العدل والجرح شرع اللّه جاء به ... ميزانه فبدا نقص وترجيح
العقل أفقر خلق اللّه فاعتبروا ... فإنه خلف باب الفكر مطروح
لولا الإله ولولا ما حباه به ... من القوى لم يقم بالعقل تسريح
إن العقول قيود إن وثقت بها ... خسرت فافهم فقولي فيه تلويح
ميزان شرعك لا تبرح تزين به ... فإن رتبته عدل وتصحيح
إن التنافس في علم يقوم به ... صدر بنور شهود الحق مشروح
هذا التنافس لا أبغي به بدلاً ... له من الذكر قدوس وسبوح
لمثل ذا يعمل العامل ليس لهم ... في غير ذلك تحسين وتقبيح

قال الله تعالى: ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ وموجب الفرح المناسبة. ولما علمنا

Marfat.com

أنّ الإنسان مجموع ما عند الله علمنا أنه ما عند الله أمر إلا وله إليه نسبه فله منه مناسب، فالعالم لا يرمي بشيء من الوجود وإنما يبرز إليه ما يناسبه منه ولا يغلب عليه حال من الأحوال بل هو مع كل حال بما يناسبه كما هو الله معنا أينما كنا ﴿فإن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ذلك بل هم بهذا القدر جاهلون، وعنه عمون، وهذا هو الذي أداهم إلى ذم الدنيا وما فيها والزهد في الآخرة وفي الكونين وفي كل ما سوى الله، وانتقدوا على من شغل نفسه بمسمى هذه كلها وجعلهم في ذلك ما حكي عن الأكابر في هذا النوع، وحملوا ألفاظهم على غير وجه ما تعطيه الحقيقة، ورأوا أنّ كل ما سوى الله حجاب عن الله، فأرادوا هتك هذا الحجاب فلم يقدروا عليه إلا بالزهد فيه، وسأبين هذا الفن في هذا الباب بياناً شافياً، وكون الحق كل يوم في شأن الخلق وكون الجنة وهي دار القربة ومحل الرؤية هي دار الشهوات وعموم اللذات ولو كانت حجاباً لكان الزهد والحجاب فيها، وكذلك الدار الدنيا، فأقول: إن الله خلق أجناس الخلق وأنواعه وما أبرز من أشخاصه لننظر فيه نظراً يوصلنا إلى العلم بخالقه فما خلقه لنزهد فيه، فوجب علينا الانكباب عليه والمثابرة والمحبة فيه لأنه طريق النظر الموصل إلى الحق، فمن زهد في الدليل فقد زهد في المدلول وخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين، وجهل حكمة الله في العالم وجهل الحق وكان من الخاسرين الذين ما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين، فالرجل كل الرجل من ظهر بصورة الحق في عبودة محضة فأعطى كل ذي حق حقه، ويبدأ بحق نفسه فإنها أقرب إليه من كل من توجه له عليه حق من المخلوقين، وحق الله أحق بالقضاء، وحق الله عليه إيصال كل حق إلى من يستحقه، ولمثل هذا فليعمل العاملون، إذ ولا بد من إضافة العمل إلينا، فإن الله أضاف الأعمال إلينا وعين لنا محالها وأمكنتها وأزمنتها وأحوالها وأمرنا بها وجوباً وندباً وتخييراً، كما أنه نهانا عز وجل عن أعمال معينة عين لنا محالها وأماكنها وأزمانها وأحوالها تحريماً وتنزيهاً، وجعل لذلك كله جزاء بحساب وبغير حساب من أمور ملذة وأمور مؤلمة دنيا وآخرة، وخلقنا وخلق فينا من يطلب الجزاء الملذ وينفر بالطبع عن الجزاء المؤلم، وجعل لي وعليّ حقاً في رعيتي إذ خلق لي نفساً ناطقة مدبرة عاقلة مفكرة مستعدة لقبول جميع ما كلفها به وهي محل خطابه المقصودة بتكليفه وامتثال أوامره ونواهيه والوقوف عند حدوده ومراسمه، حيث حد لها ورسم في حق الحق وحق نفسه وحق غيره، فيطلبه أصحاب الحقوق بحقوقهم نطقاً وحالاً ظاهراً وباطناً، فيطلبه السمع بحقه والبصر واللسان واليدان والبطن والفرج والقدمان والقلب والعقل والفكر والنفس النباتية والحيوانية والغضبية

Marfat.com

والشهوانية والحرص والأمل والخوف والرجاء والإسلام والإيمان والإحسان وأمثال هؤلاء من عالمه المتصل به، وأمره الحق أن لا يغفل عن أحد من هؤلاء أوّلاً ويصرفهم في المواطن التي عين له الحق، وجعل هذه القوى كلها متوجهة على هذه النفس الناطقة بطلب حقوقها، وجعلها كلها ناطقة بتسبيح الله تعالى جعلاً ذاتياً لا تنفك عنه، وجعل هذه الحقوق التي توجهت لها على النفس الناطقة الحاكمة على الجماعة ثابتة الحق جزاء لما هي عليه من تسبيح الله بحمده دنيا وآخرة، وما منهم من يخالف أمر الله اختياراً، وأنه إذا وقعت المخالفة منهم فجبراً يجبرهم على ذلك الوالي عليهم الذي أمروا بالسمع والطاعة له، فإن جار فلهم وعليه، وإن عدل فلهم وله، ولم يعطِ الله هؤلاء الرعايا الذين ذكرناهم المتصلين به قوّة الامتناع مما يجبرهم على فعله بخلاف ما خرج عنهم ممن له أمر فيهم.

ثم إن الله نعت لهم الجزاء الحسي وأشهدهم إياه في الحياة الدنيا بضرب مثال من نعيم الحياة الدنيا وبالوعد بذلك في الآخرة، ومنهم من أشهده ذلك في الأخرى وهو في الحياة الدنيا مشاهدة عين فرأى ما وقع له برؤيته من الالتذاذ ما لا يقدر قدره وما التذ به إلا من يطلب ذلك من رعيته فأخذ يسأله حقه من ذلك وأن لا يمنعه، وفي مثل هذا فليتنافس المتنافسون، وأيّ نفاسة أعظم من هذا؟ فالعارف المكمل المعرفة يعلم أن فيه من يطلب مشاهدة ربه ومعرفته الفكرية والشهودية، فتعين عليه أن يؤدّي إليهم حقهم من ذلك، وعلم أن فيه من يطلب المأكل الشهيّ الذي يلائم مزاجه، والمشرب والمنكح والمركب والملبس والسماع والنعيم الحسي المحسوس، فتعين عليه أيضاً أن يؤدّي إليه حقوقهم من ذلك التي عين لهم الحق، ومن كان هذا حاله كيف يصح له أن يزهد في شيء من الموجودات وما خلقها الله إلا له، إلا أنه مفتقر إلى علم ما هو له وما هو لغيره لئلا يقول: كل شيء هو له، فلا ينظر من الوجوه الحسان إلا ما يعلم أنه له وما يعلم أنه لغيره يكف بصره ويغضه عنه فإنه محجور عليه ما هو لغيره، فهذا حظه من الورع والاجتناب والزهد، إنما متعلقه الأولوية بخلاف الورع وكل ترك، فأما الأولوية فينظر في الموطن ويعمل بمقتضاه ومقتضاه قد عينه له الحق بما أعلمه به بلسان الشارع فسموا من طريق الأخذ بالأولوية زهاداً حيث أخذوا بها فإن لهم تناول ذلك في الحياة الدنيا فما فعلوا لأن الله خيرهم فما أوجبه عليهم ولا ندبهم إليه ولا حجر عليهم ولا كرهه فاعلم ذلك.

ثم إنه ينظر في هذا المخير فيه فلا يخلو حاله في تناوله أن يحول بينه هذا التناول وبين

Marfat.com

المقام الأعلى الذي رجحه له أو لا يحول، فإن حال بينه وبينه تعين عليه بحكم العقل الصحيح السليم تركه والزهد فيه، وإن كان على بينة من ربه أن ذلك لا يقدح ولا يحول بينه وبين المرتبة العليا من ذلك فلا فائدة لتركه كما قال لنبيه سليمان عليه السلام: ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾ ولا تكون ممن تلبس عليه الأمور فيتحيل أنه بزهده فيما هو حق لشخص ما من رعيته ينال حظ ما يطلبه به منه شخص آخر من رعيته فإن ذلك عين الجهل، فإن تلك الحقيقة تقول له ما هذا عين الحق لي، فالأولى بالعبد الذي كلفه الله تدبير نفسه وولاه أن يعلم فإذا علم استعمله علمه حتى يكون بحكم علمه ولا يستعمل هو العلم، فإنه إن استعمل علمه كان علمه بحكمة، فوقتاً يعمل به ووقتاً يتركه أي يترك العمل به، وما عمل الترك إلا بالعلم، وإذا كان العلم يستعمله ويصرفه ويكون هو معمولاً مستعملاً للعلم حكم عليه جبراً على الصواب فوفى الحقوق أربابها، ومثل هذا الإمام في العالم قليل ولذلك يقول: ليس السخي من تسخى بماله وإنما السخي من تسخى بنفسه على العلم فكان تحت سلطان علمه، هذا هو كبير العالم، وأما ما ذكرناه من علم الأوامر والنواهي الإلهية فنوردها إن شاء الله في الباب الأخير من هذا الكتاب، وبه ختمنا الكتاب، وهو باب الوصية، فانظر إلى ما يعطيك هذا الهجير من الفوائد، وما ذكرت لك ما نتيجة هذه الهجيرات إلا ليكون ذل باعثاً لك على طلب الأنفس والأوجه والأولى، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثامن والسبعون وأربعمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:

﴿إن تلك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير﴾

الرزق يأتي به الرزاق ليس له	اسم سواه ولا عين ولا أثر
ولا تقولن في الوهاب أن له	حكماً عليه فهذا ليس يعتبر
فإنه واجب والوهب ليس له	حكم الوجوب وفيه العبد يختبر

﴿بقية الله خير لكم﴾ ما أحل لك تناوله من الشيء الذي يقوم به أودك لتقوم به في طاعة ربك وإنما سماه بقية لأنه بالأصالة خلق لك ما في الأرض جميعاً، فكنت مطلق

Marfat.com

التصريف في ذلك تأخذ ما تريد وتترك ما تريد، ثم في ثاني حال حجر عليك بعض ما كان أطلق فيه تصرفك وأبقى لك من ذلك ما شاء أن يبقيه لك فذلك بقية الله، وإنما جعلها خيراً لك لأنه علم من بعض عباده أن نفوسهم تعمى عن هذه البقية بما يعطيهم الأصل فيتصرفون بحكم الأصل فقال لهم: البقية التي أبقى الله خير لكم ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ أي مصدقين بأني خلقت لكم ما في الأرض جميعاً، فإن صدقتموني في هذا صدقتموني فيما أبقيت لكم من ذلكم، وإن فصلتم بين الأمرين فآمنتم ببعض وكفرتم ببعض لم تكونوا مؤمنين، ثم أنكم لن تنالوا من ذلك مع جمعكم إياه وانكبابكم عليه إلا ما قدرته لكم وخسرتموني، وسواء عليكم تعرضتم لتحصيل ما ضمنته لكم أو أعرضتم عنه لا بد لي أن أوصله إليكم فإني أطلبكم به كما أطلبكم بآجالكم، وما ذلك من كرامتكم علي ولا من إهانتكم، فإني أرزق البر والفاجر والمكلف وغير المكلف، وأميت البر والفاجر والمكلف وغير المكلف وإنما عنايتي أن أوصل إليك من البقية لا من غيرها، في مثل هذا تظهر عنايتي بالشخص الموصل إليه ذلك فإنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، كما أنه لن تموت نفس حتى يأتيها أجلها المسمى، وسواء كان الرزق قليلاً أو كثيراً، وليس رزقك إلا ما تقوم به نشأتك وتدوم به قوتك وحياتك ليس رزقك ما جمعت وادخرت فقد يكون ذلك لك ولغيرك لكن حسابه عليك إذا كنت جامعه وكاسبه، فلا تكسب إلا ما يقوتك ويقوت من كلفك الله السعي عليه لا غير، وما زاد على ذلك مما فتحت به عليك فأوصله إنعاماً منك إلى من شئت ممّن تعلم منه إنه يستعمله في طاعتي، فإنم جهلت فأوصله فإنك لن تخيب من فائدته من كونك منعماً بما سميته ملكاً لك فأنت فيه كرب النعمة وليس غيري فأنت نائبي أو النائب بصورة من استخلفه، وقد رزقت النبات والحيوان والطائع والعاصي، فكن أنت كذلك وتحرى الطائع جهد استطاعتك فإن ذلك أوفر لحظك وأعلى وفي حقك أولى وأثنى.

واعلم أنه كما خلقت لك ما تحيي به ذاتك وتنعم به نفسك اعتناء بك فقد خلقت لك أيضاً ما إذا تصرّفت فيه أحييت به أسمائي ونعمت به نفوسهم وتكون أنت الآتي بذلك إليهم كما أنا الآتي برزقك إليك حيث كنت وكان رزقك، فإني أعلم موضعك ومقرّك، وأعلم عين رزقك وأنت لا تعلمه حتى تأكله وأعلمك به على التعيين، فإذا تغذيت به وسرى في ذاتك حينئذ تعلم أنه رزقك كذلك علمتك فعلمت ما تستحقه الأسماء الحسنى من الرزق الذي تقوم به حياتها ونشأتها، وأعطيتك علم ذلك وعينه وجعلتك الآتي به إليهم، وكما طلبت منك الشكر على ما جئتك به من الرزق كذلك تطلب أنت الشكر على ما أتيت به من

Marfat.com

أسمائي، وإذا شكرتك أسمائي فأنا شكرتك فسعدت سعادة لم يسعد مثلها إلا من عمل مثل هذا العمل، وأسمائي لا بد أن يصل إليها ذلك من العالم ولكن لا يشكر أسمائي إلا من قصدها بذلك اعتناء منه بجانبها لا من جاء بها غافلاً عنها أن ذلك لها ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ لا والله كما لا يستوي ﴿الذين اجترحوا السيئات بالذين آمنوا وعلموا الصالحات في محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾ أي ساء من يحكم بذلك، ثم أفصل وأقول قول لقمان لابنه: ﴿فتكن في صخرة﴾ أي عند ذي قلب قاس لا شفقة له على خلق الله، قال تعالى: ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾ وقوله: ﴿أو أشدّ قسوة﴾ فإن الحجر لا يقدر أن يمتنع عن تأثيرك فيه بالمعول، والقلب يمتنع عن أثرك فيه بلا شك فإنه لا سلطان لك عليه، فلهذا كان القلب أشد قسوة أي أعظم امتناعاً وأحمى، وإن أحسنت في ظاهره فلا يلزم أن يلين قلبه إليك فذلك إليه.

وحكي أن بعض الناس كسر حجراً صلداً يابساً فرأى في وسط ذلك الحجر تجويفاً فيه دودة في فمها ورقة خضراء تأكلها. وروي في النبوّة الأولى أن لله تعالى تحت الأرض صخرة صماء في جوف تلك الصخرة حيوان لا منفذ له في الصخرة وأن الله قد جعل له فيها غذاء وهو يسبح الله ويقول: سبحان من لا ينساني على بعد مكاني يعني من الموضع الذي تأتي منه الأرزاق لا على بعد مكانها من الله، فإن نسبه الله إلى خلقه من حيث القرب بسكون الراء نسبة واحدة، ومن حيث القرب بفتح الراء نسبة مختلفة فاعلم ذلك أو في السموات بما أودع الله في سباحة الكواكب في أفلاكها من التأثيرات في الأركان لخلق أرزاق العالم أو الأمطار أيضاً، فإن السماء في لسان العرب المطر، قال الشاعر: * إذا سقط السماء بأرض قوم * يعني بالسماء هنا المطر وقوله: أو في الأرض بما فيها من القبول والتكوين للأرزاق فإنها محل ظهور الأرزاق كالأم محل ظهور الولد الذي للأب فيه أيضاً أثر بما ألقاه من الماء في الرحم سواء كان مقصوداً له ذلك أو لم يكن كذلك الكوكب يسبح في الفلك، وعن سباحته يكون ما يكون في الأركان الأمهات من الأمور الموجبة للولادة، وسواء كان ذلك مقصوداً للكوكب أو لم يكن بحسب ما يعلمه الله عز وجل مما أوحى به في كل سماء من الأمر الإلهي الذي لا يعلمه إلا من أوحى به إليه فأينما كانت مثقال هذه الحبة من الخردل لقلتها بل لخفائها يأتِ بها الله، نبه بهذا التعريف لتأتيه أنت بما كلفك أن تأتيه به فإنك ترجوه فيما تأتيه به ولا يرجوك فيما أتاك به فإنه غني عن العالمين، وأنت من الفقراء إليه، فأتيانك إليه بما كلفك الإتيان به آكد في حقك أن تأتي به لافتقارك وحاجتك لما يحصل لك

Marfat.com

من المنفعة بذلك ﴿إن الله لطيف﴾ أي هو أخفى أن يعلم ويوصل إليه أي إلى العلم به من حبة الخردل ﴿خبير﴾ للطفه بمكان من يطلب تلك الخردلة منه لماله من الحرص على دفع ألم الفقر عنه، فإن الحيوان ما يطلب الرزق إلا لدفع الآلام لا غير، فلو لم يحس بالألم لما تصوّر منه طلب شيء من ذلك فليس نفعه سوى دفع ألمه بذلك وهو الركن الأعظم، ولولا أن حكم الجنة في أنه نفس حصول الشهوة نفس حصول المشتهى بحيث لو تأخرت عنه إلى الزمان الثاني الذي يلي زمان حصول الشهوة لكان ذا ألم لفقد المشتهي زمان الشهوة كالدنيا فإنه لا بد أن يتأخر حصول المشتهي عن زمان الشهوة فلا بد من الألم، فإذا حصل المشتهي فأعظم الإلتذاذ به اندفاع ذلك الألم فافهم هذا وحققه فإنه ينفعك، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب التاسع والسبعون وأربعمائة

في حال قطب كان منزله:
﴿ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه﴾

من يعظم حرمة الله ما يرى عيناً سوى الله
كل ما في الكون حرمته ليس في الأعيان إلا هي
ليس بالساهي معظمها لا ولا في الحكم باللاهي
كيف يسهو عن محارمه من يرى الأشياء بالله
فهو الراني بجار حتى وأنا عن ذاك بالساهي

العالم حرم الحق والكون حرمه الذي أسكن فيه هؤلاء الحرم، وأعظم الحرم ما له فيه أثر الطبع النكاحي لأنه محل التكوين، والعالم كله حرم الله فإنه محل تكوين الأحكام الإلهية لظهور الأعيان، فأي عين ظهر عاد حرمة من الحرم فحواء من آدم سواء منه ظهرت فهي عينه وهو عينها حرمته وزوجته التي كون فيها نبيه لأنها ضلعه القصير قبل الشكل المعلوم بالإنسان، فهكذا ما خلق الله من العالم والإشارة إليه في قوله جميعاً منه وقوله في عيسى وروحه لم ينسبه إلى غير لأنه مأثم غير، فمن عظم حرمة الله من العالم فما عظم إلا نفسه، وقد تبين لك أنك منه لا من ذاتك ولا من أمر آخر، فمن عظم حرمة الله فإنما عظم

Marfat.com

الله، ومن عظم الله كان خيراً له وهو ما يجازيه به من التعظيم في مثل قوله: ﴿ومن يعظم شعائر الله﴾ ﴿ومن يعظم حرمات الله﴾ وقوله: ﴿عند ربه﴾ العامل في هذا الظرف في طريقنا قوله: ﴿ومن يعظم﴾ أي من يعظمها عند ربه أي في ذلك الموطن، فلتبحث في المواطن التي تكون فيها عند ربك ما هي كالصلاة مثلاً، فإن المصلي يناجي ربه فهو عند ربه، فإذا عظم حرمة الله في هذا الموطن كان خيراً له، وتعظيم الحرمة أن يتلبس بها حتى تعظم فإذا عظمت كان التكوين كما بها، فلما أثقلت دعوا الله، والمؤمن إذا نام على طهارة فروحه عند ربه فيعظم هناك حرمة الله فيكون الخير الذي له في مثل هذا الموطن المبشرة التي تحصل له في نومه أو يراها له غيره، والمواطن التي يكون العبد فيها عند ربه كثيرة فيعظم فيها حرمات الله على الشهود، وهذا الباب إن بسطنا القول فيه طال، وهذه الإشارة القليلة تعطي صاحب الفهم بقوّتها ما في البسط من الفوائد الوجودية وهذا كافٍ في الغرض المقصود، والحمد لله رب العالمين، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثمانون وأربعمائة

في حال قطب كان منزله: ﴿وآتيناه الحكم صبيا﴾

من المزاج قوي الإنسان أجمعها ... روحاً وجسماً فلا تعدل عن الرشد
بذاك يضعف في حال تصرفها ... لعله قبلتها نشأة الجسد
فإن بدا لك ما يذهب بعادتها ... فذاك حكم الإله الواحد الصمد
كمثل عيسى ومن قد كان أشبهه ... من الأناسي وما بالربع من أحد
يأتي بما جاءكم من خرق عَادته ... سوى الذي خلق الإنسان في كبد

قال الله عز وجل: ﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا﴾ فهذا سلام من الله عليه. وقال عيسى عن نفسه عليه السلام: إخباراً بحاله مع الله فيما أخبر الله به عن عنايته بيحيى عليه السلام: ﴿والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾ وزاد المحمدي الوارث: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» وذلك أن:

عناية ريعان الشباب قوية ... لأن لها القرب الإلهي بالنص
لأن علوم القوم ذوق وخبرة ... وهذي علوم ليس تدرك بالفحص

Marfat.com

فإن رسول الله ﷺ برز بنفسه وحسر الثوب وقال لما أقبل الغيث حتى أصابه أنه حديث عهد بربه، فهذا هو النص الجلي الذي أتى من الشرع في الغيث القريب من الرب، فكل أول في العالم فإنه حديث عهد بربه، وكل ما في العالم أول فإنه شيء فهو في وجوده حديث عهد بربه إذ قال له: ﴿كن﴾ فالعالم كله عالم الأمر سواء كان من عالم الخلق أو لم يكن، وقد بينا عالم الأمر والخلق ما هو وهو الوجه الخاص الذي في عالم الخلق وما عثر عليه أحد من أهل النظر في العلم الإلّهي إلا أهل الله ذوقاً، ولما كان للصبي حدثان هذا القرب وهو قرب التكوين والسماع ولم يحلَ بينه وبين إدراك قربه من الله حائل لبعده عن عالم الأركان في خلقه فلم يكن عن أب عنصري ولكن كان روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم، فلم يكن ثم ما يغيبه عمن صدر عنه فقال مخبراً عن ما شاهده من الحال فحكم في مهده على مر أي من قومه الذي افتروا في حقه على أمّه مريم فبرأها الله بنطقه وبحنين جذع النخلة إليه إذا كثر الشرع في الحكومة بشاهدين عدلين ولا أعدل من هذين فقال: ﴿إني عبد الله﴾ فحكم علي نفسه بالعبودية لله وما قال ابن فلان لأنه لم يكن ثم وإنما كان حق تجلى في صورة روح جبريل لما في القضية من الجبر الذي حكم في الطبيعة بهذا التكوين الخاص الغير معتاد ﴿آتاني الكتاب﴾ فحصل له انجيله قبل بعثه فكان على بينة من ربه فحكم بأنه مالك كتابه الإلهي ﴿وجعلني نبيا﴾ فحكم بأن النبوّة بالجعل لأن الله يقول: ﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ فهو في الصورة بالجعل لئلا يتخيل أن ذلك بالذات بل هو اختصاص إلّهي ﴿وجعلني مباركاً﴾ أي خصني بزيادة لم تحصل لغيري، وتلك الزيادة ختمه للولاية ونزوله في آخر الزمان وحكمه بشرع محمد ﷺ حتى يكون يوم القيامة ممن يرى ربه الرؤية المحمدية في الصورة المحمدية ﴿أينما كنت﴾ من دنيا وآخرة فإنه ذو حشرين: يحشر في صف الرسل ويحشر معنا في أتباع محمد ﷺ ﴿وأوصاني بالصلاة﴾ المفروضة في أمة محمد ﷺ أن أقيمها لأنه جاء بالألف واللام فيها ﴿والزكاة﴾ أيضاً كذلك ﴿ما دمت حيا﴾ زمان التكليف وهو الحياة الدنيا ﴿وبراً بوالدتي﴾ فأخبر أنه شق في خلقه فإن لأمّه عليه ولادة لما كانت محل تكوينه فقلت نسبته العنصرية في خلقه فكان أقرب إلى ربه فكان أحدث عهد بعبوديته لربه ﴿ولم يجعلني جباراً شقيا﴾ إذ لا يكون ذلك ممن يكون إلا بالجهل والجهل فيه إنما هو من قوّة سلطان ظلمة العنصر، وقد بينا مرتبة عالم الطبيعة من عالم العناصر في هذا الكتاب في مواضع منه ﴿والسلام عليّ﴾ لعلمه بمرتبته من ربه وحظه منه ﴿يوم ولدت﴾ يعني له السلامة في ولادته من تأثير العبد المطرود الموكل بالأطفال عند الولادة حين يصرخ

Marfat.com

الولد إذا وقع من طعنته فلم يكن لعيسى عليه السلام صراخ بل وقع ساجداً لله تعالى: ﴿ويوم أموت﴾ يكذب من يفتري عليه أنه قتل فلم يقل ويوم أقتل ﴿ويوم أبعث حيا﴾ يعني في القيامة الكبرى أكد موته فآتاه الحكم بما ذكره وهو صبيّ رضيع في المهد، فكان أتم في الوصلة بربه من يحيى ابن خالته فإن عيسى سلم على نفسه بسلام ربه ولهذا ادّعى فيه أنه إله، ويحيى سلم عليه ربه تعالى ولم ينص على أنه عرف بذلك السلام عليه أو لم يعرف.

واعلم أن الناس إنما يستغربون الحكمة من الصبيّ الصغير دون الكبير لأنهم ما عهدوا إلا الحكمة الظاهرة عن التفكر والروية، وليس الصبيّ في العادة بمحل لذلك فيقولون أنه ينطق بها فتظهر عناية الله بهذا المحل الظاهر، فزاد يحيى وعيسى بأنهما على علم مما نطقا به علم ذوق لأن مثل هذا في هذا الزمان والسنّ لا يصح أن يكون إلا ذوقاً وأن الله آتاه الحكم صبياً وهو حكم النبوّة التي لا تكون إلا ذوقاً، فمن كان هجيره هذا فوراثته وإن كان محمدياً لهذين النبيين أو لأحدهما على حسب قوّة نسبته منهما أو من أحدهما، وقد نطق في المهد جماعة أعني في حال الرضاعة، وقد رأينا أعظم من هذا رأينا من تكلم في بطن أمّه وأدّى واجباً وذلك أن أمه عطست وهي حامل به فحمدت الله فقال لها من بطنها: يرحمك الله بكلام سمعه الحاضرون وأما ما يناسب الكلام فإن ابنتي زينب سألتها كالملاعب لها وهي في سن الرضاعة وكان عمرها في ذلك الوقت سنة أو قريباً منها فقلت لها بحضور أمها وجدتها: يا بنية ما تقولين في الرجل يجامع أهله ولا ينزل؟ فقالت: يجب عليه الغسل، فتعجب الحاضرون من ذلك، وفارقت هذه البنت في تلك السنة وتركتها عند أمها وغبت عنها وأذنت لأمها في الحج في تلك السنة ومشيت أنا على العراق إلى مكة فلما جئنا المعرّف خرجت في جماعة معي أطلب أهلي في الركب الشامي فرأتني وهي ترضع ثدي أمها فقالت: يا أمي هذا أبي قد جاء فنظرت الأمّ حتى رأتني مقبلاً على بعد وهي تقول: هذا أبي هذا أبي فناداني خالها فأقبلت فعندما رأتني ضحكت ورمت بنفسها عليّ وصارت تقول لي: يا أبت يا أبت، فهذا وأمثاله من هذا الباب:

Marfat.com

الباب الأحد والثمانون وأربعمائة

في حال قطب كان منزله:
﴿إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا﴾

من يشهد اللّه في أعماله حسنت ... نشآتها فلها في الوزن رجحان
مع الشهود له أجر يخص به ... قضى بذلك في التعريف ميزان
إن الرسول له أجر تعينه ... له رسالته ما فيه نقصان
لولا الوجود لما كان الشهود لنا ... وفي الوجود لنا ربح وخسران
وليس يدري الذي جئنا به أحد ... إلا عليم بما في الأمر حيران

قال رسول الله ﷺ في الإحسان أنه العمل على رؤية الحق في العبادة، وهو تنبيه عجيب من عالم شفيق على أمته، لأنه علم أنه إذا قام العبد في عمله عبادة وجعل في نفسه أنه يرى ربه ويراه ربه بما استحضره في تلك العبادة على قدر علمه فإنه إذا كان هذا هجيره وديدنه ذلك أبصر أن العامل هو الله لا هو وأن العبد محل ظهور ذلك العمل، كما ورد أن الله قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده، فالإحسان في العبادة كالروح في الصورة يحييها وإذا أحياها لم تزل تستغفر لصاحبها ولها البقاء الدائم فلا يزال مغفوراً له، فإن الله صادق وقد أخبر أنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً، بل لا يضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض كان العمل ما كان، فإن كان خيراً فلا يضيع أجره، وإن لم يكن خيراً فإن الله لا يضيعه لأنه لا بد أن يبدل الله سيئات التائب حسنات، فإن لم يكن العمل غير مضيع وإلاَّ ففي أي أمر يقع التبديل لأن الأعمال صور أنشأها العامل لا بدّ أنشأها الله فإنه العامل والعبد محل ظهور ذلك العمل كالهيولي لما يقبله من فتح الصور فيها، ثم إن الحضور مع الله تعالى وهو الإحسان في ذلك العمل حياة ذلك العمل وبه سمي عبادة، ولولا هذا الحضور ما كان عبادة، فما من مؤمن يعصي إلا وفي نفسه ذل المعصية فلذلك يصير عباده ولو لم يكن إلا علمه بأنها معصية، وأي روح أشرف من العلم كما قال الله عن نفسه أنه أحاط بكل شيء علماً ودل عليه دليل العقل والعمل من الأشياء وهو يعلمه ويعلم حيث هو،

Marfat.com

فكيف يضيع عنه أو يضيعه وهو خلق من خلقه يسبح بحمده، فإن كانت حياته عن نفخ ربه سبح بحمده، وإن كانت حياته عن حضور عامله ومنشئه وكان العمل ما كان سبح بحمده واستغفر لعامله فهذا الفرقان بين العملين، فإن أعطى الله المغفرة لغير الحاضر فإنما ذلك مراعاة إلهية لكون هذا العبد أنشأ بوجود صورة ولا بد لكل صورة من روح فإن الله يغفر له لكونه ظهرت عنه صورة نفخ الحق فيها روحاً منه فسبح بحمده، فلهذا الاشتراك لحقت المغفرة صاحب ذلك العمل كان من كان، ولحقته متى لحقته، والتروك لا تكون أعمالاً إلا إذا نويت وما لم ينوها صاحبها فإنها ليست بعمل، فإن الأعمال منها ظاهرة وباطنة أو يترك الإنسان ما أمر بفعله فإن الترك عدم محض، إلا أن هناك دقيقة وذلك أن العمل الذي يكون فيه في زمان ترك ما أوجب الله عليه فعله هو الذي يكون صورة من إنشاء عامله لا عين الترك، فإنّ الزمان إنما هو لذلك العمل المتروك حتى يتوب وهذا أشد المعاصي وأعظمها، ولهذا ذهب من ذهب من أهل الظاهر إلى أنه من صلّى ركعتي الفجر ولم يضطجع فإن صلاة الصبح لا تصح له، وإن لم يركع الفجر لم يجب عليه الإضطجاع وجازت صلاة الصبح وغايته أنه ترك سنة مؤكدة لا إثم عليه في تركها وهذا عين ما ذكرناه والتعليل واحد، فكل عمل مأمور به على طريق الفرض والوجوب وترك، فإن العمل الذي يقوم الإنسان فيه على البدل من العمل المأمور به هو الذي يقوم صورة لا عين الترك فافهم، ولكن إذا كان العمل المتروك يشغل زماناً بذاته لا يصح في ذلك الزمان غيره ويكون مطلقاً لا يكون زماناً مقيداً، ويكون العمل ممن يحرم على العامل التصرّف في عمل غيره كالصلاة، فإن لم يكن كذلك فأي عمل عمله فإنه مقبول أعني من أعمال الخير لأنه عمله في زمان يجوز له فيه عمله، فأحسن العمل ما عمل بشرطه وفي زمانه وتمام خلقه وكمال رتبته في حاله، فحينئذ يكون صورة مخلقة، فافهم ذلك واعمل بحسبه فإنك تنتفعَ بذلك إن شاء الله.

Marfat.com

الباب الثاني والثمانون وأربعمائة

في حال قطب كان منزله:

﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور﴾

ومن يسلم إلى الرحمن وجهاً ... فذاك الوجه ليس له انتهاء
لأن اللَّه ليس له ابتداء ... يعينه فيحصره الثناء
فأشهده بإسلامي إليه ... وهذا الحق ليس به خفاء
وذاك العروة الوثقى لدينا ... لماسكها الهدي والاعتلاء
لقد قسم الصلاة ولست كفؤاً ... فبان الاهتدا والاقتداء
كأن الحق لم يخلق سوائي ... فمنزله ومنزلنا سواء

يعني في قوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ قال الله تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعو الرحمن﴾، فلم يفرق بين الإسم الله والإسم الرحمن، بل جعل الإسمين من الألفاظ المترادفة، وإن كان في الرحمن رائحة الاشتقاق ولكن المدلول واحد من حيث العين المسماة بهذين الإسمين، والمسمى هو المقصود في هذه الآية ولذلك قال: ﴿فله الأسماء الحسنى﴾، ومن أسمائه الحسنى: الله والرحمن إلى كل اسم سمى به نفسه مما نعلم ومما لا نعلم ومما لا يصح أن يعلم، لأنه استأثر بأسماء في علم غيبه لما كان الاسم الله قد عصمه الله أن يسمى به غير الله فلا يفهم منه عند التلفظ به وعند رؤيته مرقوماً إلا هوية الحق لا غير فإنه يدل عليه تعالى بحكم المطابقة، قال أبو يزيد عند ذلك أنا الله يعني ذلك المتلفظ به في الدلالة على هويته، يقول رضي الله عنه: أنا أدل على هوية الله من كلمة الله عليها ولذاك سماه كلمته، وقال عليه السلام: «إن أولياء الله هم الذين إذا رأوا ذكر الله» وسموا أولياء الله لقيام هذه الصفة التي تولاهم الله بها بهم وأي إسلام وانقياد ذاتي لأنه قال وجهه أعظم من هذا الانقياد والإسلام وهو محسن أي فعل ذلك عن شهود منه لأن الإحسان أن ترى ربك في عبادتك فإن العبادة لا تصح من غير شهودة، وإن صح العمل فالعمل غير العبادة، فإن

Marfat.com

العبادة ذاتية للخلق والعمل عارض من الحق عرض له فتختلف الأعمال فيه ومنه، والعبادة واحدة العين، فكما لا تفرق بين الله والرحمن كذلك لا تفرق بين العبد الحقيقي وبين ربه فعندما تراه تراه فلا ينكره إلا من أنكر الرحمن، فلذلك سمي هذا المقام العروة الوثقى أي التي لا تتصف بالإنخرام لأنها لذاتها هي عروة وثقى شطرها حق وشطرها خلق، كالصلاة حكم واحد نصفها لله ونصفها للعبد ولم يقل للمصلي ﴿وإلى الله عاقبة الأمور﴾ فنبه أن مرجع هذا التفصيل كله إلى عين واحدة ليس غير ذلك العين لها صفة الوجود، فمن لم يكن له مثل هذا النتاج في هذا الهجير فما ذكر الله به وإن لم يزل به متلفظاً فليس المقصود منه إلا ظهور مثل هذا، وهذه الإشارة كافية في هذا الذكر والحمد لله وحده.

الباب الثالث والثمانون وأربعمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:
﴿قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾

فــازت النفــس إذا مــا اتصفــت ... بصفــات القــدس فــي نشــأتهــا
أو بــأمــر عــارض كــان لهــا ... وقفــت فيــه علــى حكمتهــا
فهمــا فــي الحكــم سيــان علــى ... مــا اقتضــاه الأمــر مــن ســورتهــا
والــذي قــد دسهــا بينهمــا ... دون نعــت خــاب مــن جملتهــا
لــم يجــب مــن بعــد مــا تنتجــه ... أنــه الظــاهــر فــي صــورتهــا
فلــه الحمــد علــى ذاك وذا ... لــدخــول الكــون فــي رحمتهــا

تحقيق هذا الذكر ان النفس لا تزكو إلا بربها فبه تشرف وتعظم في ذاتها لأن الزكاة ربوّ، فمن كان الحق سمعه وبصره وجميع قواه والصورة في الشاهد صورة خلق فقد زكت نفس من هذا نعته وربت وأنبتت من كل زَوج بهيج كالأسماء الإلهية لله والخلق كله بهذا النعت في نفس الأمر، ولولا أنه هكذا في نفس الأمر ما صح لصورة الخلق ظهور ولا وجود لذلك ﴿خاب من دساها﴾ لأنه جهل ذلك فتخيل أنه دسها في هذا النعت وما علم أن هذا النعت لنفسه نعت ذاتي لا ينفك عنه يستحيل زواله لذلك وصفه بالخيبة حيث لم يعلم هذا ولذلك قال: ﴿قد أفلح﴾ ففرض له البقاء، والبقاء ليس إلا لله أو لما عند الله وما ثم إلا الله أو ما هو عنده فخزائنه غيرنا فدة فليس إلا صور تعقب صوراً، والعلم بها يسترسل عليها

Marfat.com

استرسالاً بقوله: ﴿حتى نعلم﴾ مع علمه بها قبل تفصيلها، فلو علمها مفصلة في حال إجمالها ما علمها فإنها مجملة، والعلم لا يكون علماً حتى يكون تعلقه بما هو المعلوم عليه، فإن المعلوم هو الذي يعطيه بذاته العلم والمعلوم هنا غير مفصل فلا يعلمه إلا غير مفصل إلى أنه يعلم التفصيل في الإجمال، ومثل هذا لا يدل على أن المجمل مفصل إنما يدل على أن المجمل مفصل إنما يدل على أنه يقبل التفصيل إذا فصل بالفعل هذا معنى ﴿حتى نعلم﴾ وإذا كان الأمر كما ذكرناه فما ثم ﴿من دساها﴾ ولو كان ثم لكان هو الموصوف بالخيبة لأن الشيء لا يمكن أن ينجعل ولا يندس في غير قابل بل لاندساسه، وإذا دسه فقد قبله ذلك القابل، وإذا قبله فما تعدى ذلك المدسوس رتبته لأنه حل في موضعه واستقرّ في مكانه، فما خاب من دسه الخيبة المفهومة من الحرمان فله العلم وما له نيل الغرض فحرمانه عدم نيل غرضه فإن العلم ما هو محبوب لكل أحد، ولو كان العلم محبوباً لكل أحد ما قال من قال أن العلم حجاب والحجاب عن الخير تنفر منه الطباع، ونحن إذا قلنا العلم حجاب فإنما نعني به يحجب عن الجهل فإن الوجود والعدم لا يجتمعان أعني النفي والإثبات فما يخيب إلا أصحاب الأغراض وهم الأشقياء، فمن لا غرض له لا خيبة له وأنت تعلم أنه إذا دس شيء في شيء إن لم يسعه فلا يندس فيه وإن اندس فقد وسعه ولا يسعه إلا ما هو له فلكل دار أهل، وما ثم في الآخرة إلا داران جنة ولها أهل وهم الموحدون بأي وجه وحدوا وهم الذين زكوا نفوسهم، والدار الثانية النار ولها أهل وهم الذين لم يوحدوا الله وهم الداسون أنفسهم فخابوا لا بالنظر إلى دارهم ولكن بالنظر إلى الدار الأخرى، فكما أنه لم يتعدَ أحد هنا ما قدر له وما أعطته نشأته الخاصة به كذلك لم يتعد هنالك ما قدر له موطنه الذي هو معين لذلك الذي قدر له، فمن خلق للنعيم فسييسره لليسرى ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾ ومن خلق للجحيم فسييسره للعسرى ﴿وأما من بخل﴾ بنفسه على ربه حيث طلب منه قلبه ليتخذه بيتاً له بالإيمان أو التوحيد ﴿واستغنى﴾ بنفسه عن ربه في زعمه ﴿وكذب بالحسنى﴾ وهي أحكام الأسماء الحسنى ﴿فسنيسره للعسرى﴾ فهذا تيسير التعسير وهو يشبه الدس، فإن الدس يؤذن بالعسر لا بالسهولة، فلو جهد أحد أن يدخل فيما لا يسعه ما يمكن له ذلك جملة واحدة وما كلف الله نفساً إلا وسعها في نفس الأمر، ولذلك وسعت رحمته كل شيء وزال الغضب وارتفع حكمه وتعينت المراتب وبانت المذاهب وتميز المركوب من الراكب، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الرابع والثمانون وأربعمائة

في حال قطب كان منزله

﴿إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾

إذا احتضـــر الإنســـان هيـــأ ذاتـــه ... لـــرؤيـــة مـــن يلقـــاه وهـــو بعينـــه
فيـا عجبـاً مـن غـائـب وهـو حـاضـر ... وليـس يـراه الشخـص مـن أجـل كـونـه
فـإن زال عـن تـركيبـه وهـو زائـل ... فـإن وجـود الحـق فـي سـتر صـونـه
ومـن فـرط قـرب الشـيء كـان حجـابـه ... فلـو زال ذاك القـرب قـام بعـونـه
فيشهـــده حـــالاً وعينـــاً بعينـــه ... وخـص بهـذا الـوصـف مـن أجـل حينـه
فسبحـان مـن لا تشهـد العيـن غيـره ... علـى عـزه فيمـا يـزيـن وشينـه
فمـا الشـأن إلا فـي وجـودي وكـونـه ... فمـن بينـه كـانـت شـواهـد بينـه

البين الأول الوصل والآخر الفراق وليس إلا آخر الأنفاس فما بعده نفس خارج لأنه ليس ثم وقد خرج وفارق القلب بصورة ما كشف له، فإن كان الكشف مطابقاً لما كان عليه فهو السعيد، وإن لم يكن مطابقاً فهو بحسب ما كشفه قبل فراقه القلب لأنه هنالك يكتسب الصورة التي يخرج بها، وهذه منة من الله بعبده حتى لا يقبض الله عبداً من عباده إلا كما أخرجه من بطن أمه على الفطرة، فإن المحتضر ما فارق موطن الدنيا لا أنه على أهبة الرحيل رجله في غرز ركابه وهنالك ينكشف له شهوداً حقيقة قوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ وقوله في حق طائفة: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ غير أن الذين بقيت لهم أنفاس من الحاضرين لا يبصرون معية الحق في أينية هذا العبد فإنهم في حجاب عن ذلك إلا أهل الله فإنهم يكشفون ما هو للمحتضر مشهود كما كان الأمر عندهم، فإن عم بقوله: ﴿لا تبصرون﴾ فإنه يريد الذوق فإن ذوق كل شاهد في مشهوده لا يكون لغيره، وإن اتصف بالشهود فالحق عند العارف في العين وعند غير العارف في الأين، فبرحمة من الله كان هذا الفضل من الله، ولولا الدار ما تجذب أهلها جذب المغناطيس الحديد، ولولا أهلها ما هم

Marfat.com

كأولاد أم عيسى مع الصبغ ما رموا نفوسهم فيها، يقول النبي ﷺ: «**إنكم لتقتحمون في النار كالفراش وأنا آخذ بحجزكم**» فشبههم بالفراش الذي يعطيه مزاجه أن يلقي نفسه في السراج فيحترق ولكن هؤلاء الذين هم أهلها، وأما من يدخلها وروداً عارضاً لكونها طريقاً، إلى دار الجنان فهم الذين يتبرمون بها وتخرجهم شفاعة الشافعين وعناية أرحم الراحمين بعد أن تنال منهم النار ما يقتضيه أعمالهم، كما أن الذين هم أهلها في أول دخولهم فيها يتألمون بها أشد الألم ويسألون الخروج منها حتى إذا انتهى الحد فيهم أقاموا فيها بالأهلية لا بالجزاء فعادت النار عليهم نعيماً، فلو عرضوا عند ذلك على الجنة لتألموا لذلك العرض، فينقدح لهذا الذكر أعني لأهله مثل هذه المعارف الشهودية، فإن ادعى أحد هذا الهجير وجاء بعلم غير مشهود له معلومه رؤية بصر فليس ذلك نتيجة هذا الذكر بل ذلك أمر آخر، فلينتظر فتح هذا الذكر الخاص الذي هو هجيره حتى يمن الله عليه بالشهود البصري لا بد من ذلك فإن الموطن يقتضيه، قال الله عز وجل: ﴿فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ فهو يرى ما لا يرى من عنده من أهله الذين حجبهم الله تعالى عن رؤية ذلك إلى أن يأتيهم أجلهم أيضاً، جعلنا الله عز وجل في ذلك المقام ممن يشهد ما يسره لا ما يسوءه آمين بعزته، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الخامس والثمانون وأربعمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:

﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون﴾

إن الحيـاة هـي النعيـم فمـن يـرد ... تحصيلـه قبـل الممـات فقـد أسـا
إلا النعيـم بـربـه وشهـوده ... فهـو المـرجي فـي لعـل وفـي عسـى
عنـد المحقـق والمخصـص بـالهـدى ... وتسهـل الأمـر الـذي بـي قـد عسـا
الـواحـد الفـرد الـذي بـوجـوده ... لـم يتخـذ غيـر المهيمـن مـؤنسـا
وهـو الـذي عنـد الإلـه مقـامـه ... إذ كـان مـن أدنـى الخـلائـق مجلسـا

يقول الله تعالى: «**أنا جليس من ذكرني**» ومجالسة الحق بما يقتضيه مقام ذلك الذكر

Marfat.com

كان ما كان، فاعلم أن نية العبد خير من عمله والنية إرادة أي تعلق خاص في الإرادة كالمحبة والشهوة والكره، فالعبد تحت إرادته فلا يخلو في إرادته إما أن يكون على علم بالمراد أو لا يكون، فإن كان على علم فيها فلا يريد إلا ما يلائم طبعه ويحصل غرضه، وإن كان غير عالم بمراده فقد يتضرر به إذا حصل له، فإن راعى الحق الإرادة الطبيعية الأصلية نعم، فإن كل مريد إنما يطلب ما يسرّ به لا ما يسؤه ولكن يجهل الطريق إلى ذلك بعض القاصدين ويعرفه بعضهم، فالعالم يجتنب طريق ما يسوءه والجاهل لا علم له، فإن حصل له ما يسرّه فبالعرض بالنظر إليه وبالعناية الإلهية به، فإن الله تعالى وصف نفسه بأنه لا يبخس أحداً في مراده كان المراد ما كان، ومعلوم أن الإرادة الطبيعية ما قلناه وهي الأصل، وأرجو من الله مراعاة الأصل لنا ولبعض الخلق ابتداء، وأما الانتهاء فإليه مصير الكل، فإذا وصف الله نفسه بأنه يوفي كل أحد عمله أي أجرة عمله في الزمان الذي يريدها فيه ولا يبخسه من ذلك شيئاً فقد حبط عمله إن كانت إرادته الحياة الدنيا، فلا حظ له في الآخرة التي هي الجنة أو النعيم الذي ينتجه العمل لأنه قد استوفاه في الدنيا، فإن سعد بنيل راحة فذلك من الإسم الوهاب والإنعام الذي لا يكون جزاء، فلا يكون لمن هذه حاله إن سعد إلا نعيم الاختصاص مكن حيث سكن واستقر حيث استقر. ، فإن كان ممن يريد الحياة الدنيا ونقصه من ذلك نفس واحد لم ينعم به فليس هو ممن وفى الله له فيها عمله لأنه ما مكنه من كل ما تعلقت به إرادته في الحياة الدنيا، وهل يتصور وجود هذا مع قرصة البرغوث والعثرة المؤلمة في الطريق أو لا؟، فالآية تتضمن الأمرين وهي في الواحد المحال وقوعه في الوجود أظهر فإنه بعيد أن لا يتألم أحد في الدنيا، فمن أراد الحياة الدنيا فقد أراد المحال، فلو صح أن يقع هذا المراد لكان على الوجه الذي ذكرناه لكنه ليس بواقع، وأما الأمر الآخر، فإنه إذا تألم مثلاً بقرصة برغوث إلى ما فوق ذلك من أكبر أو أصغر، فإن كان مؤمناً فله عليه ثواب في الآخرة فيكون لهذا المريد الحياة الدنيا يعطيه الله ذلك الثواب في الدنيا معجلاً فينعم به، كما كان يفعل الله تعالى بأبي العباس السبتي بمراكش من بلاد الغرب رأيته وفاوضته في شأنه فأخبرني عن نفسه أنه استعجل من الله في الحياة الدنيا ذلك كله فعجله الله له، فكان يمرض ويشفى ويحيي ويميت ويولي ويعزل ويفعل ما يريد كل ذلك بالصدقة. وكان ميزانه في ذلك سباعياً، إلا أنه ذكر لي قال: خبأت لي عنده سبحانه ربع درهم لآخرتي خاصة فشكرت الله على إيمانه وسررت به، وكان شأنه من أعجب الأشياء لا يعرف ذلك الأصل منه كل أحد إلا من ذاقه أو من سأله عن ذلك من الأجانب أولي الفهم فأخبرهم غير هذين الصنفين لا يعرف

Marfat.com

ذلك، وقد يعطي الله ما أعطى السبتي المذكور لا من كونه أراد ذلك ولكن الله عجل له ذلك زيادة على ما ادخره له في الآخرة فإنه غير مريد تعجيل ذلك المدخر كعمر الواعظ بالأندلس ومن رأينا من هذا الصنف وعملت أنا عليه زماناً في بلدي في أول دخولي هذا الطريق ورأيت فيه عجائب وكان هذا لهم من الله ولنا لا من إرادتهم ولا من إرادتنا، ولو عرف أبو العباس السبتي نفسه معرفتي بها منه ما استعجل ذلك فإنه كان على صورة لا يكون عنها إلا هذا إلا أنه سأل ذلك من الله فأعطاه إياه عن سؤال منه ولو سكت لفاز بالأمرين في الدارين، لكن جهله بنفسه وطبعها الذي طبعت عليه وصورته التي ركبه الله عليها جعلته يسأل فخسر حين ربح غيره والعمل واحد، ولهذا يفرح بالعلم لأنه أشرف صفة يتحلى بها العبد.

واعلم أن الحياة الدنيا ليست غير نعيمها فمن فاته من نعيمها شيء فما وفيت له، وما ذكر الله إلا توفيه العمل فهو نعيم العمل وصبره الذي ذكرناه على العشرة في محل التكليف، وقرصة البرغوث وإن لم يكن مؤمناً بالدار الآخرة وفاه الله ما يطلبه ذلك العمل في الحياة الدنيا، فما أعطى الله أحداً الحياة الدنيا مخلصة قط ولا هو واقع، ولو وقع له كل مراد لكان أسعد الخلق، فإنه من إرادته النجاة والبشرى من الله تعالى له بها، وإن لم يكن مؤمناً فما وقع المشروط وقوع عموم الشرط فافهم واعمل بحسب ما تعلم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السادس والثمانون وأربعمائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ومن يعصِ الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾

ألا إن الرسول هو الذي قد حباه اللّه بالشرف التليد
فمن يعص الرسول فقد عصاه وحيره بتفصيل الوجود
فرام به فلم يقدر عليه لما في الرب من نعت العبيد
فلم يعلم به إذ لم يجده يميزة له حال الشهود
فيركب تارة متن اعتراف ويركب تارة متن الجحود
فسبحان المخصص كل حزب بآلام ولذات المزيد

قال الله تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ لأنه لا ينطق إلا عن الله، بل لا ينطق

Marfat.com

إلا بالله، بل لا ينطق إلا لله منه فإنه صورته وما ورد ﴿ومن يعصِ الرسول فقد عصى الله﴾ كما أنزله في الطاعة لأنّ طاعة المخلوق للَّه ذاتية وعصيانه بالواسطة، فلو أنزل هنا الرسول كما أنزله في الطاعة لم يكن إلهاً وهو إله فلا يعصى إلا بحجاب وليس الحجاب سوى عين الرسول، ونحن اليوم أبعد في المعصية للرسول من أصحابه إلى من دونهم إلينا، فنحن ما عصينا إلا أولي أمر نافي وقتنا وهم العلماء منا بما أمر الله به ونهى عنه، فنحن أقل مؤاخذة وأعظم أجراً لأن للواحد منا أجر خمسين ممن يعمل بعمل الصحابة، يقول ﷺ: «للواحد منهم أجر خمسين يعملون مثل عملكم» فاجعل بالك لكونه لم يقل منكم، ثم قال تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ فذكر الله تعالى وذكر الرسول وذكرنا أعني أولي الأمر منا، وهم الذين قدمهم الله علينا وجعل زمامنا بأيديهم، ولم يكن رسول الله ﷺ يقدم في السرايا وغيرها إلا من هو أعلمهم، وما كان أعلمهم إلا من كان أكثرهم قرآناً فكان يقدمه على الجيش ويجعله أميراً، وما خص الإسم الله من غيره من الأسماء في قوله: ﴿فقد أطاع الله﴾ إذ كان الله هو الإسم الجامع، فله معاني جميع الأسماء الإلهية كما هو للتجلي جميع الصور كذلك الخليفة وهو الرسول، وأولوا الأمر منا لا بد أن يظهروا في جميع الصور التي تحتاج إليها الرعايا، فمن بايع الإمام فإنما يبايع الله تعالى ولا تصح المعصية إلا بعد العقد وقد وقع في أخذ الميثاق والعهد في قوله تعالى: ﴿ألست بربكم﴾ ثم ألقمه الحجر الأسود وأمر بتقبيله نذكره، وأخبر بلسان الرسول أن الحجر يمينه فأمر ببيعة محمد ﷺ، وقال في الذين يبايعونه ﴿إنما يبايعون الله﴾ فأنزله منزلته، ولم ينزل الحجر منزلته بالذكر فعظم قدر ابن آدم:

قبل فإنّ يمين العهد في الحجر ... وأين رتبته من رتبة البشر
إن المبايع من تعنو الوجوه له ... الواحد الأحد القيوم بالصور
إن شاء في ملك إن شاء في بشر ... إن شاء في شجر إن شاء في حجر
فما تقيده ذات ولا عرض ... وما له في وجود الكون من أثر
بل الوجود هو الحق الصريح فلا ... تروه غيراً فيدعوكم إلى الغير
هو المؤثر والآثار قائمة ... بالحق فيما يراه فيه ذو بصر
إن لم يكن هكذا أمر الوجود وما ... تضمن الكون من نفع ومن ضرر
فما تكون لحق صورة أبداً ... ولا تضاف إليه آخر العمر

Marfat.com

هو المطاع فما تعصى أوامره ... والخلق والأمر في الأنثى وفي الذكر
بالشمس يظهر ما في البدر من صفة ... فأنت شمس وعين الحق في القمر
وليس في البدر ما الأبصار تدركه ... لكنه هكذا تدركه في النظر
فكوننا في وجود الحق مغلطة ... فالأمر أغمض بالبرهان والخبر

﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾ ﴿فليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ ﴿وذلك هو الفضل المبين﴾ أقول له: أنت، يقول لي: أنت. أقول له: فأنا، يقول لي: لا بل أنا. فأقول له: فكيف الأمر؟ فيقول: كما رأيت. فأقول: فما رأيت إلا الحيرة فلا تحصيل مني ولا توصيل منك. فيقول: قد أوصلتك. فأقول: فما بيدي شيء. فيقول: هو ذاك الذي أوصلت، فعليه فاعتمدو بالله فاتئد:

فما في الكون من يدري سواه ... ومن يدرك سواه فما دراه
ومن يدرك مع الخلاق خلقاً ... فإن الله من جهل حماه
ومن يدرك مع المخلوق حقاً ... يراه وما يراه فما تراه

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السابع والثمانون وأربعمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:
﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾

لكل شيء من الأشياء ميزان ... فكل شيء له نقص ورجحان
فالصالحون لهم وزن يخصهم ... والطالحون لهم في الحق ميزان
فمن يقوم بوزن في تقلبه ... يسعد وإن جاءه في ذاك برهان
لأن ميزانه وفى حقيقته ... ولو يساعده في ذاك شيطان
لذاك قال لمن وفى طريقته ... من خلقه ما له عليه سلطان

قال الله تعالى: ﴿الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات﴾ ﴿وإليه يصعد الكلم الطيب

Marfat.com

والعمل الصالح﴾ فالعمل الصالح له الحياة الطيبة وهي تعجيل البشرى في الحياة الدنيا كما قال تعالى: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾ فيحيى في باقي عمره حياة طيبة لما حصل له من العلم بما سبق له من سعادته في علم الله مما يؤول إليه في أبده، فتهون عليه هذه البشرى ما يلقاه من المشقات والعوارض المؤلمة ﴿فإن وعد الله حق﴾ وكلامه صدق، وقد خوطب بالقول الذي لا يبدل لديه، وكذلك أيضاً للعمل الصالح التبديل ﴿فيبدل الله سيآته حسنات﴾ حتى يودّ لو أنه أتى جميع الكبائر الواقعة في العالم من العالم كله على شهود منه عين التبديل في ذلك، ولقد لقيت من هو بهذه الحال بمكة من أهل توزر من أرض الحرير، ولقيت أيضاً بأشبيلية أبا العباس العريبي شيخنا من أهل العلياء بغرب الأندلس ما لقيت في عمري إلا هذين من أهل هذا الذوق، وكذلك للعمل الصالح شكر الحق لأنه الغفور الشكور، فسعيه مقبول وكلامه مسموع، ولو لم يكن في العمل الصالح إلا إلحاق عامله بالصالحين وإطلاق هذا الإسم عليه لكان كافياً، فإنه مطلب الأنبياء عليهم السلام، وهم أرفع الطوائف من عباد الله، والصلاح أرفع صفة لهم، فإن الله أخبرنا عنهم أنهم مع كونهم رسلاً وأنبياء سألوا الله أن يدخلهم الله برحمته في عباده الصالحين، وذكر في أولي العزم من رسله أنهم من الصالحين في معرض الثناء عليهم، فالصلاح يكون أخص وصف للرسل والأنبياء عليهم السلام وهم بلا خلاف أرفع الناس منزلة وإن فضل بعضهم بعضاً، ومن نال الصلاح من عباد الله فقد نال ما دونه، فله منازل الرسل والأنبياء عليهم السلام وليس برسول ولا نبي، لكن يغبطه الرسول والنبي لما يناله الرسول والنبي من مشقة الرسالة والنبوّة لأنها تكليف وبها حصلت لهم المنزلة الزلفى ونالها صاحب العمل الصالح المغبوط من غير ذوق هذه المشقات، ومن هنا تعرف ما مسمى الرسول والنبي، وتعرف معنى قول الرسول ﷺ في قوم تنصب لهم منابر يوم القيامة في الموقف يخاف الناس ولا يخافون ويحزن الناس ولا يحزنون ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ ليسوا بأنبياء يغبطهم النبيون حيث رأوا تحصيلهم هذه المنازل مع هذه الحال، فهم غير مسؤولين من بين الخلائق، لم يدخلهم في عملهم خلل من زمان توبتهم، فإن دخلهم خلل فليسوا بصالحين، فمن شرط الصلاح استصحاب العصمة في الحال والقول والعمل، ولا يكون هذا إلا لأهل الشهود الدائم والعارفين بالمواطن والمقامات والآداب والحكم فيحكمون نفوسهم فيمشون بها مشي ربهم من حيث هو على صراط مستقيم، فمن حياتهم الطيبة في الدنيا أنهم وإن دعوا الخلق إلى الله فإنهم يدعونهم بلسان غيرهم ويشهدون من سمع دعوتهم من المدعون، ومن يردّ الدعوة منهم فلا

Marfat.com

يألمون لذلك الردّ بل يتنعمون بالقبول نعيمهم بالرد لا يختلف عليهم الحال، وسبب ذلك أن مشهودهم من الحق الأسماء الإلّهية وشهودهم إياها نعيم لهم، فمن دعا ما دعا إلا بإسم إلهيّ فالإسم هو الداعي، ومن رد أو قبل فما رد وما قبل إلا باسم إلهي، فالإسم هو القابل والراد، وهذا الشخص في حياة طيبة بهذا الشهود دائماً، ومن غيبه الله عن شهود هذا المقام فإنه يألم طبعاً ويلذ طبعاً وهو أكبر نعيم أهل الله وألمهم، ولا تكون هذه الحياة الطيبة إلا أن تكون مستصحبة، وما ينالها إلا الصالحون من عباد الله، وإن ظهر منهم ما توجبه الأمور المؤلمة في العادة وظهر عليهم آثار الآلام فالنفوس منهم في الحياة الطيبة لأن النفوس محلها العقل ليس الحس محلها فآلامهم حسية لا نفسية، فالذي يراهم يحملهم في ذلك على حاله الذي يجده من نفسه لو قام به ذلك البلاء وهو في نفسه غير ذلك، فالصورةْ صورة بلاء، والمعنى معنى عافية وإنعام وما يعقلها إلا العالمون، فهؤلاء هم الذين قال الله فيهم: ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم في الدنيا وحسن مآب في الآخرة﴾ وهذا التنبيه على تحصيل هذا المقام كاف فإنه مكتسب، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثامن والثمانون وأربعمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:

﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾

كل شخص زوجه من نفسه	ولهذا زوجه من جنسه
فهو كل وهي جزء فلذا	كثرت أزواجه من نفسه
وكذا اليوم الذي أوجده	إنما أوجده من أمسه
ولذا جاء على صورته	في نقيض القدس أو في قدسه
لا تمدن إلى حرمة من	كان عينيك فذا من بخسه
وفه ميزانه لا تلتفت	للذي تبصره من أنسه
إنما يأنس من لست له	بك للجمع الذي في إسه
ولتجرده من الشك وما	جاء من شيطانه في مسه

Marfat.com

ولتفــرق بيــن مــا تسمــع مــن ليــس فــي النطــق بــه أو أبســه
ولتخــف مــن زلــل النطــق ومــا جــاء فــي محكمــه مــن لبســه

قال الله تعالى في مثل هذه الآية وهو من تمام هذا المنزل ويدخله صاحبه في هجيره ﴿ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين وقل إني أنا النذير المبين﴾ ينبهه بذلك على نفسه في إنذاره ورزق ربك ما أعطاك مما أنت عليه في وقتك وما لم يعطك وهو لك فلا بد من وصوله إليك، وما أبطأ به إلا الوقت الزماني الذي هو له وما ليس لك فلا يصل إليك، فتتعب نفسك حيث طمعت في غير مطمع، وما أعني بقولنا أنه لك إلا ما تناله على الحد الإلهي الذي أباحه لك، وإن نلته على غير ذلك الحد فما نلت ما هو لك من جانب الحق، إنما نلت ما هو لك من جانب الطبع، وليس المراد في الدنيا إلا ما تناله من جانب الحق، فالحق للدنيا والطبع للآخرة، والطبع له الإباحة والحق له التحجير، وإن كانت الآخرة على صورة الدنيا، كما أن اليوم المولود عن نكاح أمس لليلته يخرج بصورته في الزمان وقد لا يخرج في الحكم، فانظر إلى عطايا ربك فإنها أكثر ما تكون ابتلاء ولا تعرف ذلك إلا بالميزان، وذلك أن كل عطاء يصل إليك منه فهو رزق ربك ولكن على الميزان، فإن خرج عن الميزان وهو لك طبعاً فلا بد لك من أخذه، فإياك أن تأخذه في حال غفلة فخذه بحضور على كره في نفسك وجبر واضطرار، وليكن حضورك في ذلك قوله: ﴿ما يبدل القول لدي﴾، فأظهر في هذا النيل بصورة الحق في ذلك الحكم الذي لا تبدل له ولا يصح أن يبدل فإنه هكذا علمه، وبهذه الصورة كان الأمر الذي أعطى العلم للحق به، ففي هذا الميزان حصله وزنه به وهو ميزان خفي، فإن غيبك الحق عن حال الكره في ذلك فإنه من الإكراه فاعلم أنك محروم، فإنه لما كان من الإكراه حصول الكراهة في نفس العامل لذلك العمل الخارج عن ميزان الأدب دخل في حكم الميزان المأمور بالوزن به في قوله: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ وطمأنينته في هذه النازلة، إنما هو بما له فيه من الكراهة، فيجمع في هذا الفعل بين حب الطبع وكراهة الإيمان، فإن الله حبب الإيمان للمؤمن وكره إليه الفسوق والعصيان مع وقوعه منه وجعلك من أهل الرشد. ثم إن الله جعلهن زهرة حيث كن، فإذا كن في الدنيا كن زهرة الحياة الدنيا فوقع النعيم بهن حيث كن. وأحكام الأماكن تختلف فهن وإن خلقن للنعيم في الدنيا فهن فتنة يستخرج الحق بهن ما خفي عنا فينا مما هو به عالم ولا نعلمه من نفوسنا فيقوم به الحجة لنا وعلينا، وهذا مقام أعطانيه الحق بمدينة فاس سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة قبل ذلك ما كان لي فيه ذوق.

Marfat.com

واعلم أن المعصية لا تقع أبداً، إلا عن غفلة أو تأويل لا غير ذلك في حق المؤمن، وإذا وقع عين ذلك العمل من صاحب الشهود فلا يسمى معصية عند الله، وإن انطلق عليه لسان الذنب في العموم فللغشاوة التي على أبصار المحجوبين فيعذرهم الله فيما أنكروه على من ظهر منه هذا الفعل وهو في نفس الأمر ليس بعاصٍ مسألة الخضر مع موسى في قتل النفس أين حكم موسى عليه السلام فيه من حكم الخضر رضي الله عنه، وكل واحد له وجه في الحق ومستند، وهذا حال أهل الشهود يشهدون المقدور قبل وقوعه في الوجود فيأتونه على بصيرة، فهم على بينة من ربهم في ذلك وهو مقام لا يناله إلا من كان الله سمعه وبصره. ولما كانت الزهرة دليلة على الثمرة ومتنزهاً للبصر ومعطية الرائحة الطيبة هنا أعني في زهرة هذه المسألة كان صاحب هذا الأمر من أهل الأنفاس والشهود والأدلة، ولست أعني بالأدلة أن ذلك عن فكر وإنما هو في كشفه لما جرت العادة به أن لا ينال إلا بالدليل النظريّ أن يعطيه الله كشفاً بدليله فيعرف أدلته كما يعرفه وارتباطه بأدلته، فما يحصل له من علمه بوجوه الدلالات، فيكون علمه أتم من علم من يعطي علم مدلول الدليل من غير علم الدليل، فما فتنهم الحق إلا بما سماه زهرة لهم، فإذا لم يدرك صاحب هذه الزهرة رائحتها ولا شهدها زهرة وإنما شهدها امرأة ولا علم دلالتها التي سبقت له على الخصوص وزوّجت به وتنعم بها ونال منها ما نال بحيوانيته لا بروحه وعقله، فلا فرق بينه وبين سائر الحيوان بل الحيوان خير منه لأن كل حيوان مشاهد لفصله المقوّم له، وهذا الشخص ما وقف مع فصله المقوّم له، وليس الفصول المقوّمة للحيوانات غيره، فهو لا حيوان ولا إنسان، فإن كل حيوان جرى بفصله المقوّم له على ما تعطيه حقيقة ذلك الفصل.

واعلم أن صاحب هذا الهجير يشاهد ما حيّر العقول ولم يقدر على تحصيله وهو العلم بالمرئي في المرآة ما هو وبالمرئي ما هو من حيث تعلق الرؤية هل ينطبع المرئي في عين الرائي أو أشعة نور البصر تتعلق بالمرئي حيث كان، وما من حكم إلا وعليه دخل إلا عند صاحب هذا الذكر فإنه يعلم كيفية إدراك الرائي المرئي وما هي الرؤية ولماذا ترجع؟ وليس يعطيه هذا العلم من هذا الذكر إلا قوله: ﴿لا تمدن عينيك﴾ ولا خوطب إلا بما علم، فعلمنا على القطع أن رسول الله ﷺ قد علم ذلك وما هو قوله ﴿لا تمدن عينيك﴾ عين قوله ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ فإن الغض له حكم آخر لأنه نقص مما تمتد العين إليه، والنقص هنا أن لا يمد إلى أمر خاص أي إلى مرئيّ خاص، فإن فهمت يا وليّ ما نبهناه عليه علمت علماً ينفعك في الدنيا والآخرة، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب التاسع والثمانون وأربعمائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾

الابتــلاء بعيــن المــال والــولــد ... هــو البــلاء الــذي مــا فيــه تنفيــس
فــالمــال كــن فيكــون الأمــر أجمعــه ... والابــن صــورتــه والمثـل تقـديـس
بــه تعلــق نفــي المثـل فــاحــظ بــه ... فــأصلــه هــو سبــوح وقــدوس
فــانظـر إلـى خلقنـا علـى التطـابـق فـي ... أسمــائــه فيهــه تمثيــل وتجنيــس

قال الله تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً﴾ وقال عليه الصلاة والسلام: «يموت ابن آدم وينقطع عمله إلاَّ من ثلاث: صدقة جارية أو علم يبثه في الناس أو ولد صالح يدعو له» وقد جمع المال والبنون زينة الحياة الدنيا، وما تعطيه الباقيات الصالحات من الخير عند ربه وهو الثواب، ومن الخير المؤمل وهو البنون لأنهما من الباقيات الصالحات أعني المال والبنين إذا كان المال الصالح والولد الصالح. وأما العلم المذكور في هذا الخبر فهو ما سنه من سنة حسنة، وجعل الله المال والولد فتنة يختبر بهما عباده لأن لهما بالقلب لصوقاً وهما محبوبان طبعاً، ويتوصل بهما ولا سيما بالمال إلاَّ ما لا يتوصل بغير المال من أمور الخير والشر، فإن غلب على العبد الطبع لم يقف في التصرف بما له عند حد بل ينال به جميع أغراضه، وإن غلب على العبد الشرع وقف في التصرف في ما له عندما حد له فيه ربه فلم ينل به جميع أغراضه، وما سمي المال مالاً إلا لكون القلب مال إليه لما فيه من بلوغ العبد إذا كان صالحاً إلى جميع الخيرات التي يجدها عند ربه في المنقلب، وإذا لم يكن تام الصلاح فلما فيه من بلوغه أغراضه به، وأما الولد فلما كان لأبويه عليه ولادة أحباه ومالا إليه ميل الفاعل إلى ما انفعل عنه وميل الصانع إلى مصنوعه، فميله لحب الولد ميل ذاتي، فإن كرهه فبأمر عارض لأخلاق ذميمة وصفات شريرة تقوم بالولد فبغضه عرضي، فيطلع من هذا الهجير على سبب رحمة الله التي وسعت كل شيء، فإن العالم المكلف كله مصنوعه وهو من جملة من ظهرت فيه صنعته، فلا بد أن يكون بالذات محبوباً لموجده حباً بالأصالة، وإذا وقع عليه كره فمن

Marfat.com

بعض أفعاله وأفعاله عرضية، ومع كونها عرضية ففيها ما يؤيد الأصالة وهو أن جميع الأفعال الظاهرة من العالم كلها لله، والعالم محل لظهور تلك الأفعال أو هي للحق كالآلة للصانع، فغلبت الرحمة والمحبة وتأخر حكم الغضب، وليس تأخره إلا عبارة عن إزالة دوام حكمه، وما فتن الله من فتن من عباده إلا بحكم ما ظهر عليهم من الدعاوى فيما يتصرفون فيه أن ذلك الفعل لهم حقيقة أو كسباً، فلو أطلعهم الله على اليد الإلهية الخالقة ورأوا نفوسهم آلات صناعية لا يمكن وقوع غير ذلك لما اختبرهم الله، فما اختبرهم إلا ليعثروا على مثل هذا العلم فيعصموا من الدعوى فيسعدوا، فمنهم من هدى الله، ومنهم من حقت عليه الضلالة فحار ولم يدر وهم القائلون بالكسب، ومنهم من حقت عليه كلمة العذاب وهم القائلون بخلق الأفعال، وأما الذين هداهم الله فهم الذين أعطوا كل آية وردت في القرآن أو عن الله أو خبر نبوي حقها ولم يتعدوا بها موطنها ولا صرفوها إلى غير وجهتها، فما يوجب الحيرة منها كان هداهم فيها الوقوف في الحيرة، فلو تعدوها ما أعطوا الآية حقها مثل قوله تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ وهي أعظم آية وردت في ثبوت الحيرة في العالم، فمن وقف مع المقالة المشروعة وجعل لها الحكم على ما أعطاه النظر العقلي من نقيض ما دل عليه الشرع فذلك السالم الناجي، ومن زاد على الوقوف العمل بالتقوى جعل الله له فرقاناً يفرق به بين أصحاب النحل والملل، وما تعطيه الأدلة العقلية التي تزيل حكم الشرع عند القائل بها فيتأولها ليردّها، إلى دليل عقله فهو على خطر، وإن أصاب فعليك بفرقان التقوى فإنه عن شهود وصحة وجود، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل الهادي إلى طريق مستقيم.

الباب الموفى تسعين وأربعمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:
﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾

كبر المقت من اللّه لذا ... كبر المقت من الخلق فمن
قال قولاً ثم لم يعمل به ... من جميل وهو القول الحسن
عمل اللّه به في خلقه ... وهو لا يدري به في كل فن
من فنون الخير فاستبصر به ... في وجود الكون من لفظة كن

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أن الله ما أضاف الأفعال إلى الخلق إلا لكون من أضاف

Marfat.com

الفعل إليه هوية باطنه عين الحق، فلا يكون الفعل إلا لله غير أنه من عباد الله من أشهده ذلك، ومنهم من لم يشهده ذلك، فمن أشهده ذلك وقال ما يمكن أن يكون بالفعل وما فعل فيعلم على القطع شهوداً أنه ما امتنع وقوع الفعل إلا لخروجه عن الإمكان العقلي لأنه لم ير له صورة في الأعين الثابتة التي أعطت العلم لله، فكيف يقع في الوجود ما لا عين له في الثبوت؟ ولهذا أضاف المقت في ذلك لعند الله، فإن هذا الإسم جامع المتقابلات من أحكام الأسماء، فمن جملة ما يدل عليه إثبات الإمكان فيمقت من حيث إثبات الإمكان، فالله هنا هو اسم خاص معين وهو المثبت الإمكان، ويقابله نافي الإمكان فيقول: ما ثم إلا وجوب غير أنه مقيد ومطلق فلا يصح إطلاق هذا الإسم الله، فإذا قيل: فالمراد به التقييد ويظهر بما يدل عليه الحال فيعلم عن أي شيء ناب من الأسماء فينظر في حكم ذلك الإسم فيوجد أثره فيه فتعلق المقت بمن قال خيراً يمكن له فعله فلا يفعله، فانظر إلى ذلك القول الخير لا بد أن يجني ثمرته في الخير القائل به، ولا سيما إن أعطى عملاً في عامل من عباد الله إلا أنه محروم، فما يكبر عند الله إلا لكون هذا القائل قال هذا القول ولم يفعل ما قاله إذا اطلع على ما حرم من الخير بترك الفعل فمقت نفسه أعظم المقت، ولا سيما إذا رأى غيره قد انتفع به عملاً فهو أكبر مقت عنده يمقت به نفسه عند الله في شهوده في الآخرة، فهو أكبر مقت عند الله من مقت آخر لا أن الله مقته بل هو يمقت نفسه عند الله إذا صار إليه، وللمقت درجات بعضها أكبر من بعض، وهذا من أكبرها عنده، فيكشف له هذا الهجير هذا العلم، فإن الناس يأخذون في هذه الآية غير مأخذها فيقولون: إن الله مقتهم وما يتحققون قوله تعالى: ﴿عند الله﴾ أي تمقتون أنفسكم، أكبر المقت عند الله إذا رجعتم إليه، فإن قال ما نعتقد صحته ولم يقل ذلك إيماناً فذلك المنافق، وإن قال ذلك إيماناً ولم يفعل فذلك المفرط وهو الذي يكبر مقته عند الله لأن إيمانه يعطيه الفعل فلم يفعل، ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به على ألسنتهم والسنة غيرهم لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً وآتاهم الله أجراً عظيماً لأنه أضاف الفعل إلى القول، فعظم بالاجتماع على ما تكون صورته إذا انفرد بقول دون فعل ويفعل دون قول، وما أية الله بمن هذه صفته إلا بالإسم المذكر ليزيلهم به من حكم الإسم الخاذل، فإن الله ما يؤيه إلا من الإسم الذي لا حكم له في الحال، والتأيه على نوعين: تأيه بالصفة مثل قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ ﴿ويا أيها الذين أوتوا الكتاب﴾ وتأيه بالذات مثل قوله: ﴿يا أيها الناس﴾ فمتى سمعت التأيه فلتنظر ما يأيه به لا من أيه به، فاعمل بحسب ما أيه به من اجتناب أو غير اجتناب فإنه قد يؤيه بأمر وقد يؤيه بنهي، كما تقول في الأمر: ﴿يا أيها الذين

Marfat.com

آمنوا أوفوا بالعقود﴾ وكما يقول في النهي: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله﴾ وكذلك: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ فهذا تأيه إنكار كأنه يقول في الأمر: فيه افعلوا ما تقولون، وفي النهي: لا تقولوا على الله ما لا تعملون فإنكم تمقتون نفوسكم عند الله في ذلك أكبر المقت كما قررنا، فإذا أتى مثل هذا كان له وجه للأمر ووجه للنهي وهذا هو الوجه، فيأخذه السامع بحسب ما يقع له في الوقت، وأي وجه أخذ به في أمر أو نهي أصاب وإن جمع بينهما جنى ثمرة ذلك فيكون له أجران، ومن الناس من يكشف له في هذا الهجير أنه القول الخاص وهو أن يقول بإضافة الفعل إلى نفسه في اعتقاده كالمعتزلي فيطلع في كشفه على أن الأفعال لله ليست له فيمقت نفسه حيث جهلت مثل هذا أكبر المقت عند الله، ويكون عند الله هنا عندية الشهود حيث كان في الدنيا أو في الآخر، فمقته في الدنيا رجوع عن ذلك فيسعد ويلحق بالعلماء بخلاف مقته عند الله في الآخرة فكأنه يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون﴾ أن الفعل لكم وما هو كذلك فأضفتم إليكم ﴿ما لا تفعلون﴾ و ﴿كبر مقتاً﴾ منكم ﴿عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله﴾ فإنه على صراط مستقيم هذا المنازع الذي نقول له أن الفعل للحق ﴿صفاً﴾ لا خلل فيه﴿كأنهم بنيان مرصوص﴾لا خلل فيه فيضيف الأفعال كلها لله لا لمن ظهرت فيه، فقد أفلح من كان هجيره هذه الآية لأنه لا فائدة للهجير إلا أن يفتح لصاحبه فيه، فإذا رأيت ذا هجير لا يفتح له فيه فاعلم أنه صاحب هجير لسان ظاهره لا يوافقه لسان باطنه، ومن هو بهذه المثابة فما هو مقصودنا بأصحاب الهجيرات، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الأحد والتسعون وأربعمائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾

إنما الدنيا هموم وغموم ... حالها ذا في خصوص وعموم
فالذي يفرح فيها ما له ... فكرة العالم بالأمر الحكيم
إنما الأمر إذا حققته ... عن شهود في حديث وقديم
عبرة موعظة قد نصبت ... لخبير ذي تجاريب عليم
فبفضل الله فليفرح من ... شاء أن يفرح من أهل النعيم

Marfat.com

قال الله تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ فيفرحون به، ولا يفرح عاقل إلا بثابت لا بزائل، ولهذا الفرح الذي نسب إلى الله في فرحه بتوبة عبده لأن التوبة أمر لازم دائم الوجود ولا سيما في الآخرة لأن العبد راجع إلى الله في كل ما هو عليه إن كان في حال الحجاب إيماناً وإن كان مع رفع الحجاب فشهود عين، وهذا الهجير ما هو من قول الله في النهي، وإنما حكى الله نهي قومه له فقال: ﴿قال له قومه﴾ أي قوم قارون ﴿لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾ فهل أصابوا في هذا الإطلاق ولم يقيدوا أم لا؟ فذلك أمر آخر، فإن كان اتكالهم في ذلك على قرينة الحال فقد قيدوا لأن قرائن الأحوال تقيد، وإن اقتضت الإطلاق في بعض المواطن فهو تقييد إطلاق لا تقييد ينتج لصاحب هذا الذكر الفرح بفضل الله وبرحمته فينتج له نقيض ذكره، فتراه أبداً حزين القلب ما دام في الدنيا إلى الموت وإن فتح له ما يقع له به الفرح لو كان في غير هذا الهجير وذلك إذا فتح له فيما يوجب الفرح يرى ما عليه من الشكر لله فيما فتح له فيه فيعظم حزنه أشد مما كان فيه قبل الفتح كما فعل رسول الله ﷺ حين بشر بأن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فزاد في العمل شكراً لله فقام حتى تورمت قدماه وقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً» ومن كان في مقام يريد أن يوفيه حقه لا يمكن له الفرح إلا بعد أن لا يبقى عليه من حقه شيء، ولا يزال هذا الحق المعين على المكلف المبشر بفضل الله وبرحمته عليه إلى آخر نفس يكون عليه في الدنيا فلا يفرح إلا عند خروجه منها، فإنه لا يسقط عنه التكليف إلا بعد رحلته من دار التكليف وهي الدار الدنيا، فمن ادعى هذا الذكر ورؤي عليه الفرح فما لهذا الذكر فيه أثر وليس من أهله، ولقد رأى بعض الصالحين رجلاً أو شخصاً يفرح ويضحك فقال له: يا هذا إن كنت ممن بشره الله فما هذه حالة الشاكرين لما بشرهم الله به، وإن كنت ممن لم يبشره الله فما هذه حالة الخائفين، فأنكر عليه حالة الفرح في الوجهين، وهذا عين ما قلناه في هذا الهجير، وهذه المحبة المنفية محبة خاصة لا كل محبة، فإن المحبة الإلهية لها وجوه كثيرة ولا يلزم من انتفاء وجه منها انتفاء الوجوه كلها، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الثاني والتسعون وأربعمائة

في معرفة حال قطب كان منزله ﴿عالم الغيب﴾ فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول

لو بدا الغيب لعين لم يكن	ذاك غيباً أنه قد شهدا
عالم الغيب فلا يظهره	لا ولا يظهر فيه أحدا
فجميع الكون مشهود له	ما لديه غائب ما وجدا
إنما الغيب لنا ليس له	ولهذا في الوجود انفردا
ولذا قال لمن يشهد كن	فاتخذه يا وليّ سندا

اعلم أيدنا الله وإياك بروح القدس أنه من صادف العلم في ظنه أنه موصوف بالعلم عند نفسه وإن كان نعته العلم في نفس الأمر، ولهذا قال رسول الله ﷺ للرجل الذي وقع له أنها الفاتحة: «ليهنك العلم» يعني في نفس الأمر، ثم يقول النبي ﷺ له ليهنك العلم فيما ذكر في واقعته حصل له العلم في نفسه كما هو في نفس الأمر لا بد من ذلك، فاعلم أن الغيب على قسمين: غيب لا يعلم أبداً وليس إلا هوية الحق ونسبته إلينا وأما نسبتنا إليه فدون ذلك فهذا غيب لا يمكن ولا يعلم أبداً. والقسم الآخر غيب إضافيّ فما هو مشهود لأحد قد يكون غيباً لآخر، فما في الوجود غيب أصلاً لا يشهده أحد، وأدقه أن يشهد الموجود نفسه الذي هو غيب عن كل أحد سوى نفسه، فما ثم غيب إلا وهو مشهود في حال غيبته عمن ليس بمشاهد له، فإذا ارتضى الله من ارتضاه لعلم ذلك أطلعه عليه علماً لا ظناً ولا تخميناً، فلا يعلم إلا بإعلام الله أو بإعلام من أعلمه الله عند من يعتقد فيه أن الله أعلمه، وما عدا هذا فلا علم له بغيب أصلاً، وإنما اختص بهذا الإعلام مسمى الرسول لأنه ما أعلمه بذلك الغيب اقتصاراً عليه، وإنما أعلمه ليعلمه، فتحصل له درجة الفضيلة على من أعلمه به لتعلم مكانته عند ربه فلهذا سماه رسولاً، وهذا النوع من الغيب لا يكون إلا من الوجه الخاص لا يعلمه ملك ولا غيره إلا الرسول خاصة سواء كان الرسول ملكاً أو غيره، فإن الله نفى أن يظهر على غيبه أحداً، وإنما قال بأن الذي ارتضاه لذلك يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً عصمة له من

Marfat.com

الشبه القادحة فيه، فهو علم لا دخول للشبه فيه على صاحبه، وهذا هو صاحب البصيرة الذي هو على بينة من ربه في علمه، وله ذوق خاص يتميز به لا يشاركه فيه غيره، إذ لو شاركه لما كان خاصاً، فإذا جاء الرسول به لمن يعلمه فذلك ليس عند هذا المتعلم من علم الغيب فإن الرسول قد أظهره الله عليه، فما هو عند هذا من علم الغيب الذي لا يظهر الله عليه أحداً وإنما هو ما يحصل لأي عالم كان من الوجه الخاص، ولكنه الآن ليس بواقع في الدنيا لكنه يقع في الآخرة، وسبب ذلك أن كل علم يحصل للإنسان في الدنيا من العلم بالله خاصة فإن محمداً ﷺ قد علمه فإنه علم علم الأوّلين والآخرين وأنت من الآخرين بلا شك، وأما في غير العلم بالله فقد يعطاه الإنسان من الوجه الخاص فلا يعلم إلا منه فهو رسول في تعليمه إلا من يعلمه بذلك هذا أعطاه مقام محمد ﷺ، وليست الفائدة إلا في العلم بالله تعالى، فإنه العلم الذي به تحسن صورة العالم في نفسه، فالعلم بالله من الرسول في المتعلم أعظم وأنفع من العلم الذي يحصل لك من الوجه الخاص إذا كان المعلوم كوناً ما من الأكوان ليس الله، فما الشرف للإنسان إلا في علمه بالله، وأما علمه بسوى الله تعالى فعلالة يتعلل بها الإنسان المحجوب، فإن المنصف ما له همة إلا العلم به تعالى، فاجهد أن تكون ممن يأخذ العلم بالله عن رسول الله ﷺ فتكون محمدي الشهود، إذ قد قطعنا أنه لا علم بالله اليوم عيناً يختص به أحد من خلق الله، وقد أشارت عائشة رضي الله عنها إلى ذلك في تأويلها في حق رسول الله ﷺ فقالت: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية فإن الله يقول: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ وهنا سر فابحث عليه، ولا تقل قد حجرت واسعاً فإني ما حجرت عليك أن لا تعلم وإنما حجرت عليك أنك لا تعلم مثل هذا من الحق إلا في صورة محمدية، وقد بينا أن أعظم الرؤية رؤية محمدية في صورة محمدية، وإليه ذهب الإمام أبو القاسم بن قسي رحمه الله في كتاب خلع النعلين له وهو روايتنا عن ابنه عنه بتونس سنة تسعين وخمسمائة، وما رأيت هذا النفس لغيره فنعينه فإنه ما وصل إلينا فيمكن أن يكون كما علمته أنا من الله تعالى القاء إلَهياً من غير واسطة أعني ما علمه ابن قسي في ذلك يمكن أيضاً أن يكون غير ابن قسي قبله أو بعده أو في زمانه قد أطلعه الله على ذلك وما وصل إلينا والله أعلم، فلا شرف يعلو شرف العلم، ولا حالة تسمو على حالة الفهم عن الله.

Marfat.com

الباب الثالث والتسعون وأربعمائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿قل كل من عند الله﴾ فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً لأنهم لم يجدوه إذ كان عندهم

كل ما في الكون من خالقه ... فلهذا ليس في الكون حدوث
ما تراه قد نفى العلم به ... حين لا يفقه في الكون حديث
إنهم لم يجدوه حادثاً ... فلهذا السير في ذاك حثيث
ما نفى بالعلم فيه أحد ... غير معتوه جهول أو خبيث
إنما يعلم منه كونه ... واحد العين وإن طال النثيث
كرّم اللّه رسولاً بالذي ... بثه فينا من الذكر الحديث

قال الله تعالى: ﴿ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين﴾ وقال: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم﴾ فجاء الذكر من الرب والرحمن فأخبر أنهم استمعوا وأصغوا لذكر الرب في حال لهو، وذكر إعراضهم عن ذكر الرحمن مع العلم منهم بأنه القرآن وهو كلام الله والكلام صفته فله القدم وإن حدث الإتيان، اعلم أن الحديث قد يكون حديثاً في نفس الأمر، وقد يكون حديثاً بالنسبة إلى وجوده عندك في الحال وهو أقدم من ذلك الحدوث، وذلك إذا أردت بالقدم نفي الأولية فليس إلا كلام الله، وليس إلا عين القابل صور التجلي، وإذا أردت به غير نفي الأولية فقد يكون حادثاً في نفسه ذلك الشيء قبل حدوثه عندك، وقد يكون حادثاً بحصونه عندك أي ذلك زمان حدوثه وهو ما يقوم بك أو بمن يخاطبك أو يجالسك من الأغراض في الحال، وأما عندية الله فهي على قسمين أعني ما هو عنده، القسم الواحد ما هو عليه من الأمر الذي يعقل زائداً على هويته وإن لم نقل فيه أنه غيره ولا عينه أيضاً كالصفات المنسوبة إليه لا هي هو ولا هي غيره، وقد يكون عنده ما يحدثه فينا ولنا وهو مثل قوله: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾ وهذا الذي عندنا على نوعين نوع يحدث صورته لا جوهره كالمطر فإنا نعلم ما هو من حيث جوهره وما هو من حيث صورته وكل العالم على هذا، أو هو النوع

Marfat.com

الآخر ما يحدث جوهره وليس إلا جوهر الصورة ووجود جوهر العين القائمة به تلك الصورة فإنه لا وجود لعين جوهرها الذي قامت به إلا عند قيامها به، فهو قبل ذلك معقول لا موجود العين، فموضع الصورة أو محل الصورة من المادّة يحدث له الوجود بحدوث الصورة في حال ما لا في كل حال، وينعدم من الوجود بعدمها ما لم تكن صورة أخرى تقوم به والكل عند الله فإن الله عين شيئيته، فما ثم معقول ولا موجود يحدث عنده بل الكل مشهود العين له بين ثبوت ووجود، فالثبوت خزائنه والوجود ما يحدثه عندنا من تلك الخزائن، فصورة الماء في الجليد معقولة ينطلق عليها اسم جليد والماء في الجليد بالقوة، فإذا طرأ على الجليد ما يحلله فإنه يصير ماء فظهرت وحدثت صورة الماء فيه ومنه وزال عنه اسم الجليد وصورته وحده وحقيقته، وكان عندنا قبل تحلله أنه خزانة من خزائن الغيث فظهر أنه عين المخزون، فكان خزانة بصورة ومخزوناً بصورة غيرها، وهكذا حكم ما يستحيل هو عين ما استحال وعين ما يستحيل إليه، وإنما جئنا بهذا المثال المحقق لما نعاينه من صور التجلي في الوجود الحق لنلحق بذلك صور العالم كله في وجود الحق فنطلق عليه خلقاً كما يطلق على الماء الذي تحلل من الجليد ماء، ويطلق عليه ذلك إطلاقاً حقيقياً لأنه ليس غير ما تحلل مما كان اسم الجليد له فهو حق بوجه خلق بوجه هذا ينتجه وأمثاله هذا الذكر من العلم الإلهيّ، ومن هنا تعلم جميع المحدثات ما هي ومتى ينطلق عليها اسم الحدوث، ومتى تقبل اسم القدم، وهو علم نفيس يخص الله به من شاء من عباده وذلك هو الفضل المبين، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الرابع والتسعون وأربعمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:
﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ وما أشبه هذا من الآيات القرآنية

إنما يخشى الإله الحق من ... يعلم الحق ويبقى رسمه
فإذا ما فنى الكل به ... فني العالم فيه واسمه
إنما العلم الذي ينفعنا ... كل علم قد شهدنا حكمه
فهو العلم الذي نعرفه ... وبه يعلم علمي علمه

Marfat.com

الخشية من صفات العلم الذي يعطي الخشية اللازمة له، وعلى قدر العلم بها تكون الخشية المنسوبة إلى العالم، ولا أعلم بها ممن علمه عينه، فلا أخشى منه للإسم الله لجمع هذا الإسم بين الأضداد المتقابلات، ومن هنا نزل قوله: ﴿حتى نعلم﴾ ولما كان الأمر الذي هو علة ظهور الممكنات أينما ظهر منها ليس إلا أحكام الأسماء الإلهية فما من اسم إلهي إلا وهو يخشى الله لعلمه بما عنده من الأسماء التي تقابل هذا الإسم الوالي في الحال صاحب الحكم فيقول كما ولاني ولم أكن والياً على هذا المحل الخاص الذي ظهر فيه حكمي قد يعزلني عن ذلك بوالٍ آخر يعني بحكم اسم آخر إلهي، فلا أعلم من الأسماء الإلّهية فلا أخشى منها لله، فإن الله له التصرّف فيها بالتولي والعزل وهو الواقع في الوجود، فمنها ما يقع عن سؤال في الكون، ومنها ما يقع عع غير سؤال، بل يقع بانتهاء مدة الحكم فيكون نسخاً، فكما انطلق على العلماء من المحدثات اسم الخشية لله انطلق على الأسماء الخشية لله، ولسؤال المحدثات في رفع أحكام الأسماء الإلهية صارت الأسماء الإلهية التي لها الحكم في الوقت تخشى سؤال المحدثات الله في رفع حكمها عن ذلك المحل كقول أيوب عليه السلام إذ نادى ربه ﴿إني مسني الضرّ﴾ يطلب عزل الإسم الضار وإزالة حكمه، فعزل الله حكمه فانعزل بزوال حكمه وتولى موضعه الإسم النافع، فكشف الله ما به من ضرّ فصارت الأسماء الإلهية تخشى الله لما بيده من العزل والتولية، وتخشى العالم لما عنده من السؤال، وعند الله من القبول لسؤال العالم ولا سيما أهل الاضطرار.

ثم ننظر إلى انتهاء مدة أحكامها فنترقب العزل كما أيضاً ترجوه لمشاهدتهم التولية، فلا شيء من الأسماء أكثر خشية من المنتقم فإنه يرى ويشاهد زوال حكمه فعلاً ولا يبقى له حكم في الوجود ويكون بالقوة في الحق، ومن جرى مجراه من الأسماء الإلّهية، فتفطن لخشية الأسماء الإلّهية العالم فإنك إذا كوشفت عليه رأيت أنه لولا ما هو حق بوجه ما صح أن تخشاه الأسماء الإلّهية لأنه لا يخشى ولا يرجى في الحقيقة إلا الله ولا يخشاه إلا العالم ولا أعلم من الله، فلا يخشى الله إلا الله، لكن الصور مختلفة لاختلاف النسب أو النسب مختلفة لاختلاف الصور، فلولا النسب ما حدثت الصور، ولولا الصور ما علم اختلاف النسب، فالوجود مربوط بعضه ببعضه فإبرامه عين نقضه، ثم أنه في هذا الذكر ﴿إن الله عزيز غفور﴾ فعزته امتناعه تعالى عن أن يكون له حكم الأسماء الإلهية من نظر بعضها إلى بعض كما ينظر العالم بعضه إلى بعض فيتصف لذلك بالخوف والرجاء والكره والمحبة، والله عزيز عن مثل هذا، فإنه الذي يخاف ويرجى ويسأل ويجيب إن شاء وإن شاء، وغفور

Marfat.com

بما ستر من هذه العلوم والأسرار الراجعة إليه تعالى وإلى أسمائه وإلى العالم عن الخلق كلهم بالمجموع، فلا يعلم المجموع ولا واحد من الخلق لكن له العلم بالآحاد فعند واحد ما ليس عند الآخر فهو بالمجموع حاصل لا حاصل، فهو حاصل في المجموع غير حاصل عند واحد واحد وهو قوله: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ فجاء بباء التبعيض، فعند واحد من العلم بالله ما ليس عند الآخر فلذلك قال: ﴿إن الله عزيز غفور﴾.

الباب الخامس والتسعون وأربعمائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر﴾

من يرتدد منكم عن دينه ويمو ... ت فإنه كافر بالدين أجمعه
لأنه أحديّ العين ليس له ... مخالف جاءه من غير موضعه
وأن إتيانه بالكل شرعته ... بذا أتى الحكم فيه من مشرعه

الضمير في أنه يعود على الدين قال الله تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾ فالمراد هنا بضمير منكم ليس إلا الأنبياء عليهم السلام لا الأمم، لأنه لو كان للأمم لم يبعث رسول في أمة قد بعث فيها رسول إلا أن يكون مؤيداً لا يزيد ولا ينقص وما وقع الأمر كذلك، فإن جعلنا الضمير في قوله منكم للأمم والرسل جميعاً تكلفنا في التأويل شططاً لا نحتاج إليه، فكون الضمير كناية عن الرسل أقرب إلى الفهم وأوصل إلى العلم، ويدخل في ذلك عموم الرسالة وخصوصها، وقال ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه» فاختلف الناس في اليهودي إن تنصر والنصراني إن تهوّد هل يقتل أم لا؟ ولم يختلفوا فيه إن أسلم فإنه ﷺ ما جاء يدعو الناس إلا إلى الإسلام، وجعل علماء الرسوم أن هذا تبديل مأمور به وما هو عندنا كذلك، فإن النصراني وأهل الكتاب كلهم إذا أسلموا ما بدلوا دينهم فإنه من دينهم الإيمان بمحمد ﷺ والدخول في شرعه إذا أرسل وأن رسالته عامة، ، فما بدل أحد من أهل الدين دينه إذ أسلم فافهم وما بقي إلا المشرك فإن ذلك ليس بدين مشروع، وإنما هو أمر موضوع من عند غير الله، والله ما قال إلا ﴿من يرتدد منكم عن دينه﴾ ورسول الله ﷺ يقول: «من بدل دينه»، وإنما لم يسم الشرك ديناً لأن الدين الجزاء ولا جزاء في الخير للمشرك على الشرك أصلاً لا فيما سلف ولا فيما بقي، وإذا آل المشرك إلى ما يؤول إليه في النار التي هي

Marfat.com

موطنه الذي لا يخرج منه أبداً فإن ذلك ليس بجزاء، وإنما ذلك اختصاص سبق الرحمة التي وسعت كل شيء، فيظهر حكمها فيه في وقت ما عند إزالة حكم الغضب الإلهي فما أراد بالدين إلا الذي له جزاء في الخير والشرّ، ولو أراد الدين الذي هو العادة مثل قول امرء القيس:

كـدينـك مــن أم الحـويـرث قبلهـا وجـارتهـا أم الـربـاب بمـأسـل

أراد بالدين هنا العادة، ونحن إنما تكلمنا في الدين المشروع الذي العادة جزء منه فيكشف للذاكر بهذا الذكر علم الارتداد وهو الرجوع الذي في قوله: ﴿وإليه يرجع الأمر كله﴾ فمن الناس من عجل له هنا الرجوع إلى الله وليس ذلك إلا للعارفين بالله فإنهم يرجعون في أمورهم كلها إلى الله، ولا يزالون يستصحبهم ذلك إلى الموت فيموتون عليه، وإنما وصفوا بالكفر لأنهم تستروا بالأسباب ولم يقولوا بإبطالها، فهم في نفوسهم وحالهم مع الله بظاهرهم في الأسباب، فإنهم يرون الأسباب راجعة إلى الله فرجعوا لرجوعها ورجعوا بها إلى الله، فلما لم يفقدهم أصحاب الأسباب في الأسباب تخيلوا فيهم أنهم أمثالهم فيما هم فيه فجاءت هذه الآية ذماً في العموم وحمداً ومدحاً في الخصوص ولهذا تممها فقال فيهم: إن أعمالهم حبطت لأنه أضافها إليهم وأعطاهم الرجوع إلى الله العلم بأن أعمالهم إلى الله لا إليهم فحبطت أعمالهم من الإضافة إليهم وصارت مضافة إلى الله كما هي في نفس الأمر، وقوله في الدنيا يريد من عجل له الكشف عن ذلك هنا، وقوله في الآخرة يريد من أخر له ذلك وهو الجميع إذا انكشف الغطاء.

وأما إضافة الدين إليه في قوله عن دينه: ﴿وإنما الدين لله﴾ فإن الراجع إذا رآه في رجوعه لله لا إليه زالت هذه الإضافة عنه لشهوده، وإنما قلنا بإضافة الدين إليهم في هذه الآية لأنه أظهر في الحكم من أجل قوله: ﴿حتى يردّوكم﴾ يعني في الفتنة عن دينكم ﴿إن استطاعوا﴾ فأضاف الدين إليهم، فكان الأوجه أن يكون في ضمير الهاء على ما هو عليه في ضمير الخطاب سواء، وإن جاز أن يكون ضمير الهاء يعود على الله لكن الأصل في الضمائر كلها عودها على أقرب مذكور إذا عريت عن قرائن الأحوال، وقوله في تمام الهجير: ﴿وأولئك هم الخاسرون﴾ لهذا الكشف لأنهم رأوا ما كانوا يتخيلون فيه أنه إليهم ليس إليهم فخسروا رأس المال ولا أعظم خسراناً منه، فما كان من الله إليهم بعد هذا من الإنعام فإنما هو من الإسم الوهاب المعطي لينعم، فما لهم في نظرهم عطاء جزاء لعامل، فهذا وأمثاله هو الذي يعطي هذا الذكر لمن كثر دؤوبه عليه.

Marfat.com

الباب السادس والتسعون وأربعمائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾

مـا قـدر اللّـه غيـره أبـداً ... وليـس غيـر فكلهـم قـدرا
مـا حـق قـدر الإلـه عنـدي سـوى ... بـأنـه الله فـاعـرف الصـورا
لـو يعـرف الخلـق مـا أفـوه بـه ... فـي حـق قـدر الإلـه مـا اعتبـرا
لـو عبـروا عـن وجـود ذاتهـم ... مـا عـرفـوا الحـق لا ولا البشـرا

قال الله تعالى: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾ قدر الأمر موازنته لمقداره، وهذا لا يعلم من الأمر حتى يكون له ما يعادله في ذاته فيكون ذلك المعادل مقداراً له لأنه يزنه، فأثبت هذا الذكر لله قدراً لكنه مجهول عند أصحاب هذا الضمير، ولا يعرف قدر الحق إلا من عرف الإنسان الكامل الذي خلقه الله على صورته وهي الخلافة، ثم وصف الحق في الصورة الظاهرة نفسه باليدين والرجلين والأعين، وشبه ذلك مما وردت به الأخبار مما يقتضيه الدليل العقلي من تنزيه حكم الظاهر من ذلك في المحدثات عن جناب الله فحق قدره إضافة ما أضافه إلى نفسه مما ينكر الدليل إضافته إليه تعالى، إذ لو انفرد دون الشرع لم يضف شيئاً من ذلك إليه، فمن أضاف مثل هذا إليه عقلاً فذلك هو الذي ﴿ما قدر الله حق قدره﴾ وما قال أخطأ المضيف، ومن أضافه شرعاً وشهوداً وكان على بينة من ربه فذلك الذي قدر الله حق قدره، فالإنسان الكامل الذي هو الخليفة قدر الحق ظاهراً وباطناً صورة ومنزلة ومعنى، فمن كل شيء في الوجود زوجان لأن الإنسان الكامل والعالم بالإنسان الكامل على صورة الحق والزوجان الذكر والأنثى ففاعل ومنفعل فيه، فالحق الفاعل والعالم منفعل فيه لأنه محل ظهور الانفعال بما يتناوب عليه من صور الأكوان من حركة وسكون واجتماع وافتراق، ومن صور الألوان والصفات والنسب، فالعالم قدر الحق وجوداً، وأما في الثبوت فهو أظهر لحكم الأزل الذي هو للمكنات في ثبوتها، لأن الإمكان للممكن نعت ذاتي نفسي، ولم يزل الممكن ممكناً في حال عدمه ووجوده، فبقاء ما بقي منه

Marfat.com

في العدم وما بقي إلا بالمرجح، فهو الذي أبقاه لما فيه من قبول الوجود، كما هو ممكن مرجح في حال الوجود بالوجود لقبوله العدم بإمساك شرطه المصحح لبقائه.

فكما سبح الله نفسه عن التشبيه سبح الممكن نفسه عن التنزيه لما في التشبيه والتنزيه من الحد فهم بين مدخل ومخرج، وما ظفر بالأمر على ما هو عليه إلا من جمع بينهما فقال بالتنزيه من وجه عقلاً وشرعاً، وقال بالتشبيه من وجه شرعاً لا عقلاً، والشهود يقضي بما جاءت به الرسل إلى أممها في الله ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ فكل واصف فإنما هو واقف مع نعت مخصوص فينزه الله نفسه عن ذلك النعت من حيث تخصيصه لا من حيث أنه له، فإن له أحدية المجموع لا أحدية كل واحد من المجموع، والواصف إنما يصفه بأحدية كل واحد من المجموع فهو المخاطب أعني من نعته بذلك بقوله: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾ وأما تسبيح الخلق له بقوله تعالى: ﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن﴾ وشبه ذلك مما ورد من الآيات والتعريف الإلهي، فإنما يسبح الله عن عقد غيره فيه لأن نظر كل مسبح فيه نظر جزئي، فالذي يثبت له واحد هو عين ما ينفيه عنه الآخر، وكل واحد منهما مسبح بحمد الله فأثبت الله لهذا ما نفاه عن الله لا ما أثبته الآخر، وأثبت الله الآخر عين ما نفاه الأوّل لا ما أثبته، فما أثبت الله لأحد من أهل الثناء عليه إلا نفى ما نفاه عنه فذلك هو التسبيح بحمده، فما يثنى عليه بالإثبات دون نفي، ولا يوصف بالتسبيح ولا بنقيضه إلا العبد الجامع الكامل الظاهر بصورة الحق فإنه يشاهد الجمع، ومن شاهد الجمع فقد شاهد التفصيل لأنه شاهده جمعاً، فالعبد الكامل مجموع الحق، ولا يقال الحق مجموع العبد الكامل، ومع هذا فللحق خصوص نعت ليس للعالم أصلاً، وللعالم خصوص وصف ليس للحق أصلاً كالذلة والافتقار، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.
انتهى الباب السادس والتسعون وأربعمائة بانتهاء السفر الثلاثين والحمد لله رب العالمين.

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم
الباب السابع والتسعون وأربعمائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾

الشـــرع يقبلـــه عقـــل وإيمـــان ... وللعقـــول مـــوازيـــن وأوزان
عنـد الإلـه علـوم ليـس يعـرفهـا ... إلا لبيـب لـه فـي الـوزن رجحـان
فـالأمـر عقـل وإيمـان إذ اشتـركـا ... فـي حكـم تنـزيهـه مـا فيـه خسـران
وثـم ينفـرد الإيمـان فـي طبـق ... بمـا تمـاثلـه بـالشـرع أكـوان
والعقـل مـن حيـث حكـم الفكـر يـدفعـه ... بمـا يـؤيـده فـي ذاك بـرهـان
لـو أن غيـر رسـول الله جـاء بـه ... فـي الحيـن كفـره زور وبهتـان
إذا تـأولـه مـن غيـر وجهتـه ... وقـال مـالـي علـى مـا قـال سلطـان
للّـه فـي ذاك سـر ليـس يعلمـه ... إلا فـريـد وذاك الفـرد إنسـان
قـد كمـل اللّـه فـي الإنشـاء صـورتـه ... بصـورة الحـق فـالقـرآن فـرقـان
العيـن واحـدة والحكـم مختلـف ... للجـانبيـن فمـا فـي النشـىء نقصـان

قال الله تعالى: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم﴾ على أن تكون ما زائدة وليس القليل إلا من آمن بالله، فإن الموحدين بالله هم الذين وحدوا الله بالله، وأما الموحدون الذين وحدوا الله لا بالله بل بأنفسهم فهم الذين أشركوا في توحيده، غير أن هذا الهجير لا يعطي الإيمان بتوحيد الله، وإنما يعطي مشاهدة ميثاق الذرية ﴿إذ أخذ الله من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾ وما كان إلا التصديق بالوجود والملك لا بالتوحيد، وإن كان فيه توحيد فغايته توحيد الملك فجاء قوله تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ لما خرجوا إلى الدنيا لأن الفطرة إنما كانت إيمانهم بوجود الحق والملك لا بالتوحيد، فلما عدم التوحيد من الفطرة ظهر الشرك في الأكثر ممن يزعم أنه موحد، وما أدى من أداه إلى ذلك إلا التكليف، فإنه لما كلفهم تحقق أكثرهم أن الله ما كلفهم إلا وقد علم أن لهم اقتداراً نفسياً على إيجاد ما كلفهم به من

Marfat.com

الأفعال فلم يخلص لهم توحيد، فلو علموا من ذلك أن الله ما كلفهم إلا لما فيهم من الدعوى في نسبة الأفعال إليهم التي نسبوها إلى أنفسهم ليتجردوا عنها بالله لا بنفوسهم كما فعل أهل الشهود، فإذا ألزم الذاكر نفسه هذا الذكر نتج له إقامة العذر عند الله لعباد الله فيما أشركوا فيه عند إيمانهم، فإن الله أثبت لهم الإيمان بالله وهو خير كثير وعناية عظيمة إذا نظروا إلى من قال فيهم تبارك وتعالى: ﴿والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله﴾ فأظهروا ما ليس بوجود وجوداً، وأزالوا في عقدهم وجود ما هو وجود وهو الله فسماه الله ستراً، فكان مستوراً عنهم وجود الحق بما ستروه إذ لم يستروه حتى تصوّروه وبعد التصوّر ستروه ﴿فكانوا كافرين﴾.

ومن شأن الحق أنه حيث ما تصوّر كان له وجود في ذلك التصوّر، ولا يزول برجوع ذلك المتصوّر عما تصوّر بخلاف المخلوق، فإن المخلوق إذا تصوّرته كان له وجود في تصوّرك، فإذا تبين لك أنه ليس كذلك زال من الوجود بزوال تصوّرك ما تصوّرته، فهذا فرقان بين الله وبين المخلوق وهو علم دقيق لا يعلمه كثير من الناس، فلهذا ثبت الشرك في العالم لأنه قابل بل صورة كل معتقد، ولو لم يكن كذلك ما كان إلهاً، فإذا سمع السامع الخبر النبويّ بوجود الله آمن به على ما يتصوّره فما آمن إلا بما تصوّره والله موجود عند كل تصوّر كما هو موجود في خلاف ذلك التصوّر بعينه، فما آمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون لما يطرأ عليهم في نفوسهم من مزيد العلم بالله، ولو في كل مزيد تصوّر فيه ليس عين الأوّل وليس إلا الله في ذلك كله، فما جاء الله بهذه الآية إلا لإقامة عذرهم، ولم يتعرّض سبحانه للتوحيد ولو تعرّض للتوحيد لم يصح قوله إلا وهم مشركون مع ثبوت الإيمان، فدل أنه ما أراد الإيمان بالتوحيد، وإنما أراد الإيمان بالوجود، ثم ظهر التوحيد لمن ظهر في ثاني حال، فمن ادّعى هذا الذكر هجيراً ولم يحصل عنده عذر العالم فيما أشركوا فيه فما هو من أهل هذا الذكر فإنه ما له ذوق إلا هذا، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الثامن والتسعون وأربعمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:
﴿ومن يتقِ الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾

من يتق الله في ضيق وفي سعة ... فرزقه يأته من حيث لا يدري
رزق المعاني ورزق الحس فارض به ... ربا إذا جاء في ليل إذا يسري
وفي زمان وفي غير الزمان فلا ... تنظر إلى أحد في طبعه يجري
لولا وجودي ولولا الدهر ما نظرت ... عيني إلى أحد من عالم الأمر

قال الله عز وجلّ: ﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا﴾ وهو قوله: ﴿يجعل له مخرجاً﴾ فيخرج مما كان فيه فيفارقه إلى أمر آخر لأنه ما يخرج إلى عدم وإنما يخرج من وجود إلى وجود هذا حال العالم بعد وجوده لا سبيل إلى العدم بعد ذلك قال: ﴿إليه ترجع الأمور﴾ وهو الوجود الحق، ومن صدق هذه الآية الأمر الذي سرى في العالم وقال به إلا الشاذ النادر الذي لا حكم له، وهو أن أحداً لا تراه راضياً بحاله في الوجود أصلاً ولذلك علة أصلية، وهو أن الحق كل يوم من أيام الأنفاس في شأن، فتحرّك العالم تلك الشؤون الإلهية فيطلب الانتقال مما هو فيه كان ما كان إلى أمر آخر، غير أن الشاذ القليل وإن طلب الانتقال فإنه راضٍ بحاله في وقته وفي طلبه الانتقال فهو يطلب ليجمع، وأكثر العالم لا يطلب الانتقال إلا لعدم الرضا بحاله، فما تجد أحداً من صالح ولا غير صالح يرضى بحاله، هذا هو الساري في العالم، ومن هذا الباب أنك ما ترى أحداً إلا وهو يذم زمانه ويحمد ما مضى وخلا من الأزمان، وليس زمانه إلا حاله مذ وجدت هذه النشأة، وأي زمان كان فيه بنو آدم في وقت آدم حتى ذكر أنه قال في نظم له بلسانه ترجمته:

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الأرض مغبر قبيح

فالإنسان يذم يومه ويمدح أمسه وهو الإنسان عينه لا غيره، وقد كان أمس يذم يومه ويمدح ما قبله فلم يزل الأمر هكذا وذلك للأمر الطبيعي أعني الذم، كما أن طلب الانتقال للشأن الإلهي والعارفون يطلبون الانتقال للشأن الإلهي من غير ذم أوقاتهم، وغير العارفين

Marfat.com

يذمون أوقاتهم طبعاً ويطلبون الانتقال للشأن الإلهي الذي يحركهم لذلك وهم لا يشعرون، وله أيضاً سبب غير هذا عجيب أعني طلب الانتقال والذم، وذلك أن الإنسان مجبول على القلق من الضيق، وطلب الانفساح والإفراج عنه، ويتخيل أن كل ما هو خارج عنه فيه الانفساح من هذا الضيق الذي هو فيه، وذلك أن الإنسان إذا كان في حال ما من الأحوال فإنه مقبوض عليه بذلك الحال لإحاطته به لا بد من ذلك فيجد نفسه محصوراً، ويرى ما خرج عن ذلك الحصر أنه انفساح وانفراج لأن الأمر الخارج عن حاله ما هو واحد بعينه فيضيق عليه الأمر، فلهذا يجد السعة فيما عدا حاله الذي هو عليه، فإذا خرج لم يحصل له من ذلك الاتساع المتوهم إلا حال واحدة تحتاط به فيجد أيضاً فيه الضيق لإحاطتها به وحصره فيه، فيطلب الإفراج عنه كما طلبه في الحال الأوّل، فلا يزال هذا ديدنه والله يخرجه من اسم إلى اسم دائماً أبداً، فمن اتخذ الله وقاية أخرجه من الضيق أي أزال الضيق عنه فاتسع في مدلول الإسم الله من غير تعيين، ولذلك رزقه من حيث لا يحتسب لأنه لم يقيد فلم يتقيد، فكل شيء أقامه الحق فيه فهو له، فيرجع محيطاً بما أعطاه الله فله السعة دائماً أبداً، فالانتقال يعم الجميع والرضا وعدم الرضا الموجب للضيق هو الذي يتفاضل فيه الخلق، فمن اتقى الله خرج إلى سعة هذا الإسم فيتسع باتساع هذا الإسم الله اتساعاً لا ضيق بعده، ومن لم يتقِ الله لم يشهد سوى حكم اتساع واحد فيخرج من ضيق إلى ضيق، ومن أراد أن يجرب نفسه ويأتي إلى الأمر من فصه ولينظر في نفسه إلى علمه برزقه ما هو، فإن لم يعلم رزقه فذلك الذي خرج من الضيق إلى السعة وهو قوله تعالى: ﴿ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ قال بعضهم في ذلك:

ومـــن يتـــق الله يجعـــل لـــه كمـا قـال مـن أمـره مخـرجـا
ويــرزقــه مــن غيــر حسبــانــه وإن ضــاق أمــر بــه فــرجــا

لأنه ما خلقه إلا لعبادته سبحانه وتعالى وهو يرزقه من حيث شاء، فلا يشغل نفسه بأجله فإن حكمهما واحد، وما يختص بهما حيوان دون حيوان، ومن علم رزقه لم يزل في ضيق لأنه مجبول على عدم الرضا، وإنما قلنا لم يزل في ضيق لأنه قد تعين له ما لا يمكن الزيادة فيه بالخبر الصادق النبويّ، فيبقى معذباً بالضيق إلى أن يموت، والذي لا يعلم يعيش في السعة المتوهمة سعة الرجاء فيعيش طيب النفس فكلما جاءه من رزق من حيث لا يحتسب شغله انتظار ما لا يعلم عن حكم الحاصل في الوقت، فهو في قبضه وضيق وقته في بسط وسعة من أمله فإنه الحاكم عليه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب التاسع والتسعون وأربعمائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ وقتاً على زيادة الكاف ووقتاً على كونها صفة لفرض المثل وهو مذهبنا والحمد لله

ليس في الأكوان شيء غيره فهو الوجود
وأنا وحدي على ما قلته فيه شهيد
فانتفى المثل على ذا فهو الفرد الوحيد
ما على ما قلته في جانب الحق مزيد
فهو المراد فينا مثل ما هو المريد

قال الله عز وجل: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم﴾ فما له مثل، إذ لو كان له مثل لم يصح نفيه فإنه ما نفى إلا المرتبة ما نفى مثلية الذات وما عين التفاضل في الأمثال إلا المراتب، فلو زالت لزال التفاضل، فمن ذاته يقبل الصور ومن مرتبته لا يقبل المثل، ولهذا سماه خليفة وخلفاء لأنها تولية ونيابة فما هم فيها بحكم الاستحقاق أعني استحقاق الدوام، لكن لهم استحقاق قبول النيابة والخلافة، فهم في الرتبة مستعارون وهي لله ذاتية فتزول عنهم ولا تزول ذواتهم، والحق ماتجلى لهم إلا في صور ذواتهم لا في رتبته فإذا تجلى لهم في رتبته انعزل الجميع فلم يكن إلا هو فنفي مثلية المرتبة في الشهود ونفي مثلية الذات في الوجود:

مثلية الذات في الوجود منفية ما لها شهود
فافتكروا في الذي أتينا به إليكم ولا تزيدوا
فإنه الحق لا يجارى وإننا عنده العبيد
فإن نظرتم فينا تجدنا منه إليه به نعود
سبحانه جل من مليك وهو بنا القائم الشهيد
يقصدنا للذي يراه منا وما عندنا قصود
إذ نبتغيه به تعالى هو المراد وهو المريد

Marfat.com

فلا يشهده إلاَّ رب، ولا يجده إلاَّ عبد وبالعكس، لأن الله سمعه وبصره وجميع قواه، فانتفى عن العبد ما ينبغي أن ينتفي، وبقي له ما ينبغي أن يبقى، وهذا كله إذا كان حرف الكاف زائداً فله قبول ما قلنا من النفي وإذا كان للصفة بقي ما قلنا:

وانتفى المثل عن المثل فلم ... يوجد المثل مع المثل وقد
ثبت المثل له بي مثل ما ... ثبت المثل لنا منه فقد
وجد الأمر على هذا وذا ... كوجود الفرد في عين العدد

فليس كهو شيء وليس مثل مثله شيء فنفى وأثبت. قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته» فله التنوّع في باطنه وله الثبوت في ظاهره، فلا يزيد فيه عضو لم يكن عنده في الظاهر، ولا يبقى على حال واحد في باطنه، فله التنوّع والثبوت والحق موصوف بأنه الظاهر والباطن، فالظاهر له التنوّع والباطن له الثبوت، فالباطن الحق عين ظاهر الإنسان، والظاهر الحق عين باطن الإنسان فهو كالمرآة المعهودة إذا رفعت يمينك عند النظر فيها إلى صورتك رفعت صورتك يسارها فيمينك شمالها وشمالك يمينها، فظاهرك أيها المخلوق على صورة اسمه الباطن، وباطنك اسم الظاهر له، ولهذا ينكر في التجلي يوم القيامة ويعرف ويوصف بالتحوّل في ذلك، فأنت مقلوبه فأنت قلبه وهو قلبك ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ ما أحق هذه الآية في الباطن بهذا المقام.

فكما يلبسنا نلبسه ... فبنا كان كما نحن به
فانتفى ما هو موجود بنا ... وبه أكرم به من مشبه

وأكثر من هذا البسط في العبارة ما يكون، فإن هذا الميدان يضيق الجولان فيه جداً، والله ولي الإعانة إذ هو المعين، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الموفى خمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم﴾ أي نرده إلى أصله وهو البعد، يقال بئر جهنام إذا كانت بعيدة القعر

من يقل إني إله ... فكلام ليس يصدق
أو يقل إني خلق ... لحقيقة التخلق

Marfat.com

فهمـــــا سيـــــان فيـــــه هكـــــذا يعطـــــي التحقـــــق
والـــــذي ليـــــس لـــــه ذان لـــــه حـــــال التعلـــــق
فلـــــه الجمـــــع المسمـــــى مثـــــل مـــــا لـــــه التفـــــرّق

قال الله عزّ وجل: ﴿إن جهنم كانت مرصاداً للطاغين مآباً إن ربك لبالمرصاد﴾ فحقق وانظر تعثر والله الموفق، فحصلوا في نقيض دعواهم، فإن الطاغي المرتفع طغى الماء إذا ارتفع، يقول الله تعالى: ﴿إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية﴾ فمن قال إني إله فقد جعل نفسه في غاية القرب، فأخبر الله أن جزاء هذا القائل يكون غاية البعد عن سعادته إذ كان جزاؤه جهنم، فينزل إلى قعرها من طغى إلى الألوهة التي لها الاستواء على العرش بالإسم الرحمن.

واعلم أنه ما في علمي أن أحداً يقع منه هذا القول وهو يجوع ويمرض ويغوط وأمثال هذا إلا فرعون لما استخف قومه قال: ﴿يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري﴾ ثم جعل ذلك ظناً بعد شك أو إثباتاً في قوله: ﴿لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا﴾ وأما القائلون بأن الله هو المسيح بن مريم فما هم في حكم هذا الذكر لأمرين: الأمر الواحد أنهم فرّقوا بين الناسوت واللاهوت والقائل بهذا الذكر لا يفرّق، والأمر الثاني إنما يدل على الذكر على من قال عن نفسه ذلك لا من قيل عنه، والذي ينتج هذا الذكر لصاحبه أحد أمرين أو كلاهما: الأمر الواحد أحدية هذا القائل في الألوهة فيكون العالم كله عند صاحب هذا الذكر عين الحق فله أحدية الكثرة كما لغيره أحدية كثرة الأسماء الإلّهية، وتكون الكثرة في النسب والأحكام لا في العين والعالم كله عنده عرض عرض لهذه العين من أعيان الممكنات الثابتة التي لا يصح لها وجود، والأمر الآخر أن يكون قوله من دونه نزولاً عن المرتبة التي لله، وهذا مثل قولهم: ﴿وما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ فهو وإن كان أنزل منه في الرتبة فهو عنده أنه إله، فيكون هذا القائل إذا كان صاحب هذا الذكر يرى أن تجلي الحق في الصور أنزل منه لو تجلى في كونه غنياً عن العالمين، فلو صح هناك تجل لكان أكمل من تجليه في الصورة فتعقل رتبة غناه عن العالم بنفسه، وقد يكون هذا لمن يراه عين العالم فعلامته هويته فهو الدليل له عليه كقوله: أعوذ بك منك، واستعاذ به منه إذ لا مقابل له غير ذاته فهو المعز المذل.

ثم هنا تنبيه إلهيّ حيث قرن هذا الحال بالقول لا بالعلم والحسبان، فإن قال: ما نظن

Marfat.com

أنه قد علم أن الأمر كذا فتخيل أن قوله مطابق لعلمه وهذا يستحيل وقوعه من أحد علماً لعلمه بذلته وافتقاره وقصوره في نفسه، فإذا قال مثل هذا وهو يعلم قصوره فيقولها بوجه لا يقع عليه فيه مؤاخذة ويكون جزاؤه على هذا القول جهنم أي بعده في نفسه عما يقول به على لسانه وهو خير جزاء لأنه علم ويكون ﴿كذلك نجزي الظالمين﴾ جزاء الظالم الذي ورث الكتاب من المصطفين، فإن الله أطلق على بعض الورثة اسم الظالم مع كونه من أهل الحق فيتخصص الظالم هنا كما تخصص في قوله: ﴿ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ وهو ظلم خاص مع كونه نكرة، فهو نكرة عند السامع لا عند المتكلم به، ولهذا فسره رسول الله ﷺ بأنه الشرك خاصة، فمثل هذا الهجير يكون موجهاً فيما ينتج لأنه في وضعه على ذلك، فيأخذ كل صاحب وجه منه بنصيب لأنه صالح لذلك، وكل آية في الهجيرات إنما تؤخذ على انفرادها كما سطرت، وعند أهل التحقيق هذا المأخذ وإن كان عالي الأوج، فإن مسمى الآية إذا لزمتها أمور من قبل أو بعد يظهر من قوّة الكلام أن الآية تطلب تلك اللوازم فلا تكمل الآية إلا بها وهو نظر الكامل من الرجال، فمن ينظر في كلام الله على هذا النمط فإنه يفوز بعلم كبير وخير كثير كما تقول في ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أنها آية مستقلة وتقول فيها في سورة النمل إنها جزء آية، فلا كمال لها في الآي إلا بزيادة، فاعلم أنه كما لكل أجل كتاب كذلك لكل عمل جزاء والقول عمل فله جزاء أن الله عند لسان كل قائل، وليس بعد الخواطر أسرع عملاً منه أعني من اللسان، فالقول أسرع الأعمال ولا يتولى حساب صاحبه إلا أسرع الحاسبين لأن متولي الحساب على الأعمال من الأسماء الإلهية ما يناسب ذلك العمل إن فهمت ﴿والله بكل شيء عليم﴾ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الواحد وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿أغير الله تدعون إن كنتم صادقين﴾ وكان هذا هجير الشيخ أبي مدين شيخنا رضي الله عنه

أغير اللّه يدعو صادق ... أم بغير اللّه فوه ينطق

بل به ينطق لا يعقبه ... ولذا في كل حال يصدق

ثم يدعوه إذا يدعو به ... فهو الداع الذي لا يلحق

أخلق الخالق ما يخلقه ... لجديد بعد هذا يخلق

Marfat.com

ليت شعري هل ترى من كائن قائم العين به لا يخلق
حجب الأمثال ما قام بها من فناء كونه يحقق

قال الله تعالى: ﴿بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون﴾ أي تتركون الشرك، فأنتج هذا الذكر هذه الشهادة الإلهية وإذا كان الحاكم عين الشاهد بقيت الحيرة في هل يحكم الحاكم بعلمه أم لا؟ فإن الشهادة علم، والحكم قد يكون عن غلبة ظن وعن علم وموضع الشهادة ﴿بل إياه تدعون وتنسون ما تشركون﴾ وهو قوله: ﴿وإذا مسكم الضرّ في البحر ضل من تدعون إلا إياه﴾ وقوله: ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه﴾ فقد شهد على نفسه لنا في دار التكليف بتوحيده في المهمات، ولا يعرف الكريم إلا المسيء ولا أكرم من الله، وقد نبه الله المسيء أن يقول بكرم الحق لكونه يحكم بالكرم في حقه فقال: ﴿يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم﴾ هذا ليقول كرمك وما يعني بالإنسان هنا إلا المسيء صاحب الكبيرة، فإنه لا يقاوم كبير كرمه إلا بأكبر الكبائر، فهناك يظهر عموم الكرم الإلهي وقوّته، فهو وإن لم يغفر فلا بد من الكرم الإلهي في المآل، وإن لم يخرج من النار لأنها موطنه، ومنها خلق حتى لو أخرج منها في المآل لتضرر فله فيها نعيم مقيم لا يشعر به إلا العلماء بالله.

فلما كشف الله غطاء الجهل والعما عمن كشفه أبصر أن أحداً من الخلق ما دعا في حال شدته إلا الله، فلو لم يكن في علمه في حال الرخاء إن حل الشدائد بيد الله خاصة وهذا هو التوحيد ما أظهره لك الاعتقاد عند الشدائد، فلم يزل المشرك موحداً بشهادة الله في حال الرخاء والشدة، غير أن المشرك في حال الرخاء لا يظهر عليه علم من أعلام التوحيد الذي هو معتقده، فإذا اضطر رجع إلى علمه بتوحيد خالقه لم يظهر عليه علم من أعلام الشرك وكل ذلك في دار التكليف، وأكثر علماء الرسوم غائبون عن هذا الفضل الإلهي والكرم، فيعطي هذا الذكر من العلم بكرم الله ما ليس عند أحد من خلق الله ممن ليس له هذا الذكر والدؤوب عليه، ولم أسمع عن أحد تحقق به في زماني مثل الشيخ أبي مدين بجاية رحمه الله، وإذا اجتمع في دار التكليف في الشخص ظهور التوحيد في وقت وظهور الشرك في وقت مع استصحاب التوحيد في الباطن مع وجوده في أصل الفطرة والرجوع إليه في المآل في حال الاحتضار قبل الخروج من الدنيا فكان زمانه أكثر من زمان الشرك، فلو قابلنا الأمر بالزمان بينهما لكان زمان التوحيد غالباً بالفطرة والاستصحاب في الباطن دائماً علماً

Marfat.com

وعقداً، وكان ظهوره في وقت الشدائد بأزمانه أكثر من زمان الشرك، فلا يحجبنك حكم الدار عن هذا الذي أومأنا إليه في هذا الهجير فإنه ينفعك، ولو قدرت أنه لا ينفك فإنه لا يضرّك، فقل به على كل حال واعتمد عليه ولاتك ممن يردّ شهادة الله حين شهد لهم بذلك عندك، وما شهد عندك حتى جعلك حاكماً فأنزلك منزلته في الحكم وأنزل نفسه منزلتك في الشهادة، فإن لم تحكم بما قرّرناه فقد رددت شهادة العدل ﴿وماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون﴾ ﴿إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ ثم قوله: ﴿إن كنتم صادقين﴾ أي إن صدقتم ولا تكتمون ما تجدونه في نفوسكم من قولي إنكم ما تدعون في الشدائد إلا الله الذي ما زالت قلوبكم منطوية عليه فهم بلا شك مصدقون لعلمهم فهل يصدقون إذا سئلوا أم لا.

فقد يصدقون وقد يكذبون ... وقد يعلمون وقد يجهلون
فلا تصغينّ إلى قولهم ... فإني عليم بما يقصدون
فكن واحد العصر لا تلتفت ... إلى ما يقولون إذ يفشرون
فإني خبير بأقوالهم ... وعلمي بهم أنهم يخرصون
ولو كنت أدري بهم أنهم ... إذا ما يقولونه يصدقون
لقد كنت أصغي إلى قولهم ... فهم إذ يقولون ما يشعرون
فهم إذ يقولون ما في العما ... وفي العرش إلا الذي يفترون
فقد حرفوا القول فاستنصروا ... عليهم بهم أنهم ينصرون

ومتى لم يعلم الكاذب أنه كاذب فإنه غير مؤاخذ بكذبه، فإن أخذ فما يؤاخذ إلا بتفريطه في تحصيل ما ينبغي له أن يحصله من العلم والعمل بما فيه نجاته وسعادته لا من جهة كذبه، فلا يؤاخذ الكاذب إلا إذا كان عالماً بكذبه في المواطن التي كلف أن يصدق فيها وهو الجاحد إذا كان هناك من يطلب منه الإقرار في ذلك الأمر المطلوب منه مثل قوله تعالى في حق من كان بهذه الصفة ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً﴾ وقد قرّرنا أنه إذا أخذ من لا يعلم إنه كاذب إنما يؤخذ من حيث أنه فرط في اقتناء العلم الذي يطلعه على هذا الأمر الذي كذب فيه من غير علم به أنه ليس بحق، ففرق بين مؤاخذة الكاذب ومتى هو كاذب، وبين مؤاخذة المفرّط في اقتناء العلم الذي يعرّفه الصدق من الكذب والصادق من الكاذب، فينزل كل شيء منزلته بصفته، وهذا عزيز في الناس قليل وجوده، والله يقول الحق

Marfat.com

وهو يهدي السبيل. جعلنا الله وإياكم من العلماء العاملين على كل حال، ولا يحول بيننا وبين مقام الصادقين والصديقين أنه المليء بذلك والقادر عليه آمين بعزته.

الباب الثاني وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾

لا تخـونـوا اللّـه إن كنتـم لـه ... والأمـانـات كـذاكـم لا تخـان
لا تكـن بـالحمـل إن حملتهـا ... دون أمـر جـاهـلاً ليـس تعـان
كـل مـن حملهـا يحملهـا ... بـأمـان فـالأمـانـات أمـان
ولهـا حـق علـى حـاملهـا ... ليـس يـدري ذاك إلا ذو عيـان
فيـؤدّيهـا كمـا قـال لنـا ... فـي الكتـاب الحق مـن قـال فكـان
ذاكـم اللّـه تعـالـى جـده ... فـي يـراع ولسـان وجنـان

قال رسول الله ﷺ موصياً: «**لا تسألوا الإمارة فإنك إن أعطيتها من غير سؤال أعنت عليها، وإن أعطيتها عن سؤال لم تعن عليها**» فالخيانة ثلاث: أعني الذين يخانون خيانة الله وخيانة الرسول وخيانة الأمانات، وما أيه الله في هذه الخيانات إلا بالمؤمنين، فإن كنت مؤمناً فأنت المخاطب، فأما خيانة الله في أمانته وخيانة الرسول وخيانة الأمانات فأنا أذكرها إن شاء الله تعالى، لما قال الله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها﴾ لأنها كانت عرضاً لا أمراً ﴿وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً﴾ يريد ظلوماً لنفسه جهولاً بقدر ما حمل، قال لنا تعالى لما حملناها: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها﴾ وما حملها أحد من خلق الله إلا الإنسان، فلا يخلو ما أن يحملها عرضاً أو جبراً، فإن حملها عرضاً فقد خاطر بنفسه، وإن حملها جبراً فإنه مؤدّ لها على كل حال ولا بد.

واعلم أنّ أهل الأمانات الذين أمرنا الله أن نؤدّيها إليهم ليس المعتبر من أعطاها ولا بد، وإنما أهلها من تؤدّي إليه، فإن كان الذي أعطاها بنية أن تؤدي إليه في وقت آخر فهو أهلها من حيث ما تؤدّي إليه لا من حيث أنه أعطاها، وإن أعطاها هذا الأمين المؤتمن إلى

Marfat.com

من أعطاه إياها ليحملها إلى غيره فذلك الغير هو أهلها لا من أعطى فقد أعلمك بالأهلية فيها، فإن الحق إنما هو لمن يستحقه فاعلم ذلك واعمل عليه.

واعلم بأن الله قد أعطاك أمانة أخرى لتردّها إليه، كما أعطاك أمانة لتوصلها إلى غيرك لا تردّها إليه كالرسالة فإن الله يقول: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ وقال: ﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾ وأمّا ما يرد إليه عز وجّل من الأمانات فهو كل علم آمنك عليه من العلوم التي إذا ظهرت بها في العموم ضل به من لا يسمعه منك بسمع الحق، فإذا حصل لك مثل هذا العلم ورأيت من كان الحق سمعه وبصره وجميع قواه وليس له هذا العلم فأداه إليه فإنه ما يسمعه منك إلا بسمع الحق. فالحق على الحقيقة هو الذي سمع فرددت الأمانة إليه تعالى وهو الذي أعطاكها، وحصلت لهذا الشخص الذي ألحق سمعه فائدة لم يكن يعلمها، ولكن حامل هذه الأمانة إن لم يكن عالماً بأن هذا ممن يكون صفته أن يكون الحق سمعه وإلا فهو ممن خان الله وقد نهاه الله أن يخون الله، وكذلك أيضاً من خيانة من أطلعه الله على العلم بأن العالم وجوده وجود الحق. [illegible] تصرّف فيه بتعدي حد من حدود الله يعلم أنه متعد فيه، فإن الله في هذا الحال هو عين الأمانة في وجوده عند أهل الحجاب، سواء علم ذلك شرعاً أو عقلاً فقد خان الله في تصرّفه باعتقاده التعدي، ﴿ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا﴾.

وكذلك من خان الله في أهل الله فقد خان الله، وكل أمر بيدك أمرك الله فيه أن تردّه إليه فلم تفعل فذلك من خيانة الله والله يقول: ﴿وإليه يرجع الأمر كله﴾ وأما خيانة من خان رسول الله ﷺ فهي فيما أعطاك الله من الآداب أن تعامل به رسول الله ﷺ وهذه المعاملة هي عين أدائها إليه ﷺ، فإذا لم تتأدّب معه فما أدّيت أمانته إليه فقد خنت رسول الله ﷺ فيما أمنك الله عليه من ذلك، ومن خيانتك رسول الله ﷺ ما سألك فيه من المودة في قرابته وأهل بيته فإنه وأهل بيته على السواء في مودتنا فيهم، فمن كره أهل بيته فقد كرهه، فإنه ﷺ واحد من أهل البيت، ولا يتبعض حب أهل البيت، فإن الحب ما تعلق إلاّ بالأهل لا بواحد بعينه، فاجعل بالك واعرف قدر أهل البيت، فمن خان أهل البيت فقد خان رسول الله ﷺ، ومن خان ما سنه رسول الله ﷺ فقد خانه ﷺ في سنته. ولقد أخبرني الثقة عندي بمكة قال: كنت أكره ما تفعله الشرفاء بمكة في الناس فرأيت في النوم فاطمة بنت رسول الله ﷺ وهي معرضة

Marfat.com

عني فسلمت عليها وسألتها عن إعراضها فقالت: إنك تقع في الشرفاء، فقلت لها: يا ستي ألا ترين إلى ما يفعلون في الناس؟ فقالت: أليس هم بنيّ؟ فقلت لها من الآن وتبت فأقبلت عليّ، واستيقظت:

فلا تعدل بأهل البيت خلقاً ... فأهل البيت هم أهل السياده
فبغضهم من الإنسان خسر ... حقيقيّ وحبهم عباده

ومن خيانتك رسول الله ﷺ المفاضلة بين الأنبياء والرسل سلام الله عليهم، مع علمنا بأن الله فضل بعضهم على بعض كما قال تعالى: ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ وقال: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾ فله سبحانه أن يفضل بين عباده بما شاء وليس لنا ذلك فإنا لا نعلم ذلك إلا بإعلامه، فإن ذلك راجع إلى ما في نفس الحق سبحانه منهم، ولا يعلم أحد ما في نفس الحق كما قال عيسى عليه السلام: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾ ولا دخول هنا للمراتب الظاهرة والتحكم، وقد نهى رسول الله ﷺ أن نفضل بين الأنبياء وأن نفضله ﷺ عليهم إلا بإعلامه أيضاً، وعين يونس عليه السلام وغيره، فمن فضل من غير إعلام الله فقد خان رسول الله ﷺ وتعدى ما حده له رسول الله ﷺ.

وأما خيانة الأمانات فيتناولها قوله ﷺ: «لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم» والخيانة ظلم، فالحكمة أمانة وخيانتها أن تعطيها غير أهلها وأنت تعلم أنه غير أهلها، فرفع الله الحرج عمن لا يعلم، إلا أنه أمره بأن يتعرض لتحصيل العلم بالأمور فلا عذر له في التخلف عن ذلك، فمن خان فيه قبل حصول العلم ودعاه الوقت إلى ذلك التصريف الخاص المسمى خيانة فإنه غير مؤاخذ بتلك الخيانة ولا بالتفريط، فإنه في حال التعمل لتحصيل العلم والوقت حكم بما وقع به التصرف، فمن كان له هذا الذكر فإنه تحصل له به العصمة من الخيانة ويطلعه على العلم بالأهلية في كل أمانة بعناية هذا الذكر، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

إني خصصت بسر ليس يعلمه ... إلا أنا والذي في الشرع نتبعه
هو النبيّ رسول اللّه خير فتى ... باللّه نتبعه فيما يشرّعه

Marfat.com

الباب الثالث وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:
﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾

اللَّـه يعلـم أنـي لسـت أعلمـه ... وكيـف يعلـم مـن بـالعلم نجهلـه
إنـي علمـت وجـوداً لا يقيـده ... نعـت بحـق ولا خلـق يفصلـه
علمـي بـه حيرتـي فيـه فليس لنا ... دليـل حـق علـى علـم نحصلـه
فليس إلا الـذي جاء الـرسول بـه ... فـي الحـالتيـن وبـالإيمـان نقبلـه
فـإن تفكـرت فـي القـرآن تبصـره ... وقتـاً ينـزهـه وقتـاً يمثلـه

قال الله تعالى: ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ هذا الذكر عليّ المشهد والمحتد، فإن الله ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه، ما علل بغير هذا خالق العالم، وما نعلم أحداً أخذ عبادة الخلق لنفسه أو لغير الله حتى يخلصها منه، وقد علمنا صدق قوله في طلبه الإخلاص في العبادة فعلمنا أنه لا بد، ثم من نسبة فيها، إلى غير الله فلم نجد إلا نحن، فنحن أصحاب الدعاوى فيما هو لله لأنه ما من شيء إلا وهو ساجد لله والسجود عبادة إلا نحن ولذلك قال: ﴿وكثير من الناس﴾ ولم يعم كما عم في كل من ذكر من الأنواع، ألا تراه تعالى ما أرسل رسولاً إلا بلسان قومه، فالرسالة لله والأداء للرسول عليه السلام بلسان القوم:

علـم القـرآن كيـف ينـزل ... فـي وجـودي وعلـى مـن ينـزل
إنمـا ينـزلـه الـذكـر بـه ... فـي قلـوب كلهـن منـزل
ولكـل منهـم قسمتـه ... ليـس فـي القـرآن شـيء يفضل
فلنـا منـه المقـام الأسهـل ... ثـم للّـه المقـام الأجـزل
هـو قـول اللّـه واللفـظ لنـا ... ولـه الحكـم العظيـم الفيصـل

ولكن الله قد أبان لنا أن هوية الحق سمع العبد وبصره وجميع قواه، والعبد ما هو إلا بقواه فما هو إلا بالحق، فظاهره صورة خلقية محدودة، وباطنه هوية الحق غير محدودة للصورة، فهو من حيث الصورة من جملة من يسبح بحمده، وهو من حيث باطنه كما ذكرنا، فالحق يسبح نفسه، وأعطى المجموع معنى دقيقاً غامضاً لم يعطه كل واحد على

Marfat.com

الانفراد به، وأضيف إلى الصورة ما أضيف من موافقة ومخالفة وطاعة ومعصية، وبه قيل: إنه مكلف وبه صحت القسمة في الصلاة بينه وبين الله فيقول العبد كذا فيقول الله كذا ولا يكون عبداً إلا بالمجموع، فانظر ما حصل للحق من النعت لما وصف نفسه بأنه قوي العبد فما كان عبداً إلا به، كما لم يكن الحق قواه إلا به لأن اسم العبد ما انطلق إلا على المجموع، وقد أعلمنا الله من هو المجموع، فيقول العبد: الحمد لله رب العالمين، والحق لسانه والحق سمعه، فمن قال: الحمد لله ومن سمع قوله: الحمد لله فيقول الله: أثنى عليّ عبدي، ولكن بغير هذا اللسان القائل بل بهوية الحق مجردة عن الإضافة بهذا العبد في حال إضافتها إليه، فلم يقل بالمجموع أثنى عليّ عبدي وما أثنى عليه إلا بكلامه فإن الحمد لله رب العالمين كلام الله، فبالمعنى المعلوم كانت العبارة عنه أثنيت على نفسي بصورة عبدي حكى عبدي عني من حيث صورته الظاهرة ما أثنيت به على نفسي، كما ذكر لنا في هذا الموضع أن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده، وقال لنبيه ﷺ: ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ وما سمع إلا صوت المؤدي وهو الرسول، ونحن نعلم أن كلام العالم كله ليس إلا كلامه، فإن العالم كله إنسان كبير كامل، فحكمه حكم الإنسان، وهوية الحق باطن الإنسان وقواه التي كان بها عبداً، فهوية الحق قوى العالم التي كان بها إنساناً كبيرا عبداً مسبحاً ربه تعالى:

ألا كل قول في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه
يعم به أسماع كل مكوّن ... فمنه إليه بدؤه وختامه
ولا سامع غير الذي كان قائلاً ... فمندرج في الجهر منه اكتتامه
فتستره ألفاظنا بحروفها ... فما فيه من ضوء فذاك ظلامه
فما ظنكم بالنور منه إذا بدا ... وقد ملأ الجوّ الفسيح غمامه

لأنه القائل أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام. ولما كان الأمر على ما ذكرناه في نفسه طلب منا أن نخلص العبادة له لأن بالعبادة نكون عبيداً، وما نكون عبيداً إلا بهويته فنخلص العبودية، وتخليصها أن نقول له: أنت هو بأنانيتك، وأنت هو في أنانيتي، فما ثم إلا أنت فأنت المسمى رباً وعبداً إن لم يكن الأمر كذا فما أخلصنا له عبادة، فما طلب الإخلاص فيها إلا من المجموع، ولا يصح لها وجود ولا نسبة إلا بالمجموع لأنه بالإنفراد غنيّ عن العالمين، وبالمجموع قال: ﴿أقرضوا الله قرضاً حسناً﴾ فقيده بالإحسان وفسر لنا ما هو

Marfat.com

الإحسان، وما فسره إلا بشهود المحدود المنصوب في القبلة، فمعرفة الله بلسان الشرع المترجم عن الله غير معرفته بالنظر العقليّ، فللمعرفة بالله طريقان وأعني العلم بالله منا، وإن شئت قلت ثلاث طرق: الطريق الواحد علمنا به تعالى من حيث نظرنا الفكريّ، وعلمنا به من حيث خطابه الشرعيّ، وعلمنا به من حيث المجموع، وإنا نعلم أنا لا نعلمه كما يعلم نفسه، فهذا حصر المعرفة الحادثة بالله تعالى:

فالحق عين العبد ليس سواه ... والحق غير العبد لست تراه
فانظر إليه به على مجموعه ... لا تفردنه فتستبيح حماه
هذا هو الحق الصريح فأخلصوا ... للَّه منك عبادة تلقاه

أي تلقاه تلك العبادة، وإن شئت قلت لله منه عبادة تلقاه فإنك ما أخذتها إلا به فمنه تخلصها له وأنت محل الظهور، فالصورة لك والعين هويته، كما قررنا في غير موضع أن الصور المعبر عنها بالعالم أحكام أعيان الممكنات في وجود الحق ولهذا يقال: أن العالم ما استفاد الوجود إلا من الحق وهو الحدوث، وهذا القدر كافٍ في تخليص العبادة لله فيكون الحق العابد من وجه المعبود من وجه بنسبتين مختلفتين، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الرابع وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿قل الله ثم ذرهم﴾

إلى هنا كان هجير شيخنا أبي مدين رحمه الله، وزاد بعضهم قوله تعالى: ﴿في خوضهم يلعبون﴾

إلى الله من كوننا المهرب ... وإياه في رفعه أرغب
ذر الكل في خوضه يلعب ... فليس لنا غيره مذهب
فإنك إن جئته تقرب ... وفيه الورى كله يرغب
ولما رأيت الذي يعجب ... من الله فزت بما أطلب

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أن هذا الباب قريب من الذي قبله، فإن الله وصف نفسه

Marfat.com

بالتعجب والضحك والفرح والتبشيش، وأشباه هذه الصفات الخلقية، ووصف نفسه ﴿بليس كمثله شيء﴾ يعني فيها ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ فخلصنا له منه أمرنا الحق أن نقول الله ثم نذرهم أي نترك ضميرهم، وهو ضميرهم ضمير الجمع لا هو الذي هو ضمير الأفراد، فإنا للفرد نخلص العبادة من الجمع، فإن الجمع أظهر القسمة بين الله وبين عبده في العبادة وهي لله لا للمكلف من حيث صورته، وإن كانت له من حيث جمعيته بالله فهنا رسخت قدم الشيخ أبي مدين رضي الله عنه ولم يتعد وعيره يتمم الآية فقال: ﴿في خوضهم يلعبون﴾ فوقف أبو مدين رضي الله عنه مع قوله: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا﴾ وكل ما في العالم آياته فإنها دلائل عليه ﴿فأعرض عنهم﴾ فامتثل أمر الله فأعرض ووقف غيره مع أمره أن يتركهم في خوضهم يلعبون فامتثلنا أمر الله وتركناهم فكشف الغطاء عن أبصارنا فعلمنا على الشهود من الخائض اللاعب، وما هو هذا الجمع الذي أظهره ضمير لفظة هم في قوله: ﴿ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾ وقد تقدم أنه مأثم أثر إلا للأسماء الإلهية، فثبت الجمع لله بأسمائه وثبت التوحيد بهويته:

فمـــاثـــم جمـــع ولا واحـــد ... ســوى الحق فـاشهـد وذر مـن أمـر
كمــا قــال فــي خــوضــه لاعبــاً ... لحكـــم القضـــاء وحكـــم القـــدر
فمـــاثـــم فيمـــا تـــرى لاعـــب ... ســوى مـن يصـرف هـذي الصـور
فتبصـــــره وهـــــو يلهـــــو بهـــــا ... كمـا شـاءه حيـن يقضـي الـوطـر
هـــي الصـــولجـــان وميـــدانهـــا ... وجـودي لتصـريـف هـذي الكـور
تجـــول الخيـــول بميـــدانهـــا ... مـــراكـــب أرواحهـــا فـــي البشـــر
وهـم فـي الـركـوب علـى ظهـرهـا ... وإن سلمـــوا فـــوق متـــن الخطـــر

﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ فهو القاتل وإن لم يرد هذا الإسم ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ فهو الرامي بالصورة المحمدية وإن لم يرد هذا الإسم ﴿ترميهم بحجارة من سجيل﴾ في صورة طير وإن لم يرد سرابيل تقيكم الحر وهو الواقي وإن لم يرد والسرابيل اسم.

فهـــذا مـــن الخـــوض فـــاعلـــم بـــه ... لتعلـــم مـــن ذلـــك الخـــائـــض
وابـــرم ومـــا أنـــت أبـــرمتـــه ... وكـــن نـــاقضـــاً فهـــو النـــاقـــض
وقـــل للـــذي يجبـــن انهـــض بـــه ... فتحمـــد نهـــوضـــك يـــا نـــاهـــض
فلـــم تقتلـــوهـــم ولكنـــه ... هـــو القـــاتـــل الفـــارس الفـــارض

Marfat.com

ليس مسمى اللعب باللعب على طريق الذم فإن اللعب مفرحة النفوس، إلا أن الحق جعل لهذا اللعب مواطن، فإذا تعدى العبد بلعبه تلك لمواطن تعلق به الذم لا من كونه لعباً بل من كونه في ذلك الموطن، ثم لتعلم أن الأمور تختلف بالقصد وإن اجتمعت في الصورة، وقد بينا هذا المعنى فيما جبل عليه الإنسان في أصل خلقه من البخل والجبن والحرص والشره وهي في العامة خلق مذمومة عرفاً، فبين الحق لها مصارف تحمد فيه، فلولا أنها قابلة للحمد بالذات ما حمدت في المصارف الإلهية التي عين لها الحق واللعب منها، وقد أمرنا الحق أن نذر الخائض يلعب في خوضه قد أمرنا بالنصح وتغيير المنكر بالمعروف وهو أن نبين وجه المعروف في المنكر فنزيل عنه اسم المنكر كما هو في نفس الأمر معروف فإنه ما في الوجود من يقع عليه نعت النكرة، فإن كل شخص قد عينته شخصيته فأين المنكور:

فإذا فهمت مقالتي فافرح بها ... فالقول قول الإله في المخلوق
إذ كان من فهم الذي قد قلته ... من حكمة أدى إليّ حقوقي

هذا ما أنتجه المقال فكيف يكون ما ينتجه العمل؟ فإن الله ما أمرنا إلا أن نقول الله ونترك كل حرف بما عنده فارحاً ما كلفني غير ذلك فقال: ﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾ عن بصيرة فإنهم بين أن يحمدوا ذلك الخوض أو يذموه عقداً، فإن حمدوه فقد قلنا أنه تعالى عند كل معتقد، وإن وجدوه في تصور من تصور من تصوره لا يزول بزوال تصوره إلى تصور آخر، بل يكون له أيضاً وجود في ذلك التصور الآخر كما يتحول يوم القيامة في التجلي من صورة إلى صورة، وما زالت عنه تلك الصورة التي تحول عنها لأن الذي كانت معتقده فيها يراه فما هو إلا كشف منه تعالى عن عين هذا الذي يدركها لا غير فهم على بصيرة وإن ذموه، فهم الذين تحول في حقهم إلى الصورة التي تحول إليها بعلامتهم، فهم في ذمهم على بصيرة لأنه لذلك خلقهم كما تعبد كل مجتهد بما أداه إليه اجتهاده، وحرم عليه أن يعبده باجتهاد غيره إذا كان من أهل الاجتهاد سواء، فالمقلد مطلق فيما يجيء به المجتهدون ويختار ما شاء فله الاتساع في الشرع وليس للمجتهد ذلك فإنه مقيد بدليله وإن أصاب الحق أو أخطأه، كما هو نعت هذا الخائض أن حمد خوضه أو ذمه فهو في الحالتين على بصيرة، ولهذا أمرنا الحق أن نتركهم في خوضهم يلعبون، ولو لم يكن في هذا الذكر من الفائدة إلا كون الله يتخلق لعباده في اعتقادهم، فإن الناظر في الله خالق في نفسه بنظره ما يعتقده فما عبد إلا إلهاً خلقه بنظره وقال له ﴿كن فكان﴾ ولهذا أمرنا

Marfat.com

الناس أن يعبدوا الله الذي جاء به الرسول ونطق به الكتاب، فإنك إذا عبدت ذلك الإله عبدت ما لم تخلق بل عبدت خالقك فأعطيت العبادة حقها موفى، فإن العلم بالله لا يصح أن يكون علماً إلا عن تقليد محال أن يكون عن دليل، ولهذا منعنا عن التفكر في ذات الله ولم نمنع بل أمرنا أن نفرد الرتبة إليه فلا إله إلا هو والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الخامس وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾ كان عليه من أصحابنا محمد المراكشي بمراكش

ليس قلب الوجود غير وجودي … وكذا في الشهود عين شهودي
فأنا القلب والمهيمن قلبي … وهو مني مكان حبل الوريد
لا تحدوه للذي قد سمعتم … أنه جل عن قيود الحدود
من رآني فقد رآه ومن لم … يرني لم يفل بفرض السجود
إنما يفرض السجود على من … قال في الحق أنه من وجودي

يريد قوله ﷺ: «من عرف نفسه عرف ربه» رأيت محمداً المراكشي بمراكش وكان يكاثرني ليلاً ونهاراً وكان هذا هجيره دائماً فما رأيته ضاق صدره من شيء قط وكانت الشدائد تمر عليه فلا يتلقاها إلا بالفرح والضحك، فتفرج عنه في نظرنا وهو ينتقل من فرح إلى فرح ومن سرور إلى سرور، فكنت أقول له: هل تصبر على حلول هذه النوازل المكروهة طبعاً؟ فيقول: لما صبرت أولاً فانتج لي ذلك الصبر على الحكم الإلهيّ مشاهدة العين فشغلتني عن كل حكم فما أتلقاه إلا به فهو مجنى فإياه أسأل، فإن النوازل به تنزل في رؤيتي وأنتم ترون حكم النازلة في صورتي وكل عند نظره، ثم كان هذا الشخص من أحفظ الناس على أوقات عباداته، والله ما رأيت مثله بعده في هذا المقام، وما تحسر أحد من إخواني على فراقي حين فارقته إلى هذه البلاد مثل تحسره على فراقي وكان يقول لي: والله لولا مشاهدة العين التي حجبتني عن نفوذ الحكم الرباني في لسافرت معك، فوالله ما يغيب عني منك إلا تحوّل صورة الحق إلى صورة أخرى فأشهده غيباً ومحضراً، وهذا ذوق عجيب، كان كثير الأدب كثير الكلام، يكاد لا يصمت أبداً عن دلالة الناس على الله عز وجل، فإذا قيل له في ذلك يقول: أنا أؤدي فريضتي في كلامي وأنت بالخيار في

Marfat.com

مجالستي والإصغاء إلي ما نورده أنا أتكلم مع من يسمع ما أتكلم مع من لا يسمع، اعلم أن هذا الذكر يعطي الثبوت مع الحكم الربانيّ لما فيه من المصلحة وإن لم يشعر به العبد وجهله فهو في نفس الأمر مصلحة كان الحكم ما كان، وهذا هو مقام الإحسان الأوّل الذي هو فوق الإيمان، فله الشهود الدائم في اختلاف الأحكام ولا بد من اختلافها لأنه تعالى كل يوم في شأن، فإن كنت صاحب غرض وتحس بمرض وألم فاحبس نفسك عن الشكوى لغير من آلمك بحكمه عليك كما فعل أيوب عليه السلام، وهو الأدب الإلهيّ الذي علمه أنبياءه ورسله فإنه ما آلمك وحكم عليك بخلاف غرضك، وغرضك من جعل حكمه فيك إلا لتسأله في رفع ذلك عنك بما جعل فيك من العرض الذي بسببه تألمت، فمن لم يشك إلى الله مع الإحساس بالبلاء وعدم موافقة الغرض فقد قاوم القهر الإلهي، جاع أبو يزيد البسطاميّ فبكا فقيل له في ذلك فقال: إنما جوعني لأبكي، فالأدب كل الأدب في الشكوى إلى الله في رفعه لا إلى غيره، ويبقى عليه اسم الصبر كما قال تعالى في رسوله أيوب عليه السلام: ﴿إنا وجدناه صابراً﴾ في وقت الاضطراب والركون إلى الأسباب، فلم يضطرب ولا ركن إلى شيء غير الله إلا إلينا لا إلى سبب من الأسباب، فإنه لا بد طبعاً عند الإحساس من الاضطراب وتغير المزاج، ولذلك لطخ الحلاج وجهه بالدم حين قطعت أطرافه لئلا يظهر إلى عين العامّة تغير مزاجه غيرة منه على المقام لمعرفته بهذا كله، وهو القائل في وقت هذه الحال:

ما قد لي عضو ولا مفصل إلا وفيه لكم ذكر

بخلاف الآلام النفسية إذا وردت الأمور التي من شأنها أن تتألم النفوس عند ورودها فقد يتلقاها بعض عباد الله ولا أثر لها فيه على ظاهره والأمور المؤلمة حساً إذا أحس بها تحرك لها طبعاً إلا أن شغله عنها أمر يزيل إحساسه بها، وإنما كلامنا في ذلك مع الإحساس كأيوب وذي النون سلام الله عليهما، وأما إلى من ليس بيده من الأمر شيء كالمعتاد في العموم وتلك حالة أكثر العالم عباد الأسباب وبها يتستر الأكابر من عباد الله عن أن يشار إليهم ﴿واصبر لحكم ربك﴾ المأمور به فذلك هو الثبوت مع الله عند نفوذ الحكم الإلهي فيه أيّ حكم كان من بلاء أو عافية، فإن الفرح بنيل الغرض يزيل صاحبه عن الثبوت أكثر من زوال صاحب البلاء، فإن حركة الفرح تدهش وتكثر اضطراب صاحبه إلا أن يكون له قوّة حال أكثر من وارد الفرح، وأما الهم والغمّ فإنه أقرب إلى الثبوت والسكون لمن حكم عليه

Marfat.com

به من فرح الواصل إلى غرضه، فهو ذكر يعمّ الخير والشر معاً وهما حالان والأحوال هي الحاكمة بداً، والمحكوم عليه لا بد أن يكون تحت قهر الحاكم لنفوذ حكمه فيه، وهو الذي جعله يضطرب لأن مطلوب الإنسان بالطبع الخروج من الضيق إلى الانفساح والسعة والضياء المشرق لما يراه من ظلمة الطبع وضيقه فلا يصبر، فقيل له أثبت للحكم فإنك لا تخلو عن نفوذ حكم فيك إما بما يسوءك أو بما يسرك، فإن ساءك فتحرك إلينا في رفعه عنك، وإن سرك فتحرك إلينا في إبقائه عليك والشكر على ذلك فنزيدك ما يتضاعف به سرورك ولا يضعف فأنت رابح على كل حال، وما أمرناك بالصبر إلا ليكون الصبر عبادة واجبة، فتجازى جزاء من أدّى الواجب فتكون عبداً مضطراً مثنياً عليك بالصبر والرضا، ولو تركناك على التخيير وصبرت لكنت عبداً مختاراً أي ذا اختيار، ولم تذق طعماً لسيادتنا عليك، فإن المختار يولينا على نفسه إذا شاء، ويعزلنا إذا شاء، ويخجلنا إذا شاء، ولا يخجلنا إذا شاء، فنحن في الاختيار بحكمه، وفي الاضطرار حاكمون عليه، فانظر إلى رحمة الله بك حيث أمرك بالصبر لحكم ربك، ثم زاد: فإنك بأعيننا أي ما حكمنا عليك إلا بما هو الأصلح لك عندنا سواء سرك أم ساءك، هذا قصده بقوله: فإنك بأعيننا أي ما أنت بحيث تجهله أو ننساه، فكن أي عبد شئت بعد هذا فأنت لما قصدت، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السادس وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:

﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾ ﴿ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون﴾

إن للّـــه فـــي الخـــلائـــق مكـــرا ... وهـــو عنهـــم مغيـــب ليـس يـدري
وهـــو منهـــم وليـــس يـــدريـــه إلا ... مـــن أقـــام الصـــلاة شفعـــاً ووتـــرا
بمنـــاجـــاة ذلـــةٍ وخضـــوع ... تتـــوالـــى عليـــه فيهـــا وتتـــرى
وشهـــود تـــرى الحقـــائـــق فيـــه ... طـــالعـــات عليـــه شمســـاً وبـــدرا
ووجـــود تـــرى الكـــوائـــن فيـــه ... يهـــب العلـــم منـــه ســـراً وجهـــرا

قال الله عز جلاله: ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ وقال: ﴿ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون﴾ فإذا شعر بالمكر زال كونه مكراً إلا في حال واحد، وذلك إذا شعر بمكر الله في

Marfat.com

أمر أقامه فيه وأقام عليه وأقامته عليه بعد العلم أنه من مكر الله مكر من الله مثل قوله: ﴿وأضله الله على علم﴾ وبهذا القدر يفارق علم الغيب، فإن عالم الغيب إذا علمه لم يكن غيباً عنده فزال عنه في حقه اسم الغيب، ولم يزل عن هذا الذي أقام على الأمر الذي كان لا يشعر به أنه مكر من الله اسم المكر به في إقامته في ذلك الأمر في حقه، وإلا فالمسألة على السواء لولا هذا الفارق الدقيق، ومن المكر الإلهي ما يقصد به ضرراً لعبد ومنه ما لا يقصد به ضرراً لعبد، وإنما يكون لحكمة أخرى يكون فيها سعادة العبد، فإنه لولا المكر الخفي لما صح تكليف ولا طلب جزاء، فإنه من مكر الله المحمود من الممكور به تكليف الله إياه بالأعمال والسمع والطاعة له فيما كلفه به، والأمر يعطى في نفسه أن الأعمال خلق لله في العبد وأن الله لا يكلف نفسه وليس العامل إلا هو، وهذا قد شعر به بعض الناس وأقاموا على العمل وثابروا عليه أعني عمل الخيرات.

ومن مكر الله قسمه لصلاة بينه وبين عبده نصفين والكل له، فمن أداها بالقسمة فقد شفع صلاته، ومن أداها بقوله: ﴿إليه يرجع الأمر كله﴾ أداها وتراً، فمؤدي الصلاة شفعاً هو الخاشع في صلاته، ومن أداها وتراً على علم لا يتصف بالخشوع في نفسه وإن ظهر على ظاهره فإن ذلك حكمه حكم ظهور العمل منه والله العامل لا هو، قال تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ وأما من يرى مكر الله ليس غير مكرهم وهم الذين يخادعون الله وهو خادعهم بعين اعتقادهم أنهم يخادعون الله، فما يخادع الله إلا جاهل بالله غاية الجهل، أو عارف بالله غاية المعرفة التي لا يمكن أن يكون للمحدث أتم منها، فأما الجهل في ذلك فمعلوم، وأما المعرفة في ذلك فكما قال عمر رضي الله عنه: من خدعنا في الله انخدعنا له.

وفائدة هذا أنه يعلم من المخادع أنه يخدعه فينخدع له ولا يعلمه أنه انخدع له وهو المتباله الذي يظن فيه أنه أبله وليس بأبله، فإذا علم العارف أنه لا واهب ولا قابل إلا الله ومع هذا يستعيذ من مكر الله كما تعوّذ رسول الله ﷺ بالله من الله تمشية لمراد الله أي لإرادة الله، فإنه ما وضع في العالم حكماً إلا ليستعمل في محكوم عليه، ولو لم يرد استعماله لكان عبثاً، ولو لم يوجد من يستعمل فيه ذلك الحكم ومن يعمل به لكان أيضاً عبثاً، فالعامل به على بصيرة أولى من العامل به على غير بصيرة ﴿فلا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ وأن الله قد مشى لمن زعم أنه يخدع الله خداعه ومكره هنا فيكون في حق طائفة من مكر الله بهم، ويكون في حق طائفة أخرى من عناية الله بهم مثل قوله: افعل ما شئت فقد غفرت لك أي سترت نفسي عنك من أجلك، فلا نؤاخذك إذا آخذت غيرك بذلك لما سبقت

Marfat.com

لك عندي من العناية، فقدم المغفرة للذنب قبل وقوع الذنب وهو قوله: ﴿وما تأخر﴾ فيأتي الذنب مغفوراً أي مستوراً أي بحجاب بينه وبين من يقع منه، فلا يؤثر فيه حكمه لأجل ذلك الستر، وما سمى الله المكر استدراجاً إلا لتنقله في المراتب من درج إلى درج، ولولا ذلك الانتقال لما اتصف به أهل الله فإنه بانتقاله يعمّ المقامات والمراتب وهي بين محمود ومذموم، ولولا ذلك ما وصف الله نفسه بالمكر والاستدراج، ولذلك يتصف به أهل الله فيخادعون وينخدعون.

ورد خبر أن بعض العباد يوقفه الله في السؤال يوم القيامة فيعترف بين يديه أنه عمل من الخير ما لم يعمل وهو كاذب في ذلك فيتجاهل له ربه حتى يقول ذلك القائل أن الله قد مشى عليه ما كذب به عنده فيأمر به إلى الجنة فتقول الملائكة: يا رب إنه كذب، فيقول الله: قد علمت ذلك ولكني استحييت أن أكذب شيبته، فهذا من انخداع الله له، فأهل الله أولى بالتجاوز عن عباد الله إذا عاملوهم بمثل هذه المعاملة، ونحن ممن تحقق به غاية التحقق وهو من أعظم مكارم الأخلاق الإلهية، فمن يقدر على الاغتبان ولا يظهر للغابن أنه اغتبن له فقد تمكن من حكم نفسه غاية التمكن لأن طبع النفس يطلب أن يعرف الخير منها، ولا خير مثل الاغتبان فإنه نظير الحلم مع القدرة في نفس الأمر، وهو يظهر للجاني أنه عجز عن مؤاخذته، وهو ما ترك مؤاخذته إلا حلماً لا عجزاً، وذلك لا يصدر إلا من قوي على حكم طبعه ونفسه ﴿والله ذو القوّة المتين﴾ بحلمه لمن عرف، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السابع وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله قوله تعالى: ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾

ألم تعلم بأن الله منا ... يرانا والوجود لنا شهيد
فيلزمنا الحياء فلا يرانا ... بحيث نهى ونحن له شهود
وذا من أعجب الأشياء عندي ... فيأمرنا ويفعل ما يريد
يقول لي استقم ويريد مني ... مخالفة يؤيدها الوجود
فيا قوم اسمعوا ما قلت فيمن ... هو المولى ونحن له عبيد
يريد الأمر لا المأمور فانظر ... إلى حكم يشيب له الوليد

Marfat.com

قال رسول الله ﷺ: «استحيوا من الله حق الحياء» ما قال الله تعالى: ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ وعرف بذلك عباده لاختلاف أهل النظر في ذلك بين الطريقين، بين أنه يرانا وبين أن نراه، فالمؤمن على كل حال يعلم أن الله يراه من هذا التعريف فما عرفهم إلا ليلزموا الحياء منه تعالى في تعدي حدوده، فمن كان ذكره هذا الذكر فإن الله يتجلى له في هذه الدار تجليه لجبل موسى عليه السلام ولكن لا يجعله دكاً، وسبب ذلك الدؤوب على هذا الذكر فإنه يورث العبد قوة، وتلك القوّة من كون الذاكر لا يزال يذكر الله، والله جليس من يذكره وإن لم يشعر به، فأوّل ما يفتح الله لكل ذاكر في نفسه معرفة من يذكر الله به، فلا يرى الذاكر منه الله إلاّ لهوية الحق ثم في سمعه ذكره كذلك يشهد أنه لا يسمع ذكر الله منه إلا الله، فإذا رأى نفسه حقاً كله حينئذ يقع له التجلي الذي وقع لجبل موسى ولموسى فلا يندك ولا يصعق وإن فني فإنما يفنيه جمال ذلك المشهود، فإن الله جميل ويحب الجمال، فلا بد أن يكسو الله باطن هذا العبد من الجمال بحيث أنه لا يتجلى له إلا حباً لما ظهر فيه من الجمال الخاص المقيد به الذي لا يمكن أن يظهر ذلك الجمال إلا في هذا المحل الخاص، فإنه لكل محل جمال يخصه لا يكون لغيره، ولا ينظر الله إلى العالم إلا بعد أن يجمله ويسويه حتى يكون قبوله لما يرد به عليه في تجليه على قدر جمال استعداده، فيكسوه ذلك التجلي جمالاً إلى جمال، فلا يزال في جمال جديد في كل تجل، كما لا يزال في خلق جديد في نفسه، فله التحوّل دائماً في باطنه وظاهره لمن كشف الله عن بصيرته غطاء عماه.

واعلم أن الحدود الموضوعة في العالم أعني الحدود المشروعة التي أمرنا الحق أن لا نتعداها، ثم شرع لنا حدوداً تقام علينا إذا تعديناها كل ذلك لنعرف أن الأمر حد كله فينا وفيه دنيا وآخرة، لأن بالحدود يقع التمييز وبالتمييز يكون العلم، فلولا الفارق لما تميزت عين من عين ولا كان ثم علم بشيء أصلاً، وقد تميز لنا وبنا وعنا، كما تميز له وبه وعنه، فعرفنا من نحن ومن هو، فإن غلبنا حال يقول ذلك الحال بلسانه: أنا من أهوى ومن أهوى أنا، فيكفيه من قوّة أثر الحدود أن فرق بين أنا وبين من أهوى ولو أنه يهوى نفسه فحاله كونه يهوى وهو الفاعل ما هو عين حاله يهوى وهو المفعول، فبينت الحدود الأحوال كما بينت الأعيان، وهذا علم ما تصل إليه العبارة في أحدية العين ولم يقدر على أن يوحد الحال ولا ذلك بممكن أصلاً، وفي باب العلم بالله أوصل ما يكون الأمر، وأعظم في الأحدية أن يكون وجود العالم عين وجود الحق لا غيره، ومعلوم اختلاف صور العالم واختلاف الأسماء الإلهية، ولا معنى للإختلاف الواضح إلا العلم بأنه لولا الحدود لما كان التمييز، وإن كان

Marfat.com

الوجود عيناً واحدة وهو الوجود الحق فالموجودات والمعقولات مختلفة، ولقد لعن الله على لسان رسول الله ﷺ من غير منار الأرض وهو الحدود لأن التشابه إذا غمض جداً أوقع الحيرة وخفي الحد فيه، فإن شخصيات النوع الواحد الأخير متماثلة بالحد متميزة بالشخص. فلا بد من فارق في المتماثل بالحد، ويكفيك أن جعلته مثله لا عينه:

فالحد يصحب ما في العلم أجمعه ... والحد يصحبه التحديد في النظر

الباب الثامن وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾

لولا الولاية كنت في الظلمات ... فاختصني الرحمن بالحركات
فخرجت منها أبتغي النور الذي ... جمعتني فيه وعين شتاتي
ورأيت محياي الذي أسعى له ... وعلمت شأني فيه بعد وفاتي
ورأيت في الإنسان كل فضيلة ... والعلم أكمل في الدرجات
فضممت للإيمان علماً بالذي ... كان الوجود به بغير صفات
وبدت لي الأسماء خلف حجابه ... فشهدتها بالكشف عين سماتي
إن العناية أشرقت أنوارها ... فسعيت في الأنوار طول حياتي
لولا وجود النور في أبصارنا ... وقلوبنا لسعيت في الظلمات
فالله أكبر والكبير بدايتي ... ما دامت الدنيا وبعد مماتي
إن الخلافة لا يكون كمالها ... إلا هنا لا في الذي هو آتي
فيزول في الجنات نصف وجودها ... لإزالة الأحكام في الدركات
لما رأيت عموم رحمة ذاته ... في النشأة الأخرى ولم أر ياتي
أمر مزيل حكمها من خلقه ... فعلمت منه خلافتي بالذات
فأنا المبرّز في كمال خلافتي ... عنه ويعلم ذاك كل موات

اعلم أيدنا الله وإياك بروح القدس أن الكشف المختص بهذا الذكر أن تطلع منه ذوقاً على كون المؤمنين بعضهم أولياء بعض، والمؤمن اسم لله تعالى، والمؤمن اسم للإنسان، وقد عمّ فى الولاية بين المؤمنين فهو ولى الذين آمنوا بإخراجه إياهم من الظلمات إلى

Marfat.com

النور، وليس إلا إخراجهم من العلم بهم إلى العلم بالله فإنه يقول: من عرف نفسه عرف ربه فيعلم أنه الحق، فيخرج العارف المؤمن الحق بولايته التي أعطاه الله من ظلمة الغيب إلى نور الشهود، فيشهد ما كان غيباً له فيعطيه كونه مشهوداً، ولم يكن له هذا الحكم من هذا الشخص قبل هذا، فهذا للعبد تول بهذا القدر من كون الحق له اسم المؤمن، كما تولى الحق عبده من كونه مؤمناً، وكون الشخص مؤمناً سبباً في إخراجه من الظلمات إلى النور، وذلك نصرته المؤمنين من عبادة، فالمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وهذا من باب الإشارة إلى حكم الأسماء فيشد منا ونشد منه، قال تعالى: ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾ من حيث هو المؤمن ونحن المؤمنون.

فلنـــا منـــه التـــولـــي ولـــــه منـــي ذلـــك
وإذا لـــم يكـــن الأمـــ ــــر فـــالكـــل هـــالـــك
أنـــا مـــال اللّـــه فـــاحفـــظ يـــا إلهـــي عيـــن مـــالـــك
فـــأنـــا حفظـــت فقـــري وهـــو مـــالـــي مـــن هنـــالـــك

ما في قوله ما لي هو بمعنى الذي، فاعلم يا وليّ أن ظلمة الإمكان أشد الظلمات فإنها عين الجهل المحض، فإذا تولى الله عبده أخرجه من ظلمة هذا الجهل الذي هو الإمكان، وليس إلا نظره لنفسه معرى عن نظره للذي تولاه، فيخرجه بهذا التولي من ظلمة إمكانه إلى نوّر وجوب وجوده به وهو المنعوت بالواجب فأخر منه لنفسه، وفرق بين الوجوب الذي حكمه لله وبين حكم الوجوب الذي لنا بالتقيد به، فوجوبه تعالى لنفسه ووجوبنا به.

فـــاشتـــركنـــا فـــي الـــوجـــوب وافتـــرقنـــا فـــي القيـــود
ثـــم حـــزنـــا بـــالـــوجـــود مـــا لنـــا مـــن الحـــدود
حيـــن حـــزنـــا بـــالـــوجـــود مـــا لنـــا مـــن الحـــدود
فنسميـــــــه إلهـــــاً واختصمنـــا بـــالعبيـــد
فهـــو لـــي أشـــرف وســـم وأنـــــا منـــــه بعيـــــد
ومشـــى بـــذاك أمـــري فـــي قـــريـــب وبعيـــد
فـــأنـــا أحمـــد ربـــي حيـــن أدعـــى بـــالحميـــد
وعلمنـــــا ذاك حقـــــاً فـــي مغيـــب وشهـــود
ثـــم لـــو جحـــدت هـــذا مـــا تمشـــى لـــي جحـــودي

Marfat.com

ولـــذا أنـــزلـــت بـــدري بمنـــــازل السعـــــود
ورأيـــت عيـــن ذاتـــي فـــي هبـــوط وصعـــود
فـــأنـــا مـــن أجـــل هـــذا أتسمـــى بـــالسعيـــد
فـــأنـــا إن كنـــت شيخـــاً عقلنـــا عقـــل الـــوليـــد

فولاية العبد ربه، وولاية الرب عبده في قوله: ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾ وبين الولايتين فرق دقيق، فجعل تعالى نصره جزاء وجعل مرتبة الإنشاء إليك كما قدمك في العلم بك على العلم به، وذلك لتعلم من أين علمك فتعلم علمه بك كيف كان لأنه قال: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم﴾ وقد ذكرنا في كتاب المشاهد القدسية أنه قال لي أنت الأصل وأنا الفرع على وجوه منها علمه بنا منا لا منه فانظر فإن هنا سراً غامضاً جداً وهو عند أكثر النظار منه لا منا أوقعهم في ذلك حدوثنا، والكشف يعطي ما ذكرناه وهو الحق الذي لا يسعنا جهله، ولما سألني عن هذه اللفظة مفتي الحجاز أبو عبد الله محمد بن أبي الصيف اليمني نزيل مكة كما ذكرت له أن علمنا به فرع عن علمنا بنا إذ نحن عين الدليل، يقول رسول الله ﷺ: «من عرف نفسه عرف ربه» كما أن وجودنا فرع عنه ووجوده أصل، فهو أصل في وجودنا فرع في علمنا به، وهو من مدلول هذه اللفظة، فسرّ بذلك وابتهج رحمه الله وهذا الوجه الآخر من مدلولها أيضاً وهو أعلى، ولكن ما ذكرناه له رحمه الله في ذلك المجلس لأنه ما يحتمله ولا يقدر أن ينكره، وما تم ذلك الإيمان القوي عنده ولا العلم ولا النظر السليم فكان يحار، فأبرزنا له من الوجوه ما يلايم مزاج عقله وهو صحيح، فإنه ما ثم وجه إلا وهو صحيح في الحق، وليس الفضل إلا العثور على ذلك، فالله وليّ المؤمن والمؤمن وليّ الله.

سئل رسول الله ﷺ فقيل له: «من أولياء الله؟ فقال ﷺ: الذين إذا رأوا ذكر الله فذكر وعلم وشهد برؤيتنا إياهم» فجعلهم أولياء الله، كما جاء عن الله أنه ﴿وليّ الذين آمنوا﴾ فالمؤمن من أعطى الأمان في الحق أن منه يضيف إليه ما لا يستحق جلاله أن يوصف به مما ذكر تعالى أن ذلك ليس له بصفة كالذلة والافتقار، وهذه أرفع الدرجات أن نصف العبد بأنه مؤمن، فإن المؤمن أيضاً من يعطي الأمان نفوس العالم بإيصال حقوقهم إليهم، فهم في أمان منه من تعديه فيها، ومتى لم يكن كذا فليس بمؤمن، فالولاية مشتركة بين الله وبين المؤمنين، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب التاسع وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾

إلا إنما الإنفاق من حضرة النفق فإن له بابين في كل ما خلق
فيأتي إليه الرزق من باب غيبه وليس لذاك الباب باب فينطبق
فما زال مفتوحاً على كل حالة لأن اسمه الفتاح ما عنده غلق
إذا أنفق الإنسان فالله مخلف فلا تيأسن فالوقت بالوقت متسق
وإن غلق الإنسان باب عطائه يواليه رب الجود جوداً إن اتفق
وإن غلق الإنسان باب هباته فذلك إغلاق الإله إذا انغلق
ويغلقه إن شاء فالأمر أمره كما جاء في القرآن في سورة العلق
إذا عذت بالرحمن في كل حالة تعوّذ بما قد جاء في سورة الفلق
وفي سورة الناس التي جاء ذكرها إلى جنبها تتلى كما عاذ من سبق
وإن عذت عذ بالرب إن كنت مؤمناً بما جاء في القرآن فانظر تعذ بحق
فما ذكر التعويذ إلا بربنا فكن تابعاً لا تتبع غير من صدق

قال الله تعالى: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾ فيغلق عليه باب العطاء لما جعل في قلبه من خوف الفقر، إن أعطى فيطغى في غناه في عين فقره، فإن هو أعطى ما به استغنى افتقر فاحتقر، فلا يزال الغني خائفاً ولا يزال الفقير طالباً فالرجاء للفقير فإنه يأمل الغنا والخوف للغني فإنه يخاف الفقر ﴿فما أنفقتم من شيء فإن الله يخلفه﴾ بهويته، فيخلفه بفتح الياء، فإنه ما ينفق حتى يشهد العوض وهو قولهم: من أيقن بالخلف جاد بالأعطية، فما ينفق أحد إلا عن ظهر غنا، لأن العبد فقير بالذات غنيّ بالعرض، وكان الأولى أن يكون غنياً بالذات لأنه المصرف لمن يتصرّف فيه كالمال فإنه المتصرف فيمن يتصرّف فيه فهو يصرفه لأنه لا يتعدى فيه علمه، وعلمه ما كان إلا من معلومه، فما تصرّف فيه إلا بما أعطاه من ذاته، فمن حكمك في نفسه فهو الحاكم في تحكمك فيه فافهم.

لقد جاد الإله على وجودي بما أخفاه عن خلق كثير
من العلم الذي ما فيه ريب ولا شك لذي الفطن الخبير

واعلم أنه لا يقبل الإنفاق إلا المحدث فإن الإنفاق إهلاك ولا يهلك إلا المحدث

Marfat.com

﴿وكل شيء هالك إلا وجهه﴾ فمن أهلك شيئاً فقد فقده، وإذا فقده لم يجده، وإذا لم يجده وجد الله عنده فهو يخلفه، فكما عاد إلى الضمير على الشيء من يخلفه ولا يخلف إلا مثله لا عينه فليس هو هو، وإذا لم يكن هو هو ولا بدّ من الخلف فيخلفه الله وجوده وهو قوله: ووجد الله عنده، فحيث تفنى الأسباب هناك يوجد الله ﴿وإذا مسكم الضرّ في البحر ضل من تدعون إلا إياه﴾ ومعنى ضل منكم وتلف فلم تجدوه وما وجدتم عند فقده إلا الله. يقول رسول الله ﷺ في دعائه ربه في سفره «أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل»، فما جعله خليفة في أهله إلا عند فقدهم إياه، فينوب الله عن كل شيء أي يقوم فيهم مقام ذلك الشيء بهويته ولهذا قال: فهو يخلفه، فأي سبب يكون للمنفق بعد الإنفاق يسد مسد ما أنفقه من أمر ظاهر أو باطن حتى اليقين أو الاستغناء عن الأمر الذي كان يصل إليه بذلك الذي أنفقه في عين تحصيله لذلك الشيء، فهو مجعول من هوية الحق أو هوية الحق والهو عند الطائفة أتم الأذكار وأرفعها وأعظمها، وهو ذكر خواص الخواص، وليس بعده ذكر أتمّ منه، فيكون ما يعطيه الهو في إعطائه أعظم من إعطاء اسم من الأسماء الإلهية حتى من الإسم الله، فإن الإسم الله دلالة على الرتبة، والهوية دلالة على العين لا تدل على أمر آخر غير الذات، ولهذا يرجع إليها محلول لفظه الله فإنك تزيل الألف واللامين على الطريقة المعروفة عند أهل الله فيبقى هـ، فإن جعلته سبباً لتعلق الخلق به مكنت الضمة فقلت هو فجئت بواو العلة وفيها رائحة الغنا عن العالمين، والعلة ما لها هذا المقام من أجل طلبها المعلول كما يطلبها المعلول فحركت بالفتح تخفيفاً من ثقل العلية فقيل هو فدل على عين غائبة عن أن يحصرها علم مخلوق، فلا يزال غيباً عند كل من يزعم أنه عالم به حتى عن الأسماء الإلٓهية فشغلها بما وضعها له من المعاني فجعل الرزاق همته متعلقة بالرزق، والمقيت بالتقويت، والعالم بالعلم، والحيّ بالحياة، وكل اسم بما وضع له، وما دل عليه من الحكم فالأسماء موضوعة وضعتها الممكنات في حال ثبوتها وعدمها فالأسماء أحكامها والهوية تقوم للممكنات بهذه الأحكام فإليه وهو الهو يرجع الأمر كله، وإلى الهو من ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾ ترجع الأمور كلها، وما ذكر إلا الهو بالتصريح أو الله ما ذكر اسماً غيره فافهم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب العاشر وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:
﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾

سأصرف عن براهين الوجود ... قلوباً لم تنل رتب السجود
فلما أن زهت فخراً وعجباً ... على أهل المشاهد والشهود
حرمناها العلوم فلم تنلها ... كما قد نالها أهل القصود

فاعلم أيدنا الله وإياك أن الكبرياء ليس إلا لله، فمن تكبر من الخلق بغير الحق فما هو كبير في نفس الأمر، وإنما هي دعوى حال لا وجود له في عين المدعي، فإن كان له وجود وتكون الدعوى صحيحة فليس المدعي عند ذلك إلا الحق والحق له الكبرياء، وما سمي المحل متكبراً إلا لكون الدعوى ما ظهرت إلا في محل ماله الكبرياء وادعاؤه بحق فكان لسان المدعي عين الحق كما جاء: كان الله سمعه وبصره.

واعلم أن الله ما صرف أحداً عن الآيات إلا وقد صرفه عن العلم بالأمر على ما هو عليه الأمر والشأن، والآيات التي صرف هذا العبد عنها هي عين الآيات التي أراها لمن أراها في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق الذي يتكبر به من تكبر، فمن تكبر في الأرض دون السماء بغير الحق فهو أجهل الجاهلين لأنه وضع الكبرياء في غير موضعه، إذ من شرطه أمران: الواحد الحق الذي يقبله المخلوق، والثاني العلوّ فمن تكبر في الأرض بالحق فالحق له العلوّ بالذات والسموّ لم يصرف الله عنه الآيات فيريه إياها تشريفاً لهذا المحل، فإذا رآها تبين له عين الحق فإنه ما رآها إلا بالحق ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾ ﴿وما خلقناهما إلا بالحق﴾ وأمرنا أن نعطي كل ذي حق حقه، وما ثم إلا ذو حق وحقه، إنما هو الحافظ له.

وهنا نكتة خفية فإن الله له على عباده حق يطلبه منهم، وقد ورد في الصحيح: «أن حق الله أحق بالقضاء من حق المخلوق» لأن نسبة الحق إلى الله أتمّ وأصح من نسبة الحق إلى المخلوق، لأن نسبة الحق بالحق ذاتية ما هي بالجعل، ونسبة الحق إلى المخلوق بالجعل ولكنه جعل لا يصح انفكاكه عنه، فالسعيد من عرف الحقوق وأهلها فأداها، والشقيّ من لم يعرف الحقوق ولا عرف أهلها، والذي بين السعيد والشقيّ من عرف

Marfat.com

الحقوق وأهلها وظلمهم وظلمها، فهذه الطائفة هم في ظلمات لا يبصرون، والطرف الآخر هم: الصمّ البكم العمي الذين لا يرجعون عند ما يبصرون، ولا يعقلون عند ما يسمعون، ولا يصيبون عند ما يتكلمون، فأولئك الذين ما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين، فإنهم ظلموا الحقوق وأهلها، فإن لهم قلوباً يعقلون ويفقهون بها، وأن لهم أعيناً يبصرون بها، وأن لهم آذاناً يسمعون بها، فأنزلوا نفوسهم منزلة الإنعام بل أضل سبيلاً، لأن الأنعام ما جعل الله لهم هذه القوى التي توجب لصاحب البصر أن يعتبر، ولصاحب الأذن أن يعي ما يسمع، ولصاحب القلب أن يعقل، فهم الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض، فيعطيهم التفكر مما سمعوا وأبصروا، وتقليب الأحوال عليهم أن يقولوا: ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك﴾ فسبحوه أن جعلوه منزهاً عن إيجاب العلة عليه في خلقه لأنه أذن خلقها لحكمة، فكأن تلك الحكمة أوجبت الخلق عليه، وما ثم موجب عليه إلا ما يوجبه بنفسه على نفسه لخلقه امتناناً منه لصدق وعده لا غير، وتمم التعريف بقوله: ﴿فقنا عذاب النار﴾ وليست إلا الطبيعة في هذه الدار، فإنها محل الانفعال فيها لأنها للحق بمنزلة الأنثى للذكر، ففيها يظهر التكوين أعني تكوين كل ما سوى الله وهي أمر معقول.

فلما رأى من رأى قوّة سلطانها وما علم أن قوّة سلطانها إنما هو في قبولها لما يكوّنه الحق فيها فنسبوا التكوين لها وأضافوه إليها ونسوا الحق بها فأنساهم أنفسهم إذ صرفهم عن آيات نفوسهم وهو قوله: ﴿سأصرف عن آياتي الذين﴾، ووصفهم الحق فانقسم الخلق إلى قسمين: قسم إلى الحق الصرف، وقسم إلى الطبيعة الصرف، وظهر بينهما برزخ ظهر فيه عالم ما هو ولا واحد من هذين القسمين، فرأى ما يستحقه الحق فأعطاه حقه ولو لم يعطه فهو له، ورأى ما تستحقه الطبيعة فأعطاها حقها ولو لم يعطها فهو لها، فإن الطبيعة ليست بمجعولة بل هي لذاتها في العقل لا في العين كما هو الحق لذاته في العقل والعين، فإن اجتمع الحق والطبيعة في العقل فقد افترق الحق من العقل وتميز في العين فإن الحق له الوجود العينيّ والعقليّ. والطبيعة لها الوجود العقليّ ما لها وجود عيني، وذلك ليكون الحكم في الخلق بين الوجود والعدم، فيقبل العدم من حيث الطبيعة ويقبل الوجود من جانب الحق، فلهذا يتصف كل ما سوى الله بقبول العدم والوجود، فكان الحكم فيه للعدم كما كان فيه الحكم للوجود، ولو لم يكن الأمر على ما ذكرناه لاستحال على المخلوق قبول العدم في وجوده أو قبول الوجود في عدمه، فهكذا ينبغي أن تعرف الحقائق ولا سبيل إليها إلّا بعدم الصرف عن الآيات، وانظر إلى ما حرم الله من تكبر في الأرض بغير الحق وهذا من

Marfat.com

العلم الذي أنتجه هذا الذكر لصاحبه وأمثاله ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾ فللطبيعة القبول وللحق الوهب والتأثير فهي الأمّ العالية الكبرى للعالم الذي لا يرى العالم إلا آثارها لا عينها، كما أنه لا يرى أيضاً من الحق إلا آثاره لا عينه، فإن الأبصار لا تدركه والرؤية ليست إلا بها فهو المجهول الذي لا يعلم سواه، وهو المعلوم الذي لا يمكن لأحد الجهل به وإن لم يعمل ما هو:

فبين حق وبين طبع ... لاح لنا في الوجود خلق
ليس بحق ولا بطبع ... والطبع طبع والحق حق
والخلق كالوفق إن نظرنا ... فكل خلق تراه وفق

الباب الأحد عشر وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:

﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً واتقوا الله ويعلمكم الله﴾

ومن يتقِ الله يجعل له ... كما قال من أمره فارقاً
فيعلم منه ضلال الهدى ... ونور الهدى هادياً سائقا
ويظهر في شرقه غاربا ... ويطلع في غربه شارقا
ويصبح في كل علم له ... على كل شخص به فائقا
فكان لفتق الهدى راتقاً ... وكان لرتق الهدى فاتقا
لنقسمه بين أبنائه ... فيرقوا به جبلاً حالقا
وتبصره في مناجاته ... إذا قام فيها به ناطقا
فينشئها مثله نشأة ... يكون بها في الورى خالقا
ويخزن في أرضها قوتها ... فيعلمه خالقاً رازقا

اعلم أيدنا الله وإياك بروح القدس أن المتقي بمجرّد تقواه قد حصل في الفرقان إذ لو لم يفرق ما اتقى:

فالأمر ما بين محمود ومذموم ... فالأمر ما بين محبوب ومكروه
فكن وقايته في كل مكروه ... يكن وقايتكم في كل مألوه

Marfat.com

واجعلـه فـي كـل محبـوب وقـايتكـم — وكـن بـه بيـن تنـزيـه وتشبيـه
منـزه الحـق لا يـدري بـذاك ولا — مشبـه الحـق لا يـدري وأدر بـه
فمـن ينـزهـه عنـه يشبهـه — بـه فهـذا الـذي قـد قلتـه فيـه

وذلك أن الإنسان لا يخلو أن يجعل معبوده مثلاً أو ضداً أو خلافاً وعلى كل وجه، فقد فرق بين الله وبين العالم، فهذا الفرقان الذي تعطيه التقوى لا بد أن يكون فرقاناً خاصاً، وليس سوى الفرقان الذي يكون في عين القرآن فإن القرآن يتضمن الفرقان بذاته، وإنما نسب الجعل إلى هذا الفرقان لأن التقوى أنتجه، فإما أن يكون جعله ظهوره لمن اتقاه مع كونه لم يزل موجود العين قبل ظهوره، أو يكون جعله خلقه فيه بعد أن لم يكن، وما هو إلاّ الظهور دون الخلق فإنه أعقبه بقوله: ﴿ويكفر عنكم﴾ أي يستر والستر ضد الظهور، فلا يخلوا العبد في تقواه ربه أن يجعل نفسه وقاية له عن كل مذموم ينسب إليه، أو يجعل ربه وقاية له عن كل شدة لا يطيق حملها إلا به وهو لا حول ولا قوّة إلا بالله وهو قوله: ﴿وإياك نستعين﴾ فيلتقي به شدائد الأمور التي هي محبوبة لله مكروهة طبعاً، كما تجعل نفسك وقاية له تنفي بها عنه كل مذموم شرعاً محمود محبوب طبعاً فينتج لك كونه وقاية لك علم كل شدة، فتتجلى لك أسماؤها الإلهية كلها بتفاصيلها وأنواعها وهذا من الفرقان، وينتج لك كونك وقاية له كل مذموم ومكروه فتتجلى لك أسماؤه الإلهية كلها بتفاصيلها وأنواعها وهذا من الفرقان، فيحمدك الله في الحالتين فإن الله لا يعطي العلم إلا من يحب، وقد يعطي الحال من يحب ومن لا يحب فإن العلم ثابت والحال زائلة، ولولا الفرقان الذي في عين التقوى ما أنتج التقوى فرقاناً فإن الشيء لا ينتج إلا مثله ولا يكون إلا ذلك، ولهذا كان العالم على صورة الحق، فمن غلب عليه طبعه كان شبهه بأمه أقوى من شبهه بأبيه، ومن غلب عليه عقله كان شبهه بأبيه أقوى من شبهه بأمه لأن العالم بين الطبيعة والحق وبين الوجود والعدم، فما هو وجود خالص ولا عدم خالص، فالعالم كله سحر يخيل إليك أنه حق وليس بحق، ويخيل إليك أنه خلق وليس بخلق، إذ ليس بخلق من كل وجه وليس بحق من كل وجه، فإنا لا نشك في المسحور، فيما يراه أن ثم مرئياً ولا بد كما قال: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ فالسعي مرئي بلا شك، وبقي الشأن فيمن هو الساعي، فإن الحبال على بابها ملقاة في الأرض والعصي فيعلم قطعاً أن الخلق لو تجرّد عن الحق ما كان، ولو كان عين الحق ما خلق، ولهذا يقبل الخلق الحكمين، ويقبل الحق أيضاً الحكمين، فقبل صفات الحدوث شرعاً وقبل صفات القدم شرعاً وعقلاً فهو المنزه المشبه، وقبل الخلق

Marfat.com

الحكمين وهما أنه جمع بين نسبة الأثر له في الحق بما أعطاه من العلم به كما ذكرناه في غير موضع، وبين نسبة الأثر فيه من الحق وهو أنه أوجده ولم يكن شيئاً، أي لم يكن موجوداً، فالفرقان لم يزل في نفس الأمر ولكن ما ظهر لكل أحد في كل حال من الأحوال:

في كل حال من الأحوال فرقان ... أتى بذلك تشريع وبرهان

وهذا الفرقان الذي أنتجه التقوى لا يكون إلا بتعليم الله ليس للنظر الفكريّ فيه طريق غيره، فإن أعطاه الله الإصابة في النظر الفكريّ فما هو هذا العلم الخاص فإن الطريق تميز العلوم المشتبهة بالصورة المختلفة بالذوق وأتوابه متشابهاً فاعلم ذلك، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثاني عشر وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها﴾

كلما أنضج اللهيب جلوداً ... بدل الله للعذاب جلوداً
أبداً ينتهي القضاء إليه ... أورث القوم في الجحيم خلودا
جعل الله منهم وعليهم ... عندما ينقضي السؤال شهودا
فإذا أدت الشهادة فيهم ... ملكوا الفوز والنعيم الجديدا

يقول الله تعالى إخباراً عنهم: ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله﴾ أي بالشهادة عليكم لأنهم شهداء عدول مقبولون القول عند الله، وكانوا في الدنيا غير راضين بما كانت النفس الناطقة الحيوانية تصرّفهم فيه زمان حكمها وأمارتها عليهم، وعلى جميع جوارحهم من سمع وبصر ولسان ويد وبطن وفرج ورجل وقلب، وإنما سميت الجلود بهذا الإسم لما هي عليه من الجلادة لأنها تلتقي بذاتها جميع المكاره من جراحة وضرب وحرق وحرّ وبرد، وفيها الإحساس وهي مجن النفس الحيوانية لتلقي هذه المشاق، فما في الإنسان أشد جلادة من جلده ولهذا غشاه الله به فنضجه سبب في عذاب النفس المكلفة والجلد متنعم في ذلك العذاب المحسوس قال بعض المحبين:

فهل سمعتم بصب ... سليم طرف سقيم
منعم بعذاب ... معذب بنعيم

Marfat.com

هذا الهجير هو هجير الخائفين من مكر الله يزجرون به نفوسهم الأمّارة بالسوء عسى تنزجر ويأبى الخرق إلا اتساعاً، وسبب ذلك ما ذكر الله عن نفسه من اختيار مشيئته بين المغفرة والعذاب فهو غير قاطع بأحد الأمرين، ثم أنه يرى الأسماء الإلهية تتقابل في حقه، ثم يرى أسماء الفضل تترجح عدداً وقوّة على أسماء العدل والانتقام، ويرى أن التقابل بين هذه الأسماء إنما يقع بميدان الرحمة التي وسعت كل شيء، فجرأهم ذلك على ما ارتكبوه من المخالفات وتعدوه من الحدود وانتهكوه من المحارم، فلو قطعوا بالمؤاخذة على ما صدر منهم إن ماتوا عن غير توبة كما ذهبت إليه طائفة ما فعلوا ما لا يرضى سيدهم، ثم رأوا أنهم في عذاب الحياة الدنيا لا يصبرون تحت حكمه وينفرون منه طبعاً ولا يقبلونه إلا جبراً فيجعله الخائف لنفسه موعظة وذكرى، فإن كان قوي الإيمان غير متبحر في التأويل خائضاً في بحر الظاهر لا يصرفه للمعاني الباطنة صارف انتفع بالذكرى وإن لم تقم به هذه النعوت وأمثالها وتأوّل تردى وأردى من اتبعه وكان من الذين اتبعوا أهواءهم، وكان أمر من هذه صفته فرطاً فينتج له هذا الذكر من الأحوال العصمة، ومن الأسماء الإلهية الإسم الظاهر والأوّل، ومن المعارف معرفة الشهود وقبول الحق صور التجلي الظاهرة ويتحقق بالتقوى كل التحقق، فيعلم العلم المجهول الذي لا يصل إليه كل أحد وهو العلم بسرائر المحسوسات والحواس والإحساس والمحس، وإنما جهله الأكثرون لما نقوله، وذلك أن النفوس مجبولة على حب إدراك المغيبات واستخراج الكنوز وحل الرموز وفتح المغاليق والبحث عن خفيات الأمور ودقائق الحكم، ولا ترفع بالظاهر رأساً فإن ذلك عندها في زعمها أبين من فلق الصبح، فالنهار عندها لا يخفى على أحد، فصاحب هذا الهجير يبدو له من العلم في هذه الظواهر ما لا يخطر بخاطر أحد أن ذلك الذي أدركه صاحب الكشف لهذا العلم يحمله ظاهر ذلك الأمر ولا صورته، فإذا نبه عليه صاحب هذا العلم والكشف عند ذلك يعظم قدره وتظهر حكمته وكثرة خيره، ويعلم عند ذلك أنه ما كان يحسبه هيناً هو عند الله عظيم، وهذا كله من الاسم الإلهيّ الظاهر الذي له التقدم في الأمور، والخير كله إنما هو في الأوائل.

ألا ترى أن الخاطر الأوّل هو الإلهيّ الصادق الذي لا يخطىء أبداً، فله العصمة والمضا، وفيه يظهر القدر والقضا، وكذلك النظرة الأولى والمسموع الأول والحركة الأولى، وهو الذي يعطي علوم الزجر للزاجر، وهي لا تخطىء أبداً بل الصحة تصحبها، فالأوائل هي الظواهر السوابق، وكل ما جاء بعد الخاطر الأوّل فهو حديث نفس يجيء على

Marfat.com

أثره، فللخاطر الأوّل التمهيد والتوطئة، وهي تعطي العقول التشوق إلى ما وراءها، فالفطن المصيب التحرير لا يزول عن الأمر الظاهر الأوّل الذي ورد عليه حتى يستوفي جميع حقائقه وما تعطيه صورته ويقف على خفيات غيوبه، فإذا حصله وقبله علماً حينئذ ينتقل إلى ما يرد عليه في أثره الذي هو باطن، فإن جهل الظاهر كان بالباطن أجهل فإنه الدليل عليه، وإن فرط في تحصيل الأوّل كان في تحصيل الآخر أشد تفريطاً لأن من الحرص على تحصيل العلم بالخاطر الآخر تحصيل الأوّل، فأوّل الأمر خوف والرجاء يتلوه، فإن تقدّمه الرجاء فقد فاته الخوف، فإن الماضي لا يسترجع، فالتقدّم للخوف وقد فاته وذهب عنه ومن له برده والرجاء في المحل قد منعه سلطانه، فالمؤمن من تساوى خوفه ورجاؤه بحيث أنه لا يفضل واحد صاحبه عنده لأنه استعمل كل شيء في محله، وأوّل نشىء الإنسان ضعف، ولضعفه يتقدمه الخوف على نفسه، ثم تكون له القوّة بعد هذا الضعف فيأتيه الرجاء بقوّته، فإنه يتقوّى نظره في العلوم والتأويلات، فيعظم رجاؤه في جناب الحق، ولكن العاقل لا يتعدّى به موطنه، فإذا خطر له من قوّة الرجاء ما يوجب استعمال الخوف عند العاقل العارف عزل الرجاء عن الانفراد بالحكم وأشرك معه الخوف فذلك المؤمن، فلا يزال كذلك إلى أن تكمل ذاته الكمال الذي ينتهي إليه أولياء الله في الورث النبويّ في هذا الزمان المحمديّ الذي أغلق فيه باب نبوة التشريع ورسالته، وبقي باب حكم الاختصاص بالعلوم الإلهية والأسرار مفتوحاً يدخل عليه أهل الله، وأوّل داخل عليه أهل هذا الذكر جعلنا الله ممن استوى خوفه ورجاؤه في الحياة الدنيا إلى حين موته عند الاحتضار فيغلب رجاؤه على خوفه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. . .

الباب الثالث عشر وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:
﴿كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾

إذا ذكرتني رحمة الرب لم أزل ... أقول له يا رب رب محمد
لأن لها التأكيد أن كان ربه ... فاعلو بهذا الذكر في كل مشهد
فأرسله الرحمن للخلق رحمة ... على كل حال بين هاد ومهتدي

قال الله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ وأوحى إليه تعالى أن الله لم

Marfat.com

يبعثك سباباً ولا لعاناً وإنما بعثك رحمة، وقال تعالى في عبده خضر: ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ فقدم الرحمة على العلم وهي الرحمة التي في الجبلة ثم قال: ﴿وعلمناه من لدنا علما﴾ فأعطاه هذا العلم من أجل قوله لدنا الرحمة المبطونة في المكروه، وبهذه الرحمة قتل الغلام، وخرق السفينة، وبالرحمة الأولى أقام الجدار، فلا يفرق بين هاتين الرحمتين إلا صاحب هذا الذكر، فإن الرحمة هي التي تذكره ما هو يذكرها، فتعطيه بذكره حقيقة ما فيها لأنها تطلب منه التعشق بها فإنه لا ظهور لها إلا به فهي حريصة على مثل هذا.

واعلم أن هذا الذكر تعريف إلهيّ بوجوب حكم الرحمة فيمن تذكره من عباده سبحانه وتعالى، وجاء زكريا لا لخصوص الذكر وإنما ساقته عناية العبد فإنها ما ذكرته إلا لكونه عبداً له تعالى في جميع أحواله، فأيّ شخص أقامه الله في هذا المقام فبرحمته به أقامه لتذكره رحمة ربه عنده تعالى، فحال عبوديته هو عين رحمته الربانية التي ذكرته فأعلمت ربها أنها عند هذا العبد، فأيّ شيء صدر من هذا الشخص فهو مقبول عند الله تعالى، ومن هذا المقام يحصل له من الله ما يختص به مما لا يكون لغيره وهو الأمر الذي يمتاز به ويخصه، فإنه لا بدّ لكل مقرّب عند الله من أمر يختص به.

وقد أشار الشرع في التعريف بهذا فقال: أنه ما من أحد من المؤمنين إلا ولا بد أن يناجي ربه وحده ليس بينه وبينه ترجمان فيضع كنفه عليه وهو عموم رحمته به، فذلك محل تحصيل ما يختص به كانت القيامة لهذا العبد حيث كانت لأنه من عباد الله من تعجل له قيامته فيرى ما يؤول إليه أمره في الدار الآخرة وهي البشرى التي للمؤمن في الحياة الدنيا، وقد رأيناها ذوقاً، وكان لنا فيها مواقف منها في ليلة واحدة مائة موقف بأخذ ورجوع لو قسمت تلك الليلة على قدر الوقوف ما وسعته وذلك بمدينة فاس سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة أشاهد في كل موقف من اتساع الرحمة ما لا يمكنني النطق به، وكان ذلك لاتساع ذكر الرحمة فكيف بذكر الرحمن إذا حصل للعبد ولا يحصل إلاّ للعبد الجاني، وأما غير الجاني فهو عين رحمة الله في خلقه به يرحم الله الخلق كافرهم ومؤمنهم ومشركهم وموحدهم، وبه يرزق عباده في الدنيا، وبه يقع النصر وينزل المطر وتخصب الأرض وتكثر الرسل ويعظم الخير، وهو المعصوم بالشهود في عين الجنايات، فيظهر عليها بحكم القضاء والقدر الحاكم في الطرفين خلق وحق إن فهمت فلا يظهر فيك ولا منك إلا عينك، ولا يحكم بعلمه فيك إلا ما أعطيته من العلم بك، وهنا زلت الأقدام، ونكصت على أعقابها

Marfat.com

الأفهام، وتحكم على الأحلام سلطان الأوهام، وللأوهام الحكم الغالب التام والدوام، والله ما يوجد إلا عند ظن العبد به فليظن به خيراً، والظن من بعض وزعة الوهم وهو الذي يعطي العذاب المعجل والنعيم المعجل، فظن خيراً تلقه، وبعض الظن إثم، فوالله لولا الظن ما عصى الله مخلوق أبداً، ولا بد من العصيان وهو حكم الله في الفعل أو الترك، فلا بد من الظن، فمن رحمة الله بخلقه أن خلق الظن فيهم وجعله من بعض وزعة الوهم، ولا يتمكن تحصيل العلم لأحد في أمر أصلاً من حيث ما يحكم به على المشهود لا من حيث الشهود فإنك لا تقدر على زوال ما شهدت، وهكذا جميع تعلق باقي القوى، ولكن بقي الحكم على ما تعطيه هل يحصل به العلم أو الظن؟ فعند صاحب هذا المقام لا يحصل إلا بالظن خاصة، وأما غيره فيجعل ذلك علماً لعدم ذوقه لهذه الحال، ففرق بين ما تعطيه القوة وبين ما يحكم به على ذلك المعطي بها هل يحكم بالظن أو بالعلم؟ فالأمر في نفسه شبهة في عين الدليل، وإن لم يكن الأمر هكذا لم يتميز رب من عبد ولا حق من خلق، إن فهمت فهذا بعض ما ينتجه لك هذا الذكر، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الرابع عشر وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:
﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾

ومن يتوكل على ربه	فإن إله الورى حسبه
وإن كان في كل أحواله	يراه به دائماً ربه
فذاك الوليّ الذي لم يزل	على ما يراد به قلبه

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أن هذا الذكر يعطي صاحبه أنه هو إذ لا يكتفي إلا به لأن النبي ﷺ يقول: «ليس وراء الأمر مرمى» فما كان من حجاب فما هو إلا بينك وبينه ما هو وراءه فإنه الأوّل وأنت الآخر وهو قبلتك فلا يكون له منك إلا المواجهة، ثم أرسل بينك وبينه حجب الأسباب والنسب والعادات وجعلها صوراً له من حيث لا تشعر فمن قال هي هو صدق، ومن قال ما هي هو فللإختلاف الذي يراه فيها فيصدق فإنه يحجبه عن العلم به اختلاف الصور، فكما يقطع أن هذه الصورة ليست هذه الصورة أي هذا السبب ما هو هذا السبب يقطع أنها ما هي هو، وذهل عن حقيقة الحجاب أو كونها، وإن اختلفت فهي واحدة

Marfat.com

في السببية أو الحجابية كذلك هي عينه وإن اختلفت وإن لم يكن الأمر هكذا وإلا فلا تصح المواجهة، ألا ترى الأعمى إذا واجهته وكافحته لا يقدح عماه وكونه لا يراك وأنت تراه عن حكم المواجهة بينكما مع كون الأعمى يرى الظلمة بلا شك وأنت عنده في عين تلك الظلمة التي يراها فيدركك ظلمة لأنه يواجهك فيقول: رأيت فلاناً اليوم مواجهة ويصدق مع كونه أعمى، فما وراء الله مرمى وما وراءك له مرمى، لأن الصورة الإلهية بك كملت وفيك شهدت فهو حسبك كما أنت حسبه، ولهذا كنت آخر موجود وأوّل مقصود، ولولا ما كنت معدوماً ما كنت مقصوداً فصح حدوثك، ولولا ما كان علمك به معدوماً ما صح أن تريد العلم به، فهذا من أعجب ما في الوجود أن يكون من أعطاك العلم بنفسه لا يعلم نفسه إلا بك، لأن الممكنات أعطت العلم بأنفسها الحق، ولا يعلم شيء منها نفسه إلا بالحق، فلهذا كان حسبك لأنه الغاية التي إليها تنتهي وأنت حسبه لأنه ما ثم بعده إلا أنت ومنك علمك وما هي إلا المحال وهو عين العدم المحض الذي التبست بظله كما التبست بضوء الوجود النور فقابلت الطرفين بذاتك، فإن نسب إليك العدم لم تستحل عليك هذه النسبة لظلمته عليك، وإن نسب إليك الوجود لم يستحل لضوئه فيك الذي به ظهرت لك، فلا يقال فيك موجود فإن ظل العدم الذي فيك يمنع من هذا الإطلاق أن تستحقه استحقاق من لا يقبل العدم، ولا يقال فيك معدوم لأن ضوء الوجود الذي فيك يمنع من هذا الأطلاق أن تستحقه استحقاق من لا يقبل الوجود، فأعطيت اسم الممكن والجائز لحقيقة معقولة تسمى الإمكان والجواز، وحصل اسم الموجود للواجب بالذات لحقيقة تسمى الوجود وهي عين الموجود، كما أن الإمكان عين الممكن من حيث ما هو ممكن لا من حيث هو ممكن مّا، وحصل اسم المعدوم للمحال وهو الذي لا يقبل الوجود لذاته لحقيقة تسمى العدم المطلق وهو الإحالة، فأنت جامع الطرفين ومظهر الصورتين وحامل الحكمين، لولاك لأثر المحال في الواجب وأثر الواجب في المحال، فأنت السد الذي لا ينخرم ولا ينقصم، فلو كان للعدم لسان لقال إنك على صورته، فإنه لا يرى منك إلا ظله كما كان للوجود كلام فقال إنك على صورته، فإنه رأى فيك صورته فعلمك بك لنوره وجهلك العدم المطلق لظله، فأنت المعلوم المجهول وصورة الحق سواء، فتعلم من حيث رتبتك لا من حيث صورتك، إذ لو علمت من حيث صورتك لعلم الحق والحق لا يعلم، فأنت من حيث صورتك لا تعلم فالعلم بك إجمال لا تفصيل، فقد عرفتك ما يعطيك هذا الذكر من العلم بالله إن عقلت، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، والهادي من يشاء إلى صراط مستقيم.

Marfat.com

الباب الخامس عشر وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:
﴿وظن داود إنما فتناه فاستغفر ربه وخرّ راكعاً وأناب﴾

الإفتتـــان هــــو البـــلاء بعينـــه ... فـــاسكـــن إذا مـــا يبتليـــك بحكمـــه
واستغـــر الـــرب الكـــريـــم بسجـــدة ... منـــه فـــأنـــت معيـــن فـــي علمـــه
واحـــذر مـــن الفكـــر الـــدقيـــق فـــإنمـــا ... يـــؤتـــى الـــذي فهـــم الـــذي مـــن فهمـــه
الشـــان فـــوق عقـــولنـــا وعيـــوننـــا ... فـــاحـــذر مـــن العقـــل الـــذي فـــي زعمـــه
إن العلـــوم لـــديـــه وهـــو مقيـــد ... عبـــد الـــدليـــل بكيفـــه وبكمـــه
إن الشـــريعـــة قسمتـــه بكيلهـــا ... فلـــذاك قلـــت بكيفـــه وبكمـــه

لما كان داود عليه السلام في دلالة اسمه عليه أشبه بني آدم بآدم في دلالة اسمه عليه صرّح الله بخلافته في القرآن في الأرض كما صرح بخلافة آدم في الأرض، فإن حروف آدم غير متصلة بعضها ببعض، وحروف داود كذلك، إلا أن آدم فرق بينه وبين داود بحرف الميم الذي يقبل الاتصال القبلي والبعدي فأتى الله به آخراً حتى لا يتصل به حرف سواه، وجعل قلبه واحداً من الحروف الستة التي لا تقبل الاتصال البعدي، فأخذ داود من آدم ثلثي مرتبته في الأسماء، وأخذ محمد ﷺ ثلثيه أيضاً وهو الميم والدال، غير أن محمداً متصل كله، والحرف الذي لا يقبل الاتصال البعدي جعل آخراً حتى يتصل به ولا يتصل هو بشيء بعده وهو قوله ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله» فيتصل به ولا يتصل هو بأحد، فناسب محمد آدم عليهما الصلاة والسلام من وجهين: الأول مناسبة النقيض بالاتصال بآدم وآدم له الانفصال كداود، والميم من آدم كالدال من محمد، فجاءتا آخراً لذلك أعني في آخر الإسم منهما، والثاني مناسبة النظير التي بين آدم ومحمد في كون الحق ﴿علم آدم الأسماء كلها﴾ وأعطى محمداً ﷺ جوامع الكلم وعمت رسالته كما عم التناسل من آدم في ذريته، فالناس بنو آدم والناس أمة محمد ﷺ من تقدم منهم ومن تأخر لأنه قال ﷺ: «آدم فمن دونه تحت لوائي» فنظر آدم إلى داود دون ولده لما

Marfat.com

ذكره فاستقل عمره فأعطاه من عمره ستين سنة وهو عمر محمد ﷺ فلما وصل من عمره إلى الميم من اسمه رأى صورة محمد ﷺ في الميم فرجع عن داود لأنه قد فارق رؤية الألف والدال فرجع في عطيته التي أعطاها داود من عمره فدخل تحت لواء محمد ﷺ.

فأما تصرح الحق بالخلافتين على التعيين في حقهما فقوله تعالى في خلافة آدم عليه السلام: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ يريد آدم وبنيه وأمر الملائكة بالسجود له. وقال تعالىٰ في داود عليه السلام ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾ ثم قال فيه ما لم يقل في آدم: ﴿ولا تتبع الهوى﴾ وسبب ذلك لما لم يجعل في حروف اسمه حرفاً من حروف الاتصال جملة واحدة، فما في اسمه حرف يتصل بحرف آخر من حروف اسمه، فعلم أن أمره فيه تشتيت لما كان لكل إنسان من اسمه نصيب، فكان نصيبه من اسمه ما فيه من التشتيت فأوصاه تعالى أن لا يتبع الهوى لانفراد كل حرف من اسمه بنفسه، ثم إن له إلى الفردية وجوهاً في حركاته فهي ثلاثة وحروفه خمسة فهو فرد من جميع الوجوه، فلولا أنه قابل لما وقعت فيه الوصية من الله ما وصاه، ولما علم ذلك داود بما أعلمه الله بطريق التنبيه في نهيه إياه أن لا يتبع الهوى ولم يقل هواك أي لا تتبع هوى أحد يشير عليك واحكم بما أوحيت به إليك من الحق فإن الهوى ما له حكم إلا بالإتصال، وحروف اسم داود لا تقتضي الاتصال فعصمه الله من وجه خاص، فلما وصاه الحق تعالى استغفر ربه أي طلب الستر من الله الحائل بينه وبين الهوى المضل ليتصل به فيتصف به فيؤثر في الحكم الذي أرسل به رجع إلى الله في ذلك وسقط إلى الأرض اختياراً قبل أن تسقطه الأهواء وتؤثر فيه تأثيرها في الجدران القائمة، فكان ركوعه رجوعاً إلى أصله من نفسه فهو عين الستر الذي طلبه في استغفاره، فلما جاء الهوى لم يجد شيئاً منتصباً قائماً يرده عن مجراه فيؤثر فيه فراح عنه ولم يصبه وعصمه الله وستره، وليس الابتلاء مما يحط درجة العبد عند الله، بل ما يبتلي الله إلا الأمثل فالأمثل من عباده، ﴿فيضل﴾ بالتأويل في ذلك ﴿من يشاء ويهدي من يشاء﴾ ﴿إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين﴾ فنفس الأنبياء نفس واحد، فمن عباد الله من سترهم الله عن الذنوب فلم تدركهم ولم ترهم، ومن عباد الله من يسترهم الله عن المؤاخذة عن الذنب وكل له مقام معلوم.

فلـــو أن داود فـــي حكمـــه ... بحكـم الهـوى ضـل عـن نفسـه
ولكنـــه سيـــد منجـــب ... قـد اختـاره الله مـن قـدسـه

Marfat.com

لـه الضـوء مـن ذاتـه ظـاهـر — تبـرز فيـه علـى جنسـه
فمـا خـرّ عـن زلـة قـد أتـى — بهـا بـل رجـوعـاً إلـى اسـه
فـداود فـي ذاتـه ودّه — وفـي ودّه الـداء مـن شمسـه
فـأشبـه يعقـوب فـي حـزنـه — وأشبـه يـوسـف فـي حبسـه

واعلم أنه لولا الابتلاء لقال من شاء ما شاء، فأصل الابتلاء وسببه الدعوى، ومن الابتلاء ما يكون في غاية الخفاء مثل قوله تعالى: ﴿فما أصبرهم على النار﴾ ومنه ما يكون في غاية الجلاء مثل قوله: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ ونبلو أخباركم ولا يعرف مثل هذا إلا من يعرف الجلي والخفي ولماذا يرجع؟ وهل ثم خفي لنفسه أو هو خفي بالنسبة فإنا نعلم أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض وهو المعلوم، وكل ما في الطبيعة من الأسرار فإن صورها أرض الأرواح ولا في السماء وهو المعلوم، وكل ما في الأرواح التي بين الطبيعة والعما وهي التي تشرق هذه الأرض بأنوارها فاعلم ذلك، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السادس عشر وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزلة:

﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ففروا إلى الله﴾

ليس الإلـه الـذي بـالكشـف تـدركـه — هـو الإلـه الـذي بـالفكـر تـدريـه
لكـون فكـرك لا تعـدوه رتبتـه — وقـد يكـون ولكـن فيـه مـا فيـه
الحكـم بـالفكـر في الأشياء مختلف — والحكـم بـالكشـف لا تـدري مبانيـه
يـراه فـي كشفـه فـي كـل معتقـد — وليـس ينكـر معنـى مـن معـانيـه
جـل الإلـه فـلا عقـل يحيـط بـه — وليـس يـدري سـواه فـانظـروا فيـه
جـل الإلـه فـلا كشـف يحيـط بـه — وليـس شـيء مـن الأكـوان يحـويـه
وهـو الـذي في جميـع الكـون تـدركـه — وليـس يـدرك إلا مـن تجليـه

Marfat.com

إذا تـدلـى لعبـد جـاء يقصـده أعطـاه مـا ليـس يـدري فـي تـدليـه
مـن كـل خيـر ومـن علـم ومعـرفـة فمـن يعـادلـه أو مـن يـدانيـه

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أن الخير في هذا المنظوم يريد به الحكمة وهو الخير الكثير والعلم ما يدركه من التركيب، والمعرفة ما يدركه في المفردات، هذه آية جاءت إلينا يوم جمعة بعد الصلاة في المقابر بإشبيلية سنة ست وثمانين وخمسمائة فبقيت فيها سكران ما لي تلاوة في صلاة ولا يقظة ولا نوم إلا بها ثلاث سنين متوالية أجد لها حلاوة ولذة لا يقدر قدرها، وهي من الأذكار المفرقة بين الله وبين الخلق تفريق تمييز، فهو تفريق في جمع وفرقان في قرآن، فيجمع بهذا الذكر بين القرآن والفرقان، فكل من له عليك ولادة من أي نوع وفي أي صورة كان من ظاهر وباطن واسم إلهي وكياني فهو أبوك، وكل من لك عليه ولادة من أي نوع كان وفي أي صورة كان من ظاهر وباطن واسم إلهي وكياني فهو ابنك، فقد يكون ابنك في هذا الذكر عين أبيك فيكون له عليك ولادة ولك عليه ولادة، وهو المقام الذي أشار إليه الحلاج بقوله:

ولـدت أمـي أبـاهـا إن ذا مـن عجـوبـاتـي

وكل ما قابلك من الأمثال وداخلك من الأشباه ومازجك أو قارب من الأنداد وكان عديلاً لك في الوراثة بحيث لو وزنتما في العلم الموروث من الكتاب ما رجح عليك وزناً ولا رجحت عليه فهو أخوك ولكن من الإسم الظاهر، فأبوكما واحد ظاهراً لا غير، وليس للإسم الباطن هنا حكم، فإن الباطن يمنع أن تكونا أخوين لأب واحد وأم واحدة، فإن المزاج الواحد لا يجمع اثنين في الكون، والتجلي لا يكون عنه اثنان فإن الأمر أوسع من ذلك، فكل واحد له واحد من أم وأب فالطبيعة لا تلد توأمين، والوالد لا يلقى في كل نكاح ماءين، كما لا يكون في العالم لواحد في زمن واحد شأنان، وكل من ثناك وجوده، وانفعل لك فيما تريده، وكنت فيه خلاقاً، وإليه إذا غاب عنك مشتاقاً، وجمعتكما الرحمة الواحدة والمودة الثابتة، وسكنت إليه وسكن إليك، وأعطاك من نفسه التحكم فيه، وظهر فيه اقتدارك فهو زوجك تحبه طبعاً وتتحد به ويكون ملكاً لك شرعاً، وكل ما تعتضد به في أمورك من الأسماء الإلهية والتجلي والكون من أرواح قدسية وعقول ندسية، تؤيدك في الشدائد، وتأتيك بالتحف والزوائد، فهو عشيرتك وكل من تميل إليه فيميل إليك لميلك، ويحضره ديوان نيلك، ويقف عند فعلك فيه وقولك، ويتحكم فيه سلطان طولك، وتصل

Marfat.com

في اقتنائه نهارك بليلك، فذلك هو مالك الذي اقترفته من الأموال الظاهرة والباطنة والمعنوية والمحسوسة من ثابت كالعقار، ومن غير ثابت كالعروض والدرهم والدينار، وكل منقول لا يقرّبه قرار، فالثابت كالمقام وغير الثابت كالحال، وكله مال لأنه مال وإليه المآل، بعد الرحلة عنه والانفصال، ولكن إذا آل إليه أمرك رأيته في غير الصورة التي عليها فارقته، وكل أمر تطلب الخروج عنه ليكون ذلك الخروج سبباً لتحصيل ما يكون عندك أنفس منه فتطلب به النفاق في الأسواق، ويقوم لك فيه الجمع بين التلاق والفراق، والنكاح والطلاق، ظاهراً أو باطناً فذلك التجارة التي تخشى كسادها، وتخاف فسادها، فاستبطنت مهادها، واستوطأت قتادها، وأعددت لها إعدادها، وحصلت لها إن كنت تأجر سفر زادها، لتنجيك من عذاب أليم، وتوفيك الربح والحق الجسيم، وكل من اتخذته محلاً، وكنت به محلى، وجعلته حرماً لك وحلاً، فذلك مسكنك الذي ترضاه، ومنزلك الذي تقصده وتتوخاه، فقال لك الحق فيما أنزله إليك، ووفد به رسوله الأمين عليك، إذا لم تروجه الحق في كل ما ذكرته، وتعشقت به لعينه، وتعرف أنه من عنده ما هو عينه، وآثرته مع هذا الحجاب على ما دعاك الحق إليه من الزهد فيه، إذا فقدت فيه وجه الحق، فتعلم أن الله ما أراد منك إلا أن تعرفه فيما أمرك بالزهد فيه والرغبة عنه وأحببته حب عين وصورة كون وكان أحب إليك من الله الجامع للرغبة فيه والرغبة عنه فإنه المعطي المانع، والضار النافع، وأحب إليك من رسوله الوافد عليك المعرف بما هو حجاب عن المقصود، وستر بين العابد والمعبود، مع علمك بما أعلمك أنه ما خلقك إلا لتعبده، وتؤثره على ما تراه فيه وتقصده، وأحب إليك من جهادك في سبيل الله الذي يجمع لك بين الحياتين فلا تعرف للموت طعماً، ولا للحصر حكماً، فتربصوا كلمة تهديد ووعيد، حتى يأتي الله بأمره، فتعرف عند ذلك خيره من شرّه، وحلوه من مرّه، وتذوق شهده من صبره، ثم نصح في الإنزال على لسان الإرسال بالفرار إلى الله من هذه الحجب والتدبر لما جاءت به من عند الله الصحف والكتب مع إرخاء الطنب لتخلو بالمقصورات في الخيام، وتفتض أبكاراً لم يطمثهن إنس قبلك ولا جان، فتحصل من المعارف في تلك العوارف، ما لا يصفه واصف، ولا يتمكن أن يقف عنده واقف، لورود ما هو أعلى وأنفس من كل محل أقدس، وإن كان الفكر والتجلي في عدم الإحاطة بالمدرك بهما سيان، وهما من هذا الوجه مثلان فبينهما فرقان بين لا خفاء به إن صاحب الفكر يحكم عليه في محصوله الدخل، وتتمكن منه الشبه، وتزلزله عما كان بالأمس يعتمد عليه، ويركن إليه، والتجلي للعارف ليس كذلك بل هو في نعيم متجدد،

Marfat.com

وفي شهود لخلق جديد ما هو منه في لبس، وهو الجامع في الالتذاذ بين اليوم والأمس، فلا يزال في لذة موجودة لصورة إلّهية مشهودة لا يعطيه الفناء عن جميع لذاته لأنها من لذاته وجدت لوجوده، فاجتمعا في شهوده، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السابع عشر وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:

﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾ وهذا ذكر الاضطرار والفرج بعد الشدة

إن أرض اللّـــــه واسعـــــة ... فشقـــى مـــن تضيـــق عليـــه
سبـب الضيـق الخـلاف فكـن ... معـــه إنّ الــرجــوع إليـــه
مــن يقـــف ولا يخـــالفـــه ... يقـف التحقيـق بيـن يـديـه
ثـــم يعطيـــه لتـــوبتـــه ... كـل مـا فـي علمـه ولـديـه
فـــإذا أفنـــى حقيقتـــه ... جـبّاءه المطلـوب فـي علميـه
عنـد جمـع حيـن جـاء لهـا ... ليكـون الحكـم مـن حكميـه
كـل مـا فـي الكـون مـن ولـد ... مـا لنـا منهـم سـوى ولـديـه
فـأخ بـالشـرع فثبتـه ... لأخ بـالكشـف مـن أبـويـه

قال الله تعالى: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ فلو كان واحد ما ضاقت عليه الأرض لأن الضيق إنما يقع بالشريك، ولهذا لا يغفر الله أن يشرك به فإنه يخرج عنه ما هو له، ولذلك أغضب المشرك الحق غضباً أورثه ذلك الغضب مكاناً ضيقاً لما في الغضب من الضيق، فحصل له مع أمثاله من المشركين كونهم مقرّنين في الأصفاد، فليس اتساع الأرض إلا لمن انفرد بها، فلما انقسمت بين ثلاثة قسمة مشاعة ضاق الفضاء الرحب، ولولا وجود الفردية في الثلاثة لهلكوا فما نجاهم إلا ما في الثلاثة من الأحدية الواردة على الاثنين، وأما لو كانوا أربعة أو اثنين ما نجوا ولا تاب الله عليهم، فإن الله وتر يحب الوتر، والثلاثة وتر فأبقى عليهم من المحبة ما تاب بها عليهم، وإذا رحم الله الشفع إنما يرحمه بآحاده فيخلو به واحداً

Marfat.com

واحداً على انفراده حتى لا ينال رحمته إلا الواحد، فما يرحم الله عباده شفعاً وإنما يرحمهم إما في الفردية أو في الأحدية غير ذلك لا يكون وبعد ذلك يفعل ما يريد.

وإنما وقع الكلام على الواقع، فما تكثر الأعداد ولا تظهر إلا بآحادها، فلو زالت الآحاد منها لما كان في العالم شفع ولا عدد، ولهذا لم يتكرّر تجل قط على شخص ولا في شخصين، فلولا ما قال ثلاثة ما صح لهم ذوق الضيق في الاتساع لما في الثلاثة من الشفعية، ولما صح لهم ذوق الاتساع بالرحمة بالتوبة لما في الثلاثة من الأحدية التي بها كانت فرداً وهي أوّل الأفراد فلها الأولية فهي أقرب إلى الأحدية فأسرعت الرحمة إليهم، فلو كانوا خمسة لكانوا أبعد من الأحدية وأكثر ضيقاً لتضاعف الشفعية، وهكذا الأمر طلعت الأفراد ما طلعت وهو الذي ينفي كثرة المدة في النار في العذاب لأهلها حتى يقطعوا كل شفع يكون في فرديتهم انتهوا إلى ما انتهوا إليه، فغاية إقامتهم في العذاب ثمانية وتسعون دهراً، ثم يتولاهم الاسم الرحمن بعد ذلك وهم نازلون في الشقاء من ثمانية وتسعين إلى اثنين بعدد كل شفع بينها، وفي كل فردية رحمة تكون لمن له حظ فيها في هذه الدار فيفتر عنه بقدر ذلك، وأما أهل الشفع فلا يفتر عنهم العذاب وهم فيه مبلسون إلى الغاية التي ذكر الله من شفعية وهي الثمانية والتسعون.

فالوتر الذي يكون بعد الشفع هو الذي يأخذ بثأر الوتر الذي قبله إذ شفعه من ظهر بين الوترين كالثالث بين الاثنين والرابع فيأخذ بثأر الواحد الذي شفعته الإثنان وكالخامس بين الأربعة، والستة يأخذ بثار الثالث الذي شفعته الأربعة لينتقم له، فإن الوتر في اللسان الذي جاءت به هذه الشريعة المحمدية هو طلب الثار، وهكذا حكم كل فرد حتى تنتهي إلى تسعة وتسعين، فإذا وقف الأمر هناك وانحصر في الاسم الرحمن تولاه الله بالإسم الأعظم لأن به تمام المائة، فعمّ درجات الجنة ودركات النار، ولم يتوله الإسم الأعظم المتممّ إلا من الاسم الرحمن فهو حاجب الحجاب، فليس له منازع بين يدي الاسم الأعظم، فيؤول الأمر إلى شمول الرحمة في الدّارين لساكنيهما وما قال من المشركين: ﴿ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى﴾ إلا من كان في مقام الفردية منهم، فإذا قالها صاحب الشفعية فإنما ذلك لحصره بين الواحد الذي شفعه بوجود معبوده، والواحد الذي يفرد هذا الشفع في استقباله، فمن أي وجهة رد إليها وجهه هذا الشفع لم ير إلا واحداً فنظر إلى نفسه فلم ير إلا أحديته فقال عند ذلك: ﴿ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى﴾ فصدرت هذه الكلمة من كل مشرك شفعاً كان أو وتراً للشريك الذي نصبه.

Marfat.com

وأما من قال: ﴿إن الله هو المسيح﴾ أو قال: ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ فليس في الظاهر بمشرك وإنما دخل عليه الشرك بالإسم ولذلك قال الله لنبيه عليه السلام: ﴿قل سموهم﴾ فإنهم إذا سموهم عرفوا بالإسم من هو المسمى فقال هؤلاء: ﴿إن الله هو المسيح﴾ وليس المسيح من أسمائه إذ كان له هذا الإسم قبل أن يدعى فيه أنه الله فأشركوا من حيث الاسم وأشرك فرعون من حيث خالف عقده قوله فبهذا كانوا مشركين، ثم ينتج له هذا الذكر أمراً عجيباً على الأوج مخبوءاً في الدرج مرقوماً في طيّ الدرج إذ سماهم الله مخلفين، فإن كل مفارق أهله فالله خليفته في ذلك الأهل سواء استخلفه أم لم يستخلفه، فكل من يقوم في أهله بعده فإنما ذلك نائب الله لا نائبه، فهؤلاء الثلاثة الذين خلفوا ما خلفهم الاسم الظاهر فإن الشرع دعاهم إلى الخروج ولكن الله ثبطهم، فمنهم من كره الله انبعاثه فثبطهم، ومنهم من ثبطه لا عن كره فقاموا في أهليهم مقام حق فجعلهم الله خلفاً في أهليهم عنه من الإسم الباطن على كره منهم، فكان من أمرهم ما كان فتاب الله عليهم فتفاضلت توبتهم فكان منهم الكاذب في عذره فقبله منهم الكرم الإلهي، وكان منهم الصادق وهو في الدار الدنيا فأذاقه الله مرارة الصدق هنا ليعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، فإن الدنيا دار بلاء، ورحم الله الجميع ورجع عليهم بالرحمة، ولكن على التفاضل فيها وما فعل ذلك وأخبرنا به إلا لنكون بتلك الصفة الإلهية مع عباده في معاملتهم إيانا، فمن صدقنا رأينا له منزلة صدقه، ومن كذب لنا لم نفضحه وتغاضينا عن كذبه وأظهرنا له قبول قوله لأن قوله وجود فقبلناه ومدلوله عدم فلم نجد من يقبل فبقينا على البراءة الأصلية فإن المعدوم ليس بمنازع، فمن كان هذا ذكره ولم يكن له هذا الخلق فما ذكره هذا الذكر قط، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثامن عشر وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:
﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العليّ الكبير﴾

جـزاء مـن أصعـق فـي حـالـه ... جـزاؤه الجهـل بمـن أصعقـه
لـو أنـه يثبـت فـي حـالـه ... مـا استفهـم الكـون الـذي حققـه
وهـو الـذي قيـده وحيـه ... وهـو الـذي مـن قيـده أطلقـه

Marfat.com

مـا أنـور السـرّ الـذي قـد أتـى | منـه إلـى القلـب ومـا أشـرقـه
وهـو علـى مقـداره محكـم | لا زائـد يـدريـه مـن طبقـه

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أن الملائكة أرواح في أنوار وأنها أولو أجنحة، فإذا تكلم الله بالوحي على صورة خاصة وتعلقت به أسماعهم كأنه سلسلة على صفوان ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لهذا التشبيه فتصعق حتى إذا فزع الله عن قلوبهم وهو إفاقتهم من صعقهم قالوا: ماذا يقول بعضهم لبعض؟ فيقول بعضهم: ربكم إعلاماً بأن كلامه عين ذاته، فيقول بعضهم لهذا القائل: الحق أي الحق بقول وهو العليّ الكبير عن هذا التشبيه ولكن هكذا نسمع.

فمـن السمـع أتينـا | فهـو منـا وهـو فينـا
أورث القلـب بمـا | أوحـى بـه داء دفينـا
لـم يكـن ذلـك منـه | بـل مـن الفهـم دهينـا
وكـذا كـل سميـع | مـن جميـع المـؤمنينـا
فـإذا صيـر ليثـاً | نفسـه كنـت عـرينـا
لـم يسعـه غيـر قلبـي | هكـذا جـاء يقينـا
كـل صـورة تجلـى | لـي بهـا حينـاً فحينـا
فـأنـا أظهـر فيهـا | عنـدكـم صبحـاً مبينـاً
وهـو الغنـيّ حقـاً | عـن جميـع العـالمينـا
فـإذا رأيـت نفسـي | لـم أرى إلاّ المتينـا
لا يـرى بـاسـم سـواه | فـي عيـون النـاظـرينـا

ومن علم أن للملائكة قلوباً أو علم القلوب ما هي علم أن الله تعالى ما أسمعهم في الوحي الذي أصعقهم إلا ما يناسب من الوحي ﴿كل يوم هو في شأن﴾ ﴿ويقلب الله الليل والنهار﴾ فمن فزع الله عن قلبه رأى حقيقة انقلابه في الصور وتحوّله فيها، فعلم أن العالم كله في كل نفس في تحوّل وانقلاب، فعلم من ذلك أن ذلك للشؤون التي هو الحق فيها، فهو المحول القلب في الليل والنهار بما يقلبها، وفي السماء بما يوحي فيها، وفي الأرض بما يقدر فيها، وفيما بينهما بما ينزل فيه وفينا بما نكون عليه وهو معنا أينما كنا، فنتحوّل لتحوّله ونتقلب لتقلبه، فإن من أسمائه الدهر ونستغني به لغناه، وأما علمنا بتفاضل بعض

Marfat.com

الملائكة في العلم بالله على بعض فلما ورد في هذا الذكر من الاستفهام في قول من قال منهم ماذا وهو قولهم: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ في العلم بالله، وأما رفع التهمة عنهم فيما بينهم وتصديق بعضهم بعضاً، وانصباغ بعضهم بما عند بعض مما يكون عليه ذلك البعض من صورة العلم بالله فيفيد بعضهم بعضاً، فمن قوله عنهم قالوا الحق ابتداء ولم ينازعوا عندما قال لهم المسؤول ربكم ثم أقيموا في ﴿ليس كمثله شيء﴾ فلم يروه إلا في الهوية وهي ما غاب عنهم من الحق في عين ما تجلى، وتلك الهوية هي روح صورة ما تجلى فنسبوا إليها أعني إلى الهوية من ﴿ليس كمثله شيء﴾ العلوّ عن التقييد والكبرياء عن الحصر فقالوا بل قال عن نفسه وهو المعلوم عندنا الذي أعطاه الكشف عند قولهم: ﴿ماذا قال ربكم قالوا الحق﴾ إلى هنا انتهى كلام الملائكة. فقال الله وهو العليّ الكبير كما قال لنا: ﴿ليس كمثله شيء﴾ فقدم ما أخر في خطاب الملائكة ﴿وهو السميع البصير﴾ فأخر عندنا ما قدم في خطاب الملائكة، فنهاية ما خاطب به الملائكة بدايتنا وبداية ما خاطبنا به وعرفنا من قول الملائكة فيه نهايتنا:

قلنـــا مثـــل مـــا لهـــم ... ولهـــم مثـــل مـــا لنـــا
فـــانظـــروا فـــي كـــلامـــه ... تجـــــــدوه مبينــــــا
فبـــه قـــد أســـرّنـــا ... وبـــه الحـــق أعلنـــا
فـــإذا لـــم تكـــن عليمـــا ... بـــه كنـــت مـــؤمنـــا
وإذا مـــــا علمتـــــه ... لـــم تـــزل عـــالمـــاً بنـــا

فلما شرك الله بيننا وبين ملائكته في العجز عن معرفته زدنا عليهم بالصورة ولحقناهم في الظاهر بما يظهر به من الصور في النشأة الآخرة في ظواهرنا، كما نظهر بها اليوم في بواطننا فنكون على نشأتهم في الآخرة، وليست للملائكة آخرة فإنهم لا يموتون فيبعثون ولكن صعق وإفاقة، وهو حال لا يزال عليه الممكن في التجلي الإجمالي دنيا وآخرة، والإجمال هناك في الملائكة عين المتشابه عندنا، ولهذا يسمعون الوحي كأنه سلسلة على صفوان، فعند الإفاقة يقع التفصيل الذي هو نظير المحكم فينا، فالأمر فينا وفيهم بين آيات متشابهات وآيات محكمات، فعمّ الابتلاء والفتنة بالإجمال والمتشابه الملأين: الملأ الأعلى والملأ الأنزل، فمثل هذا العلم ينتجه هذا الذكر، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب التاسع عشر وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾

إذا دعيت أجب فالله يدعوكا ... فإنه ما دعا إلا ويعطيكا
أنت الغنيّ فجد مما أتاك به ... ما وافق الحق فالرحمن يتلوكا
وكل شيء خلاف الحق فارم به ... في الاعتبار فإن الفكر ناديكا
ولا تقل ليس من ربي فتتركه ... إن العليم بوجه الأمر يأتيكا
فخذه واسبره بالمسبار تعلمه ... فإنه كل ما في كونه فيكا
لا ترمين بشيء أنت تجهله ... ولا بكل خطاب لا يؤاتيكا
إن الإله له مكر بطائفة ... من خلقه فتحقق في معانيكا
ولا تقولنّ هذا ليس يدخل في ... ميزان عقل فجاريه يجاريكا

اعلم أيدنا الله وإياك بروح القدس أنه ما في القرآن دليل أدل على أن الإنسان الكامل مخلوق على الصورة من هذا الذكر لدخول اللام في قوله: وللرسول، وفي أمره تعالى لمن آيه به من المؤمنين بالإجابة لدعوة الله تعالى ولدعوة الرسول، فإن الله ورسوله ما يدعونا إلا لما يحيينا به، فلتكن منا الإجابة على كل حال إذا دعانا فإنه ما نكون في حال إلا منه، فلا بدّ أن نجيبه إذا دعانا فإنه الذي يقيمنا في أحوالنا، وإنما فصل هنا بين دعوة الله ودعوة الرسول لنتحقق من ذلك صورة الحق التي رسول الله ﷺ عليها وهو الداعي في الحالتين إيانا، فإذا دعانا بالقرآن كان مبلغاً وترجماناً وكان الدعاء دعاء الله فلتكن إجابتنا لله والأسماع للرسول، وإذا دعانا بغير القرآن كان الدعاء دعاء الرسول ﷺ فلتكن إجابتنا للرسول ﷺ، ولا فرق بين الدعاءين في إجابتنا، وأن تميز كل دعاء عن الآخر بتميز الداعي، فإن رسول الله ﷺ يقول في الحديث: «**لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الخبر عني فيقول: اتل عليّ به قرآناً إنه والله لمثل القرآن أو أكثر**» فقوله أو أكثر مثل ما قال أبو يزيد: بطشي أشد، فإن كلام الله سواء سمعناه من الله أو من الرسول هو كلام الله، فإذا قال الله على لسان عبده: ما يبلغه

Marfat.com

الرسول فإنه لا ينطق عن الهوى فإنه أكثر بلا شك لأنا ما سمعناه إلا من عين الكثرة وهو من الرسول أقرب مناسبة لأسماعنا للتشاكل، كما هو من الله أقرب مناسبة لحقائقنا، فإن الله أقرب إلينا من الرسول لا بل أقرب إلينا منا فإنه ﴿أقرب إلينا من حبل الوريد﴾ وغاية قرب الرسول في الظاهر المجاورة بحيث أن لا يكون بيننا مكان يكون فيه شخص ثالث فيتميز في الرسول بالمكان وبما بلغ بالمكانة، ونتميز عن الله بالمكانة فإنه أقرب إلينا منا ولا أقرب إلى الشيء من نفسه، فهو قرب نؤمن به ولا نعرفه بل ولا نشهده، إذ لو شهدناه عرفناه، فإذا دعانا الله منا فلنجبه به لا بد من ذلك، وإذا دعانا بالرسول منا فلنجبه بالله لا به فنحن في الدعاءين به، وله وللرسول، ولينظر المدعوّ فيما دعي به فإن وجد حياة علمية زائدة على ما عنده يحيا بها في نفس الدعاء وجبت الأجابة لمن دعاه الله أو دعاه الرسول، فإن ما أمر بالإجابة إلا إذا دعاه لما ما يحييه، وما يدعوه الله ورسوله لشيء إلا يحييه، فلو لم يجد طعم الحياة الغريبة الزائدة لم يدرِ من دعاه، وليس المطلوب لنا إلا حصول ما نحيى به ولهذا سمعنا وأطعنا، فلا بد من الإحساس لهذا المدعو بهذا الأثر الذي تتعين الإجابة له به، فإذا أجاب من هذه صفته حصلت له فيما يسمعه حياة أخرى يحيى بها قلب هذا السامع، فإن اقتضى ما سمعه منه عملاً وعمل به كانت له حياة ثالثة، فانظر ما يحرم العبد إذا لم يسمع دعاء الله ولا دعاء الرسول والوجود كله كلمات الله، والواردات كلها رسل من عند الله، هكذا يجدها العارفون بالله، فكل قائل عندهم فليس إلا الله، وكل قول علم إلهي، وما بقيت الصيغة إلا في صورة السماع من ذلك، فإنه ثم قول امتثال شرعاً وقول ابتلاء فما بقي إلا الفهم الذي به يقع التفاضل، فاقتصر علماء الرسوم على كلام الله المعين المسمى فرقاناً وقرآناً، وعلى الرسول المعين المسمى محمد ﷺ، والعارفون عمموا السمع في كل كلام فسمعوا القرآن قرآناً لا فرقاناً، وعمموا الرسالة فالألف واللام التي في قوله وللرسول عندهم للجنس والشمول لا للعهد، فكل داعٍ في العالم فهو رسول من الله باطناً ويفترقون في الظاهر، ألا ترى إبليس وهو أبعد البعداء عن نسبة التقريب وكذلك الساحر بعده كيف شهد لهم بالرسالة وإن لم يقع التصريح فقال في السحرة ﴿وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾ ولا معنى للرسالة إلا أن يكون حكمها هذا وهو إذن الله، وقال في إبليس في إثبات رسالتها: ﴿اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً﴾.

ثم عرفنا الله سبحانه ما أرسله به فقال: ﴿واستفز زمن استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم﴾ وهذه الأحوال كلها عين ما

Marfat.com

جاءت به الكمل من الرسل عليهم السلام الذين أعطوا السيف، فسعد العارف بتلقي رسالة الشيطان ويعرف كيف يتلقاها ويشقى بها آخرون وهم القوم الذين ما لهم هذه المعرفة، ويسعد المؤمنون كلهم والعارفون معهم بتلقي رسالة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، ويكون العامل بما جاء في تلك الرسالة أسعد من المؤمن الذي يؤمن بها عقداً وقولاً، ويعصى فعلاً وقولاً، فكل متحرك في العالم منتقل فهو رسول إلهي كان المتحرك ما كان، فإنه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه سبحانه، فالعارف ينظر إلى ما جاءت به في تحركها فيستفيد بذلك علماً لم يكن عنده، ولكن يختلف الأخذ من العارفين من هؤلاء الرسل لاختلاف الرسل، فليس أخذهم من الرسل أصحاب الدلالات سلام الله عليهم كأخذهم من الرسل الذين هم عن الإذن من حيث لا يشعرون، ومن شعر منهم وعلم ما يدعو إليه كإبليس إذا قال لصاحبه اكفر فيتلقاه منه العارف تلقياً إلّهياً فينظر إلى ما أمره الحق به من الستر فيستره، ويكون هذا الرسول الشيطان المطرود عن الله منبهاً عن الله، فيسعد هذا العارف بما يستره وهو غير مقصود الشيطان الذي أوحى إليه والذي هو غير العارف يكفر بالذي يقول له اكفر، فإذا كفر يقول له الشيطان: ﴿إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين﴾ فشهد الله للشيطان بالخوف من الله رب العالمين في دار التكليف وبالإيمان به، فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها لأنها موطنهما الواحد خلق منها وهو الشيطان والآخر خلق لها وإن كان فيه منها فسكناها بحكم الأهلية وعذباً فيها بحكم الجريمة ما شاء الله، فالعالم كله عند العارف رسول من الله إليه وهو ورسالته أعني العالم في حق هذا العارف رحمة، لأن الرسل ما بعثوا إلا رحمة، ولو بعثوا بالبلاء لكان في طيه رحمة إلّهية لأن الرحمة الإلّهية وسعت كل شيء فما ثم شيء لا يكون في هذه الرحمة ﴿إن ربك واسع المغفرة﴾ فلا تحجر واسعاً فإنه لا يقبل التحجير، قال بعض الأعراب: يا رب ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً والنبي ﷺ يسمعه فقال النبي ﷺ: يا هذا لقد حجرت واسعاً يعني حجرته قولاً وطلبة، فإذا كان عند العارف مثل هذا كلام الله يأخذه في الرحمة الخاصة التي يناسب الله بها بين هذا القائل وبين محمد ﷺ فشرك الرسول هذا الأعرابي في الرحمة التي يرحمه الله بها غيره فإن الغير ما له تلك المناسبة الخاصة، فإن الرسول له مناسبة بكل واحد واحد من الأمة التي بعث إليها فآمنت به فهو مع كل مؤمن من أمته بمناسبة خاصة يعينها ذلك المؤمن، فإن المتبوع في نفسه لكل تابع إياه منزلة يتميز بها عنده عن غيره، وهذا القدر كافٍ في هذا الذكر، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الموفى عشرين وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿إنما يستجيب الذين يسمعون﴾

إنـي أغـار علـى قلبـي فـأسـألـه ... أن لا يـزاحمـه خلـق مـن البشـر
فيـه فـإن لنـا قلبـاً يهيـم بـه ... فـي كـل حـال مـن التنـزيـه والصـور
لمـا سمعـت نـداء الحـق مـن قبلـي ... أجبتـه حـذراً مـن حـاكـم الغيـر
فقلـت مـاذا فقـال الحـق قلـت لـه ... مـاذا تـريـد فقـال احـذر مـن الحـذر
فعشت في طيب نفس حيث كنت فما ... أخـاف مـن وقـع آفـات ولا ضـرر

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أن هذا الذكر لما وفقنا الله تعالى لاستعماله بإشبيلية من بلاد الأندلس سنة ست وثمانين وخمسمائة بقينا فيه ثلاثة أيام فرأينا له بركة في تلك الأيام وكتابه ثلاثة: أنا وعبد الله النزهوني قاضي شرف وكان عبداً صالحاً ضابطاً فقيهاً، وشخصاً ثالثاً من أهل البلد، فجعل علة الإجابة السماع لا من قال أنه سمع وهو لم يسمع كما قال تعالى ينهانا أن نكون مثل هؤلاء فقال: ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾ فالسمع في هذا الذكر هو عين العقل لما أدركته الأذن يسمعها من الذي جاء به المترجم عن الله تعالى وهو الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، فإذا علم ما سمع كان بحسب ما علم فإن العلم حاكم قاهر في حكمه لا بد من ذلك، وإن لم يكن كذلك فليس بعلم، فما عصى الله قط عالم يعلم بالمؤاخذة على اتيانه المعصية، ولا بد من العلم بكونها معصية في الحكم الإلهي وذلك حظ المؤمن وليس إلا رجلان: قائل بإنفاذ الوعيد فيمن مات على غير توبة، وقائل بغير إنفاذ الوعيد فيمن مات على غير توبة، بل هو في مشيئة الله إن شاء غفر وإن شاء آخذ، وما ثم مؤمن ثالث لهذين، وكلاهما ليس بعالم بالمؤاخذة في حق شخص حي ما لم يمت، فإن القائل بإنفاذ الوعيد يقول بإنفاذه فيمن مات ولم يتب وهو يرجو التوبة ما لم يمت، فليس بعالم بالمؤاخذة على هذه المعصية فإنه لا يعلم أنه يموت على توبة أو على غير توبة، والذي لا يقول بإنفاذ الوعيد لا يعلم ما في مشيئة الحق، فما عصى إلا من

Marfat.com

ليس بعالم بالمؤاخذة، وأما من كشف له عن المقدور قبل وقوعه فقد علم ما له وعليه، ومن له هذا الحال وهذا المقام فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وقد كان ممن سمع قول الله له إيماناً أو عياناً: اعمل ما شئت فقد غفرت لك وهذا ثابت شرعاً.

وهنا سر لمن بحث عليه وهو أنه من هذه حالته، فما عصى الله لأنه ما عمل إلا ما أبيح له من العمل، والثاني المغفور له فقد سبقت المغفرة ذنبه فما أبصر ذنبه إلا ممحوّاً بخير عظيم يقابل ذلك الذنب، فعلى كل حال وإن جرى عليه لسان ذنب ومعصية فما جرى عليه حكم ذلك، وليس المعتبر إلا جريان الحكم على فاعل تلك المعصية، فما عصى الله عالم بالمؤاخذة، وقد دعانا الله لما خلقنا له من عبادته فسمعنا ولما سمعنا استجبنا، فأخبر الله عنه بسرعة الإجابة لما ذكرها ببنية الاستفعال، وفي هذا الذكر شمول رحمة الله بخلقه، فأخبر أنه ما استجاب إلا من سمع فوجد العذر من لم يسمع كما وجد العذر من لم تبلغه الدعوة الإلهية، فحكمه حكم ممن لم يبعث الله إليه رسولاً وهو تعالى يقول: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ وما هو رسول لمن أرسل إليه حتى يؤدي رسالته فإذا سمع المرسل إليه أجاب ولا بد كما أخبر الله تعالى عنه لما جاء به هذا الرسول في رسالته، فإذا رأينا من لم يجب علمنا بأخبار الله أنه ما سمع فأقام الله له حجة يحتج بها يوم يجمع الله الرسل فيقول: ماذا أجبتم؟ فتقول الرسل عليهم السلام: لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب، فعلمنا من قولهم أن العلم بالإجابة من علوم الغيب، فعلمنا أن السماع غيب، فلا يعلم من أجاب إلا من هو هويته غيب وليس إلا الله وما أقام الله العذر عن عباده إلا وفي نفسه أن يرحمهم، فرحم بعض الناس بما أسمعهم فاستجابوا لربهم وأقاموا الصلاة التي حكم الله فيها بالقسمة بينه وبين عبده، ومن لم يستجب اعتذر الله عنه بأنه لم يسمع، وهذا من حكم الغيرة الإلهية عن الألوهة أن يقاومها أحد من عبادها بخلاف ما دعت إليه، إذ لو علم أنهم سمعوا وما استجابوا لعظمهم في أعين الناس وجعلهم في مقام المقارمة له، يعني لما علم السابق علمه فيهم أنه لو أسمعهم لتولوا وهم معرضون فستر علمه فيهم بأن قال: ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾ وقال: ﴿لو شاء الله لأسمعهم﴾ فأكذبهم في قولهم سمعنا فقال: ﴿إنما يستجيب الذين يسمعون﴾ فلو سمعوا استجابوا فإن الله أعز وأجل من أن يقاومه مخلوق.

ألا تراه يقول في حق من سمع من النصارى: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول﴾

Marfat.com

فوصفهم بأنهم يسمعون، ثم ذكر ما كان منهم حين سمعوا فقال: ﴿ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾ فأخبر أنهم آمنوا وأخبر أنه تعالى أثابهم على إيمانهم بما ذكر في الآيات، فلا تقل فيمن لم يجب أنه سمع فتخالف الله فيما أخبر عنهم. وقد أخبر الله تعالى عنهم أن بهم صمماً، وأخبر عنهم أنهم قالوا في آذاننا وقر، فطابق قولهم في آذاننا وقر قول الله أنهم صم فلم يسمعوا فلم يرجعوا فإنهم لم يعقلوا ما سمعته آذانهم، وما سمع من سمع منهم إلا دعاء ونداء وهو قوله: يا فلان وما سمع أكثر من ذلك، فما أعظم رحمة الله بعباده وهم لا يشعرون، بل رأيت جماعة ممن ينازعون في اتساع رحمة الله وأنها مقصورة على طائفة خاصة فحجروا وضيقوا ما وسع الله، فلو أن الله لا يرحم أحداً من خلقه لحرم رحمته من يقول بهذا، ولكن أبى الله إلا شمول الرحمة، فمنا من يأخذها بطريق الوجوب وهم الذين يتقون ويؤتون الزكاة الذين يؤمنون ويتبعون الرسول النبيّ الأميّ، ومنا من يأخذها بطريق الامتنان من عين المنة والفضل الإلهي.

ووالله ما أنا بحمد الله ممن يحب التشفي والانتقام من عباد الله، بل خلقني الله رحمة وجعلني وارث رحمة لمن قيل له: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ وما خص مؤمناً من غيره وتحقق ذلك في وضع الجزية على أهل الكتاب، وما كان السبب في إنزال هذه الآية إلا دعاءه بالمؤاخذة الإلهية على المشركين من رعل وذكوان وعصية، وإذا كان هذا عتبه لرسوله ﷺ في حق المشرك الذي أخبر أنه لا يغفر له فكيف الأمر في غير المشرك وإن لم يؤمن؟ فافتح عين فهمك لما تقرؤه ﴿وقل ربِ زدني علماً﴾ وهو أن يزيدك في فهمك، فكلما كرّرت تلاوة زدت علماً لم يكن عندك، وكلما نظرت واعتبرت تزيد علماً، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الأحد والعشرون وخمسمائة

في معرفة قطب كان منزله:
﴿وتزوّدوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب﴾

اتقـــوا الله يـــا أولـــي الألبـــاب	مـــن علـــوم عـــلامهـــا فـــي تبـــاب
لا تفكـــر فـــي ذاتـــه فهـــو جهـــل	والتـــزم بمـــا تـــراه خلـــف البـــاب
مـــن نعـــوت تبـــدو بـــه وصفـــات	هـــنّ حجـــابهـــا وعيـــن الحجـــاب

Marfat.com

ما دری من يقول بالفكر فيها | أنها لا تنال بالألباب
فالذي قال أنه قد حواه | لم يزل منه تائهاً في إياب

اعلم وفقنا الله وإياك أن مثل هذا قوله: ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾ وهو الذي يواري من اللباس ما يستر ويمنع من الضرر وهو ما زاد على الريش، فالتقوى في اللباس وفي الزاد ما يقي به الرجل وجهه عن السؤال غير الله، وكذلك في اللباس ما يقي به الإنسان برد الهواء وحرّه ويكون ستراً لعورته وهو قوله: ﴿يواري سوآتكم﴾ وليس إلا ما يسوءكم ما بنظر إليه منكم هذا الذكر جاء بلفظ الزاد وورد الأمر به، فأعلمنا أنا قوم سفر نقطع المناهل بالأنفاس رحلة الشتاء والصيف لنطعم من جوع ونأمن من خوف، لأنه ما زاد على وقايتك فما هو لك وما ليس لك لا تحمل ثقله فتتعب به، وأقلّ التعب فيه حسابك على ما لا يحتاج إليه فلماذا تحاسب عليه؟ هذا لا يفعله عاقل ناصح لنفسه، فما ثم عاقل لأنه ما ثم إلا من يمسك الفضل ويمنع البذل والمسافر وماله على قلة، فإنه ما من منهلة يقطعها ولا مسافة إلا وقطاع الطريق على مدرجته من الجنة والناس. ويدخل في الجنة الخواطر النفسية فتقطع بهذا المسافر عن معالي الأمور وأصغر المسافات وأقربها أشقها عليها وهو ما بين النفسين، فمن كانت مسافاته أنفاسه كان في أشق سفر، لكنه إذا سلم عظمت أرباحه وأمن الخسارة في تجارته، فإنهم في سفر تجارة منجية من عذاب أليم بضائعهم الإيمان والجهاد، فالإيمان بضاعة تعم النفائس المضنون بها، والجهاد يعم ما جهزنا الله به من بضائع التكليف، والرسل عليهم السلام وهم السماسرة في البيع والشراء، والصحف والكتب المنزلة هي الوثائق المكتوبة بين البائع والمشتري، وأخبر الله تعالى أنه اشترى من المؤمنين أنفسهم يعني الأنفس الحيوانية هي التي اشتراها من النفوس الناطقة المكلفة بالإيمان وأموالهم وهو شرى البرنامج فالمشترى بالخيار عند حضور البضائع، فإن وافقت ما في البرنامج مضى البيع وصح الشراء، وإن لم يوافق فالمشترى بالخيار إن شاء وإن شاء، فإن هلك في سفره في الطريق كان في كيس البائع لا في كيس المشتري، وهذا السوق نفاق إلا أن الطريق خطر جداً لكثرة القطاع فيه، فقطاع طريق السفر في المعقولات الشبه، وقطاع طريق السفر في المشروعات التأويل ولا سيما في المتشابهات، ولا يخلوا المسافر أن يكون في هذين الطريقين أو في أحدهما، فمن لا تأويل له ولا شبهة فليس بمسافر بل هو في المنزل من أوّل قدم فيمرّ عليه المسافرون وهو ما يعرض الله عليه من أحوال عباده، فهو كتاجر الدكان تأتيه

Marfat.com

البضائع من كل جانب، كما هم أهل مكة تجبى إليهم ثمرات كل شيء رزقاً من لدنه سبحانه وأكثرهم لا يعلمون ذلك، فتاجر الدكان لا يحتاج إلى زاد لأنه يسافر إليه ولا يسافر، وليس إلا العارفون ترد عليهم الأنفاس ثم تخرج عنهم تلك الأنفاس فهي لهم كعرض المتاع على تاجر الدكان فيأخذ منها ما شاء ويترك ما شاء، لأن الأنفاس قد ترد على العارف بما هو محمود، وهي البضائع التي لا عيب فيها المثمنة خيار المتاع ونقاوته ومذموم وهي البضائع المعيبة التي نقص ما فيها من العيب ما كانت تستحقه من الثمن لو سلمت منه، وهي البضائع الوخش شرّ المتاع، فانظر أي تاجر تريد أن تكون.

ثم إن المسافرين من التجار الذين أمرهم الله بالزاد الذي لا يفضل عنهم بعد انقضاء سفرهم منه شيء بل يكون على قدر المسافة فهم على ثلاثة أصناف: صنف منهم يسافر براً، وآخر يسافر بحراً، وآخر يسافر براً وبحراً بحسب طريقه، فمسافر البحر بين عدوّين نفس الطريق وما فيه، ومسافر البرّ وعدوّ واحد، والجامع بينهما في سفره ذو ثلاثة أعداء، فمسافر البحر أهل النظر في المعقولات ومن النظر في المعقولات النظر في المشروعات، فهم بين عدوّ شبهة وهو عين البحر، وبين عدوّ تأويل وهو العدوّ الذي يقطع في البحر، ومسافر البرّ المقتصرون على الشرع خاصة وهم أهل الظاهر، والمسافر الجامع بين البرّ والبحر هم أهل الله المحققون من الصوفية أصحاب الجمع والوجود والشهود، وأعداؤهم ثلاثة: عدوّ برهم صور التجلي، وعدوّ بحرهم قصورهم على ما تجلى لهم أو تأويل ما تجلى لهم لا بد من ذلك، فمن سلم من حكم التجلي الصوري ومن القصور الذي يناقض المزيد ومن التأويل فيما تجلى لهم فقد سلم من الأعداء وحمد طريقه وربحت تجارته وكان من المهتدين، فهذا وأمثاله يعطيه هذا الذكر وهو ذكر الالتباس من أجل ذكر التقوى لما في ذلك من تخيل تقوى الله، ولهذا أبان الله عن تلك التقوى ما هي وفصل بينها وبين تقوى الله فقال في تمام الآية: ﴿واتقون يا أولي الألباب﴾ وجعل المجاور لهم في تقوى الله ليس عليكم جناح برفع الحرج والسؤال فيما تزودوه في سفرهم من التقوى فإنه فضل على تقوى الله فإن الأصل تقوى الله فقال: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ وهو التجارة مع علمك بأنه زاد التقوى، وهذا القدر كافٍ فإن المجال فيه واسع، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الثاني والعشرون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:
﴿والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾

إن القلوب مع الخيرات في وجل ... وإنها عند ما تلقاه في خجل
فيسرع العبد في مرضات سيده ... لكونه خلق الإنسان من عجل
فالطبع يسرع والأفكار تسعده ... فما يرى أبداً يمشي على مهل
إن السباق لمن شأن الرجال فمن ... أربى على أحد أربى على رجل

قال الله تعالى في الورثة: ﴿ومنهم سابق بالخيرات ذلك هو الفضل الكبير﴾ فالضمير من هو يعود على السبق الذي يدل عليه اسم الفاعل. اعلم أن السبب الموجب لوجلهم قول الله عنهم: ﴿الذين يؤتون﴾ وجعل هنا ما بمعنى الذي ثم جاء باتوا بعدما وكلامه صدق فأدركهم الوجل إذ قطعوا أنهم لا بد أن يقوم بهم الدعوى فيما جاؤوا به من طاعة الله، فيكشف الله لهم إذا خافوا ووجلوا من ذلك، وتبديل الله لفظة ما التي بمعنى الذي بلفظة ما النافية مثل قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ هكذا يكون كشفه هنا للوجل ما يؤتون الذي أتوا به ولكن الله أتى به فأقامهم مقام نفسه فيما جاؤوا به من الأعمال الصالحة، ثم نظروا في ذكرهم للتعليل وهو قوله تعالى: ﴿إنهم إلى ربهم راجعون﴾ فيما أنوابه مع كون الله وصفهم بأنهم الذي أتوا به، فانظر ما أدق نظرهم في السبب الذي جعل في قلوبهم الوجل، ثم تمموا الذكر كما علمهم الله أولئك إشارة إلى هؤلاء ﴿الذين يسارعون في الخيرات﴾ والإسراع لمن أتى هرولة فافهم، فهم يسارعون في الخيرات بالحق وهم لها سابقون أي يسبقونها ويسبقون إليها فالخيرات ثلاثة: خيرات يكون السباق والمسارعة فيها، وخيرات يكون السباق بها، وخيرات يكون السباق إليها وهي قوله: ﴿سابقوا إلى مغفرة﴾ و ﴿سارعوا إلى مغفرة﴾.

والسرعة في السباق لا بد منها لأن السباق يعطي ذلك وهو فوق السعي فإتيانهم

Marfat.com

بسرعة والزائد على السعي ما هو إلا هرولة وهي نعت إلهي، وإذا انفرد الحق بنعت كان له فما يأخذه العبد إلا معار الكون الحق لا يشارك في شيء أضافه إلى نفسه، وما لم يذكر بإضافة إلى الله فلك فيه التصرف إن شئت أضفته إلى الله تعالى وإن شئت أضفته إليك، فإن تقدم لك إضافة ذلك إلى الله حرم عليك أن تضيفه بعد ذلك إلى نفسك، فإن صورته في ذلك صورة ما أضافه الحق إلى نفسه، فسواء كان ذلك منه ابتداء أو قال ذلك على لسان عبده، فإن الله عند لسان كل قائل بما يقول كما هو قائم على كل نفس بما كسبت، فأنت الكتاب المشار إليه في قوله: ﴿ولدينا كتاب ينطق بالحق﴾ وأنت الناطق فإنه الفصل المقوّم لا في حدك وما أحسن قوله: ﴿وهم لا يظلمون﴾ حيث عرفنا بأننا الكتاب الذي ينطق بالحق وشرفنا بأنا لديه ﴿وما عند الله باقٍ﴾ فلنا البقاء بما نحن لديه على هذه الصفة التي وصفنا الله بها من النطق بالحق، فإنا بالله ننطق والله يقول على لسان عبده ما ينطقه به: ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾ وهو القائل: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ وقد وسعت الحق الذي ضاق عنه الأرض والسماء وهو سبحانه لا يثقله شيء وإنما نعته بالتكليف لأنه على كل حال محل جلال للحق به ينطق ويسمع ويبصر ويسعى ويبطش، فقبول الزائد تكليف والوسع في إعطاء كل شيء حقه:

فكــن بــه حتــى يكــن ... إن لــم تكــن فــلا يكــن
فــأنــت خــلاق لــه ... وأنــت مخلــوق بكــن
إن الحــديــث لــم يسـع ... إلا الحــديــث المستكــن
فمــا استكــانــوا للــذي ... قــال استكينــوا فــاستكــن
فلــلإلــه مــا سكــن ... وهــو لنــا نعــم السكــن

فالحمد لله على ما أولى، وله الحمد في الآخرة والأولى، والله يقول الحق وهو

Marfat.com

الباب الثالث والعشرون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وأما من خاف مقام ربه﴾

مقام الرب ليس له أمان ... يدل عليه ما يعطي العيان
فخفه لأنه خطر وفيه ... إذا ما خفته حالاً أمان
ونفسك فانهها عن كل أمر ... يضيق لهوله منك الجنان
فلا تعتب زماناً أنت فيه ... فأنت هو المعاتب والزمان
ولا تعمر مكاناً لست فيه ... فرب الدار ليس له مكان
فأنت كهو فأنت له جليس ... ومؤنسك التعطف والحنان
وفيها الخلد والحور الحسان ... لذاك يقال منزلنا الجنان

اعلم أيدنا الله وإياك أن المقام الإلهي الرباني ما وصف به نفسه ولما علمه ﷺ حين أعلمه لذلك استعاذ به منه فقال: وأعوذ بك منك أعلم أن كل مقام سيد عند كل عبد ذي اعتقاد إنما هو بحسب ما ينشئه في اعتقاده في نفسه، ولهذا قال الله مقام ربه فأضافه إليه وما أطلقه، وما تجد قط هذا الإسم الرب إلا مضافاً مقيداً لا يكون مطلقاً في كتاب الله فإنه رب بالوضع والرب من حيث دلالته أعني هذا الاسم هو الذي يعطي في أصل وضعه أن يسع كل اعتقاد يعتقد فيه ويظهر بصورته في نفس معتقده، فإذا كان العارف عارفاً حقيقة لم يتقيد بمعتقد دون معتقد، ولا انتقد اعتقاد أحد في ربه دون أحد لوقوفه مع العين الجامعة للاعتقادات، ثم أنه إذا وقف مع العين الجامعة للاعتقادات كلها فيه، فيخاف أن يكون هذا القدر الذي اعتقده واحد مثل كل ذي اعتقاد في الرب، فيتخيل أنه مع الرب وهو مع ربه لا مع الرب مع كونه بهذه المثابة في تسريحه وعدم تقييده وقوله به في كل صورة اعتقاد وإيمانه بذلك فلا يزال خائفاً حتى يأتيه البشرى في الحياة الدنيا بأن الأمر كما قال، فهذا حد إطلاق العبد في الاعتقاد، ولو لم يكن الحق له هذا السريان في الاعتقادات لكان بمعزل ولصدق القائلون بكثرة الأرباب: ﴿وقد قضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ في كل معتقد إذ هو عين كل معتقد.

Marfat.com

ثم نصب الله لهذا العارف دليلاً من نفسه بتحوّله في نفسه في كل صورة وقبوله في ذاته عند إنشاء كل صورة ينشها هذا المعتقد في قوله تعالى: ﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ نظر إشارة لا تفسير، فلولا قبولك عند تسويتك وتعديلك لكل صورة ما ثبت قوله: ﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ وقد صح وثبت هذا القول، فعلمنا أن له التجلي في صور الاعتقادات فلا ينكر، فكل من لم يعرف الله بهذه المعرفة فإنه يعبد رباً مقيداً منعزلاً عن أرباب كثيرة إذا اتصف نفسه لم يدرِ أي رب هو الرب الحقيقي في نفس الأمر من هؤلاء الأرباب الذي في نفس كل معتقد، ونهي النفس في هذا الذكر عن الهوى هو النهي عن تقييده بمعتقد خاص عن معتقد فإنه عابد هوى، ثم تمم الذكر في حق العارف الذي ﴿خاف مقام ربه﴾ كما قلنا ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾ كما شرحنا ﴿فإن الجنة هي المأوى﴾ يقول مقامه ستر هذا العلم بالله الذي حصل له فإنه مهما ظهر عليه كل صاحب اعتقاد مقيد أنكره عليه وجهله إن كان ذا نظر، وربما كفره إن كان ذا إيمان فلا يعرف ﴿من خاف مقام ربه﴾ إلا من خاف مقام ربه غيره فلا يعرفه.

فكـن فـي أمـان أن يقـول بقـولكـم   شخيص لـه فـي ربـه الحصـر والقيـد
فمـن يعتقـد فـي اللّه مـا قـد شـرحتـه   فـذاك هـو المكـر الإلهـي والكيـد
وكيـف يـرى التقييـد مـن هـو مطلـق   لـه البـدء فيمـا شـاءه الحـق والعـود

فإطلاق العبد قبوله لكل صورة يشاء الحق أن يظهر فيها فما ظنك بخالقه الذي له المشيئة فيه وهو سبحانه في تحوّله في الصور لذاته غير مشيء لذلك، فإن المشيئة متعلقها العد، وهو الوجود فلا يكون مشاء لمشيئته بل لم يزل في نفسه كما تجلى لعبده فمشيئته إنما تعلق ، بعبده أن يراه في تلك الصورة التي شاء الحق أن يراه فيها، فإذا رآها العبد التبس بها ورة الحق فيها وهو قوله من باب الإشارة ﴿في أي صورة﴾ من صور التحلي ﴿ما شاء رك ،﴾ هذا في باب المعارف والاعتقادات، وفي باب الخلق في أي صورة من صور الا ـوان ما شاء ركبك.

فخـف مقـام الـرب إن أضفتـه   ولا تخـف منـه إذا عـرفتـه
فـلا يخـاف الـرب غيـر مقيـد   أطلقتـه إن شئـت أو أضفتـه
فـإنـه عيـن الـذي تشهـده   فكـن بـه المـوصـوف إن وصفتـه
لا تقتصـر علـى الـذي أشهـدتـه   ولا تـزد فـي الكشـف إن كشفتـه

Marfat.com

فكـــن بـــه ولا تكـــن أيضـــاً بـــه ... فـــذا هـــو الإنصـــاف إن أنصفتـــه

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الرابع والعشرون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:
﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا﴾

ولـــو أن البحـــار لنـــا مـــداد ... وأشجـــار المهـــاد لنـــا يـــراع
وجاء صريفها في اللوح يسعى ... وحـــركنـــا لـــذلكـــم السمـــاع
لمـــا نفـــدت لـــه كلمـــات ربـــي ... وســاوى القاع في المجد اليفاع

قال الله عز وجل: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾ وقال تعالى: ﴿وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ ليست كلمات الله سوى صور الممكنات وهي لا تتناهى، وما لا يتناهى لا ينفد ولا يحصره الوجود، فمن حيث ثبوته لا ينفد فإن خزانة الثبوت لا تعطي الحصر فإنه ليس لاتساعها غاية تدرك، فكلما انتهيت في وهمك في اتساعها إلى غاية فهو من وراء تلك الغاية، ومن هذه الخزانة تظهر كلمات الله في الوجود على التتالي والتابع أشخاصاً بعد أشخاص، وكلمات أثر كلمات، كلما ظهرت أولاها أعقبتها بالوجود أخراها، والبحار والأقلام من جملة الكلمات، فلو كانت البحار مداداً ما انكتب بها سوى عينها وبقيت الأقلام والكلمات الحاصلة في الوجود ما لهذ ما تكتب به مع تناهيها بدخولها في الوجود، فكيف بما لم يحصره الوجود من شخصيات الممكنات فهذا حكم الممكن، فما ظنك بالمعلومات التي الممكنات جزء منها؟ وهذا من أعجب ما يسأل عنه مساوات الجزء والبعض للكل في الحكم عليه بعدم التناهي مع معقولية التفاضل بين المعلومات والممكنات، ثم إنه ما من شخص من الأشخاص من المعلومات ولا من الممكنات إلا واستمراره لا يتناهى، ومع هذا يتأخر بعضه عمن تقدمه، فقد نقص عن تقدمه وفضل عليه من تقدمه وكل واحد لا يتصف في استمراره بالتناهي، فقد وقع الفضل والنقص فيما لا يتناهى، ووجود الحق ما هو

Marfat.com

بالمرور فيتصف بالتناهي وعدم التناهي فإنه عين الوجود، والموجود هو الذي يوصف بالمرور عليه، فالذي لا يتناهي المرور عليه وهو في عينه من حيث أنه موجود متناهٍ لأنه على حقيقة في عينه متميز بها عمن ليست له تلك الحقيقة التي بها يكون هو وليست إلا عين هويته فهو الموجود، ولا يتصف بالتناهي، ولا يوصف أيضاً بأنه لا يتناهى لوجوده، فمن حيث أنه ينتهي هو لا ينتهي بخلاف حكم المحدثات في ذلك، ولا يعلم المحدثات ما هي إلا من يعلم ما هو قوس قزح، واختلاف ألوانه كاختلاف صور المحدثات، ثم أنت تعلم أنه ماثم متلوّن ولا لون مع شهودك ذلك كذلك شهودك صور المحدثات في وجود الحق الذي هو الوجود فتقول ثم ما ليس ثم لأنك لا تقدر أن تنكر ما تشهد وأنت تشهد كما لا تقدر أن تجهل ما أنت تعلمه وأنت تعلم، والمعلوم في هذه المسألة خلاف المشهود، فالبصر يقول ثم والبصيرة تقول ماثم، ولا يكذب واحد منهما فيما يخبر به، فأين كلمات الله التي لا تنفد وما ثم إلا الله، والواقف بين الشهود والعلم حائر لتردده بينهما، والمخلص لأحدهما غير حائر منحاز لمن يخلص إليه كان ما كان:

والحــــق معـــــط ذا وذا	فخـــــذ بــــه هـــــذا وذا
ولا تكـــن عـــن كـــل مـــا	أعطـــــاكـــــه منتبـــــذا
ومـــن يكـــن يعـــرف ذا	يكـــن إمـــامـــاً جهبـــذا
فكـــل مـــن يقـــول ذا	لا بـــــدّ أن يقـــــول ذا
بينهمـــــا يبـــدو الـــذي	يصـــرفـــه عـــن ذا وذا
وقـــــال أقـــــوام بـــــذا	وقـــــال أقـــــوام بـــــذا
بينهمـــــا يبـــدو الـــذي	يصـــرفـــه عـــن ذا وذا
وقـــــال أقـــــوام بـــــذا	وقـــــال أقـــــوام بـــــذا
فهكـــــذا فلتعـــــرف الــ	ـــــلأشيـــاء حقـــاً هكـــذا

فالوجود كله حروف وكلمات وسور وآيات، فهو القرآن الكبير الذي ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ فهو محفوظ العين فلا يتصف بالعدم لأن العدم نفي الشيئية والشيئية معقولة وجوداً وثبوتاً وما ثم رتبة ثالثة، فإذا سمعت نفي شيئية فإنما ينفي النافي عن شيئية الثبوت شيئية الوجود خاصة، فإن شيئية الثبوت لا تنفيها شيئية الوجود، فقوله: ﴿ولم تك شيئاً﴾ هو شيئية الوجود لأنه جاء بلفظ تك وهي حرف وجودي فنفاه بلم،

Marfat.com

وكذلك ﴿لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ والذكر وجود فاعلم ذلك، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الخامس والعشرون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:

﴿ومن يتعدَّ حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا﴾

إذا تعـدت حـدود الله أكـوان ... فحكمها يوم فصل الحكم خسران
فـإن تجـدد حكـم ليـس يعرفـه ... غيـر الإلـه ولا يـدريـه ميزان
فـذاك جـود إلهـيّ أتـاك بـه ... عنـايـة مـن إلـه الحـق فـرقـان
لـولا الـوجـود ولـولا سـر حكمتـه ... فيـه لمـا ظهـرت فـي الكـون أعيـان
هـو الـوجـود ولكـن ليـس يعـرفـه ... وكيـف يـدري الكمـال الحـق نقصـان

اعلم أيدنا الله وإياك بروح القدس الروح الأمين:

إن للّـه حـدوداً تعـرف ... والـذي يعـرفهـا لا يصـرف
نـاظـراً فـي حكمهـا متئـدا ... عنـدهـا فـي كـل حـال يقـف
فـانظـروا فيهـا عليهـا وقفـوا ... وبحـق الحـق لا تنحـرفـوا
تجـدوا السـر لـديهـا علنـاً ... ولـذا أهـل التعـدي عـرفـوا
ولهـذا انتهكـوا حـرمتهـا ... وادعـوا أنهـم قـد كشفـوا
ظلمـوا أنفسهـم فـانحجبـوا ... عـن مـراد اللّـه حيـن اعتـرفـوا
والتـرجـي واقـع حيـث أتـى ... مـن كـلام اللّـه عنـه فقفـوا
عنـد مـا قلـت بـه واتصفـوا ... بـالتـرجـي مثـل مـا يتصـف
أنـه عنـد الـذي ظـن بـه ... فـالتظنـوا الخيـر منـه ولتفـوا

حدود الله أحكامه في أفعال المكلفين، فلا يتعدى منها حد إلا لحد آخر لغير حد إلهي لا يتعداه، ونفس تعديه إليه عين تعديه فيه، فيحكم في الأمور بغير حكم الله لا بد من ذلك فانظر ما أعجب هذا، وأحكام الله التي هي حدوده وجوب وحظر وكراهة وندب وإباحة، فكل متصرف بحركة وسكون فلا بد أن يكون تصرفه في واجب أو محظور أو مندوب أو

Marfat.com

مكروه أو مباح لا يخلو من هذا، فإن كان تصرفه في واجب عليه فعله بترك فقد تعدى حدود الله بتركه ما وجب عليه فعله، فإن تركه على أنه ليس بواجب عليه فعله فقد تعدى في ذلك تعدى كفر، ولا بد أن يحكم فيه بغير حكم الله وينتقل فيه إلى حكم آخر من حكم الله لكن في غير هذا العين، فأباح ترك ما أوجب الله عليه فعله وترك ما حرم الله عليه تركه، وإن قال بوجوب الترك فيما قال الشرع فيه بوجوب الفعل فهذا تعدٍ عظيم فاحش واتباع هوى مضل عن سبيل الله، فالتعدي بالفعل والترك معصية والتعدي يالاعتقاد كفر، ومن قلب أحكام الله فقد كفر وخسر، وثم تعدٍ آخر لحدود الله وهو قلب الحقائق ويسمى المتعدي جاهلاً وتعديه جهلاً وهي الحدود الذاتية للأشياء، وإنما أضيفت إلى الله لأن العلم بها إنما حصل لنا من جانب الله حيث أعطانا من القوة التي هي قوة العقل والنظر ما نصل بها إلى العلم بهذه الحدود، ولأن الأمور التي نحدها مما هي بأمر زائد ما ظهر في المظاهر المعقولة والمحسوسة وما ظهر إلا الحق، وذلك الظاهر في العقل أو الحس هو الذي نحده وليس إلا الله فهي حدود الله.

وقد تشترك المحدودات في أمور وتتميز بأمور، فما تميزت به من الفصول فهو حدها المميز لها عن الذي شاركها، وما وقع به الاشتراك والتميز كله حد لها، فمن تعدى هذه الحدود فقد ظلم نفسه بظلم يسمى جهلاً وقلباً للحقائق، وقلب الحقائق إما أن يقلبها عينها كلها وإما أن يقلبها من حيث فصولها المقومة لها، وكيف ما كان فقد تعدى حدود الله وجهل، فحد الخالق بما هو حد للمخلوق، فقلب الأمر في عينه كله، وقد حد الإنسان بالفصل المقوم للفرس فقد غلط وجهل بعضاً وعلم بعضاً فأولئك هم الجاهلون حقاً كما هو في تعدي الأحكام، أو ما جاء به الشارع إذا آمن ببعض وكفر ببعض هو الكافر حقاً وغلب الكفر على الإيمان، فإن ذهاب الفصل المقوم من المحدود عين ذهاب ماله من نصيب الاشتراك، فإن حيوانية الإنسان ما هي عين حيوانية الفرس بالنظر إلى شخصية ذلك المحدود، فلهذا يذهب الكل لذهاب البعض، وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ولا تكونن من الجاهلين﴾ ﴿وإني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾.

وأما قوله في هذا الذكر: ﴿لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا﴾، وذلك لأنا ما عرفنا من القوى الموجودة في الإنسان إلا قدر ما أوجد فيه، وربما في علم الله عنده أو في الإمكان قوي لم يوجدها الله تعالى فينا اليوم، حتى لو قيل للفرس عن القوة التي تميز بها الإنسان عنه أنكرها، وفي طريق الله ما يقوله أهل الطريق في إثبات المقام الذي فوق طور

Marfat.com

العقل وهي قوة يوجدها الله في بعض عباده من رسول ونبيّ وولي تعطى خلاف ما أعطته قوة العقل، حتى أن بعض العقلاء أنكر ذلك والشرع أثبته، ونحن نعلم أن في نشأة الآخرة قوى لا تكون في نشأة الدنيا ولا يحكم بها عقل هنا ولا تنال إلا بالذوق عند من أوجدها الله فيه وتحصل لبعض الناس هنا، فلا تعلم نفس ما أخفى لها فيها من قرة أعين، وفي الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فخرج عن طور العقل بتعيين أمر ما، وما خرج عن طور العقل بالإمكان إذ لا حكم للعقل فيما يعنيه الله من الأمور إلا الإمكان خاصة أو ما تتحير فيه، فلهذا جاءت كلمة لعل وهي كلمة ترج، وكل ترج إلهي فهو واقع فلا بد منه، فهذا هو الأمر الذي يحدثه في النشأة، وأما في الأحكام فمعلوم في العلم الرسمي إلى يوم القيامة فإن الرسول ﷺ لما قرّر حكم المجتهد لا يزال حكم الشرع ينزل من الله على قلوب المجتهدين إلى انقضاء الدنيا، فقد يحكم اليوم مجتهد في أمر لم يتقدم فيه ذلك الحكم واقتضاه له دليل هذا المجتهد من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس جلي، فهذا أمر قد حدث في الحكم إذا تعداه المجتهد أو المقلد له فقد ظلم نفسه، فهذا وأمثاله مما يعطيه هذا الذكر، وهذا القدر من الإشارة في هذا الذكر كافٍ إن شاء الله، فإن هذا الذي يعطيه هذا الذكر فيه تفصيل كثير وتمثيل نبهناك على المأخذ فيه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السادس والعشرون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:
﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً﴾

إن الركون إلى الأغيار حرمان ... في الدين وهو ركون فيه خسران
نـاط العذاب بـه شـرع يحققـه ... ضعفيـن قلبـي وإيمـان وإحسـان
هـذا لمـن قـد رأى فـي ذاك مصلحـة ... فكيـف مـن حـالـه زور وبهتـان
الله يعلـم أنـي لا أقـول بـه ... ولـو تقطـع أوصـال وأركـان
واللّـه مـا كـان ذاك الحكـم إلا لنـا ... كـالشـك والشـرك يقضـي فيـه بـرهـان
بـأن قـائلـه ذو عصمـة ولـه ... علـى الـذي قـالـه فـي اللّـه سلطـان

أنزل الله تعالى في مثل هذا بل في هذا: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ إلى آخر السورة وهي سورة تعدل ربع القرآن إذا قسم أرباعاً، كما أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن إذا قسم

Marfat.com

أثلاثاً، كما أن إذا زلزلت تعدل نصف القرآن إذا قسم قسمين. اعلم أن هذا الذكر يطلعك كشفاً على أعضاء التكليف منك وهي ثمانية أعضاء: القلب والسمع والبصر واللسان واليد والبطن والفرج والرجل، وما ثم تاسع وهي على عدد الجنات الثمانية، فيدخل العبد في عبادته من أي أبواب الجنة شاء، وإن شاء من الأبواب كلها في الزمن الواحد الفرد كأبي بكر الصديق رضي الله عنه دخل منها كلها في يوم واحد، وكما أنه في كل عضو عمل يخصه فلكل عمل نتيجة تخصه من الكون تسمى كرامة ينتجها حال ذلك العمل تناسب الكرامة العضو المكلف، وحال العمل الذي يختص بذلك العضو ويقع في عمل كل عضو تفصيل، وله أيضاً أعني العمل نتيجة تخصه من الحق تسمى منزلاً ينتجه مقام ذلك العمل يناسب ذلك المنزل عندالله العضو المكلف، وتفاصيل المقام الذي يختص بذلك العضو يفصل المنازل على اختلافها، وقد بينا ذلك كله في كتاب مواقع النجوم لنا وهو كتاب يقوم للطالب مقام الشيخ يأخذ بيده كلما عثر المريد ويهديه إلى المعرفة إذا هو ضلّ وتاه، ويعرفه مراتب الأنوار من هذا الذكر المقسمة على الأعضاء التي يهتدي بها وهي نور الهلال والقمر والبدر والكوكب والناس والشمس والسراج والبرق، وما يكشف بنور كل واحد من هذه الأنوار من الصفات التي تحصر الأسماء الإلهية، والذات كالحياة والعلم والإرادة والقدرة والكلام والسمع والبصر، والذات المنعوتة بهذه الصفات فلكل صفة نور من هذه الأنوار ويعرف الموازنات بين الأشياء الموزونة والمناسبات فلا يخفى عليه شيء فإنه نور كله وهو دعاء النبي ﷺ فقال: «واجعلني نوراً» وتعرف من هذا الذكر أرباب القوى وهي ثمانية القوى الخمسة الحسية والقوى العاقلة والفكرة والخيالية، وما عدا هذه القوى فكالسدنة لهذه الثمانية، كما أن هؤلاء الثمانية وإن كانوا أمهات ففيها ما منزلتها من غيرها منزلة السادن ومنزلة الأقليد، وما زال التفاضل في الأنواع مغلوماً، وكل ما ذكرناه في مواقع النجوم فإنه بعض ما يعطيه هذا الذكر، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب السابع والعشرون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:

﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم﴾

للّـه قـوم وفـوا بمـا لـه خلقـوا ... فمـا مضـى طبـق إلا بـدا طبـق
فاصبر مع القوم نفساً ليس تشكرها ... إلا إذا رزقـت مثـل الـذي رزقـوا
مـن انكسـار ومـن ذل ومتـربـة ... فيهـا روائـح مسـك نشـره عبـق
فـلا يغـرنـك أوصـافـي فـإن لهـا ... مـواطنـاً وبهـا الأقـوام قـد نطقـوا

اعلم أيدنا الله وإياك بما أيدهم به من الروح القدسي أن لله عباداً كانت أحوالهم وأفعالهم ذكراً يتقرب به إلى الله، وينتج من العلم بالله ما لا يعلمه إلا من ذاقه، فمن حبس نفسه مع هذا الذكر لحق بهم فإنه كل ما أمر الله به نبيه ﷺ ونهاه عنه هو كان عين أحوالهم وأفعالهم، مع كون هذه الطائفة الذي نزل فيهم هذا القرآن من أصحاب رسول الله ﷺ فما نالوا ما نالوه إلا باتباعه وفهم ما فهموا عنه، ومع هذا عاتب الله تعالى نبيه ﷺ فيهم حتى كان رسول الله ﷺ إذا لقي أحداً منهم أو قعد في مجلس يكونون فيه لا يزال يحبس نفسه معهم ما داموا جلوساً حتى يكونوا هم الذين ينصرفون وحينئذ ينصرف رسول الله ﷺ، وكان ﷺ إذا حضر وإلا تعد وعيناه عنهم، ويقول إذا جاؤوا إليه أو لقيهم مرحباً بمن عاتبني الله فيهم، ولما عرفوا بذلك كانوا يخففون الجلوس مع رسول الله ﷺ، والحديث لما علموا من تقييده بهم وصبره نفسه معهم، فمن لزم هذا الذكر فإنه ينتج له معرفة وجه الحق في كل شيء، فلا يرى شيئاً إلا ويرى وجه الحق فيه فإنهم ما دعوا ربهم بالغداة والعشيّ الذي هو زمان تحصيل الرزق في المرزوقين كما قال: ﴿لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ وهو الصبوح والغبوق عند العرب فكان رزق هؤلاء بالغداة والعشيّ ما يحصل لهم من معرفة الوجه الذي كان مرادهم لأنه قال: ﴿يريدون وجهه﴾ يعني بذلك الدعاء بالغداة والعشيّ وجه الحق لما علموا أن ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ فطاعوا ما يبقى وآثروه على ما يفنى، فإذا تجلى لهم

Marfat.com

وجه الحق في الأشياء ولهذا الذاكر بهذا الذكر لم تعد عيناه عن هذا الوجه لا يتمكن أن تعد وعيناه عنه لأنه بذاته يقيد كل ناظر إليه، وإنما جاء بالنهي في هذا الذكر لأنهم ليسوا عين الوجه بل هم المشاهدون للوجه، فمن كان منهم قد حصل له تجلي الوجه وبقي معه هذا الذكر فإنما يريد بقاء شهود ذلك الوجه دائماً لما يعرف من حال الممكن، وما ينبغي لجلال الله من الأدب معه حيث لا يحكم عليه بشيء، ولا بد وإن حكم هو بذلك على نفسه، هذا هو الأدب الإلهيّ.

ومن لم يبدله بعد ذلك الوجه المطلوب فيطلب بدعائه ذلك الوجه المراد له، وعلى كل حال فلا تعد عيناً رسول الله ﷺ عنهم إلى غيرهم ما داموا حاضرين، ومن هنا قال رسول الله ﷺ في صفة أولياء الله: «هم الذين إذا رأوا ذكر الله» لما حصل لهم من نور هذا الوجه الذي هو مراد لهؤلاء، فإن الذي يتجلى له هذا الوجه لا بد أن يكون فيه أثر معلوم له ولا بد فمنه جليّ بحيث أن يراه الغير منه، ومنه خفي بحيث أن لا يراه منه إلا أهل الكشف أو لا يراه أحد وهو الأخفى، إلا أنه له في نفسه جليّ لأنه صاحب الشهود، وحكم غير الأنبياء في مثل هذه الأمور خلاف حكم الأنبياء، فإن الأنبياء وإن شاهدوا هؤلاء في حال شهودهم للوجه الذي أرادوه من الله تعالى بدعائهم وأنهم من حيث أنهم أرسلوا لمصالح العباد لا يتقيدون بهم على الإطلاق، وإنما يتقيدون بالمصالح التي بعثوا بسببها، فوقتاً يعتبون مع كونهم مصلحة مثل هذه الآية ومثل آية الأعمى الذي نزل فيه: ﴿عبس وتولى﴾، فإن رسول الله ﷺ ما أعرض عن الأعمى الذي عتبه فيه الحق إلا حرصاً وطمعاً في إسلام من يسلم لإسلامه خلق كثير، ومن يؤيد الله به الدين، ومع هذا وقع عليه العتب من حقيقة أخرى لا من هذه الجهة فمن ذلك قوله: ﴿أما من استغنى فأنت له تصدى﴾ فذكر الصفة ولم يذكر الشخص، والغناصفة إلهية فما حادت عين رسول الله ﷺ إلا إلى صفة إلهية لتحققه ﷺ بالفقر، فأراد الحق أن ينبهه على الإحاطة الإلهية، فلا تقيده صفة عن صفة فليس شهوده ﷺ لغنا الحق في قوله: ﴿والله غنيّ عن العالمين﴾ بأولى من شهوده ﷺ لطلب الحق في قوله: ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون﴾ وأين مقام الغنا من هذا الطلب؟ وقوله: ﴿وأقرضوا الله قرضاً حسناً﴾ فغار عليه سبحانه أن تقيده صفة عن صفة بل كان يظهر لأولئك من البشاشة على قدر ما يليق بهم، ويظهر للأعمى من الفرح به على قدر ما تقع به المصلحة في حق أولئك الجبابرة، فإن التواضع والبشاشة محبوبة بالذات من كل أحد فإنها من مكارم الأخلاق، وما زال الله يؤدّب نبيه ﷺ حتى تحقق بالأدب الإلهي فقال: «إن الله أدّبني فأحسن

Marfat.com

أدبي»، فإن الله له نسبة إلى الأغنياء كما له نسبة إلى الفقراء، فالعارف ينبغي له أن لا يفوته من الحق شيء في كل شيء فما أحسن تعليم الله عباده، فنحن إذا فتح الله أعين بصائرنا وأفهامنا علمنا أن تعليم الله نبيه ﷺ الآداب مع المراتب أنا أيضاً مرادون بذلك التعليم، وننظره في النبيّ ﷺ كالمثل السائر: إياك أعني فاسمعي يا جاره، وإن كان هو ﷺ المقصود لله بالأدب فنحن أيضاً المقصودون لله بالتأسي به والاقتداء ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ فكل خطاب خاطب به نبيه ﷺ مؤدياً له فلنا في ذلك الخطاب اشتراك لا بد من ذلك، فانظر يا وليّ في هذا الذكر ماذا نتج من الخير الكثير، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثامن والعشرون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:
﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾

إن القبيح لأقسام مقسمة عرفية والتي التشريع بينها
فمن عفا عن مسيء نفسه أنفت عن الجزاء لأن السوء عينها
فلا تكن بمحل للقبيح لأن اللّه بالصفة العلياء زينها

قال الله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ وإن كان له جميع الأسماء التي يفتقر كل فقير إلى مسماها، ولا فقر إلا إلى الله فإنه يقول: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾ ومع هذا فلا يطلق عليه من الأسماء إلا ما يعطي الحسن عرفاً أو شرعاً، ولذلك نعت أسماءه بالحسنى وقال لنا ادعوه بها ثم قال وصية لنا: ﴿وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾ أي يميلون في أسمائه إلى ما ليس بحسن، وإن كان في المعنى من أسمائه لكن منع أن يطلق عليه لما ناط به عرفاً وشرعاً بأنه ليس بحسن وهنا قال: ﴿سيئة مثلها﴾ فالسيئة الأولى سيئة شرعية صاحبها مأثوم عند الله، والسيئة الثانية الجزائية ليست بسيئة شرعاً وإنما هي سيئة من حيث أنها تسوء المجازي بها كالقصاص فيما لك أن تعفو عنه بهذا الشرط، فلما رأى أهل الله أنه تعالى أطلق على ذلك اسم سيئة وقال مثلها، ومن اتصف بشيء من ذلك فيقال فيه أنه مسيء على حد ما سمى تلك سيئة سواء فأنف أهل الله أن يكونوا محلاً للسوء فاختاروا العفو

Marfat.com

على الجزاء بالمثل نفاسة وتقديس نفس عن اسم لم يطلقه الله على نفسه كما أطلق الحسن ونبه على الزهد والترك للأخذ عليها بقوله: ﴿وجزاء سيئة سيئة﴾ ولم يقل وجزاء المسيء فإن المسيء هو الذي يجازى بما أساء إلا السيئة، فإن السيئة قد ذهب عينها وهي لا تقبل الجزاء ولو كانت موجودة، فإنها لو قبلت الجزاء لزال عينها، مثال ذلك أن الجرح الحاصل في الذي تعدى عليه فجرح إذا اقتص من الذي جرحه مثل ماتعدى عليه صار الآخر المجازي مجروحاً وما برىء الأوّل من جرحه، فلو قبلت السيئة جزاء لزال عينها منه ولا يزول، فلم يبقَ الجزاء إلا عين المكلف، فإن كانت السيئة فعل المكلف لا مفعوله فقد ذهب عين الفعل بذهاب زمانه فلا يقبل الجزاء لأنه قد انعدم فلم يبقَ إلا المحل المسيء، فأنزل المسيء منزلة السيئة وسمى بها وأضيف الجزاء إلى السيئة، فللمسيء حكم لسيئة ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ هذا من أقوم القيل، وإن كان القيل الإلّهي كله قويماً ولكن فيه قويم وأقوم بالنسبة إلينا لأنا قد قدمنا ما من شيء يكون فيه كثرة أمثال إلا ولا بد فيه من التفاضل حتماً لأنه لا شيء فوق أسماء الله الحسنى، ومع هذا تتفاضل بالإحاطة وعدم الإحاطة، وينزل اسم إلهيّ عن اسم إلهيّ، ويعلو اسم إلهيّ على اسم الهيّ، فالجزاء بالأمثال أبداً، وما خرج عن الوزن والمقدار بالرجحان لا بالنقص فذلك خارج عن الجزاء، ولهذا يرجع الحق عليه بعدما كان له بخلافه في الخير والحسن، فإن الرجحان فيه فضيلة يثنى عليه بها، وما أحسن قول رسول الله ﷺ في صاحب التسعة فاسمع الوليّ وقد حكم له بالقصاص: «أما أنه إن قتله كان مثله» يعني قوله ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ فسمي قاتلاً بلا شك فتركه وعفا وهذا من السياسة، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب التاسع والعشرون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:

﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه﴾

إن الوفاق لمن طيب الأصول لما ... أتابه اللّه مما شاءه وشرع
فمن أبى فلخبث في طبيعته ... يدريه من يفتح الأبواب حين قرع
له بما في غيوب الطبع من عجب ... من صنعه في الذي أبداه حين صنع
كمن دعاه رسول اللّه حين دعا ... فجاءه بالذي قد كان قبل جمع

Marfat.com

وجاءه غيره بشطر ما كسبت ... يداه والكل فيما في يديه طمع
ولو أكون لما قلنا بقولهما ... وقلت عبد دعاه ربه فسمع
وبادر الأمر لم ينظر إلى أحد ... ولا لمن ضر في تأخيره ونفع

اعلم أيدنا الله وإياك بروح القدس أن هذا الذكر كان لنا من الله عز وجل لما دعانا الله تعالى إليه فأجبناه إلى ما دعانا إليه مدّة، ثم حصلت عندنا فترة وهي الفترة المعلومة في الطريق عند أهل الله التي لا بد منها لكل داخل في الطريق، ثم إذا حصلت الفترة إما أن يعقبها رجوع إلى الحال الأوّل من العبادة والاجتهاد وهم أهل العناية الإلهية الذين اعتنى الله عز وجل بهم، وإما أن تصحبه الفترة فلا يفلح أبداً، فلما أدركتنا الفترة وتحكمت فينا رأينا الحق في الواقعة فتلى علينا هذه الآيات: ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء﴾ الآية ثم قال: ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه﴾ فعلمت أني المراد بهذه الآية وقلت: ينبه بما تلاه علينا على التوفيق الأوّل الذى هدانا الله به على يد عيسى وموسى ومحمد سلام الله على جميعهم، فإن رجوعنا إلى هذا الطريق كان بمبشرة على يد عيسى وموسى ومحمد عليهم السلام بين يدي رحمته وهي العناية بنا ﴿حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً﴾ وهو ترادف التوفيق ﴿سقناه لبلد ميت﴾ وهو أنا ﴿فأحيينا به الأرض بعد موتها﴾ وهو ما ظهر علينا من أنوار القبول والعمل الصالح والتعشق به، ثم مثل فقال: ﴿كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾ يشير بذلك إلى خبر ورد عن النبي ﷺ في البعث أعني حشر الاجسام **«من أن الله يجعل السماء تمطر مثل مني الرجال»** الحديث، ثم قال: ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه﴾ وليس سوى الموافقة والسمع والطاعة لطهارة المحل، والذي خبث وهو الذي غلبت عليه نفسه والطبع وهو معتنى به في نفس الأمر لا يخرج إلا نكداً مثل قوله: **«إن لله عباداً يقادون إلى الجنة بالسلاسل»** وقوله: ﴿ولله يسجد من في السموات ومن في الأرض طوعاً وكرهاً﴾ فقلنا طوعاً يا إلهنا.

واعلم أن الله تعالى لما خلق هذه النشأة الإنسانية لعبادته وأنشأها ابتداء في ضعف وافتقار فكانت عبادتها ذاتية، وما زالت على ذلك إلى أن رزقها الله القوّة وأظهر لها الأسباب الموجبة للقوّة إذا استعملتها واحتجب الحق من ورائها فلم تشاهد إلا هي وغابت عن الحق تعالى فلم تشهده فناداها سبحانه من خلف تلك الأسباب بما كلفها به من الأعمال، وسمى تلك الأعمال عبادة لتتنبه بذلك على أصلها فإنها لا تنكر عبوديتها لأن العبودة لها ذاتية

Marfat.com

ذوقاً، وبقي لمن مع معاينتها الأسباب التي تجد عندها دفع ضروراتها فهي تقبل عليها طبعاً وترى الذي دعاها إليه غيباً، فتعلم أن ثم ظاهراً أو باطناً وغيباً وشهادة وتنظر في نفسها فتجدها مركبة من غيب وشهادة، وأن الداعي منها إلى الحاجة غيب منها، فإن تقوّت عليها مناسبة الغيب على الشهادة كانت البلد الطيب الذي يخرج نباته بإذن ربه، فسارعت إلى إجابة الداعي وهي من النفوس الذين ﴿يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾ لأنها رأت الأسباب مختلفة، وأي سبب حضر منها أغناها عن سبب آخر فعلمت أنها مفتقرة بالذات إلى أمر ما غير معين فتعتمد عليه وهي قد شاهدت الأسباب وعلمت قيام بعضها عن بعض وتستغني ببعضها عن بعض، ويغيب في وقت فلا يقدر عليه ويحضر في وقت، فخطر لها ما خطر لإبراهيم الخليل عليه السلام ﴿إني لا أحب الآفلين﴾ ورأت أيضاً أنها تخلق بعض أسبابها الموجبة استعمالها لدفع ضروراتها بما تتكلفه من الأعمال الموجبة لوجود ذلك السبب الذي تركن إليه فأنفت أن يتعبدها من له في وجوده افتقاراً إليها فأشبهها، فأرادت الاستناد إلى غنى لا افتقار له لعزة نفسها وشموخ أنفها وما جعل الله في طبعها من طلب العلوّ في الأرض والشفوف على الجنس فقالت: أجيب هذا الداعي الغائب حتى أرى ما هو فلعله عين ما أطلبه، فامتثلت أمر ما دعاها إليه وعملت عليه فأشرقت أرضها بنور ربها فكانت البلد الطيب الذي يخرج نباته بإذن ربه، ونفس أخرى على النقيض منها رجحت الشهادة على الغيب وأعمتها الحاجة عن اختلاف الأسباب وقيام كل سبب عن الآخر وقالت: لعل هذا الغيب الذي دعاني إليه يكون مثل الشهادة كثيرين يغني الواحد منهم عن الآخر فأبقى على حالتي ولا أتعب ذاتي في مظنون فتثبطت عن إجابة الداعي، ثم إن الله بحكمته في وقت قطع عنها الأسباب كلها واضطرها، فلما لم تجد سبباً تستند إليه ظاهراً أجنحت إلى ذلك الغيب الذي دعاها لعل بيده فرجاً يخرجها من الضيق الذي تجده فأجابته مضطرة وهو البلد الذي خبث فلا يخرج نباته إلا نكداً قال تعالى: ﴿وإذا مسكم الضر في البحر﴾ فنبه على موضع انقطاع الأسباب ﴿ضل من تدعون﴾ يعني الأسباب ﴿إلا إياه﴾ فكان هو السبب الذي ينجي، فلما نجاه الله وأغاثه واستقل قال: هذا أيضاً من جملة الأسباب التي يقوم بعضها عن بعض فيما نريده فجعله واحداً من الأسباب وهو المشرك فما خرج إلا نكداً، ولهذا سارع في الرجعة إلى السبب الظاهر فتميز الفريقان، وإنما كان فريقان في العالم بهذه المثابة لما حكم به الأصل، فإن الأصل فيه جبر واختيار، فبالاختيار لم يزل يسقط من الخمسين صلاة عشراً عشراً حتى انتهى إلى خمسة، وبعدم الاختيار أثبتها خمسة

Marfat.com

وقال: ﴿ما يبدل القول لدي﴾ وكان المجبر له ما أعطاه المعلوم فلم يتعدَ علمه فيه، والذين يلجؤون فيه إلى الله في حال الاضطرار الكلي استنادهم من حيث لا يعلمون إلى هذا الأصل في الحكم، والفريق الآخر استناده إلى حكم الاختيار في أنه تعالى ﴿فعال لما يريد﴾ فأهل الضرورة في الرجعة أحق، وأهل الاختيار في الرجعة أوفق وأسعد، فالذي خرج نكداً له من الأحوال الإلهية قوله تعالى: ما تردّدت في شيء أنا فاعله تردّدي في قبض نسمة المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له من لقائي، يقول: لا بد أن أميته على كره مني وهو المعلوم الذي جعلني في هذا لأني علمت منه وقوع هذا، فلولا حصول العلم عنده من الممكنات كما هي في أنفسها عليه ما صح تردّد ولا فعل ما فعله أو بعض ما فعله على كره، فانظر فيما أعطاه هذا الذكر من العلم القريب، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الموفى ثلاثين وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿يستخفون من الناس لا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا﴾

الجهل بالله عين الجهل بي ولذا ... سترت نفسي عن مثلي وأشكالي
وقد علمت بأن الله ينظرني ... على الذي قال لا تخطره بالبال
فما الجواب إذا قال الجليل لنا ... لما فعلتم فقلنا له الحكم للحال
الحال موهبة وأنت واهبها ... هلا حفظت وجودي حفظ أمثالي
فلا تلمني ولم من أنت تعرفه ... وأنت تدريه رب القيل والقال

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أن الجهل بالله إنما كان من جهلك بك، فإن الله ما جعل دليلاً على العلم به إلا علمك بك فجعل الآية في نفسك، وقال النبي ﷺ المترجم عنه: «من عرف نفسه عرف ربه» وما أحسن ما قال تعالى: يستخفون من الناس فإنهم مجبولون على النسيان، ولا يستخفون من الله الذي لا يضل ولا ينسى، وكان الأولى لو صح عكس القضية، إلا أنه لا يصح أن يستخفى شيء عن الله، والسبب الموجب للاستخفاء عن الناس ما علموا منهم من الحب في ظهور التحكم فيهم بقدر الحال والاستطاعة، وبما فيهم من

Marfat.com

حب الثناء الحسن وطلب المحمدة، فإذا اطلعوا على هذا الذي أشرنا إليه من العمل سقطت حرمة العامل من قلب الذي يراه وقام عليه لسان الذم منه، وسبب ذلك الجنسية ومع كونه يعلم أن الله يحيط به علماً، لكن يرى هذا العامل أن الأسماء الإلهية تتحاور فيه في حال هذا العمل ولا سيما الاسم الحليم والصبور، ويعلم أن الاختفاء منه محال فلا بد من إتيان ما أتى به، فإن كان مؤمناً أتاه على كره فأشبه قبض الحق بالموت نسمة المؤمن على كره فيجد في مثل هذا اتساعاً يجول فيه، حتى أنه ربما قال: فلي سوية الحق في ذلك، ولا يقول مثل هذا إلا غير أديب، ألا تراه يقول تعالى في تمام هذه الآية: ﴿وكان الله بما تعملون محيط﴾ ينبه أن هذا العمل الذي هو فيه قد أحطت علماً به من نفسي من حيث كرهت أشياء لا بد من أني أوجدها وأحببت أشياء، وإنما قال ذلك لإقامة عذر عبده المؤمن فإنه ما يكره فعل ما يستخفي منه ويستخفي بسببه إلا المؤمن بأن هذا لا يجوز عمله شرعاً، فالإحاطة من الله بالأشياء مثل الذوق فينا، وهو أن نعلم الأشياء منك أي أنك قد اتصفت بها ذوقاً، وكثير بين من يكون ذلك المعلوم حاله وبين من لا يكون فإنه ما هو منه على علم صحيح، وقوله من أنه مما لا يرضى من القول وهو الجهر بالسوء من القول فإن الله لا يحب الجهر بالسوء من القول فإن الحكم بكونه سوءاً ما علم لا من القول، إذ لولا القول ما وصل علمه إلينا، فالقول بالسوء بطريق التعريف أنه سوء قول خير يحب الجهر به لأنه تعليم حتى لا يجهر به عند الاستعمال إذا قضى الله على المكلف استعمال هذا فما في الكون حكم ظاهر في عمل إلا وله مستند إلهي يستند إليه، وذلك المستند إليه إن كان خيراً زاد له في الأعطية أضعافاً مضاعفة، وإن كان شراً شفع فيه ذلك المستند وأقام عذره عند الله، فلهذا كان مآل العباد المكلفين إلى الرحمة التي وسعت كل شيء، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الأحد والثلاثون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:
﴿وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه﴾

العبد في الشان والرحمن في الشان ... وشأن ما هو فيه الحق من شاني
فينبغي لي أن أفنى مدى عمري ... في شأنه فأجازي الشأن بالشان

Marfat.com

لولاه ما نظرت عيني إلى أحد لعلمنا أنه عيني وإنساني
إني لأنسى وجودي عند رؤيته وما نسيت بل النسيان أنساني

هذا هجير لزمته سنين كثيرة حتى ما كنت أسمى إلا به مما كنت مستهتراً به متحداً، ورأينا له بركات لا أحصيها وهو الذي أطلعت منه على المراقبة، فكنت رقيباً على نفسي نيابة عن الله حين أمرها أن تكون على وصف خاص معلوم في الشرع المطهر المنزل على لسان المعصوم ﷺ، ورقيباً على آثار ربي فيما يورده على قلبي وفي جميع حركاتي وسكناتي، ورقيباً أيضاً على ربي بموازنة حده المشروع في عباده، فكنت أقيم الوزن بين أمره ونهيه وبين إرادته لأرى مواقع الخلاف ممن خالف والوفاق ممن وافق، وما جعلني في ذلك إلا ما شيب رسول الله ﷺ وما هو عندي إلا قوله: ﴿فاستقم كما أمرت﴾ فإذا وافق الأمر الإرادة كانت الاستقامة كما أمر وحصل الوفاق، وإذا لم يوافق الأمر الإرادة وقع ما حكمت به الإرادة ولم يكن للأمر حكم في المأمور، وعلمنا عند ذلك ما هو الأمر الإلهي الذي لا يعصى ومن هو المخاطب، وما هو الأمر الإلهي الذي يعصى في وقت فلم نجده إلا الأمر بالواسطة، وهو على الحقيقة أمر لفظي صوري، فهو صيغة أمر لا حقيقة أمر، وأن المأمور بالأمر الإلهي الذي لا يعصى إنما هو المخاطب عين الممكن الذي توجه من الحق عليه الإيجاد بأن يقول له: ﴿كن فيكون﴾ ولا بد، فهذا هو الأمر الذي لا يعصيه المخاطب أصلاً، وإنما الإنسان المكلف هو محل ظهور هذا المكوّن، كما أن المكوّن محل التكوين فيقول للشهادة كن فتكون الشهادة وما لها محل إلا لسان الشاهد وهو القائل فننسب الشهادة إلى من ظهرت فيه ليس له فيها تكوين، وإنما التكوين فيها لله في هذا المحل الخاص، وهكذا جميع أفعال المكلفين، وكون ذلك الفعل طاعة أو معصية ليس عينه وإنما هو حكم الله فيه، فكنت أشاهد تكوين الأشياء في ذاتي وفي ذات غيري أعياناً قائمة ذاكرة لله مسبحة بحمده مع كونها ينطلق عليها اسم معصية وطاعة، فطلبت من الله مسمى المعصية هل له عين وجودية أو لا عين له؟ وهل بينه وبين مسمى الطاعة فرقان أم الحكم سواء؟ فإن الله لا يأمر بالفحشاء وما يتكوّن شيء إلا عن أمره فهل للمعصية تكوين أم لا؟ فاطلعنا على أن مسمى المعصية إنما هو ترك والترك لا شيء ولا عين له فوجدناها مثل مسمى العدم، فإنه اسم ليس تحته عين وجودية، فإن الشأن محصور في أمر لا يفعل أو نهي لا يمتثل وغير ذلك ما هو ثم.

فإذا قيل لي: أقم الصلاة فلم أفعل فعصيت وخالفت أمر الله فما تحت قولي لم أفعل

Marfat.com

وخالفت إلا أمر عدمي لا وجود له، وكذلك في النهي إذا قيل لي لا تفعل كذا مثل قوله تعالى: ﴿لا يغتب بعضكم بعضاً﴾ فلم أمتثل نهيه، ومدلول لم أمتثل عدم لا عين له في الوجود لأنه نفي فاغتبت، ومعنى فاغتبت أي ظهر في محلي عين موجودة أوجدها الحق بالأمر التكويني وهو القول الموجود في لساني على طريق خاص يسمى الغيبة، فامتثل ذلك المقول في لساني أمر سيده وموجده بالإيجاد، وما أضيف إليّ منه إلا كوني لم أمتثل نهيه، فانتفى عن محلي الامتثال، فما أخذت في الوجهين إلا بأمر عدمي وهو ترك الأمر والنهي، ولا بد لي في كل نفس أن أكون في شأن وذلك الشأن ليس لي، فإن الشأن الظاهر في وجودي إنما هو لله وهو قوله: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ وفينا تظهر تلك الشؤون وأعياننا أيضاً من تلك الشؤون، والله شهيد على ما يخلق منا وفينا، وقوله: ﴿إذ تفيضون فيه﴾ هو ما جعل فينا من الإرادة الاختيارية في عين الجبر فإنا محل لما يخلق فينا، فالمكلف مجبور في اختياره، ثم خلق فينا المعنى الذي أوجب حكمه علينا أن نكون به مفيضين في ذلك الشيء المعبر عنه بالشأن، وما عرفنا بهذا الشهود منه إلا لنعلم صورة الأمر حتى نكون من أمرنا على بينة من ربنا، فإنه ما أمر نبيه ﷺ إلا بطلب الزيادة من العلم، فإن العلم بالأمور سبب الحياة المزيلة لموت الجهالة والحياة نعيم، فالعالم والناصح نفسه من لا ينسى الله في شؤونه ويكون مراقباً له تعالى عند شهوده فيرى ما يصدر عنه فيه وفي غيره في السماء والأرض والملأ الأعلى والأسفل، ثم يرى أنه جميع ما رأى من شؤونه بهوية الحق لا بصفة الحق، فرأى هويته تعالى عين صفته فما رآه إلا به، هذا أعطته هذه المراقبة، وهذا هو حكم الدهر الذي نهينا عن سبه فإن الله هو الدهر ليس غيره:

خذ من الدهر ما صفا	ودع الدهر يحكم
إنما الدهر ربنا	العلي المقدم
حاكم بالذي يرى	مفصح لا يعجم
كلما قال كن لشـ	ـيء يكون المكلم
فتأدب ولا تقل	أنا بالأمر أعلم
فإلى الله أمرنا	راجع فلتسلموا
فهو بالأمر أعلم	وهو للأمر أحكم

فقد بان لك الأمر بارتفاع الحجب وعرفت الحجب ومسمى الوفاق والخلاف،

Marfat.com

وعلمت من رأى وبمن رأيت ومن أنت وما هو طريق الوجود، فإنه سبحانه لا يقال فيه أن له ماهية وإن سئل عنه بما فالجواب بصفة التنزيه أو صفة الفعل لا غير ذلك، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثاني والثلاثون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:
﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾

إن الصلاة لها وقت تعينه ... شمس وآثارها فالحكم للشمس
فانظر إليها بعين القلب إن شرقت ... أو أشرقت لا بعين الحس والنفس
فظهرنا لزوال الشمس في فلكي ... وعصرنا لانضمام العقل والحس
ومغرب لغروب الحق عن نظري ... وذلكم لارتفاع الشك واللبس
إن الأفول دليل يستدل به ... لكي يفرق بين العلم والحدس
ثم العشاء إذا ما حمرة ذهبت ... ذهاب من أعدم الأشياء بالحس
وعندما انفجرت أنوارها وبدت ... كأنها خرجت من ظلمة الرمس
وعاد مغربها شرقاً بها فزهت ... وعاد مطلعها للعرش والكرسي
ناجيته في شهود لا انقطاع له ... مؤيد بين حصر الجهر والهمس
وهذه خمسة في العد حافظة ... وليس يحفظ أكواني سوى الخمس

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿حافظوا على الصلوات﴾ وليست سوى هذه الخمس الموقتة المعينة المكتوبة، وكما أن الخمسة تحفظ نفسها وغيرها الذي هو العشرون وهو ثاني عقد العشر من العشرة والعشرة أول العقود، وأقل ما يكون العقد بين اثنين، فكذلك الصلاة قسمها الحق نصفين: نصفاً له ونصفاً لعبده وجعلها بين تحريم وتحليل، فإذا شرع فيها العبد لم يصرف ذاته إلى غيرها من الأعمال بخلاف غيرها من الأعمال المشروعة فحفظت نفسها حتى تسمى صلاة، فإن في الصلاة شغلاً وحفظت غيرها وهو المصلي ليبقى عليه اسم المصلي وحكمه، فلهذا شرعها الله خمسة فعين الوقت، فإن قال قائل بالوتر أنه زائد على الخمسة فتكون ستاً قلنا فما زاد إلا من يحفظ نفسها وهي الستة وهي أول عدد

Marfat.com

كامل فما زاد إلا بما يناسب في الحفظ، فلذا قال السائل: «هل علي غيرها يعني الخمس؟ قال: لا إلا أن تطوّع» وجمع له في الصلاة بين الجهر والسر أعني في القراءة، وجمع له أيضاً بين القول والفعل والحال والهيئات في الحركات من قيام وركوع وسجود وجلوس، وأثنى على من أتى بهن لم يضيع من حقهن شيئاً بالدوام عليها والخشوع فيها، وأعطاها الليل والنهار حتى يعمّ الزمان بركتها، وقد بينا من أسرارها ما شاء الله في باب الصلاة من هذا الكتاب، وكذلك بينا أيضاً من شأنها في كتاب التنزلات الموصلية لنا.

ثم إن الله شرع طهارة لها مائية وترابية فإن النشأ الإنساني لم يكن إلا من تراب كآدم وماء كبني آدم فقال: ﴿خلقكم من تراب﴾ ومن ماء ومن طين وهو خلط الماء بالتراب، فجعل الطهارة للصلاة بما منه خلقنا، فطهارتنا منا من ماء وهو الوضوء وتراب وهو التيمم، فنحن نور على نور بحمد الله، وما كتب الله هذه الصلاة إلا على المؤمنين، وليس المؤمن سوى المصدق بأحدية الكثرة الإلهية لما هي عليه من الأسماء الحسنى والأحكام المختلفة من حيث أن كل اسم إلهي يدل على الذات وعلى معنى ما هو المعنى الآخر الذي يدل عليه الإسم الآخر فله أحدية العين فهو مؤمن أيضاً بأحدية العين، كما هو مؤمن بأحدية الكثرة، فمن لم يكن له هذا الإيمان وإلا فليس هو المؤمن الذي كتب الله عليه هذه الصلاة، وإنما كتبها على المؤمن دون العالم لعموم الإيمان، فإن المؤمن هو عين المقلد لأنه المصدق بالخبر لما تعطيه حقيقة الخبر من الاحتمال فأبقى الخبر على أصله، فالعالم من علمه بالأمور على ما هي عليه أن يزيل الخبر عن احتماله بالنظر إلى ذات الخبر، فهو عالم بصدق هذا الخبر المعين لأن الخبر وإن اقتضت ذاته الاحتمال فإنه لا بد أن يكون في نفسه موصوفاً بأحد الاحتمالين: إما صدق وإما كذب، ولا يعرف ما هو عليه من هذين الوصفين إلا بدليل، فهذا هو حظ العالم فقد صدق به العالم أنه صدق لا كذب أعني هذا الخبر المعين، وقلده في هذا التصديق المؤمن، فالمؤمن العالم قام له دليل العلم على أن المخبر صادق، وأن هذا الخبر المعين صدق فهو مؤمن بلا شك، وأعطى العالم نفسه الأمان أن ينقلب العلم جهلاً، وصدق المقلد العالم فيما أخبره به من صدق هذا الخبر فاشترك الكل في نعت الإيمان.

فلو كتبها الله على العلماء دون المؤمنين لما وجبت على المقلدين، والعلماء لهم صفة الإيمان فكتب على الوصف العام، ولولا الحق تعالى ما نزل إلى عباده ما وصفهم تعالى بالعلم به ولا بالإيمان فهم أحق بالعلم به من علمه به، فإن علم الخلق به علم اضطرار

Marfat.com

وافتقار ذاتي لما تعطيه ذات الممكن من الاستناد إلى المرجح، فبنزوله إلينا عرفناه فهو يظهر بنا، ولا يتمكن لنا أن نظهر به، فيجمع سبحانه بين نعت السادات والعباد، ولا يتمكن للعباد أن يكونوا أرباباً في أنفسهم وإن ظهروا بنعوت سيدهم، وإنما كلامنا في نفس الأمر لا فيما يجدونه في أوقات، فما هو له تعالى فمعلوم من القسمة، وما هو للعبد فمعلوم، وما وقع فيه الاشتراك فما هو لله فهو لله في عين الإشتراك، وما هو للعبد فهو للعبد في عين الاشتراك فهو في نفس الأمر معين، وإن وقع الاشتراك فليس إلا في الألفاظ الدالة على الاشتراك، وأما في نفس الأمر فلا اشتراك بوجه من الوجوه فإن كل واحد على نصيبه المعين له، وإن لم يكن الأمر كذلك اختلطت الحقائق، وإن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وقليل ما هم، وقليل أيضاً ما هم، فكل مصل أدى صلاته لوقتها ولم يطلع ولا أنتج له معرفة بسرّ القدر الذي قد أومأنا إليه في هذا الكتاب في مواضع كثيرة مختلفة بطرائق عجيبة، فما صلّى الصلاة لوقتها وذلك أن الله ما شرع هذه العبادات لإقامة نشأة صورتها الظاهرة بل لما تدل عليه وتعطيه من جانب الحق من المعرفة به، وإن لم تكن الصورة قد نفخ القائل فيها روحاً تحيى به، ولا ينفخ فيها روحاً إلا بإذن ربه كما قال: ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير﴾ فقد شارك كل مصوّر وما تعلق به ذم كما تعلق بالمصوّرين فإنه ما صوّره عليه السلام، إلا بإذن الله، ثم قال: ﴿فتنفخ فيه فيكون طائراً بإذن الله﴾ فزال من هيئة الطائر وعاد طائراً، فكذلك عمل العبد إذا عمله بالإيمان من حيث أن الحق أمره بذلك العمل، فقد أذن له في إنشاء تلك الصورة فقد شارك المنافق كما شارك المصوّرين من خلق من الطين كهيئة الطير، فإن المنافق ما أذن الله له أن ينشىء صورة العمل على ذلك الحد، وما أمر الله بإنشاء صور الأعمال إلا للمؤمنين، فلما وقع الاشتراك في ظاهر الصورة بين المؤمن والمنافق نفخ المؤمن بإيمانه فيها روحاً فعادت حياة لا تشاهد سوى منشئها وهو هذا المؤمن فيجدها يوم القيامة حياة تشفع له وتأخذ بيده، والمنافق يجدها ميتة فيقال له أحيها فلا يستطيع وهي حية في نفس الأمر ولكن بإحياء الحق، وقد أخذ الله ببصر هذا المنافق عن إدراك حياتها، كما أخذ الله بأبصارنا عن إدراك حياة المسمى جماداً ونباتاً مع علمنا أنه حي في نفس الأمر إيماناً فإنه مسبح بحمد الله ولا يسبح إلا حي ناطق، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الثالث والثلاثون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله
﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾

إن الدعاء حجاب من لا يشهد ... هذا هو الحق الذي لا يجحد
وهو القريب بعلمه وبعينه ... وهو الذي في كل حال يشهد
لكنه لما دعاك دعوته ... من قبل ذا أعطاك هذا المشهد
فإذا علمت بأنه عين الذي ... يدعو فمن تدعوه أو من تقصد
فادعوه أمراً لا تكن ممن يرى ... إن الدعاء هو الحجاب الأبعد

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أن الله تعالى ما أخبر نبيه ﷺ بقربه من السائلين من عباده بالإجابة فيما يسألونه فيه إلا وقد ساوانا في العلم بالله من هذا الوجه، ولو كان هذا القرب الإلهي في الإجابة قربه في المسافة التي ذكر عنها أنه أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد لاكتفى، وذلك لأنه لا يلزم من هذا القرب السماع، كما لا يلزم من السماع في السؤال الإجابة، فحصل من الفائدة بهذا التعريف ثلاثة أمور: القرب والسماع والإجابة، فلم يترك لعبده حجة عليه ﴿بل لله الحجة البالغة﴾ فإذا أقيم العبد في هذا الذكر فأول ما ينتج له الزهد فيما سوى الله فلا يتوسل إليه بغيره، فإن التوسل إنما هو طلب القرب منه، فقد أخبرنا الله تعالى أنه قريب فلا فائدة لهذا الطلب وخبره صدق، ثم أخبرنا أنه يجيب سؤال السائلين فهو إخبار بأن بيده ملكوت كل شيء، وأخبر بالإجابة ليتحفظ السائل ويراقب ما يسأل فيه لأنه لا بد من الإجابة، فقد يسأل العبد فيما لا خير له فيه لجهله بالمصالح، فهو تنبيه من الله وتحذير أن لا يسأل إلا فيما يعلم أن له فيه الخير الوافر عند الله في الدنيا والآخرة، فمن أخذ هذا الذكر على جهة التنبيه فلم يسأل الله تعالى في حاجة من حوائج الدنيا على التعيين ولكن يسأل فيما له فيه خير مما يعلمه الله مبهماً لا يعين، فإذا عين ولا بد فليسأل فيه الخيرة وسلامة الدين.

وأما تعيينه في السؤال فيما يرجع إلى أمر الدين فليعين ما شاء ولا مكر فيه ولا غائلة،

Marfat.com

وكذلك ما يسأل فيه مما يتعلق بالآخرة، ولكن هنا شرط أبينه في هذا الذكر من أجل ما نرى في الوقائع من عدم الإجابة لأكثر الناس فيما يسألون فيه ربهم، فاعلم أن الله أخبر أنه يجيب دعوة الداع إذا دعاه، وما دعاؤه إياه إلا عين قوله حين يناديه باسم من أسمائه فيقول: يا الله أو يا رب أو رب أو ياذا المجد والكرم وما أشبه ذلك، فالدعاء نداء وهو تأيه بالله، فإجابة هذا القدر الذي هو الدعوة وبها سمي داعياً أن يلبيه الحق فيقول: لبيك فهذا لا بد منه من الله في حق كل سائل، ثم ما يأتي بعد هذا النداء فهو خارج عن الدعاء قد وقعت الإجابة كما قال، فيوصل بعد النداء من الحوائج ما قام في خاطره مما شاءه، فلم يضمن في هذا الذكر إجابته فيما سأل فيه ودعاه من أجله، فهو إن شاء قضى حاجته وإن شاء لم يفعل، ولهذا ما كل مسؤول فيه يقضيه الله لعبده وذلك رحمة به فإنه قد يسأل فيما لا خير له فيه، فلو ضمن الإجابة في ذلك لوقع ويكون فيه هلاكه في دينه وآخرته، وربما في دنياه من حيث لا يشعر، فمن كرمه أنه ما ضمن الإجابة فيمايسأل فيه وإنما ضمن الإجابة في الدعاء خاصة كما بيناه، وهذا غاية الكرم من السيد في حق عبده حيث أبقى عليهم.

ثم إن هذا الذكر إذا أنتج له سماع الإجابة الإلٓهية فإنه لا بد لصاحب هذا الذكر أن يسمع الإجابة ولكن ذوقهم في السماع مختلف، فقد يكون إسماع واحد غير إسماع الآخر، ولكن لا بد من علامة يعطيها الله لهذا الذاكر يعلم بها أنه قد أجاب دعاءه، ومعلوم أنه أجاب دعاءه وإنما أريد أنه يعلمه أن الذي سأل فيه قد قضى، وإن تأخر وأعطى بدله على طريق العوض لما له في البدل من الخير، وقد يكشف له عن خواص الأحوال والأزمنة والأمكنة التي توجب قضاء الداعي فيما سأل فيه وإن لم يكن له فيه خير ويعود وباله عليه، فيكون ممن جنى على نفسه فإذا كشف الله له مثل هذا يتحرّز في الدعاء وفيما يدعو فيه، وكذلك يكشف له بخاصية ما يدعو به من الأسماء والكلمات، ألا ترى ابن باعور أو كان قد آتاه الله العلم بخاصية آية من آياته فدعا بها على موسى عليه السلام وقومه فأجابه الله فيما دعا فيه وشقي هو في نفسه وسلب الله عنه علم ذلك وهو قوله تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾ الآيات، وجعل مثله كمثل الكلب، فيكشف الله لصاحب هذا الذكر علم هذا عناية منه به، فإن في ذلك مكرا إلهيا من حيث لا يشعر، ولا سيما والنفس مجبولة على حب الشفوف على أبناء الجنس وإظهار قدرها عند الله، ولهذا أكابر الأولياء أخفياء أبرياء لا ترى عليهم من أثر المكانة والتقريب ماتحتد من أجله أبصار الخلق إليهم بل لا فرق بينهم وبين العامة، والذين ملكتهم الأحوال لهم خرق العوائد والظهور، ولكن لا يفي ذلك بما

Marfat.com

فيه من المكر والاستدراج فإنه في غير موطنه ظهر ممن لا يجب عليه الظهور به وهو الولي، وأصعب ما في الأمر أن يذوق في ذلك طعم نفسه فإن صاحبه لا يفلح أبداً ولو صرف الكون والعالم على حكمه، فإذا سألتم الله فاسألوه التوفيق والعافية والعناية في تحصيل السعادة ﴿وقل رب زدني علماً﴾ فإن العلم يأبى إلا السعادة، فإن الله ما أمر نبيه بطلب الزيادة منه إلا وقد علم أن عين حصول العلم المطلوب هو عين السعادة ما فيه مكر ولا استدراج أصلاً، وما هو إلا العلم بالله خاصة لا العلم بالحساب والهندسة والنجوم، ولو علم ذلك لكان علم دلالة على علم بالله، فلم يعطه الله ذلك للوقوف عنده، فهذا ذكر عظيم الفائدة، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الرابع والثلاثون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:
﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾

إذا هيئـت للخلـق العظيـم ... فـذاك بشـارة الـرب الكـريـم
أتـاك بهـا رسـول الحـال يسعـى ... بـآيـات العنـايـة للعليـم
فقمـت بهـا مقـام الحـق فيهـا ... كمـا قـام الحـديـث مـن القـديـم
فحـق لـك الثنـاء بكـل وجـه ... وكنـت الـوجـه بـالخلـق العظيـم
فـأنـت الـوارث الفـرد الـذي لـم ... يـزل نـدعـوه بـالبـرّ الـرحيـم
لـك العلـم الـذي مـا فيـه ريـب ... أتتـك بـه مـؤاخـاة الكليـم
فتـدعـى بـالخليـل وبـالنـديـم ... وتـدعـى بـالحميـم وبـالقسيـم

هذه الآية تليت علينا تلاوة تنزل إلهي من أول السورة إلى قوله: ﴿زنيم﴾ عرفنا الحق في هذه التلاوة المنزلة من عند الله في المبشرة التي أبقى الله علينا من الوحي النبوي وراثة نبوية لله الحمد ورثته فيها من قوله: ﴿ولاتك في ضيق مما يمكرون﴾ وفي قوله: ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾، وقوله: ﴿فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا﴾ فشكرت الله على ما حققني به من حقائق الورث النبوي، وأرجو أن أكون ممن لا ينطق عن هوى نفسه جعلنا الله منهم، فإن ذلك هو عين العصمة الإلهية، فإذا

Marfat.com

أراد الله بصاحب هذا الذكر خيراً ألهمه لحديث عائشة في رسول الله ﷺ لما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن» تريد هذه الآية، وكل شيء عظمه الله يتعين تعظيمه على كل مؤمن، فينظر صاحب هذا الذكر في القرآن، فكل نعت فيه قد مدحه الله ومدح به طائفة من عباده كانوا ما كانوا، فيعلم أن ذلك صفة مدح إلهي فليعمل على الاتصاف بتلك الصفات، وإذا ذكر الله في القرآن صفة ذم بها طائفة من عباده كانوا ما كانوا تعين عليه اجتنابها فيأخذ القرآن منزلاً فيه كأن الحق ما خاطب به غيره فإذا فعل مثل هذا كان خلقه القرآن، وعظمه الحق فعظم حيث تنفع العظمة، ومكارم الأخلاق معلومة عقلاً وعرفاً، والتصرف بها وفيها معلوم شرعاً، فمن اتصف بها على الوجه المشروع وزاد تتميم مكارم الأخلاق وهو إلحاق سفسافها بها فتكون كلها مكارم أخلاق بالتصرّف المشروع والمعقول، فقد اتصف بكل ثناء إلهي، وصاحب هذا الذكر يفتح له في معاني آيات السورة التي نزل فيها على أكمل الوجوه، ولا يزال محسوداً بالعداوة مقصوداً وينكشف له أمر الآخرة عياناً، ومن هذه السورة علم رسول الله ﷺ علم الأولين والآخرين، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الخامس والثلاثون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾

الذاكرون بكل حال ربهم ... هم أهل كل فضيلة في العالم
لا يشهدون سواه في أعيانهم ... فهم الملوك على الوجود الدائم
قاموا بحق اللَّه لا بحقوقهم ... في راقد أو قاعد أو قائم
حازوا الكمال فلم يكن لسواهم ... هذا المقام من الإله الحاكم
لهم التفكر في تعلق وصفه ... بوجودهم ووجود كل العالم

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أن الأصل في الخلق حالة الرقاد حتى يكون الحق بقيمه، إما الجلوس فينال نصيباً من الرحمة قال تعالى: ﴿وكنتم أمواتاً فأحياكم﴾ وإما القيام فينال نصيباً من آية قوله تعالى: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ يقول الله تعالى:

Marfat.com

﴿الرحمن على العرش﴾ وقال: ﴿الله لا إله إلا هو الحيّ القيوم﴾ واختلف العلماء من أصحابنا في التخلق بالقيومية هل يصح أو لا؟ فعندنا أنه يصح التخلق بها مثل جميع الأسماء، وقال الله: ﴿الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله﴾ ولقيت أبا عبد الله بن جنيد لما جاء إلى زيارتنا بإشبيلية فسألته في ذلك فقال: يجوز التخلق بها يعني بالإسم القيوم، ثم منع من ذلك وما أدري ما سبب منعه يقول الله تعالى: ﴿الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض﴾ وكان هذا أعني أبا عبد الله بن جنيد القبرفيقي ضيعة من أعمال رندة ببلاد الأندلس فلم أزل به ألاطفه في أصحابه وأتباعه بقريته لكونه كان معتزلي المذهب حتى انكشف له الأمر فرجع عن مذهب الاعتزال القائلين بإنفاذ الوعيد وبخلق الأفعال وعرف محل ذلك فأنزله في موضعه ولم يتعدّ به رتبته وشكرني على ذلك ورجع لرجوعه جميع أصحابه وأتباعه وحينئذ فارقته.

فهذا ذكر الأحوال لا يقف عند ذكر خاص وإنما هو بحسب الحال، ومن حاز هذه الأحوال الثلاثة فقد حاز الوجود، فالآية التي تعمّ جميع الأحوال في الذكر قوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ هذا هو الذكر العامّ الذي يعمّ جميع الأحوال، وبقي ذكر التخصيص فذكر القائم: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وذكر القاعد: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ وذكر الجنب: ﴿وفي الأرض إله﴾ وهذا كله فيه خلاف أعني في تأويله بين العلماء، فأجمع همك على أمر واحد حتى يزول عنك التبديد، فإن شئت راقبت ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وإن شئت راقبت ﴿أأمنتم من في السماء﴾ وكونه في السماء يقول: هل من تائب؟ هل من مستغفر؟ هل من داع؟ وإن شئت راقبت وهو الله في السموات وفي الأرض ﴿يعلم سرّكم وجهركم﴾ وإن كان طعامك ثريداً فراقب ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ وكينونتنا تعم حساً، ومعنى فبالحس حيث نحن من الأرض وحيث نحن فيه من الشغل بالجوارح، ومعنى حيث كنا بالهمم والمقاصد والخواطر فنشهده في الشغل فاعلاً وفي القصد قاصداً أيضاً فنعكس الأمر فنكون بحيث هو فإنا بحيث ما نحن عليه وليس إلا هو:

فكن في أحسن الهيئات تسعد ... وكن في أكمل الحالات ترشد
وكن بالحال لا بالقول فيه ... تكن في حكم من يقضي فيقصد

وهذا القدر من الإيماء نصحة إلهية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب السادس والثلاثون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان هجيره:
﴿ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب﴾

الحرث حرثان محمود ومذموم ... وأنت حارثه والرزق مقسوم
لا تحرثن لدنيا أنت تتركها ... فإن حرثت لها فأنت مذموم
لا تحرثن لما يفنى فلست له ... واحرث لباقية فالأمر مفهوم
واحذر من الركن لا تركن لفانية ... تزول عنك فمكر اللّه معلوم
من حيث علمك يأتيك الإله به ... فلا تثق بوجود فهو معدوم
واحرث لآخرة إن كنت ذا نظر ... كمثل من هو بالخيرات موسوم

قال الله تبارك وتعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ والحسنة حرث الآخرة في الدنيا ﴿فمن كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه﴾ فنوفقه للعمل الصالح، فلا يزال ينتقل من خير إلى خير في خير فمن حسنة إلى حسنة، فإذا كسب الآخرة نال ما اقتضاه العمل والزيادة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهو ذوق، فهذه زيادة الحرث في الآخرة فينال في الآخرة جميع أغراضه كلها وزيادة ما لم يبلغه غرضه، سألت بعض الشيوخ من أهل العلم ما الزيادة في قوله تعالىٰ: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ فقال لي: الزيادة ما لم يخطر بالبال فعلمت ما أراد فلم أزده، وحرث الدنيا ليس كذلك فإنه منزل لا يمكن في وضع مزاجه أن ينال أحد فيه جميع أغراضه، يقول الله تعالىٰ: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ ولقد حرص بعمّه أبي طالب أن يؤمن فلم يفعل ونفذت فيه سابقة علم الله وحكمه، فهذا يقتضيه حال هذه الدار، كما أن الآخرة يقتضي حالها نيل جميع الأغراض من غير توقف، وأعني بالآخرة الجنة ومن دخلها، لا أريد يوم الحشر لأن الله يقول في الأشقياء: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ وأن القيامة أحكامها مقصورة عليها علمنا ذلك كشفاً وإيماناً، واعلم تعالىٰ: ﴿أن كل شيء عنده خزائنه وما ينزله في الدنيا إلاّ بقدر معلوم﴾ فإذا كان في الآخرة عاد الحكم فيما تحوي عليه هذه

Marfat.com

الخزائن التي عند الله إلى العبد العارف الذي كمل الله سعادته فيدخل فيها متحكماً فيخرج منها ما يشاء بغير حساب ولا قدر معلوم، بل يحكم ما يختاره في الوقت، وهو أن المسعود في الآخرة يعطي التكوين ويكشف له عن نفسه أنه عين الخزانة التي عند الله فإنه عند الله.

فكل ما خطر له تكوينه كوّنه فلا يزال في الآخرة خلاقاً دائماً فارتفع التقدير فهو يتبوأ من الجنة حيث يشاء لا حيث يمشي به، فإنه في الجنة ارتفع عنه الافتقار العرضي إلى الأشياء، وما بقي عنده إلا الفقر إلى الله خاصة، وإنما ارتفع عن المسعود الافتقار العرضيّ لما فيه من الذلة والانكسار والحاجة، والجنة ليس بمحل لذلك فإن محل ذلك عموماً في الدنيا ومحله في الآخرة النار، وكذلك الذلة فإن الحق لا يتجلى لهم قط في الإسم المذل فلا يذلون أبداً، وكذلك لا يتجلى لهم في الاسم العزيز من الوجه الذي لو تجلى لهم فيه لذلوا، وإنما يكسوهم الله حلة العزة به على الأمور التي يكونونها لا على أهليهم ولا على من عندهم، فلا سلطان لهم ولا عزالاً فيما يتكوّن عنهم ولا يتكوّن عنهم شيء إلا منهم، فيشهدون الأمر قبل تكوينه، فيتعلق بهم إرادة تكوين ذلك الأمر فعين التعلق عين كينونته، وما يتأخر عنه فأمره أسرع من لمح البصر، فانظر في هذا المنزل ما أعطاك فيه هذا الذكر من الفوائد الجمة الإلهية، واعلم أن للدنيا أبناء وللآخرة أبناء وللمجموع أبناء، وما نبه غيرها على أبناء المجموع، فالسعيد من جمع بين البنوتين فهو الوارث المكمل، وهو القريب البعيد، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السابع والثلاثون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان هجيره:

﴿وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ وهذه آية عجيبة

رأيت في واقعتي أنني ... أدار أهل الأرض بالأرض
لأنهم ليست لهم همة ... ترفعهم عن عالم الخفض
فهم حيارى ما لهم فاصل ... يفصل بين الأمر والعرض
لم يخش خلق الله إلا الذي ... يقام في السنة والفرض

قال الله تبارك وتعالى: ﴿لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم﴾ اعلم

Marfat.com

أن الرجل الكامل واقف مع ما تمسك عليه المروءة العرفية حتى يأتي أمر الله الحتم فإنه بحسب ما يؤمر، فإن كان عرضاً انظر إلى قرائن الأحوال، فإن كانت قرينة الحال تعطيه حكم الأمر الحتم بادر إلى القبول مبادرته إلى الأمر الحتم الذي لا يسعه خلافه، وإن كانت قرينة الحال تحيره بقي على الأمر العرفي الذي يشهد له بمكارم الأخلاق ولذلك قال: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ فهو واقف مع حكم الله، وهكذا المؤمن الكامل الإيمان ما هو مع الناس وإنما هو مع ما يحكم الله به عليه على لسان رسوله ﷺ بالإيمان به ﷺ ثبت الإيمان له، فإن النبي ﷺ يقول في حق من يؤمن بالله ويؤمن بي وبما جئت به وما بعثه الله تعالى إلا ليتمم مكارم الأخلاق، فأحواله كلها مكارم أخلاق فهو مبين لها بالحال وهو أتم وأعدل وأمضى في الحكم من القول فإن الحق:

لــــه نـــزول إلــــى عبـــاده	ومـــا لنـــا نحـــوه عـــروج
فـــإنـــه لـــم يـــزل عليـــا	يجهلـــه العـــالـــم المـــريـــج
مـــن ليـــس فـــي حيـــز تـــراه	فـــلا ولـــوج ولا خـــروج
ونحـــن فـــي حيـــزو وقـــت	يصـــح فيـــه لنـــا الـــولـــوج
لاح بـــأرض الجســـوم عنـــه	مـــن كـــل شـــيء زوج بهيـــج

فنسبة المؤمن الكامل والرسول إلى الخلق نسبة ليلة القدر إلى الليالي، وما أراد بألف شهر توقيتاً بل أراد أنها خير على الإطلاق من جميع ليالي الزمان في أي وجود كان:

إذا بـــدا فيـــك كـــل أمـــر	فـــأنـــت خيـــر مـــن ألـــف شهـــر
فـــي ليلـــة مـــا لهـــا صبـــاح	يـــذهبهـــا منـــك نـــور فجـــر
مـــا الـــروح فـــي كـــونهـــا ســـوائـــي	يـــا ليلـــة القـــدر فيـــك قـــدري
فـــي ليلـــة القـــدر مـــن وجـــودي	ينـــزّل الحـــق كـــل أمـــر

فكان مما نزل: ﴿وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ وما جعله في ذلك إلا قوله ﷺ: «لو كنت أنا بدل يوسف لأجبت الداعي» يعني داعي الملك لما دعاه إلى الخروج من السجن فلم يخرج يوسف حتى قال: ﴿ارجع إلى ربك﴾ يعني العزيز الذي حبسه ﴿فاسأله ما بال النسوة﴾ ليثبت عنده براءته، فلا تصح له المنة عليه في إخراجه من السجن ﴿بل الله يمن عليكم﴾ إذ لو بقي الاحتمال لقدح في عدالته وهو رسول من الله فلا بد من عدالته أن تثبت في قلوبهم، فلذلك كانت الخشية حتى لا ترد دعوة الحق، فابتلى الله نبيه ﷺ بنكاح زوجة

Marfat.com

من تبناه، وكان لو فعله عند العرب مما يقدح في مقامه وهو رسول الله فأبان الله لهم عن العلة في ذلك وهو رفع الحرج عن المؤمنين في مثل هذا الفعل، ثم فصل بينه وبينهم بالرسالة والختم فكان من الله في حق رسول الله ﷺ ما كان من يوسف حين لم يجب الداعي، فهذا من هدى الأنبياء الذي قال فيه لرسوله ﷺ حين ذكر الأنبياء عليهم السلام: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ فلو كان رسول الله ﷺ في الحال الذي كان فيه يوسف عليه السلام ما أجاب الداعي ولقال مثل ما قال يوسف فما قال: لو كنت أنا لأجبت الداعي إلا تعظيماً في حق يوسف كما قال: نحن أولى بالشك من إبراهيم، ولم يكن في شك لا هو ولا إبراهيم من الشك الذي يزعمونه الذي نفاه رسول الله ﷺ، فإنه لو شك إبراهيم لكان محمداً أولى بالشك منه فإنه مأمور أن يهتدي بهداهم، فالرسل والمؤمنون الكمل ما هم واقفون مع ما يعطيهم نظرهم، وإنما يقفون مع ما يأتيهم من ربهم، والذي يأتيهم من الله قد يكون كما قلنا أمراً وعرضاً، فالأمر معمول به ولا بد، وفي العرض التخيير كما قررنا، وأما حالهم في معرفتهم بالله فكما قلنا في قصيدة لنا:

معارف الحق لا تخفى على أحد ... إلا على أحد لا يعرف الأحدا

وكما قلنا:

إذا كان مشهودي هو الكيف والكم ... فما ذاك إلا الوهم ما ذلك العلم
بما هو عين الأمر في عين ذاته ... وهل يتجلى الحق فيما له كَمّ
فما هو حق في الحقيقة واضح ... ولكنه حق عليه بنا ختم
تنزهت بي عن لم وكيف كم وما ... وهل عين لفظ قد يكون له الحكم
وهل ثم موجود يصح فإن تزد ... فما زدت إلا ما يكوّنه الوهم
بذاك أتى القرآن إن كنت ناظراً ... كما قد أتى للمؤمنين به الفهم

فهذا ذكر حكيم يعطي من عوارف المعارف والآداب ما لا يسعه كتاب، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الثامن والثلاثون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿فاستقم كما أمرت﴾

المستقيم الذي قامت قيامته ... من غير موت ولا يدري به أحد
وليس يصرفه عن أمر خالقه ... من الخلائق لا أهل ولا ولد
وما له في وجود الكون مستند ... إلا الإله الذي إليه يستند
إليه يرفع من في الكون حاجته ... لأنه السيد المحسان الصمد
هو المهيمن لا تحصى عوارفه ... يدري بذلك سباق ومقتصد

قال رسول الله ﷺ: «شيبتني هود وأخواتها» من كل سورة فيها ذكر الاستقامة فإنه والمؤمنين مأمور بها والحكم للعلم لا للأمر ﴿وما الله بظلام للعبيد﴾ فإنه ما علم تعالى إلا ما أعطته المعلومات، فالعلم يتبع المعلوم، ولا يظهر في الوجود إلا ما هو المعلوم عليه ﴿فللّه الحجة البالغة﴾ ومن لم يعرف الأمر هكذا فما عنده خبر بما هو الأمر عليه، فالإنسان جاهل بما يكون منه قبل كونه، فإذا وقع منه ما وقع فما وقع إلا بعلم الله فيه، وما علم إلا ما كان المعلوم عليه فصح قوله: ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ والرضا إرادة فلا تناقض بين الأمر والإرادة، وإنما النقض بين الأمر، وما أعطاه العلم التابع للمعلوم فهو فعال لما يريد، وما يريد إلا ما هو عليه العلم، وما لنا من الامر الإلهيّ إلا صيغة الأمر وهي من جملة المخلوقات في لفظ الداعي إلى الله تعالى فهي مرادة معلومة كائنة في فم الداعي إلى الله فتنبه واعتبر ﴿وقل رب زدني علماً﴾ فمن ازداد علماً ازداد حكماً، فانظر فيما أمرت به أو نهيت عنه من حيث أنك محل لوجود عين ما أمرت به أو نهيت عنه من حيث أنك محل لوجود عين ما أمرت به، فمتعلق الأمر عند صاحب هذا النظر أن يهيء محله بالانتظار، فإذا جاء الأمر الإلهي الذي يأتي بالتكوين بلا واسطة فينظر أثره في قلبه أولاً فإن وجد الإبابة قد تكوّنت في قلبه فيعلم أنه مخذول وأن خذلانه منه لأنه على هذه الصورة في حضرة ثبوت عينه التي أعطت العلم لله به، وإن وجد غير ذلك وهو القبول فكذلك أيضاً، فينظر في العضو الذي تعلق به ذلك الأمر المشروع أن يتكوّن فيه من أذن أو عين أو يد أو رجل أو

Marfat.com

لسان أو بطن أو فرج، فإنا قد فرغنا من القلب بوجود الإبابة أو القبول، فلا نزال نراقب حكم العلم فينا من الحق حتى نعلم ما كنا فيه فإنه لا يحكم فينا إلا بنا كما قلنا:

أيهـــا العـــذب التجنـــي والجنـــا ... أيهـــا البـــدر سنـــاء وسنـــا
نحـــن حكمنـــاك فـــي أنفسنـــا ... فـــاحكـــم إن شئـــت علينـــا أو لنـــا
فـــإذا تحكـــم فينـــا إنمـــا ... عيـــن مـــاتحكمـــه فينـــا بنـــا

ومن كان هذا حاله في مراقبته وإن وقع منه خلاف ما أمر به فإنه لا يضره ولا ينقصه عند الله إفضالاً من الله لا تحكماً عليه عز وجل، فإن المراد قد حصل الذي يعطي السعادة وهو المراقبة لله في تكوينه، وهذا ذوق لا يمكن أن يعلم قدره إلا من كان حاله، وهذا هو عين سر القدر لمن فهمه، وكم منع الناس من كشفه لما يطرأ على النفوس الضعيفة الإيمان من ذلك، فليس سر القدر الذي يخفى عن العالم عينه إلا اتباع العلم المعلوم، فلا شيء أبين منه ولا أقرب مع هذا البعد، فمن كان هذا حاله فقد فاز بدرجة الاستقامة وبها أمر فإنه أمر بالمراقبة:

فيتبـــع الحكـــم مـــا يكـــون ... والصعـــب مـــن ذلكـــم يهـــون

ولذلك لم يكن شيب رسول الله ﷺ بالكثير وإنما كان شعرات معدودة لم تبلغ العشرين متفرقة وقال: «شيبتني» فلولا هذا الخاطر ما شاب رسول الله ﷺ، فلما تبين له الأمر كما قررناه وقف عنه الشيب ولم يقم به هم وعلم من أين وقع ما وقع فاستقام كما أمر، فالله يهدينا صراط من أنعم عليه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب التاسع والثلاثون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:

﴿ففروا إلى الله﴾

كـــل مـــن فـــر إلـــى اللّـــه أصـــاب ... والـــذي فـــر مـــن الـــرحمـــن خـــاب
استـــوى عيـــش الـــذي قـــر بـــه ... وإليـــه وحـــلا فيـــه وطـــاب
لـــو تـــرى حـــال الـــذي أشهـــده ... عينـــه حيـــن تجلـــى فـــي الســـراب

Marfat.com

لـــرأيـــت الـــري مــــن أرجـــائــــه خارجاً والساقي من خلف الحجاب
كــــان ظمــــآنـــــاً فلمــــا جـــاءه لــم يــزل صــاحــب كــأس وشــراب
لــــم يجــده مــاء مــزن ســائغــاً إنمـــا كـــان وجـــود ثـــم غـــاب
مــــا حيـــاة المـــــاء إلا عينـــــه والـــذي خـــالـــف فيـــه مـــا أصـــاب

موسى عليه السلام لما فر من فرعون حين خاف من الله أن يسلطه عليه لأن الله فعال لما يريد، فوهبه الله حكماً وهي الرسالة فجعله من المرسلين إلى من خاف أن يسلط عليه وهو فرعون، فإذا أنتج له هذا الفرار من المخلوق خوفاً على نفسه فأين أنت من المحمدي الذي أمرك أن تفر إلى الله، فقيدك بحرف الغاية في القصد الأوّل فربط لك البداية بالنهاية فقال لنا: ﴿ففروا إلى الله﴾ فالموسوي يفر من والمحمدي يفر إلى عن أمر الله تعالى إياه بذلك الفرار، فما أكمل شرعه وما أعلى رتبته والحكم منقطع والرسالة منقطعة، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «إن الرسالة والنبوّة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبيّ» فيزول الحكم المشروع بزوال الدنيا، ويرجع الحكم إلى الله الذي نفر إليه بلا واسطة، فالذي ينتج الفرار إليه لا يقدر قدره فإنه كشف محمدي يربي على كشف الرسل من حيث هم رسل عليهم السلام فيثبتهم هذا الفار في أماكنهم، ويجوز بكشفه فوق رتبة خطاب التكليف فيرى أحدية العين فيقف معها، ومنها يستشرف على أحدية الكثرة فيرى أيضاً نفسه هناك معهم في أحدية الكثرة فيأمرها على بينة من ربه وبصيرة أن تنتظم في سلك المكلفين، فتنصرف النفوس المحسوسة هنا من هؤلاء الفارين إلى الله عن أمرهم فتراهم معصومين محفوظين، فالرسل منهم معصومون في خلافهم، والأولياء محفوظون في خلافهم، فللرسل التشريع وللأولياء الانفعال بحسب ما يشهدونه هنالك، فيكونون في خلافهم على بصيرة ولا يدعون إليه إنما يدعون إلى الله كما تفعل الرسل عليهم السلام، قال الله تعالى لنبيه أن يقول: ﴿أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ فما أفرد نفسه بل ذكر اتباعه معه فإنهم لا يكونون أتباعه إلا حتى يكونوا على قدمه فيشهدون ما يشهد ويرون ما يرى، فحدوا من العلماء بالله الدعاة إلى الله ما يقولون، ولا تنظروا إلى أفعالهم وأحوالهم فإنهم على ما عين الحق لهم غير ذلك لا يكون، قال بعض الصالحين في جلسائهم: من جالسهم وخالفهم في شيء مما يتحققون به نزع الله نور الإيمان من قلبه، فليس لجلسائهم أن يفعلوا مثل أفعالهم، وإنما عليهم أنهم لا ينازعونهم فيما يظهر عليهم من علم الحقيقة فإن أحوالهم تجرى عليها

Marfat.com

ولذلك: قال نزع الله نور الإيمان من قلبه فلايصدقهم فيما يخبرون به عن الحق وهم بهذه المثابة من القرب من الله، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الموفى أربعين وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:
﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم﴾

اركن إلى اللّه لا تركن إلى السبب ... واجنح إلى السلم لا تجنح إلى الحرب
فانظر إلى كل ما في الكون من عجب ... يأتيك سهلاً بلا كد ولا نصب
إذا اعتمدت على الرحمن فيه فكن ... في كل حال مع الرحمن في السبب
فكن به لا تكن فيه بكم فترى ... ما شئت من صور فيه ومن سبب
فإن دعاك إلى ما أنت تجهله ... فلا تجبه فإن العلم في النسب
ولا تنازع وكن باللّه معتصماً ... ولا تحارب فخيل اللّه في الطلب

قال الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿إن الله مع الصابرين﴾ والمدار كله على شهود هذه المعية فإنه ﴿مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ فهو مع الصابرين والمتقين والمحسنين، فهذا الذكر ينتج شهود المعية التي له مع الصابرين خاصة هذا وما هو إلا صبر على الرسول حتى يخرج إليهم فكيف الصبر على الله لما كان رسول ﷺ يذكر الله على كل أحيانه والله جليس من يذكره، فلم يزل رسول الله ﷺ جليس الحق دائماً، فمن جاء إليه ﷺ فإنما يخرج إليه من عند ربه إما مبشراً وإما موصياً ناصحاً ولهذا قال: ﴿لكان خيراً لهم﴾ فلو كان خروجه إليهم مما يسوءهم في آخرتهم ما كان خيراً لهم وقد شهد الله بالخيرية فلا بد منها، وهي على ما ذكرناه من بشارة بخير أو وصية ونصيحة وإبانة عن أمر مقرب إلى سعادتهم غير ذلك لا يكون، ومن صبر نفسه على ما شرع الله له على لسان رسوله ﷺ فإن الله لا بد أن يخرج إليه رسوله ﷺ في مبشرة يراها أو في كشف بما يكون له عند الله من الخير، وإنما يخرج الله إليه رسوله ﷺ لأن رسول الله ﷺ لا يتصوّر على صورته غيره، فمن رآه رآه لا شك فيه بخلاف رؤية الحق فإن الحق له التجلي في صور الأشياء كلها، فإن الأشياء ما ظهرت إلا به سبحانه وتعالى، فالعارف يعلم أن كل شيء يراه ليس إلا الحق وهو معطي السعادة والشقاء والرسول ليس كذلك فيعتمد على رؤية الرسول ولا يغتر برؤية

Marfat.com

الحق، ولهذا الذي أشرنا إليه ادعى من ادعى من البشر والجن الألوهة وقبل منهم وعبدوا من دون الله وما قدر أحد يدعي بأنه محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ وإن تنبى فما يقول أنه محمد وإنما يقول إنه رسول الله فيطالب بالدليل على دعواه، فتنبه إلى عصمة هذا الإسم العلم أن يتصور عليه أحد من خلق الله في كشف ولا نوم كصورته في اليقظة سواء فمن رآه رآه فما تغيرمن صورته تغير حسن، فذلك راجع إلى حال الرائي أو صورة الشرع في المكان الذي رآه فيه عند ولاة أمور الناس، وكذلك لو كان تغير قبح كذلك فاعلم ذلك، فيكون تغيره بالحسن والقبح عين إعلامه وخطابه إياه بما هو الأمر عليه في حقه أو في حق ولاة العصر بالموضع الذي يراه فيه، ورؤية الحق ليست كذلك لأنه ما ثم شيء خارج عنه فكل شيء فيه حسن لا قبح فيه، وما قبح ما قبح من الأمور إلا بالشرع، وفي أصحاب الأغراض بالعرض، وفي أصحاب المزاج بالملائمه للطبع، وفي أصحاب النظر الفكريّ من الحكماء بالكمال والنقص، وصاحب هذا الهجير كثير الصلاة على محمد ﷺ، وعلى هذا الذكر يحبس نفسه ويصبر حتى يخرج إليه ﷺ.

وما لقيت أحداً على هذا القدم غير رجل كبير حداد بإشبيلية كان يعرف باللهم صلِ على محمد ما كان يعرف بغير هذا الإسم، رأيته ودعا لي وانتفعت به لم يزل مستهتراً بالصلاة على محمد ﷺ لا يتفرّغ لكلام أحد إلا قدر الحاجة إذا جاء أحد يطلبه أن يعمل له شيئاً من الحديد فيشارطه على ذلك ولا يزيد، وما وقف عليه أحد من رجل ولا صبيّ ولا امرأة إلا وبد بدّ أن يصلي على محمد ذلك الواقف إلى أن ينصرف من عنده وهو مشهور بالبلد بذلك، وكان من أهل الله، فكل ما ينتج لصاحب هذا الذكر فإنه علم حق معصوم فإنه لا يأتيه شيء من ذلك إلا بواسطة الرسول ﷺ هو المتجلي له والمخبر. لقي رجل بعض الناس في زمان أبي يزيد البسطامي فقال له: هل رأيت أبا يزيد؟ فقال: رأيت الله فأغناني عن أبي يزيد، فقال له الرجل: لو رأيت أبا يزيد مرة كان خير لك من أن ترى الله ألف مرّة، فلما سمع ذلك منه رحل إليه فقعد مع الرجل على طريقه فعبر أبو يزيد وفروته على كتفه فقال له الرجل: هذا أبو يزيد فنظر إليه فمات من ساعته، فأخبر الرجل أبا يزيد بشأن الرجل فقال أبو يزيد: كان يرى الله على قدره فلما أبصرنا تجلى له الحق على قدرنا فلم يطق فمات، ولما كان الأمر هكذا علمنا أن رؤيتنا الله في الصورة المحمدية بالرؤية المحمدية هي أتمّ رؤية تكون، فما زلنا نحرّض الناس عليها مشافهة، وفي كتابنا هذا، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الأحد والأربعون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله :
﴿ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيرا﴾

نصــــرة اللّـــه لنفـــس الظـــالـــم　　نصـــرة ليـــس لهـــا مـــن خـــاذل
فـــإذا مـــا ظلـــم الغيـــر لـــه　　حكـــم مـــا شـــاء بحكـــم فـــاصـــل
وحقـــوق اللّـــه أولـــى وكـــذا　　حـــق نفســـي بعـــدهـــا للعـــاقـــل
ثـــم حـــق الغيـــر فـــي رتبتـــه　　آخـــراً عنـــد العليـــم الفـــاضـــل
وعـــذاب الظلـــم ذوق فـــاحـــذروا　　منـــه فـــي العـــاجـــل أو فـــي الآجـــل
وعلـــوم الـــذوق مـــا يجهلهـــا　　مـــن يـــرى أحكـــامهـــا فـــي العـــاجـــل

اعلم أيدنا الله وإياك بروح القدس أن الظلم هنا هو الظلم الذي جاء في قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا أيمانهم بظلم﴾ وليس إلا الظلم الذي قال فيه لقمان لابنه: ﴿لا تشرك بالله إنّ الشرك لظلم عظيم﴾ كذا فسره رسول الله ﷺ، فمن التزم هذا الذكر بهذه الآية أقامه الحق مقامه في العالم وقلده أمر عباده، ولو بلغ العبد ما عسى أن يبلغ لا يزال خلقاً، ومن حقيقة الممكن العجز فلا بدّ من القصور في رتبة التصريف ذوقاً، فلا بدّ أن يحصل له من العذاب النفسيّ ذوق كبير لأنه ليس في قوته أن يرضي العالم فإن الله ما أرضاهم، ولله الاتساع الذي لا يمكن أن يكون للعبد ولو اتسع الخليفة ما اتسع، فإن ضيق الطبيعة لا بدّ أن يحكم عليه فيضيق عن السعة الإلهية فيتعذب بقدر ما ذاق العذاب الكبير هذا وهو والٍ من عند الله بأمر الله قال تعالى في حق الكامل: ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾ يعني في حق الله وتكذيبه فهذا هو العذاب الكبير الذي ذاقه، وظلمه المذكور في هذا الذكر إنما كان لكونه قبل الولاية عن العرض الإلهيّ فهو مع الأمر يضيق ولا يسمى ظالماً ومع العرض يكون ظالماً ويذوق العذاب الكبير ﴿إنا عرضنا الأمانة على السمٰوات والأرض والجبال﴾ وأيّ أمانة أعظم من النيابة عن الحق في عباده فلا يصرفهم إلا بالحق فلا بدّ من الحضور الدائم، ومن مراقبة التصريف فأبين أن يحملنها وأشفقن منها أي خفن أن لا يقمن

Marfat.com

بحقها فاستبرأن لأنفسهنّ وحملها الإنسان عرضاً أيضاً لما وجد في نفسه من قوّة الصورة التي خلق عليها إنه كان ظلوماً لنفسه وهو قوله: ﴿ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيرا﴾ فإذا ظلم نفسه بقبول النيابة المعروضة عليه أذاقه الله ما قال الله لأبي يزيد: أخرج إلى عبادي بصورتي يعني خليفة فمن رآك رآني فلما خطا عنه خطوة غشي عليه فقال الحق ردّوا عليّ حبيبي فلا صبر له عني، فالنيابة مع الأمر يكون فيها الحرج وضيق الصدر فكيف بالعرض؟ فمن زهد في الخلافة المعروضة فمن هذا الذكر زهد وتركها ولم يقبلها وأشفق منها، ومن قبلها من أصحاب هذا الذكر فبتأويل دخل لهم في أول الدخول في هذا الذكر وهو لفظة العذاب فإنه من العذوية وهي التلذذ بالأمر وهو قول أبي يزيد في بعض أحواله:

وكل مآربي قد نلت منها ... سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

ولم يقل بالآلام وإنما قال بالعذاب لما فيه من العذوبة وهي اللذة باللذة أي أنه يلتذ باللذة لا أنه يلتذ بالأشياء، وهذا مثل ما يقوله أهل النظر في العلم: إن بالعلم يعلم وبالرؤية ترى الرؤية في مذهب المتكلمين، وكذلك تدرك اللذة باللذة، فاعلم ذلك فإنه باب غريب في الذكر، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثاني والأربعون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:
﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾

إنما تعمى القلوب في الصدور ... التي تحوي عليهن الصدور
ثم هذا الحكم فيمن صدرت ... عن ورود كان منها الأمور
ليس يعمى صادر عنه به ... كيف يعمى من له عين الظهور

قال الله تعالى: ﴿ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ على الوجهين: الواحد من الوجهين للحصر والثاني للرجوع، فاعلم أن العماء حيرة وأعظمه الحيرة في العلم بالله، والعلم بالله على طريقين: الطريق الواحدة النظر الفكريّ فلا يزال صاحب هذا الطريق إذا وفى النظر حقه في حيرة إلى الموت فإنه ما من دليل إلا وعليه عنده دخل وشبهة لاتساع عالم الخيال، إذ القوّه المفكرة ما لها تصرّف إلا في هذه الحضرة الخيالية، إما بما فيها مما اكتسبته من القوى الحسية وإما مما تصوّره القوّة المصورة، فإذا كان صاحب هذا النظر في

Marfat.com

الدنيا أعمى أي حائراً ويموت والإنسان إنما يموت على ما عاش عليه وهذا ما عاش إلا حائراً فيجيء في الآخرة بتلك الحيرة، فإذا وقع له الكشف هناك زاد حيرة لاختلاف الصور عليه فهو أضل من كونه في الدنيا، فإنه كان يترجى في الدنيا لو كشف له أن تزول عنه الحيرة، وأما الطريق الثانية في العلم بالله فهو العلم عن التجلي والحق لا يتجلى في صورة مرّتين، فيحار صاحب هذا العلم في الله لاختلاف صور التجلي عليه كحيرة الأول في الآخرة، فما كان لذلك في الآخرة هو لهذا الآخر في الدنيا، وأما البصيرة التي يكون عليها الداعي والبينة فإنما ذلك فيما يدعو إليه وليس إلا الطريق إلى السعادة لا إلى العلم، فإنه إذا دعا إلى العلم أيضاً إنما يدعو إلى الحيرة على بصيرة أنه ما ثم إلا الحيرة في الله لأن الأمر عظيم والمدعو إليه لا يقبل الحصر ولا ينضبط، فليس في اليد منه شي، فما هو إلا ما تراه في كل تجل، فالكامل من يرى اختلاف الصور في العين الواحدة فهو كالحرباء، فمن لم يعرف الله معرفته بالحرباء فإنه لا يستقرّ له قدم في إثبات العين، فأصحاب التجلي عجلت لهم معرفة الآخرة فهم في الدنيا أعمى وأضل سبيلاً من أصحاب النظر لأنه ليس وراء التجلي مطلب آخر للعلم بالله ولا يتصوّر، وهذه الإشارة كافية لمن عقل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، فإن الكلام في هذا الذاكر واسع.

الباب الثالث والأربعون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله :
﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾

عين الرسالة ما تأتي به الرسل ... فخذه لا تتوقف أيها الرجل
أنت المليك الذي جاءت رسالته ... إليك فاعمل بها يصعد لك العمل
إليه من غير قطع في مساحته ... فإن توهمته فذلك الزلل
واصعد إليه تنل عين البقاء به ... وإن قعدت أتاك الصعق والخبل
إن الظروف لتحوي من يحلّ بها ... والأمر أنزه أن يجري له مثل
عليك بالمنزل الأعلى فحلّ به ... لا تقطعنكم الأغراض والعلل
هو المنزه عن نعت وعن صفة ... فلا يقوم به أمن ولا وجل
فأنت أنت إذاً إن كنت صاحبه ... فاعمل لنفسك ما أصحابه عملوا

Marfat.com

ولا يقم بك فيما قد أتيت به عجز ولا كسل فيه ولا ملل

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أن الله يعطي عباده منه إليهم وعلى أيدي الرسل، فما جاءك على يد الرسول فخذه من غير ميزان، وما جاءك من يد الله فخذه بميزان، فإن الله عين كل معط، وقد نهاك أن تأخذ كل عطاء وهو قوله ﴿وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ فصار أخذك من الرسول أنفع لك وأحصل لسعادتك، فأخذك من الرسول على الإطلاق ومن الله على التقييد، فالرسول مقيد والأخذ مطلق منه، والله مطلق على التقييد والأخذ منه مقيد، فانظر في هذا الأمر ما أعجبه، فهذا مثل الأوّل والآخر والظاهر والباطن، فظهر التقييد والإطلاق على الجانبين، وذلك أن الرسول ﷺ ما بعثه الله ليمكر بنا أعني بأمته وإنما بعثه ليبينْ لهم ما نزل إليهم، فلهذا أطلق لنا الأخذ عن الرسول والوقوف عند قوله من غير تقييد، فإنا آمنون فيه من مكر الله والأخذ عن الله ليس كذلك فإن لله مكراً في عباده لا يشعر به قال تعالى: ﴿ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون﴾ وقال: ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ وقال: ﴿وأكيد كيدا﴾ وقال: ﴿إن كيدي متين﴾ وقال: ﴿وهو خير الماكرين﴾. ولم يجعل للرسل في هذه الصفة قدماً لأنهم بعثوا مبينين فبشروا وأنذروا وكله صدق، وأعطى الرسول الميزان الموضوع، فمن أراد السلامة من مكر الله فلا يزل الميزان المشروع من يده الذي أخذه عن الرسول وورثه، فكل ما جاءه من عند الله وضعه في ذلك الميزان، فإن قبله ملكه وإن لم يقبله سلمه لله وتركه فإن تركه عمل به، ولم يجعل نفسه محلاً لقبوله، يقول الجنيد رضي الله عنه: علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة وهما كفتا الميزان، ومعنى قوله أنه نتيجة عن العمل بالكتاب والسنة فإن عزمت على الأخذ عن الله ولا بد لحال غلب عليك فقل لا خلابة فإنك إذا قلت لا خلابة فإن كان من عند الله ثبت فأخذته، وإن كان من مكر الله ذهب من بين يديك فلم تجده عند قولك لا خلابة فإن الأمر بيع وشراء، وإن الله تعالى لا يدخل تحت الشرط، هذا يقتضيه مقام الحق بالذوق، فإنما يشترط على الله من يجهل الله أو يدل عليه لأنه ظن به خيراً كما أمره سبحانه، فإنه لو علم أن الله ما يبعثه في شغل حتى يهيأه لذلك الشغل فإنه حكيم خبير، فلا تقس الله على المخلوق فإن المخلوق يجهل كثيراً منك ومن نفسه والحق ليس كذلك فلا فائدة للإشتراط، يقول موسى عليه السلام حين بعثه ربه: ﴿رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري﴾ فأعطاه ذلك كله، ولم يقل محمد ﷺ شيئاً من هذا كله، فالأولى أن تكون محمدياً فإنه ما ذكر الله من حديث موسى

Marfat.com

عليه السلام ما ذكر إلا ليعلم أن الاشتراط على المستخلف جائز ولا حرج عليه في ذلك لو اشترط، ألا ترى موسى عليه السلام كيف قال لمحمد ﷺ ليلة إسرائه حين فرض الله عليه الصلاة: راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، ثم علل وقال: فإني بلوت بني إسرائيل وما راجع محمد ﷺ في ذلك إلا امتثالاً لأمر الله، فإن الله لما ذكر الأنبياء عليهم السلام قال له: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ فامتثل أمره في رجوعه فكان خيراً، وهذا فائدة الشيخ المتخذ في الطريق فاعلم ذلك:

فخذ منه ما أعطاك إن كنت تابعاً ... ولا تتوقف فالتوقف يصعب
فإن كنت ذا لب وعلم وفطنة ... فقد جاءك الأمر الذي كنت تطلب

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الرابع والأربعون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان هجيرة ما يلفظ من قول: ﴿إلا لديه رقيب عتيد﴾

إن الرقيب على اللسان موكل ... فعليه فيما تلفظون توكلوا
أنطق به إن كنت صاحب نظرة ... واعمل على عين الحقيقة يافل
وكذا جميع قواك منك فإنها ... هي عينه والعين ما لا تجهل
فإذا علمت نصيحتي وشهدتها ... عيناً علمت من الرقيب المرسل

قال الله تعالى: ﴿وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون﴾ وقال رسول الله ﷺ: «إن الله عند لسان كل قائل وما خصص قائلاً من قائل» فأتى به نكرة فكل ذي لسان قائل فهو عند الله ﴿وما عند الله باقٍ﴾، وماكل قائل في كل قول يكون قوله منسوباً إلى الله مثل قوله: إن الله قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده، والمحبوب بإتيان النوافل يكون الحق لسانه فتفاضلت المراتب، فالملك الحافظ الكاتب عند الإنسان كل ما لفظ كتبه الملك، فلا يكتب إلا ما يلفظ به الإنسان فإذا لفظه ورمى به فبعد الرمي يتلقاه الملك، فإن الله عند قوله في حين قوله فيراه الملك نوراً قد رمى به هذا القائل الذي الحق عند لسانه فيأخذه الملك أدباً مع القول يحفظه له عنده إلى يوم القيامة، وإذا عمل يعلم الملك أنه عمل أمراً خاصة ولا يكتبه حتى يتلفظ به، فالحفظة تعلم ما يفعل العبد، ولكنها ما تكتب له عملاً

Marfat.com

حتى يتلفظ به، فإذا تلفظ كتبت فهم شهود إقرار، وسبب ذلك عدم اطلاعهم على ما نواه العبد في ذلك الفعل، ولهذا ملائكة العروج بالأعمال تصعد بعمل العبد وهي تستقله فيقبل منها ويكتب في عليين وتصعد بالعمل وهي تستكثره فيقال لها: اضربوا بهذا العمل وجهه صاحبه فإنه ما أراد به وجهي ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾.

فلو علمت الحفظة ما في نية العبد عند العمل ما ورد مثل هذا الخبر، فالنية في الأعمال لا تكون من العبد إلا من الوجه الخاص ولهذا لا يعلمه من العامل إلا الله، والعامل الذي نوى فيه ما نوى، فالملك يرقب حركة العبد ويكتب منه حركة لسانه إذا تلفظ. والله شهيد لأنه عند قول عبده على الحقيقة لا عند عبده، فهذه الكينونة الإلهية هي التي تحدث بحدوث القول، وسبب ذلك أنه تكوين والتكوين لا يكون أبداً إلا عن القول الإلهي في كل كائن، فجميع ما يتكونّ في الوجود فعن القول الإلهي، فما بين الحق والعبد مناسبة أتم ولا أعمّ من مناسبة القول ولهذا كان عند لسان كل قائل، فإن القول كون مفارق قائلة، فإن لم يكن الله عنده ضاع القول، وإنما كان الله عنده لينشئه صورة قائمة تامة الخلقة، فإنه لا بد أن يكون تعالى مذكوراً بها فيتم منها ما نقصه العبد مما تستحقه نشأتها من الكمال كما يقبل الصدقة ليربيها حتى تكون أعظم من الجبل العظيم، فهذا من باب الغيرة، والأوّل من باب الكمال، وما ينبغي فالغيرة على الجناب الإلهي من الله الذي له الكمال المطلق، ثم لتعلم أن النقص من كمال الوجود لا من كمال الصورة فتنبه فإنه دقيق:

لو لم يكن في الوجود نقص ... لزال عن رتبة الكمال
لكنه ناقص فأبدى ... كماله فيه ذو الجلال
فكل صنع من كل خلق ... لم يخله اللّه من جمال
لأنه راجع إليه ... في كل عقد بكل حال
فلا كمال ولا جمال ... إلا إلى اللّه ذي المعال
من كل شخص بكل وجه ... في الفعل والحال والمقال
يا من يراني بعين حق ... لا تجعل الحكم للخيال
لأنه عقد كل هادٍ ... بل مهتدٍ لا عن الضلال

وإن كان كذلك فاجهد أن لا تصدر منك صورة إلا مخلقة في غاية الكمال في قول وعمل، ولا يغرّنك كون النقص من كمال الوجود لأن ذلك من كمال الوجود ما هو من

Marfat.com

كمال ما وجد عنك، فإن جماعة من الناس زلوا في هذا الموضع لقيناهم فينتج هذا الذكر لصاحبه مشاهدة الحق عند قوله وقبوله له، ومن شاهد الحفظة فمن هذا المقام شهدهم، ولما أشهدنيهم الحق تعالىٰ تعذبت بشهودهم ولم أتعذب بشهود الحق، فلم أزل أسأل الله في أن يحجبهم عني فلا أبصرهم ولا أكلمهم، ففعل الله معي ذلك وسترهم عن عيني، وإنما لم أتعذب بشهود الحق لأنه عند شهود العبد ربه تعالى يشهده شاهداً ومشهوداً وشهوده الملك ليس كذلك فإنه يشهده أجنبياً عنه، ولو كان الحق بصره فإنه أعظم في الأجنبية وأشد في القلق عند صاحب هذه الصفة، لأن الملك لا ينبغي أن يكون رقيباً على الله وهو رقيب فلا بد أن يكون الملك في هذه الحال محجوباً عن الله تعالى لا يشهده صفة عبده، إذ لو شهدها لم يتمكن له أن يكون رقيباً عليه، فلا بد لهذا العبد أن يتقلق بشهود الملك، فإذا غاب عن حسه انفرد بسرّه بربه وأملى على الملك ما شاء أن يملي عليه، فكان الله على كل شيء رقيباً، والملائكة حافظون من أمر الله هذا الشخص الإنساني، قال تعالى: ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾ فهم ملائكة تسخير تكون مع العبد بحسب ما يكون العبد عليه فهم تبع له، وهذا الفارق بين توكيل السلطان على الشخص فإنه تحكم الوكلاء عليه لا يتعدى الموضع الذي حجره السلطان، وحفظه الحق يتبعون العبد حيث تصرف، فهو مطلق التصريف في إرادته، وإن حجر عليه بعض التصرّف فإنه يتصرّف فيما حجر عليه، ولا يستطيع الملك يمنعه من ذلك لأمرين: الواحد لكون الحق قد ذهب الله بسمع هذا العبد عن قوله وببصره عن شهوده، والأمر الآخر لكون الملك الحافظ الموكل به لا يمنعه لشهوده الحق معه في تصرّفه الذي أمره بحفظه، فلذلك لا يحجر الملك عليه التصرف، وتوكيل المخلوق ليس كذلك، فإن الحاكم الذي وكّل الوكلاء به ليس هو عند الموكل عليه، فهذا الفارق بين حكم الوكيل الحق والوكيل المخلوق، فوكلاء الخلق يحفظونه من التصرّف، ووكلاء الحق يحفظونه في التصرّف، وهذا القدر في هذا الذكر من التنبيه كافٍ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب الخامس والأربعون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان هجيره: ﴿واسجد واقترب﴾

لا تطـع النفـس التـي مـن شـأنهـا ... سـدل الحجـاب عليـك واسجـد واقتـرب
لا تطمعـنّ بهـا فلسـت مـن أهلهـا ... واجنـح إلـى النـور المهيمـن واغتـرب
فهـو الـذي أعطـى الـوجـود بجـوده ... فـاعمـل بمـا يعطـي وجـودك تقتـرب

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أن هذا الذكر يوقف العبد على حقيقته، وإذا وقف على حقيقته فقد عرف نفسه، وإذا عرف نفسه عرف ربه، والعبد أبداً لا يطلب بحركته إلا ربه حتى يشهده عين كل شيء ومنه صدر فقد شهد صدوره وهو معه، فقد شهد معيته في تصرفه، فلا بد أن يطلب شهوده فما ينتهي إليه تصرفه فهو غاية المطلب، ولما كان العلو لله عرفاً وعلماً والمعية علماً وشرعاً لا عرفاً أراد أن يرى حكمه في الغاية، فإن السجود في العرف بعد عما يجب لله من العلو، ألا ترى إلى ابن عطاء حين غاص رجل جمله فقال: جلّ الله، فقال الجمل: جل الله وما غاص ليطلب ربه، فإنه سجود قربة من ذلك العضو إلى الله، فلما رأى الجمل جهل ابن عطاء بالله في طلب الرجل ربه بالغوص قال الجمل: جل الله أن تحصره معرفتك فلا يكون له في عقدك إلا العلو، فمن يحفظ السفل وأنا رجل ما أنا رأس فلا بد أن أطلب ربي بحقيقتي وليس إلا السجود، قال رسول الله ﷺ: «لو دليتم بحبل لهبط على الله» وهذا عين ما قال الجمل، فمن سجد اقترب من الله ضرورة فيشهده الساجد في علوه، ولهذا شرع للعبد أن يقول في سجوده: سبحان ربي الأعلى ينزهه عن تلك الصفة، فالسجود إذا تحقق به العبد علم نزول الحق من العرش إلى السماء الدنيا، وذلك سجود القلب يطلب العبد في نزوله كما يطلبه العبد في سجوده، ومن لم يقف في هذا الذكر على الذي نبهت عليه وأمثاله فما هو صاحب هذا الهجير فاعلم ذلك، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الباب السادس والأربعون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان هجيره ومنزله: ﴿فاعرض عن من تولى عن ذكرنا﴾

مـــا أجهـــل المتـــولـــى ‌‌ بمـــن إليـــه تـــولـــى
ولـــــو رآه ابتـــــداء ‌‌ عيـــن عينـــه مـــا تـــولـــى
فمـــن يـــذوق عـــذابـــاً ‌‌ منـــه إذا مـــا تـــولـــى
فلــــــــو رآه رآه ‌‌ مـــن كـــان عنـــه تـــدلـــى
مـــا ثـــم عيـــن ســـواه ‌‌ فهـــو الـــذي قـــد تـــولـــى
مـــن أعجـــب القـــول عنـــدي ‌‌ نـــولـــه مـــا تـــولـــى
إذا وليـــــت أمـــــوراً ‌‌ ولاكهـــا فتـــولـــى

قال الله تعالى: ﴿نوله ما تولى﴾ اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أن التولي عن الذكر المضاف إلى الله الإعراض عنه على الانفراد بل ضم إليه قوله: ﴿ولم يرد إلا الحياة الدنيا﴾ فبالمجموع أمر الحق تعالى نبيه ﷺ إذا وقع بالإعراض عنه فينتج للعارف هذا الذكر خلاف المفهوم منه في العموم، فإن الله له القرب المفرط من العبد سبحانه وتعالى كما قال: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾، والحياة الدنيا ليس إلا نعيم العبد بربه على غاية القرب الذي يليق بجلاله، ولم يكن مراد المذكر بالذكر إلا أن يدعو الغافل عن الله، فإذا جاء الذاكر ودعا بالذكر فسمعه هذا المدعو وكان معتنى به فشاهد المذكور عند الذكر في حياته الدنيا أمر الله هذا المذكر أن يعرض عن هذا المذكور لئلا يشغله بالذكر عن شهود مذكوره والنعيم به فقال الحق يخاطبه: ﴿فأعرض عمن تولى عن ذكرنا﴾ لأن الذكر لا يكون إلا مع الغيبة ولم يرد إلا الحياة الدنيا وهي نعيم القرب، وهذا من باب الإشارة لمن هو في هذا المقام لا من باب التفسير، ثم تمم قال: ﴿ذلك مبلغهم من العلم﴾ ذم في التفسير ثناء من باب الإشارة على هذا الشخص وتنبيهاً على رتبته في العلم بالله، فأما ما فيه من الثناء عليه أنه في حال شهوده للحق في مقام القرب فلا يقدر لفنائه على القيام بما يطلبه به الذكر من التكليف، فكأن المذكر ينفخ في غير ضرم لأنه لا يجد قابلاً فأمر بالإعراض عنه لما في

Marfat.com

ذلك الذكر بهذه الحالة من سوء الأدب في الظاهر مع الذكر، فلو كان هذا السامع عنده من القوّة أن يشهد الحق في كل شيء لشهده في الذكر، فلم يكن الحق يأمر المذكر بالإعراض عنه ولا كان يتولى السامع، فهذا بعض رتبته في هذه الآية وذلك مبلغه من العلم، فإذا أنتج لهذا الذاكر هذا الذكر ما ذكرناه فهو صاحبه، وإن فقد هذا الذي ذكرناه وأخذه على طريق الذم فليس هو بصاحب هجير، فإن الذم في هذا الذكر هو المفهوم الأول، فما زال مما هم عليه عامّة الناس في الفهم، ولا بد أن يكون لصاحب الهجير خصوص وصف يتميز به وهو ما ذكرناه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السابع والأربعون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾

اصدع بربك أو بأمر منه تكن ممن يكلمه الرحمن تكليما
سلم إليه الذي جاءت أوامره به من الحكم في الأعيان تسليما
يعطيك نوراً يريك العين في عدم وفي وجود وأحكاماً وتحكيما
وينزلنك عند الحق منزلة ما نالها آحد قدواً وتعظيما
ويمنحنك علماً لست تعرفه به وترزق آداباً وتعليما

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أن الحق لا يقاوم إلا بالحق فيكون هو الذي يقاوم نفسه، وهو معنى قوله ﷺ: «وأعوذ بك منك» فإذا اتصف العبد بصفة الجبروت والكبرياء قصمه الحق فإنه تعالى لا يقهر إلا المنازع، ولهذا العارف لا يتجلى له الحق في الاسم القاهر أبداً لأنه غير منازع، فالعارف يتجلى بالإسم القاهر ولا يتجلى له الحق فيه، وهذه الصفة في المخلوقين لا تكون قط عن حقيقة بل يعلمون عجزهم وقصورهم، وإنما ذلك صورة ظاهرة كبرق الخلب، فعلى قدر ما يظهر من هذه الصفة يتوجه القهر الإلهي والبطش الشديد، ولما اختلف المحل على الصفة لذلك ظهر الأقوى على الأضعف، فما وقع التفاضل إلا في المحل لا في الصفة، فإذا صدع بأمر الله فالقهر بأمر الله لا له فنفذ في المصدوع لأنه ما قال له اصدع إلا ولا بد أن يكون ذلك قابلاً للنفوذ فيه حتى يسمى مصدوعاً، فلو كان لا يقبل النفوذ لكان هذا الأمر عبثاً، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وأعرض

Marfat.com

عن المشركين﴾ فإنه لا ينفذ في المشرك إذ لو نفذ لوحد فقال له: ﴿وأعرض﴾ لأنهم ليسوا بمحل فيأمر الرسول المشرك من غير صدع، والذي علم منه أنه يجيب ويقبل الأمر ولو على كره هو الذي يصدع بالأمر، فإذا تحقق العبد بهذا الذكر ولم ينكشف له من يقبل أمر ربه ممن لا يقبله فما هو في بعض الوجوه ممن دعا إلى الله على بصيرة، فإن الداعي على بصيرة لا بدّ أن يكون آمراً في حق طائفة وصادعاً بالأمر في حق طائفة، فيعلم من يتأثر لأمره ممن لا يتأثر، ففائدة هذا الذكر تنوير البصائر وكمال الدعوة إلى الله وهي مدرجة الرسل عليهم السلام والكمل من الورثة في الدعاء فتجد كلامهم كأنه القرآن جديداً لا يبلى، فيفتح للمؤمن به المعاني دائماً، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثامن والأربعون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله وهجيره: ﴿فاذكروني أذكركم﴾

من يذكر اللَّه في أحواله أبداً ... يذكره فيها فلا تنفك تذكره
فإن ذكرك ذكر الحق ليس سوى ... ما قلته وكذا في الكشف تبصره
الحق عين وجود الكون فاعتبروا ... العين تشهده والوهم يحصره
والعقل ينفي بحكم الفكر صورته ... والفكر يستره والكشف يظهره
والعقل بينهما حارت خواطره ... هذا ينزهه وذا يصوره
وليس يدري الذي فيه يقلده ... فاللَّه يرشده اللَّه ينصره
إذا رأى العقل ما قلناه فيه رأى ... أمراً عظيماً ونوراً فيه يبهره
وكل ذلك حدو الحدود أبت ... فليس شيء من الأشياء يحجره

قال الله تعالى جده وكبرياؤه: ﴿هو الذي يصلي﴾ فوصف نفسه بالتأخر في الذكر عن ذكر العبد، وهنا كان ذكر العبد يعطي في نفس الحق الذكر لعبده كما يعطى السائل الإجابة في الحق، ومن هذه الحضرة ظهر تأثير الكون في الوجود الحق، فإذا كان الذاكر صحيح الذكر وهو أن يسمع بذكره المذكور وهو صادق في أنه يذكره إذا ذكره عبده فلا بد أن يسمعه ذكره لصدقه في قوله: فمن لم يسمع ذكر ربه إياه عند ذكره فيتهم نفسه في ذكره وأنه ما وفى بشرط الذكر الموجب لذكر ربه إياه، وهنا سر لا يمكن كشفه من أجل الدعوى، وهو أن الله

Marfat.com

قد أعلمنا بما تذكره من تكبير وتهليل وتسبيح وتقديس وتحميد وتمجيد كل ذلك معلوم مقرر، وما أعلمنا بما يذكرنا، فإذا ذكره صاحب هذا الذكر ووفى الشرط في الإخلاص والحضور فعلامته أن يسمع ما يذكره به ربه فيعلم ما يذكره به كما أعلمه على لسان الرسول ما يذكر به ربه، فإذا لم يعلم ذلك فما هو ذلك الذاكر ولا صاحب هجير فليلزم ما قلناه فإنه لا علامة له على صحة ذكره إلا ما ذكرناه خاصة، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب التاسع والأربعون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿أما من استغنى فأنت له تصدى﴾

إذا تجلت صفات الحق في أحد ... يعظم الكشف ذاك الواحد الأحدا
ولو يعاتبه فيه منزهه ... فإنه يقبل العتب الذي وردا
فإنه عالم بما به وردا ... وعالم بالذي في عتبه قصدا
إن الأمور إذا انسدت مسالكها ... فليس يفتحها إلا الذي وجدا
لولا الصفات التي في خلقه ظهرت ... لما عشقت بها مالاً ولا ولدا
ولا اتخذت وجود الأهل لي سكنا ... ولا الملوك ولا الأسباب لي سندا
هذي المطالب قد عزت مطالبها ... وليس يعرفها إلا الذي شهدا

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أن الله لما فرق بين ما يستحقه الكون من الصفات وبين ما تستحقه الذات من الصفات أو الجناب الإلهي عظم عند العارفين بذلك نعت الحق، فحيثما رأوه مالوا إليه ابتداء لعزته كلما بدا لهم، فإذا عوتب العارف في ذلك قبل العتب هنالك خاصة ولم يطرده، فمتى تجلى له نعت إلهي مثل ذلك أيضاً تصدى له وعظمه، فإن عوتب كان حاله فيه مثل الحال الأول، فإن طرد العتب في كل نعت من نفسه فليس هو صاحب ذوق وإنما هو صاحب قياس في الطريق فلا يتميز في عبيد الاختصاص أبداً، فإنه إذا طرد ذلك عامل نعت الحق بما لا يجب، وهنا زلت أقدام طائفة من المتشرعين ولم يكن ينبغي لهم ذلك، فإن رسول الله ﷺ قد نبه على ما قلناه، وجعلني أن أحتج به على ما قررناه وهو قوله ﷺ: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه» وقال عز وجل: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم﴾.

واعلم أن الملك العزيز في قومه ما جاء إليك ولا نزل عليك إلا وقد ترك جبروته

Marfat.com

خلف ظهره أو كان جبروتك عنده أعظم من جبروته، فعلى كل حال قد نزل إليك فأنزله أنت منزلته من نفسه التي يسرّ بها تكن حكيماً، وما عاتب الله نبيه في الأعمى والأعبد إلا بحضور الطائفتين، فبالمجموع وقع العتب وبه أقول لا مع الانفراد، فتعظيم الملوك والرؤساء من تعظيم ربك، وتعظيم الفقراء جبر لا غير لانكسارهم في فقرهم، فإن كان الفقراء من فقراء الطريق فليس ذلك بجبر عنده فإنه لا يزول عنه فقره وانكساره بتعظيمك وقبولك وإقبالك، فإن المشهود إنما هو ربه، وإنما الجبر إنما هو للفقراء من الله، فالذاكر بهذا لا يزال الذكر معظماً صفة الحق ظهرت على أي محل ظهرت، وإن عوتب اقتصر على الشخص دون غيره فتنبه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الموفى خمسين وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا﴾ الآية

إذا تجلـى لمـن تجلـى ... أصعقـه ذلـك التجلـي
وإن تـدلـى بمـن تـدلـى ... نـوره ذلـك التـدلـي
لمـا رأيـت الـذي تجلـى ... أشهـدنـي فيـه عيـن ظلـي
اللّـه لا ظـاهـر سـواه ... فـي كـل ضـد وكـل مثـل
وإن تـولـى عمـن تـولـى ... أهلكـه ذلـك التـولـي
قلـت الـذي قـد سمعتمـوه ... بـاللّـه يـا سيـدي فقـل لـي
مـن لـي إذا لـم أكـن سـواه ... وليس عيني قل لي فمن لي
وكـل جنـس وكـل نـوع ... وكـل وصـل وكـل فصـل
وكـل حـس وكـل عقـل ... وكـل جسـم وكـل شكـل

اعلم أيدنا اللّه وإياك أن الأمر في التجلي قد يكون بخلاف ترتيب الحكمة التي عهدت، وذلك أنا قد بينا استعداد القوابل، وأن هناك ليس منع بل فيض دائم وعطاء غير محظور، فلو لم يكن المتجلى له على استعداد أظهر له ذلك الاستعداد هذا المسمى تجلياً ما صح أن يكون له هذا التجلي، فكان ينبغي له أن لا يقوم به دك ولا صعق، هذا قول المعترض علينا، قلنا له: يا هذا الذي قلناه من الاستعداد نحن على ذلك الحق متجلٍ دائماً والقابل لإدراك هذا التجلي لا يكون إلا باستعداد خاص، وقد صح له ذلك الاستعداد فوقع

Marfat.com

التجلي في حقه، فلا يخلو أن يكون له أيضاً استعداد البقاء عند التجلي أو لا يكون له ذلك، فإن كان له ذلك فلا بد أن يبقى، وإن لم يكن له فكان له استعداد قبول التجلي ولم يكن له استعداد البقاء، ولا يصح أن يكون له فإنه لا بد من اندكاك أو صعق أو فناء أو غيبة أو غشية فإنه لا يبقى له مع الشهود غير ما شهد، فلا تطمع في غير مطمع، وقد قال بعضهم: شهود الحق فناء ما فيه لذة لا في الدنيا ولا في الآخرة، فليس التفاضل ولا الفضل في التجلي، وإنما التفاضل والفضل فيما يعطي الله لهذا المتجلي له من الاستعداد، وعين حصول التجلي عين حصول العلم لا يعقل بينهما بون كوجه الدليل في الدليل سواء بل هذا أتم وأسرع في الحكم. وأما التجلي الذي يكون معه البقاء والعقل والالتذاذ والخطاب والقبول فذلك التجلي الصوري، ومن لم يرَ غيره ربما حكم على التجلي بذلك مطلقاً من غير تقييد، والذي ذاق الأمرين فرّق ولا بد، وبلغني عن الشيخ المسن شهاب الدين السهروردي ابن أخي أبي النجيب أنه يقول بالجمع بين الشهود والكلام فعلمت مقامه وذوقه عند ذلك، فما أدري هل ارتقى بعد ذلك أم لا؟ وعلمنا أنه في مرتبة التخيل وهو المقام العام الساري في العموم، وأما الخواص فيعلمونه ويزيدون بأمر ما هو ذوق العامة، وهو ما أشار إليه السياري، ونحن ومن جرى مجرانا في التحقيق من الرجال، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الأحد والخمسون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾

كل من يعمل ما كلف به ... فبه يسعد حقاً فانتبه
ثم للشارع فيه نظر ... ويرى اللّه الذي قد جئت به
فيرى المنصف يسعى جاهداً ... وكذا كل لبيب منتبه
يسع في تحصيل زاد مبلغ ... من حلال لا بزاد مشتبه
إنما ينظر في أعمالنا ... من له الحكم الذي يحكم به

قال الله تعالى: ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ ولكل راء عين تليق به فيدرك من المرئي بحسب ما تعطيه قوّة ذلك العين، فثم عين تعطي الإحاطة بالمرئي، وليس ذلك إلا الله، وأما ما يراه الرسول والمؤمنون فليس إلا رؤية خاصة ليس فيها إحاطة فيراه الرسول بحسب

Marfat.com

ما أرسل به، وكذلك المؤمن يراه بقدر ما علم من هذا الرسول، فليست عين المؤمن تبلغ في الرتبة إدراك عين الرسول، فإن المجتهد مخطىء ومصيب، والرسول حق كله فإن له التشريع، وهو العين المطلوبة لطالب الدلالة، فإذا قامت صورة العمل نشأة كاملة كان العمل ما كان من المكلف يراها الله من حيث أراها الرسول والمؤمنين ومن حيث لا يرونها، أعني تلك الصورة العملية، ويراها الرسول من حيث ما يراها المؤمنون ومن حيث ما يراها، ويرى أيضاً المؤمنون ذلك العمل من حيث يرونها لا من حيث يراها الرسول، فالرسول مقرّر حكم المجتهدين والمجتهدان يتنازعان ويخطىء كل واحد منهما صاحبه، فلو ساوت الرؤية من كل ذي عين لما كان في العالم نزاع ﴿وإلى الله يرجع الأمر كله﴾ في ذلك، فإذا حكم في الأمور بنفسه بماذا يحكم هل بما يراه أو بما يراه الرسول أو بما يراه المؤمنون؟ فصاحب هذا الذكر يرى مواطن في القيامة يحكم فيها الله بما يراه في العمل، ومواطن يحكم فيها الله بما يراه الرسول في العمل لا بما يراه الله، ومواطن يحكم فيها الله بما يراه المؤمنون لا بما يراه الرسول، ومواطن يحكم فيها بالمجموع، فإذا وقف هذا الذاكر على هذه الأحكام وشاهد هذه المواطن فهو صاحب ذكر له، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثاني والخمسون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك﴾ الآية

من كان مثل أبيه في تصرفه ... يأتي إلى الحق مهما نفسه ظلما
واستغفر اللَّه مما قد عصاه به ... وزاد قدراً على مقداره وسما
ثم اجتباه بما قد خصه وهدى ... من الرجوع عليه بالذي حكما
للشرع فيه موازين معدلة ... يقضي بها صاحب الحق الذي علما
في حالة العدل والإحسان يطلبها ... منه ويخرج بالإحسان من فهما

قال الله تعالى مخبراً عن آدم عليه السلام: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ فالظالم نفسه لا الظالم لنفسه هو الذي يرجع إلى ربه، فإن الظالم لنفسه ما خرج عن ربه حتى يرجع إليه فإنه من المصطفين، فالظالم نفسه يجيء للحق المشروع له الذي ظهر الرسول في حياته بصورته، ولذلك كان يقال له رسول الله في التعريف ما كان يقال له محمد فقط، وكذلك

Marfat.com

أخبر الله في قوله ﴿محمد رسول الله﴾ وقال: ﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ فإذا جاء الظالم إلى الحق المشروع الذي بأيدينا اليوم فإن تجسد له في الصورة المحمدية فيعلم أنه من أصحاب هذا الذكر إما في النوم أو في اليقظة كيف كان، وإن لم يتجسد له فما هو ذلك الرجل، فإذا تجسد له فلا يخلو أن يستغفر الله هذا الظلم نفسه أو لا يستغفر الله، فإن استغفر الله ولم يرَ صورة الرسول تستغفر له فإنه بالمؤمنين رؤوف رحيم، فيعلم عند ذلك أنه ما استغفر الله، فإن استغفاره الله في ذلك الموطن يذكر النبيّ ﷺ بالاستغفار لله في حقه، فيجد الله عند ذلك ﴿تواباً رحيما﴾ وقد ظلمت نفسي وجئت إلى قبره ﷺ فرأيت الأمر على ما ذكرته، وقضى الله حاجتي وانصرفت، ولم يكن قصدي في ذلك المجيء إلى الرسول إلا هذا الهجير، وهكذا تلوته عليه ﷺ في زيارتي إياه عنده قبره فكان القبول وانصرفت، وذلك في سنة إحدى وستمائة، فقد أعلمتك كيف يجيء الظالم نفسه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثالث والخمسون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:

﴿والله من ورائهم محيط﴾

إن الإحـاطـة للـرحمـن تحـديـد ... مـع الـوراء ويقضـي فيـه تجـريـد
فمـن تجـرّد عـن أكتـاف نشـأتـه ... لـم يقـضِ فـي عقلـه للّـه تحـديـد
اللّـه أنـزه أن يقضـي عليـه بمـا ... يـردّه لجـلال اللّـه تحميـد
كمـالـه مَـن وجـوه الكـون أجمعـه ... تسبيـح حمـد وتهليـل وتمجيـد

قال الله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ لما كان الحق عين الوجود لذلك اتصف بالإحاطة بالعالم، وإنما جعل الله الإحاطة بالوراء للحفظ الإلهي، وذلك لما جعل له عينين وجعلهما في وجهه الذي هو الإمام منه والجنبات، وكل ذلك كان الواقع المسمى عادة، ولم يكن للوراء سبب يقع به الحفظ لهذا المذكور فحفظه الله بذاته ولم يجعل له سبباً يحفظه به سواه، فحصلت نشأة الإنسان بين إمامه وإمام الحق، فما قابله كان شهادة وما كان وراءه كان غيباً له، فهو من إمامه محفوظ بنفسه ومن خلفه محفوظ بربه، وليس وراء الله مرمى ولو لم يكن الحق من ورائهم محيطاً لأخذ الإنسان من ورائه، فأمن مما يحذره

Marfat.com

واعتمد على حفظه بما شاهده من إمامه، فحصل له الأمان من إمامه غيباً وشهادة، وحصل له الأمان من ورائه إيماناً، فإن أخذه الله من أي ناحية أخذه من مأمنه، وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة أخذها من ورائها، وأما الإحاطة العامة فهي الأخذ الكلي وهو قوله: ﴿والله محيط بالكافرين﴾ من غير تقييد بجهة خاصة، لكن هو أخذ بتقييد صفة وهو الكفر وليس سوى الستر فأشبه الوراء لأنه لا يدركه الإنسان، فما رأينا أخذ الإحاطة يكون عن شهود أينما ورد، فإذا أخذ الله من أخذ من أوليائه لا يأخذه إلا من ورائه لئلا يفجأه فهو يأخذه برفق حتى لا يشعر، فإذا أحس بذلك أنس لما يجد فيه من اللذة لأنه لا عن مشاهدة تفنيه ولذلك أضرب بأداة بل عن الأول فقال: ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ أي جمع شريف يعني ما هو عليه من الأسماء والنعوت ﴿في لوح محفوظ﴾ وهو أنت إشارة واعتباراً، وأنت لست منك في جهة وإن كانت الجهات فيك وما ثم سواك، فانتفى الوراء لهذا الإضراب ولم ينتفِ بوجه فإنه عينك وما بقي في الوجود سوى عين واحدة وهو أنت، فتنبه لما أومأنا إليه في هذا الإضراب، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الرابع والخمسون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله:

﴿ولا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا﴾

لا تحسبن رجالاً يفرحون بما ... أتوا وليس لهم فيما آتوا قدم
ويفرحون بحمد الخلق فيه وما ... لهم من الفعل إلا الفقد والعدم
وذاك هجير ختم الأولياء ومن ... يكن له مثل هذا الوصف ينعدم
وهو الإمام الذي رست قواعده ... الطيب الطاهر المحسان والعلم
تعنو له أوجه الأملاك قاطبة ... والخلق تعنو له واللوح والقلم

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أني التزمت هذا الذكر أيضاً سنين متعددة حتى كنت أسمي به في بلدي كما كنت أسمي أيضاً بغيره من الأذكار، ورأيت له بركات ظاهرة، فلا بقوله أتوا ولا بقوله بما لم يفعلوا فهو قوله: ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ وقوله: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ فيجيء الإنسان بالفعل من كون الفعل ظهر فيه، فيحب أن

Marfat.com

يحمد بما فعل فيه والفعل ليس له، فله من الالتذاذ بذلك على قدر دعواه إلا أنه التذاذ موجع لكونه يعلم الأمر على خلاف دعواه كالمتكبر الجبار الذي لا يمكن له أن ينتزح عن ضروراته وافتقاره إلى أدنى الأسباب المريحة له من ألمه، فقوله: ﴿فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب﴾ يقول: لا تظن أنم يلتذون بذلك إشارة لا حقيقة ويستعذبونه بل لهم فيه استعذاب إن كانوا عارفين، فجمعوا في هذا الذوق بين العذاب والألم فهم من وجه في نعيم ومن وجه في ألم مؤلم كما قال بعضهم:

فهل سمعتم بصب سليم طرف سقيم
منعم بعذاب معذب بنعيم

واعلم أن كل ذكر ينتج خلاف المفهوم الأوّل منه فإنه يدل ما ينتجه على حال الذاكر كما شرطناه التفسير الكبير لنا إلا لكامل من الرجال، فإنه يعلم جميع ما ينتجه ذلك الذكر لعدم تقييده وخروجه عن تلك الصفات والأسماء التي تحت ولاية الإسم الله، فإن الكامل من الرجال بمنزلة الإسم الله من الأسماء وإن كان له الإطلاق فلا ينطق به إلا مقيداً بالحال أو اللفظ لا بد من ذلك، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الخامس والخمسون وخمسمائة

في معرفة السبب الذي منعني أن أذكر فيه بقية الأقطاب من زماننا هذا إلى يوم القيامة

لكل منع سبب ظاهر أو باطن لا بد من كونه
فمانع يظهر من غيره ومانع يظهر من عينه
وقد يكون المنع من قربه وقد يكون المنع من بينه
فمن وجود العقل عن فكره تجد وجود الحق في صونه
فزينة الإنسان من نفسه إدراكه الزينة في شينه

اعلم وفقنا الله وإياك أن الكتب الموضوعة لا تبرح إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وفي كل زمان لا بد من وقوف أهل ذلك الزمان عليها، ولا بد في كل زمان من وجود قطب عليه يكون مدار ذلك الزمان، فإذا سميناه وعيناه قد يكون أهل زمانه يعرفونه بالإسم والعين ولا يعرفون رتبته، فإن الولاية أخفاها الله في خلقه، وربما لا يكون عندهم في

Marfat.com

نفوسهم ذلك القطب بتلك المنزلة التي هو عليها في نفس الأمر، فإذا سمعوا في كتابي هذا بذكره أداهم إلى الوقوع فيه، فينزع الله نور الإيمان من قلوبهم كما قال رويم وأكون أنا السبب في مقت الله إياهم، فتركت ذلك شفقة مني على أمة محمد ﷺ، وما أنا في قلوب الناس ولا في نفس الأمر ولا عند نفسي بمنزلة الرسول يجب الإيمان بي عليهم وبما جئت به، ولا كلفني الله إظهار مثل هذا فأكون عاصياً بتركه، ولا هذه المسألة بمنزلة قوله تعالى: ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ وبسط الرحمة على الكافة أولى من اختصاصها في حقنا، وقد فعل مثل هذا القشيريّ في رسالته حيث ذكر أولئك الرجال في أوّل الرسالة، وما ذكر فيهم الحلاج للخلاف الذي وقع فيه حتى لا تتطرق التهمة لمن وقع ذكره من الرجال في رسالته، ثم أنه ساق عقيدته في التوحيد في صدر الرسالة ليزيل بذلك ما في نفس بعض الناس منه من سوء الطوية، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السادس والخمسون وخمسمائة

في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾
وهو من أشياخنا درج سنة تسع وثمانين وخمسمائة رحمه الله

تبارك الملك وللإمام ... بالكشف والحال والمقام
وهو الذي لا يزال ملكاً ... في كل حال على الدوام
له الكمال الذي تراه ... في كونه أعين الأنام
له الكمال الذي تراه ... يزيد قدراً على التمام
مرتباً للأمور كشفاً ... في عالم النور والظلام
يشهد في الانتباه عيناً ... عين الذي كان في المنام
نسأله في الكلام وحياً ... فجاد بالوحي في الكلام

كان هذا الهجير والمقام لشيخنا أبي مدين، وكان يقول أبداً سورتي من القرآن: ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ وهي مختصة بالإمام الواحد من الإمامين، ولها الزيادة دائماً في الدنيا والآخرة فإنها مختصة بالملك، والزيادة إنما تكون من الملك، فإذا تكررت تضاعف على الذاكر ما ينعم الله به على عبده، والناس على مراتب مختلفة، وتكون زياداتهم على

Marfat.com

حسب مراتبهم بما هم فيه، فمن كان من أهل المعاني كانت الزيادة من المعاني، ومن كان من أهل الحس كانت زيادته من المحسوسات، قد علم كل أناس مشربهم، فلو أعطى في المزيد خلاف ما تعطيه مرتبته لم يقم به رأساً فينسب إلى سوء الأدب، وإذا وافق رتبته وقع به الفرح منه والقبول وزاد في الشكر فتضاعف له المزيد، واعلم أن هذا الذاكر بهذا الذكر الخاص لا بد أن ينقدح له أن عينيه يد الحق الذي بها الملك، فيرى الحق يعطي به من لا يرى أنه يده، فيكون الحق مشكوراً عند المنعم عليهم من جهة هذا الذاكر، فيجني ثمرة نعيم كل منعم عليه فيشركهم في كل نعيم ينالونه من أي نوع كان من الأنعام، وهذا لا يكون إلا لمن كمل من رجال الله، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السابع والخمسون وخمسمائة

في معرفة ختم الأولياء على الإطلاق

ألا أن ختـــم الأوليـــاء رســـول ... وليس لـه فـي العـالميـن عـديـل
هـو الـروح وابـن الـروح والأم مـريـم ... وهـذا مقـام مـا إليـه سبيـل
فينـزل فينـا مقسطـاً حكمـاً بنـا ... ومـا كـان مـن حكـم لـه فيـزول
فيقتـل خنـزيـراً أو يـدمـغ بـاطـلاً ... وليـس لـه إلا الإلـه دليـل
يـؤيـده فـي كـل حـال بـآيـة ... يـراهـا بـرأي العيـن فهـو كفيـل
يقيـم بـأعـلام الهـدى شـرع أحمـد ... يكـون لـه منـه لـديـه مقيـل
يفيـض عليـه مـن وسيلـة ملكـه ... ولكنـه فـي حـالتيـه نـزيـل

اعلم وفقنا الله وإياك أن الله تعالى من كرامة محمد ﷺ على ربه أن جعل من أمته رسلاً، ثم أنه اختص من الرسل من بعدت نسبته من البشر، فكان نصفه بشراً ونصفه الآخر روحاً مطهرة ملكاً لأن جبريل وهبه لمريم ﴿بشراً سوياً﴾ رفعه الله إليه ثم ينزله ولياً خاتم الأولياء في آخر الزمان يحكم بشرع محمد ﷺ في أمته، وليس يختم إلا ولاية الرسل والأنبياء وختم الولاية المحمدي يختم ولاية الأولياء لتتميز المراتب بين ولاية الولي وولاية الرسل، فإذا نزل ولياً فإن خاتم الأولياء يكون ختماً لولاية عيسى من حيث ما هو من هذه الأمة حاكماً بشرع غيره، كما أن محمداً خاتم النبيين وإن نزل بعده عيسى كذلك حكم عيسىٰ في ولايته بتقدمه بالزمان خاتم ولاية الأولياء وعيسىٰ منهم، ورتبته قد ذكرناها في

Marfat.com

كتابنا المسمّى عنقاء مغرب فيه ذكره وذكر المهدي الذي ذكره رسول الله ﷺ، فأغنى عن ذكره في هذا الكتاب ومنزلته لا خفاء بها، فإن عيسىٰ كما قال: ﴿رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. انتهى السفر الأحد والثلاثون.

بسم الله الرحمن الرحيم
الباب الثامن والخمسون وخمسمائة

في معرفة الأسماء الحسنى التي لرب العزة
وما يجوز أن يطلق عليه منها لفظاً وما لا يجوز

أرى سلم الأسماء يعلو ويسفل ... وتجري به ريح جنوب وشمأل
فيا عجباً كيف السلامة والعما ... شقيق الهدى والأمر ما ليس يفصل
ألم تر أنّ اللّه في النار يعدل ... وفي جنة الفردوس يسدي ويفضل
فإن قلت هذا كافر قلت عادل ... وإن قلت هذا مؤمن قلت مفضل
فهذا دليل أن ربي واحد ... يولي الذي شاء الإله ويعزل
فأعياننا أسماؤه ليس غيرها ... ففي نفسه يقضي الأمور ويفصل

قال الله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ وليست سوى الحضرات الإلهية التي تطلبها وتعينها أحكام الممكنات، وليست أحكام الممكنات سوى الصور الظاهرة في الوجود الحق، فالحضرة الإلهية اسم لذات وصفات وأفعال، وإن شئت قلت صفة فعل وصفة تنزيه، وهذه الأفعال تكون عن الصفات والأفعال وأسماء ولا بدّ، لكن منها ما أطلقها على نفسه، ومنها ما لم يطلق، لكن جاء بلفظ فعل مثل: ﴿ومكر الله﴾ ﴿وسخر الله﴾ ﴿وأكيد كيدا﴾ والله يستهزىء بهم الذي إذا بنيت من اللفظ اسم فاعل لم يمتنع، وكذلك الكنايات منها مثل: ﴿سرابيل تقيكم الحرّ﴾ وهو تعالى الواقي، والنائب هنا السربال وشبه ذلك، ومنها الضمائر من المتكلم والغائب والمخاطب والعامّ مثل قول الله تعالى: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾ فقد تسمى في هذه الآية بكل ما يفتقر إليه، فكل ما يفتقر إليه فهو اسم لله تعالى إذ لا فقر إلا إليه، وإن لم يطلق عليه لفظ من ذلك، فنحن إنما نعتبر المعاني التي تفيدنا العلوم، وأما التحجير ورفع التحجير في الإطلاق عليه سبحانه فذلك إلى الله،

Marfat.com

فما اقتصر عليه من الألفاظ في الإطلاق، اقتصرنا عليه، فإنا لا نسميه إلا بما سمى به نفسه، وما منع من ذلك منعناه أدباً مع الله، فإنما نحن به وله، فلنذكر في هذا الباب الحضرات الإلهية التي كنى الله عنها بالأسماء الحسنى حضرة حضرة، ولنقتصر منها على مائة حضرة، ثم نتبع ذلك بفصول مما يرجع كل فصل منها إلى هذا الباب، فمن ذلك الحضرة الإلهية وهي الاسم الله.

اللّـه اللّـه الـذي حكمـت ... آيـاتـه إنـه فـي كـونـه اللّـه
سبحـانـه جـل أن يحظـى بـه أحـد ... مـن العبـاد فـلا إلـه إلا هـو
اختص باسم فلم يشركه من أحد ... فيـه وذلـك قـول القـائـل اللّـه

وهي الحضرة الجامعة للحضرات كابا، ولذلك ما عبد عابد الله إلا هي، وبذا حكم تعالى في قوله: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ وقوله: ﴿أنتم الفقراء إلى الله﴾:

نعم بل هو اللّه الذي ليس إلا هو ... فللّـه مـا يخفـى وللّـه مـا بـدا

واعلم أنه لما كان في قوّة الإسم الله بالوضع الأوّل كل اسم إلهيّ بل كل اسم له أثر في الكون يكون عن مسماه ناب مناب كل اسم لله تعالى، فإذا قال قائل: يا الله فانظر في حالة القائل التي بعثته على هذا النداء، وانظر أي اسم إلهيّ يختص بتلك الحال، فذلك الإسم الخاص هو الذي يناديه هذا الداعي بقوله: يا الله لأن الإسم الله بالوضع الأوّل، إنما مسماه ذات الحق عينها التي بيدها ملكوت كل شيء، فلهذا ناب الإسم الدال عليها على الخصوص مناب كل اسم إلهي، ثم إن لهذا المسمى من حيث رجوع الأمر كله إليه اسم كل مسمى يفتقر إليه من معدن ونبات وحيوان وإنسان وفلك وملك وأمثال ذلك مما ينطلق عليه اسم مخلوق أو مبدع، فهو تعالى المسمى بكل اسم لمسمى في العالم مما له أثر في الكون، وما ثم إلا من له أثر في الكون، وأما تضمنه لأسماء التنزيه فمأخذ ذلك قريب جداً، وإن كان كل اسم إلهي بهذه المثابة من حيث دلالته على ذات الحق جل جلاله وعز في سلطانه، لكن لما كان ما عدا الإسم الله من الأسماء مع دلالته على ذات الحق يدل على معنى آخر من سلب أو إثبات بما فيه من الاشتقاق لم يقوِ في أحدية الدلالة على الذات قوّة هذا الإسم كالرحمن وغيره من الأسماء الإلهية الحسنى، وإن كان قد ورد قوله تعالى آمراً نبيه ﷺ: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تـدعو فله الأسماء الحسنى﴾ فالضمير في له يعود على المدعو به تعالى، فإن المسمى الأصلي الزائد على الاشتقاق ليس إلا عيناً واحدة، ثم أن الله تعالى قد

Marfat.com

عصم هذا الاسم العلم أن يسمى به أحد غير ذات الحق جل جلاله، ولهذا قال الله عز وجل في معرض الحجة على من نسب الألوهة إلى غير هذا المسمى ﴿قل سموهم﴾ فبهت الذي قيل له ذلك فإنه لو سماه سماه بغير الإسم الله.

وأما ما فيها من الجمعية فإن مدلولات الأسماء الزائدة على مفهوم الذات مختلفة كثيرة، وما بأيدينا اسم مخلص علم للذات سوى هذا الاسم الله، فالإسم الله يدل على الذات بحكم المطابقة كالأسماء الأعلام على مسمياتها، وثم أسماء تدل على تنزيه، ، وثم أسماء تدل على إثبات أعيان صفات وإن لم تقبل ذات الحق قيام الأعداد وهي الأسماء التي تعطي أعيان الصفات الثبوتية الذاتية، كالعالم والقادر والمريد والسميع والبصير والحيّ والمجيب والشكور وأمثال ذلك، وأسماء تعطي النعوت فلا يفهم منها في الإطلاق إلا النسب والإضافات كالأوّل والآخر والظاهر والباطن وأمثال ذلك. وأسماء تعطي الأفعال كالخالق والرازق والبارىء والمصوّر وأمثال ذلك من الأسماء، وانحصر الأمر وجميع الأسماء الإلهية بلغت ما بلغت لا بد أن ترجع إلى واحد من هذه الأقسام أو إلى أكثر من واحد مع ثبوت دلالة كل اسم منها على الذات لا بد من ذلك فهي حضرة تتضمن جميع الحضرات، فمن عرف الله عرف كل شيء، ولا يعرف الله من لا يعرف شيئاً واحداً أيّ مسمى كان من الممكنات، وحكم الواحد منها حكم الكل في الدلالة على العلم بالله من حيث ما هو إله للعالم خاصة.

ثم إذا وقع لك الكشف بالعمل المشروع رأيت أنك ما علمته إلا به، فكان عين الدليل هو عين المدلول عليه بذلك الدليل والدال، وهذه الحضرة وإن كانت جامعة للحقائق كلها فأخص ما يختص بها من الأحوال الحيرة والعبادة والتنزيه، فأما التنزيه وهو رفعته عن التشبه بخلقه فهو يؤدي إلى الحيرة فيه. وكذلك العبادة، فأعطانا قوة الفكر لننظر بها فيما يعرفنا بأنفسنا وبه، فاقتضى حكم هذه القوّة أن لا مماثلة بيننا وبينه سبحانه وتعالى من وجه من الوجوه إلا استنادنا إليه في إيجاد أعياننا خاصة، وغاية ما أعطى التنزيه إثبات النسب له بكسر النون بنا لما نطلبه من لوازم وجود أعياننا وهي المسمى بالصفات. فإن قلنا: أن تلك النسب أمور زائدة على ذاته وأنها وجودية ولا كمال له إلا بها وإن لم تكن كان ناقصاً بالذات كاملاً بالزائد الوجودي. وإن قلنا ما هي هو ولا هي غيره كان خلفاً من الكلام وقولاً لا روح فيه يدل على نقص عقل قائله وقصوره في نظره أكثر من دلالته على تنزيهه. وإن قلت ما هي

Marfat.com

هو ولا وجود لها وإنما هي نسب والنسب أمور عدمية جعلنا العدم له أثر في الوجود، وتكثرت النسب لتكثر الأحكام التي أعطتها أعيان الممكنات، وإن لم نقل شيئاً من هذا كله عطلنا حكم هذه القوّة النظرية وإن قلنا أن الأمور كلها لا حقيقة لها وإنما هي أوهام وسفسطة لا تحوي على طائل ولا ثقة لأحد بشيء منها لا من طريق حسيّ ولا فكريّ عقليّ، فإن كان هذا القول صحيحاً فقد علم، فما هذا الدليل الذي أوصلنا إليه؟ وإن لم يكن صحيحاً فبأيّ شيء علمنا أنه ليس بصحيح؟ فإذا عجز العقل عن الوصول إلى العلم بشيء من هذه الفصول رجعنا إلى الشرع ولا نقبله إلا بالعقل، والشرع فرع عن أصل علمنا بالشارع، وبأيّ صفة وصل إلينا وجود هذا الشرع وقد عجزنا عن معرفة الأصل فنحن عن الفرع وثبوته أعجز، فإن تعامينا وقبلنا قوله إيماناً لأمر ضروريّ في نفوسنا لا نقدر على دفعه سمعناه ينسب إلى الله أموراً تقدح فيها الأدلة النظرية، وبأيّ شيء منها تمسكنا قابله الآخر، فإن تأولنا ما جاء به لنرده إلى النظر العقليّ فنكون قد عبدنا عقولنا وحملنا وجوده تعالى على وجودنا وهو لا يدرك بالقياس، فأدانا تنزيهنا إلهنا إلى الحيرة فإن الطرق كلها قد تشوّشت فصارت الحيرة مركز إليها ينتهي النظر العقلي والشرعي.

وأما العبادة فمن حيث هي ذاتية فليست سوى افتقار الممكن إلى المرجح، وإنما أعني بالعبادة التكليف والتكليف لا يكون إلا لمن له الاقتدار على ما كلف به من الأفعال، أو مسك النفس في المنهيات عن ارتكابها، فمن وجه ننفي الأفعال عن المخلوق ونردها إلى المكلف والشيء لا يكلف نفسه، فلا بد من محل يقبل الخطاب ليصح، ومن وجه نثبت الأفعال للمخلوق بما تطلبه حكمة التكليف والنفي يقابل الإثبات، فرمانا هذا النظر في الحيرة كما رمانا التنزيه والحيرة لا تعطي شيئاً، فالنظر العقليّ يؤدّي إلى الحيرة، والتجلي يؤدي إلي الحيرة، فماثم إلا حائرة، وما ثم حاكم إلا الحيرة، وما ثم إلا الله كان بعضهم إذا تقابلت عنده هذه الأحكام في سرّه يقول: يا حيرة يا دهشة يا حرقاً لا يتقرى، وما هذا الحكم لحضرة أخرى غيرَ هذه الحضرة الإلهية.

الحضرة الربانية وهي الإسم الرب

الـرب مـالكنـا والـرب مصلحنـا ... والـرب ثبتنـا لأنـه الثـابـت
لـولا وجـودي وكـون الحق أوجـدني ... مـا كنت أدري بـأني الكـائـن الفـائـت
فـالحـق أوجـدنـي منـه وأيـدنـي ... بـه لـذلـك ادعى النـاطق الصـامـت

Marfat.com

ولها خمسة أحكام: الثبوت على التلوين، والسلطان على أهل النزاع في الحق، والنظر في مصالح الممكنات، والعبودة التي لا تقبل العتق، وارتباط الحياة بالأسباب المعتادة. فأما الثبوت على التلوين فهو في قوله: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ وقوله: ﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ فما من نفس في العالم إلا وفيه حكم التقليب، ألا ترى إلى الشمس التي هي علة الليل والنهار تجري لا مستقر لها ليلاً ولا نهاراً؟ ألا ترى إلى الكواكب ﴿كل في فلك يسبحون﴾ ما قال يستقرّون في ثلثمائة وستين درجة كل درجة بل كل دقيقة بل كل ثانية بل كل جزء لا يتجزأ من الفلك، إذا أنزل الله فيه أي كوكب كان من الكواكب يحدث الله عند نزوله في كل جوهر فرد من عالم الأركان ما لا يعرف ما لا يعرف ما هو إلا الله الذي أوجده، ويحدث في الملأ الأوسط من الأرواح السماوية التي تحت مقعر فلك البروج من العلوم بما يستحقه الحق عز وجل من المحامد على ما وهبهم من المعارف الإلهية ﴿كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾ ﴿والله عليم بما يفعلون﴾ والذين في هذا الملأ هم أهل الجنان وفي عالم الأركان، وفي بعض هذا الملأ هم أهل النار الذي هم أهلها، ويحدث في الملأ الأعلى وهو ما فوق فلك البروج إلى معدن النفوس والعقول إلى العماء من العلوم التي تعطيها الأسماء الإلهية ما يؤديهم إلى الثناء على الله بما ينبغي له تعالى من حيث هم لا من حيث الأسماء، فإن الأسماء الإلهية أعظم إحاطة مما هم عليه، فإن تعلقها في تنفيذ الأحكام غير متناه.

وأما السلطان الذي لهذه الحضرة على أهل النزاع في الحق فهو أن المقالات اختلفت في الله اختلافاً كثيراً من قوّة واحدة وهي الفكر في أشخاص كثيرين مختلفي الأمزجة والأمشاج والقوى، ليس لها من يمدّها إلا مزاجها الطبيعي، وحظ كل شخص على الطبيعة ما يعطيه من المزاج الذي هو عليه، فإذا أفرغت قوّتها فيه حصل له استعداد به يقبل نفخ الروح فيه فيظهر عن النفخ، وتسوية الجسم الطبيعي صورة نورية روحانية ممتزجة بين نور وظلمة، ظلمتها ظل ونورها ضوء، فظلها هو الذي مده الرب فهو ربانيّ ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾ ونورها ضوء لأن استنارة الجسم الطبيعيّ، إنما كان بنور الشمس، وقد ذكر الله أنه جعل الشمس ضياء وجعل القمر نوراً، فلهذا جعلنا نورها ضوءاً من أجل الوجه الخاص الذي أضاء كل موجود، أو من كون إفاضة الضوء على مرآة الجسم المسوّى، فظهر في الانعكاس ضوء الشمس كظهوره من القمر، فلذا سمينا الروح الجزئي نوراً لأنّ الله جعل القمر نوراً فهو نور بالجعل، كما كانت الشمس ضياء بالجعل، وهي بالذات نور والقمر بالذات محو، فللقمر الفناء وللشمس البقاء:

Marfat.com

فللقمــر الفنــاء بكــل وجــه ... وللشمــس الإضــاءة والبقــاء
وللــوجــه الجميــل بكــل حســن ... لنــا منــه البشــاشــة واللقــاء
حمينــا حسنــه مــن كــل عيــن ... كمــا يحمــي مــن الشجــر اللحــاء
نــزلنــا بــالسمــاء علــى وجــود ... لــه العــرش المحيــط لــه العمــاء
لــه الإقبــال والإدبــار فينــا ... لــه حكــم السنــا ولــه السنــاء
إذ يــدنــو فمجلســه رحيــب ... وإن يعلــو بنــا فلنــا الثنــاء
لــه حكــم الإرادة فــي وجــودي ... هــو المختــار يفعــل مــا يشــاء

ثم تبعث القوى الروحانية والحسية لخلق هذا الروح الجزئي المنفوخ بطريق التوحيد لأنه قال: ﴿ونفخت﴾ وأما روح عيسى فهو منفوخ بالجمع والكثرة، ففيه قوى جميع الأسماء والأرواح فإنه قال: ﴿فنفخنا﴾ بنون الجمع فإن جبريل عليه السلام وهبه لها ﴿بشراً سويا﴾ فتجلى في صورة إنسان كامل، فنفخ وهو نفخ الحق كما قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده، فلما تبعته هذه القوى كان منها القوّة المفكرة أعطيت للإنسان لينظر بها في الآيات في الآفاق في نفسه ليتبين له بذلك أنه الحق، واختلفت الأمزجة فلا بد أن يختلف القبول، فلا بد أن يكون التفاضل في التفكر، فلا بد أن يعطي النظر في كل عقل خلاف ما يعطي الآخر حتى يتميز في أمر ويشترك مع غيره في أمر، فهذا سبب اختلاف المقالات، فيحكم الرب بين أصحاب هذه المقالات بما يجيء به الشرع المنزل فتبقى العقول واقفة في أدلتها، ورجع اختلاف نظرها في المواد الشرعية بعدما كانت أوّلاً ناظرة بالنظر العقليّ وذلك ليس إلا للمؤمنين والمؤمنات خاصة، فالواقفون مع حكم الرب في ذلك بين المتنازعين هم المؤمنون ولهم عين الفهم، فاختلفوا مع الاتفاق فاختلافهم في المفهوم من هذا الذي حكم به الرب في حق الحق، وهذا هو الحق الذي نصبه الشرع للعباد وبما سمى به نفسه نسميه وبما وصف به ذاته نصفه لا نزيد على ما أوصل إلينا ولا نخترع له اسماً من عندنا.

وأما نزاع غير المؤمنين في اختلاف عقائدهم فيكون الشارع واحداً منهم في كونه نزع في الحق منزعاً لم ينزعوه لكونهم غير مؤمنين، فالحاكم بينهما أعني بين الشرع والعقلاء غير المؤمنين إنما هو الله بصور التجلي به يقع الفيصل بينهما ولكن في الدار الآخرة لا هنا، فإن في الدار الآخرة يظهر حكم الجبر فلا يبقى منازع هناك أصلاً، ويكون الملك هناك لله

Marfat.com

الواحد القهار، وتذهب الدعاوى من أربابها، وتبقى المؤمنون هنالك سادات الموقف على كل من في الموقف.

وأمّا النظر في مصالح الممكنات الذي لهذه الحضرة فاعلم أن الممكنات إذا نظرتها من حيث ذاتها لم يتعين لقبولها من الأطراف طرف تكوّن به أولى، فيكون الرب ينظر بالأولوية في وجودها وعدمها وتقدّمها في الوجود وتأخرها ومكانها ومكانتها، ويناسب بينها وبين أزمنتها وأمكنتها وأحوالها، فيعمد إلى الأصلح في حقها فيبرز ذلك الممكن فيه لأنه لا يبرزه إلا ليسبحه ويعرفه بالمعرفة التي تليق به مما في وسعه أن يقبلها ليس غير ذلك، فلهذا ترى بعض الممكنات يتقدم على بعض ويتأخر ويعلو ويسفل ويتلوّن في أحوال ومراتب مختلفة من ولاية وعزل وصناعة وتجارة وحركة وسكون واجتماع وافتراق وما أشبه ذلك، وهو تقليب ممكنات في ممكنات في غير ذلك ما تتقلب.

وأمّا العبودة التي لا تقبل العتق فهي العبودة لله فإن العبودة على ثلاثة أقسام: عبودة لله، وعبودة للخلق، وعبودة للحال وهي العبودية فهو منسوب إلى نفسه، ولا يقبل العتق من هذه الثلاثة إلا عبودة الخلق وهي على قسمين: عبودة في حريّة وهي عبوديتهم للأسباب فهم عبيد الأسباب وإن كانوا أحراراً، وعبودية الملك وهي العبودية المعروفة في العموم التي يدخلها البيع والشراء فيدخلها العتق فيخرجه عن ملك المخلوق، وبقيت الحيرة في ملك الأسباب هل يخرج من استرقاق الأسباب أم لا؟ فمن يرى أن الأسباب حاكمة عليه ولا بد ومن المحال الخروج عنها إلا بالوهم لا في نفس الأمر قال ما يصح العتق من رق الأسباب، ومن قال بالوجه الخاص وهو الذي لا اشتراك فيه قال بالعتق من رق الأسباب وعتقه معرفته بذلك الوجه الخاص، فإذا عرفه خرج عن رق الأسباب وأما عبودة الله وعبودة العبودية وهي عبودة الحال فلا يصح العتق فيها جملة واحدة.

وأما ارتباط الحياة بالأسباب المعتادة فأظهر ما يكون فيما يقع به الغذاء لكل متغذٍ من الغذاء المعنوي والمحسوس، فالغذاء المحسوس معلوم والغذاء المعنوي ما تتغذى به العقول، وكل من حياته بالعلم كان ما كان وعلى أيّ طريق كان، فكم من علم يحصل للعالم به من طريق الابتلاء وذلك لإقامة الحجة فيمن من شأنه الطلب وهو سارٍ في جميع الموجودات، وقد بينا ذلك في عضو البطن من مواقع النجوم، ولولا التطويل بينا في هذه الحضرة ما يتعلق من الأسرار بها فلا ننبه من كل حضرة إلا على طرف منها، ولهذا الإسم

Marfat.com

الرب إضافات كثيرة تجتمع في الإضافة وتفترق بحسب ما يضاف إليه، فثمّ إضافة للعالمين ولكاف الخطاب من مفرد ﴿فور بك﴾ ومثنى ﴿من ربكما يا موسى﴾ ومجموع ربكم، وإلى الآباء، وإلى ضمير الغائب ربه وربهم، وإلى السماء والسمٰوات، وإلى الأرض، وإلى المشرق والمغرب، وإلى المشارق والمغارب، وإلى الناس، وإلى الفلق، وإلى ضمير المتكلم فلا تجده أبداً إلا مضافاً، فعلمك به من حيث من هو مضاف إليه فافهم، والكلام في هذه التفاصيل يطول، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حضرة الرحموت الإسم الرحمن الرحيم

إلـى الـرحمـن حلـي وارتحـالـي ... لأحظـى بـالجـلال وبـالجمـال

فـإن الحـق كـان بنـا رحيمـاً ... رؤوفـاً يـوم يـدعـونـي نـزال

مبالغة في الرحمة الواجبة والإمتنانية قال تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ ومن أسماء الله تعالى: الرحمن الرحيم وهو من الأسماء المركبة كبعلبك ورام هرمز وإنما قبل هذا التركيب لما انقسمت رحمته بعباده إلى واجبة وامتنان، فبرحمة الامتنان ظهر العالم، وبها كان مآل أهل الشقاء إلى النعيم في الدار التي يعمرونها وابتداء الأعمال الموجبة لتحصيل الرحمة الواجبة وهي الرحمة التي قال الله فيها لنبيه ﷺ على طريق الامتنان ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ رحمة امتنان وبها رزق العالم كله فعمت، والرحمة الواجبة لها متعلق خاص بالنعت والصفات التي ذكرها الله في كتابه وهي رحمة داخلة في قوله: ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما﴾ فمنتهى علمه منتهى رحمته فيمن يقبل الرحمة، وكل ما سوى الله قابل لها بلا شك، ومن عموم رحمته ورحموته نفس الرحمن وإزالة الغضب عنه الذي لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، إن غضب بشهادة المبلغين عنه الإرسال عليهم الصلاة والسلام في الصحيح من النقل، وسميت هذه الحضرة باسم المبالغة لعمومها ودخول كل شيء فيها، فلما كان لها من التعلق بعدد الممكنات على أفراد كل ممكن وبعدد المناسبات الموجبة التركيب وهي لا تتناهى فرحمة الله غير متناهية، ومنها صدرت الممكنات، ومنها صدر الغضب الإلهيّ، ولما صدر عنها لم يرجع إليها لأنه صدر صدور فراق لتكون الرحمة خالصة محضة ولذلك تسابقا، فما تسابقا إلا عن تميز وانفراد، وجميع ما سوى الغضب الإلهيّ وجد من الرحمة في عين الرحمة فما خرج عنها:

Marfat.com

فـرحمـة اللّـه لا تحـد   وكـل مـا عنـدهـا معـد
وكـل مـن ضـل عـن هـداها   فـإنـه نحـوهـا يـرد
فـالقـرب منهـا هـو التـداني   ومـا لـديهـا مـن بعـد بعـد
فـلا تقـل أنهـا تنـاهـت   فمـا لهـا فـي الـوجـود حـد
بهـا تميـزت عنـه فـانظـر   فـالـرب رب والعبـد عبـد

ومن علم سبب وجود العالم وصف الحق نفسه بأنه أحب أن يعرف فخلق الخلق وتعرّف إليهم فعرفوه ولهذا سبح كل شيء بحمده علم من ذلك أوّل متعلق تعلقت به الرحمة، فالمحب مرحوم للوازم المحبة ورسومها. واعلم أن الحكم على الله أبداً بحسب الصورة التي يتجلى فيها، فما يصح لتلك الصورة من الصفة التي تقبلها، فإن الحق يوصف بها ويصف بها نفسه، وهذا في العموم إذا رأى الحق أحد في المنام في صورة أي صورة كانت حمل عليه ما تستلزمه تلك الصورة التي رآه فيها من الصفات وهذا ما لا ينكره أحد في النوم، فمن رجال الله من يدرك تلك الصورة في حال اليقظة ولكن هي في الحضرة التي يراها فيها النائم لا غيرها، وهذه المرتبة يجتمع فيها الأنبياء عليهم السلام والأولياء رضي الله عنهم، وهنا يصح كون الرحمة وسعت كل شيء، وهذه الصورة الإلهية في هذه الحضرة من الأشياء، فلا بد أن تسعها رحمة الله إن عقلت والانتقام من رحمة المنتقم بنفسه في الخلق ﴿والله عزيز﴾ عن مثل هذا ﴿ذو انتقام﴾ ﴿والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾ ﴿وغضب الله عليه ولعنه وأعدله عذاباً عظيماً﴾ وإذا وفق الله عبده للتوبة فقد وفقه لما لله به فرح، فإن الله يفرح بتوبة عبده في الصحيح فذلك من رحمة الله، والأخبار النبوية في ذلك أكثر من أن تحصى كثرة.

حضرة الملك والملكوت وهو الإسم الملك

إن المليـك هـو الشـديـد فكـن بـه   ملكـاً علـى الأعـداء حتـى تمتلـك
فـإذا ملكـت النفـس عـن تصـريفهـا   فيمـا تـريـد تكـن بـه نعـم المَلـك

وأيضاً:

إن المليـك هـو الشـديـد فكـن بـه   ولـه مليكـاً فـي القيـامـة تسعـد
لـو لـم يكـن مـن ملكـه إلا الـذي   يـوم القيـامـة فـي السعـادة تشهـد

Marfat.com

اعلم أن الملك والملكوت لهما الاسم الظاهر والباطن وهو عالم الغيب وعالم الشهادة، وعالم الخلق، وعالم الأمر، وهو الملك المقهور، فإن لم يكن مقهوراً تحت سلطان الملك فليس بملك، ومن كان باختيار ملكه لا باختيار نفسه في تصرّفه فيه فليس ذلك بملك ولا ملك، بل منزلة من هو بهذه المثابة في ملكه منزلة المتنفل في العبادة، فهو عبد اختيار لا عبد اضطرار، يعزل ملكه إذا شاء ويوليه إذا شاء، والملك المجبور المضطر ليس كذلك فهو تحت سلطان الملك، فإذا نفذ أمره في ظاهر ملكه وفي باطنه فذلك الملكوت، وإن اقتصر في النفوذ على الظاهر وليس له على الباطن سبيل فذلك الملك، وقد ظهرت هاتان الصفتان بوجود المؤمن والمنافق في اتباع الرسل صلوات الله عليهم، فمنهم من اتبعه في ظاهره وباطنه وهو المؤمن المسلم، ومنهم من اتبعه في ظاهره لا في باطنه وذلك المنافق، ومنهم من اتبعه في باطنه لا في ظاهره فذلك المؤمن العاصي، وما جعل الله للإنسان عينين إلا ليدرك بهما هاتين الصفتين عين حس وعين عقل بصيرة وبصر، لأنه لما خلق من كل زوجين اثنين خلق لإدراكهما عينين، ولما أضاف إلى نفسه الأعين بلفظ الجمع ليدل على الكثرة، فكل عين حافظة مدركة لأمر ما بأيّ وجه كان فهي عين الحق الذي له الحفظ والإدراك فذلك سبب الجمع فيها:

فهــو الحفيــظ بنفســه وبخلقــه وهــو العليــم بمــا لــه مــن حقــه

بل وصف نفسه تعالى بالمشيئة والاختيار أثبت بذلك عندنا شرعاً لا عقلاً أن له تصرّفاً في نفسه، وهذا حكم يحيله النظر العقلي بعين البصيرة على الله ويصححه الخبر الشرعي والعين البصري في اختلاف الصور عليه التي يتجلى فيها وبه ثبت ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ ﴿وإن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد﴾ ﴿ولو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى﴾، ففي هذا كله وجه إلى أحدية متعلق الإرادة، ووجه إلى التصرّف في التعلق، والتصرّف في التعلق تصرّف في الإرادة، والإرادة إما ذاته على مذهب نفاة الزائد، وأما صفته على مذهب مثبتي الصفات زائدة، والصحيح في غير هذين القولين، وهو أن الإرادة ليست بأمر زائد على الذات ولا هي عين الذات، وإنما هي تعلق خاص للذات أثبته الممكن لإمكانه في القبول لأحد الأمرين على البدل لولا معقولية هذين الأمرين، ومعقولية القبول من الممكن ما ثبت للإرادة ولا للاختيار حكم ولا ظهر له في العبارات اسم، فمن حضر مع الحق في حضرة الملك والملكوت ولم يعرف العالم ولا ما هو ولا عرف نسبته من الحق ولا نسبة الحق منه فما حضر في هذه الحضرة بوجه من الوجوه ولا كان له حظ في الاسم الملك.

Marfat.com

حضرة التقديس وهو الاسم القدوس

من طهر النفس التي لا تنجلي أعلامها فينا يكن قدوسا
ويرد ملكاً طاهراً ذا عفة من كان في تصريفه إبليسا
إلى القدوس أعملت المطايا لأحظى بالزكاة وبالطهور
وبالعرش المحيط وساكنيه وبالأمر العليّ من الأمور
فإن القدس ليس له نظير به أحيى له وبه نشوري
وأن الحق ليس به خفاء وصدر الحق منا في الصدور

سبوح قدوس مطهر من الأسماء النواقص، والأسماء النواقص هي التي لا تتم إلا بصلة عائد، فإن من أسمائه سبحانه الذي وما في قوله: ﴿الذي خلق السمٰوات والأرض﴾ وفي قوله: ﴿الذي خلق الموت والحياة﴾ وأما ما في قوله تعالى: ﴿والسماء وما بناها﴾ في بعض وجوه ما في هذا الموضع فإن ما قد تكون هنا مصدرية، وقد تكون بمعنى الذي فتكون ناقصة فتكون هنا اسماً لله عز وجلّ. فاعلم أن الله لما خلق الأسباب وجعلها الظاهرة لعباده وفعل المسببات عندها وتخيل الناظرون أنها ما خلقت إلا بها، وهذا هو الذي أضل الخلق عن طريق الهدى والعلم وحجبهم عن الوجه الخاص الذي لله في كل كائن، فاعلم أن ذلك اللفظ المسمى اسماً ناقصاً وهو ما ومن والذي وأخوات هذه الأسماء إنما مسماها السبب الذي احتجب الله به عن خلقه في خلقه هذه المسببات فهو القدوس أي المطهر عن نسبة الأسماء النواقص إليه ﴿لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ فأنت بخير النظرين: إما أن يكون كشفك أن الحق هو الظاهر في مظاهر الممكنات فيكون التقديس للممكنات بوجود الحق وظهوره في أعيانها فتقدست به عما كان ينسب إليه من الإمكان والاحتمالات والتغييرات، فليس إلا أمر واحد وأعيان كثيرة كل عين في أحديتها لا تتغير عين لعين بل يظهر بعضها لبعض ويخفى بعضها عن بعض بحسب صورة الممكن، وإما أن يكون الحق عين المظهر ويكون الظاهر أحكام أعيان الممكنات الثابتة أزلاً التي لا يصح لها وجود، فيكون التقديس للحق لأجل ما ظهر من تغير أحكام الممكنات في عين الوجود الحق أي الحق مقدس قدوس عن تغيره في نفسه بتغير هذه الأحكام كما تقول في الزجاج المتلوّن بألوان شتى: إذا ضرب النور فيه وانبسط نور الشعاع مختلف الألوان لأحكام أعيان التلوّن في الزجاج ونحن نعلم أن النور ما انصبغ بشيء من تلك الألوان مع شهود الحس لتلوّن النور بألوان مختلفة،

Marfat.com

فتقدس ذلك النور في نفسه عن قبول التلوّن في ذاته، بل نشهد له بالبراءة في ذلك، ونعلم أنه لا يمكن أن ندركه إلا هكذا فكذلك، وإن نزهنا الحق عن قيام تغيير ما أعطته أحكام أعيان الممكنات فيه عن أن يقوم به تغيير في ذاته بل هو القدوس السبوح، ولكن لا يكون الأمر إلا هكذا في شهود العين لأن الأعيان الثابتة في أنفسها هذه صورتها. وكذلك روح القدوس تارة يتجلى في صورة دحية وغيره وتجلى وقد سد الأفق، وتجلى في صورة الدر وتنوّعت عليه الصور أو تنوّع في الصور، ونعلم أنه من حيث أنه روح القدس مطهر عن التغيير في ذاته ولكن هكذا ندركه، كما أنه إذا نزل بالآيات على من نزل من عباد الله والآيات متنوّعة، فإن القرآن متنوّع ينطبع عند النازل عليه في قلبه بصورة ما نزل به عليه، فتغير على المنزل عليه الحال لتغيير الآيات والكلام من حيث ما هو كلام الله واحد لا يقبل التغيير والروح من حيث ما هو لا يقبل التغيير، فالكلام قدوس، والروح قدوس، والتغيير موجود فتنظر في مدلول الآيات فإذا كان مدلولها الممكنات فالتقديس للحق، وإذا كان مدلول الآية الحق فما هو من حيث عينه لأنه قدوس وإنما هو من حيث اسم مّا إلهي من الأسماء، وهذه فائدة الدلالة.

حضرة السلام الاسم الإلهي السلام

لمـا تسمـى بـالسـلام لخلقـه ... كـان السلام لـه المقـام الشـامـخ
والحكـم فيهـم بـالـذي قـد شـاءه ... والعـز والمجـد التليـد البـاذخ
إن السـلام تحيـة مـن ربنـا ... فينـا ومـن أسمـاء نـرجـو السـلام
ولنـا التـأخـر عـن علـوّ مقـامـه ... ولـه التقـدم والتحكـم والأمـام
لمـا تسمـى بـالسـلام لخلقـه ... حـارت عقـول الـواصلين مـن الأنـام

قال الله تعالى: ﴿لهم دار السلام﴾ وهي دار ﴿لا يمسهم فيها نصب﴾ فهم فيها سالمون. واعلم أن السلامة التي للعارف وهي تنزيهه من دعوى الربوبية على الإطلاق إلا أن يظهر عليه نفحاتها عندما يكون شهوده كون الحق جميع قواه فيكون دعوى، فيكون سلامته عند ذلك من نفسه، وبها سمي السلام سلاماً لما أراد الصحابة رضي الله عنهم في التشهد أن يقولوا أو قالوا: السلام على الله تحية، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا السلام على الله فإن الله هو السلام» فإذا حضر العبد وهو عبد السلام مع الحق في هذه الحضرة وكان

Marfat.com

الحق مرآة له فلينظر ما يرى فيها من الصور، فإن رأى فيها صورة باطنة ومعاينة مشكلة بشكل ظاهره فعلم أنه رأى نفسه وما حصلت له درجة من يكون الحق جميع قواه، وإن رأى صورة غير مشكلة بشكل جسدي مع تعقله أن ثم أمراً ما هو عينه فتلك صورة حق، وأن العبد في ذلك الوقت قد تحقق بأن الحق قواه ليس هو، وإن كان العبد في هذا الشهود هو عين المرآة كان الحق هو المتجلي فيها فلينظر العبد من كونه مرآة ما تجلى فيه، فإن تجلى فيه ما يقيد بشكله فالحكم للمرآة لا للحق فإن الرائي قد يتقيد بحقيقة شكل المرآة من طول وعرض واستدارة وانحناء وكبر وصغر فترد الرائي إليها ولها الحكم فيه، فيعلم بالتقييد المناسب لشكل المرآة أن الذي رآه قد تحوّل في شكل صورته في أنواع ما تعطيه حقيقته في تلك الحال، وإن رآه خارجاً عن شكل ذاته فيعلم أنه الحق الذي هو بكل شيء محيط، وبأي صورة ظهر فقد سلم من تأثير الصورة الأخرى فيه لأن حضرة السلام تعطي ذلك، ألا ترى الرجل الذي رأى الحق عند رؤية أبي يزيد فمات، وقد كان يرى الحق قبل رؤية أبي يزيد فلا يتأثر، فقد رأى الحق في غير صورة مرآته، ومثاله رؤية الشخص نفسه في مرآة فيها صورة مرآة أخرى وما في تلك المرآة الأخرى فيرى المرآة الأخرى في صورة مرآة نفسه ويرى الصورة التي في تلك المرآة الأخرى في صورة تلك المرآة الأخرى فبين الصورة ومرآة الرائي مرآة وسطى بينها وبين الصورة التي فيها، وقد بينا ونبهنا على هذا، ورغبنا في هذا المقام في رؤية الحق بالرؤية المحمدية في الصورة المحمدية فإنها أتم رؤية وأصدقها، وهذه الحضرة لمن لم يشرك بالله شيئاً ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ والجاهل من أشرك بالله خفياً كان الشرك أو جلياً، وذلك لأنهم يعرفون من أين خاطبهم الجاهلون وما حضرتهم، فلو أجابوهم لانتظموا معهم في سلك الجهالة، فإن كل انسان ما يكلم إنساناً بأمر ما من الأمور ابتداء أو مجيباً حتى ينصبغ بصفة ذلك الأمر الذي يكلمه به كان ذلك ما كان، وكل ذلك من الحضرات الإلهية علم ذلك من علمه وجهله من جهله، فلم يتمكن لهؤلاء أن يزيدوا على قولهم سلاماً شيئاً، ولو راموا ذلك ما استطاعوا، وهذه الحضرة من أعظم الحضرات منها تقول الملائكة لأهل الجنة: ﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾ ومنها شرعت التحية فينا بالسلام على التعريف والتنكير وفي الصلاة وفي غير الصلاة.

واعلم أن الجاهل هو الذي يقول أو يعتقد ما يصوّره في نفسه، وما لذلك المصوّر اسم مفعول صورة في عينه زائدة على ما صوره هذا القائل والمعتقد في نفسه، فكل ما تطلبه في حضرة وجودية فلا تجده إلا في نفس الذي صوّره أو تلقاه عمن صوّره فذلك الجهل

Marfat.com

أعني تصويره، وذلك الجاهل أعني الذي صوّره، ومن كان من أهل هذه الحضرة السلامية فإنه عالم بالحضرات الوجودية وما تحوى عليه من الصور، فإذا لم يجد فيها صورة ما خاطبه بها هذا القائل علم أنه جاهل أو مقلد لجاهل فلا يزيده على قوله سلاماً شيئاً، وهذا مقام عزيز ما رأيت من أهل أحداً إلى الآن أعني أهل الذوق الذين لهم فيه شهود، وإن كنت رأيت من يصمت عند خطاب الجاهل، فما كل من يصمت عن خطاب الجاهل يصمت من هذه الحضرة وإن علم أن القائل من الجاهلين ولكن لا يقول سلاماً إلا صاحب هذه الحضرة فإن له اطلاعاً على وجود تلك الصورة في نفس القائل، ولا يرى لها صورة في غير محله أصلاً سواء كان ذلك القائل مقلداً أو قائلاً عن شبهة، وكل ما لا صورة له إلا في نفس قائله فإنها تذهب من الوجود بذهاب قوله أو ذهاب تذكر ما صوّره من ذلك، فإنه ما ثم حضرة وجودية تضبط عليه وجوده، وللحروف المنظومة الدالة عليه من المتكلم به أعني أعياناً ثابتة في حضرة الثبوت أعني في شيئية الثبوت في عين هذا القائل، وفي شيئية الوجود الخطابي أيضاً، ولكن مدلولها العدم، فلا بد من ذهاب الصورة من النفس وإن بقيت لها صورة في الخطاب كائنة من حيث ما تشكلت في الهواء ملكاً مسبحاً يعرف أمه وهو القائل ولا يعرف له أباً في حضرة من حضرات الوجود فيبقى غريباً ما له نسب يعرفه سوى الذي تكوّن فيه وهو هذا الجاهل القائل، وبهذا كان الصدق له الإعجاز في الكلام لأنه حق وجودي، بخلاف المزوّر في نفسه ما ليس هو فما له شيء يستند إليه فيظهر قصوره عن غيره، ولذلك نهينا أن نضرب لله الأمثال وهو يضرب الأمثال لأنه يعلم ونحن لا نعلم، فهو عز وجّلّ يضرب لنا الأمثال بما له وجود في عينه، ونحن لسنا كذلك إلا بحكم المصادفة، فنضرب المثل إذا ضربناه بما له وجود في عينه وبما لا وجود له إلا في تصوّرنا فنطلب مستنداً فلا نجده فلا يبقى له عين فيزول لزواله ما ضرب له المثل لأنه لا يشبهه، كما يزول نور السراج من البيت إذا ذهب السراج منه، وقد رأينا جماعة من المنتمين إلى الله يتسعون في ضرب المثل من علماء الرسوم ومن أهل الأذواق، كما أنهم يتكلمون في ذات الحق بما يقع به التنزيه لها من كونها لو كانت كذا لزم أن تكون كذا فإذن ليست بكذا، والكلام في ذات الله عندنا محجور بقوله: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ من باب الإشارة، وإن كان له مدخل في التفسير أيضاً، ولا يقع في مثل هذا إلا جاهل بالأمر، وفي ﴿ليس كمثله شي﴾ ما يقع به الاستغناء لو فهموه، وما رأينا أحداً ممن يدّعي فيه أنه من فحول العلماء من أي صنف كان من أصناف النظار إلا وقد تكلم في ذات الحق غير أهل الله من تحقق منهم بالله فإنهم

Marfat.com

تعرّضوا لشيء من ذلك لأنهم رأوه عين الوجود كما أشهدهم فهم يتكلمون عن شهود فلا يسلبون ولا ينفون ولا يشبهون، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حضرة الأمان وهي للإسم المؤمن

معطي الأمان المؤمن الرب الذي ... ما زال يدعوه الورى بالمؤمن
فهو العليم بحقه وبحقنا ... وبما له منا وما للممكن

ولهذا الإسم أيضاً:

إذا كان الأمان لكل خائف ... فقد حاز المشاهد والمواقف
وآتاه المنزه كل شيء ... على كتب وأشباه المعارف
فيصبح عارفاً لا يعتريه ... قصور في الهبات وفي العوارف
ولولا غيرة الرحمن فينا ... لأثبت الأمان لكل عارف
ولكني سترت لكون ربي ... يريد الستر في حق المكاشف

وهي لعبد المؤمن، فإن كل حضرة لها عبد، كما لها اسم إلهي، فأوّل حضرة تكلمنا فيها هي لعبد الله ويتلوها عبد ربه لا عبد الرب، فإنه ما أتى هذا الإسم في كلام الله إلا مضافاً، ثم عبد الرحمن ثم عبد الملك ثم عبد القدوّس ثم عبد السلام ثم عبد المؤمن وله هذه الحضرة وتحققت بهذه العبودية بعد دخولي هذا الطريق بسنة أو سنتين تحققاً لم ينله في علمي أحد في زماني غيري، ولا ابتلى فيه أحد ما ابتليت فيه، فقطعته بحيث أنه ما فاتني منه شيء، وصفا لي الجوّ ولم يحل بيني وبين خبر السماء، وعصمني الله من التفكر في الله فلم أعرفه إلا من قوله وخبره وشهوده، وبقي فكري معطلاً في هذه الحضرة وشكرني فكري على ذلك وقال لي الفكر: الحمد لله الذي عصمني بك عن التصرّف والتعب فيما لا ينبغي لي أن أنصرّت فيه، فصرفته في الاعتبار وبايعني على أني لا أصرفه إلا في الشغل الذي خلق له متى صرفته فأجبته إلى ذلك فما قصرت في حق قواي كلها حيث ما تعدّيت بها ما خلقت له وحصل لها الأمان من جهتنا في ذلك فأرجو أنها تشكرني عند الله، وأعني القوى الروحانية التي خلق الله فينا.

واعلم أن هذه الحضرة ما لها في الكون سلطان إلا في الأخبار الإلهية، وهي على

Marfat.com

قسمين عند من دخل إلى هذه الحضرة وتحقق بها القسم الواحد الخبر الإلهيّ الآتي من عند الله المسمى صحفاً أو توراة أو إنجيلاً أو قرآناً أو زبوراً، وكل خبر أخبر به عن الله ملك أو رسول بشري أو كلم الله به بشراً وحياً أو من وراء حجاب، هذا الذي عليه أهل الإيمان وأهل الله. والقسم الآخر يقول به طائفة من أهل الله أكابر في كل خبر في الكون من كل قائل، وأصحاب هذا القسم يحتاجون إلى حضور دائم وعلم بمواقع الأخبار، وأعني بالعلم العلم بمواقع الأخبار وهو أنهم يعرفون الخطاب الوارد على لسان قائل ما ممن له نطق في الوجود أين موقعه من العالم أو من الحق فيبرزون له آذاناً منهم واعية لا يسمعونه إلا بتلك الآذان، فيتلقونه ويطلبون به متعلقه حتى ينزلوه عليه ولا يتعدوه به، وهذا لا يقدر عليه إلا من حصر أعيان الموجودات أعني أعيان المراتب لا أعيان الأشخاص فيلحقون ذلك الخبر بمرتبته فهم في تعب ومشقة، فإن المتكلم مستريح في كلامه وهذا متعوب في سماعه ذلك الكلام فإنه لا يأخذه إلا من الله فينظر من يراد به فيوصله إلى محله فيكون ممن أدّى الأمانة إلى أهلها، ولهذا كان بعضهم يسد أذنيه بالقطن حتى لا يسمع كلام العالم، ولله رجال هان عليهم مثل هذا، فبنفس ما يسمعون الخطاب من الله تقوم معهم مرتبة هذا الخطاب فينزلوه فيها من غير مشقة، والحمد لله الذي رزقنا الراحة في هذا المقام فإنه كشف لطيف، وذلك إن الخطاب الإلهي العام في السنة القائلين من جميع الموجودات مرتبة ذلك القول معه يصحبه فإنه قول إلهي في نفس الأمر وإن كان لا يعلمه إلا القليل، فعندما يسمعه الكامل من رجال الله تعالى يشهد مع سماعه مرتبته، فيجمع بين السماع وشهود الرتبة فيلحقه بها عن كشف من غير مشقة، ولقد رأينا جماعة من أهل الله يتعبون في هذا المقام يطلب المناسبات بين الأخبار وبين المراتب حتى يعثروا عليها، وحينئذ يلحقوا ذلك الخبر بأهله فتفوتهم أخبار إلهية كثيرة.

وأما اعطاء هذه الحضرة الأمان فليس ذلك إلا للمتحققين بالخوف، فلا تزال المراتب تنظر إلى الأخبار التي ترد على ألسنة القائلين وتعلم أنها لها، وتعلم أن الآخذين بها هم السامعون، وأن السامعين قد يأخذونها على غير المعنى الذي قصد بها فيلحقونها بغير مراتبها، فتلك المرتبة التي ألحقوها بها تنكرها ولا تقبلها، ومرتبتها تعرفهاوقد حيل بينها وبينها بسوء فهم السامع، فإذا علموا من السامع أنه على صحة السمع والصدق فيه وأنه لا يتعدى بالخطاب مرتبته كانت المرتبة في أمان من جهة هذا السامع فيما هو لها فتعلم أن حقها يصل إليها فهي معه مستريحة آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل سامع بهذه المثابة،

Marfat.com

فلهذا السامع أجر الأمان وهو أجر عظيم في الإلهيات، فيهزأ الإنسان في كلامه ويسخر ويكفر ويقصد به ما لم يوضع له، وهذا السامع الكامل يأخذه من حيث عينه لا من حيث قصد المتكلم به، فإنه ما كل متكلم من المخلوقين عالم بما تكلم به من حيث هو خطاب حق فيتكلم به من حيث قصده، ويأخذه السامع الكامل من حيث رتبته في الوجود، فقد أعطى هذا السامع الأمان للجانبين: الجانب الواحد إلحاقه برتبته، والجانب الآخر ما حصل لمن قصد به المتكلم به من الأمان من حصوله عنده من جهة هذا السامع الكامل، فإنه في الزمن الواحد يكون له سامعان مثلاً: الواحد هذا الذي ذكرناه، والآخر على النقيض منه ما يفهم منه إلا ما قصده المتكلم المخلوق فيلحقه بهذه الرتبة في الوقت الذي يأخذه عنها السامع الكامل فهي تحت وجل من هذا السامع الناقص التابع للمتكلم، وفي أمان من هذا السامع الكامل، فلا والله ما يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، إنما يتذكر ما قلناه أولو الألباب الغواصون على درر الكلام.

حضرة الشهادة وهي للإسم المهيمن

إن المهيمـــن يشهـــد الأســـرارا فينـــا وفيـــه ويستـــر الأنـــوارا
عنـــا وعنـــه بثـــا إذا مـــا نـــوره يعمـــى البصـــائـر فيـــه والأبصـــارا
ولـذاك مـا اتخـذ الحجـاب لنفسـه والجنـــد والأعـــوان والأنصـــارا
جاءت به الأرسال من عرش العما ليحيـــر الألبـــاب والأفكـــارا
ويفـوز أهـل الـذكـر مـن ملكوتـه بـالـذكـر حيـن يشـاهـدوا الأخبـارا

صاحبها عبد المهيمن، المهيمن هو الشاهد على الشيء بما هو له وعليه، ولله حقوق على العباد وللعباد حقوق على الله تعالى ذاتية ووضعية، ومن هذه الحضرة بقول الله تعالى: ﴿وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم﴾ فلا بد لصاحب هذه الحضرة من العلم بما لله عليه من الحقوق وبما له عليه من الحقوق لا بد من ذلك، وافترق أهل هذا المقام بعد تحصيل هذا في الحقوق التي لهم عند الله، فمن قائل بها على أنها حقوق، ومن قائل بها لا على أنها حقوق، فيأخذونها منه على جهة الامتنان، وهم القائلون بأن الله لا يجب عليه شيء لكونهم حدوا الواجب بما لا يليق أن يدخل في ذلك جناب الحق، ومن لم يحده بذلك الحد أدخل الحق في الوجوب كما أدخل الحق نفسه فيه فقال: كتب ربكم على نفسه الرحمة. وقال: حرّمت الظلم على نفسي، وقال: وأكره مساءته ولا يرضى لعباده الكفر. وقال: ﴿إن يشأ

Marfat.com

يذهبكم﴾ وقال: ﴿وما تفعلوا من خير فلن تكفروه﴾ فأدخل نفسه بكل ما ذكرناه تحت حكم الأحكام التي شرعها لعباده من وجوب وحظر وندب وكراهة وإباحة، والحق متى أقام نفسه في خطابه إيانا في صورة ما من الصور فإنا نحمل عليه أحكام تلك الصورة لأنه لذلك تجلى فيها، فنشهد له على أنفسنا ونشهد عليه لأنفسنا، وهذه الشهادة له وعليه لا تكون إلا في يوم الفصل والقضاء أي وقت كان، فإنه ما يختص به يوم القيامة فقط بل قد يقام فيه العبد هنا في حال من الأحوال، بل كل حكم يكون في الدنيا في مجلس الشرع هو من يوم الفصل والقضاء ويدخل في حكم هذه الحضرة، وفي غير فصل ولا قضاء لا يكون لهذه الحضرة حكم وإنما ذلك في حضرة المراقبة، وسترد إن شاء الله تعالى في هذا الباب.

واعلم أنه في هذه الحضرة نزل هذا الكتاب المسمى قرآناً خاصة دون سائر الكتب والصحف المنزلة، وما خلق الله من أمة من أمم نبي ورسول من هذه الحضرة إلا هذه الأمة المحمدية ﴿وهي خير أمة أخرجت للناس﴾ ولهذا أنزل الله في القرآن في حق هذه الأمة ﴿لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ فنأتي يوم القيامة يقدمنا القرآن ونحن نقدم سائر أهل الموقف، ويقدم القراء منا من ليس له من القرآن مثله، فأكثرنا قرآناً أسبقنا في التقدم والرقي في المعراج المظهر للفصل بين الناس يوم القيامة، فإن للقراء منا بر لكل منبر درج على عدد آي القرآن يصعد الناس فيه بقدر ما حفظوا منه في صدورهم، ولهم منابر أخر لها درج على عدد آي القرآن يرقى فيها العاملون بما حققوه من القرآن، فمن عمل بمقتضى كل آية بقدر ما تعطيه في أي شيء نزلت رقى إليها عملاً، وما من آية إلا ولها عمل في كل شخص لمن تدبر القرآن، وفي القيامة منابر على عدد كلمات القرآن، ومنابر على عدد حروفه يرقون فيها العلماء بالله العاملون بما أعطاهم الله من العلم بذلك، فيظهرون على معارج حروف القرآن وكلماته بسور تلك الحروف والكلمات والآيات والسور والحروف الصغار منه، وبه يتميزون على أهل الموقف في هذه الأمة لأن أناجيلهم في صدورهم، فيا فرحة القرآن بهؤلاء فإنهم محل تجلية وظهوره، فإذا تلا الحق على أهل السعادة من الخلق سورة طه تلاها عليهم كلاماً وتجلى لهم فيها عند تلاوته صورة فيشهدون ويسمعون، فكل شخص حفظها من الأمة يتحلى بها هنالك كما تحلى بها في الدنيا بالحاء المهملة، فإذا ظهروا بها في وقت تجلى الحق بها وتلاوته إياها تشابهت الصور فلم يعرف المتلو عليهم الحق من الخلق إلا بالتلاوة فإنهم صامتون منصتون لتلاوته، ولا يكون في الصف الأول بين يدي الحق في مجلس التلاوة إلا هؤلاء الذين اشبهوه في الصورة القرآنية الطاهية، ولا

Marfat.com

يتميزون عنه إلا بالإنصات خاصة، فلا يمرّ على أهل النظر ساعة أعظم في اللذة منها، فمن استظهر القرآن هنا بجميع رواياته حفظاً وعلماً وعملاً فقد فاز بما أنزل الله له القرآن وصحت له الإمامة وكان على الصورة الإلهية الجامعة، فمن استعمله القرآن هنا استعمل القرآن هناك، ومن تركه هنا تركه هناك، وكذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى. وورد في الخبر فيمن حفظ آية ثم نسيها عذبه الله يوم القيامة عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين. وما أحسن ما نبه النبي ﷺ على منزلة القرآن بقوله: «لا يقل أحدكم نسيت آية كذا وكذا بل نسيتها» فلم يجعل لتارك القرآن أثراً في النسيان احتراماً لمقام القرآن، وقالت عائشة في خلق النبي ﷺ: «كان خلقه القرآن» وليس إلا ما ذكرناه من الاتصاف به والتجلي على حد ما ذكرناه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حضرة العزة وهي الإسم العزيز

ألا إن العـــزيـــز هـــو المنيـــع ... لـه ستـر الـورى فهـو الـرفيـع
يعـــز وجـــوده فيعـــز ذاتـــاً ... ولـولا الخلـق مـا ظهـر البـديـع
فقـل للمنكـريـن صحيـح قـولـي ... حمـى الـرحمـن ذلكـم المنيـع

الداخل فيها يدعى في الملأ الأعلى عبد العزيز لم أذق في كل ما دخلته من الحضرات ذوقاً ألذ منه ولا أوقع في القلب لهذه الحضرة المنع، فلها الحدود لا بل لها من الحدود ما يقع به التمييز فيقف كل محدود لا بل كل شيء على عزته، فيكون كل شيء عزيزاً وعبوديته فيه فهو عبد نفسه، فمن هنا ظهر كل من غلبت عليه نفسه واتبع هواها، ولولا الشرع ما ذمّه بالنسبة إلى طريق خاص لما ذمه أهل الله فإن الحقائق لا تعطي إلا هذا، فمن اتبع الحق فما اتبعه إلا بهوى نفسه وأعني بالهوى هنا الإرادة، فلولا حكمها عليه في ذلك ما اتبع الحق، وهذا حكم من اتبع غير الحق، وأعني بالحق هنا ما أمر الشارع باتباعه، وغير الحق ما نهى الشرع عن اتباعه، وإن كان في نفس الأمر كل حق لكن الشارع أمر ونهى، كما أنا لا نشك أنّ الغيبة حق ولكن نهانا الشرع عنها ولنا:

وحـق الهـوى إن الهـوى سـبـب الهـوى ... ولـولا الهوى في القلـب مـا عبـد الهوى

فبالهوى يجتنب الهوى، وبالهوى يعبد الهوى، ولكن الشارع جعل اسم الهوى خاصاً بماذمّ وقوعه من العبد، والوقوف عند الشرع أولى، ولهذا بينا قصدنا بالهوى الإرادة

Marfat.com

لا غير، فالأمر يقضي أن لا حاكم على الشيء إلا نفسه فيما يكون منه لا فيما يحكم عليه به من خارج، لكن ذلك الحكم من خارج لا يحكم عليه إلا بما تعطيه نفسه من إمضاء الحكم فيه، فكل ما في العالم من حركة وسكون فحركات نفسية وسكون نفسي، فإذا حصل العبد بالذوق في هذه الحضرة فعلامته أن لا يؤثر فيه غيره بما لا يريده ولا يشتهيه، فيمنع ذاته من أثر الغير فيها بما لا يريده، وإنما قلنا بما لا يريده لأنه ما في الوجود نفس إلا وتقبل تأثير نفس أخرى فيها، يقول الحق تعالى: ﴿أجيب دعوة الداعي إذا دعاني﴾ ولا أعز من نفس الحق، وقد قال عن نفسه أنه أجاب الداعي عندما دعاه، ولكن هو تعالى شرع لعبده أن يدعوه فقال: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ فما أجابه إلا بإرادته لذلك.

ولقد نادى بعض الرعايا سلطاناً كبيراً بمرسيلة فلم يجبه السلطان فقال الداعي: كلمني فإن الله تعالى كلم موسى، فقال له السلطان: حتى تكون أنت موسى، فقال له الداعي: حتى تكون أنت الله، فمسك السلطان له فرسه حتى ذكر له حاجته فقضاها، كان هذا السلطان صاحب شرق الأندلس يقال له محمد بن سعد بن مردنيش الذي ولدت أنا في زمانه وفي دولته بمرسية، وإن كانت الحقائق تعطيه فإن حمل الأسماء على ذات الحق إنما أعطى ذلك الحمل حقائق المحدثات، فلو زالت لزالت الأسماء كلها حتى الغني عن العالم إذ لو لم يتوهم العالم لم يصح الغنى عنه، واسم الغنيّ لمن اتصف بالغنى عنه فما نفاه حتى أثبته، فما ثم عزة مطلقة واقعة في الوجود ﴿فللَّه العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ فأوقع الاشتراك فيها، ولكن المنافقين لا يعلمون أن العزة للرسول وللمؤمنين وإن كان يعلم العزة ولكن تخيل أن حكمها له ولأمثاله هذا القائل، فعزة الحق لذاته إذ لا إله إلا هو، وعزة رسوله بالله وعزة المؤمنين بالله وبرسوله، ولهذا شرع له الشهادتين، ولكن أولوا الألباب لما سمعوا هذا الخطاب تنبهوا لما ذكر المؤمنين، فللَّه العزة في المؤمنين فإنه المؤمن، وللرسول العزة في المؤمنين فإنه منهم، فعمت عزة المؤمنين عزة الله ورسوله فدخل الحق في ضمنهم، وما دخلوا في ضمنه لأحديته وجمعهم، وأحدية الرسول وجمعهم، فلهم الحضرة الجامعة، ولكن نسبة العزة لله غير نسبتها له تعالى من حيث دخوله بالإسم المؤمن في المؤمنين، فإن الحق إذا كان سمع العبد المؤمن وبصره كانت العزة لله بما كان للعبد به في هذا المقام عزيزاً، ألا تراه في هذا المقام لا يمتنع عليه رؤية كل مبصر ولا مسموع ولا شيء مما تطلبه قوّة من قوى هذا العبد لأن قواه هوية الحق ولله العزة، ويمتنع أن يدركه من ليست له هذه القوة من المخلوقين ولهذا ما ذكر الله العزة إلا للمؤمنين.

Marfat.com

ثم أن عزة الرسول بالمؤمنين إذ كانوا هم الذين يذبون عن حوزته فلا عزة إلا عزة المؤمن فبالعزة يغلب وبالعزة يمتنع، فهي الحصن المنيع وهي حمى الله وحرمه، ولا يعرف حمى الله ويحترمه إلا المؤمن خاصة وليس المنع إلا في الباطن. وهنالك يظهر حكم العزة. وأما في الظاهر فليس يسري حكمها عاماً في المنع ولا في الغلبة، فالمؤمن بالعزة يمتنع أن يؤثر فيه المخالف الذي يدعوه إلى الكفر بما هو به مؤمن، والكافر بالعزة يمتنع أن يؤثر فيه الداعي الذي يدعوه إلى الإيمان، ولما كان الإيمان يعمّ والكفر يعمّ تطرّق إليهما الذمّ والحمد فإن الله قد ذكر الذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله فسماهم مؤمنين فهذا من حكم العزة، وبقي الحكم لله في المؤآخذة بحسب ما جاء به الخبر الحق من عند الله، فالحكيم إذا عرف الحقائق، وأن حكم العزة وإن عمّ فلا يعمّ من كل وجه تعرض عند ذلك الوجود الأثر فيه عن إرادة منه بتأثير تكون فيه سعادته ﴿ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾ لأنها علمت أنها إن لم تجب مختارة جبرت على الإتيان فجيء بها كما جيء بجهنم، وما وصفها الحق بالمجيء من ذاتها وإنما قال: ﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾ يعني يوم القيامة، وإنما امتنعت من الإتيان حتى جيء بها لما علمت بما هي عليه وما فيها من أسباب الانتقام بالعصاة من المؤمنين، وما وقعت عينها إلا على مسبح لله بحمده وفيها رحمة الله لكونها دخلت في الأشياء، قال الله تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شي﴾ فمنعتها الرحمة القائمة بها من الإتيان وأشهدتها تسبيح الخلائق وطاعتهم لله فجيء بها ليعلم من لا يدخلها ما أنعم الله عليه به بعصمته منها، ويعلم من يدخلها أنه بالاستحقاق يدخلها فتجذبه بالخاصية إليها جذب المغناطيس الحديد وهو قوله ﷺ: «**إنه آخذ بحجر طائفة من النار وهم يتقمحون فيها تقحم الفراش**»، فاعلم ذلك، والضابط لهذه الحضرة الحد المقوّم لذات كل شيء محدود، وما ثم إلا محدود لكنه من المحدود ما يعلم حده ومنه ما لا يعلم حده، فكل شيء لا يكون عين الشيء الآخر كان ما كان، فذلك المانع أن يكون عينه هو المسمى عزاً وعزة، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حضرة الجبروت وهي للإسم الجبار

الجبـر أصـل يعـم الكـون أجمعـه ... فمـا تـرى غيـر مجبـور لمجبـور
العلـم يجبـر مـن كنـا نعظمـه ... وهـذه نفثـة مـن صـدر مصـدور
لـولاه مـا وجـدت أعياننـا وبـدت ... أكـواننـا بيـن مطـوي ومنشـور

Marfat.com

والمتخلق بهذا الاسم يسمى عبد الجبار هذه الحضرة لها الإجبار في الإعزاء ولا أثر لها إلا فيهم، فحضرتها عظيمة في الفعل، ولكن لا أثر لها في الأعزاء من جهة المعنى الذي وقعت للأشياء به العزة لا أثر لها في ذلك، ولكن أثرها في الأعزاء لقبولهم لما لا عزة لهم فيه، ومن هنالك يقبلون التأثير فاعلم ذلك.

اعلم أن العزيز إذا نظر إلى ما هو به عزيز وإنه من المحال قبوله للتأثير فيه من ذلك الوجه ولا يعلم عند شهوده ذلك أن فيه ما يقبل التأثير من غير هذا الوجه فيدعي المنع وأنه في حمى لا ينتهك فهنا يظهر حكم الجبروت في الملكوت، فإذا أحس العزيز بالجبر نظر عند ذلك من أين أتى عليه، فما ظهر له إلا من جهله بذاته، وأنه مركب من حقائق تقبل التأثير وحقائق لا تقبل التأثير، فإن كان عاقلاً بادر ليحصل له الثناء في تلك المبادرة، ويبقى الامتناع في باب الاحتمال عند الأجنبي عن مشاهدة هذه الحقائق، وإن تعاظم حكم الجبر عليه فيتصرف فيه في اختياره وهو أعظم الحجب وأكثفها، فمن شاهد الجبر في الاختيار علم أن المختار مجبور في اختياره، فليس للجبروت حكم أعظم من هذا الحكم، ومن دخل هذه الحضرة وكانت حاله عظم إحسانه في العالم حتى ينفعل له جميع العالم بل ينفعل له الوجود كله اختياراً من المنفعل وهو عن جبر لا يشعر به كل أحد فهو جبر الإحسان والتواضع، فإنه يدعوه إلى الانقياد إليه أحد أمرين في المخلوقين بل في الموجودات وهو الطمع أو الحياء، فالطامع إذا رأى الإحسان ابتداء من غير استحقاق أطمعه في الزيادة منه، إذا جاء إليه ما يمكن أن يكون معه الإحسان، وإنما تفعل النفس ذلك حتى يكون الإحسان جزاء وفاقاً لأنها تكره المنة عليها لما خلقت وجبلت عليه النفوس من حب النفاسة، وصاحب الحياء يمنعه الحياء بما غمره من الإحسان أن يعتاص على المحسن فيما يدعوه إليه، فهو مجبور بالإحسان في إتيانه وقبوله لما يريده منه هذا المحسن حياء ووفاء، وليجعل ذلك أيضاً جزاء لإحسانه الأوّل حتى يزول عن حكم المنة وهذا من دسائس النفوس، فلا جبر أعظم من جبر الإحسان لمن سلك سبيله وقليل ما هم.

وأما الجبر بطريق القهر والمغالبة فهو وإن قبل في الظاهر ولم يقدر على الامتناع والمقاومة المجبور لضعفه فإنه لا يقبل الجبر بباطنه، فلا أثر له إلا في الظاهر، بخلاف جبر المحسن فإن له الأثر الحاكم في الظاهر والباطن بحكم الطمع أو الحياء أو الجزاء كما قررنا. وأما الجبر الذاتيّ فهو عن التجلي في العظمة الحاكمة على كل نفس فتذهل عن ذاتها

Marfat.com

وعزتها وتعلم عند ذلك أنها مجبورة بالذات فلا تجهل نفسها، فالعارف هنا ينظر من الحاكم عليه فلا يجد إلا قيام العظمة به فيعلم أنه ما حكم عليه إلا ما قام به، وما قام به إلا محدث فيعظم عنده الجبر فيعلم عند ذلك جبروت الحق.

وأما جبروت العبد بمثل هذه الصفة فممقوت عند الله لأنه ليس له ذلك ولا يستحقه، وإنما جبر المخلوق في المخلوق بالإحسان خاصة وذلك هو الجبر المحمود شرعاً وعقلاً، وكل عبد أظهر القهر في العالم بغير صفة الحق وأمره فهو جاهل في غاية الجهل، ولهذه الحضرة الجبروتية حكمان أو وجهان كيف شئت قل الوجه الواحد العظمة وهو قول أبي طالب المكيّ وغيره ممن يقول بقوله، والوجه الآخر البرزخية فلهذا المقام الجمع بين الطرفين بما هو برزخ فيعلم نفسه ويعلم بطرفيه ما هو به برزخ بين شيئين فيكون جامعاً من هذا الوجه عالي المقام وبين فضله على الطرفين، فإن كل طرف لا يعلم منه إلا الوجه الذي يليه فهو عالم أعني الجبروت إن شاء تجلى في صورة برزخية وإن شاء تجلى في صورة إحدى طرفيها كيف شاء تجلى فيكون شبهه بالحق أتم، ونسبة هذا الجبروت إلى الحق نسبة لطيفة لا يشعر بها كثير من الناس، وهو أن الحق بين الخلق وبين ذاته الموصوفة بالغنا عن العالمين، فالألوهة في الجبروت البرزخي فتقابل الخلق بذاتها وتقابل الذات بذاتها، ولهذا لها التجلي في الصور الكثيرة والتحوّل فيها والتبدل فلها إلى الخلق وجه به يتجلى في صور الخلق، ولها إلى الذات وجه به تظهر للذات، فلا يعلم المخلوق الذات إلا من وراء هذا البرزخ وهو الألوهة، ولا تحكم الذات في المخلوق بالخلق إلا بهذا البرزخ وهو الألوهة، وتحققناها فما وجدناها سوى ما ندعوه به من الأسماء الحسنى، فليس للذات جبر في العالم إلا بهذه الأسماء الإلهية، ولا يعرف العالم من الحق غير هذه الأسماء الإلهية الحسنى وهي أعيان هذه الحضرات التي في هذه الباب، فهذا قد أنبأناك بالجبروت الإلهي ما هو على الاقتصار والاختصار، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حضرة كسب الكبرياء وهي للإسم المتكبر

إن التكبـر مـن يقـوم بنفسـه ... كبـر فكـن عبـداً بـه متكبـرا
يـزهـو ويخطـر فـي العـداء بنفسـه ... متجـرداً عـن كبـره متبصـرا
كـأبـي دجـانـة حيـن أشهـر سيفـه ... يمشـي بـه بيـن العـدا متبختـرا

Marfat.com

يدعي صاحب هذه الحضرة عبد المتكبر وهو اسم غريب غير متعارف وإنما يعرف الناس عبد الكبير، وقال الله عز وجلّ: ﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ لم يقل كبير فإن التكبر لا يكتسبه الكبير وإنما يكتسبه الأدنى في الرتبة، فيكسب العبد الكبرياء بما هو الحق صفته، فالكبرياء لله لا للعبد، فهو محمود مشكور في كبريائه وتكبره ويكسب الحق هذا الإسم، فإنه تعالى ذكر عن نفسه أنه متكبر وذلك لنزوله تعالى إلى عباده في خلقه آدم بيديه وغرسه شجرة طوبى بيده وكونه يمينه الحجر الأسود وفي يد المبايع بالإمامة من الرسل في قوله: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾ ونزوله في قوله: «**جعت فلم تطعمني وظمئت فلم تسقني ومرضت فلم تعدني**» وما وصف الحق به نفسه مما هو عندنا من صفات المحدثات، فلما تحقق بهذا النزول عندنا حتى ظن أكثر المؤمنين أنْ هذا له صفة استحقاق وتأوّلها آخرون من المؤمنين، فمن اعتقد أن اتصاف الحق بهذا أن المفهوم منه ما هو المفهوم من اتصاف الخلق به أعلم الحق هذه الطائفة خاصة أن يتكبر عن هذا أي عن المفهوم الذي فهمه القاصرون من كون نسبته إليه تعالى على حد نسبته إلى المخلوق، وبه يقول أهل الظاهر أهل الجمود منهم القاصرة أفهامهم عن استحقاق كل مستحق حقه، فقال عن نفسه تعالى إنه الجبار المتكبر عن هذا المفهوم وإن اتصف بما اتصف به فله تعالى الكبرياء من ذاته، وله التكبر عن هذا المفهوم لا عن الاتصاف، لأنه لو تكبر عما وصف به نفسه مما ذكرنا لكان كذباً والكذب في خبره محال، فالاتصاف بما وصف به نفسه حق يعلمه أولو الألباب.

ومن هذه الحضرة يكون لبعض العباد ما يجدونه في قلوبهم من كبرياء الحق مما يفقده بعضهم من ذلك من العصاة ومن له اجتراء على الله، ومن الناس الذين يتوبون عن بعض المخالفات فيتميز عنهم من غلب على قلبه كبرياء الحق فإنه تكبر في نفس هذا العبد اكتسبه بعد أن لم يكن موصوفاً بهذه الصفة فعبيد المتكبر قليل، وأما الذين أجرأهم على المخالفة ما وصف الحق به نفسه من العفو والمغفرة ونهاهم عن القنوط من رحمة الله فما عندهم رائحة من نعت التكبر الإلهيّ الذي هو به متكبر في قلوب عباده، إذ لو كبر عندهم ما أجترؤا على شيء من ذلك، ولا حكمت عليهم هذه الأسماء التي أطمعتهم، فإن كبرياء الحق إذا استقر في قلب العبد وهو التكبر من المحال إن تقع منه مخالفة لأمر الحق بوجه من الوجوه فإن الحكم لصاحب المحلّ في وقته، فدل وقوع المخالفة على عدم هذا الحاكم،

Marfat.com

فالحق المتكبر إنما هو في نفس هذا الموافق الطائع عبد الله على الحقيقة، وهذا أعلى الوجوه لهذه الحضرة في تكسب الكبرياء، حتى أن العبد المقدر عليه وقوع المحظور إذا اتفق أن يقع منه بحكم القدر المحتوم وسلب العقل عنه وظهور سلطان الغفلة وانتزاح الإيمان منه حتى يصير عليه كالظلة يأتي هذا الأمر وقلبه وجل مع هذا كله لإيمانه أنه إلى ربه راجع يعني هذا الفعل إذا نسبه من كونه فعلاً أنه راجع إلى الحق، والحكم فيه أنه معصية أو مخالفة إنما هو للعبد فيبقى العبد المقدّر عليه في وجل إن نسبه إلى الحق، فيرى الحكم بالذم الإلهي يتبعه فيدركه الوجل كيف ينسب إلى الله ما يناط به الذم وإن نسبه إلى نفسه من كونه محكوماً عليه بالذم، فإن كونه عملاً ينسب إلى الله حقيقة وأنه في التكوين لمن قال له ﴿كن﴾ فلا حكم للعبد في وجود هذا العمل فيدركه الوجل إن نسبه مع هذا العلم في التكوين إلى نفسه فيكون ممن أشرك بالله، وقد نهى أن يشرك بالله شيئاً، وسبب هذا كله كبرياء الحق الذي اكتسبه بالنظر العقلي في نفسه، فما كبر الله من عصاه ولا عرف الله من لم يعصه، فإنه إذا عرف الله عرف أنه ما عصى إلا صيغة الأمر لا الأمر الإلهيّ فإنه جاءه على لسان واحد من أبناء الجنس، ورأى خطابه إياه بما خاطبه به ينقسم إلى ما تعضده الأدلة النظرية التي قد أمره الحق بها، وحكم العقل باتباعها وإلى ما ترده الأدلة النظرية وإن حكمت مع الشرع باتباع ما ترده إيماناً بذلك وتصديقاً، وقد حكم النظر العقليّ بدليله بصدق هذا المخبر وأنه لا ينطق إلا عن الله، وأن الله هو القائل على لسانه لهذا السامع ما خاطبه به، فإن عصاه فمن حيث هو مثل له والمثلان متقابلان فلا بد من حكم التقابل والتضاد، فلا بد من المخالفة وإن أطاع ووافق، فمن حيث أن المخاطب عين الحق ما هو المثل فيعظم في نفس السامع ويقبل الخطاب، وذلك هو عين كون الحق متكبراً أي في نفس هذا العبد حين عصاه من حيث نظرَه إلى المثل في الخطاب. وأما الواقفون مع الصورة الإلهية في الخلق فإن الله إذا تسمى لهم بالمتكبر فإنه تنزيه لما هم عليه من الصورة ودواء لما يحصل لهم في نفوسهم من عظمتهم على المخلوقين، وما له دواء في نفس الخطاب إلا قوله: إن الله خلق آدم على صورته، فيعلم أنه وإن حاز الصورة فهو مخلوق فقد تميز فلا يتمكن له أن يتكبر في نفسه، ولكن بهذا يكبر الحق عنده في قلبه بعد أن لم يكن لهذا العبد هذا النعت، فإذا أضافه إلى ما تقدم ظهر حكم اسم المتكبر والمجال واسع، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

حضرة الخلق والأمر وهي للإسم الخالق

إلى خالق الأرواح أعملت همتي ... لأحظى به والشاهدون حضور
فيا من يراني عاملاً متخلقاً ... ألا إنني ظل لديه ونور
وإن لم يكن هذا مقالي فإنني ... عبيد له بالعالمين خبير
وإن لم يكن قولي وقلت نيابة ... فإني ورب الراقصات كفور
وإن كان قولي فالوجود محقق ... وإني عليم بالمقال بصير

يدعى صاحب هذه الحضرة عبد الخالق، والخلق خلقان: خلق تقدير وهو الذي يتقدم الأمر الإلهي كما قدمه الحق وأخر الأمر عنه فقال تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ والخلق الآخر بمعنى الإيجاد وهو الذي يساوق الأمر الإلهي، وإن تقدمه الأمر الإلهيّ بالرتبة فالأمر الإلهيّ بالتكوين بين خلقين: خلق تقدير وخلق إيجاد، فمتعلق الأمر خلق الإيجاد وستأتي حضرته وهي حضرة الباري، ومتعلق خلق التقدير تعيين الوقت لإظهار عين الممكن فيتوقف الأمر عليه وقد ورد: «كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس» والوقت أمر عدمي لأنه نسبة، والنسب لا أعيان لها في الوجود، وإنما الأعيان الممكنات الثابتة في حال العدم مرتبة كما وقعت وتقع في الوجود ترتيباً زمانياً، وكل عين تقبل تغييرات الأحوال والكيفيات والأعراض وأمثال ذلك عليها، فإن الأمر الذي تتغير إليه إلى جانبها متلبسة به.

فلهذه العين القابلة لهذا الاختلاف في الثبوت أعيان متعددة لكل أمر تتغير إليه عين ثبوتية فهي تتميز في أحوالها وتتعدد بتعدد أحوالها، سواءتنا هي الأمر فيها أو لا يتناهى، وهكذا تعلق بها علم الباري أزلاً، فلا يوجدها إلا بصورة ما علمه في ثبوتها في حال عدمها حالاً بعد حال، وحالاً في أحوال في الأحوال التي لا تتقابل، فإن نسبتها إلى حال ما من الأحوال المتقابلة غير نسبتها إلى الحال التي تقابلها، فلا بد أن تثبت لها عين في كل حال، وإذا لم تتقابل الأحوال يكون لها عين واحدة في أحوال مختلفة، وكذا توجد، فالأمر الإلهي يساوق الخلق الإيجادي في الوجود، فعين قول ﴿كن﴾ عين قبول الكائن للتكوين ﴿فيكون﴾ فالفاء في قوله: ﴿فيكون﴾ جواب أمره ﴿كن﴾ وهي فاء التعقيب، وليس الجواب والتعقيب إلا في الرتبة، كما يتوهم في الحق أنه لا يقول للشيء ﴿كن﴾ إلا إذا أراده، ورأيت الموجودات يتأخر وجود بعضها عن بعض، وكل موجود منها لا بد أن يكون

Marfat.com

مراداً بالوجود، ولا يتكوّن إلا بالقول الإلهيّ على جهة الأمر، فيتوهم الإنسان أو ذو القوّة الوهمية أوامر كثيرة لكل شيء كائن أمر إلهيّ لم يقله الحق إلا عند إرادته تكوين ذلك الشيء، فبهذا الوهم عينه يتقدم الأمر الإيجاد أي الوجود، لأن الخطاب الإلهي على لسان الرسول اقتضى ذلك فلا بد من تصوّره، وإن كان الدليل العقلي لا يتصوّره ولا يقول به، ولكن الوهم يحضره ويصوّره كما يصوّر المحال ويتوهمه صورة وجودية وإن كانت لا تقع في الوجود الحسيّ أبداً، ولكن لها وقوع في الوهم، وكذا هي مفصلة في الثبوت الإمكاني، فإن قوّة الخيال ما عندها محال أصلاً ولا تعرفه، فلها إطلاق التصرف في الواجب الوجود والمحال، وكل هذا عندها قابل بالذات إمكان التصوّر، وهذه القوّة وإن كان لها هذا الحكم فيمن خلقها فهي مخلوقة، وهذا الحكم لها وصف ذاتي نفسي لا يكون لها وجود عين فيمن خلقت فيه إلا ولها هذا الحكم فإنه عين نفسها، وما حازها إلا هذا النشء الإنساني، وبها يرتب الإنسان الأعيان الثبوتية في حال عدمها كأنها موجودة وكذلك هي، لأن لها وجوداً متخيلاً في الخيال، ولذلك الوجود الخيالي يقول الحق له: ﴿كن﴾ في الوجود العينيّ ﴿فيكون﴾ السامع هذا الأمر الإلهي وجوداً عينياً يدركه الحس أي يتعلق به في الوجود المحسوس الحس كما تعلق به الخيال في الوجود الخيالي.

وهنا حارت الألباب هل الموصوف بالوجود المدرك بهذه الإدراكات العين الثابتة انتقلت من حال العدم إلى حال الوجود؟ أو حكمها تعلق تعلقاً ظهورياً بعين الوجود؟ الحق تعلق صورة المرئيّ في المرآة وهي في حال عدمها كما هي ثابتة منعوتة بتلك الصفة، فتدرك أعيان الممكنات بعضها بعضاً في عين مرآة وجود الحق، والأعيان الثابتة على ترتيبها الواقع عندنا في الإدراك هي على ما هي عليه من العدم، أو يكون الحق الوجودي ظاهراً في تلك الأعيان وهي له مظاهر، فيدرك بعضها بعضاً عند ظهور الحق فيها فيقال: قد استفادت الوجود وليس إلا ظهور الحق وهو أقرب إلى ما هو الأمر عليه من وجه، والآخر أقرب من وجه آخر وهو أن يكون الحق محل ظهور أحكام الممكنات، غير أنها في الحكمين معدومة العين ثابتة في حضرة الثبوت، ويكشف المكاشف هذين الوجهين وهو الكشف الكامل، وبعضهم لا يكشف من ذلك إلا الوجه الواحد كان ما كان، فنطق صاحب كل كشف بحسب ما كشف، وليس هذا الحكم إلا لأهل هذا الطريق، وأما غيرهم فإنهم على قسمين: طائفة تقول لا عين لممكن في حال العدم وإنما يكون له عين إذا أوجده الحق وهم الأشاعرة ومن قال بقولهم، وطائفة تقول: إن لها أعياناً ثبوتية هي التي توجد بعد أن لم تكن، وما لا يمكن

Marfat.com

وجوده كالمحال فلا عين له ثابتة وهم المعتزلة والمحققون من أهل الله يثبتون بثبوت الأشياء أعياناً ثابتة، ولها أحكام ثبوتية أيضاً بها يظهر كل واحد منها في الوجود على حد ما قلناه من أن تكون مظهراً أو يكون له الحكم في عين الوجود الحق فهذا يعطيه حضرة الخلق والأمر ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ كماله ﴿الأمر من قبل ومن بعد﴾ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الحضرة البارئية وهي للإسم البارىء

بـــرا اللـــه عليـــه خلقـــه فلـــذا كـــان علـــى صـــورتـــه
فهـــو يمشـــي فـــي وجـــودي دائمـــاً بـــالـــذي يعلـــم مـــن سيـــرتـــه

يدعي صاحبها عبد البارىء، فمن أصحابنا من قصرها على كل مخلوق من الأرض العنصري خاصة ما لها سوى ذلك من الخلق، وما عدا هذا الخلق المنسوب إلى أرض العنصر فخلق آخر ما هو عين هذا، ومن أصحابنا من عمم الأمر في كل مخلوق من أرض الطبيعة، فدخل فيه كل صورة طبيعية من جوهر الهيولى إلى كل صورة تظهر فيه، فلم يدخل اللوح والقلم والملائكة المهيمة في هذا الخلق وجعل أولئك خلقاً آخر، والكل خلق في العماء الذي هو نفس الرحمن القابل لصور كل ما سوى الله، وقد ورد ذلك في خلق الحق نفسه، فردّته العقول كلها لعدم فهمها من ذلك، وما شعرت بأن كل صاحب مقالة في الله أنه يتصوّر في نفسه أمراً ما يقول فيه هو الله فيعبده وهو الله لا غيره، وما خلقه في ذلك المحل إلا الله، فهذا معنى ذلك الخبر.

واختلفت المقالات باختلاف نظر النظار فيه، فكل صاحب نظر ما عبد ولا اعتقد إلا ما أوجده في محله وما وجد في محله وقلبه إلا مخلوق وليس هو الإله الحق، وفي تلك الصورة أعني المقالة تتجلى له، وإن كانت العين من حيث ما هي واحدة ولكن هكذا تدركه، وهذا معنى قول عليم الأسود حين ضرب بيده الأسطوانة فصارت ذهباً في عين الرائي فلما بهت الرائي عند ذلك قال له عليم: يا هذا إن الأعيان لا تنقلب ولكن هكذا تراها لحقيقتك بربك، يشير إلى ظهور الحق في صورة كل اعتقاد لكل معتقد، وهذا هو الحق المخلوق به في نفس كل ذي عقد من ملك وجان وإنسان مقلد أو صاحب نظر، فجاءت الأنبياء في الحق على مقالة واحدة لا تتبدل ولا تتغير بل عين ما أثبته الأول كل رسول بعده، ونبيّ إلى آخر من يخبر عن الله، وادّعوا أن ذلك مما أوحى به إليهم، ولولا ذلك لاختلفوا

Marfat.com

فيه كما اختلف أهل النظر فهم أقرب إلى الحق، بل ما جاؤوا إلا بالحق في ذلك ليصدق الآخر الأول والأول الآخر، وهذه مقالة لا يقتضيها النظر الفكري أصلاً لكن الكشف يعطيها.

وعلى كل حال فأنجى الطوائف من اعتقد في الله ما أخبر الحق به عن نفسه على ألسنة رسله فإنا نعلم أن الحق صادق القول، فلولا أن هذا الحكم عليه صحيح بوجه ما ما وجه به إرساله إلى الكافة من عباده، ولولا أن له وجهاً في كل معتقد ما وصف نفسه على ألسنة رسله بالتحوّل في صور الاعتقادات، فقد برا في نفس كل معتقد صورة حق يقول من يجدها هذا هو الحق الذي نستند إليه في وجودنا فلم ير المخلوق إلا مخلوقاً فإنه لا يرى إلا معتقده، والحق وراء ذلك كله من حيث عينه القابلة في عين الرائي، والعاقل لهذه الصور لا في نفسها ﴿فإن الله غنيّ عن العالمين﴾ بالعالمين، كما نقول في صاحب المال أنه غنيّ بالمال عن المال، فهو الموجب له صفة الغنا عنده، وهي مسألة دقيقة لطيفة الكشف فإن الشيء لا يفتقر إلى نفسه فهو غنيّ بنفسه عن نفسه لكونه عند نفسه ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنيّ﴾ عنكم ﴿الحميد﴾ الذي يرجع إليه عواقب الثناء، وما يثنى عليه إلا بنا من حيث وجودنا.

وأما تنزيهه عما يجوز علينا فما وقع الثناء عليه إلا بنا فهو غنيّ عنا بنا لأن كونه غنياً إنما هو غناه عنا، فلا بد منا لثبوت هذا الغنا له نعتاً، ومن أراد أن يقرب عليه تصوّر هذا الأمر فلينظر إلى ما سمى به نفسه من كل اسم يطلبنا فلا بد منا فلذا لم يكن الغنا عنا إلا بنا، إذ حكم الألوهية بالمألوه والربوبية بالمربوب والقادر بالمقدور، فللربوبية سر لو ظهر لبطلت الربوبية، كما أنّ للربوبية أيضاً سرّاً لو ظهر لبطلت النبوّة، وهو ما يقتضيه النظر العقليّ بأدلته في الإله إذا تجلى الحق فيه بطلت النبوّة فيما أخبرت به عن الله مما لا تقبله العقول من حيث أدلتها وقد دلت على صدق المخبر فلها الردّ والقبول، فتقبل الخبر الوارد وتردّ الفهم فيه الذي يقع به المشاركة بين الله وبين خلقه، وإذا رددت المفهوم الأوّل فقد بطلت النبوّة في حقها التي ثبتت عند السوداء وأمثالها والنبوّة لا تتبعض، فإذا رد شيء منها ردت كلها كما قال الله تعالى في حق من قال: ﴿نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقا﴾ فرجح جانب الكفر في الحكم على جانب الإيمان وإنما رجح حكم الكفر لأحدية المخبر وصدقه عنده فيما أخبر به مطلقاً من غير

Marfat.com

تقييد لاستحالة الكذب عليه، فلا بد له من وجه صحيح فيما جاء به مما يردّه العقل، ولذلك المؤمن يتأوّل إذا كان صاحب نظر، وإذا عجز علم أن له تأويلاً يعجز عنه لا يعلمه إلا الله فيسلمه لله ولكن عن تأويل مجهول ما هو على مفهوم لفظه الظاهر، وعند أهل الله كل الوجوه الداخلة تحت حيطة تلك الكلمة صحيحة صادقة فهم المؤمنون حقاً: ﴿وقد أعد الله للمؤمنين مغفرة وأجراً عظيماً﴾.

حضرة التصوير وهي للإسم المصوّر

إذا كان من تدري مصوّر ذاتنا ... عليه فما في العين إلا مماثل
وإن كان هذا مثل ما قلته لكم ... وصح به حكمي فصح التماثل
فما عنده إلا الذي هو عندنا ... فإن صح هذا القول أين التفاضل
بلى إنه عيني وما أنا عينه ... ولو أنني كفؤ لبان التقابل

يدعي صاحب هذه الحضرة عبد المصوّر، والمصوّر من الناس من يذهب يخلق خلقاً كخلق الله وليس بخالق وهو خالق لأنه قال: ﴿تخلق من الطين كهيئة الطير﴾ فسماه خالقاً وما له سوى هيئة الطائر، والهيئة صورته، وكل صورة لها قبول ظهور الحياة الحسية، فإنّ الله قد ذمّ وتوعد المصوّر لها لأنها لم يكمل نشأتها، إذ من كمال نشأتها ظهور الحياة فيها للحس ولا قدرة له على ذلك، بخلاف تصوير لما ليس له ظهور حياة حسية من نبات ومعدن وصورة فلك وأشكال مختلفة، وليست الصورة سوى عين الشكل، وليس التصوير سوى عين التشكل في الذهن.

واعلم أن الله لما خلق آدم على صورته علمنا أن الصورة هنا في الضمير العائد على الله أنها صورة الاعتقاد في الله الذي يخلقه الإنسان في نفسه من نظره أو توهمه وتخيله فيقول: هذا ربي فيعبده، إذ جعل الله له قوّة التصوير ولذلك خلقه جامعاً حقائق العالم كله، ففي أي صورة اعتقد ربه فعبده، فما خرج عن صورته التي هو عليها من حيث هو جامع حقائق العالم فلا بد أن يتصوّر فيه أعني في الحق إنسانيته على الكمال أو من إنسانيته، ولو نزه ما عسى أن ينزه فإن غاية المنزه التحديد، ومن حد خالقه فقد أقامه كنفسه في الحد، ولذلك أطلق الله على لسان رسوله ﷺ: «اعبد الله كأنك تراه» فأدخل على الرؤية كاف التشبيه والتمثيل وقال له: إن الله في قبلة المصلى، وقال: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾

Marfat.com

ووجه الشيء ذاته وحقيقته، ففي أي صورة أقام الله عبد فهي موضع توليه ففيها وجه الله، إن عقلت فقد أثبت الحق لك ما ينفيه عقلك بدليله، والحق أحق أن يتبع، فالإنسان ينشىء في نفسه صورة يعبدها فهو المصوّر وهو مخلوق منشأ أنشأه الله عبداً يعبد ما ينشئه:

فليس ينشىء عبد غير خالقه ... وليس ينشئه إلا الذي خلقه
فهو الذي أنشأ الأكوان أجمعها ... في مضغة كان ذاك النشء أو علقه
فزاد في خلقه بكون خالقه ... له الغنا ولهذا فقره طبقه
مع الغنا فله النعتان قد جمعا ... بمثل هذا الذي قلناه قد سبقه

فللعبد المؤمن إقامة نشء صور الأعمال التي كلفه الحق أن يقيم نشأتها على أتم الوجوه، وأعطاه القوّة على نفخ الروح في كل صورة ينشيها من عمله وهو الحضور والإخلاص فيها، وما ذم الله عبداً يصوّر صورة لها روح منه ينفخه فيها بإذن ربه فتقوم عنه حية ناطقة مسبحة بحمد ربه، وإنما ذم الله من يخلق صورة لها استعداد الحياة، فلا يحييها إذ كان خالقها، ولكن بما هي عليه من الاستعداد يحييها الحق دون هذا الذي أنشأها، فبمثل هذا المصوّر تعلق الذمّ الإلهيّ، ثم إن الحق ردّ كل صورة في العالم تظهر عن الأسباب المنشئة لها إلى نفسه في الخلق تعالى فقال في كل عامل: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ فهو خالقك وخالق ما أضاف عمله إليك، فأنت العامل لا العامل كما قال: ﴿وما رميت إذ رميت﴾ فنفى عين ما أثبت لك وأثبته لنفسه فقال: ﴿ولكن الله رمى﴾ وما ررمى إلا العبد، فأعطاه اسمه وسماه به، وبقي الكلام في أنه هل حلاه به كما سماه به أم لا، فإنا لا نشك أن العبد رمى، ولا نشك أن الله تعالى قال: ﴿ولكن الله رمى﴾ وقد نفى الرمي عنه أوّلا فنفى عنه اسم العبودة وسماه باسمه إذ لا بد من مسمى، وليس إلا وجود عين العبد لا من حيث هو عبد لكن من حيث هو عين، فإن العبد لا يقبل اسم السيادة والعين كما تقبل العبودية تقبل السيادة، فانتقل عنها الاسم الذي خلقت له وخلع عليها الإسم الذي يكون عنه التكوين وهو قوله تعالى: ﴿ولكن الله رمى﴾ والحق لا يباهت خلقه، فما يقول إلا ما هو الأمر عليه في نفسه، فنفى ما يستحق النفي لعينه، وأثبت ما يستحق الثبوت أيضاً لنفسه، فظهرت الحقائق في أماكنها على منازلها ما اختل شيء منها في نفس الأمر، وإن ظهر الاختلال بالنظر إلى قوم فذلك الاختلال لو لم يكن لكان في الوجود نقص لعدم حكم ذلك الاختلال فلا بد من كونه لأنه لا بد من كمال الوجود وهو قولنا في النقص: أنه من كمال الوجود أن

Marfat.com

يكون فيه نقص وإن كان عيناً سلبية ولكن حكمها واضح لمن عقل الأمور على ما هي عليه، فحضرة التصوير هي آخر حضرة الخلق، وليس وراءها حضرة للخلق جملة واحدة فهي المنتهى والعلم أولها، والهوية هي المنعوتة بهذا كله أعني الهوية، فابتدأ بقوله هو لأن الهوية لا بد منها، ثم ختم بها في السلب والثبوت وهو قوله: ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو﴾ وابتدأ من الصفات بالعلم بالغيب والشهادة، وختم بالمصور ولم يعين بعد ذلك اسماً بعينه بل قال: ﴿له الأسماء الحسنى﴾.

ثم ذكر أن له ﴿يسبح ما في السمٰوات والأرض﴾ ولم يقل وما في الأرض لأن كثيراً من الناس في الأرض لا يسبحون الله، وممن يسبح الله منهم ما يسبحه في كل حال، والأرض تسبحه في كل حال وما فيها وهم الملائكة والأرواح المفارقة وهي تسبحه كما قال: ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ فراعى هنا من يدوم تسبيحه وهو الأرض، كما راعى في موطن آخر من القرآن تسبيح من في الأرض وإن كان البعض من العالم فقال عز من قائل: ﴿تسبح له السمٰوات والأرض ومن فيهن﴾، بجمع من يعقل، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ وزاد في التأكيد بقوله: ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ فأتى بلفظة من ولم يأت بما وأتى في الحشر بما ولم يأت بمن، فإن سيبويه يقول: إن اسم ما يقع على كل شيء إلا أنه لم يعم الموجودات، فوجلت قلوب من بقي منها ولم يقع له ذكر في التسبيح، فجبر الله كسرها وأزال وجلها بقوله عقيب هذا القول: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ وزاد في الثناء عليهم بجهل الناس تسبيحهم بقوله: ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ فكان هذا الجبر في مقابلة ذلك الإنكسار الذي نالهم، فتضاعف الطرب عندهم بذلك والفرح وما هو تضاعف على الحقيقة وإنما هو تعمير الموضع الذي ظهر الكسر، فإنه أخبر أن كل شيء يسبح بحمده كما هو الأمر عليه في نفسه، وسدّ خلل الانكسار بقوله: ﴿لا تفقهون تسبيحهم﴾ بحرف الاستدراك وهو قوله: ولكن طمعاً في أن ينفردوا دون من سواهم بهذا التسبيح الخاص، فإن الناس إذا عرفوه سبحوا الله أيضاً به، فالمسبحون أبداً في إنشاء صور فهم المصوّرون الذين ينفخون في صورهم أرواحاً، وإنشاء الصور لا يتناهى دنيا ولا آخرة، فالإنشاء متصل دائم وإن تناهت الدنيا، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

حضرة إسبال الستور وهي للإسم الغفار والغافر والغفور

إذا كـان درعـي مـن وجـودي لبـاسـه ... فـإنّ وجـود الحـق للـرأس مغفـر
فحقـق مقـالـي إنـه فيـه بيـن ... فـإن شئـت أبـديـه وإن شئـت أستـر

يدعي صاحب هذه الحضرة عبد الغفار وهي حضرة الغيرة والوقاية والحفظ والعصمة والصون. فاعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أن الأمور كلها ستور بعضها على بعض، وأعلاها ستر الاسم الظاهر الإلهيّ فإنه ستر على الاسم الباطن الإلهيّ، وما ثم وراء الله مرمى فهو ستر عليه، فإذا كنت مع الاسم الباطن الإلهيّ في حال شهود ورؤية كان هذا الإسم الإلهيّ الباطن الذي أنت به في الوقت متحداً وله مشاهد ستراً على الاسم الإلهيّ الظاهر، ولا تقل انتقل حكم الظهور للإسم الإلهيّ الباطن وصار البطون للإسم الظاهر بل الظاهر على ما هو عليه من الحكم يعطي الصور في العالم كله، والباطن وإن كان مشهوداً فهو على حاله باطن يعطي المعاني التي تسترها الصور الظاهرة، فهذا أعلى الستور وأخفاها، وأعلى مستور وأخفاه، ودون هذا الستر كون القلب وسع الحق فهو ستر عليه، فإن القلب محل الصور الإلهية التي أنشأتها الاعتقادات بنظرها وأدلتها، فهي ستور عليها لذلك تبصر الشخص ولا تبصر ما اعتقده إلا أن يرفع لك الستر بستر آخر وهو العبارة عن معتقده في ربه.

فالعبارة وإن دلتك عليه فهي ستر بالنظر إلى عين ما تدل عليه، فإن الذي تدل عليه ما ظهر لعينك وإنما حصل في قلبك مثل ما يعتقده صاحب تلك العبارة، فأخبر عن مستور وهو عندك مستور أيضاً فما كشفته ولكن نقلت مثاله إليك لا عينه، فكل حرف جاء لمعنى فهو ستر عليه وإنما جاء ليدل عليه فهو الستر من أعظم الستور، وإن كان دون الستر الأوّل الذي هو ستر الأسماء الإلهية، وإن دلت على ذات المسمى فهي أعيان الستور عليها، فإن الناظر يحار فيها لاختلاف أحكامها في هذه الذات المسماة، فكل اسم له حكم فيها فهي وإن عزت وعظمت ولها الحكم الذاتيّ في الوجود بالإيجاد محكوم عليه بأحكام هذه الأسماء الحسنى، بل أسماء الموجودات كلها أسماؤها لمن فهم عن الله.

ثم المرتبة الثالثة في النزول في علم الستور ستور أعيان الأسماء اللفظية الكائنة في ألسنة الناطقين، والأسماء الرقمية في أقلام الكاتبين، فإنها ستور على الأسماء الإلهية من حيث أن الحق متكلم لنفسه بأسمائه، فتكون هذه الأسماء اللفظية والمرقومة التي عندنا

Marfat.com

أسماء تلك الأسماء وستوراً عليها، فإنا لا ندرك لتلك الأسماء كيفية، ولو أدركنا كيفيتها شهوداً لارتفعت الستور وهي لا ترتفع، وما لنا في أنفسنا أمثلة لها جملة واحدة، بل أعظم ما عندنا تخيلها في نفوسنا، والتخيل أمر تحدثه في النفوس المحسوسات فتصوّرها بالقوّة المصوّرة في خيال الشخص، وليس بعد هذه الستور الإستزور الخلق بعضه على بعض، فالستور وإن كانت دلائل فهي دلائل إجمالية، فالعالم بل الوجود كله ستر ومستور، فنحن في عيبه مستورون وهو ستر علينا فهو مشهود لنا إذ الستر لا بد أن يكون مشهود المستور، فإن الستر برزخ أبداً بين المستور والمستور عنه فهو مشهود لهما.

ولما جاءت الأحكام المشروعة إلى المكلفين وتعلقت بأفعالهم وفرق الحكم في أفعال المكلفين إلى طاعة ومعصية لا طاعة ولا معصية، وإلى مرغب فيه وإلى حكم غير مرغب فيه، فالطاعة والمعصية حظر ووجوب فعلاً أو تركاً، والمرغب فيه وغير المرغب فيه ندب وكراهة فعلاً أو تركاً، ولا طاعة ولا معصية ولا مرغب فيه ولا غير مرغب فيه إباحة وهو حكم مرتبة النفس بما هي لذاتها وعينها، وباقي الأحكام ليست لعينها وإنما تقبله بالداعي من خارج من لمة ملك ولمة شيطان فهي لمن حكمت عليه لمته منهما لا لذاتها، فالسعيد من النفوس المكلفة على نوعين في السعادة: النوع الواحد مستور عن قيام المعصية به وغير المرغب فيه ولا لا طاعة ولا لا معصية ولا مرغباً ولا غير مرغب فيه فهو أسعد السعداء، والنوع الآخر هو المستور بعد حكم المعصية فيه عن العقوبة على ذلك وهو المغفور له. وهذه الأحكام تتعلق من المكلف في ظاهره وباطنه، فالسعيد التام الكامل المعصوم ودونه المحفوظ ظاهراً غير المحفوظ باطناً، فأقل مستور من اسمه عبد الغافر، وأكثر مستور من اسمه عبد الغفور، والمتوسط بينهما عبد الغفار، فالناس أعني المكلفين على ثلاثة أحوال: غافر وغفار وغفور.

ثم إن للمكلفين بعضهم مع بعض حكم هذه الأسماء فيمن جنى عليهم أو من حموه عن وقوع الجناية منهم، ولهم أحكام أسماء الله فمن تجاوز عمن جنى عليه تجاوز الله عنه، ومن أنظر معسراً جنى ثمرة ذلك في الآخرة من عند الله، فما يرى المكلف في الآخرة إلا أعماله، ثم إن الله يعفو عن كثير.

واعلم أن من الستور وإرخائها ما هو معلول بالبشرية وهو قوله: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾ وهو الستر ﴿أو يرسل رسولاً﴾ وهو ستر أيضاً،

Marfat.com

وليس الستر هنا سوى عين الصورة التي يتجلى فيها للعبد عن إسماعه كلام الحق في أي صورة تجلى، فإن الله يقول لنبيه ﷺ: ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ والمتكلم رسول الله ﷺ، وأن الله قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده، وقوله تعالى: «كنت سمعه وبصره»الحديث، فهذه كلها صورة حجابية أعطتها البشرية وما ثم إلا بشر، وروح هذه المسألة: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ﴾ فنفى الوسائط عن خلق آدم، ومن هنا إلى ما دون ذلك حكم اسم البشر، فحيث ارتفعت الوسائط ظهر حكم البشرية لمن عقل: ﴿إن في ذلك لآية لقوم يعقلون﴾ فهذا حصر الستور وإرخاؤها على البدوز والمكسوفات ستور، فمنها ظلالية ومنها أعيان ذوات مثل كسوف القمر والشمس وسائر الكواكب الخمسة وأعظمها ستر الشمس فإنها تطمس أنوار الكواكب كلها، فلا يبقى نور إلا نورها في عين الرائي وإن كانت أنوار الكواكب مندرجة فيها ولكن لا ظهور لها كما قال النابغة الجعدي في ممدّحه:

ألـم تـرى أن الله أعطـاك صـورة ... تـرى كـل ملـك دونهـا يتـذبـذب
بـأنـك شمـس والملـوك كـواكـب ... إذا طلعـت لـم يبـد منهـنّ كـوكـب

ونعلم بالقطع أن الكواكب بادية وطالعة في أعيانها ومجاريها، غير أن إدراك الرائي يقصر عنها لقوّة نور الشمس نور على نور البصر فيبهره، قيل لرسول الله ﷺ: «أرأيت ربك؟ فقال: نوراني أراه» فكيف أن يرى به فهو حجاب عليه، ولم يكن ذلك إلا لضعف الإدارك، فإنه تعالى قد يتجلى فيما دون النور فيرى كما ورد أينما شاء وهو القائل: ﴿لن تراني﴾ فرؤيته لا رؤيته فهو المستور المرئي من غير ظهور ولا إحاطة فالستر لا بد منه، وهذا القدر كافٍ من الإيماء، فإن ميدان الغفران واسع لأنه ﴿الغيب والشهادة﴾ ﴿والله من ورائهم محيط﴾ فأسبل الستر بالوراء على أعين السامعين فوقفوا مع ما سمعوا:

فـأسبـل السـتـر بـالـوراء ... إسبـالـه السـتـر بـالمـراة
بـلا نـزاع ولا خصـام ... ولا جـدال ولا مـراء
فكـل مجلـى لـه حجـاب ... يحجبـه عنـد كـل راء
مـن عـن يميـن وعـن شمـال ... وعـن أمـام وعـن وراء
يعـرفـه كـل مـن رآه ... مـن مخلـص كـان أو مـراء

Marfat.com

حضرة القهر

إذا كان قهري عين أمري فإنني إذا ما أمرت الأمر كان لي القهر
عليه فيبدو للوجود بصورتي فما نهينا نهي ولا أمرنا أمر

يدعي صاحبها عبد القهار وعبد القاهر، فأكبر العلماء من لا يكون له هذا الإسم أعني عبد القهار ولا عبد القاهر، وهو العارف المكمل المعتني به بل هو المعصوم، وما تجلى لي الحق بحمد الله من نفسي في هذا الإسم، وإنما رأيته من مرآة غيري لأن الله عصمني منه في حال الاختيار والاضطرار فلم أنازع قط، وكل مخالفة تبدو مني لمنازع فهي تعليم لا نزاع، فإني ما ذقت في نفسي القهر الإلهي قط ولا كان له من هذه الحضرة فيّ حكم، قال تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ أي قهر عباده لما صدر منهم في النزاع ﴿ويرسل عليكم حفظة﴾ وهو التوكيل أعني هذا الإرسال في حق قوم وحفظاً وعصمة في حق آخرين وهو قوله: ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾ أي من حيث أن الله أمرهم بحفظه فهم المعصومون المحفوظون. وقد يحفظونه من أمر النازل فيدفعونه كما فعل بالزاني في حين زناه أخرج عنه الإيمان حتى صار عليه كالظلة يحفظه من أمر الله النازل به حيث تعرض بالمخالفة لنزول البلاء عليه، فيحفظه الإيمان من هذا الأمر النازل بأن يتلقاه فيردّه عنه لعله يستغفر أو يتوب، فإذا كان غير المعصوم يحفظ مثل هذا الحفظ فما ظنك بالمعتنى به فإنه محفوظ في الأصل، وأدق ما يكون من الخلاف النزاع الإلهي بإنابة العبد، فإذا زال العبد عن إنابته لم يجد القهار من يقف له فيقهره والسهم لا يمشي إلا إلى مرماه.

واعلم أن الدعاء لا يقتضي المنازعة كما ذهب إليه سهل والفضيل بن عياض حيث أرادا ما أراد الله كما جاء عنهما فإن الدعاء ذلة وافتقار والنزاع رياسة وسلطنة، ولولا النزاع القائم بنفوس الرعية الذين لو مكنوا من إرساله لوقع منهم ما أضيف إلى الرعية أنهم مقهورون تحت سلطان مليكهم، ومن لم يخطر له شيء من ذلك ولم ينازع فما هو مقهور ولا الملك له بقاهر بل هو به رؤوف رحيم، فمن قهر تخلقاً من عباد الله فإنما قهر بالله من نازع أمر الله لا بنفسه، وما ثم إلا نزاع الشيطان بلمته فيما يلقيه إلى هذا العبد في قلبه منازعة لأمر الله ونهيه هذا قصده بالإلقاء، وإن لم يخطر للعبد ذلك فإنه لا يخطر له مثل هذا الكون الإيمان يردّه، ولكن يستدرجه بالمخالفة شيئاً بعد شيء إلى أن يكفر، فإن المعاصي بريد الكفر ولا تأتي إذا كثرت وترادفت إلا بالكفر، فلهذا يسارع بها وينوّعها الشيطان، فلا يزال

Marfat.com

المؤمن يقهره بلمة الملك مساعدة للملك على نفسه لينجو، فإن المؤمن يقول: لا حول ولا قوّة إلا بالله.

ومن النزاع الخفي الصبر على البلاء إذا لم يرفع إزالته إلى الله كما فعل أيوب عليه السلام وقد أثنى الله عليه بالصبر فقال مع ثبوت شكواه: ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾ فذكره بكثرة الرجوع إليه في كل أمر ينزل به، فمن حبس نفسه عند الضرّ النازل به عن الشكوى إلى الله في رفع ما نزل به وصبر مثل هذا الصبر فقد قاوم القهر الإلهي، فإن الله قاهر هذا العبد وإن كان محموداً في الطريق، ولكن الشكوى إلى الله أعلى منه وأتم، ولهذا قلنا: إن الدعاء لا يقدح ولا يقتضي المنازعة، بل هو أعلى وأثبت في العبودة من تركه.

وأما الرضا والتسليم فهما نزاع خفي لا يشعر به إلا أهل الله، فإن كان متعلق الرضا المقضي به فيحتاج إلى ميزان شرعي وإن كان متعلق الرضا القضاء، فإن كان القضاء يطلب القهر ويجد الراضي ذلك من نفسه فيعلم أن فيه نزاعاً خفياً فيبحث عنه حتى يزيله وإن لم يرَ أنّ ذلك القضاء يطلب القهر فيعلم أنه الرضا الخالص الجبلي لأن الرضا من راض يروض ومنه الرياضة ورضت الدابة وهو الإذلال، ولا يوصف به إلا الجموح والجموح نزاع، إنما يراض المهر الصغير لجموحه وجهله بما خلق له، فإنه خلق للتسخير والركوب والحمل عليه، والمهر يأبى ذلك فإنه ما يعلمه فيراض حتى ينقاد في أعنة الحكم الإلهي، وكذلك رياضة النفوس لولا ما فيها من الجموح لما راضها صاحبها، فإذا خلقت مرتاضة بالأصالة فكان ينبغي أن لا يطلق عليها اسم راضية بل هي مرضية، وإنما النفوس الإنسانية لما خلقها الله على الصورة الإلهية شمخت على جميع العالم ممن ليست له هذه الحقيقة، وانحجبت عن الحقائق الإلهية التي تستند إليها حقائق العالم حقيقة حقيقة، فاكتسبت الرياضة لأجل هذا الشموخ فذلت تحت سلطانه وحمدت على ذلك، وكذلك التسليم لم يصح إلا مع التمكن من الجموح، وكذلك التوكيل لم يصح إلا بعد الملك فهو نزاع خفي، والقهر الإلهي يخفى بخفاء النزاع ويظهر بظهور النزاع، والعارف لا يغفل عن نفسه طرفة عين، فإنه إذا غفل عن نفسه غفل عن ربه، ومن غفل عن ربه نازع بباطنه ما يجده من الأثر فيه مما يخالف غرضه، فيجيء القهر الإلهي فيقهره، فيكون إذا كثر منه مثل هذا يسمى عبد القهار، وإذا قل منه يسمى عبد القاهر. والضابط لهذه الحضرة أن ينظر الإنسان في

Marfat.com

خفايا موافقاته ومخالفاته فيعلم من ذلك هل لهذه الحضرة حكم فيه أم لا؟ فهذا أمر كلي قد وكلناك فيه إلى نفسك وأنت أعلم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حضرة الوهب وهي للإسم الوهاب

جميع العطايا منه وهب إلهي ... وإن كان لا يدري الوجود الكياني
فذلك لا يخفى على كل عاقل ... عن اللّه إن كان العيان الإلهي
فإن لم يكن فالجهل نعت لخلقه ... به وبذا جاء الوجود العياني

يدعي صاحب هذه الحضرة عبد الوهاب، والوهب العطاء من الواهب على جهة الإنعام لا يخطر له خاطر الجزاء عليه من شكر ولا غيره، فإن اقترن به طلب شكر جزاء فليس يوهب، وإنما هو عطاء تجارة يطلب به الربح والخسران، فإن العطاء الإلهي على أنواع متعدّدة سيأتي ذكرها في هذا الباب إن شاء الله. فمن هذه الحضرة يتجرّد العبد عن جميع أغراضه كلها في إحسانه بهباته البدنية والمالية، ومعنى البدنية أن يصرف بدنه بسفر أو أي نوع كان من أنواع الحركات البدنية في حق من كان من عباد الله من إنسان أو حيوان، لا يبتغي بذلك أجراً ولا يطلب عليه شكراً إلا لمجرّد الإنعام على هذا الذي يتحرّك من أجله مما له فيه منفعة أو دفع مضرة، وكون الله عز وجل يأجره على ذلك، ذلك إلى الله تعالى لا إليه، بل يفعل ذلك لمجرد قيام هذه الصفة به، وحكم هذا الاسم الإلهي عليه، فإذا تحرك في العبادات التي لاحظ للخلق فيها كالصلاة والصيام والحج وأمثال ذلك بل كان عبادة مشروعة وهو مستمد من هذه الحضرة، فينوي في عبادته تلك ما كان منها لا حظ للمخلوق فيها أن ينشئها ويظهر عينها بحركاته أو مسكه عنها إذا كانت العبادة من التروك لا من الأفعال، فينشئها صورة حسنة على غاية التمام في خلقها والكمال لتقوم صورة لها روح بما فيها من الحضور مع الله بالنية الصالحة المشروعة في تلك العبادة يفعلها فرضاً كانت أو نفلاً من حيث ما هي مشروعة له على الحد المشروع ولا يتجاوزه، لتسبح الله تلك الصورة التي أنشأها المسماة عبادة، وتذكر الله بحسب ما يقتضيه أمره فيها تعالى، ويزيد هذا العبد الإنعام على تلك الصورة العملية المشروعة بالظهور لتتصف بالوجود فتكون من المسبحين بحمد الله إنعاماً عليها وعلى حضرة التسبيح، فيخلق في عباداته السنة مسبحة لله بحمده لم يكن لها عين في الوجود.

جاءت امرأة إلى مجلس شيخنا عبد الرزاق فقالت له: يا سيدي رأيت البارحة في

Marfat.com

النوم رجلاً من أصحابه قد صلى صلاة فانتشأت تلك الصلاة صورة فصعدت وأنا أنظر إليها حتى انتهت إلى العرش فكانت من الحافين به، فقال الشيخ صلاة بروح متعجباً من ذلك، ثم قال: ما تكون هذه الصلاة لأحد من أصحابي إلا لعبد الرزاق يقول ذلك في نفسه، فقال لها: وعرفت ذلك الشخص من أصحابي؟ قالت نعم هو هذا وأشارت إلى عبد الرزاق الذي خطر للشيخ فيه، فقال لها الشيخ: صدقت وأخذها مبشرة من الله. أخبرني بهذه الحكاية عبد الله ابن الأستاذ الموروري بمورور من بلاد الأندلس وكان ثقة صدوقاً، كما خلق عيسى عليه السلام كهيئة الطير من الطين فنفخ فيه فكان طائراً بإذن الله، ولم يكن لهذه الصورة وجود إلا على يديه، ثم نفخ فيها فكانت طائراً بإذن الله، أي أن الله أمره بذلك وأذن له فيه، كما أمر الله أيضاً المؤمن في الشرع وأذن له في إنشاء صور عباداته التي كلفه الله عز وجل بها، فإن كان عيسى عليه السلام قد نوى في خلقه ذلك الطائر الإنعام على تلك الصورة لتلحق بالموجودات وينعم على حضرة التسبيح بزيادة المسبحين فيها كان من أهل هذه الحضرة والتحق بهم، وإن كان نوى غير ذلك فهو لما نوى، وما بين صاحب هذا المقام وغيره إلا مجرد النية ومشاهدة صدور الأعمال منه صوراً فإن الأمر في نفسه من إنشاء صور العبادات من المكلفين لا بد منه في كل مكلف قبيحة كانت أو حسنة، ويفترقون في النيات والمقاصد، وما ثم إلا مكلف، فأعظمها منزلة من يقصد بعبادته ما ذكرناه، فإن عمل هذا العبد هذه العبادة لكونها أعظم صفة ومنزلة في العبادات فما هو ذلك الذي ذكرناه من هذه الحضرة فإن الأمر لا يقبل الاشتراك، فمثل هذا ما أقامه في نشأ صور هذه العبادات إلا كونها من أعظم الصفات وأجلها، فتميز بذلك عمن لم يقمه الله في مثل هذا طلباً للأجر والمثوبة، وإنما يقصد صاحب هذه الحضرة مجرد الإنعام على ظهور تلك العبادة وزيادة المسبحين لله، لا يبتغي بذلك حمداً ولا ثناء ولا جزاء إلا عين ما قصده الحق في إيجاد العالم، فكما قصد الله بالخلق أن يعبدوه في مثل ما نص عليه من ذلك في قوله: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ وقوله: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ فنوى هذا العبد في إنشاء صور العبادات أن تعبد الله كما أراده الحق، وهذا لا يبطل نية الإنعام من هذا العبد على هذه الصور بالإنشاء والإيجاد، فإن كان مشهد هذا العبد أن الله هو المنشىء هذه الصور بالعبد لا هو فليس من هذه الحضرة الوهبية الكيانية، بل ذلك من الوهب الإلهي على هذه الصورة المنشأة.

وليس غرضي فيما ذكرناه ما هو الأعلى والأعظم في المنزلة، وإنما غرضي تمييز

Marfat.com

المقامات بعضها من بعض حتى لا يلتبس عن القائمين بها، فإنها تتداخل الأحكام فيها ولا يشعر لحد الفصل بين الأحوال والمقامات إلا الراسخون في العلم الإلهي، فإذا جازاهم الله على ما أنشأوه إنعاماً من الله تعالى عليهم كان جزاء من أشهد أن إنشاء تلك الصور لله لا للعبد المكلف، وأن الإنعام لله في ذلك عليها إلا إلى المكلف، فإنه أعظم جزاء إلٰهياً من الذي لم يشهده الله ذلك عند إنشائها، فقد تميز الشخصان بما وقع لهما به الشهود عند العمل المشروع، وهذا عمل لم ينسج على منواله انفردنا بالتنبيه عليه على غاية الكمال من العبد وحررناه تحريراً تاماً، فإن أحداً من العلماء بالله وبالأشياء ما يجهلون العطاء على جهة الإنعام، ولكن مثل ما ذكرناه لا يتصوره ولا يخطر ببال كل عامل إلا من تحقق بهذه الحضرة الواهبة خاصة وهو المسمى عبد الوهاب، والوهاب أوجده لا غيره من الأسماء مثل قوله في عيسى عليه السلام لمريم: ﴿ليهب لك غلاماً زكيا﴾ والصور التي أوجدها الإسم الوهاب قليلة جداً تعلم ذلك إذا علمت مراتب العلماء بالأسماء الإلهية بالغاً بالأسماء الإلهية فاعلم ذلك، وهذا القدر من الإيماء إلى علم هذه الحضرة كاف إن شاء الله تعالى، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وهو الهادي إلى طريق مستقيم.

حضرة الأرزاق وهي للإسم الرزاق

الـرزق رزقـان محسـوس ومعقـول ... يـدري بـذلـك معقـول ومنقـول
فمنـه يقبـل مـا يعطيـه مـن منح ... وذلـك الـرزق فـي التحقيـق مقبـول
جـل الإلـه فمـا تحصـى عـوارفـه ... وفـي معـارفهـا هـدي وتضليـل
مثل النكاح الذي يحوي على عجب ... مـن التلـذذ تلسيـن وتقبيـل

قال الله تعالى في قصة مريم: ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ وقال: ﴿ومن يتقِ الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ يدعى صاحب هذه الحضرة عبد الرزاق، قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾ هذا في حق من أطعم من أجله حين سمعه يقول سبحانه في الخبر الصحيح: «جعت فلم تطعمني، وظمئت فلم تسقني فيقول العبد: كيف تطعم وتشرب وأنت رب العالمين؟ فيقول الحق: إن عبدي فلاناً جاع وفلاناً ظمىء فلو أطعمته حين

Marfat.com

استطعمك أو سقيته حين استسقاك» فذلك معنى قوله تعالى: «جعت فلم تطعمني وظمئت فلم تسقيني» فأنزل نفسه تعالى منزلة الجائع والعاطش الظمآن من عباده، فربما أدى العامل على هذا الحديث الإلهي أن يجهد في تحصيل ما يطعم به مثل هذا حتى يكون ممن أطعم الله تعالى فقال له الله: «وما أريد أن يطعمون» انتقال من مقام إلى مقام لأنه يعلم عباده العلم بالمقامات والأحوال والمنازل في دار التكليف حتى يتنقلون فيها. ثم قال: ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ والمتانة في المعاني كالكثافة في الأجسام فجاء بالإسم المناسب للرزق لأن الرزق المحسوس به تتغذى الأجسام وتعبل، وكلما عبلت زادت أجزاؤها. وكثفت، وأين السمن من الهزال؟ فما أحسن تعليم الله وتأديبه وتبيانه لمن عقل عن الله.

واعلم أن الرزق معنوي وحسي أي محسوس ومعقول، وهو كل ما بقي به وجود عين المرزوق فهو غذاؤه ورزقه وقوله: ﴿وفي السماء رزقكم﴾ وقال في الأرض: ﴿وقدر فيها أقواتها﴾ وهي الأرزاق، وتقديرها بوجهين: الوجه الواحد كمياتها، والثاني أوقاتها، فالرزق الذي في الأرض ما تقوم به الأجسام، والذي في السماء ما تقوم به الأرواح، وكل ذلك رزق ليصح الافتقار من كل مخلوق وينفرد الحق بالغنا، وأرفع المنازل في الأرزاق وشهودها رزق ما يظهر به عين الوجود الحق من صور أحكام الممكنات ومن صور التجلي، فينظر صاحب هذه المشاهدة إلى الصورة في التجلي أو لصور أحكام الممكنات في عين الوجود الحق فينظر ما تستحقه تلك الصورة من مسمى الرزق ما تطلبه لبقائها فيكون هذا العبد يرزقها ذلك إذا كان مشهده هذه الحضرة أعني حضرة الأرزاق، ثم ينزل الأمر في الكائنات الخلقية والأمرية بحسب حقائقها، فيطلب عين الكون رزقه منه، وأكثفه ما تطلبه المولدات في الأركان كالمعادن والنبات والحيوان وقد جعل الله من الماء ﴿كل شيء حيّ﴾ وكل شيء حيّ، فإن كل شيء مسبح لله بحمده، ولا يكون التسبيح إلا من حيّ، فكل شيء من الماء عينه ومن الهواء حتى حيوان البحر الذي يموت إذا فارق الماء ما حياته إلا بالهواء الذي في الماء لأنه مركب فيقبل الهواء بنسبة خاصة وهو أن يمتزج بالماء امتزاجاً لا يسمى به هواء، كما أن الهواء المركب فيه الماء وبه يكون مركباً لكن امتزج الماء به امتزاجاً خاصاً لا يسمى به ماء، فإذا كانت حياة الحيوان بهواء الماء مات عند فقده ذلك الهواء الخاص، وكذلك حيوان البر إذا غرق في الماء مات لأن حياته بالهواء الذي مازجه الماء لا بالماء الذي مازجه الهواء، وثم حيوان بري بحري وهو حيوان شامل برزخيّ له نسبة إلى قبول

Marfat.com

الهواءين فيحيى بالهواء كما يحيى البري، ويحيى في الماء كما يحيى البحري، وبالهواء تكون حياته في الموضعين، والماء أصله في كونه حياً، فالرزق في عالم الأركان الهواء فيما في كل مطعوم ومشروب من ركن الهواء به تكون الحياة لمن يتغذى به من كل شيء حيّ من نبات ومعدن وحيوان وإنسان وجان.

وأما الملائكة المخلوقة من أنفاس العالم عند تنفسهم فلهم غذاء أيضاً من الأركان لا بد من ذلك، ويخرج الملك من المتنفس بحسب ما يكون في قلب ذلك المتنفس من الخواطر، فإن تلفظ المتنفس خرج النفس بحسب ما تلفظ به مفصلاً في الصورة تفصيله حروفاً في الكلمة، وبهذا القدر تكون كيفية الانفعال عن خواص الحروف لمن شهد ذلك وإن لم يتلفظ وخرج النفس من غير لفظ فإنه يخرج هيولانياً لا صورة له معينة، فيتولى الله تصويره بحسب ما كان عليه العبد في باطنه عند التنفس فيركبه الله في تلك الصورة، فإن تعرى المحل المتنفس عن كل شيء كتنفس النائم الذي لا رؤيا له في منام ولا هو في الحس فإن الله يصوّر ذلك النفس بصورة ما نام عليه عند فراقه الإحساس. كان الذكر ما كان، أو الخاطر في القلب ما كان، فإذا أقيم العبد في هذه الحضرة التي نحن بصددها ونظر إلى ما تكون عنه أمده من الرزق ما به بقاؤه فإنه خالقه والرزق تابع للخلق فخالق الشيء هو رازقه، ولا تكون في مقام خلق الأشياء إلا إذا أشهدك الحق ما ينفعل عنك، فعند ذلك تشاهد طلبة ما تكوّن عنك بما يحتاج إليه من الرزق فترزقها، كما تسعى هنا في افتناء الرزق الذي تطلبه منك عائلتك سواء، وهذا لا يقدح في أن الله هو الرازق، وإنما كلامنا في تقرير الأسباب وإثباتها كما قررها الحق عز وجل وأثبتها، وقد بينا لك في غير موضع أن الإنسان إذا تجلى له الحق في منام أو غيره في أي صورة تجلى فلينظر فيما يلزم تلك الصورة المتجلى فيها من الأحكام فيحكم على الحق بها في ذلك الموطن، فإن مراد الله فيها ذلك الحكم ولا بد، ولهذا تجلى فيها على الخصوص دون غيرها ويتحوّل الحكم بتحوّل الصور فاعلم ذلك.

فكذلك أيضاً رزق الصور يتنوّع بتنوّع الصور، فما به غذاء صورة قد لا يكون به غذاء صورة أخرى وليس غذاء الصور سوى رزقها، فإذا تصوّرت المعاني كالعلم في صورة اللبن والثبات في الدين في صورة القيد فرزق تلك الصورة ما أريدت له، فإن كانت رؤيا فأصاب عابرها ما أراد الله بها بتلك الصورة فذلك رزقها فدامت حياتها وبقاؤها، وصورة ذلك ما يناله الرائي والمكاشف من ذلك «كما رأى النبي ﷺ يشرب اللبن حتى خرج الريّ من أظافره

Marfat.com

مما تضلع منه فقيل له: ما أولته يا رسول الله؟ فقال: «العلم» يعني أن العلم ظهر في صورة اللبن. ولما كان العلم لبناً وصف نفسه بالشرب منه والتضلع إلى أن خرج الري من أظافره فنال كما قال علم الأوّلين والآخرين، وما خرج منه من الريّ هو ما خرج إلى الناس من العلم الذي أعطاه الله لا غير، ثم أعطى ما فضل في الإناء عمر فكان ذلك الفضل القدر الذي وافق عمر الحق فيه من الحكم كحكمه في أسارى بدر وفي الحجاب وغير ذلك ففاز به دون غيره من عند الله، وهكذا كل من حصل له مثل هذا من عند الله كالمتقي، إذا اتقى الله جعل له فرقاناً وهو علم يفرق به بين الحق والباطل في غوامض الأمور ومهماتها عند تفصيل المجمل وإلحاق المتشابه بالمحكم في حقه، فإن الله أنزله متشابهاً ومجملاً، ثم أعطى التفصيل من شاء من عباده وهو ما فضل من اللبن في القدح وحصل لعمر لأنه من شرب من ذلك الفضل فقد عمر به محل شربه فلذلك كان عمر دون غيره من الأسماء، هذا تعبير رؤياه على التمام ﷺ ولعمر بن الخطاب في ذلك خصوص وصف لاختصاصه بالإسم والصورة في النوم دون غيره من العمريين ومن الصحابة ممن ليس له هذا الاسم، فكل رازق مرزوق، أما الرزق المعنوي أو الحسي على انقسام الأرزاق المعنوية والمحسوسة. ومن هذه الحضرة قوله تعالى: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم﴾ فحتى نعلم رزق الابتلاء أي كوّنه الله من الابتلاء فهو علم إقامة الحجة لتكون الحجة البالغة لله كما أخبر عن نفسه فقال: ﴿فللّه الحجة البالغة﴾ التي لا دخل عليها ولا تأويل فيها، وإذا وصف الحق نفسه بحتى نعلم فعم حكم الرزق جميع الصور فكل الصيد في جوف الفرى، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حضرة الفتح وهي للإسم الفتاح

حضرة الفتاح للفتح وما ... يعلم الشخص بما يفتح له
إن رب الخلق في الخير وفي ... كل شر واقع قد أجمله
ربما يعرفه الشخص وما ... يعرف الأمر الذي قد أنزله
ثم قد يعلمه الشخص وما ... يعلم الشيء الذي كون له

يدعى صاحب هذه الحضرة عبد الفتاح، ولها صورة ومعنى وبرزخ، وما حازها على الكمال إلا آدم عليه السلام بعلم الأسماء، ومحمد ﷺ بجوامع الكلم، وما عدا هذين الشخصين فما ذكر لنا، ومن هذه الحضرة نزلت: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ و ﴿إنا فتحنا

Marfat.com

لك فتحاً مبيناً﴾ ولقد كنت بمدينة فاس سنة إحدى وتسعين وخمسمائة وعساكر الموحدين قد عبرت إلى الأندلس لقتال العدوّ حين استفحل أمره على الإسلام، فلقيت رجلاً من رجال الله ولا أزكي على الله أحداً وكان من أخص أودائي فسألني ما تقول في هذا الجيش هل يفتح له وينصر في هذه السنة أم لا؟ فقلت له: ما عندك في ذلك؟ فقال: إن الله قد ذكر ووعد نبيه ﷺ بهذا الفتح في هذه السنة وبشر نبيه ﷺ بذلك في كتابه الذي أنزله عليه وهو قوله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ فموضع البشرى فتحاً مبيناً من غير تكرار الألف فإنها لإطلاق الوقوف في تمام الآية، فانظر أعدادها بحساب الجمل. فنظرت فوجدت الفتح يكون في سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، ثم جزت إلى الأندلس إلا أن نصر الله جيش المسلمين وفتح الله به قلعة رباح والأركو وكركوي وما انضاف إلى هذه القلاع من الولايات، هذا عاينته من الفتح ممن هذه صفته، فأخذنا للفاء ثمانين وللتاء أربعمائة وللحاء المهملة ثمانية.وللألف واحداً وللميم أربعين وللباء اثنين وللياء عشرة وللنون خمسين، والألف قد أخذنا عددها فكان المجموع إحدى وتسعين وخمسمائة كلها سنون من الهجرة إلى هذه السنة، فهذا من الفتوح الإلهي لهذا الشخص.

وكذلك ما ذكرناه من فتح البيت المقدس فيما اجتمع بالضرب في ﴿ألم غلبت الروم﴾ مع البضع من السنين المذكور فيه بالحسابين الجمل الصغيرة والكبير، فظهر من ذلك فتح البيت المقدس وقد ذكرناه فيما تقدم من هذا الكتاب في باب الحروف منه وهو أن البضع جعلناه ثمانية لكون فتح مكة كان سنة ثمان، ثم أخذنا بالجمل الصغير ألم ثمانية فأسقطنا الواحد لكون الأس يطلب طرحه لصحة العدد في أصل الضرب في الحساب الرومي، والفتح إنما كان في الروم الذين كانوا بالبيت المقدس. فأضفنا ثمانية البضع إلى ما اجتمع من حروف ألم بعد طرح الواحد للأس فكان خمسة عشر، ثم رجعنا إلى الجمل الكبير فضربنا واحداً وسبعين في ثمانية والكل سنون لأنه قال: ﴿في بضع سنين﴾ فكان المجموع ثمانية وستين وخمسمائة، فجمعناها إلى الخمسة عشر التي في الجمل الصغير فكان المجموع ثلاثاً وثمانين وخمسمائة وفيها كان فتح البيت المقدس، وهذا العلم من هذه الحضرة. ولكن عبد السلام أبو الحكم بن برجان ما أخذه من هذا فوقع له غلط وما شعر به الناس، وقد بيناه لبعض أصحابنا حين جاءنا بكتابه فتبين له أنه غلط في ذلك ولكن قارب الأمر، وسبب ذلك أنه أدخل عليه علماً آخر فأفسده، وهذا كله من صورة الفتح لا من معناه ولا من وسطه الذي هو الجامع للطرفين، فكان لآدم إحصاء جميع اللغة الواقعة من

Marfat.com

أصحابها المتكلمين بها إلى يوم القيامة، وكان لمحمد ﷺ الرسالة إلى الناس كافة باللسان العربيّ، فعمّ جميع كل لسان فنقل شرعه بالترجمة فعمّ اللغات.

وأما الفتح الوسط فهو فتح الأذواق وهو العلم الذي يحصل للعالم به بالتعمل في تحصيله كعلم الفرقان للمتقي فإنه حصله بتقوى الله مع إنضاف إليه من تكفير السيئات وغفر الذنوب، وهذا علم مخصوص بأهل الطريق وهم أهل الله وخاصته وهو علم الأحوال، وإن كانت مواهب فإنها لا توهب إلا لمن هو على صفة خاصة وإن كانت تلك الصفة لا تنتجها في الدنيا لكل أحد، ولكن لا بد أن تنتج في الآخرة، فلما لم يكن من شرطها الإنتاج في الدنيا قيل في علم الأحوال أنها مواهب وهو حصولها عن الذوق، ومعنى عن الذوق أوّل التجلي، فإن التوكل مثلاً الذي هو الاعتماد على الله فيما يجريه أو وعد به، فالذوق فيه الزائد على العلم بذلك عدم الاضطراب عند الفقد لما تركن النفس إليه، فيكون ركونها في ذلك إلى الله لا إلى السبب المعين فيجد في نفسه من الثقة بالله أعظم مما يجده من عنده السبب الموصل إلى ذلك، كالجائع ليس له سبب يصل به إلى نيل ما يزيل جوعه من الغذاء، وجائع آخر عنده ما يصل به إلى نيل ما يزيل ما عنده، فيكون صاحب السبب قوياً لوجود المزيل عنده، وهذا الآخر الذي ما عنده إلا الله يساويه في السكون وعدم الاضطراب لعلمه بأن رزقه إن كان بقي له رزق فلا بد من وصوله إليه، فسمي عدم هذا الاضطراب ممن هذه صفته من فقد الأسباب ذوقاً وكل عاقد يجد الفرق بين هذين الشخصين، فإن العالم الذي ليس له هذا الذوق يضطرب عند فقد المزيل مع علمه بأن رزقه إن كان بقي له رزق لا بد أن يصل إليه، ومع هذا العلم لا يجد سكوناً نفسياً مع الله، وصاحب الذوق هو الذي يجد السكون كما يجده صاحب السبب المزيل لا فرق بل هو أوثق، وهو قول بعض العلماء أن الإنسان لا ينال هذه الدرجة حتى يكون بربه أوثق منه بما في يده، لأن الوعد الإلهي صادق لا تتطرّق إليه الآفات، والذي بيده من الأسباب أن يتطرقّ إليه الآفات فيحال بينه وبين من هو عنده بأي وجه كان، فلذلك قلنا أن المتوكل ذوقاً ثم في السكون من صاحب السبب الحاصل المزيل لهذا الألم، فاعلم ذلك فهذا هو الوسط من علم الفتح وصاحبه يلتذ في باطنه غاية الالتذاذ.

وأما المعنى من هذه الحضرة فهو ما يطالع به العبد من العلم بالله إذا كان الحق أعني هوية الحق صفات هذا العبد فما يحصل له من العلم إذا كان بهذه الصفة هو المعنى الحاصل

Marfat.com

من هذه الحضرة، وما كل أحد ينال هذا المقام من هذه الحضرة وإن كان فيها فإن الناس يتفاضلون في ذلك، ومن هذه الحضرة قال رسول الله ﷺ حين ضرب بين كتفيه: «**علمت علم الأولين والآخلاين بذلك الوضع**» وتلك الضربة أعطاه الله فيها ما ذكره من العلم ويعني بذلك العلم بالله فإن العلم بغير الله تضييع الوقت، فإن الله ما خلق العالم الإله، ولا سيما هذا المسمى بالإنس والجن فإنه نص عليه أنه خلقه لعبادته، وذكر عن كل شيء أنه يسبح بحمده، فمن علم الله بمثل هذا العلم علم أن كل نطق في العالم كان ذلك النطق ما كان مما يحمد أو يذم أنه تسبيح بوجه لله بحمده أي فيه ثناء على الله لا شك في ذلك، ومثل هذا العلم بحمد الله حصل لنا من هذه الحضرة، ولكن ما يعرف صورة تنزيله علماً بحمد الله والثناء عليه إلا من اختصه الله بوهب هذه الحضرة على الكمال، فيسب إنسان إنساناً وهو عند هذا السامع صاحب هذا المقام تسبيح بحمد الله فيؤجر السامع ويأثم القائل والقول عينه، وهذا من العلم اللطيف الذي يخفى على أكثر الناس، وهو في العلوم بمنزلة أسماء الأشياء كلها أنها أسماء الله في قوله: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾ خبراً صدقاً مع علمنا بما نفتقر إليه من الأشياء، فهذا وذلك سواء ﴿لمن كان له قلب أو ألقى السمع﴾ فسمع بالله ﴿وهو شهيد﴾ فأبصر بالله، وهذا القدر من الإيماء كافٍ في هذه الحضرة، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حضرة العلم وهي للإسم العليم والعالم والعلام

إن العلـوم هـي المطلـوب بـالنظـر ... فـانظـر وفكـر فـإن الفكـر معتبـر
لولا العلوم التي في الكون ما ظهرت ... أفكـار مـن هـو فـي الأشيـاء معتبـر
هـو الإمـام الـذي يـدريـه خـالقـه ... والنجـم يعـرفـه والشمـس والقمـر
كيوسف حين خروا سجداً ومضت ... أحكـامـه فيهـم بـالله فـاعتبـروا
فلـو تـرى الشمـس والأفـلاك دائـرة ... فـي نـارهـا ونجـوم الليـل تنتثـر
من بعدما طمست أنوارها ومضت ... أحكـامهـا وبـدت فـي العيـن تنكـدر
مـاتـوا وراح الـذي قـد كـان يجمعهـم ... فـي دار دنيـاهـم فـالكـل قـد قبـروا

يدعى صاحب هذا الحضرة عبد العليم، والعلماء في هذه الحضرة على ثلاث مراتب: عالم علمه ذاته، وعالم علمه موهوب، وعالم علمه مكتسب، وله حكم في الإلهيات، وله حكم في الكون، ففي الله علمه بكل شيء لذاته، وعموم تعلقها بكل معلوم،

Marfat.com

وقد بينا من أين تعلق علمه بالعالم والمكتسب في الله قوله حتى نعلم، والموهوب في الله ما أعطاه العبد من تصرّفه في المباح فإنه لا يتعين تقييده تعين الواجب والمحظور والمندوب والمكروه، فحصول العلم بالتصريف في المباح علم وهب يعلمه الحق من العبد بطريق إلهية لأنه لا يجب عليه الإتيان به، كما يجب عليه اعتقاده فيه أنه مباح والإيمان به واجب.

وأما مراتب هذه العلوم في الكون فهينة الخطب، فإن الكون قابل للعلم بالذات، فالعلم الذاتي له هو ما يدركه من العلم بعين وجوده خاصة لا يفتقر في تحصيله إلى أمر آخر إلا بمجرد كونه، فإذا ورد عليه ما لا يقبله إلا بكونه موجوداً على مزاج خاص هو علمه الذاتي له والمكتسب ما له في تحصيله تعمل من أي نوع كان من العلوم المكتسبة، والموهوب هو ما لم يخطر بالبال ولا له فيه اكتساب كعلم الأفراد وهو علم الخضر فعلمه من لدنه علماً رحمة من عند الله به حتى كان مثل موسى عليه السلام الذي كلمه ربه يستفيد منه ما لم يكن عنده ولا أحاط به خبراً يقول: لم نذق له طعماً فيما علمه الله من العلم بالله.

واعلم أنه ما من موجود في العالم إلا وله وجه خاص إلى موجده إذا كان من عالم الخلق، وإن كان من عالم الأمر فما له سوى ذلك الجه الخاص وإن الله يتجلى لكل موجوه من ذلك الوجه الخاص فيعطيه من العلم به ما لا يعلمه منه إلا ذلك الموجود، وسواء علم ذلك الموجود أو لم يعلمه، أعني أن له وجهاً خاصاً، وأن له من الله علماً من حيث ذلك الوجه، وما فضل أهل الله إلا بعلمهم بذلك الوجه، ثم يتفاضل أهل الله في ذلك، فمنهم من يعلم أن لله تجلياً لذلك الموجود من هذا الوجه الخاص، ومنهم من لا يعلم ذلك، والذين يعلمون ذلك منهم من يعلم العلم الذي يحصل له من ذلك التجلي، ومنهم من لا يعلمه أعني على التعيين، وما أعني بالعلم إلا متعلق العلم هل هو كون أو هو الله من حيث أمر ما؟

والعلم المتعلق بالله: إما علم بالذات وهو سلب وتنزيه أو إثبات وتشبيه، وإما علم باسم ما من الأسماء الإلهية من حيث ما سمى الحق به نفسه من كونه منعوتاً بالقول والكلام. وإما علم باسم مّا من أسماء الأسماء من حيث ما تقتضيها عبارات المحدثات. وإما علم نسب إلهية. وإما علم صفات معنوية، وإما علم نعوت ثبوتية إضافية تطلب أحكاماً متقابلة. وإما علم ما ينبغي أن يطلق منه عليه وما ينبغي أن لا يطلق ولكل علم أهل.

وأما ما يتعلق بالكون من العلم الإلهي الذي يعطيه الله من شاء من عباده من هذه الحضرة فهو إما علم يكون متعلقة نسبة العالم إلى الله، وإما علم يكون متعلقه نسبة الله إلى

Marfat.com

العالم. وإما علم بارتفاع النسبة بين العالم والذات وإثباتها بين العالم والأسماء، وإما علم بإثبات النسبة بين العالم والذات وهو علم القائلين بالعلة والمعلول. وإما علم إثبات النسبة شرطاً لا علة. وإما علم يتعلق بالصورة التي خلق الله العالم عليها كله. وإما علم بالصورة التي خلق الإنسان عليها. وإما علم بالبسائط. وإما علم بالمركبات، وإما علم بالتركيب، وإما علم بالتحليل. وإما علم بالأعيان الحاملة مركبة كانت أو بسائط وإما بالأعيان المحمولة. وإما علم بإلهيات، وإما علم بالأوضاع. وإما علم بالمقادير، وإما علم بالأوقات. وإما علم بالاستقرارات، وإما علم بالانفعالات، وإما علم بالعين المؤثرة اسم فاعل المؤثرة فيها اسم مفعول وأنواع الآثار بالتوجهات والقصد أو بالمباشرة، هذا كله مما يكون للعالم به أو ببعضه من هذه الحضرة العلمية، فمن دخل هذه الحضرة ذوقاً فقد حاز كل علم، ومن دخلها بالفكر فإنه ينال منها على قدر ما هو فيه.

ومن هذه الحضرة يحيط بعض الخلق بعلم ما لا يتناهى من أعيان أشخاص نوع نوع من الممكنات على حد ما يعلم في العامة تضاعف العدد إلى ما لا يتناهى، ولا يقدر أحد على إنكاره من نفسه أنه يعلم ذلك ولا يخطىء فيه. ثم لتعلم أن مسمى ليس سوى تعلق خاص من عين تسمى عالماً لهذا التعلق وهو نسبة تحدث لهذه الذات من المعلوم، فالعلم متأخر عن المعلوم لأنه تابع له هذا تحقيقه، فحضرة العلم على التحقيق هي المعلومات وهو بين العالم والمعلوم، وليس للعلم عند المحقق أثر في المعلوم أصلاً لأنه متأخر عنه، فإنك تعلم المحال محالاً ولا أثر لك فيه من حيث علمك به ولا لعلمك فيه أثر، والمحال لنفسه أعطاك العلم به أنه محال، فمن هنا تعلم أن العلم لا أثر له في المعلوم بخلاف ما يتوهمه علماء أصحاب النظر، فإيجاد أعيان الممكنات عن القول الإلهي شرعاً وكشفاً، وعن القدرة الإلهية عقلاً وشرعاً لا عن العلم، فيظهر الممكن في عينه فيتعلق به علم الذات العالمة بأنه ظاهر كما تعلق به أنه غير ظاهر بذلك العلم، فظهور المعلوم وعدم ظهوره أعني وجوده أعطى العلم فهو حضرة المعلوم ينوع العلم من العالم بما هو عليه في ذاته أعني المعلوم، هذا في كل موصوف بالعلم، فالصفات المعنوية كلها على الحقيقة نسب غير أنه ثم نسبة تتقدم كالقول بالإيجاد على الموجود، ونسبة تتأخر كالعلم والمعلوم، فإذا فهمت ما ذكرته لك في هذه الحضرة علمت الأمر العلمي على ما هو عليه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

حضرة القبض وهي للإسم القابض

لا شــــك أن القبــــض معلــــوم　　فــي ذاتــه فــالأمــر مفهــوم
وليــس معلــومــاً لنــا ســرّه　　لكنــــه للّـــــه معلـــــوم
يعلمــه الخــائــف مــن خــوفــه　　لــذاك يمســي وهــو مغمــوم
بستـــانـــه تبكيـــه أطيـــاره　　يعمـــره الغـــربـــان والبـــوم
منقبـــض عنـــه وعـــن مثلـــه　　فســـرّه فـــي الكـــون مكتـــوم

لها أثر في المحدث والقديم يدعى صاحبها عبد القابض بما يعطيه الممكن من أفعاله فيقبضها الحق منه كما ورد أنّ الله يأخذ الصدقات من عباده فيربيها لهم ﴿وإليه يرجع الأمر كله﴾ فيقبضه بحيث أنه لا يبقى لغير الله فيه تصرّف بعد القبض الإلهيّ إلا أن يعطيه الحق ذلك فيقبضه العبد من ربه، وأوّل قبض قبضه الممكن من ربه وجوده، فقبض الحق من الممكن علمه به، وقبض الممكن من الحق وجوده، وجميع ما يتصرف فيه ويضاف إليه من الأفعال، فإذا وقعت يقبضها الحق من العامل فحضرة القبض بين القابض والمقبوض والمقبوض منه، وقد يكون لهذه الحضرة في القابض قبض مجهول وهو خطر جداً كما يكون لها قبض معلوم، فإذا وجد العبد من هذه الحضرة قبضاً في نفسه لا يعرف سببه ولا يعرف منه سوى علمه بأنه قابض لأمر مجهول فهو مقبوض الباطن للحق بذلك الأمر الذي لا يعلمه، فإذا وقع له مثل هذا القبض من هذه الحضرة، فليسكن على ما هو عليه، وليتحرّك على الميزان المشروع والميزان العقليّ ولا يتزلزل، فإنه لا بد أن ينقدح له سبب وجود ذلك القبض إما بما يسوءه أو بما يسرّه، ولله عباد يسرّهم كل شيء يقامون فيه من بسط وقبض مجهول ومعلوم.

واعلم أن الأدب مصاحب لهذه الحضرة ولحضرة البسط، فإذا قبض من الحق ما يعطيه الله فيقبضه من يده في أمور معينة، ومن يد الغير في أمور معينة يعين ذلك مسمى الخير والشرّ، فالخير كله بيد الله فيقبضه منه ولكن بأدب يليق بذلك الخير المعين، وابذل جهدك في أن لا تقبض الشرّ جملة واحدة، فإن أعماك الحق وأصمك واستعملك في قبض الشرّ فمن الأدب أن لا تقبضه من يد الله وأقبضه من يد المسمى شيطاناً، فإن على يده يأتيك الشر، فلو زال هذا البر يد لم يقع في الوجود حكم شر، وما أظهر عين الشر من هذا

Marfat.com

الشيطان إلا التكليف، فإذا ارتفع ارتفع هذا الحكم ولم يبقَ إلا الغرض والملايمة، فنيل الغرض والملايم خير وفقد ما تعلق به الغرض وما لا يلايم شرّ:

فخــــذ الخيـــــركلـــــه ــــن يـــد الحـــق تسعـــد
ودع الشـــــر كلــــــه فــــي يـــد الغيـــر تـــرشـــد

سواء نسبتهما إلى الشرع أو إلى الغرض أو الملايمة، فمن القبض ما يكون عن وهب، ومنه ما يكون عن جود وكرم وعن سخاء وعن إيثار، وليس إلا قبض الشريكون وهو عن إيثار لجناب الحق حيث أضفته إلى نفسك ولم تضفه إلى الله أدباً مع الله حيث لم ينسبه إلى نفسه، فإن رسول الله ﷺ المترجم عن الله تعالى يقول: «والشر ليس إليك» وقال: ﴿وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ فكل ما يسوءك فهو شر في حقك، فلو لم يطلق عليه اسم شرّ لم تضفه إليه ولا أضافه الحق إليك، ألا تراه إذا نظرته فعلاً من غير حكم كيف يقول: كل من عند الله ظهر، فقف مع الحكم الإلهيّ في الأشياء وعلى الأشياء تكن أديباً معصوماً، فإنه لا يحفظ الله هذا المقام إلا على من عصم الله واعتنى به، ومن هذه الحضرة تقرض الله ما طلب منك من القرض، وتعلم أنه ما طلبه منك إلا ليعود به وبأضعافه عليك من جهة من تعطيه إياه من المخلوقين، فمن أقرض أحداً من خلق الله فإنما أقرض الله، وليس الحسن في القرض إلا أن ترى يد الله هي القابضة لذلك القرض لا غير فتعلم عند ذلك في يد من جعلت ذلك وهو الحفيظ الكريم.

وأما قبضه ما يقبضه للدلالة عليه كقبض الظل إليه ليعرفك بك وبنفسه لأنه ما خرج الظل إلا منك، ولولا أنت لم يكن ظل، ولولا الشمس أو النور لم يكن ظل، وكلما كشف الشخص تحققت أعيان الظلال، فالأمر بينك وبينه كما قرّرنا في الوجود بين الاقتدار الإلهي وبين القبول من الممكن مهما ارتفع واحد منهما ارتفع الوجود الحادث، كذلك إذا ارتفع العين المشرق والجسم الكثيف الحائل عن نفوذ هذا الإشراق فيه حدث الظل فالظل من أثر نور وظلمة، ولهذا لا يثبت الظل عند مشاهدة النور كما لا تثبت الظلمة لأنه ابنها، فإن للظلمة ولادة على الظل بنكاح النور، فما قابل النور من الجسم الكثيف أشرق فذلك الإشراق هو نكاح النور له، وبنفس ما يقع النكاح تكون ولادته للظل، فنفس النكاح نفس الحمل نفس الولادة في زمان واحد كما قلنا في زمان وجود البرق انصباغ الهواء وظهور المحسوسات وإدراك الأبصار لها، والزمان واحد والتقدم والتأخر معقول، وهكذا الظل

Marfat.com

فافهم. ومن هذه الحضرة سماع ما يقبضك ورؤية ما يقبضك، فلو لم يقبض المسموع الذي قبضك ما كنت مقبوضاً وكذلك الرؤية فأنت القابض المقبوض، فما أتى عليك إلا منك، فلو أزلت الغرض عند السماع أو الرؤية لكنت قابضاً ولم تكن مقبوضاً، غير أن هذه الحقيقة لا ترتفع من العالم لأن الاستناد قوي بقوله: ﴿اتبعوا ما أسخط الله﴾ وليس إلا القبض، فإذا أخبر الحق بوجود الأثر في ذلك الجناب فأين يخرج العبد من حكمه لذلك؟ قال في نعيم الجنان: ﴿ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم﴾ وليس إلا نيل الأغراض، فتحقق حكم هذه الحضرة وما تعطيه في الإنسان، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حضرة البسط وهي للإسم الباسط

لا يفرح العاقل في بسطه ... إلا إذا بشره اللَّه
على لسان صادق منجد ... ومتهم يعلمه اللَّه
فإنه الصادق في قوله ... له إذا يحشره الجاه
لا تمتري في صدق إرساله ... لكونها أعلمها اللَّه
فلا تقولوا مثل ما قال من ... يقول إذ قيل له ما هو
ماهية ما ثم مجهولة ... فافرح فإن الواحد الله

يدعى صاحبها عبد الباسط، ولها حكم وأثر قديماً وحديثاً، فمن أرضى الله فقد منع غضبه وبسط رحمته ﴿والله يقبض ويبسط﴾:

فله الحكم كله ... ولي الحكم جله
فإذا دام غيشه ... فأنا منه ظله
إن أسأنا فعدلُه ... إن يشأ ذاك فصله
أيّ فصل مقوّم ... أنا منه فشكله
فهو الحق أصلنا ... وأنا العبد ظله
مالي أمر يخصني ... بل لي الأمر كله
كل جنس يعمنا ... وأنا منه فضله
شكل ذاتي وفيضه ... عين فيضي أو مثله

فله الحكم في عباده من هاتين الحضرتين، غير أن المحالّ تختلف فيختلف البسط

Marfat.com

لاختلافها، والأحوال تختلف فيختلف البسط لاختلافها، فأما في محل الدنيا ﴿فلو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾ فأنزل بقدر ما يشاء، وأطلق له في الجنة البسط لكونها ليست بمحل تعن ولا تعد، فإن الله قد نزع الغل من صدورهم، فالعبد باتباع الرسول وأعني به الشرع الإلهيّ، والوقوف عند حدوده ومر اسمه بالأدب الذي ينبغي له أن يستعمله في ذلك الاتباع يؤثر في الجناب الأقدس المحبة في هذا المتبع فيحبه الله وإذا أحبه انبسط له، فحال العبد في الدنيا عند انبساط الحق إليه أن يقف مع الأدب في الانبساط وهو قبض يسير أثره بسط الحق، فالعبد ينقبض لقبض الحق ولبسطه وإن اختلف حكم القبض فيه أعني في الدنيا لأجل التكليف، فمن المحال كمال البسط في الدنيا للأدب، ومحال كمال القبض في الدنيا للقنوط، غير أن حكم القبض أعم في الدنيا من البسط، فمن الناس من وفقهم الله لوجود أفراح العباد على أيديهم، أول درجة من ذلك من يضحك الناس بما يرضي الله أو بما لا رضا فيه ولا سخط وهو المباح، فإن ذلك نعت إلهيّ لا يشعر به بل الجاهل يهزأ به، ولا يقوم عنده هذا الذي يضحك الناس وزن وهو المسمى في العرف مسخرة، وأين هو هذا الجاهل بقدر هذا الشخص من قوله تعالى: ﴿وأنه هو أضحك وأبكى﴾ ولا سيما وقد قيدناه بما يرضى الله أو بما لا رضا فيه ولا سخط، فعبد الله المراقب أحواله وآثار الحق في الوجود يعظم في عينه هذا المسمى مسخرة، وكان لرسول الله ﷺ نعيمان يضحكه ليشاهد هذا الوصف الإلهيّ في مادة فكان أعلم بما يرى، ولم يكن رسول الله ﷺ ممن يسخر به ولا يعتقد فيه السخرية وحاشاه من ذلك ﷺ، بل كان يشهده مجلى إلهياً يعلم ذلك منه العلماء بالله، ومن هذه الحضرة كان رسول الله ﷺ يمازح العجوز والصغير يباسطهم بذلك ويفرحهم، ألا ترى إلى أكابر الملوك كيف يضاحكون أولادهم بما ينزلون إليهم في حركاتهم حتى يضحك الصغير، ولم أرَ من الملوك من تحقق بهذا المقام في دسته بحضور أمرائه والرسل عنده مثل الملك العادل أبي بكر بن أيوب مع صغار أولاده وأنا حاضر عنده بميا فارقين بحضور هذه الجماعة، فلقد رأيت ملوكاً كثيرة ولم أر منهم مثل ما رأيته من الملك العادل في هذا الباب، وكنت أرى ذلك من جملة فضائله ويعظم به في عيني وشكرته على ذلك، ورأيت من رفقه بالحريم وتفقد أحوالهن وسؤاله إياهنّ ما لم أرَ لغيره من الملوك، وأرجو أن الله ينفعه بذلك.

واعلم أن الفرق بين الحضرتين أن القبض لا يكون أبداً إلا عن بسط والبسط قد يكون عن قبض وقد يكون ابتداء، فالابتداء سبق الرحمة الإلهية الغضب الإلهي، والرحمة بسط

Marfat.com

الغضب قبض، والبسط الذي يكون بعد قبض كالرحمة التي يرحم الله بها عباده بعد وقوع العذاب بهم فهذا بسط بعد قبض، وهذا البسط الثاني محال أن يكون بعده ما يوجب قبضاً يؤلم العبد، فالبسط عام المنفعة وقد يكون فيه في الدنيا مكر خفيّ وهو إرداف النعم على المخالف فيطيل لهم ليزدادوا إثماً وهو قوله: ﴿ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين﴾ والإملاء بسط في العمر والدنيا فيتصرفون فيهما بما يكون فيه شقاؤهم، ومن البسط ما يكون أيضاً مجهولاً ومعلوماً أعني مجهول السبب، فيجد الإنسان في نفسه بسطاً وفرحاً ولا يعرف سببه، فالعاقل من لا يتصرف في بسطه المجهول بما يحكم عليه البسط فإنه لا يعرف بما يسفر له في عاقبته، هل بما يقبضه ويندم فيه أو بما يزيده فرحاً وبسطاً، فالمكر الخفيّ فيه إنما هو لكونه مجهول السبب، وقوة سلطانه فيمن قام به، والدار الدنيا تحكم على العاقل بالوقوف عند الجهل بالأسباب الموجبة لبعض الأحوال فيتوقف عندها حتى ينقدح له أمرها، فإذا علم تصرف في ذلك على علم فإما له وإما عليه، بحسب ما يوفقه الله، وينصره أو يخذله، فمن الله نسأل العصمة من الزلل في القول والعمل، ومن هذه الحضرة يدعو إلى الله من يدعو على بصيرة فيدعو من باب البسط من يعلم أن البسط يعين على الإجابة من المدعوّ ويدعو من باب القبض من يعلم أن القبض يعين على إجابة الدعوة، فهذا الداعي وإن كان في مقام مباسطة الحق فإنه يدعو بالقبض والبسط فإنه يراعي المصلحة ويدفع بالتي هي أحسن في حق المدفوع عنه وفي حق نفسه، والأدب أعظم ما ينبغي أن يستعمل في هذه الحضرة فإن البسط مطلب النفوس فليحذر غوائلها، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حضرة الخفض

إن التـواضـع حكـم ليس يعـرفـه ... إلا العلـيّ الـذي للّـه يخفضـه

تنـزل الحـق إكـرامـاً إلـى درج ... بـه يجـزئـه بـه يبعضـه

يقسـم الخلـق فـي تعييـن رتبتـه ... قسـم يحبـه وقسـم يبغضـه

إن الـذي خفـض الأكـوان أجمعهـا ... عـن المقـام الـذي بمـا يخفضـه

رفعـت همتـه نحـو العلـى عسـى ... يـومـاً علـى غلـظ يكـون تنهضـه

أبـرمـت أمـراً وفـي الإبـرام حـاجتـه ... فجـاء فـي الحـال للحـرمـان ينقضـه

إنـي جعلـت لـه فـي قلـب ذي أدب ... حبـاً وجـاء سفيـر الحـال يبغضـه

Marfat.com

صفر اليدين أتاك اليوم يسألكم قرضاً يضاعفه من أنت تقرضه
وقلت يا منتهى الآمال أجمعها عساك يوماً على خير تحرضه
عرفته بالذي يأتيه من كتب عساه يوماً يراه الحق يرفضه

فيدعى صاحبها في الملأ الأعلى عبد الخافض فاعلم أن الوجود قد انقسم في ذاته إلى ما له أول وهو الحادث، وإلى ما لا أول له وهو القديم، فالقديم منه هو الذي له التقدم، ومن له التقدم له الرفعة والحدوث له التأخر، ومن تأخر فله الانخفاض عن الرفعة التي يستحقها القديم لتقدمه، فإن المتقدم له التصرف في الحضرات كلها لأنه لا منازع له يقابله ولا يزاحمه ويرى المراتب فيأخذ الرفيع منها، والحادث ليس له ذلك التصرف في المراتب فإنه يرى القديم قد تقدمه في الوجود وتصرف وحاز مقام الرفعة وما نزل عنه فهو خفض فلم يكن له تصرف إلا في حضرة الخفض، فإذا أراد الحق أن يتصرف فيها تصرف المحدث ينزل إليها فإذا نزل إليها حكم عليه بأحكامها، فإذا ارتفع عنها بعد هذا النزول هو المسمى بهذا الارتفاع الخاص متكبراً قوله: ﴿العزيز الجبار﴾ بالرفعة الأولى ﴿المتكبر﴾ بالرفعة بعد النزول، فحضرة الخفض سلطانها في المحدث كان المحدث ما كان، وإنما قلنا كان المحدث ما كان من أجل صور التجلي فإنها محدثة، ومن أجل إتيان الذكر الذي هو القرآن كلام الله فإنه محدث الإتيان، قال تعالى: ﴿ما يأتيهم من ذكر ربهم محدث﴾ وليس إلا القرآن وقد حدث عندهم بإتيانه، فلذلك قلنا كان الحادث ما كان، فمن هذه الحضرة يكون حكم الخافض والمخفوض، ألا ترى إلى حروف الخفض هي الخافضة والحرف في أدنى الدرجات ومع ذلك فلها أثر الخفض في الأسماء مع علو درجة الأسماء فتقول: أعوذ بالله فالباء خافضة ومعمولها الهاء من كلمة الله فهي التي خفضت الهاء من الكلمة فأثرت في الكلمة بحقيقتها، وإن كانت الأسماء أعلى في الرتبة منها فالعالم وإن كان في مقام الخفض ورتبته رتبة الخفض فإنه بعضه لبعضه كأداة الخفض في اللسان لا يخفض المتكلم الكلمة إلا بها، كذلك ما لا يفعله الحق من الأشياء إلا بوساطة الأشياء ولا يمكن غير ذلك فلا بد من حقيقته، هذا أن ينزل إلى رتبة الخفض ليتصرف في أدوات الخفض بحسب ما هي عليه تلك الأدوات من الأحكام وهي كثيرة كأداة الباء على اختلاف مراتبها، وهي في كل ذلك لا تعطي إلا الخفض، فلها رتبة القسم ورتبة الاستعانة ورتبة التبعيض والتأكيد والنيابة مناب الغير، وكذلك من وإلى وفي وجميع أدوات الخفض لها صور في التجلي، فتظهر بحكم

Marfat.com

واحد وعين واحدة في مراتب كثيرة، فمن على كل حال حكمها الخفض وذاتها معلومة فهي لا تتغير في الحكم ولا في العين، وهي لابتداء الغاية خرجت من الدار وتكون للتبعيض: أكلت من الرغيف، وتكون للتبيين: شربت من الماء، فما تغير لها عين ولا حكم في الخفض.

ثم أنه إذا دخل بعضها على بعض صير المدخول عليه فيها اسماً وزال عنه حكم الحرفية، فيرجع خفضه بالإضافة كسائر الأسماء المضافة وأبقى عليه بناءه حتى لا يتغير عن صورته، قال لشاعر: من عن يمين الحبيا نظرة قبل. أراد جهة اليمين فدخلت من على عن فصيرتها بمعنى الجهة وأخرجتها عن الحرفية، فمعقول من عين عن واليمهن كما قلنا مضافة إلى عن ولم يظهر في عن عمل الخفض في الظاهر لأنها بالأصالة خافضة، والخافض لا يكون مخفوضاً، فهي هنا مخفوضة المعنى غير مخفوضة الصورة لما هي عليه من البناء مثل: ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ وكذلك قول الشاعر وهو كثير في اللسان، وهذا العمل في هذا الطريق إذا أثر المحدث في المحدث لم يزله أثره فيه عن أن يكون محدثاً والحدوث له بمنزلة البناء للحرف والأثر فيه للمؤثر ولا مؤثر إلا الله، فهذا خلق ظهر بصورة حق فانفعل المنفعل لصورة الحق لا للخلق، فقد تلبس في الفعل الخلق بالحق في الإيجاد، وتلبس الحق بالخلق في الصورة التي ظهر عنها الأثر في الشاهد كما ظهر عقلاً عن الحق: ﴿هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ والإشارة إلى الأسماء الإلهية هنا وإن كان المراد الزوجات تفسيراً:

فـإن قلـت هـذا الحق أظهـرت غـائبـاً وإن قلـت هـذا الخلـق أخفيتـه فيـه
فلـولا وجـود الحـق مـا بـان كـائـن ولـولا وجـود الخلـق مـا كنـت تخفيـه

فمن حضرة الخفض ظهر الحق في صورة الخلق فقال: «كنت سمعه وبصره» الحديث. وقال تعالى: ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ وقال: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ كما قال فيه: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ ﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾ فلولا حكم النسب وتحقيق النسب كان للأسباب عين ولا ظهر عندها أثر، وأنت تعلم أن استناداً أكثر العالم إلى الأسباب، فلولا أن الله عندها ما استند مخلوق إليها فإنا لم نشاهد أثراً إلا منها ولا عقلناه إلا عندها، فمن الناس من قال بها ولا بد، ومن الناس من قال عندها ولا بد، ونحن ومن شاهد ما شاهدنا نقول بالأمرين معاً عندها عقلاً وبها

Marfat.com

شهوداً وحساً كما قدمنا في الاقتدار والقبول، فذلك هو الأصل الذي يرجع إليه الأمر كله فاعبده وتوكل عليه﴾ فهل طلب منك ما ليس لك فيه تعمل؟ ﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾ فلا بد من حقيقة هنا تعطي الإضافة في العمل إليك مع كونه خلقاً لله تعالى كما قال: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ أي وخلق ما تعملون، وأهل الإشارة جعلوا هنا ما نافية فالعمل لك والخلق لله، فما أضاف إليه تعالى عين ما أضافه إليك لا لتعلم أن الأمر الواحد له وجوه، فمن حيث ما هو عمل أضافه إليك ويجازيك عليه، ومن حيث ما هو خلق هو لله تعالى، وبين الخلق والعمل فرقان في المعنى واللفظ فلا تحجب عن معرفة هذا فإنه لطيف خفي، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حضرة الرفعة

يرفع المؤمن المهيمن قوماً آمنوا فوق غيرهم درجات
فتراهم بهم نفوساً سكارى داخلات في حكمه خارجات
ورأينا لديه فتيان صدق عاملوه بالصدق في فتيات
طاهرات من الخنا معلنات بشهادات حقه مؤمنات

يدعى صاحبها عبد الرفيع. قال الله تعالى: ﴿رفيع الدرجات ذو العرش﴾ فالرفعة له سبحانه بالذات وهي للعبد بالعرض وأنها على النقيض من حضرة الخفض في الحكم، فإن الخفض للعبد بالأصالة والرفعة للحق.

واعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أن هذه الحضرة من حضرات السواء التي لها موقف السواء في المواقف التي بين كل مقامين يوقف في كل موقف منها العبد ليعرف بآداب المقام الذي ينتقل إليه، ويشكر على ما كان منه من الآداب في المقام الذي انتقل عنه، وإنما سمي موقف السواء أو حضرة السواء لقوله تعالى عن نفسه: ﴿إنه رفيع الدرجات﴾ فجعل له درجات ظهر فيها لعباده، وقال في عباده العلماء به: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ يظهر فيها العلماء بالله ليراهم المؤمنون.

ثم أنه من حكم هذه الحضرة السوائية في رفع الدرجات التسخير بحسب الدرجة التي يكون فيها العبد أو الكائن فيها كان من كان، فيقتضي له أي للكائن فيها أن يسخر له من هو في غيرها ويسخره أيضاً من هو في درجة أخرى، وقد تكون درجة المسخر اسم مفعول أعلى

Marfat.com

من درجة المسخر اسم فاعل، ولكن في حال تسخير الأرفع بما سخره فيه شفاعة المحسن في المسيء إذا سأل المسيء الشفاعة فيه، وفي حديث النزول في الثلث الباقي من الليل غنية وكفاية وشفاء لما في الصدور لمن عقل، ولما كانت الدرجة حاكمة اقتضى أن يكون الأرفع مسخراً اسم مفعول، وتكون أبداً تلك الدرجة أنزل من درجة المسخر اسم فاعل والحكم للأحوال كدرجة الملك في ذبه عن رعيته وقتاله عنهم وقيامه بمصالحهم، والدرجة تقتضي له ذلك، والتسخير يعطيه النزول في الدرجة عن درجة المسخر له اسم مفعول، قال الله عز وجل: ﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليتخذ بعضكم بعضاً سخرياً﴾ فافهم.

ثم أنه أمر عباده ونهاهم كما أمر عباده أيضاً أن يأمروه وينهوه فقال لهم قولوا: ﴿اغفر لنا وارحمنا﴾ في مثل الأمر يسمى دعاء ورغبة، وفي مثل النهي: ﴿لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ ﴿لا تحمل علينا إصراً﴾ ﴿لا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ وأمر الله أن نقول: ﴿أوفوا بالعقود﴾ ﴿أوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾ والنهي: ﴿لا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ ﴿لا تخسروا الميزان﴾ وأمثال ذلك، فنظرنا في السبب الذي أوجب هذا من الله أن يكون مأموراً منهياً على عزته وجبروته، ومن العبد على ذله وافتقاره، فوجدناه حكم الدرجات بما تقتضيه، والدرجة أيضاً هي التي جعلت هذا الأمر والنهي في حق الله يسمى أمراً ونهياً، وفي حق العبد يسمى دعاء ورغبة، فأقام الحق نفسه بصورة ما أقام فيه عباده بعضهم مع بعض، وقوله: ﴿رفيع الدرجات﴾ إنما ذلك على خلقه. ثم أنزل نفسه معهم في القيام بمصالحهم وبما كسبوا قال تعالى: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بماكسبت﴾ كما قال تعالى: ﴿الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض﴾ لأنهن عائلته، وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «إن الخلق عيال الله» فيقوم بهم لأن الخلق إلى الله يميلون ولهذا كانوا عائلة له، فلما أنزل نفسه في هذه المنزلة فضلاً منه وحقيقة فإنه.لا يكون الأمر إلا هكذا نبه أنه مناوفينا كنحن منا وفينا:

إنـــــه منـــــا وفينـــــا　　　مثلنـــــا منـــــا وفينـــــا
وبنـــــا عـــــرفـــــت ربـــــي　　　هكـــــذا جـــــاء يقينـــــا

قال الله تعالى: ﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجات﴾ وعلل بقوله: ﴿ليتخذ بعضكم بعضاً سخرياً﴾ ومن سألته فقد اتخذته موضعاً لسؤالك فيما سألته فيه، وقد أخبر عن نفسه

Marfat.com

بالإجابة فيما سأله لمن سأله على الشرط الذي قرره كما نجيبه نحن فيما سألنا أيضاً على الشرط الذي تقضي به مراتبنا، ثم أنه عز وجل لما كان عين أسمائه في مرتبة كون الاسم هو عين المسمى ومن يقول في صفات الحق أنها لا هي هو ولا هي غيره، وقد علمنا رفعة الدرجات في الأسماء بعضها فوق بعض كانت ما كانت ليتخذ بعضهم بعضاً بحسب مرتبته، فنعلم أن درجة الحيّ أعظم الدرجات في الأسماء لأنه الشرط المصحح لوجود الأسماء، وأن العلم من العالم أعم تعلقاً وأعظم إحاطة من القادر والمريد لأن لمثل هؤلاء خصوص تعلق من متعلقات العالم فهو للعالم كالسدنة. ولما كان العلم يتبع المعلوم علمنا أن العالم تحت تسخير المعلوم ويتقلب بتقليبه ولا يظهر له عين في التعلق به إلا ما يعطيه المعلوم، فرتبة المعلوم إذا حققتها علمت علوّ درجتها على سائر الدرجات أعني المعلومات، ومن المعلومات للحق نفس الحق وعينه وما يجب له ويستحيل عليه، وما يجب لكل معلوم سوى الحق، وما يستحيل على ذلك المعلوم وما يجوز عليه، فلا يقوم فيه الحق إلا بما يعطيه المعلوم من ذاته، وكذلك درجة السميع والبصير والشكور وسائر الأسماء في التعلق الخاص، والرؤوف الرحيم وسائر الأسماء كلها تنزل عن الاسم العليم في الدرجة، إلا المحيط فإنه ينزل عن العليم بدرجة واحدة فإنه لا يحيط إلا بمسمى الشيء والمحال معلوم وليس بشيء إلا في وجود الخيال، فهنالك له شيئية اقتضتها تلك الحضرة، فهو محيط بالمحال إذا تخيله الوهم شيئاً كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ولكن في المرتبة الخارجة عن الخيال لا إحاطة بالمحال مع كون المحال معلوماً للعالم غير موصوف بالإحاطة، وكذلك الحيّ لما كانت له درجة الشرطية كان له السببية في ظهور أعيان الأسماء الإلهية وآثارها، وكذلك كل علة لا بد أن يكون لها حكم الحياة، وحينئذ يكون عنها الأثر الوجودي، ولا يشعر بذلك كل أحد من نظار العلماء من أولي الباب إلا أرباب الكشف الذين يعاينون سريان الحياة في جميع الموجودات كلها جوهرها وعرضها، ويرون قيام المعنى بالمعنى حتى يقال فيه سواد مشرق وسواد كدر، ومن لا علم له يجعل الإشراق للمحل لا للسواد وما عنده خبر، فكذلك قيام الحياة بجميع الأعراض قيامها بأعيان الجواهر، فما من شيء من عرض وجوهر وحامل ومحمول إلا وهو يسبح بحمد الله، ولا يسبح الله إلا حي عالم بمن يسبح وبما يسبح، فيفصل بعلمه بين من ينبغي له التسبيح وبين من ينبغي له التشبيه في العين الواحدة من وجوه مختلفة، وهو سبحانه يثني على نفسه ويسبح نفسه بنفسه كما قال: ﴿إنه غني عن العالمين﴾ وقال: ﴿واقرضوا الله

Marfat.com

قرضاً حسناً﴾ وكل ذلك في معرض الثناء على نفسه لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ومن لم يعرف الله تعالى والعالم بمثل هذه المعرفة فما عنده علم بالله ولا بالعالم، ولا بما هو الأمر كما قررناه ما قال رسول الله ﷺ: «من عرف نفسه عرف ربه» وأتى بالعامل الذي يتعدى إلى مفعول واحد ولم يقل علم وذلك ليرفع الإشكال في الأحدية فقد بان لك يا أخي بما فصلناه وأومأنا إليه ما تقتضيه هذه الحضرة حضرة الرفع، والتي قبلها حضرة الميزان الذي به يخفض الله ويرفع، ولما كانت للحق الدرجة العليا قال: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ فإن الكلمة إذا خرجت تجسدت في صورة ما هي عليه من الطيب والخبيث فالخبيث يبقى فيما تجسيد فيه ما له من صعود، والطيب من الكلم إذا ظهر صعد بذاته ولما كانت الكلمة الطيبة تقتضي عملاً وعمل صاحبها ذلك العمل أنشأ الله من ذلك العمل براقاً أي مركوباً لهذه الكلمة فيصعد به هذا العمل إلى الله صعود رفعة يتميز بها عن الكلم الخبيث. كل ذلك يشهده أهل الله عياناً أو إيماناً، فالخلق في كل نفس في أمر جديد كل يوم هو في شأن لأنهم في نفس وهو هيولى صور التكوين، فالحق في وجود الأنفاس ثم يتصور بصورة ما هو العبد عليه من الحال في وقت تنفسه فيعطيه الحق النفس الداخل حين الدخول فإذا استقر في القلب وأعطى أمانته من التبريد الذي جاء له تشكل بالنعت من حرارة ذلك النفس صورة ما في القلب من الخواطر فيزعجه السحر بعد فتح الصورة فيه إلى محل خروج انزعاج لدخول غيره لأن السحر وهو الرئة له حفظ هذه النشأة فهو بمنزلة من هو كالحاجب الذي بيده الباب، فإذا خرج فلا يخلو إما أن يتلفظ صاحب ذلك النفس بكلام أو لا يتلفظ، فإن تلفظ تشكل ذلك الهواء بصورة ما تلفظ به من الحروف تشكل في صورة ما اكتسبه من القلب. وإن لم يتلفظ خرج بالصورة التي قبلها في القلب من خاطره هكذا الأمر دائماً دنيا وآخرة، ففي الدنيا يتصوّر في خبيث وطيب، وفي الآخرة لا يتصوّر إلا طيباً لأن حضرة الآخرة تقتضي له الطيب، فلا يزال يوجد طيباً بعد طيب حتى يكثر الطيبون فيغلبون على الخبيثين الذين أوردوا صاحبهم الشقاء، فإذا كثروا عليهم غلبوهم فأزالوا حكمهم فيه، فهو المعبر عنه بمآلهم إلى الرحمة في جهنم وإن كانوا من أهلها فمن حيث أنهم عمار لا غير فإن رحمة الله سبقت غضبه والحكم لله، وما سوى الله فمجعول وآله العقائد مجعول، فما عبد الله قط من حيث ما هو عليه، وإنما عبد من حيث ما هو مجعول في نفس العابد، فتفطن لهذا السرّ فإنه لطيف جداً به، أقام الله عذر

Marfat.com

عباده في حق من قال فيهم: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ فاشترك الكل المنزه وغير المنزه في الجعل، فكل صاحب عقد في الله فهو صاحب جعل، فمن هنا تعرف من عبد ومن عبد، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حضرة الإعزاز

إن المعــز الــذي أعــز جــانبــه كمـا أعـز الـذي فـي اللّـه صـاحبـه
إذا أتــى مستجيــر نحــو حضــرتــه فـي الحيـن أكرمـه فـي الـوقـت عـاتبـه

يدعى صاحبها عبد المعز وهذه الحضرة تجعل العبد منيع الحمى، وتعطيه الغلبة والقهر على من ناواه في مقامه بالدعوى الكاذبة التي لا صورة لها في الحق وهو الذي يعتز بإعزاز المخلوق، فهو كالقياس في الأحكام المشروعة يضعف الحكم فيه عن حكم المنصوص عليه، ولهذا أثبتته طائفة ونفته أخرى أعني القياس في الأحكام المشروعة، وإنما جعله من جعله أصلاً في الحكم لما قال الله تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ فما تفطنوا لذكر الله العزة لهؤلاء الموصوفين بالرسالة المضافة إليه تعالى والإيمان، فما قال الناس فهؤلاء المذكورون لهم الإعزاز الإلهيّ وقد قلنا به، والذين أثبتوا القياس نظروا إلى أن الله ما أعز دينه إلا بهؤلاء، فما عزوا إلا بالدين، ولا أعز الله الدين إلا بهم، فقد حصل للدين إعزاز بإعزاز مخلوق وهو الرسول والمؤمنون الذين لهم العزة بإعزاز الله، فثبت للفرع ما ثبت للأصل فثبت القياس في الحكم، فمن هذه الحضرة كان القياس أصلاً رابعاً. ولما كان مثبوتاً بالكتاب والسنة فبقيت الأصول في الأصل ثلاثة، فصح التربيع في الأصول بوجه والتثليث بوجه كالمقدمتين اللتين ركبت كل مقدمة منهما من مفردين، وهذه المفردات ثلاثة في التحقيق، فصح التربيع والتثليث على الوجه الخاص وشرطه فكان الإنتاج، وليس إلا ظهور الحكم وثبوته في العين، فهذا إعطاه الاجتهاد، ولو كان خطأ فإن الله قد أقر حكمه على لسان رسوله ﴿وما كلف الله نفساً إلا ما آتاها﴾ وما آتاها إلا إثبات القياس أعني في بعض النفوس، والإعزاز من السلطان لحاشيته مقيس على إعزاز الله من أعزه من عباده.

وأما صورة الاعتزاز بالله فهو أن يظهر العبد بصورة الحق بأيّ وجه كان مما يعطي سعادة أو شقاوة لأن العزة إنما هي لله، ففي أي صورة ظهرت كان لها المنع، فظهورها في

Marfat.com

الشقي مثل قوله: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ أي المنيع الحمى في وقتك الكريم على أهلك وفي قومك فما هي سخرية به فإنه كذلك كان وهي سخرية به لأنه خاطبه بذلك في حالة ذله وإباحة حماه وانتهاك حرمته، فما ظهر معتز في العالم إلا بصورة الحق أي بصفته إلا أن الله ذمها في موطن وحمدها في موطن، وذلك الموطن المحمود أن يكون هو الذي يعطي ذلك على علم من العبد فهو صاحب اعتزاز في ذل، ومن ليس له هذا المقام فهو ذو اعتزاز في غير ذل وإن أحس بالذل في نفسه لأنه مجبول على الذلة والافتقار، والحاجة بالأصالة لا يقدر أن ينكر هذا من نفسه ولذلك قال الله بأنه يطبع على كل قلب متكبر جبار فلا يدخله الكبرياء والجبروت وإن ظهر بهما فإنه يعرف في قلبه أنه لا فرق بالأصالة بينه وبين من تكبر عليهم وتجبر، وأعظم الاعتزاز من حمى نفسه من أن يقوم به وصف رباني وليس إلا العبد المحض، فإن ظهر بأمر الله فأمر الله أظهره، فإعزاز الله عبده أن لا يقوم به من نعوت الحق في العموم نعت أصلاً فهو منبع الحي من صفات ربه، وإنما قلنا في العموم لأن صفات الحق في العموم ليست إلا ما يقتضي التنزيه خاصة المعبر عنها بالأسماء الحسنى، والتي في الخصوص أن جميع الصفات كلها لله التي يقال أنها في العبد بحكم الأصالة وإن اتصف الحق بها، والأسماء الحسنى في الحق بحكم الأصالة وإن اتصف العبد بها وعند الخصوص كلها لله وإن اتصف العبد بها، ومتى لم يعتز العبد في حماه عن قيام الصفات الربانية به في العموم فما اعتز قط لأنه ما امتنع عنها، وذلك إذا حكمت فيه عن غير أمر الله كفرعون وكل جبار ومن له هذه الصفة الحجابية وإن أخذها عن أمر الله، ولكنه لما قام بها في الخلق وظهر بها اعتز في نفسه على أمثاله فلحق بالأخسرين أعمالاً وهم ملوك الإسلام وسلاطينهم وأمراؤهم، فيفتخرون بالرياسة على المرؤوسين جهلاً منهم، ولذلك لا يكون أحد أذل منهم في نفوسهم وعند الناس إذا عزلوا عن هذه المرتبة ومن كان في ولايته حاله مع الخلق حاله دون هذه الولاية ثم عزل لم يجد في نفسه أمراً لم يكن عليه فبقي مشكوراً عند الله وعند نفسه وعند المرؤوسين الذين كانوا تحت حكم رياسته، وهذا هو المعتز بالله، بل العزيز الذي منع حماه أن يتصف بما ليس له إلا بحكم الجعل.

ثم إن الله قد جعل في الوجود موطناً يكون فيه العبد المحقق القائم به صفة الحق في الخلافة معزار به إذا رأى اهتضام جانب الحق من القوم الذين قال الله فيهم: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ فيعزه العبد بحسن التعليم والتنزل باللفظ المحرّر الرافع للشبه في قلوبهم حتى

Marfat.com

يعز الحق عندهم، فيكون هذا العبد معزاً للحق الذي في قلوب هؤلاء الذين ما قدروا الله حق قدره قبل ذلك، فانتزحوا عن ذلك وعبدوا إلهاً له العزة والكبرياء والتنزيه عما كانوا يصفونه به قبل هذا، فهذا نصيبه وحظه من الاسم المعز فإنه حمى قلوب هؤلاء عن أن يتحكم فيهم ما لا يليق بالحق من سوء الاعتقاد والقول، وقد ورد في القرآن من ذلك ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ وقولهم: ﴿يد الله مغلولة﴾ وأمثال هذه الصفات.

هــو المعــز ولكــن ليــس يــدريــه ... إلا الــذي جلّ عــن كيــف وتشبيــه
إن المعــز الــذي دلــت دلائلــه ... علــى تنــزهــه عــن كــل تنــزيــه
مــن العبــاد فــإن الحــق يكــذبــه ... بمــا يقــول بــه فــي كــل تنبيــه

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حضرة الإذلال

إن المــذل هــو المعــز بعينــه ... عنــد الــدخــول بــه وعنــد خــروجــه
فــإذا أذل حبيبــه أدنــاه مــن ... أكــوانــه عينــاً بعيــد عــروجــه

يدعى صاحبها عبد المذل وهو الذليل. من هذه الحضرة خلق الله الخق، إلا أنه تعالى لما خلق الإنسان من جملة خلقه خلقه إماماً وأعطاه الأسماء وأسجد له الملائكة وجعل له تعليم الملائكة ما جهلوه، ولم يزل في شهود خالقه، فلم تقم به عزة بل بقي على أصله من الذلة والافتقار، ولما حمل الأمانة عرضاً وجرى ما جرى قال هو وزوجه إذ كانت جزءاً منه: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا بما حملاه من الأمانة، ثم إن بنيه اعتزوا لمكانة أبيهم من الله لما اجتباه ربه وهدى به من هدى ورجع عليه بالصفة التي كان يعامله بها ابتداء من التقريب والاعتناء الذي جعله خليفة عنه في خلقه وكمل به وفيه وجود العالم وحصل الصورتين ففاز بالسورتين أعني المنزلتين: منزلة العزة بالسجود له، ومنزلة الذلة بعلمه بنفسه، وجهل من جهل من بنيه ما كان عليه أبوه من تحصيل المنزلتين والظهور بالصفتين، فراضهم الاسم المذل من حضرة الإذلال فأخرجهم عن الإدلال بالدال اليابسة، وذلك لمن اعتنى الله به من بنيه فأشهدهم عبوديتهم فتقربوا إليه بها، ولا يصح أن يتقرّب إلى الله إلا بها فإنها لهم ليس لله منها شيء كأبي يزيد وغيره إذ قال له ربه: تقرب إلي بما ليس لي الذلة والافتقار.

Marfat.com

وقال في طرح العزة عنه وقد قال له: يا رب كيف أتقرّب إليك أو منك؟ فقال له ربه: يا أبا يزيد اترك نفسك وتعال، والنفس هنا ما هو عليه من العزة التي حصلت له من رتبة أبيه من خلقه على الصورة، ولو علم من يجهل هذا أنه ما من شيء في العالم إلا وله حظ من الصورة الإلهية والعالم كله على الصورة الإلهية، وما فاز الإنسان الكامل إلا بالمجموع لا بكونه جزءاً من العالم ومنفعلاً عن السموات والأرض من حيث نشأته، ومع هذا فهو على الصورة الإلهية كما أخبر رسول الله ﷺ: «أن الله خلق آدم على صورته» واختلف في ضميراً لها من صورته على من يعود وفي رواية وإن ضعفت على صورة الرحمن وما كملت الصورة من العالم إلا بوجود الإنسان فامتاز الإنسان الكامل عن العالم مع كونه من كمال الصورة للعالم الكبير بكونه على الصورة بانفراده من غير حاجة إلى العالم، فلما إمتاز سرى العز في أبنائه أي في بعض بنيه فراضهم الله بما شرع لهم فقال لهم: إن كنتم اعتززتم بسجود الملائكة لأبيكم فقد أمرتكم بالسجود للكعبة فالكعبة أعز منكم إن كان عزكم للسجود فإنكم في أنفسكم أشرف من الملائكة التي سجدت لكم أي لأبيكم وأنتم مع دعواكم في هذا الشرف تسجدون للكعبة الجمادية، ومن عصى منكم عن السجود لها التحق بإبليس الذي عصى بترك سجوده لأبيكم، فل يثبت لكم العز بالسجود مع سجودكم للكعبة وتقبيلكم الحجر الأسود على أنه يمين الله محل البيعة الإلهية كما أخبرتكم، وإن كنتم اعتززتم بالعلم لكون أبيكم علم الملائكة الأسماء كلها فإن جبريل عليه السلام من الملائكة وهو معلم أكابركم وهم الرسل صلوات الله عليهم وسلامه والنبيّ محمد ﷺ يقول حين تدلى إليه ليلة إسرائه رفرف الدرّ والياقوت فسجد جبريل عليه السلام عند ذلك ولم يسجد النبي ﷺ وقال: فعلمت فضل جبريل عليّ في العلم عند ذلك.

ثم إنكم عن لمة الملك تتصرّفون في مرضات الله فهم الذين يدلونكم على طرق سعادتكم والتقرب فبأي شيء تعتزون على الملائكة فكونوا مثل أبيكم تسعدوا، وما ثم فضل إلا بالسجود والعلم وقد خرج من أيديكم، والذين لهم العزة من النبيين ليس إلا الرسل والمؤمنون فمن ارتاض برياضة الله فقد أفلح وسعد.

واعلم أنا قد ذكرنا في غير موضع من هذا الكتاب أنه ما من حكم في العالم إلا وله مستند إلهي ونعت رباني، فمنه ما يطلق ويقال: ومنه ما لا يجوز أن يقال ولا يطلق وإن تحقق، وقد خلق الافتقار والذلة في خلقه، فمن أي حقيقة إلّهية صدر وقد قال لأبي يزيد:

Marfat.com

إنه ليس له الذلة والافتقار، وقد نبهتك على المستند الإلهي في ذلك بكون العلم تابعاً للمعلوم والعلم صفة كمال ولا يحصل إلا من المعلوم، فلو لم يكن إلا هذا القدر كما أنه ما ثم إلا هذا القدر لكفى، ثم أني أزيدك بياناً مما تعطيه حقائق الأسماء الإلهية التي بها تعددت وكانت الكثرة، فلو رفعت العالم من الذهن لا ارتفعت أسماء الإضافة الي تقتضي التنزيه وغيره بارتفاع العالم فما ثبت لها حكم إلا بالعالم فهي متوقفة عليه، ومن توقف عليه ظهور حكم من أحكامه فلا بد له أن يطلبه ولا يطلب إلا ما ليس بحاصل.

ثم إن التنزيه إذا غلب على العارف في هذه المسألة رأى أنه ما من جزء من العالم إلا وهو مرتبط باسم إلهي مع تقدم بعضه على بعض، فما توقف اسم ما من الأسماء الإلهية في حكمه إلا على اسم ما إلهي من الأسماء يظهر في ذلك حكمه بالإيجاد أو بالزوال، فما توقفت الأسماء الإلهية إلا على الأسماء الإلهية، وليست الأسماء إلا عين المسمى، فمنه إليه كان الأمر هذا عقد المنزه. وأما العام فالذي ذكرناه من ارتفاع حكم الأسماء بارتفاع العالم ذهناً أو وجوداً فقد علمت مستند الذلة والافتقار والإذلال فإنه لا يوجد الموجد إلا ما هو عليه، ألا ترى إلى الحكماء قد قالوا لا يوجد عن الواحد إلا واحد والعالم كثير فلا يوجد إلا عن كثير وليست الكثرة إلا الأسماء الإلهية، فهو واحد أحدية الكثرة الأحدية التي يطلبها العالم بذاته، ثم إن الحكماء مع قولهم في الواحد الصادر عن الواحد لما رأوا منه صدور الكثرة عنه وقد قالوا فيه أنه واحد في صدوره اضطرهم إلى أن يعتبروا في هذا الواحد وجوهاً متعدّدة عنه بهذه الوجوه صدرت الكثرة، فنسبة الوجوه لهذا الواحد الصادر نسبة الأسماء الإلهية إلى الله، فليصدر عنه تعالى الكثرة كما صدر في نفس الأمر، فكما أنه للكثرة أحدية تسمى أحدية الكثرة، كذلك للواحد كثرة تسمى كثرة الواحد وهي ما ذكرناه، فهو الواحد الكثير والكثير الواحد، وهذا أوضح ما يذكر في هذه المسألة، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حضرة السمع

اسمع الحق يا أخي نداكا ... إنه سامع عليم بذاكا
لو جفوت الجناب يوماً بأمر ... لم تجده يوماً له قد جفاك

يدعى صاحب هذه الحضرة عبد السميع لأنه مسموع فيتضمن الكلام لأنه مسموع وكذا الأصوات. فهذه الحضرة تتعلق بحضرة النفس وهو العما، وقد تقدّم له باب يخصه كبير

Marfat.com

مبسوط إلا أني أومىء إلى نبذ من هذه الحضرة مما لم نذكره في باب النفس يطلب السمع في حضرته وليس إلا تلاوة الكتب الإلهية تلاها من تلاها على جهة التوصيل، فلا بدّ لحكم هذه الحضرة فيها وليس إلا السمع ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ وقال: ﴿إنما يستجيب الذين يسمعون﴾ وقال: ﴿كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء﴾ وقال: ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾ من هذه الحضرة سمع كل سامع غير أن الموصوفين بأنهم يسمعون مختلفون في القبول، فمنهم سامع يكون على استعداد يكون معه الفهم عند سماعه بما أريد له ذلك المسموع، ولا يكون ذلك إلا لمن كان الحق سمعه خاصة وهو الذي أوتي جميع الأسماء وجوامع الكلم، وكل من ادّعى هذا المقام من العطاء أعني الأسماء وجوامع الكلم وسمع ولم يكن عين سمعه عين فهمه فدعواه لا تصح، وهو الذي له نصيب في قوله تعالى: ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾ والسماع المطلق الذي لكل سامع إنما هو للذي لا يسمع إلا دعاء ونداء وقد لا يعلم من نودي فذلك هو الأصم، لأن لكل صورة روحاً وروح السماع الفهم الذي جاء له المسموع قال تعالى: ﴿صم﴾ وإن كانوا يسمعون ﴿بكم﴾ وإن كانوا يتكلمون ﴿عمي﴾ وإن كانوا يبصرون، فهم لا يرجعون لما سمعوا ولا يرجعون في الاعتبار إلى ما أبصروا ولا في الكلام إلى الميزان الذي به خوطبوا مثل قوله تعالى: ﴿أن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ ﴿وأن تقولوا ما لا تفعلون﴾ ﴿وتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم﴾ وأصحاب هذه الصفات أيضاً كما لا يرجعون، فإن الحق قد أخبر عنهم في منزلة واحدة أنهم لا يعقلون من العقال أي لا يتقيدون بما أريد له ذلك المسموع ولا المبصر ولا المتكلم به من الذي تكلم، فإن الله عند لسان كل قائل يعني سميعاً يقيده بما سمع منه.

فلا يتخيل قائل أن الله أهمله وإن أمهله ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ يحصي عليه ألفاظه التي يرمي بها، لا يترك منها شيئاً حتى يوقفه عليها، إما في الدنيا إن كان من أهل طريقنا، وإما في الآخرة في الموقف العام الذي لا بد منه، وكل صوت وكلام من كل متكلم وصامت إذا أسمعه الحق تعالى من أسمعه فإنما أسمعه ليفهمه فيكون بحيث ما قيل له ونودي به وأقله النداء، وأقل ما يتعلق بالنداء الإجابة وهو أن يقول: لبيك فيهيء محله لفهم ما يقال له أو يدعى إليه بعد النداء كان ما كان، فإذا كان الحق السميع نداء العبد نادى العبد من نادى إما الحق وإما كوناً من الأكوان، فإن الله يسمع ذلك كله لأنه ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو

Marfat.com

معهم﴾ يسمع ما يتناجون به ولذلك قال لهم: ﴿لا تتناجوا بالإثم والعدوان وتناجوا بالبرّ والتقوى واتقوا الله﴾ فإنه معكم أينما كنتم فيما تتناجون به فإنكم ﴿إليه تحشرون﴾ وإن كان معهم، فكنى بالحشر إذا فتح الله بإزالة الغطاء عن أعينهم فيرون عند ذلك من هو معهم فيما يتناجون به فيما بينهم، فعبر عنه بالحشر للسؤال عما كانوا فيه.

وأما ذكره تعالى بأنه يشفع فرديتهم ويثني أحديتهم في قوله: ﴿ولا أدنى من ذلك ولا أكثر﴾ فهل يريد به أيضاً إفراد شفعيتهم كما شفع وتريتهم أو لا يكون أبداً إلا مشفعاً فرديتهم خاصة كما نص عليه؟ فاعلم وفقك الله أن الله ما خلق شيئاً إلا في مقام أحديته التي بها يتميز عن غيره، فبالشفعية التي في كل شيء يقع الاشتراك بين الأشياء، وبأحدية كل شيء يتميز كل شيء عن شيئية غيره، وليس المعتبر في كل شيء إلا ما يتميز به، وحينئذ يسمى شيئاً، فلو أراد الشفعية لما كان شيئاً وإنما يكون شيئين وهو إنما قال: ﴿إنما قولنا لشيء﴾ ولم يقل لشيئين، فإذا كان الأمر على ما قررناه ثم جاء الحق لكل شيء بصورته التي خلقه الله عليها فقد شفع ذلك الشيء كما يشفع الرئى صورته برؤيته في المرآة نفسه، فيحكم بالصورتين: صورته وصورة ما شفعها، فلذلك ما أتى الحق في الإخبار عن كينونته معنا إلا مشفعاً لفرديتنا فجعل نفسه رابعاً وسادساً وأدنى من ذلك، وهو أن يكون ثانياً وأكثر وهو ما فوق الستة من العدد الزوج إعلاماً منه تعالى أنه على صورة العالم أو العالم على صورته، وما ذكر في هذه الكيونية إلا كونه سميعاً من كون من هو معهم يتناجون لا من كونهم غير متناجين، فإذا سمعت الحق يقول أمراً ما فما يريد الأعيان وإنما يريد ما هم فيه من الأحوال إما قولاً وإما غير قول من بقية الأعمال إذ لا فائدة في قصد الأعيان لعينهم، وإنما الفائدة إحصاء ما يكون من هذه الأعيان من الأحوال، فعنها يسألون وبها يطلبون فيقال له ما أردت بهذه الكلمة، ولذلك ورد في الخبر الصحيح: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما لا يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب بها في عليين، وأن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما لا يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب بها في سجين**» فأعلم عباده أن للمتكلم سراتب يعلمها السامع إذا رمى بها العبد من فمه لم تقع إلا في مرتبتها، وأن المتلفظ بها يتبعها في عاقبة الأمر ليقرأ كتابه حيث كان ذلك الكتاب، فعبد السميع هو الذي يتحفظ في نطقه لعلمه بمن يسمعه وعلمه بمراتب القول، فإن من القول ما هو هجر ومنه ما هو حسن، وإذا كان هو السامع فينظر في خطاب الحق إياه، أما في الخطاب العام وهو كل كلام يدركه سمعه من كل متكلم في العالم فيجعل نفسه المخاطب بذلك الكلام ويبرز له سمعاً من ذاته يسمعه به فيعمل

Marfat.com

بمقتضاه، وهذا من صفات الكمل من الرجال، ودون هذه المرتبة من لا يسمع كلام الحق إلا من خبر إلهي على لسان الرسول أو من كتاب منزل وصحيفة أو من رؤيا يرى الحق فيها يخاطبه، فأيّ الرجلين كان فلا بد أن يهيىء ذاته للعمل بمقتضى ما سمع من الحق كما فعل الحق معه فيما يتكلم به العبد في نجواه نفسه أو غيره، فإن الإنسان قد يحدث نفسه كما قال أو ما حدثت به أنفسها، وهو تنبيه أن المتكلم إذا لم يكن ثم من يسمعه لا يلزم من ذلك أنه لا يتكلم، فأخبر أن نفسه تسمع وهو متكلم فيحدث نفسه فيما هو متكلم يقول وبما هو ذو سمع يسمع ما يقول، فعلمنا أن الحق ولا عالم يكلم نفسه وكل من كلم غيره فقد كلم نفسه، وليس في كلام الشيء نفسه صمم أصلاً فإنه لا يكلم نفسه إلا بما يفهمه منها بخلاف كلام الغير إياه، فلا يقال فيمن يكلم نفسه أنه ما يفهم كلامه كيف لا يفهمه وهو مقصود له دون قول آخر فما عينه حتى علمه وما له تعيين كلام غيره، وكذلك قد يكون ذا صمم عنه إذا لم يفهمه لأنه لا فرق بين الصمم الذي لا يسمع كلام المخاطب وبين من يسمع ولا يفهم أو لا يجيب إذا اقتضى الإجابة، ولهذا قال الله فيهم أنهم ﴿صم فلا يعقلون﴾ ومن عقل فالمطلوب منه فيما أسمعه أن يرجع فلا يرجع، فمن تحقق بهذه الحضرة وعلم أن كلامه من عمله وأن الله عند لسانه في قوله قل كلامه حتى في نفسه به، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حضرة البصر

إن البصيـــر الـــذي يـــراكـــا علمـــاً وعينـــاً إذا تـــراه
فكـــن بـــه لا تكـــن بكـــون ولا تشـــاهـــد فيـــه ســـواه
فـــإنـــه قـــولـــه مجيبـــاً بنـــا يـــرانـــا بـــه نـــراه

يدعى صاحبها عبد البصير، ومن هذه الحضرة الرؤية والمشاهدة، فلا بد من مبصر ومشهود ومرئي، قال الله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾ وقال: ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ وقال: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ وقال ﷺ: «ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر وكما ترون الشمس بالظهيرة ليس دونها سحاب». يريد بذلك ارتفاع الشك في أنه هو المرئيّ تعالى لا غيره، فيلزم عبد البصير الحياء من الله في جميع حركاته، وإنما لزمه الحياء لوجود التكليف، فعبد البصير لا يبرح ميزان الشرع من يده يزن به الحركات قبل وقوعها، فإن كانت مرضية عند الله ودخلت في ميزان الرضى اتصف بها

Marfat.com

هذا الشخص، وإن لم تدخل له في ميزان الرضى وحكم عليها الميزان بأنها حركة بعد عن محل السعادة وأنها سوء أدب مع الله حمى نفسه عبد البصير أن يظهر منه هذه الحركة، فعبد البصير يخفض الميزان ويرفعه صفة حق، فإن الله ما وضع الميزان إلا ليوزن به وهو مما بين السماء والأرض فما خلقه باطلاً ولا عبثاً ولا يستعمله إلا عبد السميع وعبد البصير، بل له دخول في كل اسم إلهي لكل عبد مضاف إلى ذلك الإسم مثل عبد الرؤوف فإنه يرأف بعبادالله، وجاء الميزان في إقامة الحدود، فأزال حكم الرأفة من المؤمن، فإن رأف في إقامة الحد فليس بمؤمن ولا استعمل الميزان، وكان من الذين يخسرون الميزان، فيتوجه عليه بهذه الرأفة اللوم حيث عدل بها عن ميزانها فإن الله يقول: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ وهو الرؤوف تعالى.

ومع علمنا بأنه الرؤوف شرع الحدود وأمر بإقامتها وعذب قوماً بأنواع العذاب الأدنى والأكبر، فعلمنا أن للرأفة موطناً لا تتعداه، وأن الله يحكم بها حيث يكون وزنها، فإن الله ينزل كل شيء منزلته ولا يتعدى به حقيقته كما هو في نفسه، فإن الذي يتعدى حدود الله هو المتعدي لا الحدود، فإن الحدود لا تتعدى محدودها فيتجاوز هذا المخذول ويقف عندها العبد المعتنى به المنصور على عدوّه، فعبد البصير إما أن يعبد الله كأنه يراه وهذه عبادة المشبهة، وإما أن يعبد الله لعلمه بأن الله يراه فهذه عبادة المنزهة، وإما أن يعبد الله بالله فهذه عبادة العلماء بالله فيقولون بالتنزيه ويشهدون التشبيه لا يؤمنون به فإنه ليس عندهم ذلك خبراً وإنما هو عيان والإيمان بأنه الخبر، فالمحجوب يؤمن بقول المخبر، وصاحب الشهود يرى صدق المخبر فكثير ما بين يرى ويؤمن، فإن صاحب الرؤية لا يرجع بالنسخ إلا رجوع الناسخ، وصاحب الإيمان يرجع بالنسخ ويعتقد في المرجوع عنه أنه كفر بعد الرجوع عنه وإن كان مؤمناً به، ولكن يؤمن به أنه كان لا يؤمن به أنه كائن لأنه منسوخ.

فإذا علم الله من العبد أنه يعلم أنه يراه يمهله فيما يجب بفعله المؤاخذة لأنه علم أنه يعلم أنه يراه فيتربص به ليرجع لأنه تحت سلطان علمه، وإن انحجب عن استعماله في الوقت لجريان القدر عليه بالمقدور الذي لا كينونة له إلا فيه، وأن الله يستحيي من عبده فيما لا يستحيي العبد فيه، وذلك إذا علم من العبد أنه يعلم من الله أن بيده ملكوت كل شيء فيقول الحق ما أعلمته بذلك ورزقته الإيمان به إن كان من المؤمنين أو أشهدته ذلك، إن كان من أهل الشهود إلا ليكون له ذلك مستنداً يستند إليه في إقامة الحجة، فكون العبد قد أشهد

Marfat.com

ذلك أو آمن به ولم يحتج به فما منعه من ذلك إلا الحياء فيما لم يستحيي فيه فإن الله يستحيي منه أن يؤاخذه بعلمه الذي ما استحيى منه فيه.

واعلم أن هذه الحضرة أعطت أن يكون للعبد عينان وللحق أعين فقيل في المخلوق ﴿ألم نجعل له عينين﴾ وقال تعالى عن نفسه: ﴿تجري بأعيننا﴾ فمن عينيه كان ذا بصر وبصيرة، ومن أعينه كانت أعين الخلق عينه فهم لا يبصرون إلا به وإن لم يعلموا ذلك، والعالمون الذي يعلمون ذلك يعطيهم الأدب أن يغضوا أبصارهم فيتصفوا بالنقص فإن الغض نقص من الإدراك، وقوله: ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ إرسال مطلق في الرؤية لا غض فيه، فإن لم يغضوا مع علمهم فيعلم عند ذلك أنهم مع شهود المقدور الذي لا بد من كونه فهم يرونه كما يراه الله من حيث وقوعه لا من حيث الحكم عليه بأنه كذا، هكذا يراه العلماء بالله فيأتون به على بصيرة وبينة في وقته وعلى صورته ويرتفع عنهم الحكم فيه فإنه من الشهود الأخروي الذي فوق الميزان، ولذلك لا يقدح فيهم لأنه خارج عن الوزن في هذا الموطن وهو قوله في حق رسول الله ﷺ: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ ﴿وليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ فهو سؤال عن العلة لا سؤال توبيخ لأن العفو تقدمه، وقوله حتى يتبين لك إنما هو استفهام مثل قوله: ﴿أنت قلت للناس﴾ كأنه يقول: أفعلت ذلك حتى يتبين لك الذين صدقوا؟ فهو عند ذلك إما أن يقول نعم أو لا، فإن العفو ولا سيما إذا تقدم والتوبيخ لا يجتمعان لأنه من وبخ فما عفا مطلقاً فإن التوبيخ مؤاخذة وهو قد عفا.

ولما كان هذا اللفظ قد يفهم منه في اللسان التوبيخ لهذا جاء بالعفو ابتداء ليتنبه العالم بالله أنه ما أراد التوبيخ الذي يظنه من لا علم له بالحقائق، وقال في هذه المرتبة في حق المؤمن العالم: اعمل ما شئت فقد غفرت لك، أي أزلت عنك خطاب التحجير يا محمد فاسترسل مطلقاً فإن الله لا يبيح الفحشاء وهي محكوم عليها فحشاء تلك الأعمال، فزال الحكم وبقي عين العمل فما هو ذنب يستر عن عقوبته، وإنما الستر الواقع إنما هو بين هذا العمل وبين الحكم عليه بأنه محجور خاصة، هذا معنى قد غفرت لك لا ما يفهمه من لا علم له فيمشي هذا الشخص في الدنيا ولا خطيئة عليه، بل قد عجل الله له جنته في الدنيا، فهو في حياته الدنيا كالمقتول في سبيل الله نسمته تعلق من ثمر الجنة، كذلك هذا الشخص وإن أقيمت عليه الحدود، فلجهل الحاكم هذا المقام الذي هو فيه، فإقامة الحدود على من هذا مقامه ما هي حدود وإنما هي من جملة الابتلاءات التي يتبلي الله بها عبده في هذه الدار الدنيا

Marfat.com

كالأمراض وما لا يشتهي أن تصيبه في عرضه وماله وبدنه فيصيبه وهو مأجور في ذلك لأنه ما ثم ذنب فيكفر، وإنما هو تضعيف أجور فما هي حدود في نفس الأمر، وإن كانت عند الحاكم حدوداً وتظهر رائحة من هذا في علماء الرسوم المجتهدين فإن الحاكم إذا كان شافعياً وجيء إليه بحنفي قد شرب النبيذ الذي يقول بأنه حلال فإن الحاكم من حيث ما هو حاكم وحكم بالتحريم في النبيذ يقيم عليه الحد، ومن حيث أن ذلك الشارب حنفيّ وقد شرب ما هو حلال له شربه في علمه لا تسقط عدالته فلم يؤثر في عدالته.

وأما أنا لو كنت حاكماً ما حددت حنفياً على شرب النبيذ ما لم يسكر فإن سكر حددته لكونه سكران من النبيذ، فالحنفي مأجور ما عليه إثم في شربه النبيذ وفي ضرب الحاكم له وما هو في حقه إقامة حد عليه، وإنما هو أمر ابتلاه الله به على يد هذا الحاكم الذي هو الشافعيّ كالذي غصب ماله، غير أن الحاكم هنا أيضاً غير مأثوم لأنه فعل ما أوجبه عليه دليله أن يفعله فكلاهما غير مأثوم عند الله، وهذا عين ما ذكرناه في إقامة الحدود على الذين أبيح لهم فعل ما أقيم عليه فيه الحد وهو حد في نفس الأمر بالنظر إلى من أقامه، فاعلم ذلك. وهذه الحضرة واسعة الميدان يتسع فيها المجال فاكتفينا بهذا القدر من التنبيه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وهو حسبي عز وجل ونعم الوكيل.

حضرة الحكم

إذا تنـــازعكـــم نفـــس لتقهـــركـــم ... فـــاجعـــل إلهـــك فيمـــا بينكـــم حكمـــا

احـــذر مـــن العـــدل منـــه أن يعـــادلـــه ... فـــإنـــه لكمـــا بمـــا بـــه حكمـــا

يدعى صاحبها عبد الحكم، قال تعالى: ﴿فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها﴾ وقال ﷺ في عيسى عليه السلام: «أنه ينزل فينا حكماً مقسطاً» الحديث كما ورد، فالحكم هو القاضي في الأمور إما بحسب أوضاعها وإما بحسب أعيانها، فيحكم على الأشياء بحدودها فهي الحكم على نفسها لأنه ما حكم عليها إلا بها، ولو حكم بغير ما هي عليه لكان حكم جور وكان قاسطاً لا مقسطاً، والحكم هو القضاء المحكوم به على المحكوم عليه بما هو المحكوم فيه، وأعجب ما في هذه الحضرة نصب الحكمين في النازلة الواحدة وهما من وجه كالكتاب والسنة فقد يتفقان في الحكم وقد يختلفان، فإن علم التاريخ كان نسخاً وإن جهل التاريخ إما أن يسقطا معاً وإما أن يعمل بهما على التخيير، فأيّ شيء عمل من ذلك كان

Marfat.com

كالمسح في الوضوء للرجلين وكالغسل، فأي الأمرين وقع فقد أدى المكلف واجباً، على أن في المسألة الخلاف المشهور، ولكن عدلنا إلى مذهبنا فيه خاصة فذكرناه، ومرتبة الحكم أن يحكم للشيء وعلى الشيء، وهذه حضرة القضاء من وقف على حقيقتها شهوداً علم سر القدر وهو أنه ما حكم على الأشياء إلا بالأشياء فما جاءها شيء من خارج، وقد ورد: «أعمالكم ترّد عليكم» وفي الحدود الذاتية برهان ما نبهنا عليه في هذه الحضرة الحكمية.

اعلم أن حقيقة هذه الحضرة من أعجب ما يكون من المعلومات فإنها مماثلة لحضرة العلم، وذلك أنها عين المحكوم به الذي هو ما هو المحكوم عليه أوله، فالحكم ما أعطى أمراً من عنده لمن حكم له أو عليه إذا كان عدلاً مقسطاً، وأما إذا كان جائراً قاسطاً وإن كان حكماً فما هو من هذه الحضرة وهو منها بالإشتراك اللفظي وإمضاء ما حكم به. وأما قول الله مخبراً وآمراً ﴿قال﴾ وقل كلاهما ﴿رب احكم بالحق﴾ هو الحكم الذي لا يكون حقاً، إلا بك، ومتى لم يكن الحكم بالمحكوم له أو عليه فليس حقاً، فالمخلوق أو المحكوم عليه جعل الحاكم حكماً، كما أن المعلوم جعل العالم عالماً أو ذا علم لأنه تبع له وليس القادر كذلك ولا المريد، فإن الأثر للقادر في المقدور ولا أثر للعلم في المعلوم ولا للحكم في المحكوم عليه والحكم أخو العليم فإنه حاكم على كل معلوم بما هو ذلك المعلوم عليه في ذاته. وقوله في جزاء الصيد: ﴿يحكم به ذوا عدل منكم﴾ فيه رائحة أن الجائر في الحكم يسمى حكماً شرعاً، إلا أن الحاكم لما شرع له أن يحكم بغلبة ظنه وليس علماً فقد يصادف الحق في الحكم وقد لا يصادف وليس بمذموم شرعاً ويسمى حكماً وإن لم يصادف الحق ويمضي حكمه عند الله وفي المحكوم عليه وله، فهنا ينفصل من العليم ويتميز لأنه ليس هنا تابع للمحكوم عليه مع كونه حكماً ولا هو جائر، فإنه حكم بما شرع له من إقامة الشهود أو الإقرار الذي ليس بحق، فكان اللفظ من الشاهد واللفظ بالإقرار من المقرّ أوجب له الحكم، وإن كان قول زوراً وشهادة زور، وإنما قلنا فيه أنه أخو العليم لكونه في نفس الأمر ما يكون حكماً حقيقة إلا بجعل المحكوم له أو عليه هذا هو التحقيق.

والأخوة هنا قد تكون أخوة الشقائق، وقد تكون أخوة الصفة كإخوة الإيمان وغير الإيمان، وقد تكون أخوة من الأب الواحد دون الآخر، وقد تكون من الرضاعة، فلذلك قلنا أنه أخو العليم، وما بينا مراتب الأخوة فأحقها أخوة الإيمان فإن بها يقع التوارث وهي

Marfat.com

أخوة الصفة، كذلك الحكم ما حكم الحاكم على المحكوم عليه إلا لصفة لا لعينه، ومن شرط الحكم أن يكون عالماً بالحكم لا بالمحكوم عليه وله، وإنما شرطه العلم بصفة ما يظهر من حال المحكوم عليه وله بما ذكرناه من شهود صدقوا أو كذبوا، ومن إقرار صدق أو كذب فهو تابع أبداً، فيكون عالماً بالحكم لا بد من ذلك الذي يوجبه ويعينه ما قرّرناه والحق فيه مصادفة وهو موضع الإجماع مع كونه بهذه المثابة، والخلاف في حكم الحاكم بعلمه دون إقرار ولا شهادة هل يجوز أو لا يجوز؟ وقد بينا مذهبنا في هذه المسألة في هذا الكتاب في حكم الحاكم بعلمه أين ينبغي أن يحكم وأين ينبغي أن لا يحكم بعلمه فإنها من أشكل المسائل، وعلى كل حال فهي حضرة مبهمة حكم حكمها الأشاعرة في الصفات الإلهية بقولهم: لا هي هو ولا هي غيره مع قولهم بأنها زائدة بالعين على الذات وجودية لا نسبية، وغير الأشعري لا يقول بهذا، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حضرة العدل

العــــدل لا يصلـــح إلا لمـــن ... يفصـــل فـــي الخلـــق إذا يعـــدل

فـــإن أبـــى أكـــوانـــه عـــدلـــه ... فـــإنـــــه بحقـــه يفضـــــل

ينعـــم بـــالفضـــل علـــى خلقـــه ... ويستـــــر الستـــــر إذا يسبـــــل

يدعى صاحبها عبد العدل، وهو ميل إلى أحد الجانبين الذي يطلبه الحكم الصحيح التابع للمحكوم عليه وله، أو للإقرار أو الشهود وغير ذلك لا يكون عدلاً في الحكم، ومن هذه الحضرة العجيبة خلق الله العالم على صورته، ومن هنا كان عدلاً لأنه تعالى عدل من حضرة الوجوب الذاتي إلى الوجوب بالغير أو إلى حضرة الإمكان كيف شئت فقل، وعدل أيضاً بالممكنات من حضرة ثبوتها إلى وجودها فأوجدهم بعد أن لم يكونوا بكونه جعلهم مظاهر وبكونه كان مجلى لظهور أحكامهم، ومن هذه الحضرة عدوله من شأن يجوّزه العقل في حق الممكن إلى شأن آخر، يجوّزه أيضاً العقل، والعدول لا بد منه فلا يعقل في الوجود إلا العدل فإنه ما ظهر الوجود إلا بالميل وهو العدل فما في الكون إلا عدل حيث فرضته، وبالعدل ظهرت الأمثال وسمي المثل عدلاً قال الله تعالى: ﴿أو عدل ذلك صياماً﴾ ﴿والذين كفروا بربهم يعدلون﴾ وهنا له وجوه في العدل منها عدولهم إلى القول بأن له أمثالاً ﴿وليس كمثله شيء﴾ ومنها أنهم بربهم عدلوا لأنه لا حول ولا قوّة إلا بالله، ومنها أن الباء هنا بمعنى اللام فلربهم عدلوا لكون من عدلوا إليه إنما عدلوا إليه لكونه عندهم إلهاً فما عدلوا إلا لله، كقوله: ﴿ما خلقناهما إلا بالحق﴾ أي للحق كذلك ﴿بربهم يعدلون﴾.

Marfat.com

ولما قال الله عز وجلّ في هذه الآية: ﴿الحمد لله الذي خلق السمٰوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ جعلوا له أمثالاً فخاطب المانية الذين يقولون أن الإله الذي خلق الظلمة ما هو الإله الذي خلق النور فعدلوا بالواحد آخر، وكذلك الذين يقولون بخلق السموات والأرض أنها معلولة لعلة ليست علته إلا له أي ليست لعلة الأولى، لأن تلك العلة عندهم إنما صدر عنها أمر واحد لحقيقة أحديتها وليس إلا العقل الأول، فهؤلاء أيضاً ممن قيل فيهم أنهم بربهم يعدلون وسماهم كفاراً لأنهم إما ستروا أو منهم من ستر عقله عن التصرّف فيما ينبغي له بالنظر الصحيح في إثبات الحق والأمر في نفسه على ما هو عليه، فأقتصر على ما بدا له ولم يوف الأمر حق في النظر، وأما إن علم وجحد فستر عن الغير ما هو الأمر عليه في نفسه لمنفعة تحصل له من رياسة أو مال فلهذا يل فيهم أنهم كفروا أي ستروا فإن الله حكيم يضع الخطاب موضعه والعدل هو الرب تعالى، والرب على صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السمٰوات وما في الأرض؛ والعدل الميل فالميل عين الاستقامة فيما لا تكون استقامته إلا عين الميل، فإن الحكم العدل لا يحكم إلا بين اثنين، فلا بد أن يميل بالحكم مع صاحب الحق، وإذا مال إلى واحد مال عن الآخر ضرورة، فليست الاستقامة ما يتوهمه الناس، فأغصان الأشجار وإن تداخل بعضها على بعض فهي كلها مستقيمة في عين ذلك العدول والميل لأنها مشت بحكم المادّة على مجراها الطبيعي، وكذلك الأسماء الإلهية يدخل بعضها على بعض بالمنع والعطاء والإعزاز والإذلال والإضلال والهداية، فهو المانع المعطي المعز المذل المضل الهادي ﴿فمن يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له﴾ وكلها نسب حقيقية ما ترى فيها عوجاً ولا أمتاً:

إن الإلـــــــه بجـــــــوده	يعطـــــي العبيـــــد إذا افتقـــــر
مـــــا شـــــاءه ممـــــا لـــــه	مـــــا ثـــــم إلا مـــــا ذكـــــر
لمـــــا وقفـــــت تحققـــــاً	منـــــه علـــــى ســـــرّ القـــــدر
وشهـــــدتـــــه فـــــرأيتـــــه	سمـــــع الحبيـــــب مـــــع البصـــــر
فيـــــه بـــــدت أحكـــــامـــــه	ولـــــه نهـــــي ولـــــه أمـــــر
ويقـــــال هـــــذا مـــــؤمـــــن	ويقـــــال هـــــذا قـــــد كفـــــر
فلنـــــا الحقـــــائـــــق كلهـــــا	ولنـــــا التحكـــــم والأثـــــر

Marfat.com

مــــا الأمـــــر إلا هكـــــذا | مــا الأمــر مــا يعطــي النظــر
الحكـــم ليـــس لغيــرنـــا | فــي كــل مــا تعطــي الصــور
والأمـــــر فيــــه فيصـــل | فــي الكــون مــن خيــر وشــر
لـــم تستفـــد منـــه ســوى | أكـــوانـنـــا وكـــذا ظهـــر
وانظـــر بـــربـــك لا | بعقلــك فــي شــؤونــك واعتبــر
هـــذا هـــو الحـــق الصــراح | لمـــن تحقـــق وادكـــر
الحكـــم حكـــم ذواتنـــا | لا حكمـــه فـــاعـــدل وســر
عنــــه إليـــه بمـــا لنـــا | تعثــر علــى الأمــر الخطــر
لا تـــأتلـــي لا تـــأتنـــي | فـــإليــك منـــك المستقـــر
إن الغنـــــى صفـــة لـــه | عنـــا فنستـــر مـــا ستـــر
لـــولا افتقـــار المحـــدثـــات | إليـــه مـــا جـــاء الخبـــر
هـــذا هـــو الميـــت الـــذي | يـــوم القيـــامـــة قـــد نشـــر

أن هذا هو السرّ الذي أخفاه الله عمن شاء من عباده قد ظهر في حكم افتقارنا في غناه، فأظهره الله لمن شاء أيضاً، فتأمل هذا الغني وهذا الفقر وانظر بنور بصيرتك في هذا الوجود والفقد وقل: ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾:

فحضـرة العـدل مـا تنفـك فـي نصـب | وحضـرة الجـور فـي بلـوى وفـي تعـب
لـو كـان ثـم مـريـح كـان يحكـم لـي | بـالإستـراحـة فـي لهـوي وفـي لعبـي
أنـا جنيـت علـى نفسـي فبـي حكمـت | علـى أسمـاؤه الحسنـى مـع النسـب
فـإن لـي نسبـاً فيـه الهـلاك كمـا | لـربنـا نسـب ينجـي مـن العطـب
هـو التقـى فـاتـقِ الـرحمـن إن لـه | مكـراً خفيـاً بـأهـل الـوعـد والنسـب
واحـذر غـوائلـه فـي كـل مكـرمـة | واضمـم إليـك جناحيـك مـن الـرهـب

يقول رسول الله ﷺ: يقول الله تبارك وتعالى: «اليوم يعني يوم القيامة أضع نسبكم وأرفع نسبي أين المتقون». قال الله تعالى مخبراً عباده: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ ويقول الله تعالى: ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

حضرة اللطف

إنمـــا اللطـــف خفـــاء ليـس فـي اللطـف ظهـور
وبـه أبـرز كـونـي هـو بـالأمـر خبيـر
كـن عبيـد اللطيـف إنـه الخيـر الكثيـر
إن ديـن الله يسـر وبـه تجـري الأمـور
لا تخـالـف لا تـوافـق وهـو بـالهـوى عسيـر
والـذي يفهـم قـولـي هـو بـالأمـر بصيـر

يدعي صاحب هذه الحضرة عبد اللطيف، وما لطفه وأخفاه عن الإدراك إلا شدة ظهوره، فلما لم تقع عين إلا عليه ولا نظرت إلا به فإنه البصر لكل عين تبصر، فما الفائدة إلا لمن يشهد ذلك ويعرفه ذوقاً ومشاهدة، فإن التقليد في ذلك ما يقع موقع الشهود فإنه ما ثم إلا هو لم يتميز عن غير لأنه لم يكن غير فيمتاز عنه فعمن خفي وما ثم غير:

فليـس للطـف حكـم إلا إذا كنـت ثمـه
وأن فـي القلـب منـه إذا تفكـرت غمـه
ولسـت ثـم فقـل لـي مـن ذا يعيـن حكمـه
تجـيء منـه سحـاب علـى القلـوب وظلمـه
جـاءت الحيـرة تجـري يـا عبيـدي ضـاع قـدري
أيـن أسمـائـي وحكمـي أيـن نهـي أيـن أمـري
أرقبـونـي تجـدونـي فـي خفـايـا الكـون أسـري
إنـه لا بـدّ منـي فلـذا أمـرك أمـري

﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ فانظر إلى سريان هذا اللطف الإلهي ما أعجبه، وحكمه الظاهر في هذه الكثافة كيف أبان أن طاعة رسوله ﷺ طاعته ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾ والحجر الأسود يمين الله للبيعة، وجعله في الحجر حتى لا يقع في ذلك دعوى فهي بيعة خالصة مخلصة فمن بايعه بايع الله، فانظر إلى ما يشهده البصر وانظر إلى ما يشهده الإيمان، فمن نظر بعين الإيمان رأى قوّة نفوذه في الكثيف حتى سرى إلى اللطيف الخبير فيحصل له المعرفة بالأمر على ما هو عليه، فإذن عين اللطيف الذي سار إليه عين الكثيف الذي سار منه يبين ذلك في الحدود مثاله الجوهر قائم بنفسه ظاهر شخصه من أعيان

Marfat.com

غير ظاهرة هي مجموعه وليست سوى عينه وما لها وجوداً لا عينه فمن الجوهر ومن الصفات النفيسة له، فالأمر هكذا في هذه الحضرة فهو حق وعين ما هو حق إذا ظهر كان خلقاً، ولا يصح حكم لحضرة اللطف إلا بوجود الخلق البخار يصعد لا يدركه البصر للطفه ورقته فينضمّ بعضه إلى بعضه ويتراكم فيظهر غماماً أنشأه الحق فظهر وهو من شيء لا يظهر، فأعطاه هذا المزاج الخاص حكماً لم يكن له قبل ذلك، وأعطاه اسماً وظهر عنه أثر في الجو لم يكن له شيء من هذا كله قبل ذلك، فأمطر وأحيى وأضحك الأرض بالنبات وأروى وهو ما عمل شيئاً إلا بذلك السرّ اللطيف الذي نشأت منه صورته.

وفي قبض الظل ومده من اللطف ما إذا فكر فيه الإنسان رأى عظيم أمر، ولهذا نصبه الله دليلاً على معرفته فقال: ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾ فلا يدرك البصر عين امتداده حالاً بعد حال، فإنه لا يشهد له حركة مع شهود انتقاله فهو عنده متحرك لا متحرك، وكذلك في فيئه وهو قوله: ﴿ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً﴾ فمنه خرج فإنه لا ينقبض إلا إلى ما منه خرج كذلك تشهده العين وقد قال تعالى وهو الصادق أنه قبضه إليه، فعلمنا أن عين ما خرج منه هو الحق ظهر بصورة خلق فيه ظل يبرزه إذا شاء ويقبضه إذا شاء، لكن جعل الشمس عليه دليلاً ولم يتعرض لتمام الدلالة وهو كثافة الجسم الخارج الممتد عنه الظل، فبالمجموع كان امتداد الظل، فهذا شمس وهذا جدار وهذا ظل وهذا حكم امتداد، وقبض بفيء ورجوع إلى ما منه بدا فإليه عاد والعين واحدة، فهل يكون شيء ألطف من هذا؟

فالأبصار وإن لم تدركه فما أدركت إلا هو فإنه ما أحالنا إلا على مشهود بقوله: ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾ وما مده إلا بشمس وذات كثيفة تحجب وصول نور الشمس إلى ما امتد عليه ظل هذه الذات وجهة خاصة ثم قبضه كذلك، فهذه كيفية ما خاطبنا بها أن ننظر إليها وما قال فيها، فكنا نصرف النظر تألقاً إلى الفكر ولكن بأداة إلى أراد شهود البصر، وإن كانت الأدوات يدخل بعضها في مكان بعض ولكن لا يعرف ذلك إلا بقرائن الأحوال وهي إذا استحال أن يكون حكم هذه الإدارة بالوضع في هذا الموضع علمنا أنها بدل وعوض من أداة ما يستحقه ذلك الموضع وهذا معلوم في اللسان، وبهذا اللسان أنزل القرآن كما قال ﷺ: «إنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين» وقال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ فلا بدّ أن يجري به على ما تواطؤوا عليه في لحنهم فاعلم ذلك فتأمّل فيما أوردناه في نظمنا هذا الذي أذكره:

Marfat.com

فلا يدري اللطيف سوى لطيف وعين اللطف في عين الكثافة
فهذا عين هذا يا خليلي فقف بين الكثافة واللطافة
تحز قصب السباق بكل وجه كما قد حازه أهل العيافة
وكن عبد اللطيف بكل وجه تنل ما ناله أهل القيافة
من إدخال السرور على رسول نقي الثوب من أهل النظافة

وهذه حضرة نلت منها في خلقي الحظ الوافر بحيث أني لم أجد أحداً فيمن رأيت وضع قدمه فيها حيث وضعت لا إن كان وما رأيته، لكني أقول أو أكاد أقول: أنه إن كان ثم فغايته أن يكون معي في درجتي فيها، وأمّا أن يكون أتم فما أظن ولا أقطع على الله تعالى فأسراره لا تحد وعطاياه لا تعد، وقد بينا في الأحوال من هذا الكتاب في باب اللطيفة ما يقتضيه هذا الاسم الإلهي في أهل الله وما يطلبه بالوضع في اللسان، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حضرة الخبرة والاختبار وهي حضرة الابتلاء بالنعم والنقم

إن الخبير هو المبلى إذا نظرت عيناك نعمة من يبلى بها البشرا
وإن يكن نقمة منه حباك بها إن السعيد الذي ما زال مفتقرا

يدعى صاحبها عبد الخبير، قال تعالى: ﴿فاسئل به خبيرا﴾ وهو كل علم حصل بعد الابتلاء، قال تعالى: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم﴾ وقال: ﴿ونبلوا أخباركم﴾ وقال: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾، بخلقه الموت والحياة، وهذا لإقامة الحجة فإنه يعلم ما يكون قبل كونه لأنه علمه في ثبوته أزلاً، وأنه لا يقع في الكون إلا كما ثبت في العين، وما كل أحد في العلم الإلهيّ هذا الذوق فتعلق علم الخبرة تعلق خاص، وأصل الابتلاء الدعوى كانت ممن كانت، فمن لا دعوى له لا يبتلى، وما ثم إلاَّ من له دعوى، والتكليف ابتلاء فأصله عن دعوى، وقد عمّ من يدعى ومن لا يدعى أي من لا دعوى له عامة فلا يبالي من لا دعوى له فإنه يحشر مع من لا دعوى له أصلا، وما هو ثم أعني في الوجود ولا تكليف عليه كالمغصوب على نفسه يجازي بنيته لا بما ظهر منه، كالجيش الذي يخسف به بين مكة والمدينة، وفيه من غصب على نفسه في المجيء فقالت عائشة في ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «يحشرون على نياتهم وإن عمهم الخسف» كما قال: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين

Marfat.com

ظلموا منكم خاصة﴾ بل تعمّ المحق والظالم، وتختلف أحوالهم في القيامة فيحشر المحق سعيداً والظالم شقياً، فحيث كانت الدعوى كان الاختبار، ومن وصف نفسه بأمر توجه عليه الاختبار وقد قال الله تعالى: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾.

والإيمان يقطع بصدق هذا القول، ولكن لا يظهر حكمه مشاهدة عين إلا في المسرفين وهم المذنبون فكأنه قال لهم: اعصوا حتى تعرفوا ذوقاً صدق قولي في مغفرتي إذا كان أمير المؤمنين المأمون يقول لو علم الناس حبي في العفو لتقربوا إليّ بالجرائم وهو مخلوق فما ظنك بالكريم المطلق الكرم؟ فلا يختبر إلا بإتيان الذنوب وقد قال: «**لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون ويتوبون فيغفر الله لهم**»، وهذا القول من النبيّ ﷺ في الحقيقة فيه تقديم وتأخير إلا أنه ستره ليبين فضل العالم بأصول الأمور على غير العالم فهو يقول: «**لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم**» كما جاء في نص القرآن ثم يقول بعد قوله فيغفرّ لهم: «**فيتوبون**» أي يرجعون إلى الله في قوله: ﴿إنه يغفر الذنوب جميعاً﴾ لأنه لا غافر إلا هو. وأما إذا تاب قبل المغفرة فالحكم للتوبة لا للكرم الإلهي، وإنما يكون الكرم عند ذلك كونه أعطاه التوبة والتوبة مجاءة والقرآن ما ذكر توبة، والرسول ﷺ لا يخالف القرآن، ولكن ثم قوم يغفر لهم من غير توبة، وثم قوم يعطيهم الله التوبة، فالتوبة قد جعلها الله تتضمن المغفرة فكأنها للتائب بشرى معجلة في هذه الدار، فأدخل الحق نفسه في الدعوى ليمشي حكمها في الخلق.

ثم طلب بالابتلاء صدق الدعوى ليبين للعباد صدق دعواه، فإذا ادّعيت فليكن دعواك بحق وانتظر البلاء، وإن لم تدّع فهو أولى بك ولكن كن محلاً لجريان الأقدار عليك، وكن على علم أنه لا يجري عليك إلا ما كنت عليه حتى تعلم أن الحجة البالغة ﷺ فإنه يقول: كذا علمتك وما علمتك إلا منك، ولو كان كما يتخيله بعض الناس ومن لا علم له بسرّ القدر يقول: لو مكنني الله من الاحتجاج لقلت أنت فعلت كما قال أبو يزيد ولكن قال: ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ فسد الباب هذا القول ما يقع إلا من جاهل بالأمر ﴿بل لله الحجة البالغة﴾ في قوله: ﴿لا يسأل عما يفعل﴾ فإنه ما فعل من نفسه ابتداء، وإنما فعل بك في وجودك ما كنت عليه في ثبوتك ولهذا قال: ﴿وهم يسألون﴾ وقد أطلعهم الله عند ذلك على ما كانوا عليه وأن علمه ما تعلق بهم إلا بحسب ما هم عليه، فيعرفون إذا سئلوا أنه تعالى ما

Marfat.com

حكم فيهم إلا بما كانوا عليه، وإذا سألوا وهم يشهدون اعترفوا فيصدق قوله: ﴿فللّه الحجة البالغة ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ فيأخذها الناس إيماناً، ونحن وأمثالنا نأخذها عياناً فنعلم موقعها ومن أين جاء بها الحق ﴿لا إليه إلا هو اللطيف الخبير﴾ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حضرة الحلم

ليس الحليم الذي تجنى فيهملكم ... إن الحليم الذي تجنى فيمهلكم
فضلاً عليكم وإحساناً لعلكم ... في شأن حال يرى منكم تململكم
فإن رآه على قول فإن له ... شكراً على حال أعطاه تفضلكم
عليكم لا عليه حين يشكركم ... لديه في حقه منكم يبدّلكم

يدعى صاحبها عبد الحليم، وهي حضرة الإمهال من القادر على الأخذ، فيؤخر الأمر ويمهل العبد ولا يهمله، وإنما يؤخره لأجل معدود ولا يمحوه لأنه يبدّله بالحسنى فيكسوه حلة الحسن وهو هو بعينه ليظهر فضل الله وكرمه على عبيده، ولهذا وصف الذنوب بالمغفرة وهي الستر وما وصفها بذهاب العين، وإنما يسترها بثوب الحسن الذي يكسوها به لأنه تعالى لا يردّ ما أوجده إلى عدم بل هو يوجد على الدوام ولا يعدم فالقدرة فعالة دائماً، ولهذا يكسو الأعراض التي لا تقوم بنفسها صور القائمين بأنفسهم ويجعل ذلك خلعاً عليها، وقد جاء وزن الأعمال وشبهها بمثاقيل الذر ويؤتى بالموت وهو نسبة، والنسب أخفى من الاعراض في صورة كبش أملح فقد خلع على هذه النسبة صورة كبش أبيض، فما أعدم النسبة بعد تحققها بنعت من نعوت الوجود بما لها من الحكم في الموجودات فلم يردها إلى حكم العدم، فأحرى ما هو موصوف بالوجود العيني، فلهذا وصف نفسه بالغفار والحليم وهو الإمهال، فما أهمل حين أمهل ولا أعدم حين حكم فإنه ما شأنه إلا الإيجاد ولهذا قال: ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ والذهاب انتقالكم من الحال التي أنتم فيها إلى حال تكونون فيها ويكسو الخلق الجديد عين هذه الأحوال التي كانت لكم لو شاء لكنه ما شاء، فليس الأمر إلا كما هو فإنه لا يشاء إلا ما هي الأمور عليه لأن الإرادة لا تخالف العلم، والعلم لا يخالف المعلوم، والمعلوم ما ظهر ووقع فلا تبديل لكلمات الله فإنها على ما هو عليه.

ومن شأن هذه الحضرة إثبات الاقتدار فإن صاحب العجز عن إنفاذ اقتداره لا يكون

Marfat.com

حليماً ولا يكون ذلك حلماً، فلا حليم إلا أن يكون ذا اقتدار. ولما كانت المخالفة تقتضي المؤاخذة فأفسد الحلم حكمها في بعض المذاهب ولذلك يقال: حلم الأديم إذا فسد وتشقق، وكذلك حلم النوم أفسد المعنى عن صورته لأنه ألحقه بالحس وليس بمحسوس حتى يراه من لا علم له بأصله، فيحكم عليه بما رآه من الصورة التي رآه عليها، ويجيء العارف بذلك فيعبر تلك الصورة إلى المعنى الذي جاءت له وظهر بها فيردّها إلى أصلها، كما أفسد الحلم العلم فأظهره في صورة اللبن وليس بلبن فرده رسول الله ﷺ بتأويل رؤياه إلى أصله وهو العلم فجرّد عنه تلك الصورة، وفي تلك الصورة يكون حكم الحلم فلذلك نقول إنه أفسد صورة العلم فرده رسول الله ﷺ، والعابر المصيب كان من كان إلى أصله وأزال عنه ما أفسده الحلم، ومن هنا تعرف ما للحق من رتبة الأحلام، جاء رجل إلى ابن سيرين وكان إماماً في التعبير للرؤيا فقال له: إني رأيت أرد الزيت في الزيتون، فقال: أمّك تحتك، فبحث الرجل عن ذلك فإذا به قد تزوّج أمه وما عنده ولا عندها خبر بذلك. وأين صورة نكاح الرجل أمه من صب الزيت في الزيتون. وإذا رأى صاحب الرؤيا الأمر كما هو عليه في نفسه فليس بحلم وإنما ذلك كشف لا حلم سواء كان في نوم أو يقظة، كما أن الحلم قد يكون في اليقظة كما هو في النوم كصورة دحية التي ظهر بها جبريل عليه السلام في اليقظة فدخلها التأويل ولا يدخل التأويل النصوص. وأما قول إبراهيم لابنه وقد رأى أنه يذبح ابنه فأخذ بالظاهر على أن الأمر كما رآه وما كان إلا الكبش وهو الذبح العظيم ظهر في صورة ابنه فرأى أنه يذبح ابنه فذبح الكبش فهو تأويل رؤياه على غير علم منه ﴿وفديناه﴾ يعني تلك الصورة وهي ابنه التي رآها إبراهيم عليه السلام ﴿بذبح عظيم﴾ وهو الكبش فما ذبح لا كبشاً في صورة ولده فأفسد الحلم صورة الكبش في المنام ﴿فانظر ماذا ترى﴾ وكيف ترى وأين ترى؟ وكن على علم في أحوالك كلها، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حضرة العظمة

إن العظيـــم الـــذي تعظمـــه ... أفعـــالـــه ليـس مـن يقـول أنـا
ومـــن يقـــل إنمـــا تعظمـــه ... أحســابـــه لا أرى لـــه ثمنـــا
فـــلا تعظمـــه إنـــه رجـــل ... يحشـر يـوم الحساب في الجبنا

يدعى صاحبها عبد العظيم وحال هذا العبد الاحتقار التام مع كونه محلاً للعظمة فيفنيه عند نفسه، وما رأيت أحداً يحكم هذا المقام إلا شخصاً واحداً من حديثة الموصل،

Marfat.com

وأخبرني شيخي أبو العباس العربي من أهل العلياء من غرب الأندلس أنه رأى واحداً أيضاً من أهل هذه الحضرة وقد تلبس كالحلاج فيعظم جسمه في أعين الناظرين بالأبصار. وأما حكمها في النفوس فكثيرالوقوع فإنه تقع أمور كثيرة يعظم في النفوس قدرها بحيث لا تتسع النفس لغيرها ولا سيما في الأمور الهائلة التي تؤثر الخوف في النفوس ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ ﴿ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه﴾ ﴿وإن الشرك لظلم عظيم﴾ ولكن في نفس الموحد يشاهد عظمته في نفس المشرك لا في نفسه، فيشاهده ظلمة عظيمة إذا أخرج يده فيها لم يكد يراها. واعلم أن العظمة حال المعظم اسم فاعل لا حال المعظم اسم مفعول، إلا أن يكون الشيء يعظم عنده ذاته، فعند ذلك تكون العظمة حال المعظم لأن المعظم اسم فاعل ما عظمت عنده إلا نفسه فهو من كونه معظماً نفسه كانت الحال صفته وما عظم سوى نفسه فالعظمة حال نفسه، وهذه الحالة توجب الهيبة والإجلال والخوف فيمن قامت بنفسه، قال بعضهم:

كــأنمــا الطيــر منهــم فــوق أرؤسهــم ... لا خــوف ظلــم ولكــن خــوف إجــلال

لما في قلوبهم من هيبته وعظمته. وقال الآخر:

أشتـــاقـــه فـــإذا بـــدا ... أطـــرقـــت مـــن إجـــلالـــه

لا خيفـــة بـــل هيبـــة ... وصيـــانـــة لجمـــالـــه

وهذه الأسباب كلها موجبات لحصول العظمة في نفس هذا المعظم، إلا أن عظمة الحق في القلوب لا توجبها إلا المعرفة في قلوب المؤمنين وهي من آثار الأسماء الإلهية، فإن الأمر يعظم بقدر ما ينسب إلى هذه الذات المعظمة من نفوذ الاقتدار وكونها تفعل ما تريد ولا رادّ لحكمها ولا يقف شيء لأمرها فبالضرورة تعظم في قلب العارف بهذه الأمور وهي العظمة الأولى الحاصلة لمن حصلت عنده من الإيمان، والمرتبة الثانية من العظمة هي ما يعطيه التجلي في قلوب أهل الشهود والوجود من غير أن يخطر لهم شيء من تأثير الأسماء ولا من الأحكام الإلهية، بل بمجرّد التجلي تحصل العظمة في نفس من يشاهده وهذه العظمة الذاتية ولا تحصل إلا لمن شاهده به لا بنفسه وهو الذي يكون الحق بصره، ولا أعظم من الحق عند نفسه، فلا أعظم من الحق عند من يشهده في تجليه ببصر الحق لا ببصره، فإن بصر كل إنسان وكل مشاهد بحسب عقده وما أعطاه دليله في الله، وهذا الصنف من أهل العظمة خارج عما ارتبطت عليه أفئدة العارفين من العقائد فيرونه من غير تقييد

Marfat.com

فذلك هو الحق المشهود فلا يلحق عظمتهم عظمة معظم أصلاً، وما أحسن ما جاء هذا الاسم حيث جاء في كلام الله ببينة فعيل فقال عظيم وهي بنية لها وجه إلى الفاعل ووجه إلى المفعول.

ولما كان الحق عظيماً عند نفسه كان هو المعظم والمعظم فأتى بلفظ يجمع الوجهين كالعليم سواء، وقد يرد هذا البناء ويراد به الوجه الواحد من الوجهين كالإسم الحليم هذا لسان الظاهر وعلم الرسم. وأما علم الحقيقة المعتمد عليه عند العارفين فكل فعيل في أسماء الحق وصفاته ونعوته كالحليم والعليم والكريم فلا فرق بين هذه الأسماء، وبين العظيم في دلالتها على الوجهين، وذلك لكونه هو الظاهر في مظاهر أعيان الممكنات، فما حلم إلا عنه، ولا تكرم إلا عليه، ألا ترى حكم إيجاد المرجح لا يكون إيجاده عند المتكلمين إلا بالقدرة أو القادرية عند بعضهم أو بكونه قادراً عند طائفة فهو القادر، ولا يترجح الممكن إلا بالإرادة كما قلنا في القدرة على ذلك الترتيب والمساق فهو المريد، فالمريد إذا أراد ترجيح الوجود على العدم في المخلوق إن لم يكن هو القادر على ذلك، وإلا فعدم الإرادة أو وجودها على السواء، فيحتاج المريد إلى القادر بلا شك والعين واحدة ما ثم عين زائدة مع اختلاف الحكم، فلهذا قلنا في هذا البناء في حق الحق بطلب الوجهين، ولا يقدر أحد من الطوائف من العلماء بالله على مثل هذا العلم الإلهي إلا العلماء الراسخون من أهل الله الذين هوية الحق علمهم كما هي سمعهم وبصرهم فاعلم ذلك، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حضرة الشكر

شكـور مـن أتـى الكـرم المسمـى — كمـا قـد جـاء فـي نـص الكتـاب
ليطعـم مـن قـدور راسيـات — جيـاعـاً فـي جفـان كـالجـوابـي
ولا يبغـي علـى مـا كـان منـه — مـن إطعـام إلـى يـوم الحسـاب
ثنـاء لا ولا حمـداً وذكـراً — ولا نـوعـاً مـن أنـواع الثـواب

يدعى صاحب هذه الحضرة عبد الشكور وعبد الشاكر، وهي لصفة الكلام المنسوب إلى الحق قال تعالى: ﴿اعملوا آل داود شكرا﴾ ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ يعني المبالغة في الشكر، وهو أن يشكر الله حق الشكر، وذلك بأن يرى النعمة منه؛ ذكر ابن ماجة في سننه حديثاً وهو: «أن الله سبحانه وتعالى أوحى آلى موسى اشكرني حق الشكر، فقال

Marfat.com

موسى عليه السلام: ومن يقدر على ذلك يا رب؟ فقال له: إذا رأيت النعمة مني فقد شكرتني» فمن لا يرى النعمة إلا منه فقد شكره حق الشكر، لا تراها من الأسباب التي سد لها بينك وبينه عند إرداف النعم، فإن النعم أشياء لا تتكون إلا عنه من الوجه الخاص الذي لكل كائن، وقال من هذه الحضرة: ﴿ولئن شكرتم لأزيدنكم﴾، ووصف نفسه بشكره عباده طلباً للزيادة منهم مما شكرهم عليه مقابلة نسخة بنسخة لإنه على صورته، وهو يريد أن يوقفك على صحة هذه النسخة، فإنه ما كل نسخة تكون صحيحة ولا بد قد تختل منها أمور، فلذلك شرعت المعارضة بين النسختين، فما أخرج الناسخ منها أثبت بالمعارضة لتصح النسخة، ومن الأمر الواقع في المنتسخ منه أنه شاكر وشكور عباده، ثم طالبهم بالشكر ليظهروا بصفته من كونهم على صورته، ثم عرفهم أن الشكر يقتضي لذاته الزيادة من المشكور مما شكر من أجله وهو المعروف الذي سدله وأسداه إلى عباده.

فإذا علم ذلك علم أن الحق تعالى يطلب الزيادة من عباده في دار التكليف مما كلفهم فيها من الأعمال، وجعل استيفاء حقه أن يرى العبد النعمة منه عز وجل، فكان تنبيهاً من الله لعبده في تفسير حق الشكر أن الحق يرى النعمة من العبد حيث أعطاه العلم به كما قلنا إن العلم يتبع المعلوم فهو يجعل التعلق به في نفس العالم فيتصف العالم بالعلم فيشكره الحق على ذلك فيزيده العبد بتنوع أحواله تعلقات لم يكن عليها تسمى علوماً. وهذا الذي أشرنا إليه من أصعب العلوم علينا لشدة غوصها وهي سريعة التفلت، ومن علم هذا علم قوله تعالى: ﴿حتى تعلم﴾ فما قال حتى نعلم حتى كلف وابتلى ليعلم ما يكون منه فيما أتاه به، وقد علم منه ما يكون في حال ثبوته، إلا أن الممكن إذا تغيرت عليه الأحوال يعلم أنه كان في عينه في حال ثبوته بهذه الصفة ولا علم له بنفسه، فإن الإنسان قد يغفل عن أشياء كان قد علمها من نفسه ثم يذكرها وهو قوله: ﴿وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾ وقوله: ﴿وليتذكر أولوا الألباب﴾ ولب الشيء سره وقلبه، وما حجبه إلا صورته الظاهرة فإنها له كالقشر على اللب صورة حجابية عليه لعينه الظاهرة، فهو ناس لما هو به عالم وأخفى منه في التشبيه الزهرة مع الثمرة هي الدليل عليها والحجاب والحال الإلهي كالحال الكوني لأنه عينه ليس غيره، فما شكر إلا نفسه لأنه ما أنعم إلا هو، ولا قبل الإنعام ولا أخذه إلا هو، فالله المعطي والآخذ كما قال: إن الصدقة تقع بيد الرحمن فإنه يأخذ الصدقات، ويد السائل صورة حجابية على يد الرحمن فتقع الصدقة في يد الرحمن قبل وقوعها في يد السائل، وإن شئت قلت: إن يد السائل هي يد المعطي فيشكر الحق عبده على ذلك الإنعام ليزيده منه،

Marfat.com

يقول الله عز وجل: «جعت فلم تطعمني» فطالبه الحال بالتفسير فقال له: وكيف تطعم وأنت رب العالمين؟ قال تعالى: أما إن فلاناً جاع فاستطعمك فلم تطعمه، أما إنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي» وكذا جاء في المرض والسقي أي أنا كنت أقبله لا هو، والحديث في صحيح مسلم، وعند هذا القول كان الحق صورة حجابية على العبد، وعند الأخذ والعطاء كان العبد صورة حجابية على الحق.

فإذا شهدت فاعلم كيف تشهد ولمن تشهد وبمن تشهد وعلى من تشهد، فلتشكر على حد شهودك ولتقبل الزيادة ولتعطِ أيضاً الزيادة على شهود وتحقيق وجود، وموجب الشكر الإنعام والنعم، وأعظم نعمة تكون النكاح لما فيه من إيجاد أعيان الأمثال فإن في ذلك إيجاد النعم الموجدة للشكر، ولذلك حبب الله إليه النساء وقواه على النكاح أعني لرسول الله ﷺ وأثنى على التبعل وذم التبتل، فحبب النساء إليه لأنهن محل الانفعال لتكوين أتم الصور وهي الصورة الإنسانية التي لا صورة أكمل منها، فما كل محل انفعال له هذا الكمال الخاص، فلذلك كان حب النساء مما امتن الله به على رسوله ﷺ حيث حببهن إليه مع قلة أولاده ﷺ، فلم يكن المراد إلا عين النكاح مثل نكاح أهل الجنة لمجرد للذة لا للإنتاج، فإن ذلك راجع إلى إبراز ما حوى عليه ﷺ من ذلك، وهذا أمر خارج عن مقتضى حب المحل المنفعل فيه التكوين، ألا ترى الحق إن فهمت معاني القرآن كيف جعل الأرض فراشاً وكيف خلق آدم منها وجعله محل الانفعال؟ ونطق رسوله ﷺ بقوله: «الولد للفراش» يريد المرأة أي لصاحب الفراش كما كان آدم عليه السلام حيث جعله خليفة فيمن خلق فيها ليكون أيضاً صاحب فراش لأنه على صورة من أوجده فأعطاه قوة الفعل كما أعطاه قوة الانفعال فكان وطاء وغطاء، فالحق هو الشاكر المشكور:

وفي الشكر أسرار يراها ذوو الحجى ... يفوز بها عبد الشكور إذا شكر
ومن أجل ذا سمى الإله لعبده ... على لغة الأعراب الفرج بالشكر

لما فيه من الزيادة على الالتذاذ بالنكاح وهي ما يتولد فيه عن النكاح من الولد الروحاني والجسماني دنيا جسماً وآخرة روحاً، وقد ذكرنا ذلك في توالد الأرواح من هذا الكتاب، وبينا ذلك أيضاً في القصيدة الطويلة الرائية التي أولها:

اعترضت عقبة ... وسط الطريق في السفر

Marfat.com

وهذا القدر من الإيماء كافٍ في معرفة هذه الحضرة الإلهية، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حضرة العلو

تــواضــع فــالإلــه هــو العلــى ... لــه التنــزيــه منــا والعلــو
فقــل إن شئــت فــرد لا يــدانــي ... وقــل مــا شئتــه فــالأمــر تــو
فليس سوى الذي قد قام عندي ... إلــه مــا لــه إلا السمــو
وليس سوى الذي قد قام عندي ... عبيــد مــا لــه إلا الــدنــو
فــلا تغلــو فــديتــك يــا خليلــي ... فــإن الــديــن يفسـده الغلــو

يدعى صاحب هذه الحضرة عبد العلي. قال الله عز وجل: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وكان شيخنا العريبي يقف في هذه الآية ﴿على العرش﴾ ويبتدىء ﴿استوى له ما في السمٰوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ أي ثبت له وكل ما سوى الله عرش له علو قدر ومكانة في قلوب العارفين به من علماء النظر وغيرهم من العلماء، فعلوه تعالى بهذا التفسير مطلق، وبقي علو المكان الذي أثبته الإيمان بالخبر الصدق، ودل عليه عند العلماء بالله من طريق الشهود صور التجلي فهو بكل شيء محيط لاستوائه.

ولما كان أعلى الموجودات وأعظمها من وجب له الوجود لنفسه استقلالاً وكان له الغنى صفة ذاتية لم يفتقر إلى غيره كان بالإسم العلي أولى وأحق وكان من كان وجوده بغيره مستوى لهذا العلى وليس إلا الله، فمن هذه الحضرة ظهر العلو فيمن علا في الأرض كفرعون الذي قال الله تعالى فيه: ﴿إن فرعون علا في الأرض﴾، وجعل العلو في الإرادة في بعض الناس وذمهم بذلك فقال: ﴿وتلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض﴾ ونعني بالدار الآخرة هنا الجنة خاصة دون النار ﴿نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض﴾ وسواء حصل لهم ذلك المراد أو لم يحصل فقد أرادوه وحصل في نفوسهم وما بقي إلا أن يحصل في نفوس الغير الذي كنى عنها بالأرض، والعلماء بالله لا يريدون علواً في الأرض لأنه علو مكتسب ولا يريدون ما يقع عليه اسم الكسب، وإنما يريدون ما تقتضيه ذواتهم من حيث ما يشهدون من افتقروا إليه في وجودهم خاصة، فما لهم نظر إلا إليه لا فيه لأنه ممنوع لنفسه أعني النظر فيه الذي هو الفكر في ذاته، فالذي يعطي العلو هذه الحضرة إنما هو السعادة لا التكبر، فالعلو الذي تعطي هذه الحضرة لأجل السعادة إنما هو علمهم

Marfat.com

بذواتهم ليعلموا أن الحادث في مقام الانحطاط عما يجب لله من العلو، ويكفيهم من العناية الإلهية أن حصلوا مع الحق في باب الإضافة:

أي بهـــم كـــان عليـــا ... وبـــه كـــانـــوا سفـــالا
لـــم أجـــد للّـــه فينـــا ... غيـــر مـــا قلنـــا مثـــالا
فهـــو التـــاج علينـــا ... عنـــدمـــا كنـــا نعـــالا
وهـــو البـــدر المسمـــى ... عنـــدمـــا كـــان هـــلالا
صيـــر الإلـــه ذاتـــي ... لـــرحـــى الكـــون ثقـــالا
فلـــه التعظيـــم منـــا ... جـــل قـــدراً وتعـــالـــىٰ
جعـــل الإلـــه فينـــا ... لشيـــوخنـــا محـــالا
فـــإذا لـــم يستفلـــوا ... كـــان جعلهـــم محـــالا
وإذا هـــم استفلـــوا ... لـــم أجـــد عنهـــم زوالا
فبـــذاتـــي وبـــربـــي ... كنـــت حـــرمـــاً وحـــلالا
وبـــربـــي لا بكـــونـــي ... صيـــر الضعـــف محـــالا
وسقـــانـــي كـــأس حظـــى ... طيبـــاً عـــذبـــاً زلالا
فلصحـــوي عنـــد شـــربـــي ... لـــم أجـــد منـــه خبـــالا
ولسكـــري منـــه أيضـــاً ... كنـــت فـــي نفســـي خيـــالا
لـــم يكـــن فيـــه ســـوائـــي ... فلـــذا كـــونـــت آلا
مـــن يـــرانـــي مـــا يـــرانـــي ... فـــالهـــدي صـــار ضـــلالا
وانتقلنـــا عنـــه ســـرّاً ... للـــذي شـــاء انتقـــالا
لـــم أجـــد عنـــد انتقـــالـــي ... عنـــه فـــي نفســـي كـــلالا
فنعـــم لـــم أر فيـــه ... عنـــدمـــا قلـــت ولالا
ثـــم لـــم يكـــن سكـــوت ... عنـــد قـــولـــي واستحـــالا
فلـــذا قـــد حـــرت فيـــه ... ولـــذا ذقـــت وبهـــالا
جبـــت غـــربـــاً ثـــم شـــرقـــاً ... وجنـــوبـــاً وشمـــالا
ثـــم أنشـــأنـــا سحـــابـــاً ... مـــن عطـــايـــاه ثقـــالا
ثـــم نـــودينـــا وجـــدتـــم ... فـــي وجـــودكـــم منـــالا

Marfat.com

وما حصل التشريف للممكنات إلا بإضافتها إلى الله، وهذا التشريف في حقنا هو أعظم تشريف إمكاني، فعلو الإنسان عبودته لأن فيها عينه وعين سيده، والمتلبس بصفة سيده لابس ثوب زور ليس عليه منه شيء ولا تقبله ذاته وهو يعلم ذلك من نفسه وإن جهله غيره واعترف له بالعلو عليه، فمن وجه ما لا من جميع الوجوه فإنه يعلمه أنه هو، فهوية ما سوى الحق معلومة لا تجهل، ولولا معقولية المكانة ما اعترف مخلوق بعلو مخلوق، فلهذا لا يعظم أحد في عين أحد لذاته إلا المحبوب خاصة فإنه يعظم في عين محبه لذاته، فكل شيء يكون منه يتلقاه المحب الصادق الحب بالقبول والرضى، وما كل محب محب لأن طلب الغرض من المحب لا يصح في الحب الصادق الذي استفرغ قواه، وإنما ذلك لمن بقيت فيه فضلة يعقل بها أنه محب وأن محبوبه غير له.

ولما وصف الحق نفسه بالنزول كان هذا النزول عين الدليل على نسبة العلوّ لأنه لو وقف مع قوله: ﴿على العرش استوى﴾ واكتفى ولم يذكر النزول، وكل جزء من الكون عرشاً له لأنه ملكه، فما تحقق له العلو إلا باتصافه بالنزول إلى السماء الدنيا، فأثبت له علو المكان، وأثبت الاستواء على العرش المكانة والقدر، فبالإستواء ﴿هو في السماء إله وفي الأرض آله﴾ ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ وبالنزول ظهر الحد والمقدار فعلمنا بالنزول في أي صورة تجلى ولمن نزل وتدلى، وله الحمد أي عاقبة الثناء ترجع إليه في الآخرة وهو النزول والأولى وهو الاستوى، فعمّ علوّه وتحقق دنوّه، فطوبى للتائبين والداعين والمستغفرين، فيا ليت شعري هل يسمعون قوله تعالى ذلك؟ نعم العارفون يسمعونه، وأهل الحضور مع إيمانهم بهذا الخبر يسمعونه، وما عدا هذين الصنفين فلا يسمعه، ويعرفنا الله تعالى: ﴿بأنه كلم موسى تكليما﴾ إلا لنتعرض إلى هذه النفحة الإلهية والجود لعل نسيماً يهب علينا منها فيأخذ الناس هذا التعريف بأن الله كلم موسى ثناء على موسى عليه السلام خاصة، نعم هو ثناء ولكن ما أثنى الله بشيء على أحد من المخلوقين إلاّ وفيه تنبيه لمن لم يحصل له ذلك الأمر أن يتعرّض لتحصيله جهد الاستطاعة، فإن الباب مفتوح والجود ما فيه بخل، وما بقي العجز إلاّ من جهة الطالب ولهذا يقول: من يدعني فأستجيب له ومن نكرة فما وقع العجز إلاّ منا، وهنا الحيرة لأنا ما ندعوه لا بتوفيقه وتوفيقه إيانا لذلك من عطائه وجوده واستعداد كنا عليه به قبلناه، فتأهلنا لدعائه وإجابته إيانا فيما دعوناه به على ما يرى الإجابة فيه فهو أعلم بالمصالح منا، فإنه تعالى لا ينظر لجهل الجاهل فيعامله بجهله، وإنما الشخص

Marfat.com

يدعو والحق يجيب، فإن اقتضت المصلحة البطء أبطأ عنه الجواب، فإن المؤمن لا يتهم جانب الحق، وإن اقتضت المصلحة السرعة أسرع في الجواب، وإن اقتضت المصلحة الإجابة فيما عينه في دعائه أعطاه ذلك سواء أسرع به أو أبطأ، وإن اقتضت المصلحة أن يعدل مما عينه الداعي إلى أمر آخر أعطاه أمراً آخر لا ما عينه، فما جاز الله لمؤمن في شيء إلا كان فيه له خير، فإياك أن تتهم جانب الحق فتكون من الجاهلين وأنت من الجاهلين، ولو أعطيت علم اللوح المحفوظ والقلم الأعلى والملائكة العلى، وأما العالون من عباد الله الذين قال الله في توبيخه لإبليس حين أبى عن السجود لآدم: ﴿استكبرت أم كنت من العالين﴾ فهم الأرواح المهيمة في جلال الله، فأعلاهم الحق أن يكون شيء من الخلق لهم مشهوداً ولا نفوسهم وهم عبيد اختصهم لذاته، فالتجلي لهم دائم وهم فيه هائمون لا يعلمون ما هم فيه، فعلوهم بين الاسم العليّ وبيننا، فهم لا يشهدون علوّ الحق لأنه لا يشهد علوّ الحق إلا من شهد نفسه وهم في أنفسهم غائبون، فهم عن علوّ الحق ومكانته أشد غيبة والعلوّ نسبة فالأعلى من ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ إنما هو نعت أحدية من ادّعى العلوّ وأراد العلوّ فإذا أزال كان علياً لأعلى، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حضرة الكبرياء الإلهي

كبيـــر القـــدر ليـــس لـــه نظيـــر ... كبيـــر فـــي النفـــوس وفـــي العقـــول
لـــه فـــي أنفـــس عنـــدي قبـــول ... وليـــس لـــذاتـــه بـــي مـــن قبـــول

يدعى صاحبها عبد الكبير وهو عين العبد لأن الكبرياء رداء الحق وليس سواك فإن الحق تردى بك إذ كنت صورته فإن الرداء بصورة المرتدي، ولهذا ما يتجلى لك إلا بك. وقال: «من عرف نفسه عرفه ربه» فمن عرف الرداء عرف المرتدي ما يتوقف معرفة الرداء على معرفة المرتدي، وفي هذا غلط عظيم عند العلماء وما تفطنوا المراد الحق في التعريف بنفسه، فلو وصف نفسه إلا بما نعرفه ونتحققه على حد ما نعرفه ونتحققه، فإنه بلساني خاطبني لنعقل عنه فلو أحالنا عليه ابتداء لما عرفناه، فلما أنزل كبرياءه منزلة الرداء المعروف عندنا علمنا ما الكبرياء، ثم زاد رسول الله ﷺ في تجليه يوم القيامة في الزور الأعظم على كثيب المشاهدة في جنة عدن وذلك اليوم الكبير أنه تعالى يتجلى لعباده ورداء الكبرياء على وجهه ووجه الشيء ذاته فحال الحجاب بينك وبينه فلم تصل إليه الرؤية فصدق لن تراني وصدقت المعتزلة فما وصلت الأعين إلا إلى الرداء وهو الكبرياء وما تجلى لك إلا

Marfat.com

بنا، فما وصلت الرؤية إلا إلينا، ولا تعلقت إلا بنا، فنحن عين الكبرياء على ذاته قال: «وسعني قلب عبدي» فإذا قلبت الإنسان الكامل رأيت الحق والإنسان لا ينقلب فلا يرجع الرداء مرتدياً لمن هو له رداء، فهذا معنى الكبير، فإنه كبير لذاته والكبرياء نحن فمن نازعه منا فينا قصمه الحق لأنه جهل فإنه له ما رأيناه قط ولا نراه من حيث هو ونحن لنا فما نرى قط سوانا ولا يزال الكبرياء على وجهه في الدنيا والآخرة لأنا ما نزال، وهذا عين افتقارنا واحتقارنا ووقارنا.

للَّـه يـوم كبيـر لا يمتـري فيـه مـؤمـن ... لـه التحكـم فينـا بـالإسـم منـه المهيمـن

قال الله تعالى لمحمد ﷺ ولكل رسول أن يقول لنا: ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ ولا خوف علينا إلا منا فإن أعمالنا ترد علينا فنحن اليوم الكبير ﴿إلى الله مرجعكم جميعاً﴾ يعني مرجع اليوم ونعته بالكبرياء والشيء لا ينازع في نفسه ولا فيما هو له، فمن نازع الحق في كبريائه فما نازع إلا نفسه فعذابه عين جهله به، ومن هنا تعرف أن الإحاطة لنا وليس سوى ما حزناه من صورته فإن الرداء يحيط بالمرتدي.

فظـاهـر الحـق خلـق ... وبـاطـن الخلـق حـق

ومن ذلك:

إذا حـزنـا مقـام الكبـريـاء ... فنحـن لـه بمنـزلـة الـوعـاء
فلـم يـر غيـرنـا لمـا شهـدنـا ... فكنـا منـه عيـن الكبـريـاء

ولما كنا عين كبرياء الحق على وجهه والحجاب يشهد المحجوب فأثبت أنا نراه كما وسعناه فصدق الأشعري وصدق قوله: ترون ربكم كما صدق لن تراني، وللرداء ظاهر وباطن فيراه الرداء بباطنه فيصدق ترون ربكم ويصدق مثبت الرؤية ولا يراه ظاهر الرداء فيصدق المعتزلي ويصدق لن تراني والرداء عين واحدة، وكان الفضل لهذه النشأة الإنسانية على جميع العالم، فإن العالم كله دون الإنسان منحاز عن الإنسان متميز عنه، فلا يشهد العالم سوى الإنسان الذي هو الرداء، والرداء من حيث ظاهره يشهد من يشهده وهو العالم، فيرى الحق ظاهر الرداء بما هو الحق العالم وهي رؤية دون رؤية باطن الرداء، فالعالم له الإحاطة لأنه لا يتقيد بجهة خاصة، فالحق وجه كله والرداء وجه كله، فهو الظاهر تعالى للعبد من حيث العالم، وهو الباطن لنفسه عن العالم من حيث ما له صورة في العالم ومن حيث أن الرداء بينه وبين العالم، فإن الصورة التي للحق في عين العالم الحق لها باطن من

Marfat.com

حيث أن الرداء حائل بينه وبين الحق الذي العالم به فهو باطن لنفسه وللعالم، ولا يصح أن يكون باطناً لباطن الرداء لكن لظاهره، فالإنسان الكامل يشهده تعالى في الظاهر بما هو في العالم وفي الباطن بما هو مرتد فتختلف الرؤية على الإنسان الكامل والعين واحدة، ولهذا ينكره بعض الناس في القيامة إذا تجلى والكامل لا ينكره فإنه ما كل إنسان له الكمال، فما ينكره إلا الإنسان الحيوان لأنه جزء من العالم فإذا تجلى له في العلامة وتحول فيها عرفه لأنه ما يعرفه إلا مقيداً، فالإمام تابع للمأموم في الأحوال والمأموم يتبع الإمام في الأفعال وفي بعض الأقوال، فلولا الكبرياء ما عرف الكبير:

فقد بان عين الحق في عين نفسه ... وبان لذي عينين من كبريائه
وهذا وجود الجود ما ثم غيره ... وهذا صباح قد تلاه مساؤه
فإن كان وسمي فذاك ابتداؤه ... وما ولي الوسمي فهو انتهاؤه
فتبدو ثغور الروض ضاحكة به ... بما جاد من جود عليه عطاؤه
فما كان من روض فذاك وطاؤه ... وما كان من غيم فذاك غطاؤه
وما كان من مزن فعين نكاحه ... ما كان من شرب فذاك وعاؤه
فلاح لنا في قابل عند صيب ... بحيث يرى أبناؤه وابتناؤه

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. وحسبنا الله في كل موطن ونعم الوكيل.

حضرة الحفظ

إن الحفيظ عليم بالذي حفظه ... وما سواه فإن العقل قد لفظه
فمن يقول به يلقه في خلدي ... مع الذي عين الكتاب والحفظة
إذا تلفظ شخص باسمه تره ... في نفسه طالباً بما به لفظه

يدعى صاحب هذه الحضرة عبد الحفيظ، قال تعالى: ﴿ولا يؤده حفظهما﴾ وقال تعالى: ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ يخاطب موسى وهارون عليهما السلام. وقال في سفينة نوح عليه السلام: ﴿تجري بأعيننا﴾ يشير إلى أن يحفظها لأن المحفوظ لا يختفي عنه، ومن الناس من يحفظه الحفظ لأنه يريد أن يخلو بهواه، والحفظ الإلهي يمنع من ذلك ويحول بينه وبين هواه ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ فمن عصى الله واتبع هواه فما عصى إلا مجاهرة ولكن بعد عمى القلب حتى لا يجتمع النظرتان إذ لو اجتمعتا لاحترق الكون، فإن بصر الحق إذا اجتمع به بصر العبد احترق العبد من فوره، ومعلوم أن الله يدركه ببصره الآن

Marfat.com

في حق العبد فإن الحق ليس في الآن لكن ما اجتمع بصر العبد معه فيعلم بالمقدمتين ما ينتج بينهما، فإن باجتماع البصرين وقع الحرق، فما انحفظ العالم لا بكون البصرين ما اجتمعا على رؤية الكون ولذلك وصف نفسه إذا تجلى أن يكون رداء الكبرياء على وجهه فلا يرتفع أبداً، فإذا رأينا الحق متى رأيناه بأبصارنا نراه من حيث لا يرانا كما يرانا من حيث لا نراه، فإنه يرانا عبيداً ونراه إلهاً ونراه به ويرانا بنا، ومهما رآنا به فلا نراه به بل وهي الرؤية العامة، ورؤية الخواص أن يروه به ويراه بهم، فهو الذي يحفظ عليهم وجودهم ليفيدهم ويستفيد من يستفيد منهم حتى نعلم إلى من هو دونه فهو الحفيظ المحفظ.

ولما سرى الحفظ في العالم فقال: ﴿إن عليكم لحافظين﴾ وقال: ﴿والحافظين فروجهم والحافظات﴾ وعم فقال: ﴿والحافظون لحدود الله﴾ فحدودهم كان كل عين في العالم من حيث ما هي حافظة أمراً ما عين الحق ولهذا وصف نفسه بالأعين فقال: ﴿تجري بأعيننا﴾ فإن مدبر السفينة يحفظها والمقدم يحفظها وصاحب الرجل يحفظها، وكل من له تدبير في السفينة يحفظها بل يحفظ ما يخصه من التدبير فقال تعالى فيها أنها تجري بأعين الحق وما ثم إلا هؤلاء وهم الذين وكلهم الله بحفظها، فالحق مجموع الخلق في الحفظ وفي كل ما يطلب الجمع، ولهذا المقام في صنعة العربية بدل الاشتمال تقول: أعجبني الجارية حسنها للاشتمال الذي هنا، وأعجبني زيد علمه، فالعلم بدل من زيد والحسن بدل من الجارية ولكن بدل اشتمال كما يكون في موضع آخر بدل الشيء من الشيء وهما لعين واحدة، كقولهم: رأيت أخاك زيداً فزيد أخوك وأخوك زيد، فهكذا قوله: «كنت سمعه وبصره» وقوله: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ إذ رميت فهذا بدل الشيء من الشيء وإن كان في هذا البدل رائحة من بدل البعض من الكل فقال: أكلت الرغيف ثلثيه، وليس في أنواع البدل بدل أحق بالحضرة الإلهية من بدل الغلط وهو الذي فيه الناس كلهم يظنون أنهم هم وما هم هم، ويظنون أن ما هم هم وهم هم، ولهذا لا يوجد بدل الغلط في كلام فصيح مثاله: رأيت رجلاً أسداً أردت أن تقول: رأيت أسداً فغلطت فقلت: رأيت رجلاً ثم تذكرت أنك غلطت فقلت أسداً فأبدلت الأسد منه، فالعارف يلزمه الأدب أن يضيف إلى الله كل محمود عرفاً وشرعاً ولا يضيف إليه ما هو مذموم عرفاً وشرعاً إلا إن جمع مثل قوله: ﴿قل كل من عند الله﴾ وكل يقتضي العموم والإحاطة، وقوله: ﴿فألهمها فجورها وتقويها﴾ فالكشف والدليل يضيف إليه كل محمود ومذموم فإن الذم لا يتعلق إلا بالفعل ولا فعل لا لله لا لغيره، فالعارف في بدل الغلط فإن عقله يخالف قوله، فقوله في المذموم ما هو له

Marfat.com

ويقول في عقده وقلبه هو له عند قوله بلسانه ما هو له، ومن لا يعلم أنه غلط يصمم على ما قاله أو على ما اعتقده فالله الحفيظ وهو بدل من الحفظة والحافظين أعيننا فالحفظ يطلب الرؤية ولا بد، والرؤية لا تطلب الحفظ ولا بد، ولكن قد تجيء للحفظ:

لكل حفيظ في الوجود حفيظ ... وفي كل باب رحمة وكظيظ
فكن عبد لين في دعائك عبده ... إلى اللّه لا فظ عليه غليظ
فكم بين محفوظ عليه وجوده ... وبين حفيظ ما عليه حفيظ

فكما أن ﴿ربك على كل شيء حفيظ﴾ فهو بكل شيء محفوظ لأنه بالأشياء معلوم، فالأشياء تحفظ العلم به عند العلماء به والعلم صفته. والعلم المعلوم والمعلوم أعطاه العلم بنفسه، فالمعلوم يحفظ عليه العلم ويزيل عنه العلم فهو يتقلب لتقلبه، فحفظ الله علمه من حيث ما هو معلوم له:

فحفظ الحق موسوم ... وحفظ الخلق معلوم
وما أربى على هذا ... فمدخول وموهوم

لأن المعلومات تحفظ على العالم بها علمه بها ولا عالم إلا الله على الحقيقة، والحق يحفظ على العالم نسبة الوجود إليه فهو يحفظ عليه وجوده، وإنما قلنا المعلومات لأن الحق معلوم لنفسه والخلق معلومون لله والحق ليس بمعلوم للخلق، فقد علمنا ما يحفظ الحق وما يحفظ الخلق، فإن زدت وقلت إن العالم يحفظ المعلوم فمدخول هذا القول وهو وهم من قائله لأن التابع بأمر المتبوع والعلم يتبع المعلوم، فتفطن لهذا الأمر فإنه حسن يجعلك تنزل الأشياء منازلها وتحفظ عليها حدودها فتكون حفيظاً ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾ وإنما ألحقنا الحفيظة بالحفظ لما وصف الحق بها نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله، فلما كان لها حكم في الوجود الحق وسعى الانتقام والعفو في إزالتها خفنا أن يعتقد إزالة عينها وما زالت إلا إضافتها فجعل محلها جهنم فهي غضب الله الدائم فهي تنتقم دائماً في زعمها ولا تشعر بما يجد الساكن فيها، وكذلك حياتها وعقاربها في لدغها ونهشها تلدغ انتقاماً وتنهش غضباً لله وما عندها علم بما يجده الملدوغ إذا عمته الرحمة من الالتذاذ بذلك اللدغ فإنه بمنزلة الجرب بالحك أنت تدميه وهو يجد اللذة بذلك الإدماء، وكلما قوي الحق عليه تضاعفت اللذة حتى أنه يبادر إلى حك نفسه بيده لما يجد في ذلك من الالتذاذ به مع سيلان دمه في ذلك الحك، فجهنم دار الغضب الإلهي وحاملته والمتصفة به، وكذلك من

Marfat.com

فيها من وزعة الغضب والمغضوب عليه بما يجده لا بما في نفوس هؤلاء، ولكن لا يحصل لهم هذا إلا بعد استيفاء الحدود والإحساس بالآلام عند نضج الجلود فتبدل لذوق العذاب كما تبدلت الأحوال عليهم في الدنيا بأنواع المخالفات، فلكل نوع عذاب ولهم جلد خاص يحس بالألم كما كان هنا دائماً في تجديد خلق، والناس في هذا التجديد في لبس، فإذا انتهى زمان المخالفة المعينة انتهى نضج الجلد، فإن شرع عند انتهاء المخالفة في مخالفة أخرى أعقب النضج تبديلاً بجلد آخر ليذوق العذاب كما ذاق اللذة بالمخالفة، وإن تصرّف بين المخالفتين بمكارم خلق استراح بين النضج والتبديل بقدر ذلك فهم على طبقات في العذاب في جهنم، ومن أوصل المخالفات ومذام الأخلاق بعضها ببعض فهم الذين لا يفترّ عنهم العذاب، فلما انتهى بهم العمر إلى الأجل المسمى انتهت المخالفة فتنتهي العقوبة فيهم إلى ذلك الحدّ وتكتنفهم الرحمة التي وسعت كل شيء، ولا تشعر بذلك جهنم ولا وزعتها أعني ما فيها من الحيوانات المضرّة لا ملائكة العذاب، فتبقى أحوال جهنم على ما هي عليه، والرحمة قد أوجدت لهم نعيماً لهم في تلك الصورة بحكمها، فإن الرحمة هي السلطانة الماضية الحكم على الدوام فافهم ما أومأنا إليه فإنه من لباب الحفظ الإلهي حفظ المراتب وربك على كل شيء حفيظ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حضرة المقيت

إن الـــذي قـــدّر الأقـــوات أجمعهـــا ... هـــو المقيـــت الـــذي لعبـــده شـــرعـــه
وهـــو الـــذي قـــدّر الأوقـــات جملتهـــا ... رزقـــاً وخلقـــاً ومصنـــوعـــاً كمـــا صنعـــه

عبد المقيت هو أخ شقيق لعبد الرزاق، فإن الرزق قوت المرزوق وهو على مقدار خاص لا يزيد ولا ينقص في كل شهوة في الجنان، وفي كل دفع ألم وشهوة في الدنيا لأنها دار امتزاج ونشأة أمشاج، فمن هذه الحضرة يكون القوت لكل من لا يقوم له بقاء صورة في الوجود إلا به، ومن هذه الحضرة يكون تعيين أوقات الأقوات وموازينها كما قال تعالى في خلق الأرض: ﴿وقدّر فيها أقواتها﴾ أي أعطى مقادير أوقات الأقوات وموازينها، وهذه الأقوات عين الوحي الذي في السماء، فالقوت في الأرض كالأمر في السماء، وتقدير القوت في الأرض كالوحي في السماء وهو عينه لا غيره، فأوحى في السماء أمرها وهو تقدير أقواتها وقدر في الأرض أقواتها:

بـــروج السمـــاء لهـــا قـــوة ... بهـــا يبعـــث اللّـــه أمـــواتهـــا

Marfat.com

وحكمتهـا فـي الثـرى سيـرهـا ليجمـع بـالسيـر أشتـاتهـا
فـإن الإلـه بنـاهـا لنـا وعيـن بـالسيـر أوقـاتهـا
فكـان غـذاء لهـا وقتهـا وقـدر فـي الأرض أقـواتهـا

وهو وحي أمرها، واختلفت الأسماء لاختلاف المحال والصور وعمّ بالسماء والأرض ما علا من العالم وما سفل، وما في الوجود إلا عال وسافل، ومن أسمائه العلى ورفيع الدرجات فأمر الأسماء وأقواتها أعيان آثارها في الممكنات، فبالآثار تعقل أعيانها فلها البقايا بآثارها فقوت الإسم أثره وتقديره مدة حكمه في الممكن أي ممكن كان، ومن هذه الحضرة ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ والخزائن عند الله تعلو وتسفل، فأعلاها كرسيه وهو علمه وعلمه ذاته، وأدنى الخزائن ما خزنته الأفكار في البشر، وما بين هذين خزائن محسوسة ومعقولة وكلها عند الله فإنه عين الوجود، فهي حضرة جامعة للأعيان والنسب والحدوث والقدم، فالخلق والخالق والمقدور والقادر والملك والمالك كل واحد لصاحبه أمر وقوت فأمره في سمائه وهو علوّه وقوته في أرضه وهو دنوه، فأنا من أهل الأرض ونحن المخاطبون بهذا الخطاب ليس غيرنا ولهذا كان القرآن منزلاً والنزول لا يكون إلا من علوّ كما العروج لا يكون إلا إلى علوّ:

فمـن سفـل إلـى علـو عـروج ومـن علـو إلـى سفـل نـزول
وكـل جـاء فـي التنـزيـل فينـا فهمـا قلـت فـانظـر مـا تقـول

ولما لم يكن في الكون إلا علة ومعلول علمنا أن الأقوات العلوية والسفلية أدوية لإزالة أمراض ولا مرض إلا الافتقار، فكل من في السموات ومن في الأرض آتى الرحمن عبداً، والسماء والأرض أتيا إلى الرحمن طائعين، وكل عبد فقير لسيده، وخادم القوم سيدهم لقيامه بمصالحهم، والعبد هو من يقوم في خدمة سيده لبقاء حقيقة العبودة عليه، والسيد يقوم بمصالح عبيده لبقاء اسم السيادة عليه، فلو فنى الملك فنى اسم المالك من حيث ما هو مالك، وإن بقيت العين فتبقى مسلوبة الحكم لأنه لا فائدة للأشياء لا بأحكامها لا بأعيانها، ولا تكون أحكامها إلا بأعيانها فأعيانها مفتقرة إلى أحكامها، وأحكامها مفتقرة إلى أعيانها، وأعيان من تحكم فيهم فماثم إلا حكم وعين فما ثم إلا مفتقر ومفتقر إليه، ولله الأمر جميعاً يعلم ما تكسب كل نفس، فأتى بكل وهي حرف شمول فشملت كل نفس فما تركت شيئاً في هذا الوضع، وسيعلم الكافر الذي ستر عنه هذا العلم في الحياة الدنيا لمن

Marfat.com

عقبى الدار في الدار الآخرة حيث ينكشف الغطاء عن الأعين، فيعلم من كان يجهل ويفضل عليه من علمه هنا في الحياة الدنيا وهم أهل البشرى، وكل من تحقق أمراً كان بحسب ما تحققه:

مـن قـدر القـوت فقـد قـدرا   والقوت ما اختص بحال الورى
بـل حكمـه سـار فقـد عمنـا   ونفسـه فـانظـر تـرى مـا تـرى
كـل تغـذى فيـه قـام فـي   وجـوده حقـاً بغيـر افتـرا

فقوت القوت الذي يتقوّت به هو استعماله، فالمستعمل قوت له لأنه ما يصح أن يكون قوتاً إلا إذا تقوّت به، فاعلم من قوتك ومن أنت قوته، روينا عن عالم هذا الشأن وهو سهل بن عبد الله التستري أنه رضي الله عنه سئل عن القوت فقال: الله، فقيل له: عن الغذاء نسألك فقال: الله لغلبة الحال عليه، فإن الأحوال هي ألسنة الطائفة وهي الأذواق، فنبهه السائل على ما قدر ما أعطاه حاله في ذلك الوقت فقال: يا سهل إنما أسألك عن قوت الأجسام أو الأشباح، فعلم سهل أن السائل جهل ما أراده سهل فتنزل إليه في الجواب بنفس آخر غير النفس الأول، وعلم أنه رضي الله عنه جهل حال السائل كما جهل السائل جوابه فقال له سهل: مالك ولها يعني الأشباح دع الديار إلى بانيها إن شاء خربها وإن شاء عمرها، فما زال سهل عن جوابه الأول لكن في صورة أخرى وعمارة الدار بساكنها، فالقوت الله كما قال أول مرة إلا أن السائل قنع بالجواب الثاني لنزوله من النص إلى الظاهر، وهكذا أكثر أجوبة العارفين إذا كانوا في الحال أجابوا بالنصوص، وإذا كانوا في المقام أجابوا بالظواهر فهم بحسب أوقاتهم، وهذا القدر من التنبيه على شرف هذه الحضرة كافٍ إن شاء الله، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حضرة الاكتفاء

إن الحسيـب هـو العليـم بمـا لنـا   وبمـا لـه فـالكـل فـي الحسبـان
لـو تعلمـون بمـا أقـول وصـدقنـا   فيـه وفـي الأكـوان والإنسـان
إنـي نطقـت بـه وعنـه وليـس لـي   عيـن تنطقنـي سـوى المحسـان

يدعى صاحبها عبد الحسيب، وأدخلها القائلون بحصر الأسماء في الصفات السبعة في صفة العلم، وقد جاء في مدلول هذه الحضرة الأمر إن الواحد مثاله: ﴿وتحسبهم

Marfat.com

أيقاظاً﴾ وأمثاله والثاني: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ أي به تقع له الكفاية فلا يفتقر إلى أحد سواه، وعند الكشف يعلم المحجوب أن أحداً ما افتقر إلا إلى الله لكن لم يعرفه لتحليه في صور الأسباب التي حجبت الخلائق عن الله تعالى مع كونهم ما شاهدوا إلا الله، ولهذا نبههم لو تنبهوا بقوله تعالى وهو الصادق: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾ لعلمه بفقرهم إليه، فلم يتنبه لهذا القول إلا من فتح الله عين فهمه في القرآن وعلم أنه الصدق والحق الذي ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ فكلام الحق لا يعلمه إلا من سمعه بالحق فإنه:

كــــلام لا يكفيـــــه سمـــــاع ... كـــلام مـــالـــه فينـــا انطبـــاع
فنسمعــــه ونتلــــوه حــــروفـــاً ... بنظـــم لا يـــداخلـــه انصـــداع

فقول الله هذا القول الساري القديم الطارى من سمعه تكلم به ومن لم يسمعه ما سمع إلا هو ولم يتكلم به وما تكلم إلا به، فصاحب الحجاب لا يعلم ذلك إلا بالخبر مثل قول الله: ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ ومثل المصلي إذا قال: سمع الله لمن حمده، وكل من إذا كان فذاً أو إماماً يقول: سمع الله لمن حمده، هذا محل الإجماع، وما كل قائل هذا يعلم أن الله هو القائل إلا إذا سمع هذا الخبر فهذا هو المحجوب، وأما أهل الكشف والوجود فما يحتاجون إلى خبر بل يعلمون من هو السامع والقائل فهم غرقى في بحره لا يرجون موتاً ولا حياة ولا نشورا:

إنـــي أكـــابـــد اللجـــج ... حتـــى أفـــوز بـــالثبـــج
وإنمــــا العلــــم بـــــه ... فـــي مـــوج هـــذه اللجج
والسيـــــف لا أرى لـــــه ... عينـــاً فـدع عنـــك الحجـــج
يـــا حضـــرة قـــد تلفـــت ... فيهـــا النفـــوس والمهـــج
إن الفتـــى كـــل الفتـــى الـــ ... ـــربيـض فـي عيـن السبـج
ومـــا عليـــه فـــي الـــذي ... يلقـــاه فيـــه مـــن حـــرج
مـــن كـــل مـــا يكـــرهـــه ... مـــن قـــد نجـــا ومـــا خـــرج
ومـــا نجـــا منـــه ســـوى ... مـــن مـــات فيـــه فـــدرج
وكـــل مـــا تحـــذره ... مـــــن ذات دل ودعـــــج
فـــلا تخـــف فـــإنهـــا ... نفســـك فـــي ثـــانـــي درج

Marfat.com

وقد كثر الله في خطابه من قوله: ﴿ولا تحسبن﴾ ﴿ولا يحسبن﴾، وعدد أموراً كثيرة هي مذكورة في القرآن يطول إيرادها، وما منها آية فيها: ﴿ولا تحسبن﴾ أو ﴿يحسب﴾ إلا وفيها قوّة الاكتفاء لمن فهم وما يعقلها إلا العالمون من هذه الحضرة يحسب على المتنفس أنفاسه لأنها أنفاس معدودة محصاة عليه إلى أجل مسمى، فلا بد أن يكون كما قلنا ولكن لا بما هي أنفاس وإنما بما تجري فيه إلى أمد معين، وتلك حضرة بين العلم والجهل فهي حضرة التخمين والحدس والظن الذي لم يبلغ مبلغ العلم ولهذا جاء: ﴿وحسبوا أن لا تكون فتنة﴾ وكانت الفتنة فما كان ما حسبوا، وقال في طائفة: ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾ وما أحسنوا صنعاً فهي شبهات في صور أدلة تظهر وليست أدلة في نفس الأمر، فالكيس من يقف عندها ولا يحكم فيها بشيء فإن لها شبهاً بالطرفين، ومن هذه الحضرة نزلت الآيات المتشابهات التي نهينا عن الخوض فيها ونسبنا إلى الزيغ في اتباعها فإن الزيغ ميل إلى أحد الشبهين، وإذا أولت إلى أحد الشبهين فقد صيرتها محكمة وهي متشابهات فعدلت بها عن حقيقتها، وكل من عدل بشيء عن حقيقته فما أعطاه حقه كما أعطاه الله خلقه، والإنسان مأمور بأن يوفى كل ذي حق حقه، ومن هذه الحضرة ظهرت الأعداد في أعيان المعدودات فلما تركب العدد في المعدود تخيل منها ما ليس له حكم في وجود عيني، فهذه الحضرة أعطت كثرة الأسماء لله وهي كلها أسماء حسنى تتضمن المجد والشرف بل هي نص في المجد والشرف، فلهذا قيل فيه أنه تعالى حسيب، والحسيب ذو الحسب الكريم والنسب الشريف، ولا نسب أتم ولا أكمل في الشرف من شرف الشيء بذاته لذاته، ولهذا لما قيل لمحمد ﷺ: أنسب لنا ربك ما نسب الحق نفسه فيما أوحى إليه به إلا لنفسه وتبرأ أن يكون له نسب من غيره فأنزل عليه سورة الإخلاص: ﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾ فعدد ومجد فكانت له عواقب الثناء بما له من التحميد.

ثم أبان أن له الأسماء الحسنى وعين لنا منها ما شاء وأمرنا أن ندعوه بها مع أن له أسماء كل شيء في العالم، فكل اسم في العالم فهو حسن بهذه النسبة، ومن هنا قالوا: أفعال الله كلها حسنة ولا فاعل إلا الله، هكذا حكم الأسماء التي تسمى بها العالم كله، ولا سيما إن قلنا بقول من يقول: إن الإسم هو المسمى، وقد بينا أنه ما ثم وجود إلا الله، وكذلك لو قلنا أن الإسم ليس المسمى لكان مدلول الإسم وجود الحق أيضاً، فعلى كل وجه ليس إلا الحق فمائم وضيع، فالكل ذو حسب صميم ومجد وشرف عميم، وإنما الحسبان

Marfat.com

الذي رمى الله به روضة أحد الرجلين من السماء فأصبحت صعيداً زلقا وأصبح ماؤها غوراً، فكونها أصبحت صعيداً زلقاً أورثها الشرف وبما نعتها به من الزلق أورثها التنزيه والرفعة في الدرجة بما جعلها صعيداً وأزال عنها أنواع المخالفة بما أزال عنها من الشجر، فإن الحسبان كان من السماء، فأعطى مرتبة السمو لمن كان موصوفاً بالأرض وهي الساترة من فيها ولهذا سميت جنة، فما أبرز ما برز منها إلا وجود السماء وهو المطر وجودها بحرارة الشمس، فمن السماء ظهرت زينتها فالسماء كستها بحسبانها والسماء جرّدتها من زينتها بحسبانها، فمن زينتها كثرت أسماؤها بما فيها من صنوف الثمر والأشجار والأزاهر، ومن تجريدها وتنزيهها توحد اسمها وذهبت أسماؤها لذهاب زينتها ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾ وليس الأرض في الاعتبار سوى المسمى خلقاً وليس زينتها سوى المسمى حقاً، فبالحق تزينت وبالحق تنزهت وتجردت عن ملابس العدد وظهرت بصفة الأحد، وهذا كله من هذه الحضرة حضرة الاكتفاء وهو الاسم الإلهي الحسيب، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وهو قوله: ﴿ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾.

حضرة الجلال

إن الجليــل لــه الجــلال الأعظــم ... والجـود والكـرم العميـم الأفخـم
فــإذا تخلــق عبــده بجــلالــه ... تعنـو الـوجـوه لـه ومنـه يعظـم
وهـو الـذي سبـق الجمـال نفاسـة ... فلـه التقـدم والمقـام الأقـدم
ولــه التنــزه فـي المعـارج كلهـا ... ولـه التكـرم والصـراط الأقـوم
يبــدو فيظهــره جمــال وجــوده ... يعلــو فيحجبـه الجـلال المعلـم
بحقيقــة حــوت الحقــائـق كلهـا ... مـا قـد علمـت بـه ومـا لا يعلم
فانهض بها إن كنت تعرف قدرها ... ذوقـاً ولاتـك فـي القيـامـة تندم
لا تفـز عـن لهـا فـأنـت مـن أهلها ... وارحل إلى طلب المعالي تعصم
إن الــذيــن يبــايعــونــك إنهــم ... ليبــايعـون الحـق حقـاً فـاعلمـوا
وافشـوا الـذي جئنـا بـه فـي حقـه ... لا تكتمــوه فــإنــه لا يكتـم
وانظـر إليـه مـن وراء حجـابـه ... تحظـى بـه إن كنـت ممـن يفهـم
إن كنـت مـن أصحـابـه فـي غيبـه ... فـانعـم بـه إن كنـت ممـن ينعـم
مهمـا بنيـت الصـرح أنـت خليفـة ... فـاحـذر إذا قـام البنـا يتهـدم

Marfat.com

إن البنـــاء إذا تقـــوم بـــأمـــره لا يعتـــريـــه تقـــوض وتهـــدم

يدعى صاحب هذه الحضرة عبد الجليل، قال تعالى وجل: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾.

جعـــل الـــرزق والبنـــاء جميعـــاً فـــي سمـــاء ومـــا لهـــا مـــن فـــروج
ثـــم لا بـــد للعبيـــد إليهـــا حيـن يدعـون نحوهـا من عـروج
إنمـــا الخلـــق إن نظـــرتـــم إليهـــم تجـــدوهـــم فـــي أمـــر مـــريـــج
دون علـــم فهـــم حيـــارى سكـــارى فـــي خـــروج إن كـــان أو فـــي ولـــوج

فمن نسبة الجلال إليه له الإسم، ومن حضرة الجلال ظهرت الألوهة وعجز الخلق عن المعرفة بها، ومن هذا الإسم يعلم سرّكم في الأرض لما فيكم من نسبة الباطن وجهركم لما فيكم من نسبة الظاهر لارتفاعكم عن تأثير الأركان، فكل عظيم فهو جليل وكل حقير فهو جليل فهو من الأضداد، وقيل لأبي سعيد الخراز: بم عرفت الله؟ فقال: بجمعه بين الضدين ثم تلا: ﴿هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن﴾ يعني من عين واحدة وفي عين واحدة. ثم نرجع ونقول: ولا أحقر ممن يسأل أن يطعم لإقامة نشأته وإبقاء الحياة الحيوانية عليه، وعلى قدر الاحتقار يكون الافتقار، وأي افتقار أعظم ممن لا يكون له ما يريد إلا بغيره لا بنفسه، ولولا القوابل ما ظهر مجد القادر، لولا جوع العبد ما ادعى فيه السيد، ولولا عين العبد ما كان للجوع حكم، ولما أراد السيد أن يظهر بحكم لا يقوم إلا بعبده فلا بد أن يتعين وجود العبد وهو الذليل، فالمفتقر إليه أشد في الحكم وأولى بالإسم، فما كمل الوجود إلا بهذا الإسم، فما من شيء إلا وله وعليه حكم فثبت الافتقار للحكم سواء حكمت له أو عليه، وما حكم على شيء ولا لشيء إلا عينه، فما جاءه شيء من خارج فما ثم إلا هو، فهو الحاكم والحكم والمحكوم عليه أوله، فتوحدت العين واختلفت النسب كبدل الشيء من الشيء وهما لعين واحدة، وأما عظمة الجليل فمن تأثيره كما أن حقارته من كونه مؤثراً فيه اسم مفعول، وما من شيء إلا مؤثر ومؤثر فيه لا بد من ذلك، فاسم الجليل له حقيقة فيقول العظيم الذي له التأثير للمؤثر فيه الحقير يا جليل، ويقول الحقير الذي تأثر وظهر الأثر فيه للذي له الأثر والتأثير يا جليل بالوجهين من كل قائل ومسمٍ وواصف وناعت، فما رأينا أشبه شيء منه بالصدى، فإنه ما يرد عليك إلا ما تكلمت به، فوضعه الحق لهذا المقام وأمثاله مثالاً مضروباً، فإن الله ما خلق الخلق لعين الخلق وإنما خلقه ضرب

Marfat.com

مثال له سبحانه وتعالى علوّاً كبيراً، ولهذا أوجده على صورته. فهو عظيم بهذا القصد وحقير بكونه موضوعاً، ولا بد من عارف ومعروف، فلا بد من خلق وحق وليس كمال الوجود إلا بهما فظهر كمال الوجود في الدنيا.

ثم ينتقل الأمر إلى الأخرى على أتم الوجوه وأكملها عموماً في الظاهر كما عمت في الدنيا في الباطن، فهي في الآخرة في الظاهر والباطن، فلا بد أن تكون الآخرة تطلب حشر الأجساد وظهورها، ولا بد من إمضاء حكم التكوين فيهما، فهي في الدنيا في العموم تقول للشيء كن فيكون في تصوّرها وتخيلها، لأن موطن الدنيا ينقص في بعض الأمزجة عن إمضاء عين التكوين في العين في الظاهر، وفي الآخرة تقول ذلك بعينه لما يريد أن يكون كن فيكون في عينه من خارج كوجود الأكوان هنا عن كن الإلهية عند أسبابها، فكانت الآخرة أعظم كمالاً من هذا الوجه لتعميم الكلمة الحضرتين الخيال والحس:

فلـــلأولـــى هـــو الســـرّ ولـــلآخـــر الجهـــر
فمـــن آمـــن بـــالكـــل فقـــد بـــان لـــه الأمـــر

وما ثم حضرة في الحضرات الإلهية من يكون عنها النقيضان في العين الواحدة إلا هذه الحضرة فهي العامة الجامعة التي تضمنت الأسماء كلها حسنها وسيئها، والجلال من صفات الوجه فله البقاء دائماً، وهو من أدل دليل على أن كل ما في الدنيا والآخرة بلا شك ومما في الدنيا ما لا خفاء به وهي الأجسام الطبيعية التي من شأنها أن تأكل وتشرب وتستحيل مأكلها ومشروبها بحسب أمزجتها، ففي الجنة يستحيل ما يأكله أهلها عرقاً يخرج من أعراضها أطيب من ريح المسك قال تعالى: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ فقال قائل: بأي نسبة يكون له هذا البقاء؟ فقال ذو الجلال والإكرام فرفع بنعت الوجه فلو خفض نعت الرب وكان النعت بالجلال وله النقيضان فيبقى الوجه الذي له النقيضان ولا يفنى، وإنما يفنى ما كان على هذه الأرض فناء انتقال في الجوهر وفناء عدم في الصورة، فيظهر مثل الصورة لا عينها في الجوهر الباقي الذي هو عجب الذنب الذي تقوم عليه نشأة الآخرة، فيبقى حكم الوجه المنعوت بالجلال ويتبعه اسمه حيث كان، فللاسم البقاء كما كان البقاء للمسمى به، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حضرة الكرم

إن الكـــريـــم الـــذي يعطـــي إذا سئـــلا ولـــو تـــراه فقيـــراً للـــذي ســـألا

Marfat.com

وليس يبرح من إذلال نشأته بما يعز ولو محبوبه وصلا
ولا أحاشي من الأعيان من أحد إلا الغني الذي يعطي إذا سئلا
وذاك للأدب المعتاد أنسبه فإنه مانع ولا تقل بخلا
سبحانه وتعالى إن يحيط به علم الخلائق عيناً حل أو رحلا
فإن يحل ففي قلبي منازله وإن أقام أراه فيه مرتحلا
وليس ينقصه مما يحيط به إلا إذا قيل شهر اللّه قد كملا
إن القرآن في آياته عجب آباره تقتضي الأزمان والأزلا

يدعى صاحب هذه الحضرة عبد الكريم وهو يتبع الجليل ويلازمه، قال تعالى: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ وقال تعالى: ﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾ وإنما تبعه من حيث ما يعطيه وضع الجلال، ولما كان يعطي النقيضين جاء بالإكرام على الوجهين، فإن السامع إذا أخذ الجلال على العظمة أدركه القنوط لعدم الوصول إلى من له العظمة، لما يرى نفسه عليه من الاحتقار والبعد عن التفات ما يعطيه مقام العظمة إليه، فأزال الله عن وهمه ذلك الذي تخيله بقوله: ﴿والإكرام﴾ أي وإن كانت له العظمة فإنه يكرم خلقه وينظر إليهم بجوده وكرمه نزولاً منه من هذه العظمة، فلما سمع القانط ذلك عظم في نفسه أكثر مما كان عنده أولاً من عظمته، وذلك لأن عظمته الأولى التي كان يعظم بها الحق كانت لعين الحق عن انكسار من العبد وذلة، فلما وصف الحق نفسه بأنه يكرم عباده بنزوله إليهم حصل في نفس المخلوق إن الله ما اعتنى به هذه العناية إلا وللمخلوق في نفس هذا العظيم ذي الجلال تعظيم فرأى نفسه معظماً، فلذلك زاد في تعظيم الحق في نفسه إيثاراً لجنابه لاعتناء الحق به على عظمته، فزاد الحق بالكرم تعظيماً في نفس هذا العبد أعظم من العظمة الأولى، هذا إذا أخذ الجلال وحمله على العظمة، فإن أخذه السامع وحمله على نقيض العظمة فإنه يحصل أيضاً في نفسه القنوط لأنه حقير، وقد استند إلى مثله فمن أين يأتيه من تكون له منه رفعة والذي استند إليه جليل فيقول له لسان الصفة ومع هذا فإنه ذو إكرام، والدليل على أنه ذو إكرام امتنانه عليك بوجودك ولم تكن شيئاً موجوداً ولا مذكوراً فلولا كرمه لبقيت في العدم، فكرامته بك في إعطائه الوجود إياك أعز من كرامته بك بعد وجودك بما يمنحك به من نيل أغراضك، فيتنبه هذا الناظر في هذا الإسم وحمله على نقيض العظمة ويقول صحيح ما قال من أكرمني بالوجود الخيّر وحال بيني وبين

Marfat.com

الشرّ المحض وهو العدم لا بدّ أن يكون قادراً على إيجاد ما يسرّني، ودعه يكون في نفسه ما كان، إنما الغرض أن يكون له الاقتدار على تكوين ما أريده منه، وما جعل عنده هذا إلا قوله: ﴿والإكرام﴾.

وانظر إلى قول النبيّ ﷺ وما أعجبه في نهيه أن يقال عن العنب الكرم وغيرته ﷺ على هذا الإسم ثم قال: فإن الكرم قلب المؤمن فإن قلبت المؤمن وجدت الحق في قلبك إياه فإنّ الله يقول: «وسعني قلب عبدي المؤمن» والحق باطن المؤمن وهو قلب الظاهر، والحق هنا هو الكريم لأن القلب هو الكرم فهو محل الكرم، وجاء بالإسم الكريم على هذه البنية لكونها تقتضي الفاعل والمفعول فهو تعالى كريم بما وهب وأعطى وجاد وامتن به من جزيل الهبات والمنح، وهو مكرم ومتكرم عليه بما طلب من القرض فأقرض العبد ربه عن أمره بما عبده خلقه لأنه ما خلقهم إلا ليعبدوه، وجعل لهم الاختيار فلما جعل لهم الاختيار الذي أداهم ذلك إلى البعد عما خلقوا له من العبادة، ولما علم الحق ذلك ظهر في صورة كل شيء وأخبر عباده بذلك فقال: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ ولا بد لكل مخلوق من التولي إلى أمر ما، وقال الحق تعالى في ذلك الذي توليت إليه و[وتوجهت] أعدمهم بذلك إلا ليتصفوا بصفة الكرم على الله بتوليهم، لأنهم لو لم يعلموا ذلك بإعلامه مع وجود الاختيار الذي يعطي التفوق في الأشياء لتخيلوا أنهم قد خرجوا عن حكم ما خلقوا له من التكرم على ربهم بعبادتهم إياه، فربما كانوا يجدون في نفوسهم ذلك حرجاً حيث خالفوا ما خلقوا له مع كرمه بهم بإيجادهم، فأزال الله عنهم ذلك الحرج كرماً منه واعتناء بهم بقوله: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ فانطلقوا في اختيارهم إذا علموا أنهم حيث تولوا ما ثم إلا وجه الله، فوقفوا على علم ما خلقوا له، وقد كانوا قبل هذا يتخيلون أنهم يتبعون أهواءهم والآن قد علموا أن أهواءهم فيها وجه الحق، ولهذا جاء بالإسم الله لأنه الجامع لكل اسم فقال: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ وذلك الأين يعين بحقيقته اسماً خاصاً من أسماء الله، فللّه الإحاطة بالأينيات بأحكام مختلفة لأسماء إلهية مختلفة تجمعها عين واحدة، فمن كرمه قبول كرم عباده فقبل عطاياهم قرضاً وصدقة، فوصف نفسه بالجوع والظمأ والمرض ليتكرم عليه في صورة ذلك الكون الذي الحق وجهه بالعيادة والإطعام والسقي والكرم على الحاجة أعظم وقوعاً في نفس المتكرم عليه من الكرم على غير حاجة، لأنه مع الحاجة ينظره إحساناً مجرداً يثمر له الشكر ولا بد، والشكر يثمر الزيادة من العطاء والكرم وعلى غير الحاجة من المتكرّم عليه يظهر له الحال الذي هو عليه وجوهاً من التأويل قد يخرجه من نظره أنه أحسن إليه فربما

Marfat.com

يتخيل فيه أمراً يرد به، فلهذا أنزل الحق إلى عباده في طلب الكرم منهم إلى الظهور بصفة الحاجة ليعلمهم أنه ما ينظر في أعطياتهم إلا الإحسان مجرّداً، فهي بشرى من الله جاءت منه إلى عباده من قوله: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾ وهذه منها، فهذا اسم الكريم من حضرة الكرم فبكرمه تكرّمت عليه كما قرّرنا، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حضرة المراقبة

إن الرقيب لزيم حيثما كان لذاك يحفظ أعياناً وأكوانا
وقتاً يكون على ذات مصرّفة عن أمره كان ذاك الأمر ما كانا
وليس يخفى عليه من مراقبه شيء وإن جل ذاك الأمر أو هانا

يدعى صاحبها عبد الرقيب، وليس في الحضرات من يعطي التنبيه على أن الحق معنا بذاته في قوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ إلا هذا الإسم الرقيب وهذه الحضرة لأنه على الحقيقة من الرُقبى والرقبى أن تملك رقبة الشيء بخلاف العمرى فإذا ملكت رقبة الشيء تبعته صفاته كلها وما ينسب إليه بخلاف الصفة لأنك إذا ملكت صفة ما لا يلزم أن تملك جميع الصفات، وإذا ملكت الموصوف فبالضرورة تملك جميع الصفات لأنها لا تقول بأنفسها وإنما تطلب الموصوف ولا تجده إلا عندك فتملكها عند ذلك فهي كالحبالة للصائد، فأما ملكه إياك فمعلوم بما تعطيه حقيقتك، وأما ملكك إياه فبقوله: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ ووجه الشيء ذاته وحقيقته، والرقيب اسم فاعل على كل شيء وهو المرقب عليه فإنه المشهود لكل شيء فيرقب العبد في جميع حركاته وسكناته، ويرقبه العبد في جميع آثاره في قلبه وخواطره وحركاته وحركات ما خرج عنه من العالم، فلا يزال صاحب هذه الحضرة في مزيد علم إلهيّ أبداً، علم ذات ينجرّ معه علم صفات ونعوت وأسماء ونسب وأحكام، ولا بد لهذا الإسم من حكم الإحاطة حتى يصح شمول المراقبة، ولما كانت المراقبة تقتضي الاستفادة والحفظ حذراً من الوقائع فالعلم قوله: ﴿حتى نعلم﴾ فإذا ابتلاه راقبه حتى يرى ما يفعل فيما ابتلاه به لأنه ما ابتلاه ابتداء وإنما ابتلاه لدعواه لأنه قال لهم: ﴿ألست بربكم فقالوا بلى﴾ فادعوا فابتلاهم ليرى صدق دعواهم، ولقد رحم الله عباده حين أشهدهم على أنفسهم بما قبضهم وقرّرهم عليه من كونه ربهم وما أشهدهم على توحيده، ويصدق المقرّ بالملك لمن له فيه شقص فجعل لهم الانفساح من أجل ما علم من

Marfat.com

يشرك من عباده الشرك المحمود والمذموم، فغير المذموم شرك الأسباب فإن القائلين بها أكثر العباد مع كونهم لا يعتقدون فيها إلا أنها موضوعة من عند الله، والمذموم من الشرك أن يجعل المشرك مع الله إلهاً آخر من واحد فما زاد ولذلك قال من قال من المشركين: ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب﴾ فقوله: ﴿إن هذا لشيء عجاب﴾ عندنا هو قول الله، وقوله: ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً﴾ حكاية الله لنا عن المشرك أنه قال هكذا إما لفظاً وإما معنى، فقال الله عند قولهم ذلك: ﴿إن هذا لشيء عجاب﴾ حيث جعلوا الإله الواحد آلهة وخصوص وصفة أنه إله وبه يتميز فلا يتكثر بما به يتميز، ويشهد لهذا النظر قولهم فيما حكى الله عنهم: ﴿ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى﴾ فعصم الله هذا الاسم الله أن يقع فيه اشتراك فهم يعلمون أنهم نصبوهم آلهة، ولهذا وقع الذمّ عليهم بقوله: ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾ والإله من له الخلق والأمر من قبل ومن بعد.

وأما لطفه بهمْ في هذا الإشهاد فهو القبض والقبض يقتضي القهر فما أقروا به إلا مع القهر، فالمشرك منهم أقرّ على كره فلما تخيلوا أنهم قد خرجوا من القبضة لجهلهم بما هو الأمر عليه قالوا بالشركة، فإذا قيل لهم في ذلك احتجوا بما كانوا عليه من القبض فيعذرون في دعواهم أنهم ما ادّعوا ذلك إلا جبراً لا اختياراً والحكم في الأشياء للأحوال، فمن راقب أحواله علم من أين صدر، فلا يخلو هذا المراقب إما أن يكون ميزان الشريعة بيده فإنه يرى بعين إيمانه إن كان من أهل الإيمان، أو بعين شهوده إن كان من أهل الشهود، ومن لم يكن له إحدى هذين العينين فهو أعمى، فيرى الحق والميزان بيده يخفض ويرفع فيقتدي بربه ويتأسى وما عنده إلا ميزان ما شرع له لا يلتفت مع الإيمان إلى ميزان عقله فيزن ما يرد عليه من الأحوال من جانب ربه فيخفض ويرفع ويزيد في الناقص وينقص من الزائد فيأخذ من عباده بالعدل ويعطي بالفضل، فلا يزال ما دام هذا الميزان بيده معصوماً في مراقبته، ويصح عنده أنه عند الاسم الرقيب لأنه قد تحقق بنعته بسيده، فأسعد العبيد من يراقب سيده مراقبة سيده إياه، فيراقب الحق مراقبة عبده لمن يراقب فيكون معه بحيث يرى منه، ومن ملك المراقبة كان له التصريف كيف شاء في المراقب فإن الله مع عبده حيث كان:

هكــــذا الأمــــر فــــاعتبــــر ... واحفــــظ الســــرّ وازدجــــر
إنمــــا الأمــــر مثــــل مــــا ... قلتــــه فيــــه فــــافتكــــر

فالعبد وإن كان مقيداً بالشرع فإن الشرع قد جعله مسرح العين في تصرّفه ويحمده

Marfat.com

الميزان ويذمه، والمراقب معه أينما كان من محمود ومذموم فإذا كان العبد هو المراقب ولا يرى الحق مجرّداً عن الخلق تجريد تنزيه وتقديس أبداً لأنه لا تصح هناك مراقبة، فلا بدّ أن يراه في الخلق في حضرة الأفعال فيكون المراقب وهو العبد حيث كان الحق من خلقه لأنه في الخلق يشهده فينظر ما يقتضيه ذلك الأثر في ذلك الخلق المعين فيزنه بالميزان الموضوع ويكون معه بحسب ما يعطيه ميزان الحق فينظر أيّ اسم إلهيّ يكون له الحكم في ذلك الأمر الموزون فيتوجه إليه باسم إلهيّ يكون عليه هذا المراقب الذي هو العبد كان ما كان من الأسماء الإلهية، فإن كان يقتضي ما لا يوافق غرضه ولا يلائم مزاجه ولا يحمده شرعه سأل رفع ذلك الحكم منه إن كان نظره شرعاً بالتوبة والمغفرة، وإن كان ذا غرض سأل الموافقة، وإن كان ممن يقول بالملائمة سأل الأصلح والأولى طبعاً فهو بحسب ما يكون عليه في حاله:

فمن ملك الرقبى فقد ملك الكلا ... ومن ملك الكل يصح له الجزء
فلا تعم عن إدراك كل مراقب ... فقد بانت الأسرار إذ أخرج الخبء
فإن الرقيب الحق في كل حالة ... لديه قبول الحال إن شاء والدرء
فمن راقب الحق الرقيب بعينه ... فذاك الرقيب الحق والمثل والكفء
فللخلق أحكام إذا هي حققت ... يكون له منها الإعادة والبدء
ويظهر في الحق الذي قلت مثل ما ... يضاف إلى المخلوق في كونه النشء
دليلي حدوث الصور في كل ناظر ... إليه وما في كل ما قلته هزء

حضرة الإجابة

كن مجيباً إذا الإله دعاكا ... وسميعاً لما دعاك مطيعا
واحفظ السرّ لا تكن يا وليي ... للذي حصكم بذاك مذيعا
فإذا ما دعاك في حق شخص ... كن مجيباً لما دعاك سميعا
لا تكن كالذي أتاه حريصا ... فإذا ما استفاد كان مضيعا
كل من ضاعت الأمور لديه ... إنه قد أتى حديثاً شنيعا

يدعى صاحبها عبد المجيب وتسمى حضرة الانفعال، فإن صاحب هذه الحضرة أبداً لا يزال منفعلاً وهو قولهم في المقولات أن ينفعل، وهذا حكم ما يثبت عقلاً وإنما يثبت

Marfat.com

شرعاً فلا يقبل إلا بصفة الإيمان وبنوره يظهر وبعينه يدرك، قال تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾ يعني منكم ولا أقرب من نسبة الانفعال، فإن الخلق منفعل بالذات والحق منفعل هنا عن منفعل فإنه مجيب عن سؤال ودعاء ﴿أجيب دعوة الداعي﴾ وهو الموجب للإجابة ﴿إذا دعاني فليستجيبوا لي﴾ إذا دعوتهم، وما دعاهم إليه إلا بلسان الشرع فما دعاهم إلا بهم فإنه تلبس بالرسول فقال: ﴿من أطاع الرسول فقد أطاع الله﴾ فقرّر أنه ما جاء منه إلا به فما فارقه ولا شاهد الخلق المبعوث إليهم إلا الرسول، فظاهره خلق وباطنه حق كما قال في البيعة: ﴿إنما يبايعون الله﴾ وما في الكون إلا فاعل ومنفعل فالفاعل حق وهو قوله: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ والفاعل خلق وهو قوله: ﴿فنعم أجر العاملين﴾ ﴿واعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾ والمنفعل خلق وهو معلوم، وخلق في حق وهو الإجابة، وحق في خلق وهو ما انطوت عليه العقائد في الله من أنه كذا وكذا وخلق في خلق وهو ما تفعله الهمم في المخلوقات من حركات وسكون واجتماع وافتراق.

ثم اعلم أن الإجابة على نوعين: إجابة امتثال وهي إجابة الخلق لما دعاه إليه الحق، وإجابة امتنان وهي إجابة الحق لما دعاه إليه الخلق، فإجابة الخلق معقولة، وإجابة الحق منقولة لكونه تعالى أخبر بها عن نفسه، وأما اتصافه بالقرب في الإجابة فهو اتصافه بأنه أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد، فشبه قربه من عبده قرب الإنسان من نفسه إذا دعا نفسه لأمر ما تفعله فتفعله، فما بين الدعاء والإجابة الذي هو السماع زمان بل زمان الدعاء زمان الإجابة، فقرب الحق من أجابة عبده قرب العبد من إجابة نفسه إذا دعاها، ثم ما يدعوها إليه يشبه في الحال ما يدعو العبد ربه إليه في حاجة مخصوصة فقد يفعل له ذلك وقد لا يفعل كذلك دعاء العبد نفسه إلى أمر ما، قد تفعل ذلك الأمر الذي دعاها إليه وقد لا تفعل لأمر عارض يعرض له، وإنما وقع هذا الشبه لكونه مخلوقاً على الصورة وهو أنه وصف نفسه في أشياء بالتردد، وهذا معنى التوقف في الإجابة فيما دعا الحق نفسه إليه فيما يفعله في هذا العبد، وقد ثبت هذا في قبضه نسمة المؤمن فإن المؤمن يكره الموت، والله يكره مساءة المؤمن فقال عن نفسه سبحانه: «ما تردّدت في شيء أنا فاعله تردّدي» فأثبت لنفسه التردد في أشياء ثم جعل المفاضلة في التردّد الإلهي فقال تعالى: «تردّدي في قبض نسمة المؤمن» الحديث، فهذا مثل من يدعو نفسه لأمر ما ثم يتردّد فيه حتى يكون منه أحد ما يتردّد فيه.

والدعاء على نوعين: دعاء بلسان نطق وقول ودعاء بلسان حال، فدعاء القول يكون من الحق ومن الخلق، ودعاء الحال يكون من الخلق ولا يكون من الحق إلا بوجه بعيد.

Marfat.com

والإجابة للدعاء بلسان الحال على نوعين: إجابة امتنان على الداعي وإجابة امتنان على المدعوّ، فأما امتنانه على الداعي فقضاء حاجته التي دعاه فيها وامتنانه على المدعوّ فإنه بها يظهر سلطانه بقضاء حاجته فيما دعاه إليه، وللمخلوق في قبوله ما يظهر فيه الاقتدار الإلهي رائحة امتنان، ولهذه القوّة الموجودة منّ من منّ على رسول الله ﷺ بالإسلام فقال تعالى تأنيساً له: ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ ثم أمره أن يقول لهم فقال يا محمد ﴿قل لا تمنوا عليّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾ فتلك المنة الواقعة منهم إنما هي على الله لا على رسوله ﷺ فإنهم ما انقادوا إلا إلى الله لأن الرسول ما دعاهم إلى نفسه وإنما دعاهم إلى الله فقوله لهم: ﴿إن كنتم صادقين﴾ يعني في إيمانكم بما جئت به، فإنه مما جئت به أن الهداية بيد الله يهدي بها من يشاء من عباده لا بيد المخلوق.

ثم أن النبي ﷺ أبان عما ذكرنا من أن لهم رائحة في الامتنان: «أما والله لو شئتم أن تقولوا لقلتم» وذكر نصرة الأنصار وكونهم أووه حين طرده قومه، وأطاعوه حين عصوه قومه، فأشبهوا فيما كان منهم بما قرّره رسول الله ﷺ من ذلك قوله تعالى لنبيه: ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى﴾ ولما كانت النعم محبوبة لذاتها وكان الغالب حب المنعم حتى قالت طائفة: إن شكر المنعم واجب عقلاً جعل الله التحدث بالنعم شكراً فإذا سمع المحتاج ذكر المنعم مال إليه بالطبع وأحبه فأمره أن يتحدث بنعم الله عليه فقال: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ حتى يبلغ القاصي والداني، وقال في الإنسان: ﴿فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل﴾ يعني في العلم ﴿فلا تنهر﴾ ومن هذا الأمر ذكر أهل الله ما أنعم الله به عليهم من المعارف والعلم به والكرامات، فإن النعم ظاهرة وباطنة وقد أسبغها على عباده كما قال: ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ فهذا بعض ما يعطيه هذه الحضرة من الانفعال، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حضرة السعة

إنمـــا الــــواســـع الــــذي ... وســـــع الكـــــل خلقـــــه
فـــإذا مـــا خــــلا بنـــا ... نـــــازع الحـــق خلقـــــه
وزهـــا بـــالـــذي بـــــدا ... مـــن سنـــا الشمـــس أفقـــه
فهــــي فينـــا بنــــورهـــا ... وأنـــــا فيـــــه حقـــــه

يدعى صاحبها عبد الواسع، قالت الملائكة: ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً﴾

Marfat.com

فقدمت الرحمة على العلم لأنه أحب أن يعرف والمحب يطلب الرحمة به، فكان مقام المحب الإلهي أول مرحوم، فخلق الخلق وهو نفس الرحمن، وقال: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ فعم بكل كل مرحوم وما ثم إلا مرحوم، ومن كان علمه بالشيء ذوقاً وكان حاله فإنه يعلم ما فيه وما يقتضيه من الحكم، وقد قال الترجمان ﷺ: «**إن المؤمن لا يكمل حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» وقد علمنا أن له الكمال وأنه المؤمن وأن العالم على صورته فقد ثبتت الأخوة بالصورة والإيمان لأنه ما ثم إلا قائل به مؤمن مصدق بوجوده، فإنه ما من شيء إلا يسبّح بحمده وما من شيء إلا وسعته رحمته كما وسعه تسبيحه وحمده، فهو الواسع لكل شيء، ولهذا الاتساع هو لا يكرّر شيئاً في الوجود، فإن الممكنات لا نهاية لها، فأمثال توجد دنيا وآخرة على الدوام وأحوال تظهر ﴿وقد وسع كرسيه﴾ وهو علمه ﴿السموات والأرض﴾ ووسعت رحمته علمه والسموات والأرض وما ثم إلا سماء وأرض فإنه ما ثم إلا أعلى وأسفل ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ فلا أعلا بعده، ولو دليتم بحبل لهبط على الله فلا أنزل منه وما بينهما فينزل إلى العلو الأدنى وهو السماء الأولى من جهتنا فإنها السماء الدنيا أي القريبة إلينا، وما نزل ليعذب ويشقى بل يقول: هل من داعٍ فأستجيب له؟ هل من سائل فأعطيه؟ وما يخلو شيء من سؤال بخير في حق نفسه هل من تائب فأتوب عليه؟ وما من شيء إلا ويرجع في ضرورته إن انقطعت به الأسباب إليه، هل من مستغفر فأغفر له؟ وما من شيء إلا وهو مستغفر في أكثر أوقاته لمن هو إله، ولم يقل أنه ينزل ليعذب عباده الذين نزل في حقهم، ومن كان هذا نعته وعذب فعذابه رحمة بالمعذب وتطهير كعذاب الدواء للعليل فيعذبه الطبيب رحمة به لا للتشفي ثم اتساع العطاء فإنه أعطى الوجود أولاً وهو الخير الخالص، ثم لم يزل يعطي ما يستحقه الموجود مما به قوامه وصلاحه كان ما كان فهو صلاح في حقه، ولهذا أضاف العارف به المترجم عنه كلمة الحضرة ولسان المقام الإلهي رسوله ﷺ الخير إليه فقال: «**والخير كله في يديك**» ونفى الشر أن يضاف إليه فقال: «**والشر ليس إليك**». وقد بينا أنه ما ثم معطٍ إلا الله فما ثم إلا الخير سواء سر أم ساء، فالسرور هو المطلوب وقد لا يجيء إلا بعد إساءة، لما يقتضيه مزاج التركيب وقبول المحل لعوارض تعرض في الوجود وكل عارض زائل، ولهذا يسمى بالمعطي والمانع والضارّ والنافع، فعطاؤه كله نفع، غير أن المحل في وقت يجد الألم لبعض الأعطيات فلا يدرك لذة العطاء فيتضرّر بذلك العطاء ولا يعلم ما فيه من النفع الإلهي فيسميه ضاراً من أجل ذلك العطاء، وما علم أن ذلك من مزاج القابل لا من العطاء.

Marfat.com

ألا ترى الأشياء النافعة لأمزجة ما كيف تضرّ بأمزجة غيرها؟ قال الله في العسل إنه شفاء للناس: «فجاء رجل لرسول الله ﷺ فقال له: إن أخي استطلق بطنه فقال: اسقه عسلاً فزاد استطلاقه فرجع فأخبره فقال: اسقه عسلاً فزاد استطلاقه، وما علم هذا الرجل ما علمه رسول الله ﷺ من ذلك فإنه كان في المحل فضلات مضرّة لا يمكن إخراجها إلا بشرب العسل فإذا زالت عنه أعقبته العافية والشفاء فلما رجع إليه قال له: يا رسول الله سقيته عسلاً فزاد استطلاقه فقال: صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلاً في الثالثة فسقاه فبرىء» فإنه استوى خروج الفضلات المضرة، وكالذي يغلب على العضو الحامل للطعم المرة الصفراء فيجد العسل مراً فيقول: العسل مر فكذب المحل في إضافة المرارة إلى العسل لأنه جهل أن المرة الصفراء هي المباشرة لعضو الطعم فأدرك المرارة فهو صادق في الذوق والوجدان كاذب في الإضافة، فالقوابل أبداً هي التي لها الحكم فما من الله إلا الخير المحض كله، فمن اتساع رحمته أنها وسعت الضرر فلا بد من حكمه في المضرور، فالضرر في الرحمة ما هو ضرر وإنما هو أمر خير بدليل أنه بعينه إذا قام بالمزاج الموافق له التذ به وتنعم وهو هو ليس غيره، فالأشياء إلى الله إنما تضاف إليه من حيث أنها أعيان موجودة عنه، ثم حكم الالتذاذ بها أو غير الالتذاذ إنما هو راجع إلى القابل، ولو علم الناس نسبة الغضب إلى الله لعلموا أن الرحمة تسع الكل، فإن القادر على إزالة الألم عن نفسه لا يتركه فقامت الأحوال من الخلق والمواطن للحق مقام المزاج للحيوان، فيقال في الحق أنه يغضب إذا أغضبه العبد ويرضى إذا أرضاه العبد فحال العبد والموطن يرضي الحق ويغضبه، كالمزاج للحيوان يلتذ بالأمر الذي كان بالمزاج الآخر يتألم به فهو بحسب المزاج كما هو الحق بحسب الحال والمواطن، ألا ترى في نزوله إلى السماء الدنيا ما يقول فإنه نزول رحمة يقتضيها الموطن، وإذا جاء يوم القيامة يقتضي المواطن أنه يجيء للفصل والقضاء بين العباد لأنه موطن يجمع الظالم والمظلوم وموطن الحكم والخصومات، فالحكم للمواطن والأحوال في الحق، والحكم في التألم والالتذاذ والتلذذ للمزاج ﴿إن ربك واسع المغفرة﴾ أي واسع الستر، فما من شيء إلا وهو مستور بوجوده وهو الستر العام، فإنه لو لم يكن ستر لم يقل عن الله هو ولا قال أنت فإنه ما ثم إلا عين واحدة فأين المخاطب أو الغائب؟ فلهذا قلنا في الوجود أنه الستر العام ثم الستر الآخر بالملائم وعدم الملائم فهو واسع المغفرة وهي حضرة إسبال الستور، وقد تقدم الكلام عليها في هذا الباب ثم قال: ﴿هو أعلم بمن اتقى﴾ والستر وقاية والغفران هو الستر، فالعبد يتقي بالستر ألم البرد والحر إذا علم من

Marfat.com

مزاجه قبول ألم الحر والبرد، فإن الحر والبرد ما جاء إلا لمصالح العالم ليغذي النبات الذي هو رزق العالم فيبرزه لينتفع به فيكون جسم الحيوان على استعداد يتضرر به فيقول: إني تأذيت بالحر والبرد، وإذا رجع مع نفسه لما قصد بهما بحسب ما يعطيه الفصول علم أنه ما جاء إلا لنفعه فتضرّر بما به ينتفع والغفلة أو الجهل سبب هذا كله، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الحكيم * حضرة الحكمة

إن الحكيم الذي ميزانه أبدا ... بالرفع والخفض منعوت وموصوف
يرتب الأمر ترتيباً يريك به ... علماً وفيه إذا فكرت تعريف
بأنه اللّه فرد لا شريك له ... في ملكه وله في الخلق تصريف
ميزانه الحق لا خسران يلحقه ... ولا يقوم به في الوزن تطفيف

يدعى صاحبها عبد الحكيم. قال الله تعالى: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ وما كثرة الله لا تدخله قلة، كما أن ما عظم الله ما يدخله احتقار، وامتن على داود بأن آتاه الحكمة وفصل الخطاب وهو من الحكمة، فإنه لفصل الخطاب موطن يعطي الحكمة لصاحبها أن لا يظهر منه في ذلك الموطن إلا فصل الخطاب، وهو الإيجاز في البيان في موطنه لسامع خاص لذي حال خاص، والإسهاب في البيان في موطنه لسامع خاص ذي حال خاص، ومراعاة الأدنى أولى من مراعاة الأعلى، فإن ذلك من الحكمة، فإن الخطاب للإفهام، فإذا كرر المتكلم الكلام ثلاث مرات حتى يفهم عنه كما كان كلام رسول الله ﷺ فيما يبلغه عن الله للناس يراعى الأدنى ما يراعي من فهم من أول مرّة، فيزيد صاحب الفهم في التكرار أموراً لم تكن عنده أفادها إياه التكرار، والأدنى الذي لم يفهم فهم الأوّل فهم بالتكرار ما فهمه الأوّل بالقول الأول. ألا ترى العالم الفهم المراقب أحواله يتلو المحفوظ عنده من القرآن فيجد في كل تلاوة معنى لم يجده في التلاوة الأولى، والحروف المتلوة هي بعينها ما زاد فيها شيء ولا نقص، وإنما الموطن والحال تجدّد ولا بد من تجدده، فإن زمان التلاوة الأولى ما هو زمان التلاوة الثانية فافهم، فتعطي هذه الحضرة علم الترتيب، وإعطاء كل شيء حقه وإنزاله منزلته، فيعلم العبد المراقب أن الله هو واضع الأشياء وهو الحكيم، فما وضع شيئاً إلا في موضعه، ولا أنزله إلا منزلته، فلا تعترض على الله فيما رتبه من الكائنات

Marfat.com

في العالم في كل وقت، ولا يرجع نظره وفكره على حكمة ربه فيقول: لو كان كذا في هذا الوقت لكان أحسن في النظم من الترتيب فما أخطأ إلا في قوله في هذا الوقت لا في قوله لو كان كذا لكان أحسن، فلما غابت عنه حكمة الوقت تخيل أن ذلك الذي هو أحسن أن هذا الوقت يقتضيه وهذا نظر عقلي، فإن الأزمنة لكل ممكن على نسبة واحدة، فليس زمان لشيء بأولى من زمان آخر، ولكن أين فائدة المرجح إلا علمه بالزمان وما يقتضيه لأنه خالق الزمان، وما هذا الناظر خالق الزمان فهو يعلم ما خلق، فما رتب فيه إلا ما استحقه بخلقه فإنه أعطى كل شيء خلقه، فالحكيم من حكمته الحكمة فصرّفته لا من حكم الحكمة فإنه من حكم الحكمة له المشيئة فيها، ومن حكمته الحكمة فهي المصرّفة له، وإذا قامت الصفة بالموصوف أعطته حكمها عطاء واجباً قال تعالى: ﴿ما يبدل القول لدي﴾ فالحكم للقول وذلك ليس إلا لله أو لرجل متحقق بالله قد طالع القول الإلهي.

ومن هنا تعلم ما هو النسخ، فإن مفهوم النسخ في القائلين به رفع الحكم بحكم آخر كان ما كان من أحكام الشرع، فإن السكوت من الشارع في أمر ما حكم على ذلك المسكوت عنه فما ثم إلا حكم فهو تبديل، وقد قال تعالى: ﴿ما يبدل القول لدي﴾ فما ثم نسخ على هذا القول، ولو كان ثم نسخ لكان من الحكمة، وصورته أن الزمان إذا اختلف اختلف الحكم بلا شك، فالنسخ ثابت أبداً لأن الاختلاف واقع أبداً، فالحكمة تثبت النسخ والحكمة ترفع النسخ ولكن في مواطن معينة تطلبها لذاتها فيوفيها الحكيم ما تستحقه من ذلك، فالحكيم من قامت به الحكمة فكان الحكم لها به كما كان الحكم له بها فهو عينها وهي عينه، فالحكمة عين الحاكم عين المحكوم به عين المحكوم عليه، فالحكمة علم خاص وإن عمت، والفرق بينها وبين العلم أن الحكمة لها الجعل والعلم ليس كذلك، لأن العلم يتبع المعلوم والحكمة تحكم في الأمر أن يكون هكذا، فيثبت الترتيب في أعيان الممكنات في حال ثبوتها بحكمة الحكيم، لأنه ما من ممكن يضاف إلى ممكن إلا ويمكن إضافته إلى ممكن آخر لنفسه، لكن الحكمة اقتضت بحكمها أن ترتبه كما هو بزمانه وحاله في حال ثبوته، وهذا هو العلم الذي انفرد به الحق تعالى وجهل منه وظهر به الحكم في ترتيب أعيان الممكنات في حال ثبوتها قبل وجودها، فتعلق ها العلم الإلهي بحسب ما رتبها الحكيم عليه، فالحكمة أفادت الممكن ما هو عليه من الترتيب الذي يجوز خلافه، والترتيب أعطى العالم العلم بأن الأمر كذا هو، فلا يوجد إلا بحسب ما هو عليه من الثبوت الذي هو ترتيب الحكيم عن حكم الحكمة، فقد بان لك الفرقان بين العلم والحكمة فما

Marfat.com

يبدل القول لديه فإنه ما يقول إلا ما رتبته الحكمة، كما أنه ما علم إلا ما رتبته الحكمة فيقول للشيء: ﴿كن فيكون﴾ بالحال الذي هو عليه كان ما كان.

فمن هذه القوّة يقول الناظر في الأمر: لو كان كذا لجوازه عنده فإذا علم حكمة الله يقول بأنه يجهل حكمة الله في هذا الوضع الذي يقتضي في نظري لو كان خلافه لكان أحسن لكن لله فيه علم لا أعرفه وصدق، ومن الناس من يفتح له في سر ذلك الترتيب، ومن الناس من لا يعلم ذلك إلا بعدما يقع حكمه في الوجود، فيعلم عند ذلك حكمة ذلك الأمر ويعلم جهله بالمصالح وهذا كثير، اتفاقه في العالم يكون الشخص يتسخط بالأمر الذي لا يوافق غرضه ولا نظره، وينسب مثلاً الحاكم به إلى الجور فإذا ظهرت منفعة ذلك الحكم الذي تسخطت به عاد المتسخط يحمد الله ويشكر ذلك الحكم والحاكم على ما فعل حيث رفع الله به ذلك الشرّ العظيم الذي لو لم يكن هذا الحكم لوقع بالمحكوم عليه ذلك الشرّ وهذا يجري كثيراً، فغاية العارفين أنهم يعلمون بالجملة أن الظاهر في الوجود والواقع إنما هو في قبضه الحكمة الإلهية، فيزول عنه التسخط والضجر ويقوم به التسليم والتفويض إلى الله في جميع الأمور كما جاء: ﴿وأفوّض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد﴾، هذا هو حكم الحكمة لمن عقل عن الله، ومثل هذا الشخص قد استعجل النعيم فإنه يتفرح، وإذا كان هذا حاله فإن الله في أغلب الأحوال يطلعه في سرّه على حكمه الواقع في الحال الذي لا يرضى به العباد، فإنه كل ما وقع به الرضى فقد علمت حكمته فإنه يراها الراضي موافقة لغرضه، وإنما يقع النزاع والجهل فيما لا يوافق الغرض ولا الترتيب الوهمي، فإن العقل لا يعطي صاحبه في الواقع إلا الوقوف فإنه لا يدري ممن صدر، وإنما الوهم الذي هو على صورة العقل له ذلك النظر المرجح، وحاشا العقل أن يرجح على الله ما لم يرجحه الله، وما رجح الله إلا الواقع فأوقع ما أوقع حكمة منه، وأمسك ما أمسك حكمة منه ﴿وهو الحكيم العليم﴾ فالعارف عنده الحكيم يتقدم العليم والعامي يقدم العليم ثم الحكيم وقد ورد الأمران معاً، فالحكيم خصوص والعليم عموم، ولذلك ما كل عليم حكيم وكل حكيم عليم فالحكمة الخير الكثير:

فهـي الخيـر الكثيـر ... وهـي البـدر المنيـر
تختفـي وقتـاً وتبـدو ... هكـذا قـال الخبيـر
فبهـا خفـت علينـا ... وبهـا كـان الظهـور

Marfat.com

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. انتهى السفر الثاني والثلاثون بانتهاء حضرة الحكمة لعبد الحكيم والحمد لله وحده.

الوداد * حضرة الود

بسم الله الرحمٰن الرحيم

وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم

ألا إن الوداد هو الثبات ... على حال يزعزعه الشتات
ويجمعنا وإياه مقام ... إذا تبدو على الوجه السمات
بواد لا أنيس به وأرض ... تزينها الأزاهر والنبات
أزاهره البنون إذا تراهم ... على كرسيه وكذا البنات
إذا خافوا يؤمنهم صباح ... وليس يخيفهم إلا البيات

يدعى صاحبها عبد الودود. قال الله تعالى في أصحاب هذه الحضرة: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ وقال: ﴿فاتبعوني يحببكم الله﴾ وفي الحديث الصحيح: «إذا أحب الله عبده كان سمعه وبصره ويده ورجله» وقواه ثابتة له لا تزول، وإن كان أعمى أخرس فالصفة موجودة خلف حجاب العمى والخرس والطرش فهو ثابت المحبة من كونها وداً، فإن هذه الصفة لها أربعة أحوال لكل حال اسم تعرف به وهي: الهوى والود والحب والعشق، فأوّل سقوطه في القلب وحصوله يسمى هوى من هوى النجم إذا سقط، ثم الود وهو ثباته، ثم الحب وهو صفاؤه وخلاصه من إرادته فهو مع إرادة محبوبه، ثم العشق وهو التفافه بالقلب مأخوذ من العشقة اللبلابة المشوكة التي تلتف على شجرة العنبة وأمثالها، فهو يلتف بقلب المحب حتى يعميه عن النظر إلى غير محبوبه (تنبيه) وكيف لا يحب الصانع صنعته ونحن مصنوعاته بلا شك فإنه خالقنا وخالق أرزاقنا ومصالحنا أوحى الله إلى بعض أنبيائه: يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي فلا تهتك ما خلقت من أجلي فيما خلقت من أجلك. يا ابن آدم إني وحقي لك محب فبحقي عليك كن لي محباً والصنعة مظهرة علم الصانع لها بالذات واقتداره وجماله وعظمته وكبرياءه، فإن لم يكن فعلى من وفيمن وبمن؟ فلا بد منا ولا بد من حبه فينا فهو بنا ونحن به كما قال ﷺ في ثنائه على ربه: «فإنما نحن به وله» وهذه حضرة العطف والديمومة:

Marfat.com

فلولا الحب ما عرف الوداد ... ولولا الفقر ما عبد الجواد
فنحن به ونحن له جميعاً ... فمن ودي عليه الاعتماد
إذا شاء الإله وجود عين ... بها قد شاءها فمضى العناد
فكنا عندكن من غير بطء ... ونعت الكون ذاك المستفاد
فعين الحب عين الكون منه ... وعينه وأظهره الوداد

فلم يزل يحب فلم يزل ودوداً، فهو يوجد دائماً في حقنا، فهو ﴿كل يوم في شأن﴾ ولا معنى للوداد إلا هذا، فنحن بلسان الحال والمقال لا نزل نقول له: افعل كذا افعل كذا، ولا يزال هو تعالى يفعل ومن فعله فينا نقول له: افعل أترى هذا فعل مكره ولا مكره له تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً بل هذا حكم الاسم الودود منه، فإنه الغفور الودود ذو العرش المجيد الذي استوى عليه بالإسم الرحمن، فإنه ما رحم إلا صبابة المحب وهي رقة الشوق إلى لقاء المحبوب، ولا يلقاه إلا بصفته وصفته الوجود فأعطاه الوجود، ولو كان عنده أكمل من ذلك ما بخل به عليه كما قال الإمام أبو حامد في هذا المقام: ولو كان وادّخره لكان بخلاً ينافي الجود وعجزاً يناقض القدرة، فأخبر تعالى أنه الغفور الودود أي الثابت المحبة في غيبه، فإنه عز وجلّ يرانا فيرى محبوبه فله الابتهاج به والعالم كله إنسان واحد هو المحبوب، وأشخاص العالم أعضاء ذلك الإنسان، وما وصف المحبوب بمحبة محبه وإنما جعله محبوباً لا غير.

ثم إن من رزقه أن يحبه كحبه إياه أعطاه الشهود ونعمه بشهوده في صور الأشياء، فالمحبون له من العالم بمنزلة إنسان العين من العين، فالإنسان وإن كان ذا أعضاء كثيرة فما يشهد ويرى منه إلا العينان خاصة فالعين بمنزلة المحبين من العالم، فأعطى الشهود لمحبيه لما علم حبهم فيه وهو عنده علم ذوق ففعل مع محبيه فعله مع نفسه، وليس إلا الشهود في حال الوجود الذي هو محبوب للمحبوب ﴿فما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه﴾ فما خلقهم من بين الخلق إلا لمحبته، فإنه ما يعبده ويتذلل إليه إلا محب، وما عدا الإنسان فهو مسبح بحمده لأنه ما شهده فيحبه، فما تجلى لأحد من خلقه في اسمه الجميل إلا للإنسان وفي الإنسان في علمي فلذا ما فنى وهام في حبه بكليته إلا في ربه أو فيمن كان مجلى ربه، فأعين العالم المحبون منه كان المحبوب ما كان، فإن جميع المخلوقين منصات تجلي الحق، فودادهم ثابت فهم الأوداء وهو الودود والأمر مستور بين الحق والخلق بالخلق والحق،

Marfat.com

ولهذا أتى مع الودود الإسم الغفور لأجل الستر فقيل: قيس أحب ليلى فليلى عن المجلي، وكذلك بشر أحب هنداً وكثير أحب عزة، وابن الدريح أحب لبنى، وتوبة أحب الأخيلية، وجميل أحب بثينة، وهؤلاء كلهم منصات تجلي الحق لهم عليها وإن جهلوا من أحبوه بالأسماء، فإن الإنسان قد يرى شخصاً فيحبه ولا يعرف من هو ولا يعرف اسمه ولا إلى من ينتسب ولا منزله، ويعطيه الحب بذاته أن يبحث عن اسمه ومنزله حتى يلازمه ويعرفه في حال غيبته باسمه ونسبه فيسأل عنه إذا فقد مشاهدته، وهكذا حبنا الله تعالى نحبه في مجاليه.

وفي هذا الاسم الخاص الذي هو ليلى ولبنى أو من كان ولا نعرف أنه عين الحق فهنا نحب الاسم ولا نعرف أنه عين الحق، فهنا نحب الاسم ولا نعرف العين، وفي المخلوق تعرف العين وتحب وقد لا يعرف الإسم ويأبى الحب إلا التعريف به أي بالمحبوب، فمنا من يعرفه في الدنيا ومنا من لا يعرفه حتى يموت محباً في أمر ما فينقدح له عند كشف الغطاء أنه ما أحب إلا الله وحجبه اسم المخلوق كما عبد المخلوق هنا من عبده، وما عبد إلا الله من حيث لا يدري، ويسمي معبوده بمناة والعزى واللات، فإذا مات وانكشف الغطاء علم أنه ما عبد إلاالله فالله يقول: ﴿وقضى ربك﴾ أي حكم ﴿أن لا تعبدوا إلا إياه﴾ وكذلك كان عابد الوثن لولا ما اعتقد فيه الولهة بوجه ما عبده إلا إنه بالستر المسدل في قوله تعالى: ﴿الغفور الودود﴾ لم يعرفه وليس إلا الأسماء ولذلك قال المعبود الحقيقي في نفس الأمر لما أضافوا عبادتهم إلى المجالي والمنصات: قل سموهم فإذا سموهم عرفوهم وإذا عرفوهم عرفوا الفرق بين الله وبين من سموه كما تعرف المنصة من المتجلي فيها فتقول هذه مجلس هذا فيفرّق:

فهكـــذا الأمـــر إن عقلنـــا ... فـــإن تكـــن فيـــه كنـــت أنتـــا
منصـــة الحـــق أنـــت حقـــاً ... فـــأنـــت مـــا أنـــت حيـــن أنتـــا
فقـــد ملكـــت الـــذي أردنـــا ... وقـــد علمـــت الـــذي عبـــدنـــا
فليـــس ليلـــى وليـــس لبنـــى ... ســـوى الـــذي أنـــت قـــد علمتـــا
إن كنـــت فـــي حبـــه بصيـــرا ... تشهـــده منـــك أنـــت أنتـــا
فمـــا أحـــب المحـــب غيـــرا ... ســـواه فـــالكـــل أنـــت أنتـــا

فما أعجب القرآن في مناسبة الأسماء بالأحوال ﴿فهو الغفور الودود ذو العرش

Marfat.com

المجيد فعال لما يريد﴾ فهو المحب وهو فعال لما يريد، فهو المحبوب لأن المحبوب فعال لما يريد بمحبوبه، والمحب سامع مطيع مهيء لما يريد به محبوبه لأنه المحب الودود أي الثابت على لوازم المحبة وشروطها والعين واحدة، فإن الودود هنا هو الفعال لما يريد، فانظر في هذا التنبيه الإلهي ما أعجبه ﴿وقل رب زدني علماً﴾ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

المجد * حضرة المجد

يدعى صاحبها عبد المجيد والقرآن المجيد وهو كلامه تعالى فهو عينه:

حضـــرة المجـــد والشـــرف ... حضـــرة الـــزهـــو والصلـــف
فـــذووا مجـــدنـــا فمـــن ... بحـــرهـــا الكـــل يغتـــرف
فـــإذا مـــا تمجـــدت ... عينـــه قـــام ينصـــرف
لقصـــور لـــه بهـــا ... خـــادم العـــز قـــد وقـــف
فتحلـــى بحليـــة ... وهبتـــه حكـــم النصـــف
وهبتـــه نصيفهـــا ... وبـــه قـــام فـــالتحـــف
نحـــن للجـــوهـــر المكـــ ... ـــون فـــي عيننـــا صـــدف

إذا قال المصلي: ﴿ملك يوم الدين﴾ يقول الحق: مجدني عبدي أي جعل لي الشرف عليه كما هو الأمر في نفسه، فانظر إلى هذا الاعتراف وهو الحق الذي له المجد بالأصالة والكلام كلامه بلا خلاف فإنه القرآن، وقال عن نفسه أنه يقول عند ﴿ملك يوم الدين﴾ مجدني عبدي وهو تنبيه إلهي من الله على أن الأمر إضافي، فإنه إذا لم يكن هناك من يشرف عليه كوناً ثابتاً أو عيناً كائنة فعلى من يشرف ويتمجد فما أعطاه المجد إلا وجود العبد، فما قال الحق في قوله مجدني عبدي إلا حقاً:

فلـــو زلنـــا لـــزال المجـــد عنـــه ... فتمجيـــدي لـــه المجـــد التليـــد
تـــولـــد عـــن وجـــود القـــول منـــي ... كـــذا قـــال الإلـــه لـــي المجيـــد
وقلنـــاه بعلـــم واعتقـــاد ... فجـــاء لشكـــرنـــا منـــه المـــزيـــد
فكـــان هـــو المـــراد بعيـــن قـــولـــي ... كمـــا قـــد كـــان فـــي الأصـــل المـــريـــد
لـــه حكـــم التحكـــم فـــي وجـــودي ... هـــو الفعـــال فينـــا مـــا يـــريـــد

Marfat.com

وليس يريد إلا كل ما لا وجود له فحقق ما أريد
فليس يريد عيني حال كوني فكون الكائنات هو الوجود
فقد شهدت إرادته عليه بأن مراده أبداً فقيد

فلما قال: مجدني عبدي عند قول المصلي: ﴿ملك يوم الدين﴾ علمنا أنه قال: أعطاني عبدي المجد والشرف على العالم في الدنيا والآخرة لأني جازيت العالم على أعمالهم في الدنيا والآخرة، فيوم الدين هو يوم الجزاء، فإن الحدود ما شرعت في الشرائع إلا جزاء، وما أصابت المصائب من إصابته إلا جزاء بما كسبت يده مع كونه يعفو عن كثير، قال تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ وكذلك ما ظهر من الفتن والخراب والحروب والطاعون فهو كله جزاء بأعمال عملوها استحقوا بذلك ما ظهر من الفساد في البرّ من خسف وغير ذلك وقحط ووباء وقتل وأسر، وكذلك في البحر مثل هذامع غرق وتجرّع غصص لزعزع ريح مثلفة قال تعالى: ﴿ظهر الفساد﴾ وهو ما ذكرناه ومن جنس ما قرّرناه ﴿في البرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس﴾ أي بما عملوا ﴿لنذيقهم بعض الذي عملوا﴾ وهذا عين الجزاء وهو في الدنيا هو، فيوم الدنيا يوم الجزاء ويوم الآخرة هو يوم الجزاء غير أنه في الآخرة أشد وأعظم لأنه لا ينتج أجراً لمن أصيب، وقد ينتج في الدنيا أجراً لمن أصيب وقد لا ينتج، فهذا هو الفرقان بين يوم الدنيا ويوم الآخرة، وقد تعقب المصيبة لمن قامت به توبة مقبولة، وقد يكون في الدنيا حكم يوم الآخرة في عدم قبول التوبة وهو قوله في طلوع الشمس من مغربها أنه لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، فلا ينفع عمل العامل مع كونه في الدنيا فأشبه الآخرة، وكذلك أيضاً المصاب في الدنيا تكفر عنه مصيبته من الخطايا ما يعلم الله ومصيبة الآخرة لا تكفر، وقد يكون هذا الحكم في يوم الدنيا فأشبه الآخرة أيضاً وهو قوله في حق المحاربين الذين يحاربون الله ورسوله من قتلهم وصلبهم وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ونفيهم من مواطنهم ﴿وذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ على تلك المحاربة والفساد جزاء لهم، فما كفر عنهم ما أصابهم في الدنيا من البلاء.

فانظر ما أحكم القرآن وما فيه من العلوم لمن رزق الفهم فيه، فكل ما هم فيه العلماء بالله ما هو إلا فهمهم في القرآن خاصة فإنه الوحي المعصوم المقطوع بصدقه ﴿الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه﴾ فتصدقه الكتب المنزلة قبله ﴿ولا من خلفه﴾ ولا ينزل بعده ما يكذبه

Marfat.com

ويبطله فهو حق ثابت، وكل تنزل سواه في هذه الأمة وقبلها في الأمم فيمكن أن يأتيه الباطل من بين يديه فيعثر صاحبه على آية أو خبر صحيح يبطل له ما كان يعتمد عليه من تنزيله وهو قول الجنيد، علمنا هذا مقيد بالكتا، والسنة أن يشهدا له بذلك بأنه حق من عند الله ويأتيه من خلفه أي لا يعلم في الوقت بطلانه لكن قد يعلمه فيما بعد فهو نظير قوله في القرآن ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ فأي مجد أعظم من هذا المجد الذي اعترف به العبد لربه بأن شهد له بأنه الملك في يوم الدين والخلق ملكه الذي تظهر فيه أحكامه؟

ثم أنه قد علمنا بالخبر الصدق أن أعمال العباد ترجع عليهم فلا بد أن يرجع عليهم هذا المجد الذي مجدوا الحق به فيكون لهم في الآخرة المجد الطريف والتليد، فرجوع أعمالهم عليهم اقتضته حقيقة قوله: ﴿وإليه يرجع الأمر كله﴾ بعدما كانت الدعاوى الكيانية قد أخذته وأضافته إلى الخلق، فمن رجوع الأمر كله إليه رجعت أعمال العباد عليهم فالعبد بحسب ما عمل، فهو المقدس إن كان عمله تقديس الحق، وهو المنزه بتنزيهه والمعظم بتعظيمه، ولما لحظ من لحظ من أهل الكشف هذه الرجعة عليه قال سبحاني فأعاد التنزيه عليه لفظاً كما عاد عليه حكماً، وكما قال الآخر في مثل هذا: أنا الله فإنه ما عبد إلا ما اعتقده، وما اعتقد إلا ما أوجده في نفسه، فما عبد إلا مجعولاً مثله فقال عندما رأى هذه الحقيقة من الاشتراك في الخلق قال: أنا الله فأعذره الحق ولم يؤاخذه فإنه ما قال إلا على كما قال من أخذه الله تعالى: ﴿نكال الآخرة والأولى﴾ وأما من قاله بحق أي من قال ذلك والحق لسانه وسمعه وبصره فذلك دون صاحب هذا المقام، فمقام الذي قال أنا الله من حيث اعتقاده أتم ممن قالها بحق فإنه ما قالها إلا بعد استشرافه على ذلك فعلم من عبد والفضل في العلم يكون، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الحياء * حضرة الحياء

إن الحيـــاء لبـــاب اللّـــه مفتـــاح   وإن ســـرّي لـــذاك الفتـــح فتـــاح
فـإن فتحـت تـرى نـوراً يضـيء بـه   وجـه جميـل عـلاه النـور وضـاح
كـأنـه فـي ظـلام الليـل إن نظـرت   عينـاك صـورتـه صبـح ومصبـاح

يدعى صاحبها عبد الحيّ أو عبد المستحيي. ورد في الخبر: «أن الله حيّ» لكن

Marfat.com

للحياء موطن خاص فإن الله قد قال في الموطن الذي لا حكم للحياء فيه: ﴿إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة﴾ أي لا يترك ضرب المثل بالأدنى والأحقر عند الجاهل فإنه ما هو حقير عند الله، وكيف يكون حقيراً من هو عين الدلالة على الله فيعظم الدليل بعظمة مدلوله، ثم إن رسول الله ﷺ نطق من هذه الحضرة بقوله: «**الحياء من الإيمان والإيمان نصف صبر ونصف شكر والله هو الصبور الشكور**» ومن هذه الحضرة من اسمه المؤمن شكر عباده على ما أنعموا به على الأسماء الإلهية بقبولهم لآثارها فيهم وصبر على أذى من جهله من عباده، فنسب إليه ما لا يليق به، ونسبوا إليه عدواً بغير علم كما أخبرنا عنهم فصبر على ذلك، ولا شخص أصبر على أذى من الله لاقتداره على الأخذ، فهو المؤمن الكامل في إيمانه بكمال صبره وشكره، ومن أعجب شكره أنه شكر عباده على ما هو منه، ثم أنه تعالى من حيائه أنه يؤتى بشيخ يوم القيامة فيسأله ويقرّره على هناته وزلاته فينكرها كلها فيصدقه ويأمر به إلى الجنة، فإذا قيل له سبحانه في ذلك يقول: إني استحييت أن أكذب شيبته، فأما تصديقه من كون الحياء من الإيمان وهو المؤمن فإنه صدق من قبوله لما خلق الله فيه من المعاصي والذنوب، وكل ما خلق الله فيه لولا قبوله ما نفذ الاقتدار فيه، وأما قوله ﷺ وهو الحياء لا يأتي إلا بخير والله حي فأتاه من حيائه بخير، وأي خير أعظم من أن يستر عليه ولم يفضحه وغفر له وتجاوز عنه، وأن العبد إذا قامت به هذه الصفات الإلهية فمن هذه الحضرة تأتيه ومنها يقبلها، فإنه لكونه على الصورة الإلهية يقبل من كل حضرة إلهية ما تعطيه لأن لها وجهاً إلى الحق ووجهاً إلى العبد، وكذلك كل حضرة تضاف إلى العبد مما يقول العلماء فيها تضاف إلى العبد بطريق الاستحقاق والأصالة وإن كنا لا نقول بذلك، فإن لكل حضرة منها أيضاً وجهين: وجهاً إلى الحق ووجهاً إلى العبد، فانتظم الأمر بين الله وبين خلقه واشتبه فظهر في ذلك الحق بصفة الخلق وظهر الخلق بصفة الحق، ووافق شنّ طبقة فضمه واعتنقه ﴿والله غني عن العالمين﴾ فظهر في ذلك التعانق والتوافق لام الألف فكان ذلك العقد والرباط وأخذ العهود والعقود بين الله وبين عباده فقال تعالى: ﴿وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم﴾ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

السخي * حضرة السخاء

إن السخـي هـو الـذي يعطـي علـى ... قـدر الـذي يحتـاجـه المخلـوق
لا زائـد فيـه ولا نقـص لـذا ... قـد عينـت فيـه عليـه حقـوق

Marfat.com

ليس السخي الذي يعطي مجازفة ... إن السخي الذي يعطي على قدر
وليس نعت الذي كان الوجود به ... لكنه من نعوت الخلق والبشر
وإنما سقته للّه حين أتت ... به النصوص التي جاءتك في الخبر
فكن به عالماً فمن حقيقته ... أن لا يقوم به شيء من الغير
فإن صورته في طيّ صورتنا ... وإن سورته تربى على السور

يدعى صاحبها عبد السخي، وهي من حضرات العطاء والسخاء العطاء بقدر ما يحتاج إليه المعطى إياه، فلا يكون إلا عن سؤال إما بلسان حال أو بلسان مقال، وإذا كان بلسان المقال فلا بد من لسان الحال وإلا فليس بمحتاج، وحضرات العطاء كثيرة منها الوهب والجود والكرم والسخاء والإيثار وهو عطاء الفتوة، وقد بيناه في هذا الكتاب في باب الفتوة، وفي كتاب مواقع النجوم في عضو اليد الذي ألفناه بالمرية من بلاد الأندلس سنة خمس وتسعين وخمسمائة عن أمر إلهي وهو كتاب شريف يعني عن الشيخ في تربية المريد، ثم نرجع فنقول: الوهب في العطاء هو لمجرد الإنعام وهو الذي لا يقترن به طلب معارضة ﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً﴾ فهو موصل أمانة كانت بيده، والكرم عطاء بعد سؤال، والجود عطاء قبل السؤال، والسخاء عطاء بقدر الحاجة، والإيثار عطاؤك ما أنت محتاج إليه في الحال وهو الأفضل، وفي الاستقبال وهو دون المعطي في الحال، ولكل عطاء اسم إلهي إلا الإيثار فالله تعالى وهاب كريم جواد سخي، ولا يقال فيه عز وجل مؤثر، وقد قررنا أنه عالم بكل شيء فكيف يكون السخاء عطاء عن سؤال بلسان الحال وهو القائل عز وجلّ: ﴿أعطى كل شيء خلقه﴾ فما ترك لمخلوق ما يحتاج إليه من حيث ما هو مخلوق تام.

فاعلم أن ثم تماماً وكمالاً، فالتمام إعطاء كل شيء خلقه وهذا لا سؤال فيه ولا يلزم إعطاء الكمال ويتصوّر السؤال والطلب في حصول الكمال فإنها مرتبة، والمرتبة إذا أوجدها الحق في العبد أعطاها خلقها وما هي من تمام المعطي إياه ولكنها من كماله، وكل إنسان وطالب محتاج إلى كمال أي إلى مرتبة ولكن لا يتعين فإنه مؤهل بالذات لمراتب مختلفة، ولا بد أن يكون على مرتبة ما من المراتب فيقوم في نفسه أن يسأل الله في أن يعطيه غير المرتبة لما هو عليه من الأهلية لها فيتصور السؤال في الكمال وهو مما يحتاج إليه السائل في نيل غرضه، فإنه من تمام خلق الغرض أن يوجد له متعلقة الذي يكون به كماله، فإن

Marfat.com

تمامه تعلقه بمتعلق ما وقد وجد، فإن أعطاه الله ما سأله بالغرض فقد أعطاه ما يحتاج إليه الغرض وذلك هو السخاء فإن السخاء عطاء على قدر الحاجة، وقد يعطيه الله ابتداء من غير سؤال نطق، لكن وجود الأهلية في المعطي إياه سؤال بالحال كما تقول: إن كل إنسان مستعد لقبول استعداد ما يكون به نبياً ورسولاً وخليفة وولياً ومؤمناً لكنه سوقة وعدوّ وكافر، وهذه كلها مراتب يكون فيها كمال العبد ونقصه، قال ﷺ: «**كمل من الرجال كثيرون ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون**» وكل شخص ما عدا هؤلاء مستعدّ بإنسانيته لقبول ما يكون له به هذا الكمال، فبالأهلية هو محتاج إليه وللحرمان وجد السؤال بالحال فحضرة السخاء فيها روائح من حضرة الحكمة، فإن الله عز وجلّ ما منع إلا لحكمة ولا أعطى إلا لحكمة، وهو الحكيم العليم في المنع والعطاء، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الطيب * حضرة الطيب

طـابـت بطيـب الطيـب الأشيـاء	ولـذا لـه الأوصـاف والأسمـاء
أسمـاؤه الحسنى التـي قـد عينـت	مـا عنـدهـا سـوء ولا أسـواء
مـا طيـب الطيـب إلا كـون خـالقنـا	سميتـه طيبـاً وفيـه إجمـال
مـن ذاقـه ذاق طعـم الشهـد فيـه كمـا	مـن لـم يـذق مـالـه علـم ولا حـال
إن قـال مـا هـو هـذا العلـم قلـت لـه	إن الشيـوخ بهـذا القـول قـد قـالـوا
ولا تـرد الـذي قـالـوه أن لـه	وجهـاً صحيحـاً إليـه القـوم قـد مـالـوا
مـا طيـب الـذكـر إلا طيـب نشـأتنـا	فـي صـورة الحـق والأعمـال أمـوال

يدعى صاحبها عبد الطيب، فالطيب من يميز الخبيث من الطيب فيجعل ﴿الطيبين للطيبات والطيبات للطيبين﴾ من كونه طيباً ويجعل ﴿الخبيثين للخبيثات والخبيثات للخبيثين﴾ من كونه حكيماً فإنه هو الجاعل للأشياء والمميز بين الأشياء والأحكام، فيجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم فلا تزال أمه هاوية دائماً، وعليون للطيبين فلا يزال يعلو دائماً، وكل عالٍ وكل هاوٍ إنما يطلب ربه، فالهاوي عارف بربه في جهة خاصة تلقاها من الرسول لما سمعه يقول: «لو دليتم بحبل لهبط على الله» وهنا سرّ لو بحثت عليه ظفرت به، فاقتضى مزاج الخبيث واستعداده أنه لا يطلب ربه إلا من هذه الجهة وهو الخبيث وجهنم البعيدة القعر فهو يهوي فيها يطلب ما ذكرناه، والطيب الصاعد عارف

Marfat.com

ربه في جهة خاصة تلقاها من الرسول لما سمعه يقول عن الله ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ قتضى مزاج الطيب واستعداده أنه لا يطلب ربه إلا من هذه الجهة وهو الطيب والعلوّ لا نهاية له إلا الله كما الهوى لا نهاية له إلا الله، والذي لا يتقيد بصفة كأبي يزيد يطلبه في لإحاطة بجميع الجهات الست لأنه ﴿بكل شيء محيط﴾ فيطلبه في العلوّ والهوى واليمين الشمال والخلف والأمام، وكل هذا الجهات فهي عين الإنسان ما ظهرت إلا به وفيه، فهو ذي حدر به بالإحاطة فأكمل الأناسي من لم يحكم عليه جهة دون جهة ودونه من حكمت ليه جهة خاصة، فالكامل له الظهور في كل صورة، وغير الكامل هو بما تقيد به بها، قوله: لا صفة له يعني لا تقييد له بأمر خاص بل له العموم بالظهور فإنه ما يمكن أن يخلو علوم عن حدّ في نفسه، وأعلا الحدود الإطلاق وهو تقييد فإنه قد تميز بإطلاقه عن المقيد ماتميز مقيد عن مقيد، فالخلق وإن كان له السريان في الحق فهو محدود بالسريان، والحق إن كان له السريان في الخلق فهو محدود بالسريان، وهذا كان مذهب أبي مدين رحمه الله، وكان ينبه على هذا المقام بقوله الأمي العامي: سرّ الحياة سري في الموجودات كلها تجمدت به الجمادات ونبتت به النباتات وحييت به الحيوانات، فكل نطق في تسبيحه حمده لسر سريان الحياة فيه، فهو وإن كان رحمه الله ناقص العبارة لكونه لم يعط فتوح لعبارة فإنه قارب الأمر ففهم عنه مقصوده، وإن كان ما وفاه ما يستحقه المقام من الترجمة عنه، فهذا معنى الطيب وأنه من أسماء التقييد، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

المحسان * حضرة الإحسان

حضـــرة المحســـان إحســـان	وهـــو فـــي التحقيـــق إنســـان
ولـــذا مـــن الشهـــور لـــه	مـــا يقـــال فيـــه نيســـان
إذا رأيـت الـذي بـالفعـل تعبـده	فـأنـت صـاحـب إحسـان وإيمـان
وإن جهلـت ولـم تعلـم بـرؤيتكـم	إيـاه فـاعمـل علـى إحسـانـه الثـانـي
وإنمـا جمـع الـرحمـن بينهمـا	لكـي يقـابـل إحسـانـاً بـإحسـان
والكـل مـن عنـده إن كنـت تعـرفـه	ولسـت أعـرفـه إلا أن أغنـانـي
طـال انتظـاري لمـا يـأتيـه مـن قبلـي	قـولاً وفعـلاً وهـذا الأمـر أعيـانـي

يدعى صاحبها عبد المحسن، وإن شئت عبد المحسان. قال جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ: «ما الإحسان؟ فقال رسول الله ﷺ: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إن

Marfat.com

لا تراه فإنه يراك» وفي رواية: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» فأمره أن يخيله ويحضره في خياله على قدر علمه به فيكون محصوراً له وقال تعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ فمن علم قوله: «أن الله خلق آدم على صورته» وعلم قوله عليه الصلاة والسلام: «من عرف نفسه عرف ربه» وعلم قوله تعالى: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ وقوله: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ علم بالضرورة أنه إذا رأى نفسه هذه الرؤية فقد رأى ربه بجزاء الإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه إلا الأحسان وهو أنك تراه حقيقة كما أريته نفسك، فالصورة الأولى الإلهية في العبادة مجعولة للعبد من جعله فهو الذي أقامها نشأة يعبدها عن أمره عز وجلّ له بذلك الإنشاء، فجزاؤه أن يراه حقيقة جزاء وفاقاً في الصورة التي يقتضيها موطن ذلك الشهود، كما اقتضى تجليه في الصورة الإلهية المجعولة من العبد في موطن العبادة والتكليف، فإن الصور تتنوّع بتنوّع المواطن والأحوال والاعتقادات من المواطن، فلكل عبد حال ولكل حال موطن، فبحاله يقول في ربه ما يجده في عقده، وبموطن ذلك الحال يتجلى له الحق في صورة اعتقاده والحق كل ذلك والحق وراء ذلك، فينكر ويعرف وينزه ويوصف، وعن كل ما ينسب إليه يتوقف، فحضرة الإحسان رؤية وشهود، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الدهر * حضرة الدهر

الـــدهـــر عيـــن الـــزمـــان	ومــــا لـــــديـــــه أمــــان
فـــإن يكـــن عيـــن قلبـــي	فليـــــس إلا العيـــــان
إذا كـان دهـري عيـن ربـي فـإنـه	قـديـم ومـا دهـري يحـد بـأزمـان
ومـــا سبـــه إلا جهـــول بقـــدره	ذليـــل فقيـــر ذو جفـــاء ونقصـــان
ولـــو كـــان عـــلامـــاً بـــه وبفعلـــه	لجوزي بما جوزي به بخل عدنان
وكـان لـذاك العلـم صاحـب مشهـد	يـــراه عيـــانـــاً ذا بيـــان وتبيـــان
فسبحـان مـن أحيـاه بعـد ممـاتـه	ونعمـــه منـــه لهيـــب بيـــركـــان

يدعى صاحبها عبد الدهر. وقال رسول الله ﷺ: «لا تسبوالدهر فإن الله هو الدهر» فجعل الدهر هوية الله، فصدق القائلون في قولهم وما يهلكنا إلا الدهر فإنه ما يهلكهم إلا الله، فإنهم جهلوا في قولهم: ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا أي نحيى فيها ثم نموت، وصدقوا في قولهم بعد ذلك: وما يهلكنا إلا الدهر فصدقوا فإن الدهر هو الله

Marfat.com

وجهلوا في اعتقادهم فإنهم ما أرادوا إلا الزمان بقولهم الدهر، فأصابوا في إطلاق الاسم وأخطؤوا في المعنى، وهم ما أرادوا إلا المهلك فأصابوا في المعنى، ووافقوا الإسم المشروع توفيقاً من الله، ولم يقولوا الزمان أو ربما لو قالوا الزمان لسمى الله نفسه بالزمان كما سمي نفسه بالدهر، والدهر عبارة عما لا يتناهى وجوده عند مطلقي هذا الإسم أطلقوه على ما أطلقوه، فالدهر حقيقة معقولة لكل داهر، وهو المعبر عنه بحضرة الدهر وهو قولهم: لا أفعل ذلك دهر الداهرين، وهو عين أبد الآبدين، فالدهر الأزل والأبد أي له هذان الحكمان، لكن معقولية حكمه عند الأكثر في الأبد فإنهم اتبعوه الأبد فلذلك يقول القائل منهم: دهر الداهرين، وقد يقول بدله، أبد الآبدين فلا يعرفونه إلا بطرف الأبد لا بطرف الأزل، ومن جعله الله فله حكم الأزل والأبد فاعلم ذلك.

ومن هذه الحضرة ثبت حكم الأزل والأبد لمن وصف به وأن عين العالم لم يزل في الأزل الذي هو الدهر الأوّل بالنسبة إلى ما نذكره ثابت العين، ولما أفاده الحق الوجود ما طرأ عليه إلاّ حالة الوجود لا أمر آخر، فظهر في الوجود بالحقيقة التي كان عليها في حال العدم، فتعين بحال وجود العالم الطرف الأوّل المعبر عنه بالأزل وليس إلا الدهر، وتعين حال وجود العالم بنفسه وهو زمان الحال وهو الدهر عينه، ثم استمرّ له الوجود إلى غير نهاية فتعين الطرف الآخر وهو الأبد وليس إلا الدهر، فمن راعى هذه النسب جعله دهوراً وهو دهر واحد، وليس إلا عين الوجود الحق بأحكام أعيان الممكنات أو ظهور الحق في صور الممكنات، فتعين أنّ الدهر هو الله تعالى كما أخبر عن نفسه على ما أوصله إلينا رسوله ﷺ فقال لنا لما سمع من يسب الدهر لكونه لم يعطه أغراضه فقال: «**لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر**» لأنه المانع وجود ما لكم في وجوده غرض، ولهذا سمي بالمانع. وله حضرة في هذا الباب في هذا الكتاب مذكورة، فتوليد العالم إنما هو للزمان وهو الدهر ﴿**يولج الليل في النهار**﴾ فيتناكحان فيلد النهار جميع ما يظهر فيه من الأعيان القائمة بأنفسها وغير القائمة بأنفسها من الأجسام والجسمانيات والأرواح والروحانيات والأحوال، فيظهر كل روحانيّ وجسماني من كل اسم رباني، ويظهر كل جسم وروح من الإسم الرب لا من الاسم الرباني. ﴿**ويولج النهار في الليل**﴾ فيتناكحان فيلد الليل مثل ما ولد النهار سواء على حد ما مضى، وهذا المعبر عنه بالليل والنهار سدنة الدهر والإيلاج والتكوير والغشيان وهو قوله: ﴿**يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل**﴾ من كور العمامة ﴿**ويغشى الليل والنهار**﴾ فهذه مقاليد الدهر الذي ﴿**له مقاليد السموات**﴾ وهو الناكح ﴿**والأرض**﴾ وهو

Marfat.com

المنكوح، فمن علا من هذين الزوجين فله الذكورية وهو السماء، ومن سفل من هذين الزوجين فله الأنوثة وهو الأرض ونكاحهما المقلاد، والإقليد الذي به يكون الفتح فيظهر ما في خزائن الجود وهو الدهر، فهكذا وجد العالم عن نكاح دهري زماني ليلي ونهاري، فإن علا ماء الناكح ماء المنكوح أذكر فظهرت الأرواح الفاعلة، وإن علا ماء المنكوح ماء الناكح أنثى فظهرت الجثث الطبيعية القابلة للإنفعال المنفعلة:

فهكـــذا كـــانـــت الأمـــور وأظهـــرت حكمهـــا الـــدهـــور
فكـــل أمـــر يخصـــه اســـم كـــان لـــه الكـــون والصـــدور
ثـــم إلـــى اللّـــه بعـــد هـــذا تصيـــر فـــي سيـــرهـــا الأمـــور
فكـــل جســـم لـــه ظـــلام وكـــل روح لـــديـــه نـــور
إذا انطـــوى ظلـــه ويخفـــى فـــي ذاتـــه ذلـــك النفـــور
لـــم يعـــدم اللّـــه عيـــن شـــيء أبـــداه لكنـــه يبـــور
فخلقـــه لـــم يـــزل جـــديـــداً كـــل أوقـــاتـــه يثـــور
لـــولا وجـــود النكـــاح فيـــه مـــا كـــان للعـــالـــم الظهـــور
ولا لأسمـــائـــه احتكـــام ولا لأعيـــانهـــا نشـــور
فـــأنجـــم منـــه طـــالعـــات وأنجـــم عنـــده تغـــور
كـــأنهـــا طـــالبـــات ثـــار وطـــالـــب الثـــار مـــا يجـــور
فـــالكـــون فـــي ليـــل أو نهـــار علـــى الـــذي قلتـــه يـــدور

الصاحب * حضرة الصحبة

الصاحب الحق ليس الصاحب الداعي ولـو تحكـم فـي بـرىء وأوجـاعـي
وإن صـاحبهـا يبغـي مصـاحبتـي ويـدعـي أنـه منـي كـأسمـاعـي
صحبـــة الـــرحمـــن فيهـــا أدب فاصحب الرحمن لا تصحب سواه
يتمنـــاه الـــذي يصحبـــه أن يـــراه فيـــرى فيـــه منـــاه
عجبـــاً فيـــه وفـــي رؤيتـــه مـــا لعبـــد فيـــه إلا مـــا نـــواه
بـــذل المجهـــود كـــي يبصـــره وأبـــى ذلـــك فـــي الحـــق عمـــاه
لـــو درى الإنســـان مـــن غيـــرتـــه أنـــه حقـــاً علـــى هـــذا بنـــاه

Marfat.com

يدعى صاحبها عبد الصاحب. قال رسول الله ﷺ في دعائه ربه: «أنت الصاحب في السفر» وقال تعالىٰ مصدقاً له فيما سماه به من الصاحب: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ فهو الصاحب على كل حال مع العبد في أينيته:

فهـــو اللّــــه فـــي السمـــاء وفــــي الأرض يحكــــــم
وإذا كـــــان هكـــــذا فـــاحـــذروا منـــه واعلمـــوا
أنــــه عـــالـــم بكـــم عــــادل ليــــس يظلـــــم

وذلك أن الله تعالى حد حدوداً لعباده عقلية وشرعية معللة وغير معللة، فما عقلت علته منها سميناها عقلية، وما لم تعقل علته سميناها تعبداً وعبادة شرعية، فهو مع عباده المكلفين يحفظ عليهم أنفاسهم في حدوده، وهو مع من ليس بمكلف ينظر ما يفعل معه المكلفون بأن لا يتعدّوا حدوده، فهو مع كل شيء بهذه المثابة في الدنيا، وأما في الآخرة فما هو معهم إلا لحفظ أنفاسهم ولما يوجده فيهم فإنهم محل الانفعال لما يريد إيجاده، فلا يزال يوجد له تعالى ولهم فله من حيث ما يسبحه الموجود بحمده في شيئية وجود فإنها النعمة الكبرى، فتسبيحه: الحمد لله المنعم المفضل، وأما كونه يوجد لهم فلما يحصل لهم من المنفعة بسبب ذلك الموجود وما يليق به فيعود نفعه عليهم ويعود تسبيحه عليه تعالى هكذا دائماً. ثم إن العالم لا يزال مسافراً أبداً فالله صاحبه أبداً فهو بعينه يسافر من حال إلى حال ومن مقام إلى مقام، والحق معه صاحبه وللحق الشؤون كما قال تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ فالحق أيضاً له من شأن إلى شأن، فشؤون الحق هي أحوال المسافرين يجدد خلقها لهم في كل يوم زمان فرد فلا يتمكن للعالم استقرار على حال واحدة وشأن واحد لأنها أعراض والأعراض لا تبقى زمانين مطلقاً، فلا وجود لها إلا زمان وجودها خاصة، ثم يعقبها في الزمان الذي يلي زمان وجودها الأمثال أو الأضداد، فأعيان الجواهر على هذا لا تخلو عن أحوال ولا خالق لها إلا الله، فالحق في شؤون أبداً فإنه لكل عين حال، فللحق شؤون ولنا أحوال، فالصحبة دائمة غير منقطعة وشؤون حاكمة إلى غير نهاية ولا بلوغ غاية، وذلك من المرتبة التي صح لنا فيها أولية الظهور، ثم استمرّ السير وتمادى السفر والانتقال من بلد إلى بلد، ومن مكان إلى مكان، ومن مكانة إلى مكانة لكل موجود من العالم.

فلنعين من ذلك ما يختص بهذا النوع الإنساني فأوجده بكله ظاهر صورته وباطنها

Marfat.com

أجزاء العالم فظهر بعينه في كونه بعد أن كان يدور في أطوار العالم من عالم الأفلاك والأركان، ولكن مختلف الأحوال مفترق الأجزاء غير معين بهذا الشيء الخاص، فالتأمت أجزاؤه والحق صاحبه في كل حال من أحوال تنقلاته، وكيف لا يصحبه وهو خالق تلك الأحوال التي ينقله فيها والأطوار؟ فأظهر عينه مجموعاً لم يبقَ منه شيء في غير ذاته، ثم جعل ما جعل فيه يستحيل من صورة إلى صورة وهو أيضاً سفر ويمده بمثل ما زال عنه وسافر أو بضده لتبقى عين جمعيته، فصار الإنسان منزلاً من منازل الوجود يسافر منه ويسافر إليه، وليس لكل مسافر إليه إذا وصل ونزل به سوى جائزته ليلة واحدة وهي الزمن الفرد ويرحل ولا يرد عليه حال من الأحوال إلا والحق صاحب لذلك الوارد، فيتعين على هذا المحل الذي هو الإنسان في كل نفس عند ورود كل حال كرامتان: كرامة وضيافة لذلك الوارد بحسب مكانته من ربه وما تعطيه حقيقته، والإنسان قادر على إجازته والقيام بحرمته وكرامته وضيافته، ولسرعة ارتحاله تكون المسارعة إلى أداء جائزته، والكرامة الأخرى المتعينة عليه كرامة صاحبه الواصل معه وهو الله الصاحب في السفر، فينظر بأي اسم إلهيّ وصل، فذلك الاسم الإلهيّ هو صاحبه، فينظر ما يستحقه ذلك الاسم الإلهي من الجلال والتعظيم والتمجيد والتحميد فيكرمه ويضيفه بها فتلك كرامته، ويبادر إلى ذلك في الزمان الواحد لأن الإنسان مجموع والرحلة سريعة، فيعين لكل واحد أعني للحال الوارد وللصاحب معه وهو الاسم الإلهي الذي يحفظه من نفسه ما يستحق أن يقوم بما يتعين للحق عليه من الكرامة، ويعين من نفسه أيضاً حقيقة أخرى مناسبة للوارد تقوم بخدمته إلى أن يرحل عنه، فالإنسان منزل ومناخ للمسافرين من الأحوال وهو في نفسه مسافر أيضاً، فله مع الله صحبة دائمة لسفره، وله تلقي كل وارد عليه من الله مع صاحبه من الأسماء الإلهية، فيتعين عليه في كل نفس خمسة حقوق يطالب بالقيام بها: حق الوارد عليه، وحق صاحبه، وحق المسافر عنه في تسفيره، وحق صاحبه، والحق الخامس حق الله تعالى وهو صاحبه الملازم له في سفره فإنه الصاحب في السفر كما هو الخليفة في الأهل، فما خلق الله أتعب خاطر ولا قلب من أهل الكشف والحضور العارفين بالله من أهل الله أهل الشهود لهذه الأمور، فيتخيل من لا معرفة له بالأمور أن العارف في راحة، لا والله بل هو أشد عذاباً من كل أحد، فإنه لا يزال في كل نفس يطلب نفسه مطلوباً من أجل ما أشهده الله ما أشهده بأداء هذه الخمسة الحقوق، ولولا أن الله يعفو عن كثير برحمته التي وسعت كل شيء وأن من رحمة الله أعطى الله هذا العبد من الاتساع وكثرة الوزعة والخدام ما يستعين بهم على أداء

Marfat.com

هذه الحقوق ما قدر الإنسان على أداء شيء منها، ولا يطالب بهذه الحقوق كلها إلا من أشهده الله عين ما ذكرناه كما قال: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾.

كما يعين في الإنسان الواحد في إنزال القرآن أنه بلاغ من وجه وإنذار من وجه وإعلام بتوحيد من وجه وتذكرة لما نسيه من وجه، والمخاطب بهذا كله واحد العين وهو الإنسان قال تعالى: ﴿هذا بلاغ للناس﴾ فهو بلاغ له من كونه من الناس ﴿ولينذروا به﴾ من كونه على قدم غرور وخطر فيحذروا ﴿وليعلموا أنما هو إله واحد﴾ أي يفعل ما يريد ما ثم آخر يرده عن إرادته فيك ويصده ﴿وليتذكر أولوا الألباب﴾ بما أشهدهم به على نفسه أنه ربه ليقوم بما يجب على المملوك من حق سيده الذي أقر له بالملك، ولهذا العبد إذا اشتراه الإنسان من غيره،فمن شرطه أن يقرّ العبد لبايعه بالملك ولا يسمع مجرد دعواه في أنه مالك له، ولا يقوم على العبد حجة بقول سيده ما لم يعترف هو بالملك له، ويغفل عن هذا القدر كثير من الناس فإن الأصل الحرية واستصحاب الأصل مرعي، وبعد الاعتراف بالملك صار الاسترقاق في هذه الرقبة أصلاً يستصحب حتى يثبت الحرية إن ادّعاها هكذا هو الأمر قال تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾ فثبت الاسترقاق لله عليهم، فطولبوا بالوفاء بحق العبودية لهذا الإقرار فهو قوله: ﴿وليتذكر أولو الألباب﴾ فإن التذكر لا يكون إلا عن علم متقدم منسي فيذكره من يعلم ذلك، فالله مع الخلق هو الصاحب المجهول لغيبتهم عن شهود هذه الصحبة فلا يطالبون بحق ما يختص به، والذي يشهده إيماناً أو عياناً يطالب بذلك، فالعالم المحجوب للغيبة يخاف من المعاصي، والعارف للشهود يخاف من الكفر وهو الستر يقول: سدل الحجاب بعد الكشف، نسأل الله عصمة واقية وهي الشهود الدائم فإنه مباح له جميع ما يتصرّف فيه من هذا حاله، فإنه إذا كان العبد المذنب في عقب ذنبه يعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب علم إيمان وقد أبيح له ورفع الحجر عنه في تصرّفه، فما ظنك بصاحب الشهود الذي يرى من يفعل به وفيه وما ينفعل وصدور الأعيان من حضرة من تصدر فافهم وتأمّل ترشد ﴿وقل رب زدني علماً﴾ فإني ما ترجمت لك إلا عن شرع مستقر ودين كالصباح الأبلج ﴿لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

Marfat.com

الخليفة * حضرة الخلافة

إن الخـلافـة سـر اللّـه فـي البشـر لـذا تحملـت مـا فيهـا مـن الضـرر
أنـا الخليفـة مـا عنـدي سـوى نفسـي فـلا أخـاف ولا أخشـى مـن الغيـر
خليفـة الحـق فـي الأكـوان مـن ظهـرا بصـورة الحـق ملكـاً كـان أو بشـرا
فكـان مـن قـد أتـى نـص الكتـاب بـه ابنـاً وجـنـداً وهـذا كلـه ذكـرا
وكـان يجهـل فـي الأعيـان رتبتـه وكـان حقـاً ولـم يلحـق بـه غيـرا
فلـو تـراه وقـد خـرّت مـلائكـة لـذاتـه سجـداً لقلـت ذا سحـرا
ومـن أبـى نـزلـت فـي الحـال رتبتـه ولـم يـزل خـاسئـاً مثـل الـذي كفـرا

يدعى صاحبها عبد الخليفة، قال رسول الله ﷺ في دعائه ربه في سفره: «أنت الصاحب في السفر» وقد مضى فيه القول والخليفة في الأهل فسماه خليفة لما استخلفه أي بين أنه الخليفة أي الذي يخلف المسافر في أهله فهو خليفة بالنظر إلى المفارق أهله بسفره وهو صاحب للمقيمين أهل هذا المسافر، فنحن نتكلم فيه من حيث أنه خليفة فهو القائم على كل نفس فإن ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ فسافروا عن أهليهم فاستخلفوا الحق فيهم ليقوم عليهم بما كان يقوم به عليهم صاحبهم وأوفى، فمن هذه الحضرة أيضاً جعل الله الخلفاء في الأرض واحداً بعد واحد لا يصح ولاية اثنين في زمان واحد، قال ﷺ: «إذا بويع الخليفتين فاقتلوا الآخر منهما». ولا نشك أن النبي ﷺ أخبرنا أن الله هو خليفة المسافرين في أهله بجعله لا بجعل المسافر بخلاف الوكالة، وسترد حضرة الوكالة إن شاء الله، فما جعل الحق نفسه خليفة في أهل المسافر إلا وله حكم ما هو عين الحكم الذي له فيهم من كونه إلهاً لهم وخالقاً ورباً ورازقاً، وكونهم مألوهين له ومخلوقين ومرزوقين ومربوبين، فما عين الله للرجل أو القائم في أصله من الحقوق التي لهم عليه، فإن الله يتكفل لهم بذلك ما دام مسافراً غائباً عن أهله، وما يفعله معهم من الأنعام وغير ذلك مما لا يجب على الرجل لأهله عليه فهو من حضرة أخرى لا من حضرة الخلافة، بل من حضرة الوهب أو الكرم أو الجود أو غير ذلك، ومما يجب للأهل على القائم بهم مما هو خارج عن مؤنتهم حفظ الأهل وصيانته والغيرة عليه، فمن خلف غائباً بسوء في أهله فقد أتى باباً من أبواب الكبائر فإنه انتهك حرمة الخليفة في الأهل وغره حلمه وإمهاله، وما علم سر الله في ذلك من خير يعود على الغائب فإنه مؤمن وما يقضي الله لمؤمن بقضاء إلا وله فيه خير، وكذلك هذا المنتهك

Marfat.com

من حيث أنه انتهك حرمة الغائب فله فيه خير التبديل لكونه مؤمناً، ومن حيث أنه منتهك حرمة الخليفة فأمره إلى الله لا أحكم عليه بشيء إلا أنه في محل الرجاء والخوف من غير ترجيح، ألا ترى إلى موسى عليه السلام كيف قال: ﴿بئس ما خلفتموني من بعدي﴾ وهذا خطاب خارج عمن استخلفه في قومه وهو هرون فسماهم خلفاء وما استخلفهم لكنه لما تركهم خلفه وسار إلى ربه سماهم بهذا الاسم، فاجعل بالك لما تقتضيه هذه الحضرة بما نبهتك عليه، والله الموفق لا رب غيره.

الجميل * حضرة الجمال

إن الجميـل الـذي الإحسـان شيمتـه ... هـو الـذي تعـرف الأكـوان قيمتـه
إذا يـــراه الـــذي فينـــا يحببـــه ... يـرى الـوجـود فيبـدي فيـه حكمتـه

يدعى صاحب هذه الحضرة عبد الجميل. قال رسول الله ﷺ للرجل الذي قال له يا رسول الله إني أحب أن يكون نعلي حسناً وثوبي حسناً فقال له ﷺ: «**إن الله جميل يحب الجمال**» خرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان. وفي حديث عنه ﷺ: «**الله أولى من تجمل له**» ومن هذه الحضرة أضاف الله الزينة إلى الله وأمرنا أن نتزين له فقال: ﴿خذوا زينتكم﴾ وهي زينة الله عند كل مسجد يريد وقت مناجاته وهي قرة عين محمد ﷺ وكل مؤمن لما فيها من الشهو، فإن الله في قبلة المصلي وقد قال: «**اعبد الله كأنك تراه**»، ولا شك أن الجمال محبوب لذاته، فإذا انضاف إليه جمال الزينة فهو جمال على جمال كنور على نور فتكون محبة على محبة، فمن أحب الله لجماله وليس جماله إلا ما يشهده من جمال العالم فإنه أوجده على صورته، فمن أحب العالم لجماله فإنما أحب الله وليس للحق منزه ولا مجلى إلا العالم، وهنا سرّ نبوي إلهي خصصت به من حضرة النبوة مع كوني لست بنبي وإني لوارث:

إنـــي خصصـــت بســـر ليـــس يعلمـــه ... إلا أنـــا والـــذي فـــي الشـــرع نتبعـــه
ذاك النبـي رسـول اللّـه خيـر فتـى ... للّـــه نتبعـــه فيمـــا يشـــرعـــه

فأوجد الله العالم في غاية الجمال والكمال خلقاً وإبداعاً فإنه تعالى يحب الجمال وما ثم جميل إلا هو فأحب نفسه ثم أحب أن يرى نفسه في غيره، فخلق العالم على صورة جماله ونظر إليه فأحبه حب من قيده النظر، ثم جعل عز وجل في الجمال المطلق الساري

Marfat.com

في العالم جمالاً عرضياً مقيداً يفضل آحاد العالم فيه بعضه على بعض بين جميل وأجمل، وراعى الحق ذلك على ما أخبر نبيه ﷺ فقال المؤمن لرسول الله ﷺ الحديث الذي ذكرناه في هذا الباب الذي خرجه مسلم في صحيحه: «إن الله جميل» فهو أولى أن تحبه إذ وقد أخبرت عن نفسك أنك تحب الجمال وأن الله يحب الجمال، فإذا تجملت لربك أحبك وما تتجمل له إلا باتباعي فاتباعي زينتك هذا قوله ﷺ. قال الله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ أي تزينوا بزينتي يحببكم الله فإن الله يحب الجمال، فأعذر الله المحبين بهذا الخبر لأن المحب لا يرى محبوبه إلا أجمل العالم في عينه، فما أحب إلا ما هو جمال عنده لا بد من حكم ذلك، ألا ترى إلى قوله: ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا﴾ فما رأى سوء العمل حسناً وإنما رأى الزينة التي زين له بها، فإذا كان يوم القيامة ورأى قبح العمل فرّ منه فيقال له: هذا الذي كنت تحبه وتتعشق به وتهواه فيقول المؤمن: لم يكن حين أحببته بهذه الصورة ولا بهذه الحلية، أين الزينة التي كانت عليه وحببته إليّ ترد عليه فإني ما تعلقت إلا بالزينة لا به، لكن لما كان محلها كان حبي له بحكم التبع، فيقول الله لهم: صدق عبدي لولا الزينة ما استحسنه فردوا عليه زينته فيبدل الله سوءه حسناً فيرجع حبه فيه إليه ويتعلق به، فما قال الحق هذا القول أعني زين له سوء عمله إلا ليلقن عبده الحجة إذا كان فطناً، فلا ينبغي للمؤمن الكيس أن يهمل شيئاً من كلام الله ولا كلام المبلغ عن الله، فإن الله تعالى يقول فيه: ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ وقد ذم قوماً اتخذوا دينهم لهواً أو لعباً وهم في هذا الزمان أصحاب السماع أهل الدف والمزمار نعوذ بالله من الخذلان:

ما الدين بالدف والمزمار واللعب ... لكنما الدين بالقرآن والأدب
لما سمعت كتاب اللّه حركني ... ذاك السماع وأدناني من الحجب
حتى شهدت الذي لا عين تبصره ... إلا الذي شاهد الأنوار في الكتب
هوالذي أنزل القرآن في خلدي ... يوم الخميس بلا كد ولا نصب
إلا عناية ربي حين أرسلها ... إلى فؤادي فنادتني على كثب
أنت الإمام الذي ترجى شفاعته ... في المذنبين وأمت السر في النصب
لولاك ما عبدوا نجماً ولا شجراً ... ولا أتوا ما أتوا به من القرب

فإن كلام المبلغ عن الله ما جاء به إلا رحمة بالسامع، وهو إن كان فطناً كان له، وإن كان حماراً كان عليه، ولما كان الجمال يهاب لذاته والحق لا يهاب شيئاً وقد وصفه العالم

Marfat.com

ﷺ بأنه جميل والهيبة تجعل صاحبها أن يترك أموراً كان في نفسه في وقت حديث النفس أن يفعلها مع محبوبه عند الاجتماع به واللقاء، فتمنعه هيبة الجمال مما حدثته به نفسه، وقد وصف الله نفسه بالحياء من عبده إذا لقيه فقام الحياء لله مقام الهيبة في المخلوق، فما اقتضى من حال العبد أن يؤاخذه به الله ولما لقيه استحيى منه فترك مؤاخذته، ولذلك قال فيمن أخذ منهم أنهم ﴿يومئذ عن ربهم لمحجوبون﴾ فأرسل الحجاب بينهم وبينه فلم يروه، فلو كانت الرؤية لكان الحياء القائم بالحق مقام الجمال في الخلق، فالحكم واحد والعلة تختلف، فحقق هذه الحضرة وتزين وتجمل تارة بنعتك من ذلة وافتقار وخشوع وخضوع وسجود وركوع، وتارة بنعته عز وجلّ من كرم ولطف ورأفة وتجاوز وعفو وصفح ومغفرة وغير ذلك مما هو لله ومن زينة الله التي ما حرمها الله على عباده، فإذا كنت بهذه المثابة أحبك الله لما جملك به من هذه النعوت وهو الحب الذي ما فيه منة لأن الجمال استدعاه كالمغفرة للتائب والمغفرة لغير التائب، فالمغفرة للتائب ما فيها منة فإن التوبة من العبد استدعت المغفرة من الله، والمغفرة لغير التائب منة محضة قال تعالى في مغفرته الواجبة: ﴿فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة﴾ وغير المتقي والتائب يطلب رحمة الله ومغفرته من عين المنة، فتجمل إن أردت أن ترتفع عنك منة الله من هذا الوجه الخاص، ويكفيك حكم الامتنان بما وفقت إليه من التجمل بزينة الله، فإن ذلك إنما كان برحمة الله كما قال: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

المسعر * حضرة التسعير

إن المسعــــر رتـــب الأقـــواتـــا ... ليبيـــن الأحـــوال والأوقـــاتـــا
فيميــت أحيــاء يشــاهــد فعلــه ... فينــا ويحيــي جــوده أمــواتــاً
ويــردنــا بعــد اجتمــاع نفــوسنــا ... عنــد الصــدور لمــا نــرى أشتــاتــا
والله أنبتنــــا بــــأرض وجـــوده ... مــن جــوده فــي كــوننــا إنبــاتــا

يدعى صاحبها عبد المسعر، وهي تحكم على حضرة الأرزاق التي تتملك ويدخلها البيع والشراء، فتعين هذه الحضرة مقادير أثمانها التي هي عوض منها ولا يعلم قدر ذلك إلا الله فإنها من باب حضرة ضرب الأمثال لله، وقد نهينا عن ذلك فقال: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال وهو يضرب الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ قيل لرسول الله ﷺ: «سعر لنا فقال ﷺ: إن الله هو المسعر وأرجو أن ألقى الله وليس لأحد منكم علي طلبة»، فإن الوزن

Marfat.com

بين الشيئين بالقيمة مجهول لا يتحقق فما بقي إلا المراضاة بين البائع والمشتري ما لم يجهل أمر السوق بالوقت والزمان وأحوال الناس في ذلك، فإن الأحكام والأسعار تختلف باختلاف الأوقات لما يختلف من الأحوال بسلطان الأوقات:

فكـــل وقـــت لـــه حـــال يعينـــه ... وكـــل حـــال لـــه حكـــم وتـــرتيـب
وليـــس يعـــرفـــه إلا مـــوقتـــه ... وليـس ينفـع فـي التسعيـر تهـذيـب

ولما قال رسول الله ﷺ: «إن الله هو المسعر» علمنا أنه

يغلـي ويـرخـص سـوقـه متبـذل ... فهـو المسعـر حكمـه مـا يقـرر
وهـو الكبيـر فكـونـه متكبـراً ... مـن مثـل هـذا فـالمقـام يحيـر
لـو لـم يكـن هـذا لكـان بحكمنـا ... وبحكمنـا هـذا ألا تتبصـروا
مـا حكمـة تعنـو الـوجـوه لعينهـا ... هـذا الـذي جئنـا بـه فتفكـروا

فأخبر أنه السنة العالم في أثمان الأشياء التي تدخل في حكم البيع والشراء، فمن سام فليعرف من يسم، ولا تسم على سوم أخيك، ولا تبع على بيعه، كما نهيت أن تخطب على خطبته لأن الخطبة من باب الشراء والبيع لأنها شراء استمتاع بعضو وبيعه، فلهذا لا بد من الصداق وهو القيمة والثمن والعوض، فالبيع والشراء معاوضة:

فلـه البيـع والشـراء جميعـاً ... وبـه ينطقـان لـو عقلـوه
حكـم الكشـف والـدليـل بهـذا ... وإلينـا عـن رسلـه نقلـوه

﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾ فوقع البيع بين الله وبين المؤمن من كونه ذا نفس حيوانية وهي البائعة، فباعت النفس الناطقة من الله وما كان لها مما لها به نعيم من مالها بعوض وهو الجنة والسوق المعترك فاستشهدت فأخذها المشتري إلى منزله وأبقى عليها حياتها حتى يقبض ثمنها الذي هو الجنة، فلهذا قال في الشهداء: ﴿إنهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين﴾ ببيعهم لما رأوا فيه من الربح حيث انتقلوا إلى الآخرة من غير موت، وقبض الحق النفس الناطقة إليه وشغلها بشهوده وما يصرّفها فيه من أحكام وجوده، فالإنسان المؤمن يتنعم من حيث نفسه الحيوانية بما تعطي الجنة من النعيم ويتنعم بما يرى مما صارت إليه من النعيم نفسه الناطقة التي باعها بمشاهدة سيدها فحصل للمؤمن النعيمان، فإن الذي باع كان محبوباً له، وما باعه إلا ليصل إلى هذا الخبر الذي وصل إليه

Marfat.com

وكانت له الحظوة عند الله حيث باعه هذا النفس الناطقة العاقلة، وسبب شرائه إياها أنها كانت له بحكم الأصل بقوله: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ فطرأت الفتن والبلايا وادعى المؤمن فيها فتكرم الحق وتقدس ولم يجعل نفسه خصماً لهذا المؤمن، فإن المؤمنين إخوة فتلطف له في أن يبيعها منه وأراه العوض، ولا علم له بلذة المشاهدة لأنها ليست له فأجاب إلى البيع فاشتراها الله تعالى منه، فلما حصلت بيد المشتري وحصل الثمن تصدق الحق بها عليه امتناناً لكونه حصل في منزل لا يقتضي له الدعوى فيما لا يملك وهو الآخرة للكشف الذي يصحبها.

وقد مثل هذا الذي قلناه رسول الله ﷺ حين اشترى من جابر بن عبد الله بعيره في السفر بثمن معلوم واشترط عليه البائع جابر بن عبد الله ظهره إلى المدينة فقبل الشرط المشتري فلما وصل إلى المدينة وزن له الثمن فلما قبضه وحصل عنده وأراد الانصراف أعطاه بعيره والثمن جميعاً. فهذا بيع وشرط، وهكذا فعل الله، سواء اشترى من المؤمن نفسه بثمن معلوم وهو الجنة واشترط عليه ظهره إلى المدينة وهو خروجه إلى الجهاد، فلما حصل هناك واستشهد قبضه الثمن ورد عليه نفسه ليكون المؤمن بجميعه متنعماً بما تقبله النفس الناطقة من نعيم العلوم والمعارف، وبما تعمله الحيوانية من المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمركب وكل نعيم محسوس، ففرحت بالمكانة والمكان والمنزلة والمنزل، فهذا هو المال الرابح والتجارة المنجية التي لا تبور، وجعلنا الله وإياكم ممن حصل له رتبة الشهداء في عافية وسلامة ومات موت السعداء ففاز بالأجر والنور والالتذاذ بالنعيمين في دار المقامة والسرور فإنها تجارة لن تبور، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

القريب الأقرب * حضرة القربة والقرب والقرب

أقـــرب الخلـــق إليـــه ... عبـــده إن كنـــت تـــدري
أنـــه يعلـــم ســـرّي ... مثـــل مـــا يعلـــم جهـــري
لا تقـــل إنـــك إنـــي ... ولتقـــم فـــي اللّـــه عـــذري
إننـــي عبـــد قـــريـــب ... مـــن وجـــودي مثـــل سحـــري
إنـــه نفـــس عنـــي ... كـــربـــة مـــن ضيـــق صـــدري

Marfat.com

حضرة الأقرب أعلى الحضرات وهي بالذات لأهل الفترات
فهي قرب فيه بعد للذي قيل فيه أنه ذو عثرات

يدعى صاحبها عبد الأقرب وعبد القريب. فإنه عز وجل أقرب إلينا من حبل الوريد. وقال تعالى: ﴿إني قريب أجيب دعوة الداعي﴾ وقال: ﴿إنه سميع قريب﴾ فهو القريب بنزوله وله من العرش إلى السماء الدنيا كما أخبر ﷺ وهو أقرب فإنه معنا أينما كنا، فهو المسمى بالقريب الأقرب فهو أقرب إلينا منا لأن حبل الوريد منا والحبل والوصل فهو أوصل، فإنه ما كان الوصل إلا به فبه نسمع ونبصر ونقوم ونقعد ونشاء ونحكم، وهذه الأحكام ليست لحبل الوريد فهو أقرب إلينا من حبل الوريد، فإن غاية حبل الوريد منّا الذي جاء له ما للعروق من الحكم في أنها مجرى الحياة وسكك الدماء.

ثم أنه تعالى شرع القرب فينا لكوننا مخلوقين على صورته فأنزلنا منزلة الأمثال والمثلان ضدان والضد في غاية البعد ممن يضاده مع كونه في غاية القرب للاشتراك في الصفات الذاتية النفسية، فلما تحقق العبد بالتعريف الإلهي هذا البعد عن الله شرع له تعالى طرق القربة إليه إلى أن كان مع هذا البعد سمعه وبصره وجميع قواه بفعله ما شرع له أن يفعل فهو لذله وافتقاره ضد. وهو بالصورة لكونه مثلاً ضد، فصح بالذلة والافتقار إضافة الفعل إليه فيما شرع له، فتقرب إليه بما نسب إليه من الفعل، فقرب القرب الذي أخبر الحق أنه جميع قواه وأعضائه بهويته وأقرب من هذا فلا يكون، فإنه أثبت عين العبد بإعادة الضمير عليه من قوله: «سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله» وأثبت أنه ما هو هو، فإنه ليس هو هو إلا بقواه فإنها من حده الذاتي كما قال: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ فالصورة والمعنى معاً له تعالى فلك الكل إذ كان عين الكل، فما في الكون إلا هو سبحانه وتعالى عنه في منازل أسمائه الحسنى لأنه ما ثم عمن تسبحه وتنزهه إلا عنه:

فله القربة والقرب وله الجثة والقلب
وله ما نحن فيه فله الظاهر والقلب
يقلب الأمر إليه حالة الراحة والكرب
غضب الحق كروبي وبها السور فاعجب
فاجتهد إن كنت تبغي سورة العبد المقرّب
فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب

Marfat.com

هـــذه آيـــة مـــن فـــي　　حكمـــه بـــي يتقلـــب
فـــإذا زلنـــا فـــأمـــر　　واحـــد مـــا فيـــه مـــذهـــب
فبـــه يحيـــى وجـــودي　　وبـــه نلهـــو ونلعـــب
وبـــه نـــأكـــل خبـــزي　　وبـــه واللّـــه نشـــرب
فـــرحـــاً بكـــون عينـــي　　عينـــه فمـــن تقـــرب
وإلـــى مـــن كـــان قـــربـــي　　وهـــو عيـــن كـــل مطلـــب
فـــإذا مـــا جئـــت منـــه　　فـــإليـــه لا تشغـــب
فهـــو الطـــالـــب حقـــاً　　وأنـــا فلســـت أكـــذب
إننـــي أطمـــع فـــاعلـــم　　فـــي الـــذي عنـــدي مـــن أشعـــب

ولما شرع الله القرب ما شرعها إلا من هذه الحضرة، وسبب وجود الشرع الدعوى، فعمت الشريعة المدعي وغير المدعي، وكل واحد يحشر يوم القيامة على نيته ويختص بنحلته وملته، والقرب كلها عند العاقل العالم تعب لا راحة فيها تعمّ إلا من رزقه الله شهود العامل، ولا بد من تعب القابل الحامل فهو وإن كانت الأمور ترجع إلى الله تعالى فإن العبد ولا بد محل ظهورها وهو الذي ترجع إليه آلامها فهو المحس لها:

حضـــرة القـــرب والقـــرب　　حضـــرة كلهـــا نصـــب
فـــأمـــور الـــورى بهـــا　　إن تـــأمّلتهـــا نشـــب
كلمـــا قلـــت قـــد كفـــى　　قـــال لا تفعـــل انتصـــب
أنـــت أخطـــأت فـــي الـــذي　　قلتـــه فيـــه لـــم تصـــب
هكـــذا الأمـــر دائمـــاً　　يقتضيـــه حكـــم النســـب
فـــاهجـــر إن شئـــت أو فصـــ　　ـــلـــه فـــلا بـــد مـــن سبـــب
فعـــن الكـــد لا تنـــي　　إذ عـــن الشـــوق لـــم تغـــب
هكـــذا جـــاء فـــي الـــذي　　قـــد قـــرأنـــا مـــن الكتـــب

المعطي * حضرة العطاء والإعطاء

عيـــن العطـــاء كشـــف الغطـــاء　　وفـــي الغطـــاء عيـــن الهبـــات
فـــإنهـــا تعـــالـــت وجلـــت　　عـــن أن تجـــيء بـــالمحـــدثـــات

Marfat.com

فما حديثي غير حدوثي ... وما صفاتي غير سماتي
فإن تكن تريد انتقالي ... عني فذاك عين سباتي
وفي مقامي عين قصوري ... وفي مسيري عين التفاتي
فالحمد للإله الذي ... لم يزل يمدني بثباتي
حتى يكون فرداً وحيداً ... في ذاته وفي الكلمات
فإنه إليه رجوعي ... من بعد فرقتي وشتاتي
فمن يرد كوني إليه ... فذاك من أجلّ ثقاتي
ومن يرد كوني إلينا ... فذاك من أجل عداتي
وإن تشأ عكست مقالي ... فالعيش كله في مماتي
وأن مرادي وقولي ... وفيه رغبتي وحياتي
فمن يكون من أصدقائي ... فإنما يريد وفاتي
فإن فيه جمعي بربي ... وبالذي له من عدات
وهو المحب سرّاً وجهراً ... وهو الصديق لي والموات

يدعى صاحبها عبد المعطي، والعبد آخذ والعبد معطي الصدقة وهي تقع بيد الرحمن في حال العطاء فالله آخذ فهو الآخذ كما هو المعطي ﴿وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها﴾ لأنها أعطته بحقيقتها وقبولها التمكن من الأخذ بناصيتها إذلالاً لأنه عبد، وكل من أخذ بناصيته فإنه ذليل والكل عبيد الله تعالى، فالكل أذلاء بالذات وهو العزيز الحكيم:

فله الجود والكرم ... والسخاء الذي يعم
ليس يدري ما حكم لا ... إنما حكمه نعم
إن بلعام عبرة ... في الذي قاله فتم
هو قولي في حكم لا ... ليس يدري لمن فهم
لا تقل عندما ترى ... أنه جار أو ظلم
وله الوهب منعماً ... للذي تطلب الهمم
والوجود الذي له ... عندنا كله نعم
فانظر وافي الذي بدا ... وانظروا في الذي حكم
فخذوه مبيناً ... وأنا لو رأيت ثم

Marfat.com

جـــل عـــن مثـــل ذا وذا فـــاكتـــم الأمـــر ينكتـــم

والعطاء منه واجب ومنه امتنان، فإعطاء الحق العالم الوجود امتنان، وإعطاء كل موجود من العالم خلقه واجب وهو قوله: ﴿أعطى كل شيء خلقه﴾ يعني في نفس الأمر ﴿ثم هدى﴾ بين بالتعريف أنه أعطى كل شيء خلقه، والجود والإنعام والكرم الذاتي أوجب هذا العطاء عليه لما قاله: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ فأوجبها للعالم على نفسه ولكن لا كل العالم بل لعالم مخصوص وهو المنعوت في قوله تعالى: ﴿إنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح﴾ وفي قوله: ﴿فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبيّ الأميّ﴾ وما عدا هؤلاء المنعوتين فإن الله يرحمهم برحمة الامتنان من غير وجود نعت وهي الرحمة التي وسعت كل شيء، وفيها يطمع إبليس مع كونه يعلم أنه من أهل النار الذين هم أهلها فلا يخرج منها بل الله يرحمها ويرحم من فيها بوجه دقيق لا يشعر به إلا جهنم ومن فيها بإنعام يليق بذلك الموطن ومزاج يكون أهله عليه بحيث أنهم لو عرضت عليهم الجنة تألموا بالنظر إليها تألم أهل الجنة لو عرض عليهم دخول النار وتحققوا ذلك، أعوذ بالله من النار ومما يقرب إليها:

فكـــل مكـــان فيـــه أهـــل يخصـــه لهـــم رحمـــة فيهـــا نعيـــم ولـــذات
وإن كـــان مكـــروهـــاً يعـــود محبـــاً لمـــزج لهـــم فيـــه ســـرور وجنـــات
فجنـــة أهـــل النـــار بـــالنـــار عينهـــا وبـــالقـــرّ إعطـــاء قـــد أعطتهـــم الـــذات
فإن اسمه الرحمن في عرشه استوى فـــرحمتـــه عمـــت وبـــالخلـــق تقتـــات

فمن هذه الحضرة أوجد العالم وأنزل الشرائع لما تتضمنه من المصالح فهي الخير المحض بما فيها من الأمور المؤلمة المنازعة لما تتعلق به الأغراض النفسية التي خلقها الله بالرحمة خلق الأدوية الكريهة للعلل البغيضة للمزاج الخاص، فالرحمة التي بالقوّة في زمان استعمال الدواء وبالفعل في زمان وجود العافية مما كان يألم منه فاقدها، وهذا كله عطاء إلهي، كلا نمد هؤلاء أصحاب الجنة وهؤلاء أصحاب النار من عطاء ربك فعم الجميع مع اختلاف الذوق ﴿وما كان عطاء ربك محظورا﴾ أي ممنوعاً، فعم العطاء الكل فعلمنا أن عطاءه عين الرحمة التي سبقت فوسعت كل شيء من مكروه وغيره وغضب وغيره، فما في العالم عين قائمة ولا حال إلا ورحمة الله تشمله وتحيط به وهي محل له ولا ظهور له إلا فيها، فبالرحمن استوى على عرشه وما انقسمت الكلمة إلا من دون العرش من الكرسي فما

Marfat.com

تحته فإنه موضع القدمين وليس سوى انقسام الكلمة، فظهر الأمر والخلق والنهي والأمر والطاعة والمعصية والجنة والنار كل ذلك عن أصل واحد وهي الرحمة التي هي صفة الرحمن:

فما استوى علينا إلا برحمته ... وما لنا نعيم إلا بنعمته
ميداننا عريض في حصر قبضته ... نجول فيه حتى نحظى بحظوته

ولماكانت اليد لها العطاء ولها القبض فباليد قبض علينا فنحن في قبضته، واليد محل العطاء والجود فنحن في محل العطاء لأنا في قبضته:

فلولا الحصر ما وجد النعيم ... ولا كان الجنان ولا الجحيم
وفي الدارين إنعام لرحمي ... بأهلهما يقوم بهم مقيم
وقول اللّه أصدق كل قيل ... يعرّف أنه البرّ الرحيم

فالتكوين دائم العطاء دائم، فهي حضرة لا يحصرها عدد ولا أمد يقعها تجري إلى غير أجل من حيث ذاتها، وإن كان فيها آجال معينة فما تخرج منها فآجالها فيها، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الشافي حضرة الشفاء

إن الشفاء إزالة الآلام ... تعنو له الأرواح والأجسام
هذا هو الحق الذي قلنا به ... دلت عليه السادة الأعلام
والشرع يعضده لذا جئنا به ... وكذلك الألباب والأحلام
إني عليل ولا شخص يخبرني ... عنه تعالى بنا بأنه الشافي
إني سعيت وعين الحق تحفظني ... ولست أدري بها في عين إتلافي
إني وفيت له بعهده زمناً ... وما يعرفني بأنه الوافي
الحق يثبتني في كل طائفة ... حباً ويظهر لي في صورة النافي
لكل شخص من القرآن سورته ... وسورتي عندما أتلو لإيلاف

يدعى صاحبها عبد الشافي، يقول الله عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه قال: «وإذا مرضت فهو يشفين» فالشافي مزيل الأمراض ومعطي الأغراض، فإن الأمراض إنما تظهر أعيانها لعدم ما تطلبه الأغراض، فلو زال الغرض لزال الطلب فكان يزول المرض، فحضرة

Marfat.com

الشفاء هي التي تنيل أصحاب الأغراض أغراضهم ولا بد من الغرض، فإن حيل بين من قام به الغرض وما تعلق به كان المرض، فإن نال ما تعلق به فهو الشفاء له من ذلك المرض والمنيل هو الشافي، وكثيراً رأينا ممن يطلب آلاماً أي أموراً مؤلمة ليزيل بها آلاماً هي عنده أكبر منها وأشد فتهوّن عليه ما هو دونها، وتلك الآلام المطلوبة له هي في حقه شفاء وعافية لإزالة هذه الآلام الشديدة، فما طلب هذه الآلام لكونها آلاماً فإن الألم غير مطلوب لنفسه وإنما طلبه لإزالة ما هو أشد منه في توهمه، ومهما وجد الألم المؤلم ولو كان قرصة برغوث لكان الحكم له في وقت وجوده، ويريد المبتلى به إزالته بلا شك، فما طلبه إذا طلبه إلا بالتوهم المتعلق بإزالة هذا الأشد، فإذا حصل وذهب الأشد كان ذلك الألم المطلوب شديداً في حقه يطلب زواله بعافية أو مزيل لا ألم فيه. وورد في الخبر: «أذهب البأس رب الناس أشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك وما ثم شفاء إلا شفاؤه فإن الكل خلقه» ولهذا قال الخليل: «فهو يشفين» فأمرنا الله أن نصلي على محمد ﷺ كما نصلي على إبراهيم لأنه جاء بأمر محتمل أزال هذا الاحتمال إبراهيم عليهما السلام، وقد أمر أن يبين للناس ما نزل إليهم لأن الله ما أنزل ما أنزله إلا هدى أي بياناً ورحمة بما يحصل لهم من العلم من ذلك البيان فقال الخليل: «فهو يشفين»، فنص على الشافي وما ذكر شفاء لغيره، وقال النبي ﷺ في دعائه: «لا شفاء إلا شفاؤك» فدخل الاحتمال لما جعل الله في الأدوية من الشفاء وإزالة الأمراض، فيحتمل أن يريد محمد ﷺ أن كل مزيل لمرض إنما هو شفاء الله الذي أودعه في ذلك المزيل فأثبت الأسباب وردها كلها إلى الله، وهذا كان غرض رسول الله ﷺ مع تقرير الأسباب، لأن العالم ما يعرفون شفاء الله من غير سبب مع اعتقادهم أن الشافي هو الله، ويحتمل لفظ النبي ﷺ إثبات أشفية لكن لا تقوم في الفعل قيام شفاء الله فقال: «لا شفاء إلا شفاؤك» والأوّل في التأويل أولى بمنصب رسول الله ﷺ، فلما دخل الاحتمال كان البيان من هذا الوجه في خبر إبراهيم الخليل عليه السلام فقيل لنا قولوا في الصلاة على محمد كما صليت على إبراهيم والصلاة من الله الرحمة والشفاء من الرحمة، وقد اقتضى مقام النبي ﷺ أن يبين أن الأشفية التي تكون عند استعمال أسبابها أنها شفاء الله إذ لا يتمكن رفع الأسباب من العالم عادة، وقد ورد أن الله ما خلق داء إلا وخلق له دواء، فأراد الله أن يعطي محمداً ﷺ ما أعطاه إبراهيم خليله مع ما عنده مما ليس عند غيره، هذا أبو بكر رضي الله عنه وهو حسنة من حسنات رسول الله ﷺ يقول الطبيب أمرضني والخليل يقول: «وإذا مرضت فهو يشفين» فانظر ما بين القولين تجد قول أبي بكر أحق، وانظر ما بين الأدبين تجد الخليل عليه

Marfat.com

السلام أكثر أدباً فإن آداب النبوّة لا يبلغها أدب كما قال معلم موسى عليه السلام ﴿فأردت أن أعيبها﴾ وأراد ربك أن يبلغا أشدهما فهذا لسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام:

وكـل وقـت لـه حـال ينطقـه ... وكـل حـال لـه معنـى يحققـه

فقول إبراهيم الخليل: «وإذا مرضت» نهاية وقوله: «يشفين» بداية، وقول النبي ﷺ: «لا شفاء إلا شفاؤك» نهاية النهاية فهي أتم والإتيان بالأمرين أولى وأعم، فجمع الله الأمرين لمحمد ﷺ في الصلاة عليه كما صليت على إبراهيم الذي أمرنا الله أن نتبع ملته لتقدمه فيها لا لأنه أحق بها من محمد ﷺ، فللزمان حكم في التقدم لا في المرتبة كالخلافة بعد رسول الله ﷺ الذي كان من حكمة الله تعالى أنه أعطاها أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علياً بحسب أعمارهم، وكل لها أهل في وقت أهلية الذي قبله، ولا بد من ولاية كل واحد منهم وخلع المتأخر لو تقدم لا بد منه حتى بلى من لا بد له عند الله في سابق علمه من الولاية فرتب الله الخلافة ترتيب الزمان للأعمار حتى لا يقع خلع مع الاستحقاق في كل واحد من متقدم ومتأخر، وما علم الصحابة ذلك إلا بالموت، ومع هذا البيان الإلهي فبقي أهل الأهواء في خوضهم يلعبون مع إبانة الصبح لذي عينين بلسان وشفتين نسأل الله العصمة من الأهواء، وهذه كلها أشفية إلهية تزيل من المستعمل لها أمراض التعصب وحمية الجاهلية، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الفرد الوتر حضرة الأفراد

نفـردت بـالفـرد فـي نشـأتـي ... وإنـي بتثليثهـا مفـرد
ومـالـي سبيـل إلـى غـايتـي ... وإنـي إلـى غـايتـي أوحـد
ورثـت مـن أشيـاخنـا كـل مـا ... يـورثنـي المجـد والسـودد
وإنـي إذا كنتـه لـم أكـن ... وإنـي أنـا ذلـك الأوحـد
وهـذا الـذي قلتـه إنـه ... عـن الله سبحـانـه أسنـد

يدعى صاحبها عبد الفرد وعبد الوتر وعبد الأحد وأمثال ذلك، قال رسول الله ﷺ: «إن الله وتر يحب الوتر» وأوتر رسول الله ﷺ بواحدة وبثلاث وبالخمس وبالسبع وبالتسع وبإحدى عشرة وكل فرد وتر بالغاً ما بلغ، وكل مشفع وتراً أحد، وكل موتر شفعاً وتر وفرد وأحد، ويسمى وتراً لأنه طالب ثار من الأحد الذي شفع فرديته فإن الحكم للأحد في شفع

Marfat.com

الفرد ليس للفرد ولا للوتر، فلما انفرد به الأحد طلب الفرد ثأره من الأحد بالوتر فإن الوتر في اللسان بلحنهم هو الدحل وهو طلب الثار وهو قوله ﷺ في الذي تفوته صلاة العصر في الجماعة: «**كأنما وتر أهله وماله كان صلاة الجماعة في العصر طلبت ثارها من المصلي فذا مع تمكنه من الجماعة، وإذا أوتر بواحدة سميت البتيرا**» لأن من شأن الوتر على حكم الأصل أن يتقدمه الشفع فإذا أوتر بواحدة لم يتقدمها شفع فكانت بتيراً على التصغير، والأبتر هو الذي لا عقب له، وهذه البتيرا ما هي بتيراً لكونها لا عقب لها وإنما هي بتيراً لكونها ليست منتجة ولا نتجت فلها منزلة لم يلد ولم يولد فإذا تقدمها الشفع لم تكن بتيراً لأنها ما ظهرت إلا عن شفع، ولهذا كان رسول الله ﷺ لا يسلم من شفعه إلا في وتر ذلك الشفع فيصله بالشفع ليعلم أنه منه، هذا كله ليتميز من الأحد فإن الأحد لا يدخله اشتراك ولا يكون نتيجة عن شفع أصلاً، وإن كان عن شفع فليس بواحد وإنما هو ثلاثة أو خمسة فما فوق ذلك، وتقول في سادس الخمسة أنه واحد لأنه ليس بسادس ستة فقد تميز عن الشفع مما هو منفصل وليس إلا الأحد بخلاف الفرد والوتر.

وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحد من أحصاها دخل الجنة فإن الله وتر يحب الوتر**» فأوتر التسعين بالتسعة واستثنى الواحد منن المائة ولم يقل مائة إلا وتراً أو فرداً لأن الاشتراك في الفردية والوترية وليس في الأحدية اشتراك ولو قالها هنا لعلم بذكر المائة وذكر التسعة والتسعين أنه أراد الواحد، فلولا قرائن الأحوال ما كان يعرف أنه أراد الواحد للاشتراك الذي في الأفراد والأوتار، فأبان بالواحد بعين اسمه، فقوّة الأحد ليست لسواه وأحدية الكثرة أبداً إنما هي فرداً ووتراً لا يصح أن تكون واحداً، وسواء كانت الكثرة شفعاً أو وتراً وإنما أحب الله الوتر لأنه طلب الثار والله يقول: ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾ والحق سبحانه قد نوزع في أحديته بالألوهية، فلما نوزع في ألوهيته جاء بالوتر أي بطالب الثار ليفنى المنازع وينفرد الحق بالأحدية أحدية الذات لا أحدية الكثرة التي هي أحدية الأسماء، فإن أحدية الأسماء شفع الواحد لأن الله كان من حيث ذاته ولا شيء معه فما شفع أحديته إلا أحدية الخلق فظهر الشفع:

فما في الكون إلا الشفع فانظر ... فإن الرب بالمربون كانا
فمن فهم الذي قد قلت فيه ... أهان شريكه والشرك هانا
لهذا الحق بعد الأخذ فيه ... يورثه برحمته جنانا

Marfat.com

بدار النار لم يخرجه منها | وأعطاه بها النعمى امتنانا
فكن فرداً وكن وتراً تكنه | ولا تك واحداً فيه عيانا
تحز بالوتر إن فكرت فيه | وبالفرد المكانة والمكانا
ولا تنظر إلى الأحد المعلى | فما في الكون من عين سوانا
إذا قال الإله لكل شيء | يريد وجوده إن كن فكانا
وما كان الذي قد كان منه | سواه فمن رآه فقد رآنا

الرفيق حضرة الرفق والمرافقة

إن الرفيق هو الذي يسترفق | وهو الإمام العالم المتحقق
فإذا نطقت عن الإله مترجماً | ألقى على الأسماء ما يتحقق
إذا كان الرفيق هو الرفيق | فلا تجنح إلى غير الرفيق
تفز بالسبق والتحقيق فيه | يبينه له معنى الطريق
لقد دقت إشارات المعاني | إلى قلبي بمعناها الدقيق
وجلت إن تنال بكل فكر | لأن مجيئها لمع البروق
وقلت لصاحبي مهلاً فإني | سأشهد حالها عند الشروق

يدعى صاحبها عبد الرفيق وهو أخو الصاحب في الدلالة، ولما خير ﷺ عند الموت ما قال ولا سمع منه، إلا الرفيق الأعلى فإنه تعالى كان مرافقه في الدنيا وعلم منه تعالى أنه يريد بطلوع الفجر الرجوع الى عرشه من السماء الدنيا التي نزل إليها في ليل نشأته الطبيعية، فلم يرد ﷺ مفارقة رفيقه فانتقل لانتقاله ورحل لرحلته ولذلك قال ﷺ الرفيق ولم يقل غير ذلك لأن الإنسان خلق في محل الحاجة والعجز فهو يطلب من يرتفق به، فلما وجد الحق نعم الرفيق وعلم أن الارتفاق به على الحقيقة هو الارتفاق الموجود في العالم وإن أضيف إلى غيره فلجهل الذي أضافه فطلب الرفيق الذي بيده جميع الإرفاق فلم يطلب أثراً بعد عين، وهكذا حال كل من أحب لقاء الله إذا لم تكن له درجة مشاهدة الرفيق وهو في قوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ فهو رفيقنا تعالى في كل وجهة نكون فيها غير أنا حجبنا فسمى انفصالنا عن هذا الوجود الحسي بالموت لقاء الله وما هو لقاء وإنما هو شهود الرفيق الذي أخذ الله بأبصارنا عنه فقال: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه:

Marfat.com

فنلقـــاه بـــالكـــرامـــة والبشـــر وبـــالـــرضـــى
وبـــأهـــل ومـــرحـــب ضـــاق عـــن وسعـــه الفضـــا

فلم يعرفه المحجوب رفيقاً حتى لقيه فإذا لقيه عرفه وهو قوله: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ فاستحيوا منه المؤمنون لما عاملوه به من المخالفة لأوامره تعالى وخاف منه المجرمون فلقوه على كره فكره الله لقاءهم، ومع هذه الكراهة فلا بد من اللقاء للجزاء كان الجزاء ما كان، ولما كان الإنس والرحمة وأخواتهما في الرفيق والمرافقة؛ لذلك اختصت البنوية باسم الرفيق فتقول: فلان رفيق فلان لأنه يغضب لرفيقه وينصره ولا يخذله وينصر الحق ولا يخذله فإنه من شرط البنوّة أنه لا يكذب فيعتضد بالبنوي الحق في إظهار الصدق وليس ذلك لغير هذه الطائفة، وإذا لم يكن على مكارم هذه الأخلاق خلع عنه قميص البنوّة وهو قميص نقي سابغ، فمن دنسه أو قلصه عاد ذلك عليه وخلع عنه قميصها فلا يلبسه إلا أهلها.

الباعث حضرة البعث

حضـــرة البعـــث حضـــرة الإرســـال فلهـــا الصـــدق وهـــو مـــن أحـــوالـــي
كمـــا قلـــت قـــد أتـــانـــي رســـول منـــه يبغـــي دون الأنـــام ســـؤالـــي
تهـــت عجبـــاً بـــه وقلـــت أنيســـي أنـــت والله إن خطـــرت ببـــالـــي
إنـــي بعثـــت إلـــى المحبـــوب فـــي السحـــر بمـــا أتيـــت بـــه مـــن صـــادق الخبـــر
وقلـــت إن كنـــت تـــدري مـــا أفـــوه بـــه مـــن شـــاهـــد الحـــب فلتنهـــض علـــى أثـــري
فمـــا شهـــدتـــك يـــا مـــن لا شبيـــه لـــه لا فـــرق عنـــدي بيـــن الستـــر والنظـــر
فـــالكشـــف ينبـــيء عـــن أســـرار مـــوجـــد بمـــا يشـــاهـــده فـــي الشمـــس والقمـــر
إن البصـــائـــر أغنتنـــي حقـــائقهـــا عمـــا يشـــاهـــد رب الكشـــف بـــالبصـــر

يدعى صاحبها عبد الباعث. قال تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم﴾ وقال: ﴿وإن الله يبعث من في القبور﴾ وقال: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ وقال: ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً﴾ فمن هذه الحضرة بعث الرسل وأنزل الكتب وحشر الناس بعد أن أنشرهم، ثم بعث بهم من هذه الحضرة، إلى منازلهم يعمرونها من جنة ونار كل بشاكلة عمله، فيبعثهم ويبعث إليهم، فالبعث لا ينقطع في الدنيا والآخرة والبرزخ غير أن الرسل عرفاء لا تمشي إلا بين الملوك لا بين الرعايا، وإنما تخاطب الرؤساء والعرفاء، فالإرسال

Marfat.com

من الله إنما أرسلهم من كونه ملكاً إلى النفوس الناطقة من عباده لكونهم مدبرين مدائن هياكلهم ورعاياهم جوارحهم الظاهرة وقواهم الباطنة، فما تجيء رسالة من الملك إلا بلسان من أرسل إليهم قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ فيبعث الله رسله إلى هذه النفوس الناطقة وهي التي تنفذ في الجوارح ما تنفذ من طاعة ومخالفته ولها قبول الرسالة والإقبال على الرسول والتحفي به أو الإهانة، وقد يكون الرد بحسب ما أعطاها الله من الاستعداد من توفيق أو خذلان، فجعل النفوس ملوكاً على أبدانها وأتاها ما لم يؤت أحداً من العالمين وهو طاعة رعاياها لها، فالجوارح والقوى لا تعصى لها أمراً بوجه من الوجوه، وسائر الملوك الذين رعاياهم غير متصلين بهم قد يعصون أوامر ملوكهم، كما أن من هؤلاء الملوك قد يعصي ما أمره به الملك الحق سبحانه وتعالى على لسان رسوله إليهم وقد يطيع، فتوجيه الرسل وبعث الله إليهم أثبت لهم كونهم ملوكاً، فلما أنزلهم منزلته في الملك علمنا أنه لولا ما ثم مناسبة تقتضيه ما كان هذا، فإذ المناسبة في أصل الخلقة وهي قوله تعالى: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ فهو ولاه وملكه وجعله خليفة عنه، فمنهم من خرج عليه كفرعون وأمثاله، ومنهم من لم يخرج عليه فما كانت الرسل إلا إلى ولاته، ثم إن هؤلاء الملوك النواب وجهوا أيضاً منهم إليه تعالى إرسالهم يطلبون منه ما يؤيدهم به في تدبير ما ولاهم عليه، فصار الملك ملك الملك لهذا السبب فمنه إليهم ومنهم إليه، فما وجه ولا بعث إرساله إلا إليه، وما قبل الإرسال إلا منه فإنهم من روحه وجدوا، ومن عين كونه كانوا، وهنا أمور وأسرار أعني في خروجهم عليه كما يخرج الولد على والده والعبد على سيده إذا ملكه يسعى في هلاكه مع إحسانه إليه وبايع على قتله لينفرد هو بالملك، وهذا واقع في رد الأفعال إليهم وليست إلا إلى الله تعالى، وغاية الموفق منهم الاشتراك في الأمر وهو الشرك الخفي، فشرع لهم سبحانه قول: لا حول ولا قوة إلا بالله رحمة بهم، وقوله: ﴿وإياك نستعين﴾ وقنع منه بذلك من كونه حكيماً.

ولما علم أن مثل هذا الشرك يقع منهم والدعوى أمرهم بالاستعانة بالله تقريراً لدعواهم حتى يكون ذلك عن أمره، فأمثالنا يقول مثل هذا كله تعبداً ويثابر عليه بخلاف من لا يعلم، وما قرار الحق لعباده هذا إلا غيرة فيتخذون ذلك عبادة ويقولون إذا رجعوا إليه وكان الملك لله الواحد القهار في مواطن الجمع، وسئلوا عن مثل هذا الشرك الخفي يقولون أنت أمرتنا بالاستعانة بك فأنت قررت لنا أن لنا قوّة لنفرد بها وإن كان أصلها منك ولكن ما

Marfat.com

لها النفوذ إلا بمعونتك فطلبنا القوّة منك فإنك ذو القوة المتين، فيصدقهم الله في كونهم جعلوا القوّة منه التي فيهم وأنهم رأوا فيها القصور لخاصية المحل، فمالها نفوذ الاقتدار الإلهي إلا بمساعدة الاقتدار الإلهي، فإن العجز والجبن والبخل في الخلق ذاتي لازم في جبلته، وأصل خلقه ﴿أن الإنسان خُلِق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً﴾ فإذا نكر وتشجع فنصرته من المكانة والاكتساب والتخلق بأخلاق الله حيث كان في ذاته روحاً منه فأثرت البقعة كما تؤثر البقعة في الماء بما يوجد من الملوحة والمرارة وغير ذلك من المطاعم والماء من حيث هويته على صفة واحدة من الطيب والطعم، فانظر إلى ما أثرت فيه البقعة كذلك هي الأرواح المنفوخة في الأجسام من أصل مقدس نقي، فإن كان المحل طيب المزاج زاد الروح طيباً، وإن كان غير طيب خبثه وصيره بحكم مزاجه فرسل الله الذين هم خلفاؤه أطهر الناس محلاً فهم المعصومون، فما زادوا الطيب إلا طيباً، وما عداهم من الخلفاء منهم من يلحق بهم وهم الورثة في الحال والفعل والقول، ومنهم من يختل بعض اختلال وهم العصاة، ومنهم من يكثر من ذلك الاختلال وهم المنافقون، ومنهم المنازع والمحارب وهم الكفار والمشركون فيبعث الله إليهم الرسل ليعذروا من نفوسهم، إذا عاقبهم بخروجهم عليه واستنادهم إلى غيره الذي أقاموه إلهاً فيهم من أنفسهم وكذبوا عليهم في جعلهم إياهم آلهة والإله لا يكون بالجعل، ولكن ما حملهم على ذلك إلا أصل صحيح وهو أنهم رأوا اختلاف المقالات في الله مع الاجتماع على أحديته وأنه واحد لا إله إلا هو، ثم اختلفوا فيما هو هذا الإله فقال كل صاحب نظر بما أداه إليه نظره فتقرر عنده أن الإله هو الذي له هذا الحكم، وما علم أن ذلك عين جعله فما عبد إلا إلهاً خلقه في نفسه واعتقده سماه اعتقاداً، واختلفوا في ذلك اختلافاً كثيراً، والشيء الواحد لا يختلف في نفسه، فلا بد أن يكون هو في نفسه على إحدى هذه المقالات أو خارجاً عنها كلها.

ولما كان الأمر بهذه المثابة أثر وهان عليهم اتخاذ الأحجار والأشجار والكواكب والحيوانات وأمثال ذلك من المخلوقات آلهة كل طائفة بما غلب عليها. كما فعل أهل المقالات في الله سواء، فمن هذا الأصل كان المدد لهم وهم لا يشعرون، فما ترى أحداً يعبد إلهاً غير مجعول فيخلق الإنسان في نفسه ما يعبده وما يحكم عليه، والله هو الحاكم لا ينضبط للعقل ولا يتحكم له بل له الأمر في خلقه من قبل ومن بعد لا إله إلا هو إله كل شيء ومليكه، وهذا كله من الاسم الباعث فهو الذي بعث إلى بواطنهم رسل الأفكار بما نطقوا به

Marfat.com

واعتقدوه في الله، كما أنه بعث إلى ظاهرهم الرسل المعروفين بالأنبياء والنبوة والرسالة، فالعاقل من ترك ما عنده في الله تعالى لما جاؤوا به من عند الله في الله، فإن وافقوا ما جاءت به رسل الأفكار إلى بواطنهم كان وشكروا الله على الموافقة، وإن ظهر الخلاف فعليك باتباع رسول الظاهر، وإياك وغائلة رسل الباطن تسعد إن شاء الله، وهذا نصيحة مني إلى كل قابل ذي عقل سليم ﴿وقل رب زدني علماً﴾ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الحق حضرة الاسم الحق

الحق بالحق أفنيه وأثبته ... فالحق ما بين إعدام وأثبات

لولا الوجود ولولا سرّ حكمته ... ما كان يعبد في العزى وفي اللات

إن الأمور التي بها يقيدني ... بها يسرّ حتى في الحال والآتي

إن الذي قد مضى إلى مرجعه ... لما لديه من أمراض وآفات

والله لو علمت نفسي بمن كلفت ... ما كنت أفرح بالفاني إذا يأتي

يدعى صاحبها عبد الحق، قال تعالى: ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾ وليس إلا الخلق والضلال والحيرة، بالخلق ظهر حكم الضلال:

فعين وجود الحق نور محققوعين وجود الخلق ظل له تبع

فالحق عين الوجود والخلق قيده بالإطلاق، فالخلق قيد مقيد فلا حكم إلا له وبه، والحق الحاكم ولا يحكم إلا بالحق، فحق الحق عين الخلق فأنى تصرفون، والأمر كما قلناه، وما سمي خلقاً إلا بما يخلق منه، فالخلق جديد وفيه حقيقة اختلاق لأنك تنظر إليه من وجه فتقول هو حق، وتنظر إليه من وجه فتقول هو خلق وهو في نفسه لا حق ولا غير حق، فإطلاق الحق عليه والخلق كأنه اختلاف فغلب عليه هذا الحكم فسمي خلقاً وانفرد الحق باسم الحق، إذ كان له وجوب الوجود بنفسه، وكان للخلق وجوب الوجود به لا أقول بغيره فإن الغير ماله عين وإن كان له حكم كالنسب لا عين لها ولها الحكم، فبالحق خلق السماء والأرض، وبالحق أنزل القرآن، وبالحق نزل، وللحق نزل، ففي الخلق تاه الخلق لأنه ليل سلخ منه النهار فإذا هم مظلمون حيارى تائهون ما لهم نور يهتدون به كما جعل الله النجوم لمن يهتدي بها في ظلمات البرّ والبحر، وهو نظر العامّة والخواص في ظلمات لا يبصرون ﴿صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾ تارة يقولون: نحن نحن وهو هو، وتارة

Marfat.com

يقولون: هو نحن ونحن هو، وتارة يقولون: لا نحن مخلصون ولا هو مخلص، ثم صدق الله هؤلاء الخواص في حيرتهم بقوله لا خص خلقه علماً ومعرفة: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ فنفى عين ما أثبت فما أثبت وما نفى فأين العامة من هذا الخطاب؟ فالعلم بالله حيرة والعلم بالخلق حيرة، وقد حجر النظر في ذاته وأطلقه في خلقه، فالهداة في النظر في الخلق لأنه الهادي وقد هدى، والعمى في النظر في الحق فإنه قد حجر وجعله سبيل الردى، وهذا خطاب خاطب به العقلاء ما خاطب به أهل الجمع والوجود، فما نظر قط أهل الخصوص في اكتساب علم به ولا بمعلوم، وإنما جعل لهم أن يهيؤوا محالهم ويطهروا قلوبهم حتى يأتي الله بالفتح أو أمر من عنده بالفتح فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين لأنهم عاينوا ما وصلوا إليه بالفتح الإلهي والأمر عين ما انفصلوا عنه فما زادهم إلا إيماناً بالحيرة وتسليماً لحكمها، ومن هذه الحضرة أثبت أن الباطل شيء قذف بالحق عليه فدمغه، فإذا الباطل زاهق ولا يزهق إلا ماله عين أو ما نخيل أن له عيناً فلا بدّ له من رتبة وجودية خيالاً كانت أو غير خيال قد اعتنى بها على كل حال، ثم أنه من أعظم الحيرة في الحق أن الحق له الوجود الصرف فله الثبوت وصور التجلي حق بلا شك:

وما لها ثبوت وما لها بقاء | لكن لها اللقاء فما لها شقاء

ما من صورة ينجلي فيها إلا إذا ذهبت مالها رجوع ولا تكرار، وليس الزهوق سوى عين الذاهب فأين تذهبون؟ فهل في الحق باطل أو ما هو الباطل، وما أذهب الصورة إلا قذف الصورة الأخرى وهي تذهب ذهاب أختها فهي من حيث ورودها حق ومن حيث زهوقها باطل، فهي الدامغة المدموغة فصدق من نفى رؤية الحق فإن الحق لا يذهب، فإنه إن كانت الصور صورنا فما رأينا إلا أنفسنا ونحن ليس بباطل وقد زهقنا بنا فنحن الحق لأن الله بنا قذف علينا، فما أتى علينا إلا منا، فالله بالحق قاذف والعبد للحكم الإلهي واقف:

فالعين مني ومنه | لها البقاء والثبوت
ومنه مني يحيى | أو منه مني يموت
لا تدعي فيه دعوى | فإنه ما يفوت
من ذا الذي منه يحيى | أو من هو منه يميت
قد حرت فيه وفينا | فنحن خرس صموت
أصبحت لله قوتاً | وإنه لي قوت

Marfat.com

فـــالأمــــر دور وهـــذا علمـــي بـــه مـــا بقيـــت

فلا تعتمد على من له الزهوق فإنه ما يحصل بيدك منه شيء ولا تعتمد إلا عليك فإن مرجعك إليك وإلى الله ترجعون كما ترجع الأمور، فمن هنا قال من قال من رجال الله أنا الله فاعذروه فإن الإنسان بحكم ما تجلى له ما هو بحكم عينه وما تجلى له غير عينه فسلم واستسلم فالأمر كما شرحته، وعلى الله قصد السبيل ولو شاء لهديكم أجمعين.

الوكيل حضرة الوكالة

وكيلـي مـن يقـول أنـا الـوكيـل ويـدري أننـي عنـه أقـول
ولـو أنـي أشـاهـده بقلبـي لمـا كـان الطلـوع ولا الأفـول
ولكنـي أشـاهـده بعينـي لـذا وقـع التحيـر والـذهـول

يدعى صاحبها عبد الوكيل، بهذا الاسم الإلهي ثبت الملك والملك للخلق، فإنا ما وكلناه إلا في التصرّف في أمورنا فيما هو لنا لعلمنا بكمال علمه فينا فإنه يعلم منا ما لا نعلمه من نفوسنا، وما أعطاه العلم بنا سوانا في حال ثبوتنا، فنحن العلماء الجاهلون وهو العليم الذي لا يجهل، ولهذا هو الحليم الذي لا يعجل فيمهل ولا يهمل ونحن نعجل، وهو يعلم منا أنا نعجل وما نعجل وإنما هو انتهاء مدّة الأجل، فالأجل منه قصير المدّة ومنه طويلها، فكل يجري إلى أجل مسمى إلا ما لا يتناهى جرياناً دائماً لا ينقضي، فالحق كل يوم في شأن ونحن في خلق جديد بين وجود وانقضاء، فأحوال تتجدّد على عين لا نبعد بأحكام لا تنفذ وهي كلمات الله وخلقه، ولا تبديل لكلمات الله ولا تبديل لخلق الله، وإنما التبديل لله فنحن كلماته وخلقه، فهذا الوكيل الحق قد أعلمنا بتصرفه فينا أنه ما زاد شيئاً على ما أعطيناه منا لأن الوكيل بحكم موكله فلا يتصرّف إلا فيما أذن له، فللوكيل الحجة البالغة فإنه لا يزيد على الحد المفوض إليه وما ثم ما يقبل الزيادة، فإن قلت للوكيل: لو فعلت كذا؟ كشف لك عنك فرأيت أنك جعلته أن يفعل ما أنكرت عليه فعله، وكشف لك عن إنكارك، فلا بد لك من الإنكار عليه فعذرك وعذرته:

فـــلا تلـــم وكيـــلاً ولـــم مـــوكلـــه
ولا تلمـــه أيضـــاً فـــالعيـــن مجملـــه
فـــإنمـــا وجـــودي بـــه ونحـــن لـــه

Marfat.com

وكلما بدا لي فالكون فصله
يعلم ذا إلهي علي فضله

ومن يطع الرسول فقد أطاع الله لأن الله وكله على عباده، فأمر ونهى وتصرّف بما أراه الله الذي وكله، ونحن وكلناه تعالى عن أمره وتحضيضه، فأمره قوله فاتخذه وكيلاً وتحضيضه أن لا يتخذوا من دوني وكيلاً، فالرسول وكيل الوكيل، وهو من جملة من وكل الحق عن أمره تعالى فهو منا وهو الوكيل من الوكيل علينا، فوجب على الموكل طاعة الوكيل لأنه ما أطاع إلا نفسه فإنه ما تصرّف فيه إلا به كما قرّرناه، فرتبة الوكالة رتبة إلهية سرت في الكون سريان الحياة، فكما أنه ما في الكون إلا حيّ فما في الكون إلا وكيل موكل، فمن لم يوكل الحق بلفظه وكله الحال منه ونقوم الحجة عليه، وإن وكله بلفظه فالحجة أيضاً عليه لأن الوكيل ما تصرّف في غير ما فوّض إليه موكله، وجعل له أن يوكل من شاء، فوكل الرسل في التبليغ عنه إلى الموكلين أنه من المصالح التي رأينا لكم أن تفعلوا كذا وتنتهوا عن كذا، فإن ذلكم لكم فيه السعادة والفوز من العطب، فمن تصرّف من الموكلين عن أمر وكيل الوكيل فقد سعد ونجا وحاز الخير بكلتا يديه وملأهما خيراً ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم كما يحييكم﴾ فلا تتهموا وكيلاً ولا تتخذوا إلى تجريحه سبيلاً وقفوا عند حدّه وأوفوا له بعهده، وهذه حضرة التسليم والتفويض، وأنت الجناح المهيض، فإنه خلقك على صورته ثم كسرك بما شرع لك فصرت مأموراً منهياً، ثم جبرك من هذا الكسر بما سلب عنك بقوله: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ ثم كسرك بالجزاء لأنه ما عمل معك إلا ما علم وما علم إلا منك، وليس المهيض سوى هذا فإنه المكسور بعد جبر والجبر لا يرد إلا على كسر، فالأصل عدم الكسر وهو الصحة وليست إلا الصورة، فاعلم ما نبهتك عليه واسأل به خبيراً فلا علم إلا عن ذوق:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

وهذا القدر من هذه الحضرة كاف لمن استعمله، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

القوى حضرة القوّة

إذا كان القوى يشدّ ركني فلست أبالي من ضعف يكون

Marfat.com

إذا عسرت علي أمور كوني فمن تيسيره أبداً تهون
أنا العبد المطاع بكل وجه إذا ما شئته وأنا المكين
وإني واحد فرد تريه وإني عنده الروح الأمين
أبانت لي مشيئته تعالى مشائي والتي لي ما تبين

هذه الحضرة ممتزجة يدعى صاحبها عبد القوي، وصف نفسه تعالى بأنه ذو القوّة وهذا فيه إجمال فإنه اسم حميري أي صاحب القوّة أي قوّة القوّة التي فينا ونجدها من نفوسنا كما نجد الضعف وهي قوّة مجعولة لأنه قال: ﴿خلقكم من ضعف﴾ وما خلقنا إلا عليه، كما سخر لنا ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه، فما أنشأ العالم إلا منه وعليه إن فهمت، ثم جعل من بعد ضعف قوّة لما نقلنا من حال الطفولة إلى حال الشباب، ثم جعل من بعد قوّة ضعفاً وشيبة رجوعاً إلى الأصل فسمى هرماً والشيب للشيخوخة، فهل هو الضعف الأوّل الذي خلقنا منه وأين القوّة هناك؟ فالمدبر الأوّل هو المدبر الآخر وهو الأوّل والآخر والوسط محل الدعوى الواقعة منه في الظاهر والباطن إلا من وفقه الله للنظر في أوّل نشأته ورجوعه إليها وما وجدنا للقوّة ذكراً في الأوّل ولا في الآخر، فرأينا أن ننظر في معنى هذا الضعف الذي خلقنا منه فوجدناه عدم الاستقلال بالإيجاد إن لم تكن منا الإعانة بالقبول لأجل الإمكان، فإن المحال غير قابل للتكوين.

ولما كانت الإعانة بالقبول والاستعداد علمنا أن الاقتدار غير مستبد، وليس الضعف هنا سوى عدم هذا الاستبداد فشرع لنا ما هو شرع له أن نستعين به في الاقتدار كما استعان بنا في القبول منا لنعلم أن الضعف ليس إلا هذا، ثم جعل لنا قوّة غير مستقلة، فالقوّة على الحقيقة ما يظهر لها عين إلا بالمجموع فهو ذو القوّة لأنه الواجب الوجود لنفسه، ونحن الواجبون به لا بأنفسنا، فهو وإن خلقنا من ضعف فإنه جعل فينا قوّة لولاها ما كلفنا بالعمل والترك لأن الترك منع النفس من التصرف في هواها وبهذا عمت القوّة العمل والترك:

فنحن فيها على السواء بلا افتراء ولا مراء
لكنه الأصل في وجودي وما له فيه من بقاء
لأنه بالشؤن يفنى فهو على منهج الفناء

ولما جعل الله الشيب نوراً بالقوّة هنا وبالفعل في الآخرة، وقرن الشيبة بالضعف الذي رجعنا إليه ليرينا بذلك النور الشيبي أن ذلك الضعف ما هو ضعف ثان من أجل ما نكره كما

Marfat.com

قال: ﴿إن مع العسر يسراً ثم إن مع العسر يسراً﴾ يعني يسراً آخر فرجعنا إلى الضعف الأوّل على عين الطريق الذي منه خرجنا، ألا تراه سبحانه يقول: ﴿أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾ وقال: ﴿ومنكم من يردّ﴾ فوصفنا بأنا نردّ وهو الرجوع إلى الضعف الأوّل ﴿إلى أرذل العمر﴾ وأرذل العمر ما لا يحصل لنا فيه علم فقال: ﴿لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً﴾ فإما أن يكون منع الزيادة، وإما أن يكون اتصف بعدم العلم في حال الهرم لشغله بما هو عليه من الضعف المفرط، فإن الدنيا بالإنسان حامل والهرم شهر ولادتها فتقذفه من بطنها إلى البرزخ وهو المنزل الأوّل من منازل الآخرة، فيتربى فيه كما يتربى المولود إلى يوم البعث وهو حد الأربعين حد الزمان الذي تبعث فيه الرسل الذين هم أكمل العالم علماً بالأمور الإلهية، فيحوزون القوّة في دار الكرامة التي لا ضعف يعقبها فيتكوّن عنهم حساً ما يتكوّن هنا في خيالهم معنى، وقد يكون في متعلق خاص حساً قدرة عليه كمن يريد أن يقوم فيقوم ويريد أن يكتب فيكتب، وأما ما لا قدرة له ولا قوّة له عليه أن يكون منه في الحس عليه فإنه يقوى على إيجاده خيالاً في نفسه فذلك عينه يكون له في الآخرة حساً محسوساً، وإن كان في قضية العقل محالاً فما استحال وجوده في الخيال، كذلك لا يستحيل وقوعه حساً لأن الخيال على الحقيقة إنما هو حضرة من حضرات الحس، ولهذا يلحق المعاني بالمحسوسات في الصورة فيتخيل المحال محسوساً فيكون في الآخرة أو حيث أراد الله محسوساً، ولهذا كان في الآخرة لا في الأولى، فإن الخيال في الدرجة الأخيرة من الحس فإنه عن الحس يأخذ ما يكسوه من الصور للمحال وغيره، فلهذا حيث كان لا يكون إلا في الآخرة فتنبه.

وأي قوى أعظم قوّة ممن يلحق المحال الوجود بالوجود المحسوس حتى تراه الأبصار كوجود الجسم في مكانين، فكما نتخيله هنا كذلك يقع في الآخرة حساً سواء، وما عندنا في العلم أهون من إلحاق المحال بالممكن في الوجود، ولا أصعب من إلحاق الممكن بالمحال، وهو عدم وقوع خلاف المعلوم مع إمكانه في نفسه، فهذا إلحاق الممكن بالمحال، فنقول في الذي كنا نقول فيه ممكن عقلاً محال عقلاً فتداخلت الرتب فلحق المحال بالممكن أي برتبته، ولحق الممكن برتبة المحال، وسبب ذلك تداخل الخلق في الحق والحق في الخلق بالتجلي والأسماء الإلهية والكونية، فالأمر حق بوجه خلق بوجه كل كون كون منه، فالحضرة الإلهية جامعة لحكم الحق في الخلق والخلق في الحق، ولولا ذلك ما اتصف الحق بأن العبد يغضبه ويسخطه فيغضب الحق ويسخط ويرضيه فيرضى.

Marfat.com

وأما كون الحق يسخط العبد ويغضبه ويرضيه فالعامة تعرف هذا، وهذا من علم التوالج والتداخل، فلولا وجود حكم القوّة ما كان هذا فإن الضعف مانع قوي، فانظر حكم القوة كيف سرى في الضعف حتى تقول في الضعيف إذا قوي عليه الضعف بحيث لا يستطيع الحركة فتنسب القوّة للضعف فوصفته بضده، فمن هنا تعرف قول أبي سعيد الخرّاز لما قيل له: بماذا عرفت الله؟ قال: بجمعه بين الضدين، ثم تلا: ﴿هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن﴾ فبالقوّة تقوى الضعف وبالأقوى ضعفت القوّة، وهذا الفرق بين الأقوى والقوي كالأقرب والقريب، فكل أقرب قريب وما كل قريب أقرب، وكل أقوى قوي وما كل قوي أقوى، وقد ذكرنا في هذه الحضرة ما فيه غنية وكفاية، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

المتين حضرة المتانة

إن قلــــت قـــولاً صحيحـــاً ... أنــــا القــــويّ المتيـــــن
أو كـــــان غيــــر صحيـــح ... أنــــا الضعيــــف المهيـــــن

وأيضاً:

إن المتـــانــة حـــال ليــس يــدريهـــا ... إلا الــذي هــام وجــداً فــي معــانيهــا
وقـــوة الله أبـــدتهـــا لنـــاظـــرنـــا ... وحكمهـــا أبـــداً فيمـــن يعـــانيهـــا
إذا أشـــدّ بهـــا ركنـــي تكـــون لنـــا ... أولـى وإن كـان عينـي فهـو ثـانيهـا
إن المطـــالـــع قـــد لاحـــت أهلتهـــا ... للنـــاظـــريـــن إليهـــا فـــي مبـــانيهـــا

يدعى صاحبها عبد المتين، قال تعالى: ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ فرفع على الصفة لقوله ذو وهو والمتين هو الذي لا يتزلزل عما يجب له الثبوت فيه لتمكنه وثقله، فنبه على العين أنها بهذه الصفة من المتانة لئلا يتخيل متخيل أو يقول قائل: إن الصور لما تبدلت في التجلي واختلفت والأسماء الإلهية لما كثرت وتنوّعت ودل كل اسم على معنى لا يكون لغيره، وأعطت كل صورة أمراً لم تعطه الصورة الأخرى أن العين والمسمى تبدل لهذا التبدل فأخبر أنه من المتانة بحيث أن الأمر على ما قرّر وشوهد من التحول والتبدل والعين ثابتة في مكانتها لا تقبل التغيير، وأعظم ما يظهر حكم هذا في العقائد في الله لأن الإله الذي اعتقد بالدليل النظري إذا جاءت الشبهة لصاحب هذا الاعتقاد النظري أزالته، فلو كانت المتانة من صفات الإله الذي جعله المعتقد في نفسه ما أثرت فيه الشبهة الواردة فأخلت

Marfat.com

المحل عنه وعاد يبحث عل إله آخر يجعله فيه، فليست المتانة إلا للإله القوي الحق الذي يجد في نفسه هذا الطالب الاستناد إليه ولا يدري ما هو ولمتانته لا يقوى الناظر أن ينقله إلى محل اعتقاده فمتانته حجابه فلا يعرف، والحق الذي وسعه قلب العبد هو الذي يقبل آثار الشبه فيه، فقد علمت لماذا تسمى بالمتين وهو علم غريب، فبالمتانة كان الاستناد فاستند إليه كل ممكن يطلب الترجيح والعلم بهذا المستند عين نفي العلم به على علم بأنه لا يعلم لا بد من ذلك كما قال الصديق: العجز عن درك الإدراك، إدراك، وهذا أعلى ما يوصل إليه في العلم بالله المتين، فإن للمتانة درجات فقصدنا أتمها وأعلاها، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

النصير حضرة النصر

حضـــــرة النصـــــر حضـــــرة   للـــــذي قـــد بغـــى عليـــه
فهـــــــو لله وحـــــــده   مـــالـــه غيـــر مـــا لـــديـــه

وأيضاً:

إن الـــولـــي الـــذي إذا تـــولاه   عبـــد تـــولاه رب حيـــن ولاه
إن الـــوليّ اســـم مفعـــول يكـــون لـــه   مـــن لفظـــه فـــاعـــل إذا تـــولاه
لـــولاه مـــا ثبتـــت فينـــا قـــواعـــده   ولا رســـت رغبـــة لـــولاه لـــولاه
أملـــى علـــى الـــذي يتلـــوه مـــن ســـور   علـــى مسامـــع كـــونـــي حيـــن أمـــلاه
بـــالقلـــب سطـــره ربـــي لنحفظـــه   بـــه بـــلانـــي إلهـــي حيـــن أبـــلاه

يدعى صاحبها عبد الوليّ والوليّ الناصر، وإن شئت قلت عبد الناصر. قال تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ وهو نور العيان وهو عين اليقين، وأقام تعالى عذراً لما نبه بقوله في تمام الآية: ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم﴾ وما أفرد الطاغوت لأن الأهواء مختلفة، وأفرد نفسه لأنه واحد يخرجونهم من النور إلى الظلمات فنصر هؤلاء الأولياء لهم حيث لا يتركونهم يدخلون الجنة لما لهم فيها من الضرر لأنهم على مزاج يتضرّر بالاعتدال كما تضرّ رياح الورد بالجعل فهم ينصرون أصحابهم، وليس إلا أهل النار الذين هم أهلها أخبر ﷺ فقال: «**إن وليّ الله الذي نزل الكتاب**» لأن فيه الله ولي الذين آمنوا وهو من المؤمنين وهو يتولى الصالحين، ولهذا القطع

Marfat.com

كان الصلاح مطلوباً لكل نبي مكمل، وشهد الله به لمن شاء من عباده على التعيين تشريفاً له بذلك كعيسى ويحيى عليهما السلام.

وأما قوله تعالى: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ وليس المؤمن إلا من لم يدخل إيمانه بأمر ما خلل يقدح في إيمانه، والمؤمنون في كلام الله نوعان وهم الكافرون، فنوع آمن بالله وكفر بالطاغوت وهو الباطل فهم أهل الجنة المعبر عنهم بالسعداء، والنوع الآخر آمن بالباطل وكفر بالله وهو الحق فهم أهل النار المعبر عنهم بالأشقياء، فقال عز وجل في حق السعداء: «فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى» وهؤلاء هم الذين حق على الله نصرهم، والألف واللام للعهد والتعريف. وقال تعالى في حق الأشقياء: ﴿والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾ فإذا جعلت الألف واللام في نصر المؤمنين للجنس فمن اتصف بالإيمان فهو منصور، ومن هنا يظهر المؤمنون بالباطل في أوقات على الكافرين بالطاغوت فيجعلون ذلك الظهور نصراً لأن النصر عبارة عمن ظهر على خصمه، فمن جعل الألف واللام للجنس جعل إيمان أهل الباطل بالباطل أقوى من إيمان أهل الحق بالحق، فالمؤمن من لا يولي الدبر ويتقدم ويثبت حتى يظفر أو يقتل، ولهذا ما انهزم نبي قط لقوة إيمانه بالحق، وقد توعد الله المؤمن إذا ولى دبره في القتال لغير قتال أو انحياز إلى فئة تعضده فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرّفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله﴾ فخاطب أهل الإيمان، وبقرائن الأحوال علمنا أنه تعالى أراد المؤمنين بالحق وأرسل الآية في اللفظ دون تقييد بمن وقع الإيمان به، لكن قرائن الأحوال تخصص وتعطي العلم بالمقصود من ذلك، غير أن الحق ما أرسلها مطلقة إلا ليقيم الحجة على الذين آمنوا بالباطل إذا هزمهم الكافرون بالطاغوت لما دخلهم من الخلل في إيمانهم بالباطل، فهو عندنا ليس بنصر ذلك الظهور الذي للمؤمنين بالباطل على الكافرين بالطاغوت، وإنما المؤمنون بالحق لما تراءى الجمعان كان في إيمانهم خلل فأثر فيه الجبن الطبيعي فزلزل أقدامهم فانهزموا في حال حجاب عن إيمانهم بالحق.

ولا شك أن الخصم إذا رأى خصمه انهزم أمامه وفروا خلى له مكانه لا بد أن يظهر عليه ويتبعه، فإن شئت سميت ذلك نصراً من الله لهم، فما انتصروا على المؤمنين بالحق، وانما انتصروا على وجه الخلل الذي دخل في إيمانهم واستتر عنهم بالخوف الطبيعي فكانوا

Marfat.com

كفاراً من ذلك الوجه، فكان نصرهم نصر الكفار بعضهم على بعض وهم المؤمنون بالباطل، لأن هؤلاء المؤمنين بالحق آمنوا بما خوفهم به الطبع من القتل وهو باطل، فآمنوا بالباطل لخوفهم من الموت، والشهيد ليس بميت فإنه حي يرزق، فلما آمنوا به أنه موت آمنوا بالباطل فهزم أهل الباطل أهل الباطل وهذا يسمى ظهوراً لا نصراً، إلا إذا جعلت الألف واللام للجنس فتشمل كل مؤمن بأمر ما من غير تعيين، فهذه حكمة تسمية الله أهل الباطل مؤمنين وأهل الحق كافرين، فلا تغفل يا ولي عن هذه الدقيقة فإنها حقيقة وهي المؤثرة في أهل النار الذين هم أهلها في المآل إلى الرحمة لأن المشرك آمن بوجود الحق لا بتوحيده، ووجود الحق حق فهو بوجه ممن آمن بالحق فما تخلص له الإيمان بالباطل إذ آمن بالشريك فتقسم إيمانه فلم يقو قوة إيمان المؤمن بالحق من حيث أحديته في ألوهته، قال تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله﴾، ولم يقل بتوحيد الله إلا وهم مشركون لكنه جلي وخفي، فالمؤمن بتوحيد الله مؤمن بوجود الله، وما كل مؤمن بوجود الله يكون مؤمناً بتوحيد الله فينقص عن درجته في قوة الإيمان، فإن استناد الإيمان من المؤمن بالباطل إلى عدم ولهذا يرجع عنه عند الكشف، والمؤمن بتوحيد الحق يرجع إلى أمر وجودي يستند إليه فيعضده فلا يرجع عنه، فالمؤمن بالباطل أعان على نفسه المؤمن بالحق من حيث الأحدية وهو قوله تعالى: ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ وقوله: ﴿فلو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا﴾ فقد تبرؤا في مواطن ما فيه تكليف بالبراءة أنها نافعة صاحبها والكافر لا مولى له ولهذا انهزم أمام خصمه، فآمن استترت عنه حياة الشهيد في سبيل الله فإمن بالموت وهو الباطل وكفر بالحياة وهي الحق، وفي هذا تذكرة لأولي الألباب، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

انتهى النصف الأول من الجزء الرابع من الفتوحات المكية، ويليه النصف الثاني أوله:

الحميد حضرة الحمد

Marfat.com

فهرس الفتوحات المكيّة

الجزء السابع

الموضوع	الصفحة
الباب الحادي وأربعمائة: في معرفة منازلة الميت والحي ليس له إلى رؤيتي من سبيل	٣
الباب الثاني وأربعمائة: في معرفة منازلة من غالبني غلبته ومن غالبته غلبني، فالجنوح إلى السلم أولى	٤
الباب الثالث وأربعمائة: في معرفة منازلة لا حجة لي على عبيدي ما قلت لأحد منهم لم عملت إلا قال لي: أنت عملت	٧
الباب الرابع وأربعمائة: في معرفة منازلة من شق على رعيته سعى في هلاك ملكه ومن رفق بهم بقي ملكاً كل سيد قتل عبداً من عبيده، فإنما قتل سيادة من سياداته إلا أنا فانظره	٩
الباب الخامس وأربعمائة: في معرفة منازلة من جعل قلبه بيتي وأخلاه من غيري ما يدري أحد ما أعطيه فلا تشبهوه بالبيت المعمور فإنه بيت ملائكتي لا بيتي ولهذا لم أسكن فيه خليلي إبراهيم عليه السلام	١١
الباب السادس وأربعمائة: في معرفة منازلة ما ظهر مني شيء لشيء ولا ينبغي أن يظهر	١٥
الباب السابع وأربعمائة: في معرفة منازلة في أسرع من الطرفة تختلس مني إن نظرت إلى غيري لا لضعفي ولكن لضعفك	١٧
الباب الثامن وأربعمائة: في معرفة منازلة يوم السبت حلّ عنك مئزر الجد الذي شددته فقد فرغ العالم مني وفرغت منه	٢٠
الباب التاسع وأربعمائة: في معرفة منازلة أسمائي حجاب عليك فإن رفعتها وصلت إليّ	٢٣
الباب العاشر وأربعمائة: في معرفة منازلة ﴿وإن إلى ربك المنتهى﴾ فاعتزوا به تسعدوا	٢٥
الباب الأحد عشر وأربعمائة: في معرفة منازلة فيسبق عليه الكتاب فيدخل النار من حضرة كاد لا يدخل النار	٢٨
الباب الثاني عشر وأربعمائة: في معرفة منازلة من كان لي لم يذل ولم يخزى أبداً	٣٠
الباب الثالث عشر وأربعمائة: في معرفة منازلة من سألني فما خرج من قضائي ومن لم يسألني فما خرج من قضائي	٣١

Marfat.com

الباب الرابع عشر وأربعمائة: في معرفة منازلة ما ترى إلا بحجاب ٣٤
الباب الخامس عشر وأربعمائة: في معرفة منازلة من دعاني فقد أدّى حق عبوديته ومن أنصف نفسه فقد أنصفني ٣٦
الباب السادس عشر وأربعمائة: في معرفة منازلة عين القلب ٣٩
الباب السابع عشر وأربعمائة: في معرفة منازلة من أجره على الله ٤١
الباب الثامن عشر وأربعمائة: في معرفة منازلة من لم يفهم لا يوصل إليه شيء ٤٥
الباب التاسع عشر وأربعمائة: في معرفة منازلة الصكوك وهي المناشير والتوقيعات الإلّهية ٤٧
الباب الموفى عشرين وأربعمائة: في معرفة منازلة التخلص من المقامات ٥١
الباب الأحد والعشرون وأربعمائة: في معرفة منازلة من طلب الوصول إليّ بالدليل والبرهان لم يصل إليّ أبداً فإنه لا يشبهني شيء ٥٣
الباب الثاني والعشرون وأربعمائة: في معرفة منازلة من ردّ إليّ فعلي فقد أعطاني حقي وأنصفني مما لي عليه ٥٩
الباب الثالث والعشرون وأربعمائة: في معرفة منازلة من غار علي لم يذكرني ٦٣
الباب الرابع والعشرون وأربعمائة: في معرفة منازلة أحبك للبقاء معي وتحب الرجوع إلى أهلك فقف حتى أتشفى منك وحينئذٍ تمر عني قال الله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه فهو المحب المحبوب﴾ ٦٥
الباب الخامس والعشرون وأربعمائة: في معرفة منازلة من طلب العلم صرفت بصره عني ٦٧
الباب السادس والعشرون وأربعمائة: في معرفة منازلة السرّ الذي قال منه رسول الله ﷺ حين استفهم عن رؤية ربه فقيل له: رأيت ربك في ليلة الإسرا فقال: نور أني أراه ٦٩
الباب السابع والعشرون وأربعمائة: في معرفة منازلة قاب قوسين........ ٧٠
الباب الثامن والعشرون وأربعمائة: في معرفة منازلة الاستفهام عن الأنيتين ٧٢
الباب التاسع والعشرون وأربعمائة: في معرفة منازلة من تصاغر لجلالي نزلت إليه ومن تعاظم عليّ تعاظمت عليه ٧٥
الباب الثلاثون وأربعمائة: في معرفة منازلة إن حيرتك أوصلتك إليّ ... ٧٦
الباب الأحد والثلاثون وأربعمائة: في معرفة منازلة من حجبته حجبته ... ٧٨
الباب الثاني والثلاثون وأربعمائة: في معرفة منازلة ما ارتديت بشيء إلا بك فاعرف قدرك وذا عجب شيء لا يعرف نفسه................ ٨٠
الباب الثالث والثلاثون وأربعمائة: في معرفة منازلة انظر أي تجل يعدمك فلا تسألنيه فنعطيك فلا أجد من يأخذه ٨١
الباب الرابع والثلاثون وأربعمائة: في معرفة منازلة لا يحجبنك لو شئت فإني لا أشاء بعد فأثبت......... ٨٢

Marfat.com

الباب الخامس والثلاثون وأربعمائة: في معرفة منازلة أخذت العهد على نفسي فوقتاً وفيت ووقتاً على يد عبدي لم أف وينسب عدم الوفاء إلى عبدي فلا تعترض فإني هناك ٨٤
الباب السادس والثلاثون وأربعمائة: في معرفة منازلة لو كنت عند الناس كما أنت عندي ما عبدوني ٨٦
الباب السابع والثلاثون وأربعمائة: في معرفة منازلة من عرف حظه من شريعتي عرف حظه مني فإنك عندي كما أنا عندك مرتبة واحدة ٨٨
الباب الثامن والثلاثون وأربعمائة: في معرفة منازلة من قرأ كلامي رأى غمامتي فيها سرج ملائكتي تنزل عليه وفيه فإذا سكت رفعت عنه ونزلت أنا ٩٠
الباب التاسع والثلاثون وأربعمائة: في معرفة منازلة قاب قوسين الثاني الحاصل بالوراثة النبوية للخواص منا ٩٣
الباب الأربعون وأربعمائة: في معرفة منازلة اشتد ركن من قوى قلبه بمشاهدتي ٩٦
الباب الأحد والأربعون وأربعمائة: في معرفة منازلة عيون أفئدة العارفين ناظرة إلى ما عندي لا إليّ ٩٨
الباب الثاني والأربعون وأربعمائة: في معرفة منازلة من رآني وعرف أنه رآني فما رآني ٩٩
الباب الثالث الأربعون وأربعمائة: في معرفة منازلة واجب الكشوف العرفاني ١٠٠
الباب الرابع والأربعون وأربعمائة: في معرفة منازلة من كتب له كتاب العهد الخالص لا يشقى ١٠٢
الباب الخامس والأربعون وأربعمائة: في معرفة منازلة هل عرفت أوليائي الذين أدّبتهم بآدابي ١٠٥
الباب السادس والأربعون: في معرفة منازلة في تعمير نواشيء الليل فوائد الخيرات ١٠٩
الباب السابع والأربعون وأربعمائة: في معرفة منازلة من دخل حضرة التطهير نطق عني ١١١
الباب الثامن والأربعون وأربعمائة: في معرفة منازلة من كشفت له شيئاً مما عندي بهت فكيف يطلب أن يراني هيهات ١١٣
الباب التاسع والأربعون وأربعمائة: في معرفة منازلة قول من قال عن الله ليس عبدي من تعبد عبدي ١١٥
الباب الخمسون وأربعمائة: في معرفة منازلة من ثبت لظهوري كان بي لأنه سبحانه كان به لأبي وهو الحقيقة والأول مجاز ١١٦
الباب الحادي والخمسون وأربعمائة: في معرفة منازلة في المخارج معرفة المعارج ١١٨
الباب الثاني والخمسون وأربعمائة: في معرفة منازلة كلامي كله موعظة لعبيدي لو اتعظوا ١٢٠
الباب الثالث والخمسون وأربعمائة: في معرفة منازلة كرمي ما وهبتك من الأموال وكرم كرمي ما وهبتك من عفوك عن الجاني عليك ١٢٣

Marfat.com

الباب الرابع والخمسون وأربعمائة: في معرفة منازلة لا يقوى معنا في حضرتنا غريب وإنما المعروف لأولي القربى ١٢٤
الباب الخامس والخمسون وأربعمائة: في معرفة منازلة من أقبلت عليه بظاهري لا يسعد أبداً ومن أقبلت عليه بباطني لا يشقى أبداً وبالعكس ١٢٦
الباب السادس والخمسون وأربعمائة: في معرفة منازلة من تحرّك عند سماع كلامي فقد سمع يريد الوجد الذي يعطي الوجود ١٢٧
الباب السابع والخمسون وأربعمائة: في معرفة منازلة التكليف المطلق ١٢٩
الباب الثامن والخمسون وأربعمائة: في معرفة منازلة إدراك السبحات الوجهية ١٣١
الباب التاسع والخمسون وأربعمائة: في معرفة منازلة وأنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار ١٣٢
الباب الستون وأربعمائة: في معرفة منازلة الإسلام والإيمان والإحسان الأول والثاني ١٣٣
الباب الأحد والستون وأربعمائة: في معرفة منازلة من أسدلت عليه حجاب كنفي فهو من ضنائني لا يعرف ولا يعرف ١٣٤
الفصل السادس: في هجيرات الأقطاب ومقاماتهم المحمدية ١٣٦
الباب الثاني والستون وأربعمائة: في الأقطاب المحمديين ومنازلهم ... ١٣٦
الباب الثالث والستون وأربعمائة: في معرفة الإثني عشر قطباً الذين يدور عليهم عالم زمانهم ١٤١
الباب الرابع والستون وأربعمائة: في حال قطب هجيره لا إله إلاَّ الله ... ١٦٢
الباب الخامس والستون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله الله أكبر ١٦٦
الباب السادس والستون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان هجيره ومنزله سبحان الله ١٦٩
الباب السابع والستون وأربعمائة: في حال قطب كان منزله الحمد لله ... ١٧٦
الباب الثامن والستون وأربعمائة: في حال قطب كان منزله الحمد لله على كل حال ١٧٨
الباب التاسع والستون وأربعمائة: في حال قطب كان منزله وأفوّض أمري إلى الله ١٨٠
الباب السبعون وأربعمائة: في حال قطب كان منزله: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلاَّ ليعبدون﴾ ١٨٤
الباب الأحد والسبعون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني﴾ ١٨٧
الباب الثاني والسبعون وأربعمائة: في حال قطب كان منزله ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب﴾ ١٩١
الباب الثالث والسبعون وأربعمائة: في حال قطب كان منزله: ﴿وإلهكم إله واحد﴾ ١٩٤

Marfat.com

الباب الرابع والسبعون وأربعمائة: في حال قطب كان منزله: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باقٍ﴾ ١٩٧
الباب الخامس والسبعون وأربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ومن يعظم شعائر الله﴾ ٢٠٠
الباب السادس والسبعون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: لا حول ولا قوة إلا بالله ٢٠٣
الباب السابع والسبعون وأربعمائة: في حال قطب كان منزله ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ ﴿ولمثل هذا فليعمل العاملون﴾ ٢٠٥
الباب الثامن والسبعون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿إن تلك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير﴾ .. ٢٠٨
الباب التاسع والسبعون وأربعمائة: في حال قطب كان منزله: ﴿ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه﴾ .. ٢١١
الباب الثمانون وأربعمائة: في حال قطب كان منزله: ﴿وآتيناه الحكم صبيا﴾. ٢١٢
الباب الأحد والثمانون وأربعمائة: في حال قطب كان منزله: ﴿إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا﴾ ٢١٥
الباب الثاني والثمانون وأربعمائة: في حال قطب كان منزله: ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور﴾ ٢١٧
الباب الثالث والثمانون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾ ٢١٨
الباب الرابع والثمانون وأربعمائة: في حال قطب كان منزله ﴿إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذٍ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾ ٢٢٠
الباب الخامس والثمانون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون﴾ ٢٢١
الباب السادس والثمانون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ومن يعصِ الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا﴾ ٢٢٣
الباب السابع والثمانون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾ ... ٢٢٥
الباب الثامن والثمانون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ ٢٢٧
الباب التاسع والثمانون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ ٢٣٠
الباب الموفى تسعين وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ ٢٣١
الباب الأحد والتسعون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾ ... ٢٣٣
الباب الثاني والتسعون وأربعمائة: في

Marfat.com

معرفة حال قطب كان منزله ﴿عالم الغيب﴾ فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ٣٣٥
الباب الثالث والتسعون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿قل كل من عند الله﴾ فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً لأنهم لم يجدوه إذ كان عندهم ٢٣٧
الباب الرابع والتسعون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ وما أشبه هذا من الآيات القرآنية ٢٣٨
الباب الخامس والتسعون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر﴾ ٢٤٠
الباب السادس والتسعون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ ٢٤٢
الباب السابع والتسعون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ ٢٤٤
الباب الثامن والتسعون واربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ومن يتقِ الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ ٢٤٦
الباب التاسع والتسعون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ وقتاً على زيادة الكاف ووقتاً على كونها صفة لفرض المثل وهو مذهبنا والحمد لله ٢٤٨
الباب الموفى خمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم﴾ أي نرده إلى أصله وهو البعد، يقال بئر جهنام إذا كانت بعيدة القعر ... ٢٤٩
الباب الواحد وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿أغير الله تدعون إن كنتم صادقين﴾ وكان هذا هجير الشيخ أبي مدين شيخنا رضي الله عنه ٢٥١
الباب الثاني وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾ ٢٥٤
الباب الثالث وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾ ٢٥٧
الباب الرابع وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿قل الله ثم ذرهم﴾ إلى هنا كان هجير شيخنا أبي مدين رحمه الله، وزاد بعضهم قوله تعالى: ﴿في خوضهم يلعبون﴾ ٢٥٩
الباب الخامس وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾ كان عليه من أصحابنا محمد المراكشي بمراكش ٢٦٢
الباب السادس وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾ ﴿ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون ٢٦٤

Marfat.com

الباب السابع وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله قوله تعالى: ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ ٢٦٦
الباب الثامن وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ٢٦٨
الباب التاسع وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾ ٢٧١
الباب العاشر وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾ ٢٧٣
الباب الأحد عشر وخمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ ٢٧٥
الباب الثاني عشر وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها﴾ ٢٧٧
الباب الثالث عشر وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾ ٢٧٩
الباب الرابع عشر وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ ٢٨١
الباب الخامس عشر وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وظن داود إنما فتناه فاستغفر ربه وخرّ راكعاً وأناب﴾ ٢٨٣
الباب السادس عشر وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزلة: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وآخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ففروا إلى الله﴾ ٢٨٥
الباب السابع عشر وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾ وهذا ذكر الاضطرار والفرج بعد الشدة ٢٨٨
الباب الثامن عشر وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العليّ الكبير﴾ ٢٩٠
الباب التاسع عشر وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ ٢٩٣
الباب الموفى عشرين وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿إنما يستجيب الذي يسمعون﴾ ٢٩٦
الباب الأحد والعشرون وخمسمائة: في معرفة قطب كان منزله: ﴿وتزوّدوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب﴾ ٢٩٨
الباب الثاني والعشرون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله:

Marfat.com

﴿والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾ ٣٠١
الباب الثالث والعشرون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وأما من خاف مقام ربه﴾ ٣٠٣
الباب الرابع والعشرون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا﴾ ٣٠٥
الباب الخامس والعشرون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ومن يتعدَ حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا﴾ ٣٠٧
الباب السادس والعشرون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً﴾ ٣٠٩
الباب السابع والعشرون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم﴾ ٣١١
الباب الثامن والعشرون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾ ٣١٣
الباب التاسع والعشرون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه﴾ ٣١٤
الباب الموفى ثلاثين وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿يستخفون من الناس لا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا﴾ ٣١٧
الباب الأحد والثلاثون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه﴾ ٣١٨
الباب الثاني والثلاثون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾ ٣٢١
الباب الثالث والثلاثون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ ٣٢٤
الباب الرابع والثلاثون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ ٣٢٦
الباب الخامس والثلاثون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ ٣٢٧
الباب السادس والثلاثون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان هجيره: ﴿ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب﴾ ٣٢٩

Marfat.com

الباب السابع والثلاثون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان هجيره: ﴿وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ وهذه آية عجيبة ٣٣٠
الباب الثامن والثلاثون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿فاستقم كما أمرت﴾ ٣٣٣
الباب التاسع والثلاثون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ففروا إلى الله﴾ ٣٣٤
الباب الموفى أربعين وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم﴾ ٣٣٦
الباب الأحد والأربعون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً﴾ ٣٣٨
الباب الثاني والأربعون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً﴾ ٣٣٩
الباب الثالث والأربعون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾ ٣٤٠
الباب الرابع والأربعون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان هجيرة ما يلفظ من قول: ﴿إلا لديه رقيب عتيد﴾ .. ٣٤٢
الباب الخامس والأربعون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان هجيره: ﴿واسجد واقترب﴾ ٣٤٥
الباب السادس والأربعون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان هجيره ومنزله: ﴿فاعرض عن من تولى عن ذكرنا﴾ ٣٤٦
الباب السابع والأربعون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ ٣٤٧
الباب الثامن والأربعون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله وهجيره: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ ٣٤٨
الباب التاسع والأربعون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿أما من استغنى فأنت له تصدى﴾ ٣٤٩
الباب الموفى خمسين وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا﴾ الآية . ٣٥٠
الباب الأحد والخمسون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ ٣٥١
الباب الثاني والخمسون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ولو أنهم إذا ظلموا أنفسهم جاؤك﴾ الآية ٣٥٢
الباب الثالث والخمسون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿والله من ورائهم محيط﴾ ٣٥٣
الباب الرابع والخمسون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ولا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا﴾ ٣٥٤
الباب الخامس والخمسون وخمسمائة: في معرفة السبب الذي منعني أن أذكر

Marfat.com

فيه بقية الأقطاب من زماننا هذا إلى يوم القيامة ٣٥٥

الباب السادس والخمسون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ وهو من أشياخنا درج سنة تسع وثمانين وخمسمائة رحمه الله ٣٥٦

الباب السابع والخمسون وخمسمائة: في معرفة ختم الأولياء على الإطلاق ٣٥٧

الباب الثامن والخمسون وخمسمائة: في معرفة الأسماء الحسنى التي لرب العزة وما يجوز أن يطلق عليه منها لفظاً وما لا يجوز ٣٥٨

الحضرة الربانية وهي الإسم الرب ... ٣٦١

حضرة الرحموت الإسم الرحمن الرحيم ٣٦٥

حضرة الملك والملكوت وهو الإسم الملك ٣٦٦

حضرة التقديس وهو الاسم القدوس .. ٣٦٨

حضرة السلام الاسم الإلهي السلام .. ٣٦٩

حضرة الأمان وهي للإسم المؤمن ... ٠٧

حضرة الشهادة وهي للإسم المهيمن .. ٣٠٠

حضرة العزة وهي الإسم العزيز ٣٧٦

حضرة الجبروت وهي للإسم الجبار .. ٣٧٨

حضرة كسب الكبرياء وهي للإسم المتكبر ٣٨٠

حضرة الخلق والأمر وهي للإسم الخالق ٣٨٣

الحضرة البارئية وهي للإسم الباريء .. ٣٨٥

حضرة التصوير وهي للإسم لمصوّر .. ٣٨٧

حضرة إسبال الستور وهي للإسم الغفار والغافر والغفور ٣٩٠

حضرة القهر ٣٩٣

حضرة الوهب وهي للإسم الوهاب ... ٣٩٥

حضرة الأرزاق وهي للإسم الرزاق ... ٣٩٧

حضرة الفتح وهي للإسم الفتاح ٤٠٠

حضرة العلم وهي للإسم العليم والعالم والعلام ٤٠٣

حضرة القبض وهي للإسم القابض ... ٤٠٦

حضرة البسط وهي للإسم الباسط ٤٠٨

حضرة الخفض ٤١٠

حضرة الرفعة ٤١٣

حضرة الإعزاز ٤١٧

حضرة الإذلال ٤١٩

حضرة السمع ٤٢١

حضر البصر ٤٢٤

حضرة الحكم ٤٢٧

حضرة العدل ٤٢٩

حضرة اللطف ٤٣٢

حضرة الخبرة والاختبار وهي حضرة الابتلاء بالنعم والنقم ٤٣٤

حضرة الحلم ٤٣٦

حضرة العظمة ٤٣٧

حضرة الشكر ٤٣٩

حضرة العلو ٤٤٢

حضرة الكبرياء الإلهي ٤٤٥

حضرة الحفظ ٤٤٧

حضرة المقيت ٤٥٠

حضرة الاكتفاء ٤٥٢

حضرة الجلال ٤٥٥

حضرة الكرم ٤٥٧

حضرة المراقبة ٤٦٠

حضرة الإجابة ٤٦٢

حضرة السعة ٤٦٤

Marfat.com

الحكيم حضرة الحكمة ٤٦٧
الوداد حضرة الود ٤٧٠
المجد حضرة المجد ٤٧٣
الحياء حضرة الحياء ٤٧٥
السخي حضرة السخاء ٤٧٦
الطيب حضرة الطيب ٤٧٨
المحسان حضرة الإحسان ٤٧٩
الدهر حضرة الدهر ٤٨٠
الصاحب حضرة الصحبة ٤٨٢
الخليفة حضرة الخلافة ٤٨٦
الجميل حضرة الجمال ٤٨٧
المسعر حضرة التسعير ٤٨٩
القريب الأقرب حضرة القربة والقرب والقرب ٤٩١
المعطي حضرة العطاء والإعطاء ٤٩٣
الشافي حضرة الشفاء ٤٩٦
الفرد الوتر حضرة الأفراد ٤٩٨
الرفيق حضرة الرفق والمرافقة ٥٠٠
الباعث حضرة البعث ٥٠١
الحق حضرة الاسم الحق ٥٠٤
الوكيل حضرة الوكالة ٥٠٦
القوى حضرة القوّة ٥٠٧
المتين حضرة المتانة ٥١٠
النصير حضرة النصر ٥١١

Marfat.com